

الخطبة في أخبار غزاة طبر

لذي الزارئين لسان الدين بن الخطيب

حقق نصه ووضع مقدمته وحواشيه

محمد عبد الله عياد

المجلد الثالث

الناشر: مكتبة الناجي بالقاهرة

الطبعة الأولى
١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م
الحقوق كلها محفوظة
Copyright, Cairo, 1975

القاهرة

المشركة المصرية للطباعة والنشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

هذا هو المجلد الثالث من كتاب « الإحاطة في أخبار غرناطة » . نقدمه إلى القراء والباحثين . في كثير من الغبطة والحمد والرضى .

ولقد استوعبنا في مراجعة المجلدين . الأول والثاني . من هذه الموسوعة الأندلسية الحليّة . سائر المخطوطات التي نوهنا بها في مواضعها . في مقدمة كل من هذين المجلدين . والآن ينحصر مدى المراجعة بالنسبة لهذا المجلد الثالث من « الإحاطة » في أصليين مخطوطين .

الأول — مخطوط « المكتبة الزيدانية » . المحفوظ بمكتبة دير سان لورنزو بالإسكوريال ، برقم ١٦٨٨ الغزيري ورقم ١٦٧٣ ديرنبور .

الثاني — مخطوط جامع الزيتونة بتونس ، المحفوظ الآن بدار الكتب الوطنية التونسية . الجزآن الثاني والثالث ، ويحملان رقمي 8135 و 8136

واعتمدنا في المراجعة والتحقيق إلى جانب هذين الأصليين المخطوطين . على عدد من المراجع والموسوعات الأدبية والتاريخية . مثل «نفع الطيب» . و «أزهار الرياض» للمقري . و «الذيل والتكملة» ، للقاضي ابن عبد الملك المراكشي . «وصلة الصلوة» لأبي جعفر بن الزبير . «وجذوة الاقتباس» لابن القاضي ، وغيرها مما سبق أن ذكرناه في ثلث المراجع في نهاية المجلد الأول .

وبدأ هذا المجلد الثالث من « الإحاطة » بترجمة محمد بن يحيى بن عبد الله ابن محمد بن أحمد الغزفي ويسمى بترجمة عبد الحق بن ابراهيم بن محمد بن نصر بن ... من المكي . وهو من مخطوط الإسكوريال المشار إليه مائة وثمان وسبعين

لوحة . من اللوحة ٨٥ إلى اللوحة ٢٨٣ . ويستغرق بقية السفر الثامن من «الإحاطة»
ثم السفر التاسع بأكمله ، وجزءا من السفر العاشر :

« يختلف هذا المجلد الثالث من «الإحاطة» عن سابقه في عدد أدبه ،
أولها نوحى الإخبار في كثير من التراجم . وراو ذلك من مغارب عابد التراجم
التي يحتويها هذا المجلد ، بما يحتويه منها كل من المجلدين الأول والثاني . فبينما يحتوي
المجلد الأول على ست وتسعين ترجمة ، ويحتوي المجلد الثاني على اثنين وثمانين
ترجمة ، إذا بالمجلد الثالث يحتوي على مائة وأربع وتسعين ترجمة . وفي اعتقادنا
أن ذلك يرجع بالأخص إلى سبين ، الأول تونحي ابن الخطيب الإنجاز في كثير
من التراجم الملوكية والخلافية الأندلسية . مثل تراجم عبد الرحمن بن معاوية
(الداخل) ، والمطرف بن عبد الله بن محمد ، وعبد الرحمن الناصر ، والخليفة
المرتضى بالله وغيرهم ، وذلك لأنه تناول أخبارهم مفصلة في كتابه «إعمال
الأعلام» . هذا بينما يفيض ابن الخطيب ، إفاضة ظاهرة في المجلدين الأول
والثاني ، في تراجم سلاطين الدولة النصرية ، ولاسيما سلطانه محمد الغنى بالله .
الذى تشغل ترجمته ، وما يتبعها من رسائل ، ثمانين صفحة من المجلد الثاني .
والسبب الثاني هو تصرف ناسخ مخطوط المكتبة الزيدانية ، بالاختصار المخل
في كثير من تراجم النصف الثاني من هذا المخطوط ، وحذفه معظم أبواب
«المشيمة» . ومعظم القصائد والرسائل النثرية ، الملحقة بكثير من التراجم ،
أو الاقتصار على اليسير منها .

على أن المجلد الثالث من «الإحاطة» يحتوي مع ذلك على كثير من التراجم
الهامة ، والتراجم المطولة ، كما يحتوي على مجموعة من التراجم الملوكية . ونستطيع
أن نذكر من التراجم الهامة التي وردت في هذا المجلد ، من العلماء ورجال التفكير
والأدب . تراجم محمد بن يحيى بن أحمد العزفى ، ومحمد بن أحمد بن مرزوق
العجيسى ، ومحمد بن عبد المنعم الصنهاجى الحميرى ، وأبى جعفر بن الزبير .
ومحمد بن يحيى بن تباد النفزى . ومحمد بن يوسف بن خالصون . وصالح بن
شريف الرندى ، وعبد الله بن إبراهيم بن وزمر الحجارى ، وعبد الله بن

نوف بن رضوان النجاري ، وعبد الرحمن بن خلدون الحضرمي ، وعبد الرحمن ابن يخلفتن الفاذازي ، وعبد الملك بن حبيب ، وابن أبي السداد الباهلي ، وعبد الحق بن محمد بن عطية الحاربي . وعبد الملك بن سعيد بن خلف العنسي ، وعبد المهيم بن محمد بن عبد المهيم الحضرمي ، وعبد الحق بن إبراهيم بن سبعين العكي وغيرهم . ومن تراجم الزعماء والأمراء والملوك ، منذر بن يحيى التجيبي ، وأبو حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن . والسلطان أبو الحيوش نصر بن يوسف ابن نصر الأنصاري ، والصميل بن حاتم ، وعبد الله بن بلقين بن باديس ، وعبد الرحمن الداخل . وعبد الرحمن الناصر ، وغيرهم .

وقد اتبعنا في هذا المجلد ، نفس ماسبق أن اتبعناه في المجلدين السابقين ، من مقارنة النصوص المخطوطة ، والتعريف بالأعلام الجغرافية والتاريخية . ومن الواضح أن التعريف بهذه الأعلام قد جرى في هذا المجلد على نطاق محدود نظرا لما سبق التعريف به في المجلدين السابقين من الأعلام الكثيرة ، الواردة في كتاب « الإحاطة » . ومن ثم فقد جرينا بالنسبة للأعلام المكررة في هذا المجلد ، على الإحالة على المجلدين السابقين .

ونود أن نستدرك هنا سهوا وقع في وصف « السفر الثاني » (الجزء الثاني) من مخطوط « الإحاطة » ، وهو مخطوط المكتبة الزيدانية المحفوظ بمكتبة الإسكوريال برقم ١٦٨٨ الغزيري ، ورقم ١٦٧٣ ديرنبور ، فقد ذكرنا في مقدمة المجلد الأول من الإحاطة أنه مكتوب بخط أندلسي (ص ١٣) . والحقيقة أنه مكتوب بخط مغربي . وقد أشرنا إلى ما ذكر في نهاية هذا المخطوط من أنه قد تم نسخه بغرناطة في أوائل شهر ربيع الأول من عام خمسة وتسعين وثمانمائة (ص ١٤) . وهذا يقصد به بالطبع المخطوط الأندلسي الأصلي ، الذي تم نسخه بغرناطة في هذا التاريخ . ومن الواضح أن مخطوط المكتبة الزيدانية قد نقل عن المخطوط الأصلي ، وأدجت فيه هذه الإشارة التي وردت في خاتمته ، ونقل بالخط المغربي ، إما بغرناطة ذاتها قبل السقوط ، أو بالمغرب من نسخة منه كانت قد نقلت إليه ، واستطاع السلطان مولاي زيدان أن يحصل عليها ، وأن يضمها إلى مكتبته النفيسة .

هذا ، وقد بقى علينا بعد إخراج هذا المجلد الثالث من « الإحاطة » أن نخرج المجلد الرابع . ثم السفر الثانى عشر منه ، وهو المتضمن لترجمة ابن الخطيب لنفسه . ويشتمل هذا المجلد الرابع والآخر من « الإحاطة » على بقية تراجم حروف العين ، والغين ، الفاء ، فالسين ، فالهاء ، فالياء . ويحتوى على مائة وإحدى وعشرين ترجمة ، تليها ترجمة ابن الخطيب لنفسه . وهى ترجمة مستفيضة تشغل نحو مجلد بأسره . وبإخراج هذين القسمين الأخيرين ، نختتم ، بعون الله وتوفيقه ، هذه الموسوعة الأندلسية الكبرى .

محمد عبده عثمان

القاهرة فى غرة رمضان سنة ١٣٩٥ هـ

الموافق ٦ سبتمبر سنة ١٩٧٥ م

رموز المخطوطات

- رجعنا في تحقيق هذا المجلد الثالث من « الإحاطة » حسبما تقدم إلى المخطوطين الآتيين ، ونرمز لكل منهما في حواشي الكتاب على النحو الآتي :
- ١ - مخطوط مكتبة دير الإسكوريال المحفوظ بها برقم ١٦٨٨ الغزيري ورقم ١٦٧٣ ديرنبور ، ونرمز له بكلمة « الإسكوريال »
- ٢ - الجزآن الثاني والثالث من مخطوط جامع الزيتونة بتونس ، المحفوظان الآن بدار الكتب الوطنية التونسية برقمي 8I35 و8I36 ونرمز لهما ، بكلمة « الزيتونة »

الإحاطة في أخبار غرناطة

—
المجلد الثالث

محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن أحمد العزفي

من أهل سبته ، أبو القاسم بن أبي زكريا بن أبي طالب ^(١) .

حاله

من أهل الظرف والبراعة ، والطبع المعين ، والذكاء ، رئيس سبته ،
[وابن رؤسائها] ^(٢) ، وانتقل الى غرناطة عند خلع ، وانصرافه عن بلده .
أقام بها . تحت رعي حسن الروا ، مألفا للظرفاء ، واشتهر بها أدبه ، ونظر
في الطب ، ودون فيه . وبرع في التوشيح . ثم انتقل إلى العُدوة ، انتقل
غبطة وأثرة . فاستعمل بها في [خطط نبيهة] ^(٣) ، وكتب عن ملوكها .
وهو الآن بالبحالة الموصوفة .

وجزى ذكره في « الإكليل » بما نصّه : فرع تاود ^(٤) من الرياسة في
دوحة . وتردد بين غُدوة في المجد وروحة ، نشأ والرياسة العزفية ، تَعَلَّه

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (أبو القاسم بن أبي يحيى) .

(٢) هذه الزيادة واردة في الزيتونة . ونود أن نذكر بهذه المناسبة أن رياسة آل الز في سبته
بدأت في سنة ٦٩٧ هـ ، حينما قامت بها الثورة ضد الموحدين ، وانتهت باختيار قاضيها كبير علمائها
أبي القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن الحسين اللخمي العزفي رئيسا لها . واستمرت رياسة أبي القاسم
سبت (وأحيانا لطلحة . أحوار) حتى وفاته في سنة ٦٧٧ هـ ، وهو الذي أكل كتاب أبيه العامة
الورج (وأما أبي العباس المعروف (المد المظفر في ...) ووجهه في ...) ...
... سنة ١١٣٠ هـ ... ذلك سنة ... من قبل ...
رياستها حتى وفاته في سنة ١١٩٠ هـ ...
سنة ١٢٠٠ هـ ...

(٣) ... (الخطط الد ...)

(٤) ... (...)

وَتَنَهَّلَهُ . وَالدَّهْرُ^(١) يُسِيرُ أَمْلَهُ الْأَوْحَى وَيَسْهَلُهُ . حَتَّى اتَّسَقَتْ أَسْبَابُ
سَعَادِهِ ، وَانْتَهَتْ إِلَيْهِ رِيَاسَةُ سَلَفِهِ مِنْ بَعْدِهِ . فَأَلْقَتْ إِلَيْهِ رِحَالَهَا وَخَطَلَتْ ،
وَمَتَّعَتْهُ بِقَرَبِهَا بَعْدَ مَا شَعَلَتْ . ثُمَّ كَلَّحَ لَهُ الدَّهْرُ بَعْدَ مَا تَبَسَّمَ ، وَعَادَ زَعَزَعًا
نَسِيمَهُ الَّذِي كَانَ يَتَنَسَّمُ ، وَعَاقَ هَالِكُهُ عَنْ تِمِّهِ . مَا كَانَ مِنْ تَغْلُبِ ابْنِ عَدِهِ ،
وَاسْتَقَرَّ بِهِذِهِ الْبِلَادُ ، زَائِي^(٢) الدَّارِ بِحُكْمِ الْأَقْدَارِ ، وَإِنْ كَانَ نَبِيهِ الْمَكَانَةِ
وَالْمَقْدَارِ ، وَجَرَتْ عَلَيْهِ جِرَايَةُ وَاسِعَةٍ . وَرِعَايَةُ مُتَتَابِعَةٍ ، وَلَهُ أَدَبٌ كَالرَّوْضِ
بِأَكْرَتِهِ الْغَمَامِ ، وَالزُّهْرُ تَفْتَحَتْ عَنْهُ الْكَوَاكِبُ ، رَفَعَ مِنْهُ رَايَةً خَافِقَةً ،
وَأَقَامَ لَهُ سَوْقًا نَافِقَةً . وَعَلَى تَدْفُقِ أَنْهَارِهِ ، وَكَثْرَةِ نَظْمِهِ وَاشْتِهَارِهِ ، فَلَمْ
أُظْهِرْ مِنْهُ إِلَّا بِالْيَسِيرِ التَّافِهِ بَعْدَ انْصِرَافِهِ .

شعره

قال : أُوَدِّيكِ يَا رِيحَ الصَّبَا عَوْجِي عَلَى تِلْكَ الرُّبَا
وَاحِدِ النَّعَامِ سَحْرًا تُرْسِلُ غَمَامًا صَبَا
عَلَى رُبِّي غَرْنَاطَةً لَكِي تَقْضِي مَارِبَا
ثُمَّ أَبْلَغِي يَا رِيحَ عَنْ صَبٍّ سَلَامًا طَبَا
وَمِنْ مَنْظُومِهِ أَيْضًا فِي بَعْضِ الْقَضَاةِ الْفَاسِيَّيْنِ ، وَهُوَ مِنَ الْبَدِيعِ ، وَوَرَى
فِيهِ بَبَابِينَ مِنْ أَبْوَابِ الْمَدِينَةِ :

وُلِّيتَ بِفَاسٍ أُمُورَ الْقَضَا فَأَحْدَثْتَ فِيهَا أُمُورًا شَنِيعَةً^(٣)

(١) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ وَالنَّفْعِ ، وَفِي الزَيْتُونَةِ (وَالزَّمَنِ) .

(٢) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي النَّفْعِ (نَازِحٌ) .

(٣) هَكَذَا وَرَدَ هَذَا الْبَيْتُ فِي الْإِسْكُورِيَالِ « وَالزَيْتُونَةُ » . وَوَرَدَ فِي « جَذْوَةِ الْإِقْتِبَاسِ » لَاسِ

الْقَاضِي كَالآتِي :

(الْقَاضِي فَاسٍ لَقَدْ شَتَّهَا وَأَحْدَثَتْ فِيهَا أُمُورًا شَنِيعَةً)

(طَبْعَةُ الرِّبَاطِ ١٩٧٣ - ص ٣٠٠)

وَعَلَّقْتُ لِلنَّاسِ بَابَ النُّسْرَةِ
بِغَزْلِكَ عَنْهَا فَبِيلُ الدَّرِيْعَةِ^(١)

فَتَحْتُ لِنَفْسِي بَابَ الْفَتْوحِ
فَمَادَرِ مَوَالِ الْوَرَى فـسـاـرس

وَقَالَ

وَأَدِرْ كَوْوَسْكَ يَا أَخَا اللَّذَاتِ
وَاقْطَعْ زَمَانِكَ بَيْنَ هَاكَ وَهَاتِ
لِيَنَّ الْمَعَاطِفَ فَاتِرَ الْحَرَكَاتِ
مُثَبَّتًا فِي فَتْسَرِهِ اللَّحْظَاتِ
فِي الْكَاسِ كَالْمَصْبَاحِ فِي الْمِشْكَاتِ
لَمَّا عَدَتْ تُجَلِّي عَلَى الرَّاحَاتِ
تَبْدُو مُحَاسِنُهَا لَدَى الْكَاسَاتِ
فَهْمٌ لَا كُنَّ مَطَالِعُهَا مِنَ الْوَجَنَاتِ
فِي جَنَّةٍ تُزْهِى عَلَى الْجَنَّاتِ
مِنْ كُلِّ غَضٍّ يَانِعِ الثَّمَرَاتِ
وَجَدَاوِلُ تُفْضِي إِلَى دَوَّاحَاتِ
فِيهِبٌ وَهُوَ مُورِّجُ النِّفْحَاتِ
حَازَ الْمَدَا سَبْقًا إِلَى الْغَايَاتِ
طَرِبَتْ لَهُ الْقُضْبُ اللَّدَانِ وَبَادَرَتْ
جَعَلَتْ تَحِيَّتُهَا لَدَى الرِّكَعَاتِ
قُرْبَانًا وَحَفَّتَهُ بِالزَّهْرَاتِ
فِي رِدَائِنَا عَلَى رَدَائِ
فِي الْيَمِّ مِنْهُ ثَقِيلَةُ النِّعَمَاتِ
أَلْحَانُهَا أَلْقَاءُ اللَّقَيْنَاتِ

دَخَ عَمَلُ فَوَلِ عَوَازِلِ وَوَشَاهِ
وَاخْلَعْ عِذَارَكَ لَاهِيَا فِي شُرْبِهَا
نَحْذَهَا إِلَيْكَ بِكَفِّ سَاقٍ أَغْيَدِ
قَدْ قَامَ مِنَ الْخَاطِظَةِ إِنْسَانُهَا
يُسْتَقِيكُمَا حَمْرَاءُ يَسْطَعُ نَوْرُهَا
رُقَّتْ وَرَافَتْ فِي الزُّجَاجَةِ مَنَظَرَا
لَا تَمَزِجَنَّهَا فِي الْأَبَارِقِ إِنْسَا
عَجَبًا لَهَا كَالشَّمْسِ تَغْرُبُ فِي
نَلْنَا بِهَا مَا نَشْتَهِيهِ مِنَ الْمُنَا
رَقَّتْ عَلَيْهَا كُلُّ طَلٍّ سَجَسَجِ
مَا بَيْنَ خَضِرِ حَدَائِقِ وَخَمَائِلِ
سَرَى النِّسِيمِ بِهَا يَصَافِحُ زَهْرَهُ
وَشَدَا لَنَا فِيهَا مُغْنٌ شَادَنِ
طَرِبَتْ لَهُ الْقُضْبُ اللَّدَانِ وَبَادَرَتْ
مَرَّتْ عَلَيْهِ رَكْعًا لَا كُنْهَهَا
قَصَصَتْ صِلَاةَ الْخَوْفِ مِنْهُ فَقَرَّبَتْ
وَالْعُودُ مَشْدَادُ يُطَابِقُ زِيَّهَا
إِنْ جُسْ مِثْلُهُ بَانَ بِزُنَّةِ
فَكَانَ مَا غَنَّتْ عَلَيْهِ الْوُورُ مِنْ

(١) هذه الأبيات الثلاثة هي التي وردت فقط من شعر العزني في مخطوط الزيتونة.

عَكَفَتْ عَلَى أَلْحَانِهَا تَشَاوُ لَنَا خَلْفَ السَّيَّارِ بِاخْتِلَافِ لُغَاتِ
فَكَأَنَّهَا عُجْمٌ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ وَرَدَّدَتْ سُوراً مِنْ التَّوَارَاتِ
نَطَقَتْ بِأَفْصَحِ نَعْمَةٍ فِي شِدْوِهَا تَتَلَوُ عَلَيْنَا هَذِهِ الْآيَاتِ
وَمَا أَنْشَدَهُ لَيْلَةَ مِيلَادِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

إِذَا لَمْ أَطِقْ نَحْوُ نَجْدٍ وَصَوْلَا بَعَثْتُ الْفُؤَادَ إِلَيْهَا رَسُولَا
وَكَمْ حَلُّ قَلْبِي رَهِينًا بِهَا غَدَاةَ نَوَى الرُّكْبِ فِيهَا النُّزُولَا
مَحَلُّهَا فِي الْحِلَالِ الَّتِي ضُحِيَّ أَصْبَحَ الْقَوْمُ فِيهَا حُلُولَا
وَكَمْ بَتُّ فِيهَا غَدَاةَ النَّوَى أَسْحُ مِنْ الْعَيْنِ دَمْعًا هُمُولَا
عَلَى شَمْسٍ حُسْنِ سَمَا نَاطِرِي إِلَيْهَا وَعَنِّي تَوَارَتْ أَفْوَلَا
وَقَفْتُ بِوَادِي الْغَضَا سَاعَةً لَعَلِّي أَنْدُبُ فِيهَا الطُّلُولَا
وَفِي الْبَسَانِ مِنْ أَهْلِكِهِ سَاجِعٌ يَرْجِعُ بِالْقَضْبِ مِنْهَا الْهَدِيلَا
بِهِتَقُّ الْهُوَيُّ يَا حَمَامَ الْحِمَى تَرْفُقُ بِقَلْبِي الْمُعْنَى قَلِيلَا
فَقَدْ هَجَّتْ تَالَهُ أَشْوَاقُهُ بِدَكْرِكَ إِلْفَا ثَانِي أَوْ خَلِيلَا
أَلَمْ تَذَرِ أَنْ أَدْكَارِي الْهُوَى يُدِيبُ وَيُعِي الْفُؤَادَ الْعَلِيلَا
رَعَى اللَّهُ تِلْكَ الْمَطَايَا الَّتِي إِلَى الْحِجِّ وَخُذًا سَرَتْ أَوْ ذَمِيلَا
وَيَاعَجِبَا كَيْفَ خَفَّتْ هَمٌّ وَحَمَلَتْ الْقَلْبَ حَمَلًا ثَقِيلَا
وَوَدَّعْنِي الصَّبْرُ إِذْ وَدَّعُوا فَمَا أَنْ وَحَدَتْ إِلَيْهِ سَبِيلَا
وَأَثَرْتُ يَا وَبِجْ نَفْسِي الْمَقَامِ وَأَثَرُ أَهْلِ الْبُودَادِ الرَّحِيلَا
وَجَادُوا رَجَا الرِّضَا بِالنَّفُوسِ وَكُنْتُ بِنَفْسِي ضَمِينًا بِخِيلَا
نَدِمْتُ عَلَى السَّيْرِ إِذْ وَاتَى وَلَا زِمْتُ حُزْنِي دَهْرًا طَوِيلَا
وَفَازَ الْمُخْتَنُونَ إِذْ يَمْسُهُمْ مَنَازِلَ آثَارِهَا لَنْ تَسْزُولَا
وَحُجُّوا مَحَامِدَ الْهَاشِمِيِّ الرَّسُولَا

وفازوا بإذراك ما أملوا
ولو كنت في عزمهم مثلهم
ولا كنتي أثقلتني الذنوب
ركبت مطية جهل الصببنا
ومالت بي النفس نحو الهوى
فطوبى لمن حل في طيبة
ونال المني في منى عند ما
وأصفي الضماير نحو الصفا
وجاء إلى البيت مستبشرا
وطاف ولبي بذاك الحما
بلاد بها حل خير الورى
نبي كريم سما رفعة وقدا
وكان لأمتيه رحمة بفضله
وكان رؤوفا رحيمًا لهم
له يفرعون إذا ما رأوا
وإن جاء في ذنبهم شافعا
له معجزات إذا عُدَّتْ تفوت النهى وتكِلُّ العقول
ولن يبلغ القول معشارها
وئس البيان وسخبانه يرى
تخبرد الله في خلقه فكان الخطير لديه المتيلا
ولم ير في الناس ندا له ولا
وأبقى له الحكم في أرضه
ونالوا لذي الرضا والقبولا
إذا لأنصرفت إليه عجبولا
وما كنت للثقل منها حولا
وكانت أوان التصابي ذلولا
وقد جدتني غمرا جهولا
وعزيت بالسفح منها الحمولا
نوى بالمنازل منها فيزولا
يؤمل للوطيل فيه الوصولا
ليظهر بالأمن فيه دخولا
ونال من الحجر قصدا وسولا
فطوبى لمن نال فيها الحلولا
أصيلا
عطوفا شفيعا عليهم وصولا
لدى الحشر خسفا وأمرأ مهولا
بدى الرحب من ربّه والقبولا
وإن كان الوصف فيها مطيلا
ذهنه في مداها كليلا
فكان الخطير لديه المتيلا
في الخلايق منه بديلا
فكان الأمين عليها الوكيلا

وكل ظلام وظلم بها على الفُور لما أتى قد أزيلا
 وكانت كنار لظى فتنة فسادت من الأمن ظللاً ظليلاً
 وقد زان حُسن الدجاجة له
 وأيامه غرر قد بدت بوجه
 رسول كريم إذا جيته
 يعولده في زمان الربيع
 فأهلاً به الآن من زاير
 وقام الإمام به المرتضى
 هو المستعين أبو سالم ملك
 وحاز من الصيت ذكراً أثيراً
 سليل على غمام الندى
 فتى أوسع الناس من جوده
 حلّة الوقار ولاقيه إذا
 وقد شاع عنه جميل الثنا
 وما من بالوعد إلا وفى
 ولا فى عُلاه مغالٍ لمن
 تفرّد بالفضل فى عصره
 أطاعت له حين وافى البلاد
 وجا لطاعته أهلها سراعاً
 فنبه قدرُ العوالى بها
 ومهد بالأمن أفكارها وأمن بالعدل فيها السبيل
 وكفّ أكفّ التعدي بها
 فلا يظلم الناس فيها فتيلاً

وعصر الكروب الذى قد مضى زمانُ المسرات منه أديلا
 أتانا الى الغرب فى شوكةٍ بها عاد جَمْعُ الأعادى قليلا
 وفوق رؤوس الطغاة انتضى حُساماً ليُسجِع فيها صليلا
 وجرد من عزمه مرهفاً لحسم أمور المناوى صقيلا
 وكل كفُور مُعَادٍ لَهُ سيأخذه الله أَخْذاً وبَيْلا
 أعزَّ الخلايقَ لما وَلى ونوّه من كان منهم ذليلا
 وراعى لمن جاءه داخلا جِـمـاه من القاضدين الدَّخِيلا
 فكان بأفعاله قصده إلى مَنهَجِ الفضل قصداً جميلا
 وصحَّ انتعاش المعالى به وقد كان شخصُ المعالى عليلا
 وشيّد مبنى العُلا بالندى ووثّقه خِشْيَةً أَنْ يَمِيلا
 يُنِيل ويُعطى جزيل العطا فما زال أخرى الليالى مُنيلا
 ودام مدى الدهر فى رفعة تغير من انحاسدين الغليلا
 ولا بَرِح السعد فى سابه يومٌ به مَرَبِعاً أو مَقِيلاً^(١)

محمد المَكُودى

من أهل فاس يكنى أبا عبد الله

حاله

من « الإكليل » : شاعر لا يتعاطى^(٢) ميدانه . ومرعى^(٣) بيان ورَف

(١) لم يذكر لنا ابن الخطير - كما حدّثه مولد المترجم له ولا تاريخ وفاته . ونحن نقول ذلك فنقول إن أبا القاسم اعزى ولد نسبته فى شوال عم ٦٩٩ هـ ، وتوفى بفاس كاتباً للملكة المرينية وذلك فى ١١ صفر سنة ٧٦٨ هـ (راجع أزهار الرياض - ج ٢ ص ٣١٨) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى النفح (يتقاضى) .

(٣) هكذا فى النفح . وفى الإسكوريال . (مرعى) .

عضله^(١) ، وأينع سَعْدَانَهُ ، يدعو الكلام فيهِطع لداعيه ، ويسعى في
اجتلاب المعاني فتنجح مساعيه . غير أنه أفرط في الانهماك ، وهوى إلى
السَّحْكَةِ من أَوْجِ السَّمَاءِ . وقدم على هذه البلاد مُفْلِتاً من رَهَقِ تلمسان حين
الحصار ، صفر اليمين ، واليسار من اليسار ، ملئ^(٢) هوى أنجى على
طريقه وتِلَادِهِ ، وأخرجهُ من بلاده . ولما [جَدَّ بِهِ]^(٣) البين ، وحلَّ هذه
البلاد [بحال تقبُّحها العين]^(٤) والسيِّف بهزته ، لا بحسن بزته ، دعوته
إلى مجلس ، أعاره البدرُ هالته ، وخلع عليه الأصيل غِلالته ، وروِّضَ
تفتَّح كِمَامِهِ ، وهَمَّا عليه غَمَامِهِ ، وكاس أنس تدور ، فتتلقى نجوَمَهَا
البُدُور . فلَمَّا ذَهَبَتِ المُوَانِسَةُ بخَجَلِهِ ، وتذكر دواه ، ويومَ نَوَاه ، حتَّى
خَفَضْنَا حُلُولَ أَجَلِهِ ، جَدَبْنَا للمُوَانِسَةِ زَمَامِهِ ، واستَقَيْنَا منها غَمَامَهُ ، فامْتَعَ
وأَحْسَبَ ، ونَظَرَ ونَسَبَ ، وتكلَّم في المسائل ، وحضر بطُرفِ الأبيات ،
وعيون الرسايل . حتَّى نشر الصِّباح رايتَهُ ، وأطلع النِّهار آيتَهُ .

ومما أنشدنا ونسبنا لنفسه :

غرامى فيكِ جلُّ عن القياس	وقد أسَّيتنيه بكل كاس
ولا أنسى هواك ولو جفانى	عليك أقارب طراً وناس
ولا أدري لنفسى من كمال سوى	أنى لعهدك غير ناس

وقال في غرض معروف :

بعثت بخمرٍ فيه مساء وإنما	بعثت بما فيه رايحة الخمر
فقل عليه الشكر إذ قلَّ سكرنا	فنعن بلا سكر وأنت بلا شكر

(١) هكذا الإسكوريال وفي النسخ (عضاهه) .

(٢) وردت في الإسكوريال (بل) . والنصوب من النسخ .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي النسخ (جذبه) . الأولى أوسع .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في النسخ ، مكانها في الإسكوريال (محل نعر) ، والأولى أكثر انساقاً مع المعنى والسباق .

ومما خاطبني به :

رَحْمَاكَ بِي فَلَقَدْ خَلَدْتُ فِي خَلْدِي دَوَى أَكَابِدَ مِنْهُ حَرَّةٌ ^(١) الْكَبِيدِ
 حَلَلْتُ عِقْدَ سَلَوَى فِي ^(٢) فَوَادِي إِذْ حَلَلْتُ مِنْهُ مَحَلَّ الرُّوحِ فِي جَسَدِ
 مَرَّآكَ بِدَرَى وَذِكْرَاكَ التِّدَاذُ فَمِي وَدِينُ حُبِّكَ أَضْمَارِي وَمُعْتَقْدِي
 وَمِنْ جَمَالِكَ نُورٌ لَاحَ فِي بَصَرِي وَمِنْ وَدَادِكَ رُوحٌ حَلَّ فِي خَلْدِي
 لَا تَحْسِبَنَّ فَوَادِي عَنْكَ مُضْطَبِرَ فَقَبَّلَ حُبِّكَ كَانَ الصَّبِيرُ طَوْعَ يَدِي
 وَهَآكَ جَسْمِي قَدْ أَوْدَى النُّحُولَ بِهِ فَلَوْ طَلَبْتَ وَجُودًا مِنْهُ لَمْ تَجِدِ
 بِنَا بِطَرْفِكَ مِنْ غَنَجٍ وَمِنْ حَوَرٍ وَمَا بِشَعْرِكَ مِنْ دُرٍّ وَمِنْ بَرَدٍ
 كُنْ بَيْنَ طَرْفِي وَقَلْبِي مُنْصَفَا فَلَقَدْ حَابَيْتَ بَعْضَهُمَا فَاعْدِلْ وَلَا تَجِدِ
 فَقَالَ لِي قَدْ جَعَلْتُ الْقَلْبَ لِي وَطْنَا وَقَدْ قَضَيْتَ عَلَى الْأَجْفَانِ بِالْشُّهْدِ
 وَكَيْفَ تَطْلُبُ عَدْلًا وَالْهَوَى حَكْمٌ وَحَكْمُهُ قَطْ لَمْ يَعْدِلْ عَلَى أَحَدٍ
 مِنْ لِي بِأَعْيَدٍ لَا يَرْتِي إِلَى شَجَنٍ وَلَيْسَ يَعْرِفُ مَا يَلْقَاهُ ذُو كَمَدٍ
 مَا كُنْتُ مِنْ قَبْلِ إِذْعَانِي لَصُولَتِهِ أَخَالُ أَنَّ الرَّشَا يَسْطُو عَلَى الْأَسَدِ
 إِنْ جَادَ بِالْوَعْدِ لَمْ تَصْدُقْ مَوَاعِدُهُ فَإِنْ قَنَعْتُ بِزُورِ الْوَعْدِ لَمْ يَعْدِ
 شِكْوَتُهُ عَلَيَّتِي مِنْهُ فَقَالَ الْأَمْرُ لِلطَّبِيبِ فَمَا بُرِّئَ الضَّنَنَا بِيَدِي
 فَقُلْتُ إِنْ شِئْتَ بُرِّئِي أَوْ شِفَا أَلْمِي فَبَارَتْشَافَ لِحَاكَ الْكُوشَرِي جُدِي
 وَإِنْ بَحِثْتَ فَلِي مَوْلَى يَجُودُ عَلَى ضَعْفِي وَيُهْرِي مَا أَضْنَيْتَ مِنْ جَسَدِ
 وَخَرَجَ إِلَى الْمَدْحِ فَطَّال ^(٣)

(١) دَوَى فِي الْإِسْكُورِيَّالِ وَفِي النَّفْسِ (حَرَّةٌ) .

(٢) دَوَى فِي الْإِسْكُورِيَّالِ . وَفِي النَّفْسِ (عَن) .

(٣) . بِذِكْرِ لَنَا أَيْنَ لُحْطِيبِ تَارِيخِ وَدَّةِ الْمَرْجَمِ لَدَى . وَقَدْ نَوَى نَحْمَةَ الْمَكْرُودِي بِقِيَاسِ سَنَةِ ٥٣٨٠

(جَزْوَةُ الْاِقْتِنَاسِ - ١٩٧٣ - ص ٢٢٩) .

المقرئون والعلماء — الأصليون منهم

محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن

عبد الرحمن بن يوسف بن جَزَى الكلبى

يكنى أبا القاسم من أهل غرناطة وذوى الأصلة والنباهة فيها ، شيخنا
رحمة الله عليه

أَوَّلِيَّتُهُ

أصل سلفه من ولده^(١) من حصون البراجلة ، نزل بها أولهم عند الفتح
صحبة قريبهم أبى الخطار حُسام بن ضرار الكلبى . وعند خَلْع دعوة
المرابطين ، وكانت لجدهم بجيان رياسة وانفراد بالتدبير .

حِصَالُهُ

كان رحمه الله ، على طريقة مُثلى من العُكوف على العلم . والاقتصاد
على الاقتيات من حُرِّ النَّشَب ، والاشتغال بالنَّظَر ، والتَّقْيِيد والتَّدْوِين^(٢) ،
فقيهها حافظاً ، قائماً على التدريس ، مشاركاً فى فنون [من]^(٣) العربية .
والفقه ، والأصول ، والقراءات ، والحديث ، والأدب . حفظةً^(٤) للتفسير
مستوعباً للأقوال ، جماعة للكتب ، مُلوَكى الخِزَانَةِ . حسن المنهج ،

-
- (١) هكذا ورد هذا الاسم فى الإسكوريال والزيتونة . وورد فى النسخ (واه) . وهذا
الغوص بصحة اسم هذا المكان ، لأن حصون إبراهيم مع فى منطقة البراسية فى جنوب
غرناطة . ونغر (وله) يقع فى ولاية الغرب الأندلسية جنوب شرق إشبيلية .
(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال والنسخ وفى الزيتونة (التدبير) .
(٣) زائدة فى « الزيتونة » والنسخ .
(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال والنسخ . وفى الزيتونة (حافظاً) .

ممتع المحاضرة ، قريب الغور ، صحيح الباطن . تقدم خطيبا بالمسجد الأعظم من بلده على حداثة سنّه ، فاتفق على فضله ، وجرى على سنن أصالته .

مشيخته

قرأ على الأستاذ أبي جعفر بن الزبير ، وأخذ عنه العربية والفقه والحديث والقرآن . وروى عن أبي الحسن بن مستقور^(١) . وقرأ القرآن على الأستاذ المقرئ الراوية المكثر أبي عبد الله بن الكمّاد ، ولازم الخطيب أبا عبد الله بن رُشيد ، وسمع على الشيخ الوزير أبي محمد عبد الله بن أحمد ابن المؤذن ، وعلى الراوية المُسنّ أبي الوليد الحضرمي . يروى عن سهل بن مالك وطبقته . وروى عن الشيخ الراوية أبي زكريا البُرشاني ، وعن^(٢) الراوية الخطيب أبي عبد الله محمد بن محمد بن علي الأنصاري . والقاضي أبي المجد بن أبي علي بن أبي الأحوص ، والقاضي أبي عبد الله بن بُرطال ، والشيخ الوزير ابن أبي عامر بن ربيع ، والخطيب الولي أبي عبد الله الطنجالي ، والأستاذ النظّار المتفنّن أبي القاسم قاسم بن عبد الله بن الشّاط . وألف الكثير في فنون شتى .

توالياه

منها كتاب « وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مُسلم » وكتاب « الأنوار السنية في الكلمات السنية » وكتاب « الدعوات والأذكار المُخرجة من صحيح الأخبار » وكتاب « القوانين الفقهية في تلخيص^(٣) مذهب المالكية » . « والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية » وكتاب « تقريب الوصول إلى

(١) وردت في الإسكوريال (مسعود) وفي الزيتونة (مسعود) وهو معروف .

(٢) وردت في المخطوطين (على) . وأنصوب أرحح .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي « الزيتونة » (تلخيص) .

علم الأصول » وكتاب « النور المبين في قواعد عقايد الدين » وكتاب « المختصر البارع في قراءة نافع » وكتاب « أصول القراء الستة غير نافع » وكتاب « الفوائد العامة في لحن العامة » ، إلى غير ذلك مما قيده في التفسير والقراءات وغير ذلك . وله فهرسة كبيرة . اشتملت على جملة من أهل المشرق والمغرب .

شعره

قال في الأبيات الغينية ذاهباً مذهب الجماعة كئيب العلاء المعري .
والرييس أبي المظفر ، وأبي الطاهر السلفي ، وأبي الحجاج بن الشيخ ،
وأبي الربيع بن سالم ، وأبي علي بن أبي الأحوص ، وغيرهم ، كلهم نظم
في ذلك :

لكل بني الدنيا مُراد ومُقصد	وإن مُرادى صحّة وفراغ
لأبْلَغَ في عِلْمِ الشَّرِيعَةِ مِبْلَغًا	يَكُونُ بِهِ لِي لِلجِنَانِ بِلَاغٌ
وفي مثل هذا فلينافس أولو النهي	وحسبي من الدنيا الغرور بلاغ
فما الفوزُ إلّا في نعيمٍ مؤبّد	به العيشُ رَغْدٌ والشَّرَابُ يُسَاعِغُ

وقال في الجناب النبوي :

أروم امتداح المصطفى ويسرّ دنى	قُصُورِي عن إدراك تلك المذاقب
ومَن لي بحصر البحر والبحر زاجر	ومن لي برحمة الحتم والكواكب
ولو أن أعضاء غدث ألسنا إذا	لما بلغت في المدح بعض ما رُب
ولو أن كلّ العالمين تآلفوا على ^(١)	مدحه لم يبالغوا بعض واجتب
فأمسكتُ عنه هيبةً وتأديبا	وخوفًا ^(٢) وإعظاما لأرفع حاسب

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (تساقوا إلى) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (وعجزا) .

وَرُبَّ سَكُوتٍ كَانَ فِيهِ بِلَاغَةٌ وَرُبَّ كَلَامٍ فِيهِ عَتَبٌ لِعَاتِبٍ
وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ مُشْفِقًا مِنْ ذَنْبِهِ :

يَا رَبِّ إِنَّ ذُنُوبِي الْيَوْمَ قَدْ كَثُرَتْ فَمَا أُطِيقُ لَهَا حَصْرًا وَلَا عَدَا
وَلَيْسَ لِي بِعَذَابِ النَّارِ مِنْ قَبْلِ وَلَا أُطِيقُ لَهَا صَبْرًا وَلَا جِلْدًا
فَانْظُرْ إِلَهِي إِلَى ضَعْفِي وَمَسْكَنَتِي وَلَا تُذَيِّقْنِي حَرَّ الْجَحِيمِ غَدًا
وَقَالَ فِي مَذْهَبِ الْفَخْرِ :

وَكَمْ مِنْ صَفْحَةٍ كَالشَّمْسِ تَبْدُو فَيُسَلِّي^(١) حَسْنَهَا قَلْبَ الْحَزِينِ
غَضَضْتُ الطَّرْفَ عَنْ نَظَرِي إِلَيْهَا مُحَافِظَةً عَلَى عِرْضِي وَدِينِي

وفاته

فُقِدَ وَهُوَ يُشْحَذُ النَّاسَ وَيُحَرِّضُهُمْ ، وَيُثَبِّتُ بِصَايِرِهِمْ ، يَوْمَ الْكَائِنَةِ
بَطْرَيْف^(٢) ، ضَحْوَةَ يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ السَّابِعِ لِحِمَادَى الْأَوَّلَى عَامَ أَحَدٍ وَأَرْبَعِينَ
وَسَبْعِمِائَةٍ ، تَقَبَّلَ اللَّهُ شَهَادَتَهُ . وَعَقِبَهُ ظَاهِرُ بَيْنِ الْقَضَاءِ وَالْكِتَابَةِ .

محمد بن أحمد بن فتوح بن سُقْرَالِ اللّخْمِي

شَرْقِي الْأَصْلُ مِنْ سَكَانِ غَرْنَاطَةِ ، يَكْنَى أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، وَيَعْرِفُ بِالطَّرْسُونِيِّ

حاله

نَقَلْتُ مِنْ خَطِّ شَيْخِنَا أَبِي الْبَرَكَاتِ بْنِ الْحَاجِّ . أَمْتَعَ اللَّهُ بِهِ كُنَى نَفْسِهِ
أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ^(٣) ، وَدُعِيَ بِهَا وَقْتًا ، وَكُتِبَ بِهَا . وَكَانَ لَهُ ابْنٌ سَمَّاهُ

(١) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي النَّفْحِ (فَيْسَى) .

(٢) سَبَقَ اتَّعَرِيفُ هَذِهِ الْمَوْقِعَةِ (رَاجِعِ الْمَجْلَدَ الثَّانِي مِنَ الْإِحَاطَةِ ص ١٨٠ - حَاشِيَةٌ) .

(٣) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي « الزَّيْتُونَةِ » (أَبَا عَبْدِ اللَّهِ) .

عبد الرحيم ، فقلنا له سمّه عبد الرحمن ، ليعضد لك الكنية التي اخترت ،
فأبى . كان هذا الرجل قيماً على النحو والقراءات واللغة^(١) ، مجيداً في
ذلك ، مُحْكَمًا لما يأخذ فيه منه ، وكانت لديه مشاركة في الأصلين والمنطق ،
طَمَح إليهما بفضل نبأته وذكاياه ، وشعوره بمراتب العلوم ، دون شيخ
أرشده إلى ذلك . يجمع إلى ما ذكر خطأ بارعاً ، وظرفاً وفكاهةً ، وسخاً
نفس ، وجميل مشاركة لأصحابه . بأقصى ما يستطيع . وكان صنّاع البدين
يرسم بالذهب ، ويُسنّر ، ويُحكم عمل التراكيب الطَّبِيَّة . وعلى الجملة
فالرجل من أجل نبلاء عصره ، الذين قلّ أمثالهم .

مشيخته

أخذ القراءات عن الشيخ الأستاذ [أبي الحسن]^(٢) ابن أبي العيش ،
وبه تفقه ببلده المربية . وقرأ على الأستاذ أبي جعفر بن الزبير ، والخطيب
أبي جعفر بن الزيات ، والراوية أبي الحسن بن مَسْتَقُور ، والولى أبي عبد الله
الطنجالي ، وصهره الخطيب أبي تمام غالب بن حسن بن سيدبُونه ، والخطيب
أبي الحسن القيجاطي ، والخطيب المحدث أبي عبد الله بن رُشيد وغيرهم .

شعره

من شعره قوله :

إِذَا قَدَفْتُ بِي حِينَما شَاءَتِ النَّوَى فَنِي كُلِّ شَيْعٍ^(٣) لِي إِلَيْكَ طَرِيقُ
وَإِنْ أَنَا لَمْ أَبْصِرْ مُحْيَاكَ بِاسْمًا فَإِنْسَانُ عَيْنِي فِي الدَّمُوعِ غَرِيقُ

(١) مكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (امته) .

(٢) ساقطة في الإسكوريال .

(٣) مكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (صعب) والأولى أرجح .

فَإِنْ لَمْ تَصِلْ كَفَى بِكَفِّكَ وَافِيًّا [فَأَسْمَالُ أَحِبَّائِي لَدَى فُتُوق] ^(١)

مخنته

أَحْظَاهُ وَزِيرُ الدَّوْلَةِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ المَحْرُوقِ ^(٢) ، وَاخْتَصَّه ، وَرَتَّبَ لَهُ بِالْحَمْرَاءِ جَرَايَةً ، وَقَلَّدَ نَظْرَهُ خِزَانَةَ الْكُتُبِ السُّلْطَانِيَّةِ . ثُمَّ فَسَدَ مَا بَيْنَهُمَا ، فَاتَّهَمَهُ بِبِرَاءَاتٍ كَانَتْ تُطْرَحُ بِمَذَامِهِ ^(٣) بِمَسْجِدِ الْبَيَّازِينَ ^(٤) ، وَتُرْصَدُ مَا فِيهَا ، فَزَعَمَ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي طَرَحَهَا بِمَحْرَابِ الْمَسْجِدِ ، فَقُبِضَ عَلَيْهِ وَاعْتُقِلَ ثُمَّ جُلِّاهُ إِلَى إفْرِيقِيَّةِ .

وفاته

وَلَمَّا بَلَغَتْهُ بِإِفْرِيقِيَّةِ وَفَاةٌ مُخِيفَةٌ ، كَرَّرَ رَاجِعًا إِلَى الْأَنْدَلُسِ ، فَتَوَفَّى فِي طَرِيقِهِ بِبُونَه ^(٥) ، مِنْ بِلَادِ الْعِنَابِ أَوْ بِأَحْوَازِهَا فِي أَوَاخِرِ عَامِ ثَلَاثِينَ ، أَوْ أَقْرَبَ مِنَ الْوَاخِرِ وَسَبْعِمِائَةٍ .

(١) هَكَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الشُّطْرَةُ فِي الْإِسْكُورِيَالِ وَوَرَدَتْ فِي الزَّيْتُونَةِ « كَلَّاقِي (بِاسْمَانِ أَجْفَانِي مَلُوقِ فُتُوق) .

(٢) هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْمَحْرُوقِ . تَوَلَّى الْوِزَارَةَ لِلسُّلْطَانِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الَّذِي تَوَلَّى الْمُلْكَ سَنَةَ ٧٢٥ هـ ، فَاسْتَبَدَّ بِالْأُمُورِ ، وَاسْتَأْثَرَ بِالسُّلْطَةِ ، فَحَقَّقَ عَلَيْهِ السُّلْطَانُ ، وَبَطَلَ بِهِ فَقُتِلَ بِأَمْرِهِ فِي الْمَحْرَمِ سَنَةَ ٧٢٩ هـ (١٣٢٨ م) .

(٣) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي الزَّيْتُونَةِ (بِمَحْرَمَةِ الْمَسْجِدِ) وَالْأَوَّلَى أَرْجَعُ .

(٤) كَانَ جَامِعُ الْبَيَّازِينَ أَحَدَ مَسْجِدَيْنِ كَبِيرَيْنِ يَقَعَانِ فِي حَيِّ الْبَيَّازِينَ أَشْهُرُ أَحْيَاءِ غِرْنَاطَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَكَذَلِكَ أَشْهُرُ أَحْيَاءِ غِرْنَاطَةِ الْمَعَاصِرَةِ ، وَقَدْ حَوَّلَ بَعْدَ سَقُوطِ غِرْنَاطَةِ إِلَى كَنِيسَةٍ ، وَبَنِيَتْ فَوْقَ مَوْقِعِ كَنِيسَةِ سَانِ سَلْبَادُورِ San Salvador . وَبَارَاتِ نَقَعَهُ إِلَى جَانِبِهَا حَتَّى الْيَوْمِ بَقِيَّةُ مِنْ أَسْوَارِ الْجَامِعِ وَغَدَّةٌ مِنْ بَوَائِكَهُ ، وَجُزْءٌ مِنْ صَحَّتِهِ .

(٥) هِيَ نَعْرٌ مِنْ نَعُورِ مَمْلُوكَةِ إِفْرِيقِيَّةِ (تُونِس) ، تَقَعُ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ الْمَوْسُطِ شِمَالِ غَرْبِ بَرْنِسِ . وَبَيْنَ الْمَسَافَةِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ بَحَاةِ . وَهِيَ الْيَوْمَ مِنْ عَدْرِ جُمْهُورِيَّةِ الْجُرَائِرِ الْجَدِيدِ وَتَسَمَّى عَصَابَةَ أَيْ بِلَادِ الْعِنَابِ .

محمد بن جابر بن يحيى بن محمد بن ذى النون التَّغَلَبِي

ويعرف بابن الرَّمَالِيَّة^(١) ، من أهل غرناطة ، ويعرف خلفه الآن ،
ببني مَرْزَبَةِ^(٢) ، ولهم أصالة وقِدَم وجِدَّة .

حاله

فقيه ، نبيل ، ذكى ، عنده معرفة بالفقه والأدب والعربية ،
حسن المشاركة والمحاضرة ، حاضر الذهن ، ذاكر لما قرأه .

مشيخته

روى عن الإمام أبي بكر بن العربي . قال أبو القاسم الملاحى^(٣) ،
وحدثنى سنة أربع وستاية ، قال حدثنى الإمام أبو بكر بن العربي رضى الله
عنه ، قال حدثنى محمد بن عبد الملك السَّبْتِي ، قال خرجت مع أبي الفضل
الجزيري مشيعين لقافلة الحاج من بغداد ، ومودعين لها من الغد ، وحين
أصبحنا أثيرت الجمال ، وفرض الناس الرِّحال ، ونحن بموضع يعرف
بجُبِّ عميرة ، إذا بفتى شاحب اللون ، حسن الوجه ، يُشيع الرواحل .
راحلة بعد أخرى ، حتى فنيت ، ومشى الحاج ، وهو يقول فى أثناء نردده
ونظره إليها :

أحجَّاج بيتِ الله فى أىِّ هودج وفى أىِّ بيتٍ من بيوتكم حبي
أأبقى رهين القلب^(٤) فى أرض غُرْبَةٍ وحاديكم يحلُّوفؤادى مع الركب

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (الذمالة)

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (بنى مرزقة) .

(٣) سبنا التعريف به (راجع المجلد الثانى من « الإحاطة » ص ١٣٣ حانية) . وسوف يترجم
له ابن الخطيب فيما بعد .

(٤) هكذا فى الإسكوريال . وفى « الزيتونة » (الحب) .

فوا أسفا لم أقض منكم لبياتي ولم أتمتع بالسلام وبالتقرب
 وفرق بيني بالرحيل وبينكم فها أنذا أقضي على إثركم نحبي
 يقولون هذا آخر العهد منكم فقلت وهذا آخر العهد من قلب
 قال ، فلما كمل الحاج المشي ، وانقطع رجاؤه ، وجعل يخطو هائماً ،
 وهو ينشد ، ثم رمى بنفسه إلى الأرض وقال :

خلّ دمع العين ينهمل بان من تهواه وارتحل
 أي دمع صلاته كلف فهو يوم البين ينهمل

قال ، ثم مال على الأرض . فبادرنا إليه فوجدناه ميتاً ، فحفرنا له
 لحداً ، وغسلناه وكفناه في رداء وصلينا عليه . ودفناه .
 وفاة المترجم به سنة خمسين وستماية

محمد بن محمد بن محمد بن بيش العبدري

من أهل غرناطة ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن بيش^(١)

حاله

كان خيراً . منقبضاً . عفاً ، متصانوا . مشتغلاً بما يعنيه . مضطرباً
 بالعربية ، عاكفاً عمره على تحقيق اللغة^(٢) . مشاركاً في الطب . متعيشاً
 من التجارة في الكتب . أثرى منها . وحسنت حاله . وانتقل إلى سكي
 سبتة ، إلى أن حططت بها رسولا في عام اثنين وخمسين وسبعماية . فاستدعيته
 ونقلته إلى بلده . ففقد للإقراء به إلى أن توفي .

(١) هذا الاسم ما زال ذاته حتى اليوم في إسبانيا . ويعرف بصورته الإسلامية Vives

(٢) هكذا وردت في الإصحاح . وفي « الزبانية » (فقد) . وأقول أذكر نسباً مع

وجرى ذكره في بعض الموضوعات الأدبية بما نصه : مُعَلِّمٌ مُدَرَّبٌ ،
 مُسَهِّلٌ مُقَرَّبٌ ، له في صَنَعَةِ الْعَرَبِيَّةِ باعٌ مديدٌ ، وفي هَدَفِهَا سَهْمٌ سديدٌ ،
 ومشاركة في الأدب ، لا يفارقها تَسَدِيدٌ ، خاصىُّ المنازع ، مختصرُها ،
 مُرتَّبُ الأحوال ، مقررُها ، تميَّزَ لأوَّلَ وقته بالتَّجَارَةِ في الكتب ، فسَلَّطَتْ
 عليها منه أَرْضَ آكِلَةٍ ، وسَهْمٌ أَصَابَ مِنْ رَمِيَّتِهَا شَاكِلَةً (١) ، أَتَرَبَّ بِسَبَبِهَا
 وَأَثَرِي ، وَأَغْنَى جِهَةً ، وَأَفْقَرُ أُخْرَى ، وانتقلَ لهذا العهد الأخير إلى سُكْنَى
 غرناطة مسقط رأسه ، وَمَنِيَّتْ غَرْسُهُ ، وَجَرَتْ عَلَيْهِ جَرَايَةُ مِنْ أَحْبَابِهَا ،
 ووقع عليه قَبُولٌ مِنْ نَاسِهَا ، وبها تلاحق به الحِمَامُ ، فكان من تُرَابِهَا الْبِدَايَةُ
 وَإِلَيْهِ التَّامُ . وله شعرٌ لَمْ يَقْصُرْ فِيهِ عَنِ الْمَدَا ، وَأَدَبٌ تَوَشَّحَ بِالْإِجَادَةِ وَارْتَدَى

مشيخته

قرأ على شيخ الجماعة ببلده أبي جعفر بن الزبير ، وعلى الخطيب
 أبي عبد الله بن رُشَيْدٍ ، والوزير أبي محمد بن المؤذن المُرَادِي ، والأستاذ
 عبد الله بن الكَّمَاد ، وسمع على الوزير المُسَنِّ أبي محمد عبد المنعم بن سِيَّاحٍ .
 وقرأ بِسَبَبَةِ عَلَى الْأُسْتَاذِ أَبِي إِسْحَاقَ الْغَافِقِي

شعره

أَنشَدَنِي بَدَارُ الصَّنَاعَةِ السُّلْطَانِيَّةِ مِنْ سَبَبَةِ تَاسِعِ جَمَادَى الْأَوَّلَى مِنْ عَامِ
 اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ الْمَذْكُورِ ، عِنْدَ تَوَجُّهِ فِي غَرَضِ الرِّسَالَةِ إِلَى السُّلْطَانِ مَالِكِ
 الْمَغْرِبِ ، قَوْلُهُ يَجِيبُ عَنِ الْأَبْيَاتِ الْمَشْهُورَةِ ، الَّتِي أَكْثَرَ فِيهَا النَّاسُ وَهْيَ :

يَا سَاكِنَا قَلْبِي الدُّعْنَى وَلَيْسَ فِيهِ سِوَاكَ ثَانِ
 لِأَيِّ مَعْنَى كَسَرْتَ قَلْبِي وَمَا اتَّقَى فِيهِ سَاكِنَانِ

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (الشاكلة) .

فقال :

نَحَلْتَنِي طَسَايَعًا فَوَادًا فصار إذ حُزته مكان
لا غَرَوِ إذ كان لي مُضَافًا إِنِّي على الكَسْرِ فيه بانٍ
وقال يخاطب أبا العباس عميد سبته ، أعزّه الله ، وهي مما أنشدنيّه في
التاريخ المذكور ، وقد أهدى إليه أقلاما :

أَنَا مِلْكُ الْغُرِّ الَّتِي سَبَبَ جُودُهَا يَفِيضُ كَفَيْضِ الْمُزْنِ بِالصَّبِيبِ الْقَطْرِ
أَتَتْنِي مِنْهَا تُحْفَةٌ مِثْلَ عَدَّهَا إِذَا انْتَضَيْتِ كَانَتْ كَمُرْهَفَةِ السَّمْرِ
هِيَ الصُّفْرُ لَا كُنْ تَعْلِمِ الْبَيْضُ أَنَّهَا مُحْكَمَةٌ فِيهَا عَلَى النَّفْعِ وَالضَّرِّ
مُهَذَّبَةٌ الْأَوْصَالِ مَمْشُوقَةٌ كَمَا تُصَاغُ سَهَامُ الرَّمْيِ مِنْ خَالِصِ التَّبَرِّ
فَقَبِّلْتُهَا عَشْرًا وَمِثْلْتُ أَنْسَى ظَفِرْتُ بِلَشْمٍ فِي أَنَا مِلْكِ الْعَشْرِ

وأنشدني في التاريخ المذكور في ترتيب حروف الصحاح قوله :

أَسَاجِعُ بِالْوَادِيَيْنِ تَبَسُّوْنِي ثَمَارًا جَنَّتْهَا خَالِيَاتُ خَوَاصِبِ
دَعَى ذَكَرَ رَوْضِ زَارِهِ ^(١) سَقَى شَرِبَهُ صَبَاحَ ضُحَى [طَيْرِ طَمَا] ^(٢) عَصَايِبِ
غَرَامُ فَوَادِي قَاذِفٌ كُلَّ لَيْلَةٍ مَتَى مَا نَأَى وَهَذَا هَوَاهُ يُرَاقِبِ

ومن مطولاته ما رفعه على يدي السلطان وهو قوله :

دِيَارٌ خَطَّهَا مَجْدٌ قَدِيمٌ وَشَادَ بِنَاءَهَا شَرَفٌ حَسِيمٌ
وَحَلَّ جَنَابُهَا الْأَعْلَى عَمَلًا يَقْصُرُ عَنْهُ رَضِي أَوْ شِيمٌ
سَقَى نَجْدًا بِهَا وَهَضَابَ نَجْدِ عَمَادَ ثَرْدٍ وَحَيَا تَدِيمِ
وَلَا عَدِمَتْ رُبَاهُ رِبَابَ مُزْنِ يُغَادِي رَوْضَتَيْنِ وَيَسْتَلِيمِ

(١) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي النسخ (رانه) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال وفي النسخ (طى ظباء)

فيصبح زهرها يحكى شذاه
 وتنشره الصبا فتريك دراً
 وظلّت في طلال الأيك تشدو
 ترجّع في الغصون فنون سجع
 أهرم بملتقى السوادي تجد
 وكنت صرفت عنه النفس كرهاً
 وما ينفك لي ولها نزاع
 له بيت سما فوق الثريا
 تبوأ من بني نصر علاها
 أفاض على الوري نيلاً وعدلاً
 ملاذ للملوك إذا ألمت
 تؤمّله فتامن في ذراه
 ويبدو في ندى الملك بدرأ
 بوجه يوسفى الحسّن طلق
 وتلقاه للعفاة له ابتسام
 فيا شرف الملوك لك انقطاعي
 وآمالى أملت لحليك حتى
 فللظما وروذك خير ورد
 ولا أضحي وفي معنك ظل
 ركبت البحر نحوك والمطايا
 وإنّ غلاك إن عطنت بالحق

فتيت المسك يُذكيه النسيم
 نشيراً خانه عقد نظم
 مطرقة لها صوت رخيم
 بالحنان لها يصبو الحليم
 وليس سواه في واد أديم
 وما برحت على نجد تحوم
 إلى مغنى به ملك كريم
 وعز لا يخيم ولا يريم
 وأنصار للنبي له أروم
 سواء فيه مثير أو عديم
 صروف الدهر أو خطب جسم
 وتدنو من علاه فيستقيم
 تحف به الملوك وهم نجوم
 يضي بنوره الليل البهيم
 ومنه للعدي أخذ للييم (١)
 وإنّي في محلّكم خديم
 وردن على نذاك وهن هيم
 نعيم ماؤه عذب جميم
 ظليل حين تحلدم السموم
 تسير لها ذهيل أو رسيم
 على فذك العز المقيم

(١) وردت في الإمبريال (الليم) والخصيب ترجح .

فوالأسفى على عُمرٍ تقضى بدارٍ ليس لى فيها حميم
سوى ثمرٍ للفقؤاد ذهبٌ عنه وبين جوانحي منه كلوم
ودون لقاءها عَرَضُ الفيسافى ونجدٌ موجهٌ طودٌ عظيم
لعل الله يُنعم باجتماع وينظم شملنا البسر الرحيم
بقيتَ بغبطةٍ وقرارٍ عين بملك سعدة أبداً يسدوم
كما دامت حلى الأنصار تُتلى يُشيد بذكرها الذكر الحكيم
عليك تحية عطرٌ شذاها تُعرف الروض جادته الغيوم

مولده بغرناطة فى رجب^(١) ثمانين وستمائة^(٢) . وتوفى عام ثلاثة وخمسين وسبعماية ، ودفن بباب البيرة^(٣) ، وتبعه من الناس ثناء حسن ، رحمه الله •

محمد بن محمد النمرى الضرير

من أهل غرناطة ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بنسبه

حاله

من عايد الصلاة : كان حافظاً للقرآن ، طيب النغمة به ، طرُفاً فى ذلك . من أهل المشاركة فى العلم ، واعظاً بليغاً ، أستاذاً يقوم على العربية قيام تحقيق ، ويستحضر الشواهد من كتاب الله ، وخطب العرب وأشعارها ،

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الزينونة (حدود) .

(٢) وردت فى الإسكوريال عن مولده هذه العبارة (توفى بغرناطة فى رجب ثمانين وستمائة . با مواليد) . وقد رأينا أن نصحح النص مباشرة على نحو الذى أوردناه .

(٣) باب البيرة أحد أبواب غرناطة الإسلامية ما زال قائماً حتى اليوم . وقد سبق التعريف

به (انظر المجلد الأول من الإحاطة ص ١٠٧ حاشية . والمجلد الثانى ص ٢٤٩ حاشية) .

بعيدُ القرين في ذلك ، آخذاً في الأدب ، حَفَظَةً لِلْأَنَاشِيدِ وَالْمَطَوَّلَاتِ ، بَقِيَّةٌ
حسنة ممتعة .

مُشِيخَتُهُ

قرأ على الأستاذ أبي عبد الله بن الفَخَّارِ الأَرَكُشِيِّ ^(١) وبه تأدب ،
ولازمه كثيراً ، فانتفع به .

شعره

تَما صَدَّرَ به رسالةً لزوجته وهو نازح عنها ببعض النبلاد . فقال :

سلام كَرَشَفَ الطَّلَّ في مَبْسِمْ الوردِ وهبيلُ نَسِيمِ الرِّيحِ بِالقُضْبِ المُلْدِ
سلام كما ارتاح المُشَوِّقُ مَبْشَرًا برويا من يهواه من دون ما وَعَدِ
سلام كما يُرْضَى المَحَبُّ حَبِيبِهِ من الجدُّ في الإِخْلَاصِ وَالصَّدْقِ في الرِّعْدِ
سلام وتكريمٍ وبِرٍّ وَرَحْمَةٍ بقدر مَزِيدِ الشَّوْقِ أَوْ مَنْتَهَى الوُدِّ
على ظَبْيَةٍ في الأَنْسِ مَرْتَعُهَا الحِشَا فتَاوَى إِلَيْهِ لَا لِشَيْخٍ وَلَا رُنْدِ
ومن أَطْلَعَ البدرَ التَّامَّ جِئْنَهَا يُرَى تحت لَيْلٍ من دُجَا الشَّعْرِ مُسَوْدِ
وثَغَرُ أَقْصَحِ زَانِهِ سِمَطٌ لَوْلُو يُجَبُّ بِهِ المَرْجَانُ في أَحْكَمِ النُّضْدِ
يجول به سِلْسَالُ رَاحٍ مَعْتَقٍ حَمَتُهُ ظُبَا الأَلْحَاطِ صَوْنًا عَنِ الْوَرْدِ
فلله عَيْنًا من رَأَى بَدْرَ أَسْعَدِ وروضةَ أَزْهَارٍ عَلَتْ غُصْنُ القَدِّ
وَبُشْرَى لَصَبٍّ فَازَ مِنْهَا بِلَمْحَةٍ من القُرْبِ بُشْرَاهُ بِمُسْتَكْمَلِ السَّعْدِ
وأَضْحَى هَوَاهَا كَامِنًا بَيْنَ أَضْلَعِي كدزن خَفِيَ النَّارُ في بَاطِنِ الزَّنْدِ
وراحتُ فراحَ الرُّوحُ إِثْرَ رَحْلِهَا وودَّعتُ صَبْرِي حِينَ ودَّعَهَا كَبَّاءِ

(١) نسبة إلى بلدة أركش الأندلسية ، وقد سبق التعريف بها (راجع المجلد الأول من الإحاطة ص ٤٦٧ حاشية) .

وصارت لي الأيام تبدو ليالي يساً وقد كان ليل الوصل صُبْحاً بها يبْدُ
فساعاتها كالدهر طولا وطاليسا حكى الدهر ساعات بها قَصْراً عندي
ومنها :

تُرَى قَلْبُهَا هَلْ هَامَ مِنِّي بِمَثَلِ مَا يَقْلُبِي مِنَ الْحُبِّ الْمَلَاظِمِ وَالْوَجْدِ
وهل ترعى ذِمَّتِي وَمَوَدَّتِي كَمَا أَنَا أَرَعَاهَا عَلَى الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ
إِلَيْكَ خِطَابِي وَالْحَلِيثَ لَغَايِبِ كُنَيْتُ بِلَفْظِي عَنْ مَغْيَبِكَ بِالْعَمْدِ
عليك سلامي إِنِّي مُتَشَوِّقٌ لِلْقِيَاكِ لِي أَوْ مِنْ جَوَابِكَ بِالرَّدِ

توفي بغرناطة تحت جراية من أمراها، لاختصاصه بقراءة القرآن على
قبورهم ، في التاسع عشر من شعبان عام ستة وثلاثين وسبعماية .

محمد بن عبد الولي الرُعيني

من أهل غرناطة ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بالعواد ^(١)

حاله

من « عايد الصلة » : الشيخ المُكْتَب ، الأستاذ الصالح ، سابق الميدان
وعَلَّمَ أعلام القرآن . في إتقان تجويده ، والمعرفة بطرق روايته . والاضطلاع
بفمنونه . لا يُشَقَّ غبارد . ولا يتعاطى طلقه ^(٢) . ولا تَأْتِي الأيام بمثله .
تستقصر بين يديه مدارك الأعلام . وتظهر سَقَطَات الأية . مهتدياً إلى
مكان الحجج على المسائل . مصروفٌ عَنان الأشغال إليه . مستنداً إلى نعمة

(١) ورد في هامش المخطوط ما يأتي (الأستاذ العواد الرعيني) . وورد في « الزمعة »

(ويعرف بالعواد) . ووردت في النسخ (الأستاذ ابن العواد ج ٣ ص ١٩٦) .

(٢) هكذا وردت في الإصحاح بال والنزوتنة .

رخيمة ، وإتقان غير متكلف ، وحفظ غزير ، وطُلب إلى التّصدر للإقراء ،
فبأيّ لشدّة انقباضه ، فنُبّهت^(١) بالباب السلطاني على وجوب^(٢) نصّيه
لناس ، فكان [ذلك]^(٣) في شهر شعبان من عام وفاته ، فانتفع به ،
وكان أدّاب الناس على سنّة ، والزمّهم لميثاق وِرْد ، يجعل جيرانه حرّكته
إلى ذلك ليلا ، ميقاناً لا يختلف ولا يكذب ، في ترحيل الليل . [شديد
الطرب] ملبح الترتيب ، لا تمر به ساعة ضياعاً ، إلا وقد عمّرها
بشأن ديني ، أو دنيوي ، ضروري مما يسوّغه الورع ، يلازم المكتب ، ناصح
التعليم ، مسوياً بين أبناء النعم ، وحلفاء الحاجة ، شامخ الأنف على أهل
الدنيا ، تُغصّ السّكك عند ترنّمه بالقرآن ، مساوقاً لتلاوة التجويد ،
ومباشراً أيام الأخمسة والأثنين ، العمل في مؤيل كان له ، على طريقة التمداء
من الإخشيشان عند الحين ونقل آلة الخدمة ، غير مفارق للظرف
والخصوصية . ويرة أيام الجمعات ، كتب الوعظ والرقائق على أهله ،
فيُصغى إليه الجيران ، عادة لا تختلف . وكان له لكل عمل ثوبٌ ، ولكل
مهنة زيٌّ ، ما رأيت أحسن ترتيباً منه . وهو أستاذي وجاري الألفق ،
لم أتعلم الكتاب العزيز إلا في مكتبه . رحمة الله عليه .

مشيخته

قرأ على بَقِيّة المقرّبين الأستاذ أبي جعفر بن الزبير ، ولازمه وانتفع به ،
وعلى الأستاذ أبي جعفر الجزيّري الضريّر ، وأخذ عن الخطيب المحدث
أبي عبد الله بن رُشيد .

(١) الكلام هنا لابن الخطيب .

(٢) وردت المخطوطين (وجوه) . ونعتقد أن النصّيب أرجح .

(٣) هذه الزيادة من الزيتونة .

ميرالد : في حدود عام ثمانين وسهماية .

وفاته : توفى رحمة الله عليه في^(١) المرفى ثلاثين لذي فعدة من
عام خمسين وسبعماية .

محمد بن علی بن أحمد الخولانی

يكنى أبا عبد الله أصله من مجلقر^(٢) ويعرف بابن الفخار وبالبيري ،
 شيخنا رحمه الله

حاله

من « عايد الصلاة » : أستاذ الجماعة ، وعالم الصناعة ، وسيد عصره ، وآخر الطبقة من أهل هذا الفن . كان رحمه الله فاضلاً ، تقياً ، منقبضاً . عاكفا على العلم ، ملازماً للتدريس ، إمام الأئمة من غير مُدافع ، مبرزاً أمام أعلام البصريين من النُّحاة ، منتشرُ الذكر ، بعيدُ الصَّيت ، عظيمُ الشهرة ، مُستبَّحِرُ الحفظ ، يتفجَّرُ بالعربية تفجُّرَ البحر ، ويسترسِلُ استرسال القطر ، قد خالطت دمه وَلَحْمُه ، لا يُشْكَلُ عليه منها مُشْكَلٌ . ولا يعوزُه توجيهِه . ولا تَشَأُّ عنه حِجَّةٌ . جدَّدَ بالأندلس ما كان قد ذرَسَ من لسان العرب . من لدُنْ وفاة أبي على الشلوبيين (٣) . مُقيمُ السوف على

(١) اسم اليهود سافط في لغة السامريين .

(٢) لم نجد هذا الاسم في قوائم مرادفنا حتى في مرادف ابن الخطيب في الخلاصة أو في مرادف ابن
(ص ١٣٦ - ١٣٢) ولأن وردت في ألبان الثانية عام ١١٩٤ هـ ، وفوقها عام ١١٩٠ هـ ،
هذا الاسم الوارد في المعطوط (بخلفه) حرمه الاسم الصحيح .

(٣) هو من المحققين الذين أثبتوا أن المعادلات بين من فعل في اللغة، إنما هي في علم العروض، كما هو عليه في اللغة العربية، بل قد سبقه في ١٣٥٢ هـ وفي سنة ١٣٥٤ هـ (١٣٥٤ م).

عنده . وكانت له مشاركة في غير صناعة العربية من قراءات وفقه ، وعروض ، وتفسير . وتقدم خطيباً بالجامع الأعظم ، وقعد للتدريس بالمدرسة النصرية^(١) ، وقلَّ في الأندلس من لم يأخذ عنه من الطلبة . واستعمل في السفارة إلى العُدوة ، مع مثله من الفقهاء ، فكانت له حيث حلَّ الشُّهرة وعليه الازدحام والغاشية ، وخرَّج ، ودرب ، وأقرأ ، وأجاز ، لا يأخذ على ذلك [أجراً]^(٢) وخصوصاً فيما [دون]^(٢) البداية ، إلا الجراية المعروفة ، مقتصداً في أحواله ، وقوراً ، مُفرط الطُّول ، نحيفاً ، سريع الخطو ، قليل الالتفات والتعريج ، متوسط الزُّرى ، متبذلاً في معالجة ما يتملّكه بخارج البلد ، قليل الدَّهاء والتَّصنُّع ، غريب النَّزعة ، جامعاً بين الحرص والقناعة .

مشيخته

قرأ بسببته على الشيخ الإمام أبي إسحق الغافقي ، ولازمه كثيراً ، وأخذ عنه ، وأكثر عليه . وقرأ على الإمام الصالح أبي عبد الله بن حُرَيْث ، والمقبري الشريف الفاضل أبي العباس الحسيني ، والشيخ الأستاذ النُّظار أبي القاسم بن الشَّاط . وأخذ عن الخطيب المحدث أبي عبد الله بن رُشيد . والتماضى أبي عبد الله بن القرطبي وغيرهم . وهو أستاذي ، قرأت عليه القرآن . وكنائني الجمل والإيضاح . وحضرت عليه دولا من الكتاب ، ولازمته مدة ، وعاشرته . وتوجَّه صحبتي في الرسالة إلى المغرب .

(١) المدرسة النصرية أو جامعة غرناطة ، أنشأها السلطان يوسف أبو الحجاج (٧٣٣ - ٧٥٥ هـ) ، واشتهر ذكرها في ظل بني الأحمر أو بني نصر - لاطين غرناطة ، وأنها التلاط من الأندلس والمغرب ، أوروبا . وما زال مكانها معروفاً إلى اليوم بقرطبة ، وهو يقع تجاه الكنيسة اعطلى التي أنشأت على موقع المسجد الجامع .

(٢) الزيادة من الزيتونة .

وفاته

توفي بغرناطة ليلة الإثنين الثاني عشر من رجب عام أربعة وخمسين وسبعماية ، وكانت جنازته حافلة . وحدثت قرايح الآخذين عنه ، ممن يُدلى دلو أدب . فيأتى بماء أو حمأة ، على كثرتهم ، تقصيراً عن الحق ، وقدحاً في نسب الوفاء ، إلا ما كان من بعض من تأخر أخذه عنه ، وهو محمد بن عبد الله اللوشى ، فإنه قال : وعين هذه الأبيات قرارها :

ويوم نعى الناعى شهاب المحامد	تغيرت الدنيا لمضرع واحد
فلا عذر للعينين إن لم تُسايحا	بدمع يحاكي الوبل يُشفى لواجد
مضى من بنى الفخار أفضل ماجد	جميل المساعى للعلا جد شاهد
طواه الردى ما كل حى يهابه	وما ورده عاراً يشين لوارد
لقد غيّبت منه المكارم فى الثرى	غداة نوى وانسد باب الفوايد
فياحاملى أعواده ما علمتم	بسؤدده الجرم الكريم المَحَاتِد
ويا حُفَرَةً خُطَّتْ له اليوم مضجعا	سَقَتَكَ الغواذى الصادقات الرّواعد
إلا يا حَمَام الأيك ساعدنى بالبكا	على عَلم الدنيا وزين المشاهد
على أنى لو استطعت القدا فديته	بأنفس آل من طريف وزال
محمد ما للنعمى لموتك غصة	توقف ولا ماء الحياض ببارد
وكيف وباب العلم بعدك مُغلق	وفورده المتروك بين الموارِد
أستاذنا كنت الرّجا لآمل	فأصْبَحْتَ مهجور الغنى الفاعِد
فلا تُبعدن شيخ المعارف والحجا	ليس الذى تحت الشراب بيساعد
لتبكِ العلوم بعدك شجوها	ويقفر لها ربُّع الغلا والمعاهد
لبكِ عليك الجود والدين والتقا	وحسب السكا أن صرّت ملحد للاحاد
أمولاي من للمشكلات يُبينها	فيجلى غنى كلّ الغلوب الشواهد

ومن ذا يحل المقفلات صعباتها ومن ذا الذي بهت السبل لحايات
 فيأراحلا عنا فزغنا لفقداده لقد أونسَ منك القبور بؤافد
 وياكوكبا غال النهار ضيائه وشيكًا وهل هذا الزمان بخالد
 سآبكيك ما لاحت برؤوق لشايم وأرعاك ما كان الغمام بعباد
 عليك سلام الله ما دامت الصببا بغضني في الأراكة مايد

[قلت : العجب من الشيخ ابن الخطيب ، كيف قال ، وخمدت قرايح
 الآخذين عنه ، وهو من أجل من أخذ عنه ، حسبما قرره آنفًا ، بل أخص
 من ذلك ، المعيشة والسفارة للمعدوة . وهو مع ذلك أقدرهم على هذا الشأن ،
 وأسماهم قريحة في هذا الميدان ، وإن أتى غيره بماء أو حمأة ، أتى هو بالبحر
 الذي لا ساحل له . ولعمري لو قام هو بما يجب من ذلك ، لزال القذح في
 نسب وفاء الغير ، فعين ما نسيه من التقصير عن الحق في ذلك ، متوجه
 عليه ، ولاحق له . ولا يبعد عنده أن يكون وقع بينهما ما أوجب إعراضه
 مما يقع في الأزمان ، ولا سيما بين أهل هذا الشأن ، فيكون ذلك سببًا في
 إعراض الغير مشيًا في غرضه ، ومساعدة له . والله أعلم بحقيقة ذلك كله]^(١)

محمد بن علي بن محمد البلنسي

من أهل غرناطة ، يكنى أبا عبد الله

حاله

طالبٌ دس . حسن اللقواء . عفيفُ النشأة . مكبٌ على العلم . حريص
 على استفادته^(٢) . مع زمانة أصابت يميني يديه . نفعه الله . قيّد بأختها

(١) من الواضح أن هذا النقرة المحصورة بين الحاصرين إمامي من كلام صاحب الكتاب .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي « الريونة » (الإستفادة) .

وانتسخ ، قايمٌ على العربية والبيان ، ذاكر الكثير من المسائل ، حافظٌ مُتَقِنٌ ، على نزعة عربية . من التَّجاذُع في المشي ، وقلة الالتفات لإيجملته ، وجهُورِيَّة الصوت . متحلٌّ بسداجة ، حسنُ الإلقاء والتقرير ، متٌ للمتغلب على الدولة بِضَنٍّ ، أفاده جامها واستعمالاً في خُطَّة السوق ، ثمَّ اصطناعاً في الرسالة إلى ملك المغرب ، جرَّ عليه آخرُ النكبة بموقاد المحنة ، فأرصد له السلطان أبو عبد الله في أخرياتِها ، رجالاً بعثهم من بُندَة ، فأسروه في طريقه ، وقَدِموا به سَلِيْباً ، قدوم الشهرة والمثلة ، موقناً بالقتل . ثمَّ عَطَفَ عليه حَنِيناً إلى حُسْن تِلَاوته في محبسه ليلاً ، فانتاشه لذلك من هفوة ^(١) بعيدة ونكبة مُبِيرَة . ولما عاد لملكه ، أعاده للإقراء .

مُشِيخته

جلَّ انتفاعُه بِشَيْخ الجماعة أبي عبد الله بن الفخَّار ، لازمه وانتفع به ، وأعادَ دُول تماريسه ، وقرأ على غيره . وألَّف كتاباً في تفسير القرآن ، متعدّد الأسفار ، واستدرك على السَّهيلي في أعلام القرآن كتاباً نبيلاً ، رفعه على يَدَي السُّلطان . وهو من فضلاء جنسه ، أعانه الله وسدَّه .

محمد بن سعد بن محمد بن لب بن حسن

بن حسن بن عبد الرحمن بن بَقَّ

يكنى أبا عبد الله ، ويعرف باسم جدّه

أولَّيته

كان القاضي الغليل أبو عبد الله بن هشام ، قاضي الجماعة ^(٢) بالأندلس

(١) حديثاً في الإصحاح . وفي « تاريخ » (غموة) .

(٢) قاضي الجماعة ، هو في نظام القضاء الأندلسي ، القاضي الأكبر ، وهو بقَّ في

يجلُّ سَلَفَهُ ، وبنسبِهِ إِلَى بَقِيٍّ بْنِ مَخْلَدٍ^(١) ، قاضِي الخِلافة بِقَرْطُبَةٍ .
وابن هشام مَسْنُونٌ يُحْتَجُّ بِهِ .

حاله

هذا الرَّجُلُ فاضِلٌ ، حَسَنُ الخُلُقِ ، جَمِيلُ العِشْرَةِ ، كَرِيمُ الصَّحْبَةِ ،
مَبْدُولُ المِشَارَكَةِ ، مَعْرُوفُ الذِّكَاءِ والعِفَّةِ ، مَبْسُوطُ الكِنَفِ ، مَعَ الانْقِيَاظِ ،
فَكُهُ مَعَ الحِشْمَةِ ، تَسَعُّ الطَّوَائِفُ أَكْثَافَ خُلُقِهِ ، وَيُعِيْمُ المتضَادِّينَ رَحْبُ
ذَرْعِهِ . طَالِبٌ مُحْتَمِلٌ . حَصِيْفُ العَقْلِ ، حَسَنُ المِشَارَكَةِ فِي فنُونِ ، مِنْ فِقْهِ
وقَرَاءَاتٍ وَنَحْوٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ . تَكَلَّمَ لِلنَّاسِ بِجَامِعِ الرَّبَضِ ثُمَّ بِمَسْجِدِ البَكْرِى
المجاوِرِ لِلزَّوَايَةِ والتَّربَةِ اللَّتَيْنِ أَقَمْتَهُمَا بِأَخْشَارَتَيْنِ^(٢) مِنْ دَاخِلِ الحَضْرَةِ ،
وَحَلَّقَ بِهِ لِتَعْلِيمِ العِلْمِ ، فَانْشَأَ عَلَيْهِ المُنْعَلَمُ والمُسْتَفِيدُ والسَّامِعُ ، لِإِجَادَةِ
بَيَانِهِ ، وَحَسَنَ تَفْهِيمِهِ .

مُشِيخَتُهُ

قَرَأَ القُرْآنَ بِجُرْفٍ نَافِعٍ ، عَلَى أَبِيهِ ، عَلَى السَّيِّحِ المَخْطِيبِ المَشْهُورِ
أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَرْفَةِ ، وَالمَخْطِيبِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ . وَقَرَأَ العَرَبِيَّةَ عَلَى
إِمَامِ الجَمَاعَةِ الأُسْتَاذِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ النَّمْخَارِ ، وَجَوَّدَ عَلَيْهِ القُرْآنَ بِالفَرْدِ
السَّبْعِ ، وَقَرَأَ عَلَى الأُسْتَاذِ أَبِي سَعِيدِ بْنِ أَيْبٍ^(٣)

« نظام القضاء المشرق » ، نَصُّ القَضَاةِ . وَقَدْ كَانَ قاضِي الجَمَاعَةِ الأَنْدَلُسِيَّ ، وَهُوَ نَوَابِيغُ مِنْ الأَنْدَلُسِ ،
لِلْمَذْهَبِ المَالِكِيِّ ، كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ بِالأَنْدَلُسِ والمَغْرِبِ .

(١) بَقِيٌّ بْنُ مَخْلَدٍ مِنْ أَشْهُرِ قَدَمَةِ الأَنْدَلُسِ ، وَأَغْرَدَهُمُ عِلْمًا . نَشَأَ فِي قَرْطُبَةٍ ، وَرَحَلَ إِلَى
المَشْرِقِ ، لِيُدرِسَ دِرَاسَةً مُسْتَفِيضَةً ، وَبَرَعَ بِالأَحْصَى فِي الحَدِيثِ وَالمَرَاةِ . وَكَانَ قَضِيًّا حَرَامًا
وَأَسَاحَ الأَفَقِ . وَكَانَتْ لَهُ حَظْوَةٌ لَدَى أَمِيرِ الأَنْدَلُسِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الحَكَمِ ، ثُمَّ لِدَوْلِهِ
وَزَهْدِهِ . وَفَدَا بَيْتَ عَصْرٍ عِدَّةَ الفُقَهَاءِ والمُحَدِّثِينَ بِالأَنْدَلُسِ ، وَتَوَفَّى فِي سَنَةِ ٢٧٦ هـ (١٨٩ م) .

(٢) يَبْدُو أَنَّ هَذَا الإِسْمَ كَانَ بِطَلْسٍ عَلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ غِرْنَاةِ المُنْصَلِّينَ لِلزَّوَايَا والمَعَارِفِ .

(٣) وَرَدَ فِي هَامِشِ المَخْطُوطِ يَقْتُلِمُ النَّاسِخَ مَا يَأْتِي تَعْلِيْقًا عَلَى مُشِيخَةِ ابْنِ بَقِيٍّ : « وَرَوَى »

شعره (١)

أشددني من ذلك قوله بعد الانصراف من مواراة جنازة :

كم أرى مُدْمِنَ لَهْوٍ ودَّعسة لستُ أخلى ساعة من تبعه
كان لي عذر لدى عهد^(٢) الصبا وأنا آمل في العُمْرِ سَعَة
أو ما يوقظنا من كلِّنا أنفأ لقبره قد شيعه
سيما وقد بدا في مفترق ما إخال الموت قد جاء معه
فدعوني ساعة أبكى على عُمْرٍ أمسيت ممَّن ضيَّعه
ومن شعره في النوم ، وهو كثير ما يطرَّقه :

أباد البينُ أجساد التَّسْلَاقِ وحالت بيننا خيلُ النُّسْرَاقِ
فجودوا وارحموا وارثوا ورقوا على مَنْ جَفَنَهُ سَكَبُ المَآقِ
ومن ذلك ما أنشد في النُّومِ على لسان رجل من أصحابه :
يا صاحبي قفْما المَطْلَايا واشْفِقْما فالعُبَيْدَ عَبَسْده
إذا انتهى وانقضى زمان [هل يرسل]^(٣) الله من يرده
مولده : في الثاني عشر لصفر من عام اثنين وعشرين وسبعمائة .

محمد بن سعيد بن علي بن يوسف الأنصاري

من أهل موطنة . يكنى أبا عبد الله . ويعرف بالطراز .

من أئمة الأئمة الخطيب ابن مرزوق النعماني ، والشيخ الإمام العاضدي عبد الله بن أبي عبد الله . في
الحدود . ومن أخذ عنه رحمه الله الشيخ أبو عبد الله المنطوري وتزوج بعمه أفضا . والشيخ
أبو عبد الله محمد بن مرزوق الحفيد رواين والله أعلم - كاتبه .

(١) - في نسخة واحدة " النج " . وقد رأينا إياه لا يظم السباق .

(٢) - في نسخة واحدة " وفي الزبونة (مصر) .

(٣) - هكذا وردت في الإسكوريال . وفي « الزيتونة » (فيرسل) .

حاله

من صلة ابن الزبير : كان رحمه الله مُقْرِياً جليلاً ، ومحدثاً حافلاً ، به خُتِمَ بالمغرب هذا الباب البتة . وكان ضابطاً مُتَقَنّاً ، ومُقَيِّداً حافلاً ، بارع الخط ، حسن الوراقة ، عارفاً بالأسانيد والطُّرق والرِّجال ، وطبقاتهم ، مُقْرِياً عارفاً بالأسانيد والقراءات ، ماهراً في صناعة التَّجويد ، مشاركاً في علم العربية والفقه والأصول وغير ذلك ، كاتباً نبيلاً ، مجموعاً فاضلاً مُتَخَلِّقاً ، ثقةً فيما رَوَى ، عدلاً ممن يُرجع إليه فيما قَيَّدَ وضبط ، لإتقانه وحذقه . كتب بخطه كثيراً ، وترك أُمّهات حديثية ، اعتمدها الناس بعده ، وعولوا عليها . وتجرد آخر عُمره ، إلى كتاب « مشارق الأنوار » تأليف القاضي أبي الفضل عياض ، وكان قد تركه في مَبَيِّضَةٍ ، في آتِهي درجات النسخ والإدماج والإشكال ، وإهمال الحروف حتى اخترمت منفعتها^(١) ، حتى استوفى ما نقل منه المؤلف ، وجمع عليها أصولاً حافلةً ، وأُمّهات جامعة ، من الأغربة وكتب اللغة ، فتخلّص الكتاب على أتم وجه وأحسنه ، وكمل من غير أن يسقط منه حرف ولا كلمة . والكتاب في ذاته لم يؤلف بثله .

مشيخته

روى عن القاضي أبي القاسم بن سَمْعُون ، والقاضي ابن الطَّبَّاع ، [وعن أبي جعفر بن شراحيل وأبي عبد الله بن صاحب الأحكام والمتكلم ، وأبي محمد بن عبد الصمد بن أبي رجا]^(٢) وأبي القاسم الملاحى . وأبو محمد

(١) يبدو أن هالك بعض كلمات سقطت من النسخ . وانص مبال في المخطوطين

(٢) هذه الزيادة واردة في « الزيتونة » .

الكتاب وغيرهم ، أخذ عن هؤلاء كلهم ببلده ^(١) ، وبقرطبة عن جماعة ، وبمالقة كذلك ، وبسبته . وبإشبيلية عن أبي الحسن بن زرقون ، وابن عبد النور . وبفاس وبمرسية عن جماعة .

قلت : هذه الترجمة في الأصل المختصر منه هذا طويله ، واختصرتها لطولها .

توفي بغرناطة ثالث شوال عام خمسة وأربعين وستمائة ، وكانت جنازته من أحفل جنازة ، إذ كان الله قد وضع له وُدًّا في قلوب المؤمنين .

محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان النّفْزى ^(٢)

من أهل غرناطة ، يكنى أبا حيان ، ويلقب من الألقاب المشرقية بآثير الدين

حاله

كان نسيج وحده في ثقوب الذّهن ، وصحة الإدراك [والحنظ ^(١)] والاضطلاع بعلم العربية ، والتفسير وطريق الرواية ، إمام النّحلة في زمانه غَيْرَ مُدَافِع ، نشأ ببلده غرناطة ، مشاراً إليه في التبريز بميدان الإدراك ، وتغيير السوابق في مضمار التّحصيل . ونالته نُبوّة لحق بسببها بالشرق ، واستقر بمصر . فمال ما شاء من عزّ وشهرة ، وتأنّل وبرّ وحُظوة ، وأضحى لمن حلّ بساحته من المغاربة ، ملجأً وعُدّة . وكان شديد البسّط ، مهيباً ، جَهْوَرياً ، مع الدّعابة والغزل ، وطرح السّمت ، شاعراً مُكثراً ، مليحاً

(١) هذه الزيادة في الزدنية .

(٢) نسبة إلى قبيلة نمرة ، وهي من القبائل المغربية ، التي عبر الكثير من أهلها إلى الأندلس في فترات مختلفة .

الحديث ، لا يُملَّ وإن أطال ، وأسَنَّ جداً ، وانتفع به . قال بعض أصحابنا ، دخلت عليه ، وهو يتوضأ ، وقد استقرَّ على إحدى رجليه لغسل الأُخرى ، كما تفعل البرُّك والأَوْزُ ، فقال لو كنت اليوم جار شلَّير^(١) ، ما تركنى لهذا العمل في هذا السن .

مشيخته

قرأ ببليده على الأستاذ حايـز الريـاسة أبي جعفر بن الزبير ولازمه ، وانتسب إليه ، وانتفع به ، وشاد له بالشرق ذكراً كبيراً . ويقال إنه نادى في الناس عند ما بلغه نعيه ، وصلى عليه بالقاهرة ، وله إليه مخاطبات أدبية اختصرتها ، وعلى الأستاذ الخطيب أبي جعفر على بن محمد الرعيني الطباع ، والخطيب الصالح ولي الله أبي الحسن فضل بن محمد بن علي ابن ابراهيم بن فضيلة المعافى . وروى عن القاضي المحمَّد أبي علي الحسين ابن عبد العزيز بن أبي الأحوص الفهرى ، والمكَّتب أبي سهل اليُسْر بن عبد الله ابن محمد بن خلف بن اليُسْر القشيري ، والأستاذ أبي الحسن بن الصايغ ، والأديب الكاتب أبي محمد عبد الله بن هرون الطائي بتونس ، وعلى المُسند صفى الدين أبي محمد عبد الوهاب بن حسن بن اسماعيل بن مظفر بن الفُرات الحسنى بالأسكندرية ، والمُسند الأصولي وجيه الدين أبي عبد الله محمد ابن عبد الرحمن بن أحمد بن عمران الأنصارى بالشَّعر ، والمحدث نجيب الدين^(٢) أبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن المؤيد الحمداي بالقاهرة ، وغيرهم ممن يشق إحصاؤهم . كالإمام بهاء الدين محمد بن ابراهيم

(١) يقصد أنه لو كان بفرنطة على مقربة من جبل شلير أو جبل الثلج (Sierra Nevada) الذي يشرف على غرناطة .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي « الريتونه » (حباب الدين) .

ابن محمد بن أبي نصر بن النحاس الشافعي . قرأ عليه جميع كتاب سيوييه في سنة ثمان وثمانين وستمائة ، وقال له عند ختمه ، لم يقرأه نلى أحد غيره .

تواليفه^(١)

وتواليفه كثيرة ، منها شرحه كتاب « تسهيل الفوائد لابن مالك » . وهو بديع ، وقد وقفتُ على بعضه بغيرناطة في عام سبعة وخمسين وسبعماية . وكتابه في تفسير الكتاب العزيز ، وهو المسمى « بالبحر المحيط » تسمية زعموا موافقة للغرض . وألف كتاباً في نحو اللسان التركي ، حدثنا عنه الجملة الكثيرة من أصحابنا ، كالحاج أبي يزيد خالد بن عيسى ، والمقرئ الخطيب أبي جعفر الشقوري ، والشريف أبي عبد الله بن راجح ، وشيخنا الخطيب أبي عبد الله بن مرزوق . وقال حدثنا شيخنا أثير الدين في الجملة سنة خمس وثلاثين وسبعماية بالمدرسة الصالحية ببين القصرين بمنزله منها . قال حدثنا الأستاذ العلامة المتفطن أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير ، سماعاً من لفظه ، وكتباً من خطه بغيرناطة ، عن الكاتب أبي إسحق بن عامر الهمداني الطوسي بفتح الطاء ، حدثنا أبو عبد الله بن محمد العنسي^(٢) القرطبي ، وهو آخر من حدث عنه ، أخبرنا أبو علي الحسن بن محمد الحافظ الجبائي . نا حكم بن محمد . نا أبو بكر بن المهندس ، نا عبد الله ابن محمد . نا طالوت بن عياد بن بصال بن جعفر ، سمعت أبا إمامة الباهلي يقول ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أكفلوا لي بيت أهل لكم في الجنة . إذا حدث أحدكم بلا كذب ، وإذا أبتعن فلا يخن ، وإذا

(١) ورد في هامش المخطوط ما نأق : « ذكر عبد القادر المكي في مقدمه شرح التسهيل

له ، أن بعضهم ذكر أن تواليف أبي حيان تربو على خمسين تأليفاً ، رحة الله تعالى عليه » .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي « الزيتونة » (القيسى) .

وعند فلا يُخلف . غصوا أيساركم ، وكفوا أيديكم ، واحفظوا فروجكم .
وقال ، أنشدنا الخطيب أبو جعفر الطباع . قال أنشدنا ابن خالون .
قال أنشدنا أبو عبد الله محمد بن سعيد . قال أنشدنا أبو عمران مرسى
ابن أبي تليد لنفسه :

حالى مع الدهر فى تقلبه كطائر ضم رجليه السرله
فهمة فى خلاص مهجته يروم تخايصها فيشتبك

ومن ملححه : قال قدم علينا الشيخ المحدث أبو العلاء محمد بن أبي بكر
البخارى الفَرَضى بالقاهرة فى طلب الحديث . وكان رجلاً حسناً طيب
الأخلاق ، لطيف المزاج ، فكنا نسايرد فى طلب الحديث ، فإذا رأى صورة
حسنة ، قال هذا حديث على شرط البخارى ، فنظمت هذه الأبيات :

بدا كهلال العيد وقت طلوعه وماس كعصن الخيزران المنعم
غزال رخيّم الدلّ وافى مواصلا موافقة منه على رغم لوم
مليح غريب الحُسن أصبح معلماً بخمرة خد بالمحاسن معلم
وقالوا على شرط البخارى قد أتى فقلنا على شرط البخارى ومُسلم
فقال مولاي أنا البخارى فمن مُسلم فقلت له أنت البخارى وأنا مُسلم

محتسه

حملته حدة الشبابة على [التعريض للأستاذ]^(١) أبي جعفر الطباع ، وقد
وقعت بينه وبين أستاذه ابن الزبير الوخشة فنال منه ، وتصدى للتأليف
فى الرد عليه ، وتكذيب روايته . فرفع أمره إلى السلطان . فامتعض له ،

(١) هكذا وردت هذه العبارة فى « الزبونة » . ووردت فى الإسكوردال الثانية :
(التعريض على الأستاذ) . والأولى أفضل .

وَنَفَّذَ الْأَمْرَ بِتَنْكِيلِهِ ، فَاخْتَفَى ، ثُمَّ أَجَازَ الْبَحْرَ مُخْتَفِياً ، وَلَحَقَ بِالْمَشْرِقِ
يَلْتَفِتُ خَلْفَهُ

شعره

وشعره كثير بحيث يتصف بالإجادة وضدّها . فمن مطولاته رحمه الله

قوله :

لا تَعْدِلَاهُ فَمَا ذُو الْحَبِّ مَعْدُول	العقل مُخْتَبِل . وَالْقَلْبُ مُتَبُول
هَزَّتْ لَهُ أَسْمَراً مِنْ خُوطِ قَامَتِهَا	فَمَا انْثَنَى لِلصَّبِّ إِلَّا وَهُوَ مَقْتُول
جَمِيلَةٌ فَصَّلَ الْحَسَنُ الْبَدِيعَ لَهَا	فَكَمْ لَهَا جُمْلٌ مِنْهُ وَتَفْصِيل
فَالنَّخْرُ مَرْمَرُهُ وَالنَّشْرُ عَنَبَرُهُ	وَالشَّخْرُ جَوْهَرُهُ وَالرِّيقُ مَعْسُول
وَالطَّرْفُ ذُو غَنَجٍ وَالْعَرْفُ ذُو أَرْج	وَالْخَصْرُ مُخْتَطَفٌ وَالْعُنُقُ مَجْدُول
هَيْفَاءُ يَنْبَسُ فِي الْخَصْرِ الْوَشَاحُ لَهَا	رَدْمًا تُخْرَسُ فِي السَّاقِ الْخَلَائِلُ
مِنْ اللِّوَاقِ غَدَّاهُنَّ النَّعِيمُ فَمَا	يَشْقِيْنَ أَبَاؤُهَا الصَّيْدَ الْبَهَائِلُ
نُزِرَ الْكَلَامُ غَمِيَّاتِ الْجَوَابِ إِذَا	يُسَلَّنُ بَعْدَ الصَّحَا حُصْرٌ مَكَاسِيلُ
مِنْ حَلِيَّهَا وَمَنَاهَا مَوْنُسٌ وَهُدَى	فَلَيْسَ يَلْحَقُهَا ذُعْرٌ وَتَضْلِيلُ
حَلَّتْ بِمُنْعَقِبِ الزَّوْرَاءِ زَارَةٌ	شَوْسًا غَيَارَى فَعَقْدَ الصَّبْرِ مَحْلُولُ
فَهَذَا عَنْ ذِكْرِ لَيْلَى إِنَّ ذِكْرَهَا	عَلَى التَّنَائِي لَتَعْدِيْبٌ وَتَعْلِيلُ
أَتَاكَ مِنْكَ نَذِيرٌ فَأَنْذِرْ بِهِ	وَبَادِرُ التَّوْبِ إِنْ التَّوْبُ مَقْبُولُ
وَأُمِّلِ الْعَفْرَ وَأَسْأَلُكَ مَهْمَهَا	قَدْفًا إِلَى رَضَى اللَّهِ إِنْ الْعَفْوُ مَأْمُولُ
إِنَّ الْجِهَادَ وَحَجَّ الْبَيْتِ مُخْتَتَمًا	بِزَوْرَةِ الْمُصْطَفَى لِلْعَفْوِ تَأْمِيلُ
فَشَقَّ حَيْزُومَ هَذَا اللَّيْلِ مُسْتَطِيًا	أَخَا خِرَامٍ بِهِ قَدْ يُبْلَغُ السُّؤْلُ
أَقْبَّ أَعْوَجَ يَعْزَى لِلْوَجِيهِ لَهُ	وَجْهٌ أَغْرُوفِي الرَّجْلَيْنِ نَحْجِيلُ

جُفَسْرٌ حَوَافِرُهُ مُعَرَّرٌ قَوَايِمُهُ
إِذَا تَوَجَّهَ أَصْغَى وَهُوَ مُلْتَفِتٌ
وَإِنْ تَعَارَضَ بِهِ هَوَجًا هَاجَ لَهُ
يَحْمِي حَوَازَةَ الْإِسْلَامِ مُلْتَقِيًا
كِتَابِيًّا قَدْ عَمُوا عَنْ كُلِّ وَاضِحَةٍ
فِي رِمَاقِطَ ضَرْبِ الْمَوْتِ الزَّوَامِ بِهِ
هَيْجًا يُشْرِفُ فِيهَا الْمُشْرِفِيُّ عَلَى
تَدِيرِ كَاسِ شُعُوبٍ فِي شُعُوبِهِمْ
وَإِذَا قَضَيْتَ غَزَاةً فَالْتَفَيْتَ عَمَلًا
وَاصِلٍ بِسَرِّ يَابِنِ أَنْدَلُسٍ وَالطَّلِمْ
يُلَاطِمُ الرِّيحَ مِنْهُ أَبْيَضُ نَفَقٍ لَهُ
يَعْلُو حَضَارَةً مِنْهُ شَامِخٌ جَلَلٌ
كَأَنَّمَا هُوَ فِي طُخْيَا لُجْنَةِ أَيَّامٍ
مَازَالَتْ الْمَوْجُ تَعْلِيهِ وَتُخَفِّضُهُ
وَكَبُرَ النَّاسُ أَعْلَاهُ الرِّنِيمُ
وَصَافَحُوا الْبَيْدَ بَعْدَ الْيَمِّ وَابْتَدَرُوا
عَلَى نَجَايِبَ تَتْلُوهُ أَجْنَابُهَا خَيْلٌ
فِي مَوَكِبٍ تَزْحَفُ الْأَرْضُ الْفَضَاءُ بِهِ
يَطَارِدُ الْوَحْشَ مِنْهُ فَيَلْقَى لَجِبٌ
سَيُوفُهُمْ طَرْبٌ نَحْوَ الْحِجَازِ فَهُمْ
شَعْتُ رُفُسُهُمْ يُبَيِّنُ شِفَاهُهُمْ
حَتَّى إِذَا لَاحَ مِنْ بَيْتِ الْإِلَهِ لَهُمْ

ضُمُرٌ أَيْاطُلُهُ وَلِلْمَذْيَلِ عَشْكَوْلُ
سَسَاعِرٌ اعْتَقَمَا فِيهِنَّ تَأْلِيلُ
جَرِيٌّ يُرَى الْبَرْقُ عَنْهُ وَهُوَ مَخْذُولُ
كِتَابِيًّا غَضَّ مِنْهَا الْعَرَضُ وَالطُّوْلُ
مِنَ الْكِتَابِ وَغَرَّتْهُمْ أَبَاطِيلُ
سُرَادِقًا فَعَالِيَهُمْ مِنْهُ تَخْيِيلُ
هَامَ الْعَدُوُّ وَيَصْحَبُ النَّقْعَ تَضْلِيلُ
فَكُلُّهُمْ مُنْهَلٌ بِالْمَوْتِ مَعْدُولُ
لِلْحَجِّ فَالْحَجُّ لِلْإِسْلَامِ تَكْمِيلُ
رَفَّ أَذْهَمَ بِالْأَشْطَانِ مَعْدُولُ
مِنَ السَّحْبِ الْمُرْبِسِ اِكْتِيلُ
سَامٍ طَفَا وَهُوَ بِالنَّكْبَاءِ مَحْمُولُ
يَخْرُو أَدِيمُ السَّيْلِ شِمْلِيلُ
حَتَّى بَدَا مِنْ مَنَارِ الثَّغْرِ قَنْدِيلُ
وَكُلُّهُمْ طَرْفُهُ بِالشَّهَدِ مَكْحُولُ
سُبُلًا بِهَا لِمَجْنَسَابِ اللَّهِ تَوْصِيلُ
بِهَا الْخَيْرُ مَعْقُودٌ وَمَعْقُولُ
أَضْحَتْ وَمُوحِشَهَا بِالنَّاسِ مَأْمُولُ
حَتَّى لَقَدْ دَعَرَتْ فِي بَيْدِهَا الْغُولُ
ذَوُو ارْتِيَا حَ عَلَى أَكْوَارِهَا مِيلُ
خَوْصُ عَيْونِهِمْ غَرْبٌ مَهَازِيلُ
نُورٌ إِذَا هُمْ عَلَى الْغَبْرِ أَرَاخِيلُ

يُغْفَرُونَ وجوهاً طالما سَمَتْ
 حَقُّوا بكعبة مولاهم فكُفِّهِمْ
 وبالصفِّا وقتهم صافٍ بسعيهم
 تعرَّفوا عرفاتٍ واقفين بها
 لما قضينا من الغراء مَنْسَكَنَا
 شَدْنَا إلى الشَّدِّ قميات التي سكنت
 إلى الرسول تُزْجِي كل تعلقة
 من أَنْزَلَتْ فيه آياتٌ مطهَّرة
 وعُطِّرَتْ من شذاه كلِّ ناحية
 سرٌّ من العالم العلوى ضمَّنه
 نورٌ تَمَثَّلُ في أبصارنا بَشَرًا
 لقد تَسَامَى وجبريلُ مُصَامِيهِ
 أَوْحَى إليه الذي أَوْحاه من كُتُبٍ
 يتلو كتاباً من الرحمن جاء به
 جارٍ على مَنَهِجِ الْأَعْرَابِ أَعْجَزَهُمْ
 بلاغةً عندها كَعَجِّ البليغ فلم
 ومنها :

وَطَوَّلُوا أَنْ يُجِيبُوا حِينَ رَأَوْهُمْ
 لاذوا بِلَوْبَانٍ خَطِيٍّ وَبُتْرِ ظَبَا
 فمُونَفٌ في جبال الوَهْدِ مُنَحَدِرٍ
 مازال بِالْعَضْبِ هَتَاكَ سِوَابِهِمْ
 وقد تحطَّم في نَحْرِ الْعَدَا قَصْدٌ
 بِسُورَةٍ مثله فاستعجز القَيْلُ
 يوم الوغا واعتراهم منه تنكيل
 ومُوثِقٌ في حبال الغَدِ مَكْبُولُ
 حتى انشنى العَصْبُ منهم وهو مَقْلُولُ
 أَصَمُّ الْوَشِيجِ وَخَانَتِهَا الْعَوَامِلُ

من لا يُعَدِّلُهُ القرآن كان له من الصَّفَادِ وَبَيْضِ البَيْتْرِ تعديل
 وكم له معجزاً غير القرآن أقى فيه من الحقِّ مَنْقُولٌ وَمَحْقُول
 فللرسول انشِقَاقُ البدرِ نَشْهَدُهُ كما لموسى انْفِلَاقُ البحرِ مَنْقُول
 ونبع ماءِ فراتٍ من أنامله كالعين ثَرَّتْ فجاء الهَتَّانِ ماءُ النَيل
 رَوَّوا الخميسَ وهم زُهاءِ سبع مَيَّ مع الرِّكَّابِ فَمَشْرُوبٌ وَمَحْمُول
 ومَيَّ عينٌ بكفٍّ جاءَ يحملها قَتَادَةٌ وله شكوى وتَغْوِيل
 فكانت أحسنَ عينيه ولا عجبٌ مَسَّتْ أناملِ فيها اليُمْنُ مَجْعُول
 والجذعُ حنٌّ إليه حينَ فارقه حَنِينٌ وَلَهَى لها للدرِّومِ مشكول
 وأشيعَ الكثرُ من قِلِّ الطعامِ ولم يكن ليعوزه بالكثرةِ تَقْلِيل
 وفي جرابٍ لى هنَّ عجائبُ كم يَمْتَارُ منه فَمَبْدُولٌ وَمَأْكُول
 وفي ارتواءٍ لى ذرٌّ بزمزم ما يكفى تَبَلَّدَنَ منه وهو مَهْزُول
 والعنكبوتُ ببابِ الغارِ قد نُسِجَتْ حَتَّى كَأَنَّ رِداءً منه مَسْدُول
 وفرَّختْ فى جِماه الوُرُقُ ساجعة تَبَكَّى وما دُمُعُها فى الحَدِّ مَطْلُول
 هذا وكم معجزاتٍ للرسول أَتَتْ لها من الله أمدادٌ وتَأْصِيل
 غَدَّتْ من الكثرِ أَعْدَادُ النجومِ فما يُحْصَى لها عدداً كَتَبٌ ولا قِيل
 قد انْقَضَتْ معجزاتُ الرُّسلِ منذَ قَضُوا نَحْباً وَأَعْجَمَ منها ذلكَ الجيل مَحْفُوظَةٌ ما لها فى الدَّهْرِ تَحْوِيل
 ومعجزاتِ رسولِ اللهِ باقيةٌ وهل يَضِيعُ الذى باللهِ مَكْفُول
 تكفلُ اللهَ هذا الذِّكْرُ يحفظه المُلْكُ مَنْقَطَعٌ والوَحْيُ مَوْصُول^(١)
 هدى المفاخرُ لا يحظى الملوكُ بها
 ومن مطولاته فى غرضٍ يظهر منها :
 هو العِلْمُ لا كالعلمِ شَيْءٌ تَرَاوَدُّهُ لَقَدْ فازَ باغيه وأنجحَ قاصده

(١) وردت هذه القصيدة فى الإسكوريال . ولم ترد فى الزيتونة .

وما فضل الإنسان إلا بعلمه
وقد قصرت أعمارنا وعلومنا
وفي كلها خير ولكن أصلها
به يُعرف القرآن والسنة التي هما
وناهيك من علم على مُشيد
لقد حاز في الدنيا فخاراً وسوداً
هو استنبط العلم الذي جل قدره
وساد عطا نجله وابن هرمرز^(١)
وعنبسة قد كان أبرع صحبه
وما زال هذا العلم تُنميه سادة
إلى أن أتى الدهر العقيم بواحد
إمام الورى ذاك الخليل بن أحمد
وبالبصرة الغراً قد لاح فجره
يا ذكى الورى ذهناً وأصدق لجة
وما أن يروى بل جميع علومه^(٢)
هو الواضع الثانى الذى فاق أولاً
فقد كان ربانى أهل زمانه

وما امتاز إلا ثاقبُ الذهن واقده
يطول علينا حصرها ونكايده
هو النحو فاحذر من جهول يعانده
أصل دين الله ذو أنت عابده^(١)
مبانيه أعز بالذى هو شايد
أبو الأسود الديلى^(٢) فللجسر سائده
وطار به للعرّب ذكر نعاوده
ويحيى ونصر ثم ميمون ماهده
فقد قلدت جيد المعالى قلايده
جهازة تبلى به وتعضضده
من الأزد تُنميه إليه فرايده
أقر له بالسبق فى العلم حاسده
فنارت أدانيه وضاءت أباعده
إذا ظنّ أمراً قلت ما هو شاهده
بداية أعيت كل حبر تُجالده
ولا ثالث فى الناس تصمى قواصده
صوم قوم رايح الليل ساجده

(١) هكذا وردت هذه الشطرة فى الإسكوريال . ووردت فى الزيتونة كالأتى (أصل
ذا الدين الذى أنت عابده) .

(٢) الإشارة هنا إلى أبى الأسود الذى يعتبر أول واضع للنحو ، المتوفى سنة ٦٩ هـ .

(٣) هكذا وردت هذه الشطرة فى الإسكوريال . ووردت فى الزيتونة كالأتى (وتبادر
نبطاً لنجله وابن حيدر) .

(٤) وردت هذه شطرة فى الزيتونة كالأتى (وما أن يرى مثل تجمع علومه) .

يقيم منه دهره^(١) في مَثُوبَةٍ
فَعَامٌ إِلَى حَيْجٍ وَعَامٌ لَغَزْوَةٍ
وَلَمْ يُثْنِهِ يَوْمًا عَنِ الْعِلْمِ وَالتَّقَى
وَأَكْثَرُ سَكَنَاهُ بِقَفَرٍ بَحِيثٍ لَا
وَمَا قُوَّتُهُ إِلَّا شَعِيرٌ يُسَيِّغُهُ
عَزُوبًا عَنِ الدُّنْيَا وَعَنْ زَهْرَاتِهَا
وَلَا رَأَى مِنْ سَيَّبِيهِ نَجْسَابَةٍ
تَخِيرُهُ إِذْ كَانَ وَارِثَ عِلْمِهِ
وَعَلَّمَهُ شَيْئًا فَشَيْئًا عُلُومِهِ
فَإِذْ ذَاكَ وَافَاهُ مِنَ اللَّهِ وَعْدُهُ
أَنَّى سَيَّبِيهِ نَاشِرًا لِعُلُومِهِ
وَأَبَدَى كِتَابًا كَانَ فَخْرًا وَجُودِهِ
وَجَمَعَ فِيهِ مَا تَفَرَّقَ فِي الْوَرَى
بِعَمْرٍو بْنِ عَثْمَانَ بْنِ قُنْبَرِ الرِّضَا
عَلَيْكَ قُرْآنَ النَّحْوِ نَحْوَ ابْنِ قَنْبَرٍ
كِتَابَ أَبِي بَشَرَ^(٢) فَلَا تَكُ قَارِيًا
هُمْ خُلُجٌ بِالْعِلْمِ مَدَّتْ فَعِنْدَمَا
وَلَا تُعَدُّ عَمَّا حَازَهُ إِنَّهُ^(٣) الْفِرَا
إِذَا كُنْتَ يَوْمًا مُحْكَمًا فِي كِتَابِهِ

وَشَوْقًا بِأَنَّ اللَّهَ حَقًّا مُوَاعِدُهُ
فَيَعْرِفُهُ الْبَيْتُ الْعَتِيقُ وَوَافِدُهُ
كَوَاعِبُ حُسْنٍ تَنْشَى وَنَوَاهِدُهُ
تُنَاغِيهِ إِلَّا عَفْرُهُ وَأَوَابِدُهُ
بِمَاءٍ قَرَّاحٍ لَيْسَ تَغْشَى مَوَارِدُهُ
وَشَوْقًا إِلَى الْمَوْلَى وَمَا هُوَ وَاعِدُهُ
وَأَيُّمَنُ أَنَّ الْحَيْنَ أَدْنَاهُ بَاعِدُهُ
وَلَا طَفَهُ حَتَّى كَأَنَّ هُوَ وَالِدُهُ
إِلَى أَنْ بَدَتْ سِيَاهُ وَاشْتَدَّ سَاعِدُهُ
وَرَّاحَ وَحِيدَ الْعَصْرِ إِذْ جَاءَ وَاحِدُهُ
فَلَوْلَاهُ أَضْحَى لِلنَّحْوِ عُطْلًا شَوَاهِدُهُ
لِقَحْطَانِ إِذْ كَعَبَ بِنَ عَمْرٍو مُحَاتِدُهُ
فَطَارِفُهُ يُعْزَى إِلَيْهِ وَتَالِدُهُ
أَطَاعَتْ عَوَاصِيَهُ وَتَابَتْ شَوَارِدُهُ
فَنَآيَاتِهِ مَشْهُودَةٌ وَشَوَاهِدُهُ
سِوَاهُ فَكُلُّ ذَاهِبٍ الْحُسْنُ فَاقِدُهُ
تَنَازَعَتْ غَدَتُ تَزْهَى وَلَيْسَتْ تُشَاهِدُهُ
وَفِي جَوْفِهِ كُلُّ الَّذِي أَنْتَ صَائِدُهُ
فَإِنَّكَ فِينَا نَابَهُ الْقَدَرُ مَا جِدُهُ

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الدهر) .

(٢) أبو بشر ، هو كنية سيبيه ، فهو أبو بشر عمرو بن عثمان .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (فهو) .

ولست تبالي إن فككت رموزه
هو العُصْبُ إن تلق الهياج شهرته
تلقاه كلُّ بالقبول وبالرضى
ولم يعترض فيه سوى ابن طراوة
وجسره طعن الميرد قبله
هُما ما هُما صارامدى^(٢) الدهر ضحكة
تكون صحيح العقل حتى إذا ترى
يقول امرؤ قد خامر الكبير رأسه
ولم يشتغل إلا بنزير مسایل من
وقد نال بين الناس جاها ورتبة
وما ذاق للآداب طعماً ولم
فينكح أبكار المعاني ويبتغي لها
رأى^(٣) سيبويه فيه بعض نكادة
فقلت أتيت ما أنت أهل لفهمه
لعمرك ما ذو لحية وتسمت
فيمشي على الأرض الهوينى كأنما
وإيهاً لك الجهال أنك عالم
بأجلب للنحو الذي أنت هاجر

أعصك دهر أم عرتك ثرايده
وإن لا تُصب حرباً فإنك غامده
فذو الفهم من تبدو إليه مقاصده
وكان طرياً لم تقادم معاهده
وإن الثمالي^(١) بارد الذهن خامده
يُزيّف ما قالوا وتبدو مفاصده
تبارى أبا بشر ، إذا أنت فاسده
وقد ظن أن النحو سهل مقاصده
الفقه وفي أوراقه هو راصده
والهالك عن نبيل المعالي ولا يديه
يبت يعنى بمنظوم ونثر يجاوده
الكفو من لفظ بها هو عاقده
وعجمة لفظ لا تحل معاقده
وما أنت إلا غايض الفكر راكده
وإطراق رأس والجهات تساعده^(٤)
إلى الملا الأعلى تناهت مراصده
وأنت فرد في الوجود وزاهده
من الدرس بالليل الذي أنت هاجده

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي الزيتونة (النخال) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (امد) .

(٣) وردت في الإسكوريال (أدى) . وفي الزيتونة (روى) . ونعتقد أن التصويب

أرجح .

(٤) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (تصاعده) ونعتقد أن الأول أرجح .

أَصَاحِ تَجَنَّبَ مِنْ غَوِيٍّ مُخْذِلٍ وَخَذَ فِي طَرِيقِ النَّحْوِ أَنْتَكَ رَاشِدُهُ
 لَكَ الْخَيْرُ فَادَّأَبْ سَاهِرًا فِي عِلْمِهِ [فَلَمْ تُشْمِمْ] ^(١) إِلَّا سَاهِرَ الطَّرْفِ سَاهِدُهُ
 وَلَا تَرْجُ فِي الدُّنْيَا ثَوَابًا فَإِنَّمَا لَدَى اللَّهِ حَقًّا أَنْتَ لَا شَكَّ وَاجِدُهُ
 ذُوو النَّحْوِ فِي الدُّنْيَا قَلِيلٌ حَظُوظُهُمْ وَذُو الْجَهْلِ فِيهَا وَافِرُ الْحِظِّ زَائِدُهُ
 لَهُمْ أَسْوَةٌ فِيهَا عَلَى لَغْدٍ مَضَى وَلَمْ يَلْقَ فِي الدُّنْيَا صَدِيقًا يُسَاعِدُهُ
 مَضَى بَعْدَهُ عَنْهَا الْخَلِيلُ فَلَمْ يَنْلُ كِفَافًا وَلَمْ يَعْدِمْ حَسُودًا يَنَازِلُهُ
 وَلَا قَى أَبَابِشِرٍ سَفِيهَةً غَدَاةً تَمَالَتْ فِي ضَلَالٍ يُمَادِدُهُ ^(٢)
 أَتَى نَحْوَ هَارُونَ ^(٣) يَنْظُرُ شَيْخَهُ فَفَنَفَحَتْ حَتَّى تَبَدَّتْ مَنَازِلُهُ
 فَطَرَقَ شَيْئًا ثُمَّ أَبْدَى جَوَابَهُ بِحَقٍّ وَلَا كُنْ أَنْكَرَ الْحَقِّ جَاحِدُهُ ^(٤)
 وَكَادَ عَلَى عَمْرًا إِذَا صَارَ حَاكِمًا وَقَدْ مَا عَلَى كَانَ عَمْرُو يَكَايِدُهُ
 سَقَاهُ بِكَأْسٍ لَمْ يَفْقَ مِنْ خِمَارِهَا وَأَوْرَدَهُ الْأَمْرَ الَّذِي هُوَ وَارِدُهُ
 وَلَا بِنَ زِيَادَ شَرَكَةٍ فِي مَرَادِهِ وَلَا بِنَ رُشِيدَ بَشَرِكٍ لِلْقَلْبِ رَابِدُهُ
 هَمَّا جَرَّعًا إِلَى عَلَى وَقُنْبِيرٍ أَفَاوَيْقٍ ^(٥) سُمِّ لَمْ تَنْجِدَ أَسَاوِدُهُ
 أَبْكِي عَلَى عَمْرُو وَلَا عَمْرٌ مِثْلُهُ إِذَا مُشْكَلٌ أَعْيَا وَأَعْوَزَ نَاقِدُهُ
 قَضَى نَحْبَهُ شَرُّخَ الشَّيْبَةِ لَمْ يُرْعَ بِشَيْبٍ وَلَمْ تَعْلُقْ بِذَامٍ مَعَاقِدُهُ
 لَقَدْ كَانَ لِلنَّاسِ اعْتِنَاءٌ بِعِلْمِهِ بِشَرْقٍ وَغَرْبٍ تُسْتَنَارُ فَوَايِدُهُ
 وَالْآنَ فَلَا شَخْصَ عَلَى الْأَرْضِ قَارِيءٌ كِتَابَ أَبِي بَشِيرٍ وَلَا هُوَ رَايِدُهُ
 سِوَى مَعْشَرٍ بِالْغَرْبِ فِيهِمْ تَلَفَّتُ إِلَيْهِ وَشَوْقٌ لَيْسَ يَخْبُوُ مَوَاقِدُهُ ^(٦)

(١) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَّالِ . وَفِي الزَّيْتُونَةِ (فَلَا تَسَافِر) .

(٢) وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَّالِ (بِغَادِهِ) وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الزَّيْتُونَةِ .

(٣) مَرَّ هَارُونَ بْنُ مُوسَى . وَكَانَ يَهُودِيًّا مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، اعْتَنَقَ الْإِسْلَامَ وَاسْتَعْلَنَ بِإِسْلَامِهِ .

وَاشْتَهَرَ بِضَبْطِ النَّحْوِ وَالْإِسْلَامَةِ فِيهِ .

(٤) وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَّالِ (جَاهِدُهُ) . وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الزَّيْتُونَةِ .

(٥) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَّالِ وَفِي الزَّيْتُونَةِ (أَبَارِيقُ) وَالْأَوَّلُ أَرْجَحُ .

وما زال منّا أهلُ أندلسٍ له
وإني في مصر على ضعف ناصري
أثار أثيرُ الغرب للنحو كامنًا
وأحيا أبوحيان مَيّت علومه
إذا مغربي حطّ بالشعر رَحْلَه
مُنيّا بقوم صُدّروا في مجالس
لقد أُنخِر التصدير عن مُستحقّه
وسوف يلاقى مَنْ سَعَى في جلوسهم
علا عقله فيهم هواه فما ذرى
أقمنا بمصر عشرين^(١) حجة يُشاهدنا
فلما نزل منهم مدى الدهر طايلا
لنا سُلوة^(٢) فيمن سرّدنا حديثهم
أخى إن تصيل يوماً وبُذغت سالماً
وقبل ثرى أرض بها حلّ ملكنا
مُبِيد العدا قتلاً وقد عمّر شرهم
أفاض على الإسلام جرداً ونجدةً
وعِم بها إخواننا بتحيّة
جزى الله عنا شيخنا وإمامنا
لقد أطلعت جياناً أوحد عصره

جهابذُ تبدى فضله وتَساجده
لناصره ما دمت حياً وعاضده
وعالجه حتّى تبدّت قواعده
فأصبح علّمُ النحو ينفق كاسده
تَيَقَّن أن النحو أُنفساه لاحده
لإقراءِ علم ضلّ عنهم مرأشده
وقدّم غمّر خامدُ الذهن جامده
عُقِبَى ما أكَذت عقبايده
بأن هوى الإنسان للنار قايده
ذو أمرهم ونشــــاهده
ولما نجد فيهم صديقاً نوادده
وقد يُتَسَلَّى بالذى قال سارده
لغرناطة فانمذ لما أنا عاهده
وسُلطاننا الشَّهْمُ الجميل عوايده
ومُحيي النُدا فضلاً وقد رمّ هامده
فعمز مواليه وذلّ مُعانده
وخُصّ بها الأستاذ لا عاش كايده
وأستاذنا الحَبِرَ الذى عمّ قايده^(٣)
فللغرب فخرٌ أعجز الشرق خالده

(١) وردت في الإسكوريال (نحو) . والتصويب من الزيتونة .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (أسوة) .

(٣) يشهر هنا إلى أستاذه أيام دراسته بغرناطة العلامة الخدث المقرئ المغوى أبى حمير
ابن الزبير المتوفى سنة ٧٠٨ هـ ؛ وأصله من مدينة جيان . وقد ترحم به ابن الخطيب في الخلد الأوّل
من الإحاطة (الطبعة الثانية ص ١٨٨ - ١٩٣) .

مؤرخةٌ نحويةٌ وإمامةٌ مُحدثةٌ
 جاءَ عظيمٌ من ثقيفٍ وإنما به
 وما أنسى لا أنسى سُهادى ببابه
 فيجئُ بنور العلم ظلمةَ جهلنا
 وإننى وإن شطت بنا غربةَ النوى
 بغرناطة رُوحى وفى مصر جُثتى
 أبا جعفر خذها قوافى من فقى
 يسيرُ بلا إذنٍ إلى الأذن حسنُها
 غريبةٌ شكلي كم حوت من غرايب
 فلولاك يامولاى ما فاه مِقولى
 لَهَبْتَنى حتّى أحوك^(١) مُفوقاً
 وأذكيتَ فكرى بعد ما كان خامداً
 جعلتُ خنماً فيه ذكرك إنسه
 ومما دُونَ المطولات قوله رحمه الله :

تفرّدت لما أن جُمعت بذات
 فلم أر فى الأكوان غيراً لأننى
 وقدسَتها عن رتبة لو تعيّنّت
 فيها أنا قد أصدتُها عز حضيضها
 تشاهد معنى روضةٍ أذهب الأعنا
 أقامت زمانا فى حجاب فعندما
 لنقضى بها ما فات من طيب أنسينا بها وننال الجَمع بعد شتات

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى «الزيتونة» (أجود) .

ومن النسيب قوله :

كَتَمَ اللِّسَانُ وَمَدْمَعِي قَدْ بَاحَا
إِنِّي أَحْبَبْتُ طِيَّ مَا نَشَرَ الْهَوَى
وَمَهْجَتِي مَنْ لَا أَصْرَحُ بِاسْمِهِ
رَيْمٌ أَرُومُ حُنُوءَ وَجَنُوحَهُ
أَبْدَى لَنَا مِنْ شَعْرِهِ وَجَبِينِهِ
عَجَبًا لَهُ يَأْسُو الْجِسْمَ بِطَبِّهِ
فَبَلَقَطَهُ بُرْءُ الْأَخِيذِ وَلَحِظُهُ
نَادَيْتُهُ فِي لَيْلَةٍ لَا ثَالِثَ إِلَّا
يَا حُسْنَهَا مِنْ لَيْلَةٍ لَوْ أَنَّهُ دَامَتْ

وقال :

نُورٌ بِخَدِّكَ أَمْ تَوْقَدُ نَارَ
وَشَدًّا بِرَيْقِكَ أَمْ تَنَارُجُ مِسْكَةَ
جُمِعَتْ مَعَانِي الْحَسَنِ (١) فَيْكَ فَقَدْ
مُتَصَاوِنٌ خَفِيرٌ إِذَا نَاطَقْتَهُ
فِي وَجْهِهِ زَهْرَاتُ لَفْظٍ تُجْتَلَى
خَافَ اقْتِطَافَ الْوَرْدِ مِنْ جَنْبَاتِهَا
وَتَسَلَّلَتْ نَمْلُ الْعِذَارِ بِخَدِّهِ
وَبِخَدِّهِ وَرْدٌ حَمَتَهَا وَرْدُهَا
كَمْ ذَا أَوَارَى فِي هَوَاهُ مَحَبَّتِي

ومن نظمه من المقطوعات في شتى الأغراض قوله رحمه الله :

أَزَحَتْ نَفْسِي مِنَ الْإِنْسَانِ بِالنَّاسِ لَمَّا غَنِيَتْ عَنِ الْأَكْيَاسِ بِالْيَاسِ

(١) هكذا وردت في الزيتونة . ووردت في الإسكوريال (المسك) والأولى أرجح .

وصرت في البيت وحدي لا أرى أحداً
وقال : بناتُ فكري وكتبي هنَّ جُلأسي

وزهدني في جمعي المال أنه إذا
وقال : فلا رُوحه يوماً أراح من العنسا
وما انتهت عند الفتى فارق العُمرا
ولم يكتسب حمداً ولم يدخر أجرا

سَعَتْ حَيَّةٌ من شعره نحو صدغه
وقال : وأعجب من ذا أن سلسال ريقه
وما انفصلت من خده إن ذا عجبُ
برودٌ ولاكن شبَّ في قلبي اللهب

راض حبيبي عارضٌ قد بدا
وقال : وظنَّ قوم أن قلبي سلا
ياحُسْنَه من عارض رابض
والأصل لا يَغْتَدُّ بالعارض

سال في الخدِّ للحبيب عذار
وقال : وسألتُ التَّشامَه فتجنَّي
وهو لا شك سايلٌ مرحوم
فأنا اليوم سايلٌ محروم

جُننتُ بها سوداء لونٍ وناظر
وقال في فتى يُسمى مظلوم :
وجدتُ بها بَرْدُ النعيم وإنَّ
ويا طالما كان الجنون بسوداء
فؤادي منها في جحيم ولأواء

وما كنت أدري أن مالك مُهَجَّتِي
يَتَسَمَّى بمظلوم وظلم جفأوه
إلى أن دعاني للصِّبا^(١) فأجبتَه
ومن يك مظلوماً أُجيب دعاؤه

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الصلاة) .

وقال :

جُنَّ غَيْرِي بِعَارِضٍ فَتَرَجَّى أَهْلُهُ أَنْ يَغِيْقَ عَمَّا قَرِيبِ
وَفَوَّادِي بِعَارِضِينَ مَصَابُ فَهُوَ دَائٌ أَعْي دَوَاءَ الطَّبِيبِ

وقال :

شَكِي الْخَصْرَ مِنْهُ مَا يَلَاقِي بَرْدُفَهُ وَأَضْعَفَ غَصْنَ الْبَانِ جَرَّ كَثِيبِ
إِذَا كَانَ مِنْهُ الْبَعْضُ يُظْلِمُ بَعْضَهُ فَمَا حَسَالَ شَطُّ الْمَزَارِ غَرِيبِ

وقال :

وَذُو شَفَةِ لَمَيَّا زُيِّنَتْ بِشَامَةٍ مِنَ الْمَسْكِ فِي رُشَافِهَا يَذْهَبُ النَّسْكَ
ظَدِيتَ إِلَيْهَا رِيْقَةٌ كَوَثْرِيَّةٌ بِمِثْلِ لِقَائِي تُغْرِهَا يُنْظِمُ السَّلْكَ
تَعَلَّ بِمَعْسُولٍ كَأَنَّ رُضَابِيَهُ مُدَامَ مِنَ الْفَرْدِ وَسِرُّ خَاتَمِهِ مِسْكَ

وقال :

أَجَلُّ شَفِيعٍ لَيْسَ يُمْكِنُ رَدُّهُ دِرَاهِمُ بَيْضٍ لِلْجُرُوحِ مَرَاهِمُ
تُصَيِّرُ صَعْبَ الْأَمْرِ^(١) أَسْهَلَ مَا تَرَى وَيَقْضِي لِبَانَاتٍ لِلْفَتَى وَهُوَ نَائِمُ

وقال :

نُعِيدُ وَدَّ قَرِيبٍ خَسَلٌ كَبِيرُ عَتَبٍ قَلِيلٌ عَتَبَا
كَالشَّمْسِ ظَرْفًا كَالْمَسْكِ عَرْفًا كَالْخَشْفِ ظَرْفًا كَالصَّخْرِ قَلْبَا

وقال :

عُدَاتِي لَمْ فَضَّلْ عَلَى وَمَنْسَةٍ فَلَا أَذْهَبُ الرَّحْمَنَ عَنِّي الْأَعَادِيَا
هَمْ بِحَثْوَا عَنْ رَيْتِي فَاجْتَنِبْتُهَا وَهَمْ نَافَسُونِي فَاكْتَسَبْتُ الْمَعَالِيَا

مولده : ولد بغيرناطة عام اثنين وخمسين وستاية .

هكذا وردت في الإستانبوريل . وفي الزيتونة (خ) .

وفاته : أخبرني الحاج الخطيب الفاضل أبو جعفر الشَّقُورِي رحمه الله .
قال، توفي عام خمسة وأربعين وسبع مائة بمصر ، ودفن بالقرافة . وكانت
جنازته حافلة .

ومن الطارين عليها في هذا الحرف

محمد بن أحمد بن داود بن موسى بن مالك اللخمي اليكِّي^(١)

من أهل بَلَدَش^(٢) يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن الكماد

حاله

من « عايد الصلة » : كان من جَلَّةِ صدور [الفقهاء]^(٣) الفضلاء
زهذا وقناعة وانقباضا ، إلى دَمَاثة الخلق ، ولين الجانب [وحسن اللقاء]^(٤)
والسَّادجة المُمَوَّهة بالغفلة ، والعمل على التقشُّف والعُزلة ، قديم السَّماع
والرَّحلة ، إماما مشهورا في القراءات ، يُرحل إليه ، ويعُول عليه ، إتقانا
ومعرفة منها بالأصول ، كثير المحافظة والضَّبْط ، محدِّثا ثَبَتًا ، بليغ
التَّحرُّز ، شديد الثقة ، فقيها مُتصَرِّفا في المسائل ، أعرف الناس بعقد
الشروط ، ذا حظٍّ من العربية واللغة والأدب . رحل إلى العُدوة ، وتجول في
بلاد الأندلس ، فأخذ عن كثير من الأعلام ، وروى وقيد وصنَّف وأفاد ،

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (اللبكي) .

(٢) بلش اوبلش مالقة وبالإسبانية Velez Malaga هي بلدة أندلسية قديمة تقع على قيد
ثلاثين كيلومترا من شرق مالقة وعلى قيد خمسة كيلو مترات من البحر المتوسط ، ويبلغ سكانها
اليوم نحو ثلاثين ألف نسمة .

(٣) هذه الكلمة واردة في الزيتونة ، وساقطة في الاسكوريال .

(٤) هذه العبارة واردة في الاسكوريال ، وساقطة في الزيتونة .

وتصدّر للإقراء بغرناطة وبَلَّش وغيرهما ، وتخرّج بين يديه جملة وافرة من العلماء والطلبة ، وانتفعوا به .

(١) مشيخته

قرأ ببيلده مُرسية على الأستاذ أبي الحسن علي بن محمد بن بُ بن أحمد ابن أبي بكر الرقّوطي ، والمُقري أبي الحسن بن خلف الرشاطي ، والمحدث الجليل أبي عمرو محمد بن علي بن عَيْشُون اللّخمي ، وعلى الشيخ الفقيه الكاتب أبي محمد بن عبد الله بن داود بن خطّاب الغافقي المُرسى . ومن أجازاه الفقيه أبو عثمان سعيد بن عمرو البطرني ، والقاضي أبو علي بن أبي الأحوص ، لقيه ببَلَّش مالفة وبَسْطَة ، قروى عنه الكثير ، والأستاذ أبو القاسم بن الأصهر الحارثي لقيه بالرّية . ولقي بغرناطة الأستاذ أبا جعفر الطّبّاع ، والوزير الرّأوية أبا القاسم محمد بن يحيى بن عبد الرحمن ابن جُرّي الكلبّي ، روى عنه وأجازاه . وكتب له بالإجازة جماعة كبيرة من أهل المشرق والمغرب ، حسبما تضمنه برنامججه .

تواليّفه

اختصر كتاب « المُقنع » في القراءات اختصارا بديعا وسماه كتاب « المتع في تهذيب المقنع » وغير ذلك .

شعره

من ذلك وقد وقف على أبيات أبي القاسم بن الصّقر في فضل الحديث :

(١) وردت المترجم له في مخطوط الزيتونة « مشيخة » طويلة من نحو لوحين . وقد رأى ناسخ الإسكوريال أن يضرب صفحا عنها ، وأن يكتفى بقوله : « قلت له مشيخة في الأصل طويلة اختصرتها لطولها » . وقد رأينا نحن أن نورد مشيخته مختصرة من الزيتونة ، وأن نقتصر فيها على عدد من جلة الأساتذة الذين أخذ عنهم المترجم له .

لقد حاز أصحاب الحديث وأهله
وصحّت لهم بين الأنام مزيّة
بدعوة خبير الخلق افضل مُرسل
فهم دونوا عِلْم الحديث وأنقنوا
وجاءوا بأخبار الرّسول وصحبه
وهم نقلوا الآثار والسّنن التي
وما قصّروا فيها بفقّه ولا ونوا
وهم أوضحوا من بعدهم باجتهادهم
جزاهم إله العرش عنا بنصّحهم
ونسّله سبحانه نهج هاديهم

شأواً وتوتيراً ومجداً مُخلداً
أبانت لهم عزّاً ومجداً وسوددا
محمد المبعوث بالنّور والهدا
ونصّوا بتبيين صحيحاً ومُسندا
على وجهها لفظاً ورسماً مقيدا
من أصبح ذا أخذ بها فقد اهتدا
بل التزموا حداً وحزماً مُؤكّدا
وتبّينهم سُبُل الهدى لِدن اقتدا
بأحسن ما جازى نصيحاً ومرشدا
وسعيّاً إلى التّقوى سبيلاً ومَقصدا^(١)

ومن شعره رحمه الله قوله :

عليك بالصّبر وكن راضياً
واسلك طريق المجد والهّج به
بما قضاه الله تلقى النّجاح
فهو الذي يرضاه أهل الصّلاح

وقد ألف شيخنا أبو البركات بن الحاج ، جزءاً سماه «شعر من لا شعر
له» ، فيه من شعر هذا الرجل الفاضل ومثله كثير

مولده : قبل الأربعين وسنّاه . وتوفي ثاني شهر الله المحرم عام اثني عشر

وسبعة مائة

(١) هذه القصيدة واردة في الإسكورييل وساقعة في ريتونة .

« انتهى ما اختُصر من السفر السابع من كتاب « الإحاطة في تاريخ
 غرناطة » . يتلوه في السفر الثامن بعده إن شاء الله . ومن السفر الثامن
 من ترجمة المقرئين والعلماء رحمهم الله » ^(١) .

(١) بعد اختتام السفر السابع من كتاب « الإحاطة » على هذا النحو ، أورد الناسخ نبذة طويلة
 استهلها بقوله أن الأستاذ أباجعفر بن الزبير قيد بخطه « تقييدا حسنا ساير فيه طبقات الأمم لصاعد
 فنقص منها ، وزاد في بعض أسماء رجالها حكايات وأخبارا » . ويدور الحديث في هذه النبذة كلها ،
 عن فلاسفة اليونان أو حكمائها الخمسة بيرقليس وفيثاغورس وسقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس ، وعن
 أخبارهم وآرائهم ، ويتناول بصفة خاصة آراء أرسطاطاليس ومؤلفاته وعلاقته بالأسكندر المقدوني .
 وقد رأينا نحن أنه لا محل لإيراد هذه النبذة ، لأنه لا علاقة لها بكتاب الإحاطة ، وهي تشغل من مخطوط
 الإسكوريال (لوحات ١٠٢ إلى ١٠٥) .

ومن السفر الثامن من ترجمة المقرئين والعلماء

محمد بن أحمد بن محمد بن علي الفسّاني

من أهل مالقه ، يكنى أبا القاسم ، ويعرف بابن حفيد الأمين

حاله

كان من أهل العلم والفضل والدين المتين ، والدُّؤوب على تدريس كتب الفقه . استظهر كتاب « الجواهر » لابن شاس ، واضطلع بها ، فكان مجلسه من مجالس الحُفَاط ، حُفَاط المذهب ، وانتفع به الناس . وكان معظماً فيهم ، متبركاً به ، على سُنن الصالحين ، من الزهد ، والانقباض . وعدم المبالاة بالملبس والمطعم . وقال صاحبنا الفقيه أبو الحسن النُّباهي في تذييله لتاريخ مالقة : كان رجلاً ساذجاً ، مُخْشَوْتِناً ، سُنِّي المنازع ، شديد الإنكار على أهل البدع . جلس للتحليق العام بالمسجد الجامع . وأقرأ به الفقه والعربية والفرايض .

مشيخته

قال ، منهم أبو علي بن أبي الأحوص ، وأبو جعفر بن الزبير . وأبو محمد بن أبي السَّداد ، والقاضي أبو القاسم ابن السَّكوت . قال ، وأنشد للزاهد أبي اسحق بن قشوم ، قوله :

يروقك يوم العيد حسنُ ملابس
أجل لحظات الفكر منك فلا ترى
ونعمة أجسام ولين قدود
سوى خرق تبلى وطعمة دود
وأنشد لأبي عمرو الزاهد :

تختبرُ الدُّنيرَ في مَيْدِقٍ والدُّرهم الزايفُ إذ يُبْهِمُ
والمرءُ إن رُمِتْ اختباراً له مَيْدِقُهُ الدُّنيرُ والدُّرهمُ
من عَفَّ عن هذا وهذا معاً فهو التَّقِيُّ الورعُ المُسلمُ

توالياً

له تقييد حسن في الفرائض ، وجزء في تفضيل التين على التمر ،
وكلام على نوازل الفقه .
وتوفي في الكائنة العظمى بطريف^(١) .

محمد بن أحمد بن علي بن قاسم المذحجي

من أهل ملتاس^(٢) ، يكنى أبا عبد الله

حاله

من « العايد » : كان رحمه الله من سُرّة بلده وأعيانهم ، أستاذاً مُتَمَنِّناً
هُمَرياً لكتاب الله . كاتباً بليغاً ، شديد العناية بالكتب . كثير المغالاة في
قِيمِها وأَثَمِها ، حتى صار له من أغلاقها وذخايرها ، ما عجز عن تحصيـله
كثير من أهل بلده . كتب بخطّه ، وقيد كثيراً من كتب العلم . وكان

(١) سبق التعريف بهذه الموقعة (راجع المجلد الثاني من « الإحاطة » ص ١٨٠ حاشية) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . ونرجح أنها ملتاس Montemas من قرى منطقة بلش ،
على نض أمان أخرى في الأندلس الجنوبية مثل . مونتييور Montemayor ومونتي فريو Montefrio وغيرها

مُقرِّياً مجوداً ، عارفاً بالقراءات ، بصيراً بالعربية ، ثقةً ضابطاً ، مبرزاً في العدالة . حريصاً على العلم استفادةً ثم إفادةً ، لا يأنف من حمله عن أقرانه ، وانتفع به أهل بلده ، والغرباء أكثر .

مشيخته

أخذ عن طائفة من أهل العلم . منهم الشيخان الرُّحَلَتَان . أبو عبد الله ابن الكَّماذ ، وأبو جعفر بن الزيات عَظِيمَا بلده ، والخطيب ولي الله أبو عبد الله الطَّنْجَالِي ، والقاضي أبو عبد الله بن بكر . وروى عن الشيخ الوزير أبي عبد الله بن ربيع ، وابنه الراوية أبي عامر ، والخطيب الصالح أبي إسحق بن أبي العاصي . وروى عن الشيخ الراوية الرَّحَّال أبي عبد الله ابن عامر الوادي آثى وغيرهم ، ودخل غرناطة . .

مولده : ولد ببُلُش عام ثمانية وثمانين وستماية

وفاته : توفي ببُلُش عاشر شهر شعبان من عام أربعة وثلاثين وسبعماية .

محمد بن أحمد بن محمد بن علي الغسائي

من أهل مالقة ، يكنى أبا الحكم ، ويعرف بابن حفيد الأمين

حاله

من « العايد »^(١) : كان هذا الشيخ من أهل العلم والدين المتين . والجري على سُنَنِ الفقهاء المتقدمين ، عقد الشروط بالقة مدّة طويلة ، في العدول المبرزين ، وجلس للتَّحْلِيْق في المسجد الأعظم من مالقة . بعد فقد

(١) أي كتاب « عايد الصلة » .

أخيه أبي القاسم ، وخطب بمسجد مالقة الأعظم . ثم أُخِّر عن الخطبة لمشاحنة وقعت بينه وبين بعض الولاة ، أثمرت في إحنته . ولم يزل على ما كان عليه من الاجتهاد في العبادة ، والتقيد للعلم ، والاشتغال به ، والعناية بأهله ، إلى أن توفي على خير عمل .

مشيخته

قرأ على الأستاذ الخطيب أبي محمد الباهلي ، وروى عن جلّة من الشيوخ . مثل صهره الخطيب الولي أبي عبد الله الطنجالي ، وشاركه في أكثر شيوخه ، والأديب الحاج الصالح أبي القاسم القبتوري^(١) وغيرهم مولد : ولد بمالقة عام ثلاثة وسبعين وستماية .

وفاته : توفي بمالقة يوم الأربعاء الثامن عشر لذي حجة من عام تسعة وأربعين وسبعماية . ودخل غرناطة غير ما مرة مع الوفود من أهل بلده ، وفي أغراضه الخاصة

محمد بن أحمد الرقوتي^(٢) المرسي

يكنى أبا بكر

حاله

كان طرّفاً في المعرفة بالفنون القديمة ، المنطق والهندسة والعدّد والموسيقى

(١) نسبة إلى قبتور أو كيتور Captor من بلاد منطقة إشبيلية (أنظر المجلد الأول من الإحطة ص ٢١٤ حاشية) .

(٢) نسبة إلى رقوطة ، وبالإسبانية Ricate ، وهي بلدة صاردة في شرقي الأندلس . تقع على مقربة من شمال غربي مرسية على الضفة الغربية لنهر شقورة R . Segura

والطَّبِّ ، فيلسوفاً ، طبيباً ماهراً ، آية الله في المعرفة بالألسن . يُقَرَى الأُمَمُ
بِأَلْسِنَتِهِمْ ، فنونهم التي يرغبون في تعلمها ، شديد البأس ، مترفعاً . متعاطياً .
عَرَفَ طاغية الروم حقَّه ، لما تغلَّب على مرسية ، فبنى له مدرسة يُقَرَى فيها
المسلمين والنصارى واليهود ، ولم يزل معظماً عنده . ومما يحكى من ملحه
معه ، أنه قال له يوماً ، وقد أدنى منزِلته ، وأشاد بفضله ، لو تنصَّرت
وحصَّلت الكمال ، كان عندي لك كذا وكذا ، وكُنْتَ كذا ، فأجابه
بما أقنَّعه . ولما خرج من عنده ، قال لأصحابه ، أنا الآن أعْبُدُ واحداً ، وقد
عجزتُ عما يجب له ، فكيف حالى لو كنت أعبد ثلاثة كما أراد منى .
وطلبه سلطان المسلمين ، ثانى الملوك من بنى نصر^(١) ، واستقدمه ، وتلمذ
له ، وأسكنه فى أعدل البُقْع من حضرته . وكان الطلبة يَغشون منزله
المعروف له ، وهو بيدى الآن ، فتُعَلِّم عليه الطب والتعاليم وغيرها ، إذ
كان لا يُجَارَى فى ذلك . وكان قوى العارضة ، مضطَّلاً بالجدل ، وكان
السلطان يجمع بينه وبين مُنتابى حضرته ، ممن يُقدم مُنتحلاً صناعة أو
علماً ، فيظهر عليهم ، لتمكُّنه ودالَّته . حسبما يانى فى إسم أبى الحسن
الأبْدَى ، وأبى القاسم بن خَلصون إن شاء الله . وكان يركب إلى باب
السلطان ، عظيم التَّوَدَّة ، مُعار البَغْلَة ، رايق البِرَّة ، رفيق المشى ، إلى أن
توفى بها . سمح الله له .

محمد بن إبراهيم بن المُفرَّج الأوسى

المعروف بابن الدِّبَاغ الإشبيلي .

(١) هو السلطان أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف الملقب بالفقيه لئله وتقوا . وقد
حكم مملكة غرناطة من سنة ٦٧١ - ٧٠١ هـ (١٢٧٢ - ١٣٠٢ م) .

حاله

كان واحد عصره في حفظ مذهب مالك ، وفي عقد الوثائق ، ومعرفة عللها . عارفاً بالنحو واللغة والأدب والكتابة والشعر والتاريخ . وكان كثير البشاشة ، عظيم الانقباض ، طيب النفس ، جميل المعاشرة ، كثير المشاركة ، شديد التواضع ، صبوراً على المطالعة ، سهل اللفاظ في تعليمه وإقرايه . أقرأ بجامع غرناطة لأكابر علماءها ، الفقه وأصوله ، وأقرأ به الفروع والعتايد للعامة مدة . وأقرأ بجامع باب الفخارين ، وبمسجد ابن عزرة وغيره .

مشيخته

قرأ على والده الأستاذ أبي إسحق إبراهيم ، وعلى الأستاذ أبي الحسن الدباج ، وعلى القاضي أبي الوليد محمد بن الحاج التجيبي القرطبي ، وعلى القاضي أبي عبد الله بن عياض .
وفاته : توفي برُندة يوم الجمعة أول يوم من شوال عند انصراف الناس من صلاة الجمعة من عام ثمانية وستين وستماية .

محمد بن إبراهيم بن محمد الأوسي

ن أهل مرسية . نزيل غرناطة ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن الرقام الشيخ الأستاذ المتفطن

حاله

كان تسيح وحده ، وفريد دهره ، علماً بالحساب والهندسة والطب

والهيئة ، وغير ذلك . مديدُ الباع . أصيل المعرفة . مضطّلعاً . متبحراً
لا يُشَقَّ غبارة . أقرأ التعاليم والطب والأصول بغرناطة لما استقدمه السلطان
ثاني الملوك من بنى نصر من مدينة بجاية ، فانتفع الناس به . وأوضح
المشكلات ، وسُيِّلَ من الأقطار النازحة في الأوهام العارضة ، ودوّن في هذه
الفنون كلها ، ولخص ، ولم يفتر من تقييد وشرح وتلخيص وتدوين

توالييفه

وتوالييفه كثيرة ، منها كتابه الكبير على طريقة كتاب « الشفا » ،
والزيج القويم الغريب المرصد ، المبنيّة رسايله على جداول ابن إسحق ،
وعدّل مناخ الأهلّة ، وعليه كان العمل . وقيد أبكار الأفكار في الأصول ،
ولخص المباحث ، وكتاب الحيوان والخواص . ومقالاته كثيرة جداً ،
ودواوينه عديدة .

وفاته : توفي عن سن * عالية بغرناطة في الحادى والعشرين لصفر من عام
خمسة عشر وسبع مائة

محمد بن جعفر بن أحمد بن خلف بن حميد^(١)

ابن مأمون^(٢) الأنصارى

ونسبه أبو محمد القرطبي ، أمويّاً من صريحيهم . بكنى الأصل .
يكنى أبا عبد الله

(١) وردت في الإسكوريال إلى جانب هذا الإسم كلمة (مكبرا)

(٢) وردت في الإسكوريال (ابن مانون) ، ونرجح التصويب .

حاله

كان صَدْرًا في مُتَمَيِّنِي الْقُرْآن الْعَظِيم . وَأَيَّامَهُ تَجْوِيدُهُ ، مَبْرُزًا فِي النَّحْوِ ،
إِمَامًا مَعْتَمَدًا عَلَيْهِ ، بَارِعَ الْأَدَبِ ، وَافِرَ الْحِظِّ مِنَ الْبَلَاغَةِ ، وَالتَّصَرُّفِ
الْبَدِيعِ فِي الْكِتَابَةِ ، طَيِّبَ الْإِمْتِنَاعِ بِمَا يورده من الفنون ، كَرِيمَ الْأَخْلَاقِ ،
حَسَنَ السَّمَةِ ، كَثِيرَ الْبِشْرِ ، وَقَوْرًا ، دِينًا ، عَارِفًا ، وَرِعًا ، وَافِرَ الْحِظِّ
من رواية الحديث

مشيخته

روى عن أَبِي إِسْحَاقَ بْنِ صَالِحٍ ، وَأَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي رَكْبٍ ، وَأَبِي جَعْفَرَ
ابْنِ ثَعْبَانَ ، وَأَبِي الْحَجَّاجِ التَّمَقَّالِ ، وَأَبِي الْحَسَنِ شُرَيْحٍ ، وَأَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْحَقِّ
ابْنَ عَطِيَّةٍ ، وَأَبِي الْحَسَنِ بْنِ ثَابِتٍ ، وَأَبِي الْحَسَنِ بْنِ هُذَيْلٍ ، وَتَلَا عَلَيْهِ
بِالسَّبْعِ ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَذْحِجِيِّ الْغَرْنَاطِيُّ ، وَابْنُ فَرَحٍ
الْقَيْسِيُّ ، وَأَبِي الْقَاسِمِ خَلْفَ بْنِ فُرْتُوتٍ . وَلَمْ يَذْكُرْ أَنَّهُمْ أَجَازُوا لَهُ . وَكَتَبَ
لَهُ أَبُو بَكْرٍ^(١) عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ سُدَيْرٍ ، وَابْنُ الْعَزْفِيِّ ، وَابْنُ قَنْدَلَةَ ،
خُأَبُو^(١) الْحَسَنِ طَارِقَ بْنِ مُوسَى ، وَابْنُ مُوَهَّبٍ ، وَيُونُسُ بْنُ مُغِيثٍ ،
وَأَبُو جَعْفَرَ بْنِ أَيُّوبَ ، وَأَبُو الْحَكَمِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ غَشْيَانَ ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ
الْجَيَّانِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالْبَغْدَادِيِّ . وَذَكَرَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ يَرْبُوعٍ أَنَّ لَهُ رَاوِيَةً عَنْ
أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الطَّرَاوَةِ

من روى عنه

روى عنه أَبُو بَحْرٍ صَفْوَانُ بْنُ إِدْرِيسٍ . وَأَبُو بَكْرٍ بْنُ عَتِيقٍ الْأَزْدِيُّ
وَابْنُ قَتْرَالٍ . وَأَبُو جَعْفَرَ الْجَيَّارِ ، وَالذَّهَبِيُّ . وَابْنُ عَمِيرَةَ الشَّهِيدِ ،

(١) وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ (أَبَا ثَم) فَابَا (فَاقْتَضَى التَّصْوِيبَ .

وَأَبُو الْحَسَنِ بْنِ عَزْمُونٍ ، وَابْنُ عَبْدِ الرَّزَاقِ ، وَأَبُو الْحَسَنِ عَمِيدُ اللَّهِ بْنِ عَاصِمِ الدَّارِيِّ ، وَأَبُو الرَّبِيعِ بْنِ سَالِمٍ ، وَأَبُو زَكْرِيَا الْجَعْفَرِيُّ ، وَأَبُو سَلِيمَانَ ابْنَ حَوْطِ اللَّهِ ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْدَلُسِيِّ ، وَابْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مَجْبَرٍ ، وَابْنُ إِبْرَاهِيمَ الرَّيْسِيِّ ، وَابْنُ صُلَيْتَانَ ، وَابْنُ عَبْدِ الْحَقِّ التَّلْمُسَانِيِّ ، وَابْنُ يَرْبُوعٍ ، وَأَبُو الْعَبَّاسِ الْعَزَنِيِّ ، وَأَبُو عُثْمَانَ سَعْدِ الْحَفَّارِ ، وَأَبُو عَلِيٍّ عَمْرِ بْنِ جَمِيعٍ ، وَأَبُو عَمْرَانَ بْنِ إِسْحَاقَ ، وَأَبُو الْقَاسِمِ الطَّيِّبِ بْنِ هَرْقَالٍ ، وَعَبْدُ الرَّحِيمِ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ قَرِيْشِ الْمَلَّاحِيِّ ، وَأَبُو مُحَمَّدِ بْنِ دُلْفِ بْنِ الْيُسْرِ ، وَأَبُو الْوَلِيدِ ابْنُ الْحُجَّاجِ .

توالميسفه

له شرح على « إيضاح الفارسي » ، وآخر على « جُمَلُ الزَّجَّاجِي »

مولده : ببلنسية سنة ثلاث عشرة وخمسمائة

وفاته : توفي بمرسية إثر صدره عن غرناطة عشي يوم السبت لثلاث

عشرة بقيت من جمادى الأولى سنة ست وثمانين وخمسمائة

محمد بن حَكَمٍ بن محمد بن أحمد بن باق الجذامي

من أهل سَرْقِسطة . سكن غرناطة ثم فاس . يكنى أبا جعفر

حاله

كَانَ مُقْرِئاً مَحَوِّدًا مُحَقِّقًا بَعْلَمَ الْكَلَامَ وَأَصُولَ الْفِقْهِ . مُحَقِّقًا لِمَا

مَتَقَدِّمًا فِي النُّحُو . حَافِظًا لِللُّغَةِ ، حَاضِرَ الذِّكْرِ لِأَقْوَالِ تِلْكَ الْعُلُومِ . جَيِّدٌ

الخطير . متوقّد الذّهن . ذكّي القلب . فصيح اللسان . ولى أحكام فاس
وافقى فيها ، ودرّس بها العربية . كتاب سيبويه وغير ذلك

مُشِيخَتُهُ

روى عن أبي الأَصْبَغ بن سهل ، وأبوى الحسن الحضرمي ، وابن سابق ،
وأبي جعفر بن جرّاح . وأبي ذالِب السَّرْفُسطى ، الأديبين ، وأبوى عبد الله
ابن نصر . وابن يحيى بن هشام المحدث ، وأبي العباس الدلائى ، وأبي
عبيد الله البكرى ، وأبي عُمر أحمد بن مروان القَيْرَوانى ، وأبي محمد
ابن قورش ، وأبي مروان بن سراج . وأجاز له أبو الوليد الباجى رحمه الله .

من روى عنه

روى عنه أبو إسحق بن قرقول ، وأبو الحسن صالح بن خلف ،
وأبو عبد الله بن حسن السَّبْتى ، وأبو الحسن الأَبْدى ، وتوفى قبله ،
وابن خلف بن الأيَّسر ، والنَّميرى ، وأبو العباس بن عبد الرحمن
ابن الصَّغَر ، وأبو على حسن بن الجزَّار ، وأبو الفضل بن هرون الأَزْدى ،
وأبو محمد عبد الحق بن بُونه ، وقاسم بن دَحْمان . وأبو مروان بن الصَّمِيل
الوَقَّشَى (١)

توَالِيْفُهُ

شرح « إيفساح الفارسى » . وكان قيماً على كتابه ، وصنّف فى الجدل
مُصَنَّفَيْن ، كبيراً ، صغيراً . وله عقيدة حيدة
وفاته . توفى بفاس . وفيل بتامسان سنة ثلاث وثلاثين وخميس مائة (٢)

(١) هكذا ورد فى الإسناد . ورد فى حدادى . لسان قصص . (٢) نسأله إلى وشقه .
(٣) ورد فى « جذوة القهباس » أن وفاته كانت بتامسان .

محمد بن حسن بن محمد بن عبد الله بن خلف بن يوسف ابن خلف الأنصاري

من أهل مالقة . يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن الحاج . ويا ابن صاحب الصلاة .

حاله

كان مُقْرِئاً صَدْرًا في أَيْمَةِ التَّجْوِيد ، محدثاً مُتَقَنّاً ضابطاً ، نبيل الخطِّ والتقييد ، ديناً ، فاضلاً . وصنّف في الحديث ، وخطب بجامع بلده . وأمّ في الفريضة زماناً ، واستمرت حاله كذلك ، من نشر العلم وبثه إلى أن كرمه الله بالشهادة في وقعة العقاب^(١) .

دخوله غرناطة ، راوياً عن ابن الفرس ، وابن عروس ، وغيرهما

مشيخته

روى بالأندلس عن الحجاج ابن الشيخ ، وأبي الحسن بن كوشر ، وأبي خالد يزيد بن رفاعه ، وأكثر عنه ، وأبوى عبد الله بن عروس ، وابن الفخار ، وأبي محمد بن حوط الله ، وعبد الحق بن بونه ، وعبد الصمد ابن يعيش ، وعبد المنعم بن الفرس ، وأجازوا له . وتلا القرآن على أبي عبد الله الاستجعي . وروى الحديث عن أبي جعفر الحصار . وحجّ في نحو

(١) موقعة العقاب وبالإسبانية Las Navas de Tolosa ، نشبت في شهر صفر سنة ١٠٨٤ ، بين الجيوش الإسبانية المتحدة ، وبين الجيوش الموحدية وسبق التعريف بها (راجع المجلد الثاني من الإحاطة ص ٢٢٩ حاشية) .

سنة ثمانين وخمسمائة . وأخذ عن جماعة من أهل المشرق ، كأبي الطاهر الخشوعي وغيره
وفاته : توفي شهيداً محرّضاً صابراً يوم الاثنين منتصف صفر عام
تسعة وستماية

محمد بن محمد بن أحمد بن علي الأنصاري

يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن قيرال ، من أهل مالقة

حاله

طالبٌ عفيف مجتهدٌ خيرٌ . قرأ بغرناطة ، وقام على فنّ العربية قياماً بالغاً ، وشارك في غيره ، وانتسخ الكثير من الدواوين بخط بالغ أقصى مبالغ الإجادة والحسن ، وانتقل إلى مالقة فأقرأ بها العربية ، واقتدى بصهره الصالح أبي عبد الله القطان ، فكان من أهل الصلاح والفضل . وتوفي في محرم عام خمسين وسبعماية .

محمد بن محمد بن إدريس بن مالك بن عبد الواحد بن عبد الملك

ابن محمد بن سعيد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الله القضاعي

من أهل إسطبونة^(١) ، يكنى أبا بكر ، ويعرف بالقللوسي

حاله

كان رحمه الله إماماً في العربية والعروض والقوافي ، موصوفاً بذلك .

(١) إسطبونة أو إشتوند وبالاسبانية Estepona ثغر صغير يقع على شاطئ البحر المتوسط ، جنوبي غربي مالقة ، وشمالى جبل طارق ، على مقربة من ثغر مربلة .

مَنْسُوباً إِلَيْهِ ، يَحْفَظُ الْكَثِيرَ مِنْ كِتَابِ سَيْبُويَةٍ ، وَلَا يَفَارِقُهُ بَيَاضُ يَوْمِهِ ، شَدِيدُ التَّعَصُّبِ لَهُ ، مَعَ خِفَّةٍ وَطِيشٍ يَحْمِلُهُ عَلَى التَّوَعُّلِ فِي ذَلِكَ . حَدَّثَنِي شَيْخُنَا أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْجِيَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ ، قَالَ ، وَقَفَ أَبُو بَكْرٍ الْقَلْلُوسِيُّ يَوْمًا عَلَى الْقَاضِي أَبِي عَمْرٍو بْنِ الرَّئْدُونَ ، وَكَانَ شَدِيدَ الْوَقَارِ ، مَهْمِبًا ، وَتَكَلَّمَ فِي مَسْأَلَةٍ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ ، نَقَلَهَا عَنْ سَيْبُويَةٍ ، فَقَالَ الْقَاضِي أَبُو عَمْرٍو : أَخْطَأَ سَيْبُويَةٍ . فَأَصَابَ أَبَا بَكْرٍ الْقَلْلُوسِيَّ قَلَقٌ كَادَ يَلْبِطُ بِهِ الْأَرْضَ ، وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى جَوَابِهِ بِمَا يَشْفِي بِهِ صَدْرَهُ لِمَكَانِ رُتْبَتِهِ ، قَالَ ، فَكَانَ يَدُورُ بِالْمَسْجِدِ ، وَالْدُمُوعُ تَنْحَدِرُ عَلَى وَجْهِهِ ، وَهُوَ يَقُولُ أَخْطَأَ مِنْ خَطِّئِهِ ، يَكْرُرُهَا وَالْقَاضِي أَبُو عَمْرٍو يَتَغَافَلُ عَنْهُ ، وَيَزُرِّي عَلَيْهِ . وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ . مَشَارِكًا فِي فَنُونِ ، مِنْ فَقْهِ وَقَرَاءَاتٍ . وَفَرَايِضَ ، مِنْ أَعْلَامِ الْحُفَاطِ لِللُّغَةِ ، حُجَّةً فِي الْعُرُوضِ وَالْقَوَافِي ، يُخَطِّطُ بِالْقَافِي عِنْدَ ذِكْرِهِ فِي الْكُتُبِ . وَلَهُ فِي ذَلِكَ تَوَالِيفٌ بَدِيعَةٌ . وَوُلِّيَ الْخُطَابَةَ بِبَلَدِهِ مَدَّةً ، وَقَعَدَ لِلتَّدْرِيسِ بِهِ ، وَانْثَالَ عَلَيْهِ النَّاسُ وَأَخَذُوا عَنْهُ . وَنَسَخَ بِيَدِهِ الْكَثِيرَ وَقَيَّدَ ، وَكَانَ يَقْطُرُهُ عِلْمًا مِنْ أَعْلَامِ الْفَضْلِ وَالْإِيثَارِ وَالْمَشَارَكَةِ

توَالِيفُهُ

نَظَمَ رَجَزًا شَهِيرًا فِي الْفَرَايِضِ عِلْمًا وَعَمَلًا ، وَنَظَمَ فِي الْعُرُوضِ وَالْقَوَافِي وَأَلَّفَ كِتَابَ « الدَّرَّةُ الْمَكْنُونَةُ فِي مُحَاسِنِ إِسْطَبُونَةِ » ، وَأَلَّفَ تَأْلِيفًا حَسَنًا فِي تَرْحِيلِ الشَّمْسِ ، وَسُوسَطَاتِ الْفَجْرِ ، وَمَعْرِفَةِ الْأَوْقَاتِ ، وَنَظَمَ أَرْجُوزَةً فِي شَرْحِ مَلَاَحِنِ ابْنِ دُرَيْدٍ ، وَأَرْجُوزَةً فِي شَرْحِ كِتَابِ « الْفَصِيحِ » . وَرَفَعَ لِلْوَزِيرِ ابْنِ الْحَكِيمِ كِتَابًا فِي الْخَوَاصِ وَصَنَعَةَ الْأَمَدَةِ وَالتَّطْبَعِ الشَّابِ . غَرِيبًا فِي مَعْنَاهِ

مشيخته

قرأ على الأستاذ أبي الحسن بن أبي الربيع ، ولازمه ، وأخذ عنه . وعن
أبي القاسم بن الحصار الضرير السبتي ، وعلى الأستاذ أبي جعفر بن الزبير
بغرناطة ، وغيرهم .

شعره

من شعره قوله من قصيدة يمدح ابن الحكيم :

عُلاه رياض أورقت بمحامد تُنور بالجدوى وتثمر بالأمل
تسبح عليها من نداه غمامة تروى ثرى المعروف بالعل والنيل
وهل هو إلا الشمس نفساً ورفعة فيغرب بالجدوى ويبعد بالأمل
تعم أياديه البرية كلها فدان وقاصي جود كفيه قد شمل

وهي طويلة . ونقلت من خط صاحبنا أبي الحسن النباهي . قال يمدح
أبا عبد الله الرنداحي :

أطلع بأفق الراح كاس الراح وصل الزمان مساءه بصباح
خذها على رغم العذول مدامة تنفى الهموم وتأت بالأفراح
والأرض قد لبست برود أزاهر وتمنطقت من نهريها بوشاح
والجو إذ يبكي بدمع غمامة ضحك الربيع له بشعر أقحاح
والروض مرقم بوشى أزاهر والطير يفصح أيما إفصاح
والغصن من طرب يميل كأنما سقيت بكف الريح كائن الراح
والورد منتظم على أغصانه يبدو فتحسبه خلدود ملاح
وكأن عرف الريح من زهر الربى عرف امتداح القاييد الرنداح

وفاته : ببلده عصر يوم الجمعة الثامن عشر لرجب الفرد سنة سبع وسبعماية

محمد بن محمد بن محارب الصّريحي

من أهل مالقة . يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن أبي الجيش

حاله وأولّيته

أصل سلفه من حصن يُسر من عمل مُرسية ، من بيت حَسَبٍ وأصالة ،
ولخؤولته بالجهة التاكرونية ثورة

وقلت فيه في « عايد الصلة » : كان من صدور المُقربين ، وأعلام
الْمُتَصَدِّرين تَفَنُّناً واضطّلاعاً ، وإدراكاً ، ونظراً . إماماً في الفرائض والحساب
قايماً على العربية ، مُشاركاً في الفقه والأصول ، وكثير من العلوم العقلية .
قعد للإقراء بمالقة ، وخطب بجامع الرَبَض

مشيخته

قرأ على الأستاذ القاضي الْمُتَفَنَّيْن أبي عبد الله بن بكر ، ولازمه . ثم
ساء ما بينهما في مسألة وقعت بمالقة ، وهي تجويز الخُلف في وَعْد الله ،
شَنَعَ فيها على شيخنا المذكور ، ونَسَبَهُ إلى أن قال ، وَعُدَّ الله ليس بالازم
الصَّدق ، بل يجوز فيه الخُلف . إذ الأشياء في حقه متساوية ، وكتب في
ذلك أسئلة^(١) للعلماء بالمغرب ، فقاطعه وهَجَرَهُ . ولَمَّا وُلِّيَ القاضي أبو
عبد الله بن بكر القضاء ، خافه ، فوجَّه عنه إثر ولايته ، فلم يشك في

(١) وردت في الإسكوريال (أسولة) فاقتضى التصويب .

الشر ، فلما دخل عليه ، رَحَّبَ به ، وأظهر له القَبُولَ عليه ، والعفو عنه ،
واستأنف مودَّتَه ، فكانت تُعَدُّ في مآثر القاضي رحمه الله
ورحل المذكور إلى سَبْتَه ، فقرأ بها على الأستاذ أبي إسحق الغافقي ، ومن
عاصره ، ثم عاد إلى مالقة ، فالتزم التدريس بها إلى حين وفاته

دخوله غرناطة

دخل غرناطة مرات ، متعلِّماً ، وطالب حاج . ودُعِيَ إلى الإقراء بمدرستها
النَّصْرِيَّة^(١) ، عام تسعة وأربعين وسبع مائة ، فقدم على الباب السلطاني ،
واعترض بما قُبِلَ فيه عُذْرُه . وكان قد شرع في تقييد مفيد على كتاب
« التسهيل »^(٢) لابن مالك . في غاية النبل والاستيفاء والحُضْر والتَّوجِيه ،
عاقته المنية عن إتمامه .

وفاته : توفي بمالقة في كاينة الطاعون الأعظم^(٣) في أخريات ربيع الآخر
من عام خمسين وسبع مائة ، بعد أن تصدق بمال كثير ، وعهد بريع مُجد
لطلبة العلم ، وحبس عليهم كتبه

محمد بن محمد بن بُب الكِنَانِي

من أهل مالقة ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن بُب

(١) المدرسة النصيرية أو مدرسة أو جامعة غرناطة ، هي المدرسة الشهيرة التي أسَّسها سلطان
يوسف أبو الحجاج ، في سنة ٧٥٠ هـ (١٣٤٩ م) . وقد سبق التعريف بها (أنظر ص ٣٦ من هذا
المجلد من الإحاطة) .

(٢) هو كتاب « تسهيل الفوائد وتكامل المقاصد » في النحو للعامة النحوي الكبير ابن مالك
الحنلي ، صاحبة الألفية الشهيرة . المتوفى سنة ٦٧٢ هـ .

(٣) الطاعون الأعظم أو الوباء الجارف هو الوباء العظيم الذي طاف بـمشرق وأوروبا والأندلس
سنة ٧٤٩ هـ (١٣٤٨ م) وقد كتب عنه بن الخطيب رسالة ، مقنعة لسائل عن المرض أصائل « وقد
أشرد إليهم في المجلد الأول من الإحاطة (ص ٦٨) .

حاله

كان ذاكرًا للعلوم القديمة . مُعْنِيًا بها . عاكفًا عليها . مُتَقَدِّمًا في علمها على أهل وقته . لم يكن يشاركه أحد في معرفتها ، من الرياضيات والطبيعات والآليات . ذاكرًا لمذاهب القدماء . ومآخذهم في ذلك . حافظًا جدًّا ، ذاكرًا لمذاهب المتكلمين . من الأشعرية وغيرهم ، إلا أنه يوتر ما غلب عليه من مآخذ خصومهم . وكان نفوذه في فهمه ، دون نفوذه في حفظه ، فكان مُعْتَمِدَه على حفظه في إيرادهِ ومناظرته ، وكان ذاكرًا مع ذلك لأصول الفقه وفروعه . عَجَبًا في ذلك ، إذا وَرَدَتْ مسألة ، أورد ما للناس فيها من المذاهب . وعزم عليه آخر عمره ، فقعد بجامع مالقة ، يتكلم على الموطأ ، وما كان من قبل تهيأً لذلك ، إلا أنه سَتَرَ عليه حفظه ، وتعظيمُ أهل بلده له . قال ابن الزبير ، وكانت فيه لَوَثَّةٌ ، واخشيَشان ، وكان له أربُّ في التَّطَوُّافِ ، وخصوصاً بآرض النصارى^(١) ، يتكلم مع الأساقفة في الدين ، فيظهر عليهم ، وكانت أموره غريبة ، من امتزاج اليَقَظَةِ بالغَفَلَةِ ، وخلط السَّدَاجَةِ بالدُّعَابَةِ . يحكى عنه أنه كانت له شجرة تين بداره بمالقة ، فباع ما عليها من أحد أهل السوق ، فلما همَّ بجمعها ، ذهب ليمهد للتَّينِ بالورق في الوعاء ، فمنعه من ذلك ، وقال له إنما اشتريت التين . ولم تَدْخُلِ الورق في البيع ، فتعب ذلك المشتري ما شاء الله ، وجَلَبَ ورقًا من غيرها ، حتى انقضى الأمر ، وعزم على معاملته في السنة الثانية . فأول ما اشترط الورق ، فلما فرغ من الغلَّةِ ، دعاه فقال له ، احمل ورقك ، فإنه يؤذيني ، فأصابه من المشقة في جَمْعِهِ من أطراف

(١) وردت في الإسكوريال (النصرى) ، وبالتصويب يستقيم المعنى والسياق .

الغصون ما لم يكن يَحْسَب ، ولم تات السنة الثالثة ، إلا وللرجل فقيه ،
اشترط مقدار الكفاية من الورق ، فسامحه ورفق به .

دخل غرناطة وغيرها ، وأخبره عجيبة . قال أبو جعفر بن الزبير :
عرّض لي بمالقة مسایل ، يرجع بعضها إلى الطريقة البيانية ، والمآخذ الأدبية ،
وضحت ضرورة إلى الأخذ معه فيها ، وفي آيات من الكتاب العزيز ،
فاستدعيته إلى منزلي ، وكان فيه تخلّق ، وحسن ملاقة . مع خفته الطبيعية
وتشتت منازعه ، فأجاب ، وأخذت معه في ذلك ، فالفيتته صائماً عن ذلك
جملة .

وصمته

قال ، وكان القاضي الجليل ، أبو القاسم بن ربيع ، وأخوه أبو الحسن
ينافران على الإطلاق ، ويجذران منه ، وهو كان الظاهر من حاله . قال ،
واستدعاني في مرض اشتدّ به ، قبل خروجي من مالقة على انفراد ، فتنصّل
لي مما كان يُذَنُّ^(١) به ، وأكثر البكاء ، حتى رثيت له .

وفاته : توفي بمالقة ، ووصي قبل موته بوصايا من ماله . في صدقات
وأشباهاها ، وحبس داره وطايفة من كتبه على الجامع الكبير بمالقة .

محمد بن محمد البدوي

الخطيب بالرّبض من بلّش ، يكنى أبا عبد الله

حاله

من « العايد » : كان رحمه الله حسن التّلاوة لكتاب الله ، ذا قدّم في

(١) يذن هنا بمعنى يوصم ويتهم من (الذنن) وهو القذر

الفقه ، له معرفة بالأصلين ، شاعراً مُجيداً ، بصيراً ، بليغاً في خطبته ،
 حسن الوعظ ، سريع الدُّمعة . حجّ ولقى جُلَّةً . وأقرأ ببِلَّاش زماناً ، وانتفع
 به ، ولقى شعايد ، أصلها الحمد

مُشِيخَتُهُ

قرأ العِلْم على الشَّيْخَيْن السُّقْرِيَّيْن ، الحُجَّتَيْن ، أَبِي جَعْفَرِ بْنِ الزِّيَّاتِ ،
 وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْكَمَّادِ ، وقرأ العربية والأصلين ، على الأستاذ أَبِي عمرو
 ابن مَنْظُور ، ولازمه وانتفع به ، وقرأ الفقه على الشيخ القاضي أَبِي عَبْدِ اللَّهِ
 ابن عبد السَّلَام بمدينة تونس .

شعره

من شعره قوله في غرض النسيب :

وَلَوْلُوْكَ تَغْرُكُ أَمْ جَوْهَر	خَالَ عَلَى خَدِّكَ أَمْ عَنَبَر
فصارت النَّارُ بِهِ تَسْعَر	أَوْرَيْتَ نَارَ الْوَجْدِ طَيَّ الْحِشَا
لَقَلْتُ خَمْرَ عَسَلٍ سَكَّر	لَوْ جُدْتُ لِي مِنْكَ بَرَشْفُ اللَّمَّا
سَفَكَ دَمَ الْعَاشِقِ لَا يُنْكَر	دَعْنِي فِي الْحُبِّ أَذْبُ حَسْرَةً

وقال :

ووردُ خَدِّكَ يُذَكِّي فِي الْحِشَا نَارَا	عَيْنَايَ تَفْهَمُ مِنْ عَيْنَيْكَ أَسْرَارَا
قَدْ أَثَّرَ الدَّمْعُ فِي خَدِّيهِ آثَارَا	مَلَكَتْ قَلْبَ مُحِبٍّ فِيكَ مُكْتَنِبٍ
يَا لَيْتَ نَفْسِي تَقْضِي مِنْهُ أَوْطَارَا	رُضَابُ تَغْرُكِ يَرَوِي حَرَّ غُلَّتْهُ
مَاذَا عَلَيْكَ بِطَيْفٍ مِنْكَ لَوْ زَارَا	أَنْعِمَ بِطَيْفٍ خِيَالٍ مِنْكَ أَلْمَحُ
يَصْبُو لَهُ الْقَلْبُ مَضْطَرًا وَمُخْتَارَا	نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ ظَبْنِي بِهِ كَلَفُ

وقال :

أَيُّهَا الظُّبَى تَرَفَّنْ بِكَيْبٍ قَدْ هَلَكَ
أَلَذَنْبٍ تَتَجَنَّى أَمْ لَشَيْءٍ يُرْصَلُكَ
إِنَّ رُوحِي لَكَ بِمَلِكُ وَكَذَا قَلْبِي لَكَ
إِنَّمَا أَنْتَ هِلَالٌ فَلَكَ الْقَلْبُ فَلَكَ

ومن مجموع نظمه ونثره ما خاطبني به ، وقد طلبتُ من أدبه لبعض ما صدر عني من المجموعات : « يا سيدى أبقاك الله بهجةً للأعيان الفضلاء ، وحجةً لأعلام العلاء ، ولا زلت تسير فوق النسر ، وتجرى في الفضائل على كرم النجر . ذكر لي فلان أنك أردتم أن يرد على كمالكم ، بعض المهديان ، الصادر عن معظم جلالكم ، فأكبرت ذلك ، ورأيتني لست هنالك ، وعجبت أن ينظم مع الدر السبع ، أو يضارع العمش الدعج . بيد أن لنظم الدر صناع ، والحديث قد يذاع ، ولا يضاع ، وحين اعتذرت له فلم يعذرني ، وانتظرته فلم ينظرني ، بعد أن استعفيته فأبى ، واستنهضت جواد الإجابة فكبي ، وسلك غير طريقي ، ولم يبلغني ريقى ، وقيت الغرض ، وقضيت من إجابته الحق المفترض ، ورددت عن تعذاله النصيح ، وأثبت هنا ما معناه صحيح ، ولفظه غير فصيح :

بريتُ من حولي ومن قوتي بحول من لا حول إلا له
رثقتُ بالخالق فهو الذي يدبّر العبد وأفعاله

وقلت بالحرم عند الملتزم من المنظوم في مثل ذلك :

أمولاي بالسباب ذو فاقة وهذا يحط خطايا الأمم
فجذ لي بعفوك عن زلتى بجود الكريم بقدر الكرم

وما أعددت له للوفادة على خير من عُقِدَتْ عليه أَلَوِيَّةُ السِّيَادَةِ :

حَمَدْتُ إِلَيْكَ مَعَ الصَّبَاحِ سُورَاهَا وَأَتَتَكَ تَطَلُّبٌ مِنْ نَدَاكَ قِرَاهَا
وَسَرَتْ إِلَيْكَ مَعَ النَّسِيمِ بَيْنُهَا شَوْقًا يَسَابِقُ فِي السُّرَى يُسْرَاهَا

ولولا العَجَرُ لوصلتُ ، والعدو لأَطلتُ ، لكن ثَنَيْتُ عَنَانِي لثَنَائِكَ «
لِحُسْنِ اعْتِنَائِكَ ، وقلتُ معذراً من الصُّورَةِ لمجدكم ، وتالياً سورة حمدكم :

المجد تخبر عن صِدْقِ مَآثِرِهِ وَنَظُمُ المجد فِي العُلَيَاءِ نَآئِرُهُ
وَالجُودُ إِنَّ جَدَّ جَدُّ المَرءِ يُنْجِدُهُ وَقَلَمًا ثَمَّ فِي الأَيَّامِ ذَاكِرُهُ
مَنْ نَالَ مَا نِلْتَ مِنْ مَجْدٍ وَمِنْ شَرَفٍ فَلَيْسَ فِي النَّاسِ شَخْصٌ يُنَازِرُهُ
يَا سَيِّدَا طَابَ فِي العُلَيَاءِ مَحْتَدُهُ مَا جَدَا رَسَخَتْ فِيهِ أَوَاصِرُهُ
سَرَيْتَ فِي الْفَضْلِ مُسْتَنًا عَلَى سَنَّ فِي الْفَضْلِ مَارِبُهُ حَقًّا وَسَامِرُهُ
وَرِثْتَهُ عَنْ كَبِيرٍ أَوْحَدٍ عِلْمِهِ كَذَلِكَ يَحْمِلُهُ أَيْضًا أَكَابِرُهُ
مُبَارَكُ الْوَجْهِ وَضَّاحُ الْجَبِينِ لَهُ نُورٌ يُنِيرُ أَغْرُ النُّورِ بَاهِرُهُ
مُوفِّقٌ بِكَفَيْلٍ مِنْ عَنَانِيهِ مُرَفِّعُ الْعُدْرِ سَامِي الذِّكْرِ طَاهِرُهُ
رَعَيْتَ فِي الْفَضْلِ حَقَّ الْفَضْلِ مُجْتَهِدًا مَفْهُومُ مَجْدِكَ هَذَا الْحَكْمُ ظَاهِرُهُ
عَلَوْتُ كَالشَّمْسِ إِشْرَاقًا وَمَنْزَلَةً فَأَنْتَ كَالْغَيْثِ يُخْبِي الْأَرْضَ مَاطِرُهُ
يَنْتَمُ بِالْفَضْلِ مِنْكَ الْفَضْلُ مُشْتَهَرًا كَمَا يَنْتَمُ بِزَهْرِ الرُّوضِ عَاطِرُهُ
دُمُ وَابِقٍ لِلْمَجْدِ كَهْفًا وَالْعُلَا وَزَرًا^(١) فَإِنَّمَا الْمَجْدُ شَخْصٌ أَنْتَ نَازِرُهُ
مُؤَمِّلًا مِنْكَ خَيْرًا أَنْتَ صَانِعُهُ وَصَانِعُ الْخَيْرِ عِنْدَ اللَّهِ شَاكِرُهُ
وَمَا وَلَّيْتُ وَمَا أَوْلَيْتُ مِنْ حَسَنِ فَلِلنَّاسِ وَالْعَالَمِ الْعُلُوِّ ذَاكِرُهُ
بَقِيَّتَ تَكْسِبُ مِنَ الْإِلَهِ مَكْرَمَةً وَنَاصِرًا أَبَدًا مِنْ قَلِّ نَاصِرُهُ

(١) الوزر هو الحبل المنيع أو الملجأ والمعتم .

عذراً لك الفضيل عما جيت من خطي أن يُخطِ مثلي يوماً أنت عاذره
ثم السلام على عليك من رجل تُهدى الذي يخفى ضمائره
دخوله غرناطة : دخلها غير ما مرة ، ولقيته بها لتقضي بعض أغراض
بباب السلطان ، مما يليق بمثله .
مولده : (١)

وفاته : توفي ببليش في أخريات عام خمسين وسبعماية .

محمد بن عبد الله بن ميمون بن إدريس بن محمد
ابن عبد الله البغدادي

قرطبي ، استوطن مدينة مراکش ، يكنى أباً بكر .

حاله

كان عالماً بالقراءات ، ذا كراً للتفسير ، حافظاً للفقهاء واللغات والأدب ،
شاعراً مُحَسِّناً ، كاتباً بليغاً ، مبرزاً في النحو ، جميل العشرة ، حسن الخلق ،
متراضعاً ، فكاهة المحاضرة ، مليح المداعبة . وصنف في غير ما فن من العلم
وكلامه كثير مدون ، نظماً ونثراً .

مشيخته

روى عن أبي بكر بن العربي ، وأبي الحسن شربج - وعبد الرحمن بن
أبي بقي ، وأبي الباذش ، ويونس بن مغيث ، وأبي عبد الله بن الحاج -
وأبي محمد بن عتاب . وأبي الوليد بن رشد ، ولا زمه عشرين سنة . قرأ

(١) بياض في الأصل .

عليهم وسمع ، وأجازوا له ، وسمع أبا بَحر الأسدي ، وأبوى بكر عيَّاش
ابن عبد الملك ، وابن أبي ركب ، وأبا جعفر بن سنانج (١) ، وأبا الحسن
عبد الجليل ، وأبا عبد الله بن خلف الأيسري ، وابن المناصف ، وابن أخت
غانم ، ولم يذكر أنهم أجازوا له ، وروى أيضاً عن أبوى عبد الله مكِّي ،
وابن المعمر ، وأبي الوليد بن طريف .

من روى عنه : روى عنه أبو البقاء يعيش بن القديم ، وأبو الحسن
ابن مؤمن ، وأبو زكريا المرجعي ، وأبو يحيى أبو بكر الضرير واختص به .

تواليـفه

من مُصنِّفاته « مَشَاوِدُ الْأَفْكَارِ فِي مَاتَخِذِ النَّظَارِ » وشرحاه الكبير والصغير
على « جُمْلُ الزَّجَاجِي » ، وشرح أبيات الإيضاح العُصْدِي ، « ومقامات
الحريري » ، وشرح مُعْشَرَاتِهِ الْغَزَلِيَّةَ ، ومُكَفَّرَاتِهِ الزَّهْدِيَّةَ ، إلى غير ذلك ،
وهما مما أبان عن وفور علمه ، وغزارة مادته ، واتساع معارفه . وحسن
تصرفه .

دخل غرناطة راوياً عن الحسن بن الباذهن ومثله .

محتـنه

كان يحضر مجلس عبد المؤمن (٢) مع أكابر من يحضره من العلماء ،
فيشِفُّ على أكثرهم بما كان لديه من التحقيق بالمعارف . إلى أن أنشد

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وقد تكون صحتها (شانهج) ، وهو تعريب لاسم ملوك
إسبانيا المشهور (سانشو) Sancho . وربما كان هذا العالم من طائفة المولدين (أى مسلمي
الإسبان) .

(٢) هو الخليفة عبد المؤمن بن علي ، أول خلفاء الدولة الموحدية بعد المهدي ابن تومرت .
واسططت خلافته بدءاً من وفاة المهدي في سنة ٥٢٤ هـ حتى وفاته في سنة ٥٥٨ هـ (١١٦٣ م) وفد أشهر
بمجالسه العلمية التي كانت تضم منات من طلبة العلم . (راجع المجلد الأول من الإحاطة ص ١٤١ حاشية)

أبا محمد عبد المؤمن أبياتاً كان نَظَمَها في أبي القاسم عبد المنعم بن محمد
ابن تَست وهى :

أبا قاسم والهوى جِنَّة وها أنا من مَسَّها لم أَفُتْ
تَقَحَّمتْ جامع نار الضلوع كما خضت بحر دموع الحَدَقْ
أَكُنْتَ الخليلَ أَكُنْتَ الكَلِمَ أَمِنْتَ الحريقَ أَمِنْتَ الفَرَقْ

فهجره عبد المؤمن ، ومنعه من الحضور بمجلسه ، وصرف بنيه عن
القراءة عليه ، وسرى ذلك فى أكثر من كان يقرأ عليه ، ويتردد إليه .
على أنه كان فى الطبقة العليا من الطَّهارة والعفاف .

شعره

قال فى أبي القاسم المذكور ، وكان أَرَزَق ، وقد دخل عليه ومعه أبو
عبد الله محمد بن أحمد الشاطبي ، وأبو عثمان سعيد بن قوسرة . فقال
ابن قوسرة :

عابوه بالزَّرَق الذى يَجْفُونَه والماء أَرَزَقُ والعَيْنان كذلكا
فقال أبو عبد الله الشَّاطِبي :

الماء يُهدى للنفوس حياتها والرمح يُشرع للمَنُون مسالكا

فقال أبو بكر بن ميمون الدُّرَّجَم به :

- وكذلك فى أَجفانه سَبَبُ الرَّدَى ولا كن أرى طيب الحياة هُنالكا

ومما استفاض من شعره قوله فى زمن الصَّبا عفا الله عنه :

لا تَكْتَرِثْ بفراق أوطان الصَّبا فعسى تنال بغيرهن سُعدا
والدُّر يُنظَّم عند فَمَدِّ بحساره بجديد أجياد الجِسان عقودا

ومن مشهور شعره :

توسلتُ يا ربّي بنّي مؤمن - وما قلت أنّي سامعٌ ومُطيعٌ
أُضلي بحرّ النار عاصٍ مُوحّدٌ - وأنت كريمٌ والرسول شفيعٌ

وقال في مرضه :

أيرتجى العيش من عليّه - دلائلُ للردى جليّة
أولّها مُخبر بثّانٍ - ذاك أمانٌ وذا منيّة

وفاته : توفي بمراكش يوم الثلاثاء اثنتى عشرة ليلة بقيت من جمادى
الآخرة سنة سبع وستين وخمسماية ، ودفن بمقبرة تاغزوت داخل مراكش .
وقد قارب السبعين سنة .

محمد بن عبد الله بن عبد العظيم بن أرقم النُميري

من أهل وادي آش^(١) ، يكنى أبا عامر .

حاله

كان أحد شيوخ بلده وطالبه ، مشاركاً في فنون ، من فقه وأدب
وعربية ، وهى أغلبُ الفنون عليه ، مطرح السُّمت ، مُحشّو شين الزّى ،
قليل المبالاة بنفسه ، مُختصراً في كافة شئونه ، ملبح الدُّعابة ، نديد
الحميل ، كثير التّواضع ، وبيته مغمور بالعلماء أولى الأصدالة والنّسب
تصدر ببلده للفتيا والتدريس والإسماع .

(١) تقع وادي آش ، وبالإسبانية Guadix شرق حضرة غرناطة . وإليها ينسب كثير
كثير من الوزراء والعلماء والأدباء . وقد سبق التعريف بها (أنظر ص ١٠٩ من المجلد الأول من
الإحاطة - حاشية) .

مشيخته

قرأ على الأستاذ القاضي أبي خالد بن أرقيم ، والأستاذ أبي العباس ابن عبد النور . وروى عن أبيه مديح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن الوزير العالم أبي عبد الله بن ربيع ، والقاضي أبي جعفر بن مسعدة ، والأستاذ أبي جعفر بن الزبير ، وولى الله الحسن بن فضيلة .
ورحل إلى العدو ، فأخذ بسبته عن الأستاذ أبي بكر بن عبدة ، والإمام الزاهد أبي عبد الله بن حريث ، وأبي عبد الله بن الخضار ، وأبي القاسم بن الشاط ، وغيرهم .

شعره

وهو من الجزء المسمى « بشعر من لا شعر له » والحمد لله . فمن ذلك قوله
يمدح أبا زكريا العزفي بسبته ، ويذكر ظفيره بالأسطول من قصيدة أولها :
أما الوصال فإنه كالعيد عذر المتيم واضح في العيد
وفاته : توفي ببلده عام أربعين وسبعماية . ودخل غرناطة ، راوياً
ومتعلماً ، وغير ذلك :

محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الله بن فرج بن الجدد الفهرى

الحافظ الجليل يكنى أبا بكر ، جليل إشبيلية ، وزعيم وقته في الحفاظ .
لبني^(١) الأصل ، إشبيلي ، استدعاه السيد أبو سعيد إلى غرناطة ، فأقام بها

(١) نسبة إلى مدينة لبله وبالإسبانية Niebla ، وهي إحدى مدن ولاية الغرب الأندلسية
Algarve ، وتقع غرب إشبيلية على الضفة اليمنى للنهر الأحمر Rio Tinto ، ومازالت حتى اليوم
تحتفظ بأسوارها الموحدة المحيطة بها كاملة . وقد سقطت لبله و بد النونسو العاشر (الحكيم) ملك
قشتالة في سنة ٦٥٥ هـ (١٢٥٧ م) .

عنده ، في جُمْلَةٍ من الفضلاء مثله سَنِين . ذكر ذلك صاحب كتاب « ثورة
المُريدين »^(١) .

حاله

كان في حِفْظ الفقه بَحْرًا يَغْرِفُ من مُحِيط . يقال إنه ما طالع^(٢) شيئاً
من الكتب فنَسِيَهُ^(٣) ، إلى الجلالة والأصالة ، وبعْد الصَّيْت ، واشتهار
المَحَلُّ . وكان مع هذا يتكَلَّم عند الملوك ، وَيَخْطُب بين يديها ، ويأتى
بِعُجَاب ، وفي كتاب « الإعلام » شيء من خبره ، قال ابن الزبير .

مُشِيخته

روى عن أبي الحسن بن الأخضر ، أخذ عنه كتاب سيبويه وغير ذلك ،
وعن أبي محمد بن عثاب ، وسمع عليه بعض الموطأ ، وعن أبي بَحر الأسدي .
وأبي الوليد بن طريف ، وأبي القاسم بن منظور القاضي ، وسمع عليه
صحيح البخاري كله ، وشُرَيْح بن محمد ، وأبي الوليد بن رُشد . وناوله
كتاب « البيان والتحصيل » . وكتاب « المقدمات » . لقي هؤلاء كلهم ،
وأجازوا له عامة . وأخذ أيضاً عن مالك بن وهيب .

من حَدَّث عنه

أبو الحسن بن زَرْقُون ، وأبو محمد القرطبي الحافظ ، وإبنا حوط الله ،
وغيرهم . وعليه من خُتِمت به المائة السادسة كَأبي محمد بن جُمهور ،

(١) كتاب « ثورة المريدين » من تأليف ابن صاحب الصلاة صاحب كتاب « المن بالإمة »
(الخالص بتاريخ الموحدين) . وهو يعالج فيما يبدو ما وصل إلينا من الإشارات تاريخ وفلسفة ابن قسي
وزملائه ، زعماء ثورة القرب في بداية حكم الموحدين للأندلس . ولم يصل هذا الكتاب إلينا .

(٢) وردت في الإسكوريال (طلع) . والتصويب من الزيتونة .

(٣) وردت في الإسكوريال (فاتسيه) ، والتصويب من الزيتونة .

وأبي العباس بن خليل وإخوته الثلاثة أبي محمد عبد الله ، وأبي زيد عبد الرحمن ، وأبي محمد عبد الحق . قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير : حدثني عنه ابن خليل وأبو القاسم الجبائي ، وأبو الحسن بن السراج . مولده : [بلبله] ^(١) في ربيع الأول سنة ست وتسعين وأربعمائة : وتوفي [بإشبيلية] ^(١) في شوال سنة ست وثمانين وخمسمائة . ذكره ابن الملجوم ، وأبو الربيع بن سالم ، وابن فرتون .

محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن علي بن محمد
ابن أحمد بن الفخار الجذامي

يكنى أبا بكر ، أركشي ^(٢) المولد والمنشا ، مألقي الاستييطان ، شريشي ^(٣)
التدرب والقراءة .

حاله

من « عايد الصلة » : كان رحمه الله خيراً صالحاً ، شديد الانقباض ،
مُغْرِقاً في باب الورع ، سليم الباطن ، كثير العكوف على العلم والملازمة ،
قليل الرياء والتصنع . خرج من بلده أركش عند استيلاء العدو على
قصبته ، وكان يصنفها ، وينشد فيها من شعر أستاذه الأديب أبي الحسن
الكرماني :

أكرم بأركش دارا تاهت على البذر قدرا
يخاطب المجد عنها لقلب تاذني شكرا

(١) الزيادة من « جذوة الاقتباس » .

(٢) نسبة إلى مدينة أركش وقد سبق التعريف بها .

(٣) نسبة إلى شربش وإسبانية Xerez أو Jerez ، هي مدينة أندلسية تقع على نهر
وادي لكه على مقربة من ثغر قادس .

واستوطن مدينة شَرِيش ، وقرأ بها ، وروى بها عن علمائها ، وأقرأ بها .
ولما استولى العدو عليها لحق بالجزيرة الخضراء ، فدرس بها ، ثم عبر البحر
إلى سَبْتَة . فقرأ بها وروى . ثم كَرَّ إلى الأندلس ، فقصد غرناطة ، وأخذ عن
أهلها . ثم استوطن مالقة ، وتصدَّر للإقراء بها . مفيدُ التعليم ، متفنَّنُه ،
من فقه وعربية وقراءات وأدب وحديث ، عظيمُ الصبر ، مستغرقُ الوقت .
يدرس من لَدُن صلاة الصبح إلى الزَّوال . ثم يُسند ظهره إلى طاق المسجد
بعد ذلك ، فيقرئ ، وتأتيه النساءُ من خلفه للفتيا ، فيُفتيهنَّ على حال
سؤالتهنَّ إلى نصف ما بين العصر والعشاء الأولى . ثم يأتى المسجد الأعظم
بعد الغروب ، فيقعُد للفتيا إلى العشاء الآخرة ، من غير أن يقبل من أحد
شيئاً . ومن أخذَ منه بعد تحكيم الورع ، أثابه بمثله . ما رثى في وقته أَوْرَع
منه . وكان يتخذ روميةً مملوكةً ، لا يشتمل منزله على سواها ، فإذا أنيس
منها الضمجر للحصر وتمادى الحجاب ، أعتقها^(١) ، وأصبحها إلى أرضها .
ونشأت بينه وبين فقهاء بلده خصومة^(٢) في أمور عدوها عليه ، ما ارتكبها
اجتهاده في مناط الفتوى ، وعقد لهم أمير المسلمين بالأندلس ، مجلساً ،
أجلى عن ظهوره فيه . وبقاء رسمه ، فكانت محنة ، وخلَّصه الله منها .
وبلغ من تعظيم الناس إِيَّاه ، وانحياشهم إليه مَبْلَغاً لم يَنْلُه مثله ، وانتفع
بتعليمه ، واستُفيد منه الأدب ، على نُسْكه وسداجته .

مَشِيخَتُهُ

قرأ ببِلَد شَرِيش على المُكْتَب الحاج أبي محمد عبد الله بن أبي بكر
ابن داود القيسى . وعلى الأستاذ أبي بكر محمد بن محمد بن الرباح ، وعلى

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (أطلقها)

(٢) هكذا وردت في الزيتونة ، ووردت في الإسكوريال (مشاحة ، مشاحنة) والأولى أرجح .

الأستاذ أبي الحسن علي بن إبراهيم بن حكيم السكوني الكرماني . أخذ عنه
العربية والأدب ، وعلى الحافظ أبي الحسن علي بن عيسى المعروف بابن
متيوان ، وعلى الأصولي الكاتب أبي الحسن دلال بن أبي سنان الأزدي
المراكشي ، وعلى الخطيب أبي العرب إسماعيل بن إبراهيم الأنصاري ،
وعلى الفقيه أبي عبد الله الجنيدى المعروف بالغراق ، وعلى الفقيه القدي
أبي عبد الله محمد بن علي بن يوسف المعروف بابن الكاتب المكناسي . وقرأ
بالجزيرة الخضراء على الخطيب الصالح أبي محمد الركني ، وروى عنه ،
وقرأ بها على الخطيب أبي عبيد الله بن خميس ، وعلى الأصولي أبي أمية .
وقرأ بسبته على الأستاذ الفرزدق إمام النحاة أبي الحسن بن أبي الربيع ،
وعلى أبي يعقوب المحبساني ، وعلى المحدث أبي عمرو عثمان بن عبد الله
العبدري ، وعلى الفقيه المالكي الحافظ أبي الحسن المشوي ، والأصولي
أبي الحسن البصري ، والفقيه المعمر الراوية أبي عبد الله محمد الأزدي ،
والمحدث الحافظ أبي محمد بن الكماد ، وعلى الأستاذ العروضي الكفيف
أبي الحسن بن الخضر التلمساني . ولقي بغرناطة قاضي الجماعة أبا القاسم
ابن أبي عامر بن ربيع ، والأستاذ أبا جعفر الطباع ، وأبا الوليد إسماعيل
ابن عيسى بن أبي الوليد الأزدي ، والأستاذ أبا الحسن بن الصائغ . ولقي
بناقة الخطيب الصالح أبا محمد عبد العظيم بن الشيخ ، والراوية أبا عبد الله
محمد بن علي بن الحسن الجذامي السهيلي . وسمع على الراوية أبي عمرو
ابن حوط الله ، وعلى الأستاذ أبي عبد الله بن عباس القرطبي

توالياً

كان رحمه الله مغرراً بالتأليف ، فألف نحو الثلاثين تأليفاً في فنون
مختلفة . منها كتاب « تحبير نظم الجمان في تفسير أم القرآن » ،

و « انتفاع الطلبة النُبهاء في اجتماع السبعة القُرَّاء » . و « الأحاديث الأربعون بما ينتفع به القارئون والسَّامعون » ، وكتاب « مَنْظُوم الدُّرَر في شرح كتاب المختصر » ، و « كتاب نصح المقالة في شرح الرسالة » ، وكتاب « الجواب المختصر المروم في تحريم سكنى المسلمين ببلاد الروم » ، وكتاب « استواء التَّهَج في تحريم اللعب بالشطرنج » ، وكتاب « الفَيْصَل المنتَضَى المهزوز في الرد على من أنكر صِيام يوم النِّيروز » ، وكتاب « جواب البيان على مُصارمة أهل الزمان » ، وكتاب تفضيل صلاة الصبح للجماعة في آخر الوقت المُختار على صلاة الصبح للمنفرد في أول وقتها بالابتدار » ، وكتاب « إرشاد السَّالِك في بيان إسناد زياد عن مالك » ، وكتاب « الجوابات المُجتمعة عن السُّؤالات المُنوعة » ، وكتاب « إملا فوايد الدول في ابتداء مقاصد الجمل » ، وكتاب « أجوبة الإقناع والإحساب في مشكلات مسائل الكتاب » ، وكتاب « مَنهج الضوابط المُقسَّمة في شرح قوانين المُقدِّمة » ، وكتاب « التوجيه الأوضح الأسماء في حذف التنوين من حديث أسما » ، وكتاب « التكملة والتَّبرية في إعراب البسملة والتَّصْلِيَة » ، وكتاب « سَحُّ مُزَنَة الانتخاب في شرح خطبة الكتاب » . ومنها اللَّايح المعتمد عليه في الرد على من رفع الخبر بلا إلى سيبويه ، وغير ذلك من مُجيد ومُقتصر

شعره

وشعره كثير ، غريب النَّزعة ، دالٌّ على السَّذاجة ، وعدم الاستِرابَة والشعور ، والعَفْلَة المُعربة عن السَّلامة ، من ارتكاب الحوشى ، واقتحام الضَّرار^(١) ، واستعمال الألفاظ المشتركة التي تتشَبَّث بها أطراف الملاحين

(١) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الزيتونة (الضراير) .

والمعاريف ، وَلَع كثير من أهل زمانه بالرد عليه ، والتملُّح بما يصدر عنه ،
منهم القاضي أبو عبد الله بن عبد الملك .

ومن منتخب شعره قوله :

أنظر إلى ورد الرياض كأنه ديباجُ خد في بنان زبرجد
قد فتحتُه نضارةً فبدا له في القلب رونقُ صُفرة كالعُجد
حكَّت الجوانبُ خدَّ حبٍّ ناعم والقلبُ يحكي خدَّ صبٍّ مُكَمَد

حدثت الفقيه العدل أبو جعفر أحمد بن مُفضل الملقى ، قال ، قال لي
يوما الشيخ الأستاذ أبو بكر بن الفخَّار ، خرجت ذات يوم وأنا شاب من
حلقة الأستاذ بشرّيش ، أعادها الله للاسلام ، في جملة من الطلبة ، وكان
يقابل باب المسجد حانوت سراج ، وإذا فتى وسيمٌ في الحانوت يرقمُ جِلداً
كان في يده ، فقالوا لي لا تجاوز هذا الباب ، حتى تصنع لنا شعراً في هذا
الفتى . فقلت :

وربَّ معذّر للحبِّ داع^(١) يروق بهاء منظره البهيج
وشى في وجنتيه الحسنُ وشياً كوشى يديهِ في آدم السروج

مولده : بحصن أركُش بلده ، وكان لا يُخبر به ، في ما بين الثلاثين
والأربعين وست مائة .

وفاته : توفي بمالقة في عام ثلاثة وعشرين وسبعماية ، وكانت جنازته

بمالقة مشهورة

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي « الزيتونة » (دارع) .

محمد بن علي بن عمر بن يحيى بن العربي الفستائي

من أهل الحجة من عمل التبرية ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف باسم العربي وينتمي في بني أسود من أعيانها .

حاله

من « العايد » : كان رحمه الله من أجل العلم والدين والفضل ، طلق الوجه ، حسن السير ، كثير الحياء ، كأنك إذا كلمته تُخاطب البكر العذراء ، لا تلقاه إلا مُبتسماً ، في حُسن سمّت ، وفضل هوى ، وجميل وقار ، كثير الخشوع ، وخصوصاً عند الدخول في الصلاة ، تلوح عليه بذلك ، عند تلاوته سيمى الحضور ، وحلاوة الإقبال . وكان له تحقق بضبط القراءات ، والقيام عليها ، وعناية بعلم العربية ، مع مشاركة في غير ذلك من الفنون السنية ، والعلوم الدينية . انتصب للإقراء والتدريس بالحجة المذكورة ، فقرّب النجعة على أهل الحصون والقرى الشرقية ، فصار مُجتمعاً لأرباب الطلب من أهل تلك الجهات ومُرتفقاتهم . وكان رجلاً صالحاً ، مبارك النية ، حسن التعليم ، نفع الله به من هنالك ، وتخرج على يديه جمعٌ وافر من الطلبة ، عمّرت بهم سائر الحصون . وكان له منزلٌ رحبٌ للقاصدين ، ومُنْتَدَى عذبٌ للواردين . تجول في آخرة بالأندلس والعُدوة ، وأخذ عمن لقي بها من العلماء . وأقام مدةً بسبّعة ، مُكبّاً على قراءة القرآن والعربية . وبعد عوده من تجواله لزم التصدّر للإقراء بعيث ذكر ، وقد كانت الحواضر فقيرة لمثله ، غير أنه آثر الوطن ، واختار الاقتصاد .

مشيخته

أخذ يَأْلَمَرِيَّةَ عن شيخها أبي الحسن بن أبي العَيْشِ ، وبغرناطة . عن الأستاذ أبي جعفر بن الزُّبَيْرِ ، والعدل أبي الحسن بن مَسْتَقْوَرٍ . وببَلَّشَ عن الأستاذ أبي عبد الله بن الكَّمَادِ ، والخطيب أبي جعفر بن الزيات . وبمَالَقَةِ عن الأستاذ أبي عبد الله بن الفَخَّارِ ، والشيخ أبي عبد الله محمد بن يحيى بن ربيع الأشعري . وبالجزيرة عن خطيبها أبي العباس بن خَدِيسٍ . وبسَبْتَةِ عن الأستاذ أبي إسحق العافقي ، والخطيب أبي عبد الله بن رُشِيدٍ ، والإمام الصالح أبي عبد الله محمد بن محمد بن حُرَيْثٍ ، والقاضي أبي عبد الله القرطبي ، والزَّاهِدَ أبي عبد الله بن مُعَلَّى ، والشيخ الخطيب أبي عبد الله الغماري . وبمَكْنَسَةِ عن القاضي وارياش . وبفاس من الحاج الخطيب أبي الربيع سليمان بن مِفْتَاحِ اللِّجَائِ ، والأستاذ أبي الحسن بن سليمان ، والأستاذ أبي عبد الله بن أَجْرُومِ الصَّنْهَاجِيِّ ، والحاج أبي القاسم بن رجا ابن محمد بن علي وغيرهم ، وكل من ذُكِرَ أَجَازَ لَهُ عامَةٌ ، إِلَّا قَاضِي مَكْنَسَةِ أبي عبد الله محمد بن علي الكلبي الشهير بوارياش .

مولده : في أول عام اثنين وثمانين وستمائة

وفاته : توفي بالحمّة ليلة الإثنين الثامن عشر لشهر محرم عام ثمانية وأربعين وسبعمائة .

محمد بن علي بن محمد العبّدری

من أهل مالقة ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف باليتيم

حاله

كان رحمه الله أحد الظرفاء من أهل بلده ، مليح الشكل ، حسن الشّيبة ،

لَوْ دَعِيَ فِي وَقَارٍ ، رَشِيقَ النِّظْمِ وَالنَّثَرِ ، غَزَلًا مَعَ الصَّوْنِ ، كَثِيرِ الدُّعَابَةِ مِنْ
غَيْرِ إِفْحَاشٍ ، غَزِيرِ الْأَدَبِ ، حَسَنَ الصَّوْتِ ، رَائِقِ الْخَطِّ ، بَدِيعِ الْوَرَاقَةِ ،
مَعْتُولِ الْأَلْفَاظِ ، مُنْتَبِعِ الْمُجَالَسَةِ ، طَيِّبِ الْعِشْرَةِ . أَدَبِ الصَّبِيَّانِ مَدَّةً ،
وَعَقْدِ الشُّرُوطِ أُخْرَى ، وَكَانَ يَقْرَأُ كَتَبَ الْحَدِيثِ وَالتَّفْسِيرِ وَالرَّقَائِقِ
لِلْعَامَةِ بِالْمَسْجِدِ الْأَعْظَمِ ، بِأَعْذَبِ نَغْمَةٍ ، وَأَمْثَلِ طَرِيقَةٍ ، مَذْأَزِيدٍ مِنْ
ثَلَاثِينَ سَنَةً ، لَمْ يُخَلِّ مِنْهَا وَقْتًا إِلَّا لَيْلَتَيْنِ ، إِحْدَاهُمَا بِسَبَبِ امْتِسَاكِنَا بِهِ
فِي تَزْهَةِ بَرِيَاضِ بَعْضِ الطَّلَبَةِ . لَمْ يُخَلِّفْ مِثْلَهُ بَعْدَهُ . وَخَطَبَ بِقَصَبَةِ
مَالِقَةٍ ، وَمَالَ أُخِيرًا إِلَى نَظَرِ الطَّبِّ ، فَكَانَ النَّاسُ يَمِيلُونَ إِلَيْهِ ، وَيَتَتَفَعُونَ بِهِ
لِنِيَاغِ مِثَارِكِهِ ، وَعُجُومِ انْقِيَادِهِ ، وَبِرِّهِ ، وَعَمَلِهِ عَلَى التَّوَدُّدِ وَالتَّجَمُّلِ .

وَجَرَى ذِكْرُهُ فِي « التَّاجِ الْمُحَلَّى » بِمَا نَصَّهُ : مَجْمُوعُ أَدْوَاتِ حِسَانٍ ، مِنْ
خَطِّ وَنَغْمَةٍ وَلِسَانٍ ، أَوْرَاقُهُ رَوْضٌ تَضَوُّعُ نَسَمَاتِهِ ، وَبِشْرُهُ صَبْحٌ تَتَأَلَّقُ
قَسَمَاتُهُ ، وَلَا يُخْفَى مِيزَاتُهُ . يُقَرِّطُ أَغْرَاضَ الدُّعَابَةِ وَيُضْمِيهَا ، وَيُقَوِّقُ سِيَهَامَ
الْفُكَاكَةِ إِلَى مَرَامِيهَا ، فَكَلَّمَا صَدَرَتْ فِي عَصْرِهِ قَصِيدَةٌ هَازِلَةٌ ، أَوْ أَبْيَاتٌ
مُنَحَّطَةٌ عَنِ الْإِجَادَةِ نَازِلَةٌ ، خَمَسَ أَبْيَاتَهَا وَذَيْلُهَا ، وَصَرَفَ مَعَانِيَهَا وَسَهْلَهَا ،
وَتَرَكَهَا سَمَرَ الثُّلَمَانِ ، وَأُضْحَوِكَ الزَّمَانِ . وَهُوَ الْآنَ خَطِيبُ الْمَسْجِدِ الْأَعْلَى
مِنْ مَالِقَةٍ ، مُتَحَلٍّ بِوَقَارٍ وَسَكِينَةٍ ، حَالٍ مِنْ أَهْلِهَا بِمَكَانَةٍ مَكِينَةٍ ، لِسَهُولَةٍ
جَلَّتْ ، وَاتِّضَاحِ مَقَاصِدِهِ فِي الْخَيْرِ وَمِزَاجِهِ . وَاشْتَغَلَ لِأَوَّلِ أَمْرِهِ بِالتَّعْلِيمِ
وَالْتَّكْوِينِ ، وَبَلَغَ الْغَايَةَ فِي الْوَقَارِ وَالتَّرْتِيبِ ، وَلِلشَّبَابِ لَمْ يَنْصِلْ خَضَابَهُ ،
وَلَا شَلَّتْ لِلْمَشِيبِ عِضَابُهُ ، وَنَفْسُهُ بِالْمَحَاسَنِ كَلِيفَةٌ ، وَشَأْنُهُ كُلُّهُ هَوًى
وَمَحَبَّةٌ . وَلِذَلِكَ مَا خَاطَبَهُ بِهِ بَعْضُ أَوْدَائِهِ ، وَكَلَاهُمَا رَمَى أَهْلَهُ بِدَيَايِهِ ،
حَسْبَمَا يَأْتِي خِلَالِ هَذَا الْمَقُولِ وَفِي أَثْنَائِهِ بِحَوْلِ اللَّهِ .

شعره

كُتِبَتْ إِلَيْهِ أَسْأَلُ مِنْهُ مَا أُثْبِتُ فِي كِتَابِ «التَّاجِ» مِنْ شَعْرِهِ ، فَكُتِبَ إِلَيَّ :
 أَمَّا الْعَرَامُ فَلَمْ أُخْلِلْ بِمَذْهَبِهِ فَلِمَ حَرَمْتَ فُؤَادِي نَيْلَ مَطْلَبِهِ
 يَا مُعْرِضاً عَنْ فُؤَادٍ لَمْ يَزَلْ كَلِيفاً بِحُبِّهِ ذَا حِذَارٍ مِنْ تَجَنُّبِهِ
 قَطَعْتَ عَنْهُ الَّذِي عَوَّدَتْهُ فَعَسَا وَحِظُهُ مِنْ رِضَاهِ بَرَقَ خُطْبِهِ
 أَيَّامَ وَصْلِكَ مَبْدُولٌ وَبَرُّكَ بِي مُجَدِّدٌ قَدْ صَفَا لِي عَذْبُ مَشْرَبِهِ
 وَسَمِعْتُ وَدَّكَ عَنْ إِفْكَ الْعَوَازِلِ فِي شُغْلِي وَبَدْرُ الدُّجَى نَاسٍ لِدَغْرِبِهِ
 أَلَا أَنْتَ تَمْنَعُنِي نَيْلَ الرِّضَا كَرَمًا وَلَا فُؤَادِي بِوَانٍ فِي تَطَلُّبِهِ
 اللَّهُ عَرَفَكَ مَا أَذْكِي تَنْسُمَهُ لَوْ كُنْتَ تَمْنَحُنِي اسْتِنْشَاقَ طَيْبِهِ
 أَنْتَ الْحَبِيبُ الَّذِي لَمْ أَتَّخِذْ بَدَلًا مِنْهُ وَحَاشَ لِقَلْبِي مِنْ تَقَلُّبِهِ
 يَا ابْنَ الْخَطِيبِ الَّذِي قَدْ فُقِّتَ كُلُّ سِنَاءٍ أَزَالَ عَنْ نَاطِرِي إِظْلَامَ غِيَبِهِ
 مُحَمَّدُ الْحَسَنِ فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُقٍ كَمَلْتَ بِاسْمِكَ مَعْنَى الْحُسْنِ فَازَهُ بِهِ
 نَأَيْتَ أَوْ غَيْبْتَ مَا لِي عَنْ هَوَاكَ غِنًى لَا يَنْقُصُ الْبَدْرُ حُسْنًا فِي تَغْيِيرِهِ
 سَيَّانَ حَالُ التَّدَانِي وَالْبُعَادِ وَهَلْ لِمُبْصِرِ الْبَدْرِ نَيْلٌ فِي تَرْقُبِهِ
 يَا مَنْ أَحْسَنَ ظَنِّي فِي رِضَاهِ وَمَا يَنْفَكُ يُبْدِي قَبِيحًا مِنْ تَغَضُّبِهِ
 إِنْ كَانَ ذَنْبِي الْهَوَى فَالْقَلْبُ مَنِيَّ لَا يُصْنَعِي لِسَمْعٍ مَلَامٍ مِنْ مُؤَنَّبِهِ
 فَأَجَبْتَهُ بِهَذِهِ الرِّسَالَةِ ، وَهِيَ ظَرِيفَةٌ فِي مَعْنَاهَا :

« يَا سَيِّدِي ، الَّذِي إِذَا رُفِعَتْ رَايَةُ ثَنَائِهِ تَلَقَّيْتُهَا بِالْيَدَيْنِ ، وَإِذَا قُسِّمَتْ سِيَّاهُ وَدَادَهُ عَلَى ذَوَى اعْتِقَادِهِ ، كُنْتُ صَاحِبَ الْفَرِيضَةِ وَالْمَدِينِ ، دَامَ بِقَاوِلِكَ لَطَرُفَةً تُبَدِّلُهَا ، وَغَرِيبَةً تُرَدِّدُهَا ، بِأُخْرَى تَلِيهَا ، وَعَقِيلَةً بَيَانٍ تُحْلِيهَا وَنَفْسٍ أَخَذَ الْحُزْنَ بِكُطْمِهَا ، وَكَلِيفَ الدَّهْرِ بِشَتِّ نَظْمِهَا ، تُؤَنِّسُهَا وَتُسْلِيهَا ، لَمْ أَزَلْ أَعَزُّكَ اللَّهُ ، أَشَدُّ عَلَى بَدَايِعِهَا يَدَ الضَّئِنِ ، وَأَقْتَنِي دُرَرَ كَلَامِكَ ،

ونَفَثَاتُ أَقْلَامِكَ ، اقْتِنَاءُ الدُّرِّ الثَّمِينِ ، وَالْأَيَّامُ بِلِقْيَاكَ تَعِدُ وَلَا تَسْعِدُ ،
 وَفِي هَذِهِ الْأَيَّامِ انْثَالَتْ عَلَى سَمَاوُكَ بَعْدَ قَحْطِ ، وَتَوَالَتْ عَلَى آلاُكَ عَلَى شَحْطِ ،
 وَزَارَتْني مِنْ عَقَائِلِ بَيَانِكَ كُلُّ فَاتِنَةِ الطَّرْفِ ، عَاطِرَةِ الْعَرْفِ ، رَافِلَةٍ فِي حُلِّ
 الْبَيَانِ وَالظَّرْفِ ، لَوْ ضُرِبَتْ بِيَوْتُهَا بِالْحِجَازِ ، لَأَقَرَّتْ لَنَا الْعَرَبُ الْعَارِبَةُ
 بِالْإِعْجَازِ ، مَا شِيتَ مِنْ رَصْفِ الْمَبْنِيِّ ، وَمَطَاوَعَةِ اللَّفْظِ لَغَرَضِ الْمَعْنَى ،
 وَطِيبِ الْأَسْلُوبِ ، وَالتَّشْبِثِ بِالْقُلُوبِ . غَيْرَ أَنَّ سَيِّدِي أَفْرَطَ فِي التَّنَزُّلِ ،
 وَخَلَطَ الْمَخَاطِبَةَ بِالتَّغَزُّلِ ، وَرَاجَعَ الْإِتِّفَاتِ ، وَرَامَ اسْتِدْرَاكَ مَا فَاتَ . يَرْحَمُ
 اللَّهُ شَاعِرَ الْمَعْرِءَةِ ، فَلَقَدْ أَجَادَ فِي قَوْلِهِ ، وَأَنْكَرَ مَنَاجَاةً لِلشُّوقِ ، بَعْدَ انْصِرَامِ
 حَوْلِهِ فَقَالَ :

أَبْعَدَ حَوْلٍ تُنَاجِي لِلشُّوقِ نَاجِيَةً هَلَّا وَنَحْنُ عَلَى عَشْرِ مِنَ الْعُشْرِ
 وَقَدْ تَجَاوَزْتَ فِي الْأَمَلِ ، وَأَنْسَيْتَ أَخْبَارَ صَاحِبِكَ عَبْدَ الصَّمَدِ ، فَأُقْسِمُ
 بِأَلْفَاتِ الْقُدُودِ ، وَهَمَزَاتِ الْجُفُونِ السُّودِ ، وَحَامِلِي الْأَرْوَاحِ مَعَ الْأَلْوَاكِ ،
 بِالْغَدْوِ وَالرَّوَاكِ ، لَوْلَا بَعْدَ مَزَارِكَ ، مَا أَمِنْتُ غَايِلَةً مَا تَحْتَ إِزَارِكَ . ثُمَّ
 إِنِّي حَقَّقْتُ الْغَرَضَ ، وَبَحِثْتُ عَنِ الْمُسْكَلِ الَّذِي عَرَضَ ، فَقَلْتُ لِلْخَوَاطِرِ
 انْتِقَالِ ، وَلِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالَ ، وَتَخْتَلَفُ الْحَوَايِجُ بِاخْتِلَافِ الْأَوْقَاتِ ، ثُمَّ رَفَعَ
 اللَّبَسَ خَبِرَ الثُّقَاتِ .

ومنها : وَتَعَرَّفْتُ مَا كَانَ مِنْ مُرَاجَعَةِ سَيِّدِي لِحَرْفَةِ التَّكْتِيبِ وَالتَّعْلِيمِ ، وَالْحَيْنِ
 إِلَى الْعَهْدِ الْقَدِيمِ ، فَسُرَّرتَ بِاسْتِقَامَةِ حَالِهِ ، وَفَضَّلَ مَالَهُ . وَإِنْ لَاحِظُ
 الْمُلَاحِظُ مَا قَالَ الْجَاحِظُ ، فَاعْتَرَاضُ لَا يُرَدُّ ، وَقِيَاسُ لَا يُضْطَرُّ . حَبَّذَا وَاللَّهِ
 عَيْشَ أَهْلِ التَّادِيْبِ ، فَلَا بِالضَّنْكِ وَلَا بِالْجَدِيْبِ ، مَعَاهِدَةُ الْإِحْسَانِ .
 وَمَشَاهِدَةُ الصُّورِ الْحِسَانِ . يَمِينًا إِنَّ الْمُعَلِّمِينَ لِسَادَةُ الْمُسْلِمِينَ . وَإِنِّي لَأَنْظُرُ
 مِنْهُمْ ، كُلَّمَا خَطَرَتْ عَلَى الْمَكَاتِبِ . أَمْرًا فَوْقَ الْمَرَاتِبِ ، مِنْ كُلِّ مُسَيِّطِرٍ

الدِّرَّةُ ، مُتَقَطَّبُ الْأَسِرَّةِ ، مُتَنَمِّرٌ لِلنُّوَارِ تَنَمَّرُ الْهَرَّةُ ، يَغْدُو إِلَى مَكْتَبِهِ ،
وَالْأَمِيرُ فِي مَوْكِبِهِ ، حَتَّى إِذَا اسْتَقْلَّ فِي فَرَشِهِ ، وَاسْتَوَلَى عَلَى عَرْشِهِ ، وَتَرَنَّمَ
بِتِلَاوَةِ قَانُونِهِ وَوَرَشِهِ ، أَظْهَرَ لِلخَلْقِ احْتِقَاراً ، وَأَنْدَى بِالْجِبَالِ وَقَاراً ،
وَرُفِعَتْ إِلَيْهِ الْخَصُومُ ، وَوَقَّفَ بَيْنَ يَدَيْهِ الظَّالِمَ وَالْمَظْلُومَ ، فَتَقُولُ كِشْرَى
فِي إِيْوَانِهِ ، وَالرَّشِيدُ فِي زَمَانِهِ ، وَالْحَجَّاجُ بَيْنَ أَغْوَانِهِ . وَإِذَا اسْتَوَلَى عَلَى
الْبَدْرِ السَّرَّارِ ، وَتَبَيَّنَ لِلشَّهْرِ الْقَرَارِ^(١) ، وَتَحَرَّكَ إِلَى الْخَوْجِ ، تَحَرَّكَ الْقَرْدُ
إِلَى الْفَرْجِ . أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ . مَا يَشُقُّ عَلَى سَيِّدِي سَمَاعِهِ ، وَتَشْجُزُ مِنْ ذِكْرِهِ
طِبَاعُهُ ، شِيمُ اللِّسَانِ ، خَلَطُ الْإِسَاءَةِ بِالْإِحْسَانِ ، وَالْغَفْلَةُ مِنْ صِفَاتِ الْإِنْسَانِ .
فَأَيُّ عَيْشٍ هَذَا الْعَيْشُ ، وَكَيْفَ حَالِ أَمِيرِ هَذَا الْجَيْشِ ، طَاعَةُ مَعْرُوقَةٍ ،
وَوُجُوهٌ إِلَيْهِ مَضْرُوفَةٌ ، فَإِنْ أَشَارَ بِالْإِنْصَاتِ ، تَتَحَقَّقُ الْغُصَّاتُ ، فَكَأَنَّمَا
طَمَسَ الْأَفْوَاهُ ، وَلَامَ بَيْنَ الشُّفَاهِ . وَإِنْ أَمَرَ بِالْإِفْصَاحِ ، وَتِلَاوَةِ الْأَلْوَاكِ ،
عَلَا الضُّجْجُ وَالْعَجِيجُ ، وَحَفَّ بِهِ كَمَا حَفَّ بِالْبَيْتِ الْحَجِيجُ . وَكَمْ بَيْنَ
ذَلِكَ مِنْ رِشْوَةٍ تُدْمَسُ ، وَغَمَزَةٍ لَا تُحَسُّ ، وَوَعْدٍ يُسْتَنْجَزُ ، وَحَاجَةٍ تُسْتَعْجَلُ
وَتُحْفَظُ . هُنَا اللَّهُ سَيِّدِي مَا خَوَّلَهُ ، وَأَنْسَاهُ بِطِيبِ آخِرِهِ أَوَّلَهُ . وَقَدْ بَعَثْتُ
بِدُعَابَتِي هَذِهِ مَعَ إِجْلَالِ قَدْرِهِ ، وَالثِّقَةِ بِسَعَةِ صَدْرِهِ ، فَلْيَتَلَقَّهَا بِيَمِينِهِ ،
وَيَفْسَحْ لَهَا فِي الْمَرْتَبَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَدَيْهِ ، وَيُفَرِّغْ لِمَرَاجِعَتِهَا وَقْتاً مِنْ أَوْقَاتِهِ ،
بِمُقْتَضَى دِينِهِ ، وَفَضْلِ يَقِينِهِ ، وَالسَّلَامِ .

وَمِنْ شَعْرِهِ مَا كَتَبَ بِهِ إِلَى :

آيَاتُ حَسَنِكَ حُجَّةٌ لِلْقَالِ	فِي الْحُبِّ قَائِمَةٌ عَلَى الْعُدَالِ
يَا مَنْ سَبَا طَوْعاً عَقُولَ ذَوِي النُّهَى	بِبِلَاغَةٍ قَدْ أُيِّدَتْ بِجَمَالِ
يَسْتَعْبِدُ الْأَبْصَارُ وَالْأَسْمَاعُ مَا	يَجْلُو وَيَتْلُو مِنْ سَنَى مَقَالِ

(١) وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ (الْعَرَارِ) . وَنَعْتَقِدُ أَنَّ التَّصْوِيبَ أَرْجَحُ .

وعليك أهواء النفوس بأسرها
 رفعت لريه^(١) في البلاغة راية
 وغدت تُباهى منك بالبدر الذي
 ماذا ترى يا ابن الخطيب لخطاب
 جَذَبَتْهُ نحو هواك غُرُّ محاسن
 وشمايل رقت لرقّة طبعها
 وحلّى آداب بمثل نفيسها
 يستخدم الياقوت عند نظامها
 سبق الأخير الأولين بفضلها
 شغفى بذكر من عقايلها إذا
 فابعث بها نلت المنا مهوره
 لازلت شمساً في الفضائل يهتدى
 ثم السلام عليك يترى ما تلت
 ومن الدعاة ، وقد وقعت إليها الإشارة من قبل ، ما كتب به إليه
 صديقه الملائف أبو علي بن عبد السلام :

أبا عبد الله نداء خل وفي
 إلى كم تألف الشبان غياً
 فجابه رحمه الله :

فديتاك صاحب السمة المليحة
 ومن قلبي وضعت له محلاً
 نأيت قدمي عيني في انسكاب
 وأكباد لفرقتكم قريحة

(١) ريه هنا هو اسم الولاية الأندلسية التي يقع بها ثمر مالقة بلد المترجم له . وبالإسبانية Reijo

وطرفي لا يتاح له رُقَاد وهل نَوْمٌ لأجفانٍ جَرِيحة
وزاد تشوّقُ أبياتٍ شعر أنت منكمُ بالفاظٍ فصيحة
ولم تقصِد بها جدًّا ولا كن قصدتَ بها مُداعبةً قبيحة
فقلت أتألفُ الشبانَ غيًّا وخذلانا أما تخشى الفضيحة
وفيهم جرّفتي وقوامُ عَيْشى وأحوالى بخلطتهم نجيحة
وأمرى فيهم أمرٌ مُطاع وأوجههم مصابيحُ صبيحة
وتعلم أننى رجلٌ حُصُورٌ وتعرفُ ذاك معرفةً صحيحة

قال فى « التّاج »^(١) : ولما اشتهر المَشيب بعارضه ولمَّته ، وخَفَر الدهر
لعمود صباه وإذمَّته ، أَقْلَعَ واسترجع ، وتألَّم لما فرطَ وتوجَّع ، وهو الآن
من جِلَّة الخطباء ، طاهرُ العِرض والثُّوب ، خالِصٌ من الثُّوب ، بادٍ عليه
قبولٌ قابلُ التوب .

وفاته رحمه الله : فى آخر صفر من عام خمسين وسبعماية فى وقية
الطاعون العام^(٢) ، ودخل غرناطة .

ومن الغرباء فى هذا الباب

محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبى بكر بن مرزوق العجيسى

من أهل تِلْمَسَان ، يكنى أباً عبد الله ، ويلقب من الألقاب المشرقية

بشمس الدين

(١) هو كتاب « التاج المحلى فى مساجلة القذح المولى » من كتب ابن الخطيب الصغيرة . وقد سبق
ذكره فيما تقدم غير مرة .
(٢) سبق التعريف بهذا الطاعون فى ترجمة ابن محارب الصريحى (راجع ص ٧٩ من هذا
المجلد - حاشية) .

حاله

هذا الرجل من طُرْفِ دهره ظَرْفًا وخصوصيَّة ولطافة ، مليح التوسُّل (١) حسن اللقاء ، مبدول البشر ، كثير التودُّد ، نظيف البرَّة ، لطيف الثَّأْتِ ، خيِّر البيت ، طَلَّقُ الوجه ، خلُوب اللسان ، طيَّب الحديث ، مُقَدِّر الألفاظ ، عارف بالأبواب ، دَرَبٌ على صُحبة الملوك والأشراف ، مُتَقاضٍ لإيثار السلاطين والأُمراء ، يَسْجِرُهُمْ بخلاصة لفظه ، وَيَفْتَلِهِمْ في الذِّروَّة والغارب بتَنَزُّله ، وَيَهْتَدِي إلى أغراضهم الكميّنة بحِذْقِه ، وَيَضْمَع غاشيتهم بتلطفه ، ممزوجة الدُّعابة بالوقار ، والفكاهة بالنُّسك ، والحِشْمة بالبَسْط ، عظيم المشاركة لأهل وُدِّه ، والتَّعَصُّب لإخوانه ، إلفٌ مألوف ، كثير الاتِّباع والعَلْق ، مُسَخَّر الرُّقاع في سبيل الوساطة ، مُجْدِي الجاه ، غاصُّ المنزل بالطلبة ، مُنْقَاد الدَّعوة ، بارع الخط ، أنيقه ، عذب التَّلَاوة ، متَّسع الرواية ، مشارك في فنون ، من أصول وفروع وتفسير ، يكتب ويَشْعُر ويُقَيِّد ويؤلف ، فلا يعدو السَّداد في ذلك ، فارسٌ مِنْبِرٍ غير جَزوع ولا هيابة (٢) .

رَحَلَ إلى المشرق في كَنَفِ حِشْمة من جناب والده رحمه الله ، فحجَّ وجاور ، ولقي الجِلَّة ، ثم فارقة ، وقد عُرف بالمشرق حقُّه ، وصَرَف وجهه إلى المغرب ، فاشتمل عليه السلطان أبو الحسن أميره ، اشتمالاً خلطه بنفسه ، وجعله مَفْضِي سِرِّه ، وإمام جُمُعته وخطيب مِنْبَرِه ، وأمين رسالته ، فَقَدِم في غَرَضِها على الأندلس في أواخر عام ثمانية وأربعين وسبعماية ، واجتذبه سلطانها رحمه الله ، وأجراه على تلك الوَتيرة ، فَقَلَّده الخُطبة بمسجده في السادس لصفر عام ثلاثة وخمسين وسبعماية ، وأَقْعَدَه للإقراء بالمدرسة من

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي جذوة الاقتباس (النزل) .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي النفع (هياب) .

حَضَرْتَهُ . وفي أخريات عام أربعة وخمسين بعده أَطْرَفَ عَنْهُ حِفْنَ بَرٍّ ، في أسلوب طِمَاحٍ^(١) ودالَّةٍ ، وسبيل هوى وقِيحَةٍ ، فاغتنم العِبْرَةَ ، وانتَهَزَ الفرصة ، وأنْفَذَ في الرَّحِيلِ العَزْمَةَ ، وانصرف عزيز الرحلة ، مغبوط المُنْقَلَبِ ، في أوائل شعبان عام أربعة وخمسين وسبعماية ، فاستقرَّ بباب ملك المغرب ، أمير المؤمنين أبي عَنان فارس في مَحَلٍّ تَجَلَّةٍ ، وبِساطِ قُرْبٍ ، مُشْرِكِ الجاه ، مُجْدَى التوسُّطِ ، ناجحُ الشَّفَاعَةِ ، واللَّهِ يَتَوَلَّاهُ وَيَزِيدُهُ مِنْ فَضْلِهِ .

مَشِيخَتُهُ

[من كتابه المسمى « عَجَالَةُ المستوفز المستجاز في ذِكر من سُمِعَ من المشايخ دون من أَجَازَ ، من أئمة المغرب والشَّام والحجاز » . فممن لَقِيَهُ بالمدينة المشْرِفَةِ على ساكنها الصلاة والسلام ، الإمام العلامة عزَّ الدين محمد أبو الحسن ابن علي بن إسماعيل الواسطي صاحب خُطَطِي الإمامة والخطابة بالمسجد النبوي الكريم ، وأفرد جزءاً في مناقبه . ومنهم الشيخ الإمام جمال الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف بن عيسى الخزرجي السَّعْدِي العَبَّادِي ، تحمَّلَ عن عفيف الدين أبي محمد عبد السلام بن مزروع وأبي اليُمن وغيره . والشيخ الإمام خادم الوقت بالمسجد الكريم ونائب الإمامة والخطابة به ، ومُنْشِدُ الأمداح النبوية هنالك]^(٢) . وبِمَكَّة شَرَّفَهَا اللهُ ، الشيخ المُعَمَّرُ الثَّقَّةُ شرف الدين أبو عبد الله عيسى بن عبد الله الحجي المكي . والشيخ الصالح شرف الدين خضر بن عبد الرحمن العجمي . والشيخ مُقَرَّى الحرم

(١) هكذا في الإسكوريال والنفع . وفي الزيتونة (طبع) .

(٢) هذا ما ورد في الزيتونة عن مشيخة ابن مرزوق . وورد عنها في الإسكوريال ما يَنُتَقَى فقط (منقولة من خطه وكتابه المسمى عَجَالَةُ المستوفز المستجاز . في ذكر من سمع من المشايخ دون من أَجَازَ من أئمة المغرب والشَّام والحجاز ، اختصرتها لطولها إذ هي نحو من ثلاثة أوراق) . وقد أضفنا نحن إليها عدة أسماء أخرى . وأوردناها المقرئ بجملة ما في نفع الطيب (ج ٣ ص ٢٠١ و ٢٠)

برهان الدين إبراهيم بن مسعود بن إبراهيم الآبلي المصري . والشيخ الإمام الصالح أبو محمد عبد الله بن أسعد الشافعي الحجة ، انتهت إليه الرئاسة العلمية والخطط الشرعية بالحرم . والشيخ قاضي القضاة وخطيب الخطباء عز الدين أبو عمر عبد العزيز بن محمد بن جماعة الكِناني قاضي القضاة بمصر . وبمصر الشيخ علاء الدين القُونَوِي . والتقى السعدى ، وقاضى القضاة القزوينى ، والشرف أفضى القضاة الإخميمى ، وكثيرون غيرهم . وسمع من عدد عديد آخر من أعلام القضاة والحفاظ والعلماء بتونس ، وبجاجة ، والزَّاب ، وتلمسان

محنته

اقتضى الخوض الواقع بين يدي تامل الأمير أبي الحسن رحمه الله ، وتوقع عودة الأمر إليه ، وقد ألقاه اليمُّ بالسَّاحل بمدينة الجزائر ، أن قبض عليه بتلمسان ، أمراؤها المتوثبون عليها في هذه الفترة ، من بنى زيان ، إرضاءً لقبيلهم ، المتهم بمداخلته ، وقد رحل عنهم دسيساً من أميرهم عثمان بن يحيى بن عبد الرحمن بن يغمَراسين ، فصرف مأخوذاً عليه طريقه ، مُنتهباً رَحْلُهُ ، مُنتهكة حُرْمَتُهُ ، وأُسكن قرارة مُطَبق عميق القعر ، مُقفل المسلك ، حَرِيز القفل ، ثانی اثنين . ولأَيام قُتل ثانيه ذبحاً بمقربة من شَفَى تلك الرُّكِيَّة ، وانقطع لشدة الثُّقاف أثره ، وأيقن الناس بفوات الأمر فيه . ولزمان [من]^(١) محنته ظهرت عليه بركة سلفه ، في خبر ينظر بطرقه^(٢) إلى الكرامة ، فنجا ولا تسَلَّ كيف ، وخلَّصه الله خلاصاً جميلاً ، وقَدِم على الأندلس ، والله ينفعه بمحنته^(٣) .

(١) هذه الكلمة واردة في النسخ وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هكذا في النسخ . وفي الإسكوريال (بطرف) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (بنيته) ف

شعره

وما وقع من المكاثبة بيني وبينه

رَكِبَ مع السلطان خارج الحمراء ، أيام ضَرَبَت اللُّوز قبابَها البيض ،
وَزَيَّنَت الفَحْص العريض ، والروض الأريض ، فارتجل في ذلك :

[أنظر إلى النُّوار في أغصانه يحكى النجوم إذا تبَدَّت في الحَلَك]^(١)
حيًّا أمير المسلمين وقال قد عَمِيَّت بصيرةٌ من بغيرك مثلك
يا يوسفًا حُزَّت الجمال بأسره فمحاسنُ الأيام تُومى هَيْت لك
أنت الذى صَعَدَتْ به أوصافه فيقال فيه ذا مَلِيكٌ أو مَلِك

ولما قدمت على مدينة فاس في غرض الرسالة ، خاطبني بمنزل الشاطبي
على مَرَحَلَة منها بما نصه :

يا قادمًا وافى بكل نجاج أبشِّر بما تلقاه من أفراح
هذى ذرى ملك الملوك فلذُّ بها تنل المُنَى وتفزُّ بكل سماح
مغنى الإمام أبى عنان يهمن تظفر ببحر في العلى^(٢) طَفَّاح
من قاس جُودَ أبى عنان ذى الندى يسواه قاس البحر بالضُّحاح
ملكٌ يفيض على العفاة نواله قبل السُّوال وقبل بَسْطَة راح
فلجود كعبٍ وابن سعدى فى الندى ذكرٌ محاه من نِداء ماح
ما أن رأيتُ ولا سمعتُ بمثله من أَرِيحى للندى مُرتاح
بَسَط الأمان على الأنام فأصبحوا قد ألحفوا منه بظلِّ جناح
وهَمَى على العافين سيبُ نواله حتى حكى سَحَّ الغمام السَّاح
فنواله وجلالُه وفعاله فاقت وأَعْيَت أَلْسُن المُدَّاح

(١) هذا البيت وارد في « الزيتونة » والنفع ، وساقط في الإسكوريال .

(٢) هكذا في الاسكوريال والنفع . وفي الاستقصا (بالندا) (ج ٢ ص ٩٢) .

وبه الدُّنَا أَضْحَتْ تَرُوقُ وَأَصْبَحَتْ كُلُّ الْمُنَى تَنْقَادُ بَعْدَ جِمَاحٍ
 مِنْ كَانَ ذَا تَرَحٍّ فَرُؤِيَّةٍ وَجْهَهُ مِتْلَافَةً الْأَحْزَانِ وَالْأَتْرَاحِ
 فَانْهَضَ أَبَا عَبْدِ الْإِلَهِ تَفَرُّزًا بِمَا تَبْغِيهِ مِنْ أَمَلٍ وَنَيْلٍ نَجَاحِ
 لَازَلَتْ تَرْتَشِفُ الْأَمَانِي رَاحَةً مِنْ رَاحَةِ الْمَوْلَى بِكُلِّ صَبَاحِ
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ يَا سَيِّدِي وَأَخِي عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي لَا تَحْصِي حَمْدًا يَوْمَ بِهِ
 جَمِيعُنَا الْمَقْصِدُ الْأَسْنَى ، فَيَبْلُغُ الْأَمَدَ الْأَقْصَى ، فَطَالَمَا كَانَ مُعَظَّمُ سَيِّدِي
 لِلْأَسَى فِي خَبَالٍ ، وَلِلْأَسَفِ بَيْنَ اشْتِغَالِ بَالٍ ، وَاشْتِغَالِ بِلْبَالٍ . وَلَقَدْ وَجَدْتُمُكُمْ
 عَلَى هَذَا الْمَقَامِ الْعَلِيِّ فِي ارْتِقَابٍ ، وَلَمَوْاعِدِكُمْ بِذَلِكَ فِي تَحَقُّقٍ وَقَوَعِهِ مِنْ
 غَيْرِ شَكٍّ وَلَا ارْتِيَابٍ ، فَهَا أَنْتَ تَجْتَلِي ، مِنْ هَذَا الْمَقَامِ الْعَلِيِّ ، لِتُشِيعَكَ
 وَجُوهَ الْمَسَرَّاتِ صَبَاحًا ، وَتَتَلَقَّى أَحَادِيثَ مَكَارِمِهِ وَمَوَاهِبِهِ مُسْنَدَةً صَبَاحًا
 بِحَوْلِ اللَّهِ . وَلِسَيِّدِي الْفَضْلِ فِي قَبُولِ مَرْكُوبِهِ الْوَاصِلِ إِلَيْهِ بِسَرِّهِ وَلِجَامِهِ ،
 فَهُوَ مِنْ بَعْضِ مَا لَدَى الْمُحِبِّ^(١) مِنْ إِحْسَانِ مَوْلَايَ وَإِنْعَامِهِ . وَلَعَمْرِي لَقَدْ
 كَانَ وَافِدًا عَلَى سَيِّدِي فِي مُسْتَقَرِّهِ مَعَ غَيْرِهِ . فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَسِّرُ فِي إِيْصَالِهِ
 عَلَى أَفْضَلِ أَحْوَالِهِ .

فَرَاغَتْهُ بِقَوْلِي :

وَالْقُرْبُ يَخْفُضُ لِلْجَنُوحِ جَنَاحَ	رَاحَتْ تَذَكَّرُنِي كُؤُوسُ الرَّاحِ
دَلَّ النِّسِيمُ عَلَى انْبِلَاجِ صَبَاحِ	وَسَرَّتْ تَذُلُّ عَلَى الْقَبُولِ كَأَنَّمَا
عَنْ دَمَلَجٍ وَقِلَادَةٍ وَوَشَاحِ	حَسَنَاءُ قَدْ غَنِيَتْ بِحُسْنِ صِفَاتِهَا
بَسُودَةِ الْأَقْلَامِ فِي الْأَفْرَاحِ	أُمْسَتْ تَحْضُّ عَلَى اللَّيَازِمِ جَرَّتْ
شَمْسُ الْمَعَالِي الْأَزْهَرِ الْوَضَاحِ	بِخَلِيفَةِ اللَّهِ الْمُؤَيَّدِ فَارَسِ
كَالزَّهْرِ أَوْ كَالزَّهْرِ فِي الْأَذْوَاحِ	مَا شَبِيتَ مِنْ هِمَمٍ وَمِنْ سِيمٍ غَدَتْ

(١) مَكْنَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي النِّفْحِ (الْمَعْظَمِ) .

فضلُ الملوكِ فليس يُدركُ شأوه أنى يُقاسُ الغمرُ بالضَّحَضاحِ
 أسنى بنى عباسهم بلوائه المنصور أو بحسامه السفاح
 وغدت مغاني الملك لما حلَّها تزهى ببدر هدى وبحر سماح
 وحياة من أهداك تحفة قادم فى العرف منها راحة الأرواح
 ما زلتُ أجعل ذكره وثناءه رُوحى وزيحانى الأريج وراح
 ولقد تمازج حبه بجوارحى كمازج الأجسام بالأرواح
 ولو أننى أبصرت يوماً فى يدى أمرى لطرتُ إليه دون جناح
 فالآن ساعدنى الزمان وأيقنت من قربه نفسى بفوز قِداح
 إليه أبا عبد الإلاه وإنسه لنداء وُدِّ فى علاك صُراح
 أما إذا استنجدتني من بعد ما ركذت لما نجت الخطوب رياح
 فأليكما مهزولة وأنا امرؤ قررت عجزى واطرحتُ سلاح

سيدى : أبقاك الله لعهد تحفظه ، وولى بعين الولاء تلحظه . وصلتني
 رُقعتك التى ابتدعت ، وبالحق من مدح المولى الخليفة صدعت ، وألفتني
 وقد سطت بي الأوحال ، حتى كادت تُتلف الرِّحال ، والحاجة إلى الغذاء ،
 قد شممت كشح البطيين ، وثانية العجماوين قد تُوقع قِوات وقتها ،
 وإن كانت صلاحها صلاة الطين ، والفكر قد غاض مَعينه ، وضعف وعلى الله
 جزاء المولى الذى يُعينه ، فغزتني بكتيبة بيان أسلها هُصور ، وعلمها منصور ،
 وألفاظها ليس فيها قُصور . ومعانيها عليها الحُسن مقصور ، واعتراف مثلى
 بالعجز فى المضائق حولُ ومنّة . وقول لا أدرى للعالم فكيف لغيره جنة .
 لآكنها بشرتني بما يقل لمهديه^(١) بذل النفوس وإن جَلَّت ، وأطلعني من

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ والاستقصاء (لمؤديه) .

السَّراءِ على وجه تحسده الشمس إذا تَجَلَّتْ ، بما أعلّمت ^(١) به من جميل اعتقاد مولانا أمير المؤمنين أيده الله ، في عبّده ، وصِدْقِ المَخِيلَةِ في كَرَمِ مَجْدِهِ . وهذا هو الجود المحض ، والفضل الذي شُكِرُهُ هو الفَرَضُ . وتلك الخلافة المُولَوِيَّةُ تَتَّصِفُ بصفة ^(٢) من يبدأ بالنوال ، من قَبْلِ الضَّرَاعَةِ والسؤال ، من غير اعتبار للأسباب ، ولا مجازاة للأعمال . نسأل الله أن يُبْقِيَ منها على الإسلام أَوْفَى الظَّلَالِ ، ويبلِّغها من فضله أَقْصَى الآمالِ . ووصل مابعثه سيدي صحبتها من الهدية ، والتحفة الودية ، لوقبلتها امتثالاً ^(٣) ، واستجليتُ منها عِتْقاً وجمالاً . وسيدي في الوقت أنسبُ إلى اتخاذ ذلك الجنس ، وأقدرُ على الاستكثار من إناث البَهْمِ والإنس . وأنا ضعيف القدرة ، غير مستطيع لذلك إلا في النَّدرة ، فلو رأى سيدي ، ورأيه سَدَاد ، وقصده فضل ووداد ، أن ينقل القَضِيَّةَ [إلى باب العارية من باب الهبة] ^(٤) مع وجوب الحقوق المترتبة ، لبَسَطَ خاطري وجمعه ، وعمل في رفع المؤنة على شاكلة حالي معه ، وقد استصحبته مركوبا يَشُقُّ على هجره ، ويناسب مقامى شكله ونَجْرِهِ ، وسيدي في الإسعاف على الله أَجْرُهُ ، وهذا أمر عرض ، وفرض فُرِضَ ، وعلى نظره المَعُولُ ، واعتماد إغضائه هو المعقول الأول . والسلام على سيدي من مُعَظِّمِ قدره ، ومُلْتَزِمِ بَرِّهِ ، ابن الخطيب ، في ليلة الأحد السابع والعشرين لذي قعدة سنة خمسة وخمسين وسبعماية ،

(١) هذا في الإسكوريال . وفي النسخ والاستقصاء (أعلسى) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ والاستقصاء (بصمت) .

(٣) هذه العبارة وردة في النسخ والاستقصاء ، وساقطة في الإسكوريال .

(٤) وردت هذه العبارة في الإسكوريال (من باب الهدية إلى باب العارية) والنصوب من

النسخ والاستقصاء .

والسَّماءُ قد جادت بِمَطَرٍ سَهَرَتْ مِنْهُ الْأَجْفَانُ ، وَظُنَّ أَنَّهُ طُوفَانٌ ، وَاللَّحَاقُ
فِي غَدٍ بِالْبَابِ الْمَوْلَى ، مُؤْمِلٌ بِحَوْلِ اللَّهِ .

ومن الشعر المنسوب إلى محاسنه ، ما أنشد عنه ، وبين يديه ، في ليلة

الميلاد المعظم ، من عام ثلاثة وستين وسبعماية بمدينة فاس المحروسة :

[أَيَا نَسِيمِ] ^(١) السَّحَرُ بِاللَّهِ بَلُّغْ خَبِرَ
إِنْ أَنْتَ يَوْمًا بِالْحِمَى جَرَرْتَ فَضْلَ الْمُتَزَرِ
ثُمَّ حَثَّتِ الْخَطُو مِنْ فَوْقَ الْكَثِيبِ الْأَغْفَرِ
مُسْتَقْرِيًّا فِي عُشْبِهِ خَفِيَ وَطِيءُ الْمَطَرِ
تَرَوِي عَنْ الضَّحَاكِ فِي الرُّوْضِ حَدِيثَ الزَّهْرِ
مُخَلِّقَ الْأَذْيَالِ بِالْعَبِيرِ أَوْ بِالْعَنْبَرِ
وَصِفَ لَجِيرَانَ الْحِمَى وَجَدَى بِهِمْ وَسَهَرَى
وَحَقَّهُمْ مَا غَيَّرَتْ وَدَّى صُرُوفُ الْغَيْرِ
لِلَّهِ عَهْدٌ فِيهِ قَضِيَتْ حِمْدُ الْأَثَرِ
أَيَّامُهُ هِيَ الَّتِي أَحْسَبُهَا مِنْ عُمَرَى
وَيَا اللَّيْلُ فِيهِ مَا عَيْبٌ بِغَيْرِ الْقَصْرِ
الْعَمْرِ فَيَنْانِ وَوَجْهُ الدَّهْرِ طَلِقَ الْغُرُ
وَالشَّمْلُ بِالْأَحْبَابِ مَنْظُومٌ كَنْظُمُ الدُّرِّ
صَفَوْ مِنْ الْعَيْشِ بِلَا شَائِبَةٍ مِنْ كِبَرِ
مَا بَيْنَ أَهْلِ تَقْطِيفِ الْأُنْسِ حَتَّى الشَّمْسِ
وَبَيْنَ آمَالِ تَبْيِيحِ الْقُرْبِ صَافِي الْغُدْرِ
يَا شَجَرَاتِ الْحَيِّ حَيَّاكَ الْحَيَا مِنْ شَجَرِ

(١) هكذا وردت في الإمبريال . وفي النسخ (قل لنسيم) .

إذا أجال الشوق في تلك المغفاني فكري
 خرّجت من خدّي حديث الدمع فوق الطّمر
 وقلت يا خدّ اروي من دمي صبحاح الجوهري
 عهدي بهادي الرّكب كالورقاء عند السّحر
 والغيّس تجتاب الفلا واليغمالات تنبري
 تخبط بالأخفاف مظلوم البرا وهو بسري
 قد عطفت عن مريد والتفت عن حور
 قسي سير ما سوي العنزم لها من وتسر
 حتى إذا الأعلام حلست لحفيّ البشير
 واستبشر النّازح بالقرب ونيل الوطر
 وعين الميقات للسّفر نجاح السّفر
 والناس بين مخرم بالحجّ أو مُعتمر
 لبيك لبيك إله الخلق باري الصّور
 ولاحت الكعبة بيت الله ذات الأثر
 مقام إبراهيم والمأمّن عند الذّعر
 واغتنم القوم طواف القمادم المُبتدر
 وأعقبوا ركعتي السّعي استلام الحجر
 وعرفوا في عرفات كل عرف أدفر
 ثم أفاض الناس سعيّاً في غد للمشعر
 فوقفوا وكبروا قبل الصّباح المُنفّر
 وفي منى نالوا المنى وأيقنوا بالظّفّر
 وبعد رمى الجمرات كان خلق الشّعّر

أَكْرَمَ بِذَلِكَ الصَّحْبِ^(١) وَاللَّهُ وَذَلِكَ النَّفَرِ^(٢)
يَا فَوْزُهُ مِنْ مَوْقِفٍ يَارَبُّهُ مِنْ مَنَجَّرٍ
حَتَّى إِذَا كَانَ الْوَدَا عَ وَطَوَّافِ الصُّدْرِ
فَأَيُّ صَبْرٍ لَمْ يَخُنْ أَوْ جَلْدٍ لَمْ يَغْدُرْ
وَأَيُّ وَجْدٍ لَمْ يَصُلْ وَسَلْوَةٍ لَمْ تُهْجِرْ
مَا أَفْجَعَ الْبَيْنَ لِقَلْبٍ الْوَالِهِ الْمُتَغَفَّرِ^(٣)
ثُمَّ ثَنَوْا نَحْوَ رِسْوِ اللَّهِ سَيْرِ الضُّمَرِ
فَعَايَنُوا فِي طَيْبَةِ الْأَلَاءِ نَوْرَ نَيْسَرِ
زَارُوا رَسُولَ اللَّهِ وَاسْتَشْفَعُوا بِلَثْمِ الْجُدُرِ
نَالُوا بِهِ مَا أَمَلُوا وَعَرَّجُوا فِي الْأَثَرِ
عَلَى الضَّجِيعِينَ أَبِي بَكْرٍ الرُّضَا وَعُمَرُ
زِيَارَةَ الْمَهَادِي الشُّفِيعِ جَنَّةً فِي الْمَخْشَرِ
فَأَحْسَنَ اللَّهُ عَزَا عَ قَاصِدٍ لَمْ يَكْزُرْ
رَبْعُ تَرَى مُسْتَنْزِلَ الْآيِ بِهِ وَالسُّورِ
وَمَلْتَقَى جَبْرِيلَ بِالْمَهَادِي الزَّكِيِّ الْعُنْصُرِ
وَرَوْضَةَ الْجَنَّةِ بَيْنَ رَوْضَةِ وَمَنْبَرِ
مُنْتَخَبِ اللَّهِ وَمُخْتَارِ الْوَرَى مِنْ مُضَرِ
وَالْمُنْتَقَى وَالْكُؤُنِ مِنْ مَلَابِسِ الْخَلْقِ عَرَى
إِذْ لَمْ يَكُنْ فِي أَفُقٍ مِنْ زُحَلٍ أَوْ مُشْتَرٍ^(٤)

(١) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي النَّفْعِ (السَّفَرِ) .

(٢) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي النَّفْعِ (السَّفَرِ) .

(٣) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ وَفِي النَّفْعِ (الْمُسْتَعْبَرِ) .

(٤) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي النَّفْعِ (وَمُشْتَرَى) .

ذو المعجزات الغرّ أمثال النجوم الزهر
 يشهد بالصّدق له منها انشقاق القمر
 والضّب والظّبي إلى نطق الحصى والشجر
 من أطعم الألف بصا ع في صحيح الخبر
 والجيش رواه بما ء الراحة المنهمر
 يا نكتة الكون التي فأتت مَنال الفكر
 يا حجة الله على الرا ئح والمبتكر
 يا أكرم الرُّسل على الله وخير البشر
 يا من له التّقدم الحقُّ على التّأخّر
 يا من لدى مولده المُقدّس المُطهر
 إيوان كِسرى ارتجّ إذ ضاقت^(١) قُصور قيصر
 ووقد النار طفا كأنها لم تُسعر
 يا عُمدتي يا ملجئي يا مفرعي يا وزري
 يا من له اللّواء والحوّض وورد الكوثر
 يا منقذ الغرق وهم رهن العذاب الأكبر
 إن لم تُحقّق أَملى بُوتُ بسعي المُخسر
 صلّى عليك الله يا نور الدُّجا المُعتر
 يا ويحُ نفسي كم أرى [من غفلتي في غمَر]^(٢)
 واحسروا من قِلّة الزّاد وبعد السّفَر
 يُججني والله بالبرهان وعُظُ المنبر

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (ضامت).

(٢) هكذا وردت هذه الشطرة في الإسكوريال . وفي النسخ (في غفلة من عرى) .

يا حُسْنَهَا مِنْ خُطْبٍ لو حُرِّكَتْ مِنْ نَظَرٍ^(١)
 يا حُسْنَهَا مِنْ شَجَرٍ لو أُورِقَتْ مِنْ ثَمَرٍ
 أوْ مِلَّ الْأُزْبَنَةَ وَالْأَمْرَ بِكَفِّ الْقَدَرِ
 أَسَوْفُ الْعِزْمِ مِنْ شَهْرِ لَيْسَ شَهْرٍ
 مِنْ صَقَرٍ لَرَجَبٍ مِنْ رَجَبٍ لَصَقَرٍ
 ضَمِيعَتْ فِي الْكِبَرَةِ مَا أَصْدَقَتْهُ فِي صِقَرٍ
 وَلَيْسَ مَا مَرَّ مِنْ الْأَيْسَامِ بِالْمُنْتَظَرِ
 وَقَلَّ مَا أَنْ حَوْدَتْ سَلَامَةٌ فِي غَمَرٍ
 وَلِي غَسْرِيمٍ لَا يَنْتَى عَنْ طَلَسِبِ الْمُنْكَسِرِ
 يَا نَفْسَ جَدِّي قَدْ بَدَا الصَّبِيحُ أَلَا فَاغْتَبِيسِرِي
 وَاتَّعْطِي بِمَنْ مَضَى وَارْتَدَّعِي وَازْدَجْسِرِي
 مَا بَعْدَ شَيْبِ الْفُؤُودِ مِنْ مُرْتَقِبِ فِشْمَسِرِي
 أَنْتِ وَإِنْ طَالَ الْمَذَى فِي قُلْعَةٍ أَوْ سَفَسِرِ
 وَلَيْسَ مِنْ عُذْرٍ يُقِيمُ حُجَّةَ الْمُعْتَذِرِ
 يَا لَيْتَ شِعْرِي وَالْمُنَى تَسْرِقُ طَيْبَ الْعُمَرِ
 هَلْ ارْتَجَى مِنْ عَوْدَةٍ أَوْ رَجَعَةٍ أَوْ صَدَرِ
 فَأُبْرِدُ الْغُلَّةَ مِنْ ذَاكَ الزُّلَالِ الْخَصِيرِ
 مَقْتَسِدِيًّا بِمَنْ دَضَى مِنْ سَلَفٍ وَمَعْشَرِ
 نَالُوا جِوَارَ اللَّهِ وَهُوَ الْفَخْرُ لِلْمَفْتَخِرِ
 أَرْجُو بِإِبْرَاهِيمَ لَنَا بِلِسْوَغِ الْوَطَرِ

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الشَّح (نظري) .

فوعده لا يمتنرى في انصدق منه الممتري^(١)
فهو الإمام المرتضى والخير ابن الخير
أكرم من نال المنى^(٢) بالمرهفات البتر
متهد الملك وسيف الحق والليث الجسرى
خليفة الله الذى فاق بحسن السسير
وكان منه الخبر فى العلباء وفق الخبر
فصدق التصديق من مسراه للتصور
ومستعين الله فى وزد له وصدر
فاق الملوك الصييد بالمجد الرفيع الخطر
فأصبحت ألقابهم منسية لم تذكر
وحاز منهم^(٣) أو حسد وصف العديد الأكثر
برأيه المأمون أو عسكره المظفر
بسيفه السفاح أو بعزمه المقتدر
بالعلم المنصور أو بالذابل المستنصر^(٤)
بابن الإمام الطاهر البر الزكى السير
مدحك قد علم نظم الشعر من لم يشعر^(٥)
جهد المقل اليوم من مثلى كوشع المكشر
فإن يقصر ظاهرى فلم يقصر مضور

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (متري) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (العلا) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (منه) .

(٤) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (المنتصر) .

(٥) هذه الأبيات الأخيرة كان قد نظمها ابن مرزوق فى مديح ملك المغرب يومئذ السلطان أبى الم
ابراهيم المربى ، ولكنه لاقى مصرعه فى ذى القعدة ٧٦٢ هـ قبل حلول المولد النبوى .

وَوَرَدَتْ عَلَى بَابِ السُّلْطَانِ الْكَبِيرِ الْعَالِمِ أَبِي عَنَانَ ، فَبَلَوْتُ مِنْ مَشَارِكْتِهِ .
وَحَمِيدٌ سَعِيهِ ، مَا يَلِيْقُ بِمِثْلِهِ . وَلَمَّا نَكَبَهُ لَمْ أَقْصُرْ عَنْ مُمَكِّنِ حِيلَةٍ فِي أَمْرِهِ .
وَلَمَّا هَلَكَ السُّلْطَانُ أَبُو عَنَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَصَارَ الْأَمْرُ لِأَخِيهِ [الْمُتَلَحِّقِ مِنْ
الْأَنْدَلُسِ أَبِي سَالِمٍ بَعْدَ الْوَلَدِ الْمُسَمَّى بِالسَّعِيدِ] ^(١) كَانَ مِنْ دُمْتُ لَهُ
الطَّاعَةِ ، وَأَنَا خِ رَاحِلَةُ الْمُلْكِ ، وَحَلَبَ ضِرْعُ الدَّعْوَةِ ^(٢) ، وَخَطَبَ [عُرُوسِ] ^(٣)
الْمَوْهَبَةِ ، فَأَنْشَبَ ظُفْرَهُ فِي مَتَاتٍ مَعْقُودٍ مِنَ لَدُنِ الْأَبِ ، مَشْدُودٍ مِنَ لَدُنِ
الْقُرْبَةِ ^(٤) ، فَاسْتَحْكَمَ عَنْ قُرْبٍ ، وَاسْتَغْلَظَ عَنْ كَثَبٍ ، فَاسْتَوَلَى عَلَى أَمْرِهِ ،
وَحَلَطَهُ بِنَفْسِهِ ، وَلَمْ يَسْتَأْثِرْ عَنْهُ بَبِيَّةٌ ، وَلَا انْفَرَدَ بِمَا سَوَى بَضْعِ أَهْلِهِ .
بِحَيْثُ لَا يَقْطَعُ فِي شَيْءٍ إِلَّا عَنْ رَأْيِهِ . وَلَا يَمْحُو وَيُثَبِّتُ إِلَّا وَاقِفًا عِنْدَ
حَدِّهِ ، فَغَشِيَتْ بَابَهُ الْوُفُودُ ، وَضُرِفَتْ إِلَيْهِ الْوُجُوهُ ، وَوُقِفَتْ عَلَيْهِ الْأُمَالُ ،
وَعَدِمَتْهُ الْأَشْرَافُ ، وَجُلِبَتْ إِلَى سُدَّتِهِ بِضَايِعُ الْعُقُولِ وَالْأُمُومَالِ ، وَهَادَتْهُ
الْمُلُوكُ ، فَلَا تَحْدُو الْحُدَاةَ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَلَا تَحْطُ الرِّجَالُ إِلَّا لَدَيْهِ . إِنْ خَضِرَ
أُجْرَى الرَّسْمِ ، وَأَنْفَذَ الْأَمْرَ وَالنَّهْيَ لَحْظًا أَوْ سِرَارًا أَوْ مَكَاتِبَةً ، وَإِنْ غَابَ ،
تَرَدَّدَتْ الرُّقَاعُ ، وَاخْتَلَفَتْ الرُّسُلُ . ثُمَّ انْفَرَدَ أَخِيرًا بِبَيْتِ الْخَلْوَةِ ،
وَمُنْتَبِذِ الْمُنَاجَاةِ ، مِنْ دُونِهِ مُضْطَفُّ الْوُزَرَاءِ ، وَغَايَاتِ الْحُجَابِ ^(٥) ، فَإِذَا
انْصَرَفَ تَبِعَتْهُ الدُّنْيَا ، وَسَارَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ الْوُزَرَاءُ ، وَوُقِفَتْ بِبَابِهِ الْأُمَرَاءُ ،
قَدْ وَسَّعَ الْكُلُّ لَحْظَهُ ، وَشَمِلَهُمْ بِحَسَبِ الرُّتَبِ وَالْأُمُومَالِ رَعِيَهُ ، وَوَسَّمَ
أَفْزَادَهُمْ تَسْوِيدُهُ ، وَعُقِدَتْ بَبْنَانُ عِلْيَتِهِمْ بَنَانُهُ . لَئِنْ رَضِيَ النَّاسُ غَايَةَ

(١) هذه الزيادة من النسخ . ومكانها في المخطوط هذه العبارة (بعد ولده) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (الدولة) .

(٣) هذه الزيادة من النسخ

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (التقرب) .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (الحجابة) .

لا تُدرك ، والحِقد^(١) بين بنى آدم قديم ، وقَبِيلُ الملك مَبَايِنٌ لِمثله ، فطُويت
الجوانح منه على سَل ، وحُنِيَتْ الضُّلُوع على بَثٍّ ، [وأُغْمِضَتْ الجفون
على قَذَى]^(٢) إلى أن كان من نَكْبته ما هو معروف جعلها الله له طُهوراً .

ولما جَرَتْ الحادثة على السلطان^(٣) [بالأندلس]^(٤) ، وكان لحاقُ جميعنا
بالمغرب ، جَنِيَتْ ثمرة ما أَسْلَفْتُهُ في وُدِّه ، فوفى كَيْلَ الوفا ، وأشرك في
الجاه ، وأدّر الرِّزْق ، ورفع المَجْلِس [بعد التَّسْبِيح في الخلاص]^(٥) ،
والسَّعى في الجَبَر ، جَبَرَهُ اللهُ [تعالى وكان له]^(٦) أَحْوج ما يكون إلى ذلك ،
يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون ، إلّا من أتى الله بقلب سليم .

ولما انقضى أمرُ سلطنة رحمه الله ، وقَذَفَ به بحرُ التَّمْحِيصِ إلى شَطْلِهِ ،
وأَضْحَى جُوءُ النَّكْبَةِ بعد انطِيقِهِ ، آثَرَ التَّشْرِيقَ بِأَهْلِهِ وَجُمْلَتِهِ ، واستقرَّ
بتوَسُّس ، خطيبُ الخلافة ، مَقِيماً على رسمه من التَّجَلَّة ، ذايِع الفضل
هتالك والمشاركة ، وهو بحالته الموصوفة إلى الآن كان الله له .

وكنْتُ أَحْسَسْتُ منه في بعض الكُتُبِ الواردة ، صاغية إلى الدنيا ،
وحينئذٍ لما فارق من غُرُورها ، فحملني الطَّيْرُ الذي ارتكَبْتُهُ في هذه الأيام
بتوفيق الله . على أن خاطبته بهذه الرسالة ، وحقُّها أن يجعلها خدمة الملوك
من يُنسب إلى نَبِيل ، أو يُلم بمعرفة ، مُصَحِّحاً يَدْرُسُهُ ، وشِعْراً يَلْتَزِمُهُ ، وهي :
سیدی ، الذي يُلْهُه البَيضاء لم تَذْهَب بشهرتها المكافاة ، ولم تختلِف

(١) هذا في الإسكوريال . وفي النفح (الحسد) .

(٢) هذه الزيادة من النفح .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النفح (الدول) .

(٤) هذه الزيادة من النفح .

(٥) وردت في الإسكوريال (تسبيح الخلاص) . والتصويب من النفح .

(٦) الزيادة من النفح .

فى مَذْحِهَا الْأَفْعَالِ ، وَلَا تَغَايِرَتْ فى حَمْدِهَا الصُّفَاتِ ، وَلَا تَزَالُ تَعْتَرِفُ بِهَا
 الْعِظَامُ الرَّفَاتِ ، أَطْلَقَكَ اللَّهُ مِنْ أَسْرِ الْكَوْنِ ، كَمَا أَطْلَقَكَ مِنْ أَسْرِ بَعْضِهِ ،
 وَرَشَّدَكَ فى سَمَائِهِ الْعَالِيَةِ وَأَرْضِهِ ، وَحَقَّرَ الْحِطَّ فى عَيْنِ بَصِيرَتِكَ بِمَا يَحْمِلُكَ
 عَلَى رَفْضِهِ . اتَّصَلَ بِنِ الْخَبِيرِ السَّارِ مِنْ تَرْكِكَ لَشَأْنِكَ ، وَإِجْنَاءِ اللَّهِ إِيَّاكَ ثَرَّةَ
 إِحْسَانِكَ ، وَإِنْجِيَابِ ظَلَامِ الشُّدَّةِ الْحَالِكِ ، عَنْ أَفُقِ حَالِكَ . فَكَبَّرْتَ لِانْتِشَاقِ
 عَفْوِ اللَّهِ الْعَاطِرِ ، وَاسْتَعْبَرْتَ لِتَضَاوُلِ الشُّدَّةِ بَيْنَ يَدَيْ الْقَرَجِ ، لَا يَسُوى
 ذَلِكَ مِنْ رِضَى مَخْلُوقٍ يُؤَمَّرُ فَيَأْتَمُرُ ، وَيَدْعُوهُ الْقَضَاءُ فَيَبْتَذِرُ ، إِنَّمَا هُوَ فَنِيٌّ
 وَظَلٌّ لَيْسَ لَهُ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ، وَنَسْأَلُهُ جَلًّا وَتَعَالَى أَنْ يَجْعَلَهَا آخِرَ عَهْدِكَ
 بِالْدُّنْيَا وَبَنِيهَا ، وَأَوَّلَ مَعَارِجِ نَفْسِكَ . الَّتِى تُقَرِّبُهَا مِنَ الْحَقِّ وَتُدْنِيهَا ،
 وَكَأَنَّنى وَاللَّهُ أَحْسَنُ بِثِقَلِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ عَلَى سَمْعِكَ ، وَمُضَادَّتِهَا وَلَا حَوْلَ
 وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ لَطَبْعِكَ ، وَأَنَا أَنَا فِرَكَ إِلَى الْعَقْلِ الَّذِى هُوَ قِسْطُاسُ اللَّهِ فى
 عَالَمِ الْإِنْسَانِ ، وَالْآلَةُ لِبَيْتِ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ، وَالْمَلِكِ الَّذِى يَبِينُ عَنْهُ
 تُرْجَمَانُ اللِّسَانِ ، فَمَا قَوْلَ لَيْتَ شِعْرِى مَا الَّذِى غَبِطَ سَيْدِى بِالْدُّنْيَا ، وَإِنْ بَلَغَ
 مِنْ زِبْرِجِهَا الرُّتْبَةُ الْعَلِيَا ، وَأَفْرَضَ الْمِثَالِ لِحَالَةِ إِقْبَالِهَا ، وَوَضَلَ حِجَابِهَا ،
 وَضَمَّرَاعَةَ سِبَالِهَا ، وَخَشُوعَ جِبَالِهَا . أَلَيْتَوَقَّعَ الْمَكْرُوهَ صَبَاحَ مَسَا ، وَارْتَقَابَ
 الْحِوَالَةِ الَّتِى تُدِيلُ مِنَ النَّعِيمِ الْبَيَّاسَا . وَلِزُومِ الْمَنَافَسَةِ الَّتِى تُعَادِى الْأَشْرَافَ
 وَالرُّؤَسَا . أَلَتَرْتَّبَ الْعَنْبَ . حَتَّى عَلَى التَّقْصِيرِ فى الْكُتُبِ . وَظَعِينَةَ جَارِ
 الْجَنْبِ ، وَوَلُوعَ الصَّدِيقِ بِإِحْصَاءِ الذُّنُبِ . أَلِنَسَبَةُ وَقَايعِ الدُّوَلَةِ إِلَيْكَ
 وَأَنْتَ بَرَى ، وَتَطْوِيْقِكَ الْمُؤَبِّقَاتِ وَأَنْتَ مِنْهَا عَرَى . أَلِاسْتِيْهَادُكَ لِلْمَضَارِّ
 الَّتِى تُنْتَجِهَا غَيْرَةُ الْفُرُوجِ . وَالْأَحْقَادِ الَّتِى تَضْمَطِيبُهَا رَكْبَةُ السُّرُوجِ وَسَرَّحَةُ
 الْمُرُوجِ ، وَنَجُومِ السَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ . أَلِتَقْلِيدُكَ التَّقْصِيرِ فِيمَا ضَاقَتْ عَنْهُ
 طَاقَتُكَ . وَصَحَّتْ إِلَيْهِ فَاقَتُكَ ، مِنْ حَاجَةٍ لَا يَقْتَضِى قَضَائِهَا الْوُجُودُ .

ولا يُكَيِّفُهَا الرُّكُوعَ لِلْمَلِكِ وَالسُّجُودَ . أَلْبَقَطُ الزَّمانَ بَيْنَ سُلْطَانٍ يُعْبَدُ ،
 وَسِيَّاهِمْ لِلْأَيُّوبِ تُكَبِّدُ ، وَعَجَاجَةٌ شَرٌّ تُلَبِّدُ . وَأَقْبُوحةٌ تُخَلِّدُ وَتُوَبِّدُ . أَلْيُوزَيْرِ
 يُصَانَعُ وَيُدَارَى ، وَذِي حُجَّةٍ صَحِيحَةٍ يُجَادَلُ فِي مُرْضَاةِ السُّلْطَانِ وَيُمَارَى ،
 وَعَوْرَةٍ لَا تُوَارَى . أَلِمُبَاكِرَةِ كُلِّ عَائِبٍ حَاسِدٍ ، وَعَدُوٍّ مُسْتَأْسِدٍ ، وَسُوقٍ
 لِلْإِنْصَافِ وَالشَّفَقَةِ كَاسِدٍ ، وَحَالٍ فَاسِدٍ . أَلِلْدُوفُودِ تَتَزَاحِمُ بِسُدَّتِكَ ، مُكَلِّفَةٌ
 لَكَ غَيْرَ مَا فِي طَوْفِكَ ، فَإِنْ لَمْ تَنْلِ أَغْرَاضَهَا . قَلَبْتَ عَلَيْكَ السَّمَاءَ مِنْ فَوْقِكَ .
 أَلِجُلَسَاءِ بَبَائِكَ ، لَا يَقْطَعُونَ زَمَنَ رَجُوعِكَ وَإِيَابِكَ ، إِلَّا بِقَبِيحِ اغْتِيَابِكَ .
 فَالْتَّصِرْفَاتِ تُنْقَتُ ، وَالْقَوَاطِعِ النُّجُومِيَّاتِ تُوَقَّتُ ، وَالْأَلَاقِ^(١) تُبَثُّ ،
 وَالسَّعَايَاتِ تُحَثُّ ، وَالْمَسَاجِدِ يُشْتَكَى قِيَمُهَا الْبَثُّ ، يَعْتَقِدُونَ أَنَّ السُّلْطَانَ فِي
 يَدِكَ ، بِمَنْزِلَةِ الْحِمَارِ الْمَدْبُورِ . وَالْيَتِيمِ الْمَخْجُورِ ، وَالْأَسِيرِ الْمَأْمُورِ .
 لَيْسَ لَهُ شَهْرَةٌ وَلَا غَضَبٌ . وَلَا أَمَلٌ فِي الْمَلِكِ وَلَا أَرْبٌ . وَلَا مَوْجِدَةٌ لِأَحَدٍ
 كَامِنَةٌ ، وَلِلشَّرِّ ضَامِنَةٌ . وَلَيْسَ فِي نَفْسِهِ عَنِ رَأْيِ نُفْرَةٍ . وَلَا بِلِإِذَاءِ مَا لَا
 يَقْبَلُهُ نَزْوَةٌ وَطَفْرَةٌ . إِنَّمَا هُوَ جَارِحَةٌ لَصَيْدِكَ . وَعَانٍ فِي قَيْدِكَ . وَآلَةٌ لَتَصْرُفِ
 كَيْدِكَ ، وَأَنَّكَ عِلَّةٌ حَيْفِهِ ، وَمُسَلِّطٌ سَيْفِهِ . الشُّرَّارُ يُسْمِلُونَ عُيُونَ النَّاسِ
 بِأَسْمِكَ ، ثُمَّ يُمَزَّقُونَ بِالْغَيْبَةِ مَزْقَ جِسْمِكَ . قَدْ تَنَخَّلْهُمْ الْوَجُودُ أَخْبِثَ
 مَا فِيهِ . وَاخْتَارَهُمُ السَّفِيهِ فَالسَّفِيهِ ، إِذْ الْخَيْرُ يُسْرُهُ اللَّهُ عَنِ الدُّوَلِ وَيُخْفِيهِ .
 وَيَقْذَرُهُ بِالْقَلِيلِ فَيَكْفِيهِ . فَهَمْ يَمْتَحِنُونَكَ . وَيُولُونُكَ الْمَلَامَةَ . وَيَقْتَحِمُونَ
 عَلَيْكَ أَبْوَابَ الْقَوْلِ . وَيَسُدُّونَ طَرِيقَ السَّلَامَةِ . وَلَيْسَ لَكَ فِي أَثْنَاءِ هَذِهِ
 إِلَّا مَا يَعُوزُكَ مَعَ ارْتِفَاعِهِ ، وَلَا يَفُوتُكَ مَعَ انْقِشَاعِهِ . وَذَهَابِ حُدَادِهِ . مِنْ
 غِذَاءٍ يُشْبِعُ ، وَثَوْبٍ يُقْنَعُ ، وَفِرَاشٍ يُنِيمُ ، وَخَدِيمٍ يَقْدُمُ وَيُقِيمُ . وَمَا الْفَايِدَةُ
 فِي فَرَّاشٍ تَحْتَهَا حَمَرُ الْعَصَا ، وَمَالٍ مِنْ وَرَائِهِ سُوءُ الْقَضَا . وَحَادٍ تُحَلِّقُ عَلَيْهِ

(١) الْأَلَاقُ جَمْعُ الْقِيَةِ ، وَمِثْلُهَا الْأَلْعَارُ وَالْإِلْهَابِي .

سيفٌ مُنتَصَا . وإذا بَلَغَتِ النَّفْسُ إِلَى الْإِلْتِذَاذِ بِمَا لَا تَمْلِكُ ، وَاللَّجَاجِ حَوْلَ الْمَسْقُطِ الَّذِي تَعْلَمُ أَنَّهَا فِيهِ تَمْلِكُ . فَكَيْفَ يُنْسَبُ إِلَى نُبُلٍ أَوْ يُسَرَّ مَعَ السَّعَادَةِ فِي سُبُلٍ . وَإِنْ وَجَدْتَ فِي الْقُعُودِ بِمَجْلِسِ التَّحِيَّةِ بَعْضَ الْأَرِيحِيَّةِ ، فَلَيْتَ شِعْرِي أَيْ شَيْءٍ زَادَهَا ، أَوْ مَعْنًى أَفَادَهَا ، إِلَّا مُبَاكَرَةَ وَجْهِ الْحَاسِدِ ، وَذِي الْقَلْبِ الْفَاسِدِ ، وَمَوَاجِهَةَ الْعَدُوِّ الْمُسْتَأْسِدِ . أَوْ شَعْرَتَ بَعْضِ الْإِنْسَانِ فِي الرُّكُوبِ بَيْنَ النَّاسِ ، هَلْ التَّدَّتْ إِلَّا بِحِلْمٍ كَاذِبٍ ، أَوْ جَذْبِهَا غَيْرُ الْغُرُورِ مُجَاذِبٍ . إِنَّمَا الْحِلْيَةُ وَافَتْكَ مِنْ يُحَدِّقُ إِلَى الْبِزَّةِ ، وَيَسْتَطِيلُ مَدَّةَ الْعِزَّةِ ، وَيَرْتَابُ إِذَا حُدِّثَ بِخَبْرِكَ ، وَيَتَّبِعُ بِالنَّقْدِ وَالتَّجَسُّسِ مَوَاقِعَ نَظَرِكَ ، وَيَمْنَعُكَ مِنْ شَارَةِ أَنْسِكَ . وَيَحْتَالُ عَلَى فِرَاقِ كَيْسِكَ ، وَيُضْمِرُ الشَّرَّ لَكَ وَلِرَسِيكَ . وَأَيُّ رَاحَةٍ لِمَنْ لَا يُبَاشِرُ قَصْدَهُ ، وَيَسِيرُ مَتًى شَا وَخَدَهُ ، وَلَوْ صَحَّ فِي هَذِهِ الْحَالِ اللَّهُ حَظٌّ ، وَهَبَهُ زَهِيداً ، أَوْ عَيَّنَ لِلرُّشْدِ عَمَلاً حَمِيداً ، لَسَاغَ الصَّابُ^(١) . وَخَفَّتِ الْأَوْصَابُ . وَسَهَّلَ الْمُصَابُ . لَآكُنَ الْوَقْتُ أَشْغَلَ ، وَالْفِكْرُ أَوْغَلَ ، وَالزَّمَنُ قَدْ غَمَرَتْهُ الْحَصَصُ الْوَهْمِيَّةُ ، وَاسْتَنْفَدَتْ مِنْهُ الْكَمِّيَّةُ . أَمَا لَيْلُهُ فَفِكْرٌ أَوْ نَوْمٌ . وَعَتَبُ يَجْرُ الضُّرَّاسُ وَلَوَمٌ ، وَأَمَا يَوْمُهُ فَتَدْبِيرٌ ، وَقَبِيلٌ وَدَبِيرٌ ، وَأُمُورٌ يَعْبَاهَا ثَبِيرٌ ، وَبَلَاءٌ مُبِيرٌ ، وَلَعَطٌ لَا يَدْخُلُ فِيهِ حَكِيمٌ كَبِيرٌ . وَأَنَا بِمِثْلِ ذَلِكَ خَبِيرٌ . وَوَاللَّهِ يَا سَيِّدِي ، وَمَنْ قَلَقَ الْحَبَّ وَأَخْرَجَ الْأَبَّ . وَذَرَا مِنْ مَشَى وَمَا دَبَّ . وَسَمَّى نَفْسَهُ الرَّبَّ ، لَوْ تَعَلَّقَ الْمَالُ الَّذِي يَجِدُهُ هَذَا الْكَذْحُ ، وَبُورَى سَقِيظُهُ هَذَا الْقَدْحُ ، بِأَذْيَالِ الْكُؤَاكِبِ . وَزَاحَمَتِ الْبِلْدَرَ بِدُرِّهِ بِالْمِذَاكِبِ ، لَا وَرِثَهُ عَقِبُ ، وَلَا خَلَصَ بِهِ مُخْتَقِبُ ، وَلَا فَازَ بِهِ سَافِرٌ وَلَا مُنْتَقِبُ . وَالشَّاهِدُ الدُّوْلُ وَالْمَشَايِمُ الْأَوَّلُ . فَآيُنَ الرُّبَاعِ الْمُفْتَنَّةِ ، وَآيُنَ الدِّيَارِ الْمُتَبَدِّدَةِ . وَآيُنَ الْحَدَائِقِ الْمُغْتَرَّسَاتِ . وَآيُنَ الذَّخَائِرِ

(١) ورد في هامش المخطوط ما يأتي الصابة شجرة مرة . وجمعه صاب .

المُختَلَسَات ، وأَيْن الودائع المؤمَّلة ، وأَيْن الأمانات المُحمَّلة ، تَأْذَنُ الله
بِتَبْطِيرِهَا ، وإِدْناءِ وتَارِ التَّيَّارِ من دَنَانِيرِهَا ، فَعَلَمَّا تَلْقَى أَعْقَابَهُمْ إِلَّا أَعْرَبًا
لِلطُّمُورِ ، مُتَرَمِّقِينَ بِجَرَائِاتِ الشُّهُورِ ، مُتَعَلِّلِينَ بِالْهَبَاءِ الْمُنْثُورِ ، يُطْرَدُونَ من
الْأَبْوَابِ الَّتِي حُجِبَ عِنْدَهَا آبَاؤُهُمْ ، وَعُرفَ مِنْهَا إِبَاؤُهُمْ ، وَشَمَّ مِنْ مَقَاصِيرِهَا
عَبْرُهُمْ وَكِبَاؤُهُمْ ، لَمْ تُسَامَحْهُمْ الْآيَامُ إِلَّا فِي إِرْثِ مُحَرَّرٍ ، أَوْ حَلَالٍ مُقَرَّرٍ ،
وَرَبَّمَا مُحَقَّةُ الْحَرَامِ ، وَتَعَذَّرَ مِنْهُ الْمَرَامُ . هَذِهِ أَعَزَّكَ اللهُ حَالُ قَبُولِهَا وَمَالِهَا مَعَ
التَّرْفِيهِ ، وَعَلَى فَرَضٍ أَنْ يَسْتَوْفِيَ الْعُمَرُ فِي الْعِزِّ مُسْتَوْفِيهِ . وَأَمَّا ضِدُّهُ مِنْ
عَدُوٍّ يَتَحَكَّمُ وَيَنْتَقِمُ ، وَحُوتٌ بَغَى يَبْتَلِعُ وَيَلْتَقِمُ ، وَطَبَقٌ يَخْجِبُ الْهَوَا ،
وَيُطِيلُ فِي التَّزَابِ الثَّوَا ، وَتُعْبَانُ قَحِيدٌ^(١) يَعْضُ السَّاقَ ، وَشَوْبُوبُ عَذَابٍ
يُعَزِّقُ الْإِبْشَارَ الرَّقَاقَ ، وَغِيلَةٌ يَهْدِيهَا الْوَاقِبُ الْغَاسِقُ ، وَيَجْرَعُهَا الْعَدُوُّ
الْفَاسِقُ ، مَعَ الْأَفْوَلِ وَالشُّرُوقِ . فَهَلْ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذَا مُفْتَبِّطٌ لِنَفْسٍ حُرَّةٍ ،
أَوْ مَا يَسَاوِي جُرْعَةً حَالٍ مُرَّةً .. وَاحْسَرْتَادَ لِلْأَحْلَامِ ضَلَّتْ ، وَلِلْأَقْدَامِ زَلَّتْ ،
وَيَا لَهَا مُصِيبَةٌ جَلَّتْ ، وَلِسِيْدِي أَنْ يَقُولَ حَكَمْتُ عَلَى بَاسِثِثِقَالِ الْمَوْعِظَةِ
وَأَسْتَجِفَّانَهَا ، وَمُرَاوِدَةِ الدُّنْيَا بَيْنَ خِلَانِهَا وَأَكْفَايَهَا ، وَتَنَاسَى عَدَمَ وَفَايَهَا ،
فَأَقُولُ الطَّيِّبُ بِالْعِلَلِ أَدْرِي ، وَالشَّفِيقُ بِسُوءِ الظَّنِّ مُغْرَى . وَكَيْفَ لَا وَأَنَا
أَقِفُ عَلَى السَّحَابَاتِ ، بِعِطْ سِيْدِي . مِنْ مَطَارِحِ الْإِعْتِقَالِ ، وَمَثَاقِفِ النُّوبِ
الثَّقَالِ ، وَخَلَوَاتِ الْإِسْتِعْدَادِ لِقَاءِ الْخُطُوبِ الشَّدَادِ ، وَنَوْشِ الْأَسِنَّةِ الْحِدَادِ ،
وَحَيْثُ يَجْمَلُ بِمُثْلِهِ إِلَّا تَصْرِيفُ فِي غَيْرِ الْخُضُوعِ لِلَّهِ بَنَانًا . وَلَا يَثْنِي
لِمَخْلُوقٍ عِذَانًا . وَأَتَعْرِفُ أَنَّهَا قَدْ مَلَأَتْ الْجَوْ وَالِدَوَّ ، وَقَصَّدَتْ الْجَمَادَ وَالْبَوَّ ،
تَقْتَحِمُ أَكُفَّ أَوَّلَى الشَّمَاتِ ، وَحَفَظَةَ الْمَذَمَّاتِ . وَأَعَوَانَ النُّوبِ الْمُؤَلِّمَاتِ ،
زِيَادَةَ فِي الشَّقَا . وَقَصَّدَ أَبْرِيَاءَ مِنَ الْإِخْتِيَارِ وَالْإِنْتِقَا . مُشْتَمَلَةً مِنَ التَّجَاوُزِ

(١) قَمَدٌ أَعْنَى طَوِيلٌ مِنْ قَمَدٍ قَمْدًا أَيْ طَالًا حَسَبَهُ .

على أَغْرَبَ من العَنْقَا ، ومن النَّقَاقِ على أَشْهَرِ من البَلَقَا . فهذا يُوصَفُ
بالإِمامة ، وهذا يُنسَبُ في الجودِ إلى كَعْبِ بنِ مَامة ، وهذا يُجْعَلُ من أَهلِ
الكَرامة ، وهذا يُكَلَّفُ الدُّعَاءَ وليس من أَهلِهِ ، وهذا يُطَلَّبُ منه لِقَا
الصَّالحين وليسوا من شَكْلِهِ ، إلى ما أَحْفَظَنِي اللهُ من البَحْثِ عن السُّمومِ ،
وَكُتُبِ النُّجُومِ ، والمَذْمُومِ من المَعْلُومِ ، هَلَّا كَانَ من يَنْظُرُ في ذلكِ قد قُوطِعَ
بِتَأْتَا ، وأَعْتَقَدَ أَنَّ اللهَ لا جَعَلَ لَزَمَنِ الخَيْرِ وَالشَّرِّ مِيقَاتَا ، وَأَنَا لا نَمْلِكُ مَوْتَا
ولا نُشُورَا ولا حَيَاتَا ، وَأَنَّ اللّٰهَ قد خَصَرَ الْأَشْيَاءَ مَحْوَا وإِثْبَاتَا ، فَكَيْفَ
نَرْجُو لَمَّا مَنَعَ مَنَالَا ، أَوْ نَسْتَطِيعُ مِمَّا قَدَرَ إِفْلَاتَا . أَفِيْلُونَا مَا يُرْجِعُ الْعَقِيدَةَ
المُقَرَّرَةَ ، نَتَحَوَّلُ إِلَيْهِ ، وَبَيِّنُوا لَنَا الْحَقَّ . نَعُوْذُ بِهِ . اللهُ اللهُ يَا سَيِّدِي فِي
النَّفْسِ المُرْشَحَةِ ، وَلِلذَّاتِ المُخَلَّاتِ بِالفَضَائِلِ المَوْشَحَةِ . وَالسَّلَفِ الشَّهِيرِ
الْخَيْرِ ، وَالْعُمَرِ المُشْرِفِ على الرِّحْلَةِ بَعْدَ حَثِّ السَّيْرِ ، وَدَخْرِ الدُّنْيَا لِأَهْلِهَا ،
فَمَا أَوْكَسَ حُطُوطَهُمْ ، وَأَخْسَ لِحُوطَتِهِمْ ، وَأَقْلَ مَنَاعَتِهِمْ ، وَأَعَجَلَ إِسْرَاعَتِهِمْ ،
وَأَكْثَرَ عَنَاءَتِهِمْ ، وَأَقْصَرَ أَنَاءَتِهِمْ :

ما تَمَّ إِلَّا مَا رَأَيْتَ وَزَيْمًا تَغِي السَّلَامَةَ
وَالنَّاسَ إِمَّا جَائِرًا أَوْ حَائِرًا يَشْكُو ظُلَامَةَ
وَاللهَ مَا اخْتَقَبَ الْحَرِيصُ سِوَى الذُّنُوبِ أَوْ الْمَلَامَةِ
هَلْ تَمَّ شَكُّكَ فِي الْمَعَادِ الْحَقُّ أَوْ يَوْمُ الْقِيَامَةِ
قُولُوا لِنَاسٍ مَا عِنْدَكُمْ أَهْلَ الْخُطَابَةِ وَالْإِمَامَةِ

وإن رَمِيتُ بِأَحْجَارِي ، وَأَوْحَرْتُ المَرَّ من أَشْجَارِي ، فوالله ما قَلْبِي سَتَ
منهَا لليومِ بَشْيٍ قَدِيمٍ ولا حَدِيثٍ ، ولا اسْتَأْثَرْتُ بِطَيْبٍ فَضْلًا عن خَبِيثٍ .
وما أَنَا إِلَّا عَابِرُ سَبِيلٍ ، وَهَاجِرُ مَرْعَى وَبَيْلٍ ، وَمُرْتَقِبٌ وَعَدٍ قَدَرِ فِيهِ
الْإِنْجَازُ ، وَعَاكِفٌ عَنِ حَقِيقَةِ لا تَعْرِفُ الْمَجَازَ قد فَرَرْتُ مِنَ الدُّنْيَا

كما يُفَرُّ من الأسد ، وحاولت المقاطعة ، حتى بين رُوحى والجَسَد ، وغَسَلَ
الله قلبي ، وله الحمد ، من الطَّمَع والحَسَد ، فلم أَبْقِ عادةً إِلَّا قَطَعْتُهَا ،
ولا جَنَّةً لِلصَّبْرِ إِلَّا أَدْرَعْتُهَا . أمَّا اللِّبَاس فالصُّوف ، وأمَّا الزُّهْدُ فَمَا فِي أَيْدِي
النَّاسِ فَمَعْرُوف ، وأمَّا المَالُ الْغَبِيطُ فَعَلَى الصَّدَقَةِ مَصْرُوف . ووالله لو عَلِمْتُ
أَنَّ حَالِي هَذِهِ تَتَّصِل ، وَغُرَاهَا لَا تَنْفَصِل ، وَأَنْ تَرْتَبِي هَذَا يَدُوم ، وَلَا
يَجِيزُنِي الْوَعْدُ الْمَحْتَمُوم ، وَالْوَقْتُ الْمَعْلُوم ، لَمْتُ أَسْفًا ، وَحَسْبِيَ اللَّهُ وَكَفَا .
ومَعَ هَذَا يَا سَيِّدِي ، فَاَلْمَوْعِظَةُ تُتَلَقَّى مِنْ لِسَانِ الْوُجُود ، وَالْحِكْمَةُ ضَالَّةُ
الْمُؤْمِنِ يَطْلُبُهَا بِبَذَلِ الْمَجْهُود ، وَيَأْخُذُهَا مِنْ غَيْرِ اعْتِبَارٍ بِمَحَلِّهَا الْمَذْمُوم أَوْ
الْمَحْمُود . وَلَقَدْ أَعْمَلْتُ نَظْرِي فِيهَا يَكْفِيءُ غَنَى بَعْضِ يَدِكَ ، أَوْ يَنْتَمِي فِي
الْفَضْلِ إِلَى أَمَدِكَ ، فَلَمْ أَرْ لَكَ الدُّنْيَا كَفَاً . هَذَا لَوْ كُنْتُ صَاحِبَ دُنْيَا .
وَأَلْفَيْتُ بِذَلِكَ النَّفْسَ قَلِيلًا لَكَ مِنْ غَيْرِ شَرْطٍ وَلَا ثَنِيَّةٍ . فَلَمَّا أَلْهَمَنِي اللَّهُ
لِمَخَاطَبَتِكَ هَذِهِ النَّصِيحَةَ الْمَفْرَغَةَ فِي قَالِبِ الْجَفَا ، لَمْ لَا يُثَبِّتْ عَيْنَ الصَّغْفَا ،
وَلَا يُشِيمَ بَارِقَةَ الْوُفَا ، وَلَا يَعْرِفَ قَادُورَةَ الدُّنْيَا مَعْرِفَةً مِثْلِي مِنَ الْمُتَدَنِّسِينَ
بِهَا الْمُتَنَهِّمِينَ ، وَيَنْظُرَ عَوَارِهُ الْفَادِحِ بِعَيْنِ الْيَقِينِ ، وَيَعْلَمَ أَنَّهَا الْمَوَسَّةُ الَّتِي
حُسْنُهَا زُور ، وَعَاشِقُهَا مَغْرُور ، وَسُرُورُهَا شُرُور ، تَبَيَّنَ لِي أَنِّي قَدْ كَافَيْتُ
صَنِيعَتَكَ الْمُتَقَدِّمَةَ ، وَخَرَجْتُ عَنْ عَهْدَتِكَ الْمُتَلَزِمَةِ ، وَمَحَضْتُ لِلَّهِ النَّصِيحَ
الَّذِي يُقِيرُّ بِعِزِّ اللَّهِ ذَاتَكَ ، وَيُطِيبُ حَيَاتَكَ ، وَيُحْيِي مَوَاتَكَ ، وَيَرْيَحُ
جَوَارِحَكَ مِنَ الْوَصَبِ ، وَقَلْبَكَ مِنَ النَّصَبِ ، وَيُحَقِّرُ الدُّنْيَا وَأَهْلَهَا فِي
عَيْنِكَ إِذَا اعْتَبَرْتَ ، وَيُلَاشِي عِظَايِمَهَا لَدَيْكَ إِذَا اخْتَبَرْتَ ، كُلُّ مَنْ تَقَعُ
عَلَيْهِ عَيْنُكَ حَقِيرٌ قَلِيلٌ ، وَفَقِيرٌ ذَلِيلٌ ، لَا يَفْضُلُكَ بِشَيْءٍ إِلَّا بِاقْتِفَاءِ
رُشْدٍ أَوْ تَرْكِ غِيٍّ . أَثْوَابُهُ النَّبِيْهَةُ يَجْرُدُهَا الْغَاسِلُ . وَغُرُوبُهُ غَيْرُهُ يُفْصَلُهَا
الْفَاصِلُ ، وَمَالُهُ الْحَاضِرُ الْحَاصِلُ ، يَعِيشُ فِيهِ الْحُسَامُ الْفَاصِلُ ، وَاللَّهُ

مَا تَعَيَّنَ لِلخَلْفِ إِلَّا مَا تَعَيَّنَ لِلسَّلَفِ ، وَلَا مَصِيرُ الْمَجْمُوعِ إِلَّا إِلَى التَّلَفِ ،
 وَلَا صَحَّ مِنْ الْهَيَاطِ وَالْمِيَاطِ ، وَالصَّيَّاحِ وَالْعِيَاطِ ، وَجَمَعَ الْقِيَرَاطِ إِلَى
 الْمَهْرَاطِ ، وَالْإِسْتِظْهَارِ بِالْوَزْعَةِ وَالْأَشْرَاطِ ، وَالْخَبِطِ وَالْخُبَّاطِ ، وَالْإِسْتِكْثَارِ
 وَالْإِفْخِيَاطِ ، وَالْغُلُوِّ وَالْإِسْتِطْطَاطِ ، وَبِنَا الصَّرْحِ وَعَمَلِ السَّابَّاطِ ، وَرَفَعَ الْعِمَادِ
 وَالْإِهَارَةَ الْفُسْطَاطِ ، إِلَّا أَلَمَ يُذْهَبِ الْقُوَّةُ ، وَيُنْسَى الْأَمَالُ الْمَرْجُوءَةُ ، ثُمَّ
 نَفْسٌ يَصْعَدُ ، وَسَكَرَاتٌ تَتَرَدَّدُ ، وَحَسَرَاتٌ لِفِرَاقِ الدُّنْيَا تَتَجَدَّدُ ، وَلِسَانٌ
 يَثْقُلُ ، وَعَيْنٌ تُبْصِرُ الْفِرَاقَ الْحَقَّ وَتَمُقِلُ . قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ، أَنْتُمْ عَنْهُ
 مُعْرِضُونَ . ثُمَّ الْقَبْرِ وَمَا بَعْدَهُ ، وَاللَّهُ مَنْجِزٌ وَعِيدُهُ وَوَعْدُهُ . فَالْإِضْرَابُ
 الْإِضْرَابُ ، وَالتُّرَابُ التُّرَابُ ، وَإِنْ اعْتَذَرَ سَيِّدِي بِقِلَّةِ الْجَلَدِ ، لَكثْرَةِ
 الْوَلَدِ ، فَهُوَ ابْنُ مَرْزُوقٍ ، لَا ابْنَ رَزَاقٍ ، وَبِيَدِهِ مِنَ التَّسْبِيبِ ، مَا يَتَكَفَّلُ
 بِإِمْسَاكِ أَرْمَاقِ . أَيْنَ النَّسْخُ الَّذِي يَتَبَلَّغُ الْإِنْسَانُ بِأُجْرَتِهِ ، فِي كَيْنِ حُجْرَتِهِ ،
 لَا بَلِ السُّؤَالُ الَّذِي لَا عَارَ عِنْدَ الْحَاجَةِ بِمَعْرَتِهِ ، السُّؤَالُ وَاللَّهُ أَقْوَمُ طَرِيقًا ،
 وَأَكْرَمُ فَرِيقًا ، مِنْ يَدِ تَمْتَدُّ إِلَى حَرَامٍ ، لَا يَقُومُ بِمَرَامٍ ، وَلَا يُؤْمِنُ مِنْ ضِرَامٍ
 أُخْرِقَتْ فِيهِ الْحُلُلُ ، وَقُلِبَتِ الْأَدْيَانُ وَالْمِلَلُ ، وَضُرِبَتِ الْإِنْشَارُ ، وَنُحِرَتْ
 الْعِشَارُ ، وَلَمْ يَصِلْ مِنْهُ عَلَى يَدَيِ وَاسِطَةِ السُّوءِ الْمِعْشَارُ . ثُمَّ طُلِبَ عِنْدَ
 الشَّدَّةِ فَفُضِّحَ ، وَبَانَ سَوْمُهُ وَوَضَّحَ ، اللَّهُمَّ طَهِّرْ مِنَّا أَيْدِينَا وَقُلُوبَنَا ، وَبَلِّغْنَا
 مِنَ الْإِنْصِرَافِ إِلَيْكَ مَطْلُوبَنَا ، وَعَرَّفْنَا بِمَنْ لَا يَعْرِفُ غَيْرَكَ ، وَلَا يَسْتَرْفِدُ
 إِلَّا خَيْرَكَ يَا اللَّهُ . وَحَقِيقٌ عَلَى الْفَضْلَاءِ إِنْ جَنَحَ سَيِّدِي مِنْهَا إِلَى إِشَارَةٍ ، أَوْ
 أَعْمَلَ فِي اخْتِلَافِهَا إِضْبَارَهُ . أَوْ لَبِسَ مِنْهَا شَارَةً ، أَوْ تَشَوَّفَ إِلَى خِدْمَةِ إِمَارَةٍ .
 أَلَا يُحْسِنُوا ظَنُونَهُمْ بَعْدَهَا بِأَبْنِ نَاسٍ . وَلَا يَغْتَرُّوا بِسَمْتٍ وَلَا خَلْقٍ وَلَا لِبَاسٍ ،
 فَمَا عَدَا عَمَّا بَدَا . تَقْضَى الْعُمُرُ فِي سِجْنٍ وَقَيْدٍ ، وَعَمَرُوا وَزَيْدٍ . وَضُرَّ
 وَكَئِدٍ ، وَطِرَادٍ صَبْدٍ . وَسَعْدٌ وَسَعِيدٍ . وَعَبْدٌ وَعَبِيدٍ ، فَمَتَى نَظْهَرُ الْأَفْكَارِ ،

وَيَقِرُّ الْقَرَارَ ، وَتُلَازِمُ الْأَدِّكَارَ ، وَتُشَامُ الْأَنْوَارَ ، وَتَتَجَلَّى الْأَسْرَارَ ، ثُمَّ يَقَعُ الشُّهُودَ الَّتِي تَذْهَبُ مَعَهُ الْأَفْكَارَ ، ثُمَّ يَحَقُّ الْوُصُولَ الَّذِي إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ مَا سِوَاهِ الْفَرَارِ ، وَعَلَيْهِ السَّادَرُ . وَوَحَقَّ الْحَقُّ ، الَّذِي مَا سِوَاهُ قَبَاطِلِ ، وَالْقَيْضِ الرَّحْمَانِي ، الَّذِي رَبَابُهُ لَا بَدَّ هَاطِلِ ، مَا شَابَ مُخَاطَبَتِي لَكَ شَايِبَةً بَرِّيْتًا ، وَلَقَدْ مَخَضْتُ لَكَ مَا يَسْخَضُهُ الْحَبِيبُ إِلَى الْحَبِيبِ ^(١) ، فَيَحْمِلُ جَفَاءً فِي الَّذِي حَمَلْتُ عَلَيْهِ الْغَيْبَةَ ، وَلَا تَظُنُّ بِي غَيْرَهُ . وَإِنْ أَقْدَرُ قَدْرِي فِي مُكَاشَفَةِ سَيَادَتِكَ بِهَذَا الْبَثِّ ، فِي الْأَسْدُوبِ الرَّثِّ ، فَالْحَقُّ أَقْدَمُ ، وَبِنَاوُهُ لَا يُهْدَمُ ، وَشَأْنِي مَعْرُوفٌ فِي مُوَاجَهَةِ الْحَبَابَةِ ، عَلَى حِينِ يَدِي إِلَى رِفْدِهِمْ مَمْلُوءَةٌ ، وَنَفْسِي فِي النَّفُوسِ الْمُتَهَافِتَةِ عَلَيْهِمْ مَعْدُودَةٌ ، وَشَبَابِي فَاحِمٌ ، وَعَلَى الشَّهَوَاتِ مُزَاحِمٌ ، فَكَيْفَ بِي الْيَوْمَ مَعَ الشَّيْبِ ، وَنُضْحِ الْجَيْبِ ، وَاسْتِكْشَافِ الْعَيْبِ ، إِنَّمَا أَنَا الْيَوْمَ عَلَى كُلِّ مَنْ عَرَفَنِي كُلُّ ثَقِيلٍ ، وَسَيْفُ الْعَذْلِ فِي كَفْيِّ صَقِيلٍ ، أَعْزِلُ أَهْلَ الْهَوَى ، وَلَيْسَتْ النَّفُوسُ فِي الْقَبُولِ سِوَا ، وَلَا لِكُلِّ مَنْ ضَرَّ دَوَا ، وَقَدْ شَفَيْتُ صَدْرِي ، وَإِنْ جَهَلْتُ قَدْرِي ، فَاحْمِلْنِي حَمَلَكِ اللَّهُ عَلَى الْجَادَّةِ الْوَاضِحَةِ ، وَسَحَبَ عَلَيْكَ سِتْرَ الْأَبُوءَةِ الصَّالِحَةِ ، وَالسَّلَامَ .

وَمَا شَرَحَ كِتَابَ « الشُّفَا » ^(٢) لِلْقَاضِي أَبِي الْفَضْلِ عِيَاضِ بْنِ مُوسَى ابْنَ عِيَاضِ رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَاسْتَبَحَرَ فِيهِ ، طَلَبَ أَهْلَ الْعُدُوتَيْنِ بِنَظْمِ مَقْطُوعَاتٍ تَتَضَمَّنُ الثَّنَاءَ عَلَى الْكِتَابِ الْمَذْكُورِ ، وَإِطْرَاءَ مُؤَلِّفِهِ ، فَانْثَالَ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ الطَّمِّ وَالرَّمِّ ، بِمَا تَعَدَّدَتْ مِنْهُ الْأَوْرَاقُ ، وَاخْتَلَفَتْ فِي الْإِجَادَةِ وَغَيْرِهَا

(١) وردت في الإسكوريال (الجيب) . ونعتقد أن التصويب أرجح .

(١) كتاب « الشفا بتعريف حقوق المصطفى » هو أعظم كتب القاضي الإمام الحافظ عياض بن موسى بن عياض اليحصري السبئي المتوفى بمراكش سنة ٥٤٤ هـ . وسوف يترجم له ابن الخطيب فيما بعد في حرقه الدين .

الأرزاق ، إيثاراً لِعَرَضِهِ ، ومبادرةً من أهل الجهات لِإِسْعَافِ أَرِيهِ ، وطُلب
منى أَنْ أَلِمَّ في ذلك بشيءٍ ، فكتبت في ذلك :

شِفَا عِيَاضٍ لِلصُّدُورِ شِفَاءُ	وليس بفضلٍ قد حَوَاهِ خِفَاءُ
هَدِيَّةٌ بَرٌّ لَمْ يَكُنْ لَجَزِيلِهَا	سوى الأجر والذكر الجميل كَفَاءُ
وَفِي لِنَبِيِّ اللَّهِ حَقٌّ وَفَاءُهُ	وَأَكْرَمُ أَوْصَافِ الْكِرَامِ وَفَاءُ
وَجَاءَ بِهِ بَحْرًا يَقُولُ بِفَضْلِهِ	على الْبَحْرِ طَعْمٌ طَيِّبٌ وَصَفَاءُ
وَحَقُّ رَسُولِ اللَّهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ	رَعَاهُ وَإِغْفَالُ الْحَقُوقِ جَفَاءُ
هُوَ الذُّخْرُ يُغْنِي فِي الْحَيَاةِ عَتَادَهُ	وَيَتْرُكُ مِنْهُ الْيَقِينَ رِفَاءُ
هُوَ الْآثَرُ الْمَحْمُودُ لَيْسَ يَنَالُهُ دُثُورٌ وَلَا يُخْشَى عَلَيْهِ عَفَاءُ	
حَرَصْتُ عَلَى الْإِطْنَابِ فِي نَشْرِ فَضْلِهِ وَتَمَجِيدِهِ لَوْ سَاعَدْتَنِي فَاءُ	

واستزاد من هذا الغرض ، الذى لم يَقْنَعْ مِنْهُ بِالْقَلِيلِ ، فبعثتُ إليه
من محل انتقالى بمدينة سَلا حرسها الله :

أَزَاهِيرُ رِيَاضٍ	أَمْ شِفَاءُ لِعِيَاضٍ
جَدَلُ الْبَاطِلِ لِلْحَقِّ	بِأَسْيَافِ مَوَاضٍ
وَجَلَا الْأَنْوَارُ بُرْهَانًا	نَاً بِحَقِّ ^(١) وَافْتِرَاضٍ
وَشَفَى مَنْ يَشْتَكِي الْغُلَّةَ	فِي زُرْقِ الْحِيَاضِ
أَيُّ بُنْيَانٍ مُعَارٍ ^(٢)	آمِنٍ فَوْقَ انْقِضَاضٍ
أَيُّ عَهْدٍ لَيْسَ يُرْمَى	بِانْتِكَاثٍ وَانْتِقَاضٍ
وَمَعَانٍ فِي سَطُورٍ	كَأَسْوَدٍ فِي غِيَاضٍ
وَشِفَاءُ لِّلصُّدُورِ	مِنْ ضَنَى الْجَهْلِ مُرَاضٍ

(١) وردت في الإسكوريال (بخلف) والتصويب من النسخ .

(٢) هكذا في الإسكوريال وفي النسخ (مقال) .

حَرَّرَ الْقَصْدَ فَمَا شِئْنُ بِنَقْدِ اعْتِرَاضِ
 يَا أَبَا الْفَضْلِ أَذْرَ بَأَنَّ اللَّهَ عَنْ سَعِيكَ رَاضٍ
 فَازَ عَبْدٌ أَقْرَضَ اللَّهَ بُرْجَحَانَ الْقِرَاضِ
 وَجِئْتَ عَزَّ الْمَزَايَا مِنْ طِوَالٍ وَعِرَاضِ
 لَكَ يَا أَصْدَقَ رَاوٍ لَكَ يَا أَعْدَلَ قَاضِ
 لِرَسُولِ اللَّهِ وَقِيَّتَ بِجِدِّ وَانْتِهَاضِ
 خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ فِي حَالٍ وَفِي آتٍ وَمَاضِ
 سَدَّدَ اللَّهُ ابْنَ مَرْزُوقٍ إِلَى تِلْكَ الْمُسَرَّاضِ
 زُبْدَةُ الْعِرْفَانِ مَعْنَى كُلِّ نُسْكَ وَارْتِيَاضِ
 فَتَوَلَّى بَسْطَ مَا أَجْمَلْتَ مِنْ غَيْرِ انْقِيَاضِ
 سَاهَرٌ لَمْ يَذَرِ فِي اسْتِغْلَاصِهِ طَعْمَ اغْتِمَاضِ
 إِنْ يَكُنْ دَيْنَا عَلَى الْأَيْمَسَامِ قَدْ حَانَ التَّقَاضِ
 دَامَ فِي عُلُوٍّ وَمِنْ عَادَاهُ يَهْوَى فِي انْخِفَاضِ
 مَا وَشَى الصُّبْحُ الدِّيَاجِي فِي سَوَادِ بِيَاضِ

ثم نظمت له أيضاً في الغرض المذكور ، والإكثار من هذا النمط ،
 في هذا الموضع ، ليس على سبيل التَّبَجُّعِ بغرابته وإجادته ، ولاكن على
 سبيل الإشادة بالشرح المشار إليه ، فهو بالغ غاية الاستبحار .

حُبِّيتَ يَا مُخْطَطَ سَبْتِ بْنِ نُوحٍ بِكُلِّ مُزْنٍ يَغْتَدِي أَوْ يَرُوحُ
 وَحَمَلِ الرِّيحَانِ رِيحَ الصَّبَا أَمَانَةً فِي كُلِّ إِلَى كُلِّ رُوحِ (١)
 دَارُ أَبِي الْفَضْلِ عِيَاضِ الَّذِي أَضَحَّتْ بَرِيَّاهُ رِيَاضاً تَفُوحُ
 يَا نَاقِلَ الْأَنْسَارِ يُعْنَى بِهِمَا وَوَاصِلاً فِي الْعِلْمِ جَرَى الْجَمُوحِ

(١) هكذا وردت هذه الشطرة في الاسكوريال . وفي النسخ (أمانة فيك إلى كل روح) .

طَرَفَكَ فِي الْفَخْرِ بَعِيدُ الْمَدَا
كَفَاكَ إِعْجَازاً كِتَابَ الشُّفَا
لِلَّهِ مَا أَجْزَلَتْ فِينَا بِهِ مِنْ
رَوْضٍ مِنَ الْعِلْمِ هَمَى فَوْقَهُ
فَمِنْ بَيَانِ الْحَقِّ زَهْرٌ نَزْدُ^(١)
تَأَرَّجَ الْعَرَفُ وَطَابَ الْجَنَى
وَحُلَّةٌ مِنْ طَيْبِ خَيْرِ الْوَرَى
وَمُعَلَّمٌ لِلدِّينِ شَيْدَتُهُ
فَقُلْ لِهَامَانَ كَذَا أَوْ فَلَ
فِي أَحْسَنِ التَّقْوِيمِ أَنْشَأَتْهُ
فَعُمُرُهُ الْمَكْتُوبُ لَا يَنْقُضِي
كَأَنَّهُ فِي الْحَقْلِ رِيحُ الصَّبَا
مَا عُذِرَ مَشْغُوفٌ بِخَيْرِ الْوَرَى
عَجِبْتُ مِنْ أَكْبَادِ أَهْلِ الْفَوَى
إِنْ ذُكِرَ الْمُخْبُوبُ سَالَتْ دِمَا
يَا سَيِّدَ الْأَوْضَاعِ يَا مَنْ لَهُ
يَا مَنْ لَهُ الْفَخْرُ عَلَى غَيْرِهِ
يَا خَيْرَ مَشْرُوحٍ وَفِيَّ وَاكْتَفَى

طَرَفَكَ لِلْمَجْدِ شَدِيدُ الطُّمُوحِ
وَالصَّبْحُ لَا يُنْكَرُ عِنْدَ الْوُضُوحِ
مِنْحَةً تَقْصُرُ عَنْهَا الْمُنُوحِ
مِنْ صَيِّبِ الْفِكْرِ الْغَمَامُ السَّفُوحِ
وَمِنْ لِسَانِ الصَّدْقِ طَيْرُ صَبْدُوحِ
وَكَيْفَ لَا يُثْمَرُ أَوْ لَا يَفُوحِ
فِي الْجَيْبِ وَالْأَعْطَافِ مِنْهَا نُضُوحِ
فَهَذِهِ الْأَعْلَامُ مِنْهُ تَلْبُوحِ
يَا مَنْ أَضَلَّ الرُّشْدَ تَبَتَّى الصُّرُوحِ
خَلْقاً جَدِيداً بَيْنَ جِسْمٍ وَرُوحِ
إِذَا تَقَضَّى عُثْرُ سَامٍ وَنُوحِ
وَكُلُّ عَطْفٍ فَهُوَ غَضٌّ^(٢) مَرُوحِ
إِنْ هَاجَ مِنْهُ الذُّكْرُ أَنْ لَا يَبُوحِ
وَقَدْ سَطَا الْبُعْدُ وَطَالَ النُّزُوحِ
مَا مِنْ أَكْبَادٍ وَلَكِنْ جُرُوحِ
بِسَيِّدِ الْإِرْسَالِ فَضْلُ الرُّجُوحِ
وَالشُّهُبِ^(٣) تَخْفُ عِنْدَ إِشْرَاقِ يَوْحِ^(٤)
مِنْهُ ابْنُ مَرْزُوقٍ بِخَيْرِ الشُّرُوحِ

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (بدا) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (غصن) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (والشمس) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (يوح) .

فَتَحَّ من الله حَبْسَاهُ بِهِ ومن جَنَابِ الله ثَانِي الْفُتُوح
مولده : بتلمسان عام أحد عشر وسبعماية^(١)

محمد بن عبد الرحمن بن سعد التَّمِيمِي النَّسَلِي^(٢) الْكَرْسُوطِي
من أهل فاس ، نزيل ما لَقَّة يَكْنَى أبا عبد الله .

حاله

الشيخ الفقيه الْمُتَكَلِّم أَبُو عبد الله ، غَزِيرُ الْحِفْظ ، مُتَبَحَّرُ الذِّكْر ،
عَدِيمُ الْقَرِين ، عَظِيمُ الْإِطْلَاع ، عَارِفٌ بِأَسْمَاءِ الْأَوْضَاع ، يَنْثَالُ مِنْهُ عَلَى
الْمَسَائِلِ كَنَيْبٍ مَهِيل ، يَنْقِلُ الْفِقْهَ مَنْسُوباً إِلَى أَمَانَةٍ ، وَمَنْوِطاً بِرِجَالِهِ ،
وَالْحَدِيثَ بِأَسَانِيدِهِ وَمُتُونِهِ ، خَوَارِ الْعِنَانِ^(٣) ، وَسَّاعِ الْخَطْوِ ، بَعِيدُ
الشَّأْوِ ، يَفِيضُ مِنْ حَدِيثٍ إِلَى فَقْهِهِ ، وَمِنْ أَدَبٍ إِلَى حِكَايَةٍ ، وَيَتَعَدَّى ذَلِكَ
إِلَى غَرَائِبِ الْمَنْظُومَاتِ ، مِمَّا يَخْتَصُّ بِنَظْمِهِ أَوَّلُو الشُّطْرَةِ وَالْجِرْفَةِ مِنْ
الْمَغَارِبَةِ ، وَيَسْتَبْطِهُرُ مُطَوَّلَاتِ الْقَصَاصِ ، وَطَوَابِيرَ الْوُعَاظِ ، وَمَسَاطِيرَ أَهْلِ
الْكُدِّيَةِ ، فِي أَسْلُوبٍ وَقَاحٍ يَفْضَحُهُ الْإِعْرَابُ . حَسَنُ الْخُلُقِ جَمُّ الْإِحْتِمَالِ . مُطَرِّحُ
الْوَقَارِ ، رَافِضُ التَّصَنُّعِ ، مُتَبَدِّلُ^(٤) الدَّبِيسَةِ . رَحِيبُ أَكْثَافِ الْمَرَارَةِ لِأَهْلِ
الْوَلَايَاتِ ، يُلْقَى بِمَعَاظِنِهِمُ الْبَرَكُ . وَيَنْوِطُ بِهِمُ الْوَسَائِلُ ، كَثِيرُ الْمَشَارِكَةِ

(١) جاء في « جذوة الاقتباس » أنه توفي بعد الثلاثين وسبعماية (ص ٢٢٧) . وورد في هامش
المخطوط ما يأتي بعد ذكر مولد ابن مرزوق : « قال الشيخ جلال الدين السيوطي في تاريخ الحياة ،
مات في ربيع الأول سنة إحدى وثمانين وسبعماية » . وهذا لو يكن من المبسور أن يذكر ابن الخطيب
وفاته ، وقد توفي قبله خمسة أعوام .

(٢) نسبة إلى قبيلة « تسولة » إحدى قبائل البربر النازلة في شمال شرقي المغرب الأقصى .

(٣) خوار العنان أي سهل المعطف لينه .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . ومتبدل الدبسة ترديد . تمسك وعنده . وذلك
بخلاف متبدل الدبسة أعني رث الملابس .

لوصلايه ، مُخَصَّبٌ على أهل بيته ، حَدَبٌ على بَنِيهِ . قَدِمَ على الأندلس عام اثنين وعشرين وسبعماية ، فأقام بالجزيرة مقرباً بمسجد الصَّوَّاع منها ، ومسجد الرَّايات . ثم قدم على مالقة وأقرأ بها ، ثم قدم على غرناطة عام خمسة وعشرين وسبعماية ، فتعرف على أرباب الأمر ، بما نجحت حيلته ، وخفَّ به موقعه ، فلم يَعْلَمْ صِلَةً ، ولا فقد مِرْفَقَةً ، حتى ارتاش وتناثل بمحل سُكْنَاهُ من مالقة ، مَدْرَةَ مُغْلَةٍ ، وعقارا مفيدا . وطال قعوده لسرد الفقه بمسجدها الجامع ، نَمِيرٌ في الركب ، مَهْجُورُ الحَلَقَةِ ، حَمَلًا من الخاصة والعامَّة ، لتلبَّسه بالعرَض الأذنى . وهو الآن خطيب مسجد القصبة بها ، ومحلّه من الشهرة ، بالحِفْظ والاستِظْهار لفروع الفقه ، كبير .

مُشِيخَتُهُ

قرأ القرآن على الجماعة بالمغرب والأندلس ، منهم أبوه ، والأستاذ أبو الحسن القييجاطى البَلَوى ، وأبو إسحق الحريرى ، وأبو الحسن بن سليمان ، وأبو عبد الله بن أَجْرُوم . وقرأ الفقه على أبي زيد الجَزُولى . وعبد الرحمن بن عَفَّان ، وأبى الحسن الصغير ، وعبد المؤمن الجاناقى ^(١) . وقرأ الكتاب بين يديه مدة ، ثم عَزَلَهُ ، ولذلك حكاية . حَدَّثَنِى الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْكُرْسُوطى ، الْمُتَرْجِمُ بِهِ ، قَالَ قَرَأْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ . فى قول أُنَى سَعِيدٍ فى التَّهْذِيبِ ، والدَّجَاجِ والأَوْزِ الْمُخْلَاتِ ، فَقَالَ أَنْظِرْ هَلْ يُقَالُ الدَّجَاجُ أَوْ الْجَدَّادُ . لغة القرآن أفصح ، قال الله تعالى : وَجَدَدُ بَيْضٍ . [وَحَمْرٌ مُخْتَلَفٌ أَلْوَانُهَا] ^(٢) . وَغَرَابِيبُ سُودٍ . فَأَرَزَى بِهِ ، وَنَقَلَ إِلَيْهِ إِزَارَهُ ^(٣) . فَعَزَلَهُ . وَقَعَدَ بَعْدَ ذَلِكَ لِلْأَقْرَاءِ بِفَاسَ ، كَذَا حَدَّثَ وَأَخَذَ عَنْ

(١) هَكَذَا وَ . . فى الإسكوريال . وفى الخزانة (الحناق)

(٢) هذه العبرة وردت فى « الزيتونة » وساقطة فى الإسكوريال .

(٣) هَكَذَا وَرَدَتْ فى « الزيتونة » . وفى الإسكوريال (أزاراه) .

أَبِي إِسْحَقَ الزَّنَاتِي^(١) . وَعَنْ خَلْفِ اللَّهِ الْمَجَاصِي . وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجَزُولِي ، وَأَبِي الْحُسَيْنِ الْمَزْدَغِي ، وَأَبِي الْفَضْلِ ابْنِهِ ، وَأَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ رَاشِدِ الْعُمَرَانِي ، وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رُشَيْدٍ . وَرَوَى الْحَدِيثَ بِسَبْتَةٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْغَمَارِي ، وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هَانِي ، وَذَاكَرَ أَبَا الْحَسَنِ بْنِ وَشَّاشٍ . وَمَالِقَةَ عَنْ الْخَطِيبِ الصَّالِحِ الطَّنَجَالِي ، وَأَبِي عَمْرٍو بْنِ مَنظُورٍ . وَبَغْرَنَاطَةَ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الْقِيَجَاطِي ، وَأَبِي إِسْحَقَ بْنِ أَبِي الْعَاصِي . وَبَبِلَّشَ عَنْ أَبِي جَعْفَرِ الزِّيَاتِ

تواليفه

منها « الغُرَرُ فِي تَكْمِيلِ الطُّرَرِ » ، طَرَرُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ الْأَعْرَجِ . ثُمَّ « الدُّرَرُ فِي اخْتِصَارِ الطُّرَرِ » الْمَذْكُورِ . وَتَقْيِيدَانِ عَلَى الرِّسَالَةِ ، كَبِيرٌ وَصَغِيرٌ ، وَلِخَصِّ « التَّهْذِيبِ » لِابْنِ بَشِيرٍ ، وَحَذَفَ أَسَانِيدَ الْمُصَنِّفَاتِ الثَّلَاثَةِ ، [البخارى ، والترمذى ، ومسلم]^(٢) ، وَالتَّزَمَ إِسْقَاطَ التَّكَرَّارِ ، وَاسْتَدْرَاكَ الصُّحُوحَ^(٣) الْوَاقِعَةَ^(٤) فِي التَّهْذِيبِ عَلَى مُسْلِمٍ وَابْنِ خَالٍ . وَقَيَّدَ عَلَى مُخْتَصَرِ الطُّلَيْطَلِيِّ ، وَشَرَعَ فِي تَقْيِيدِ عَلَى قَوَاعِدِ الْإِمَامِ أَبِي الْفَضْلِ عِيَاضِ بْنِ مُوسَى ابْنِ عِيَاضٍ ، بِرَسْمٍ وَلَدَى أَسْعَدِهِ اللَّهِ .

شعره

أَنشَدَنِي ، وَأَنَا أُحَاوِلُ بِمَالِقَةَ لَوْثَ الْعِمَامَةِ ، وَأَسْتَعِينُ بِالْغَيْرِ عَلَى إِصْلَاحِ الْعَمَلِ ، وَإِحْكَامِ اللَّيَاثَةِ :

(١) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي « الزِّيْتُونَةِ » (الْبِرْنَانِي) .

(٢) هَذِهِ الزِّيَادَةُ وَارِدَةٌ فِي « الزِّيْتُونَةِ » وَسَاقِطَةٌ فِي الْإِسْكُورِيَالِ .

(٣) وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ (الصَّحَائِحِ) . وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ

(٤) وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ ، وَفِي « الزِّيْتُونَةِ » (الْمُرَافَقَةُ) .

أُمَعَّمًا قَمَرًا تَكَامِلُ حُسْنَهُ أَرَبِيَّ عَلَى الشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ فِي الْبَهَا
لَا تَلْتَمِسُ مِمَّنْ لَدَيْكَ زِيَادَةٌ فَالْبَدْرُ لَا يَحْتَارُ مِنْ نُورِ السُّهَا
وَيَصْدُرُ مِنْهُ الشَّعْرُ مُصَدَّرًا ، لَا تَكْنِفُهُ الْعِنَايَةُ .

مَحْنَتُهُ

أُسِرَ بِبَحْرِ الزُّقَاقِ^(١) ، قَادِمًا عَلَى الْأَنْدَلُسِ ، فِي جُمْلَةٍ مِنَ الْفَضْلَاءِ ،
مِنْهُمْ وَالِدُهُ . وَاسْتَقَرَّ بِطَرِيفِ^(٢) عَامِ سِتَّةٍ وَعَشْرِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ، وَلَقِيَ بِهَا
شِدَّةً وَنِكَالًا ، ثُمَّ سُرِّحَ وَالِدُهُ ، لِمَحَاوَلَةِ فِكَالِكَ نَفْسِهِ ، وَفُكَّ ابْنُهُ ، وَيَسَّرَ اللَّهُ
عَلَيْهِ ، فَتَخَلَّصَا مِنْ تِلْكَ الْمَحْنَةِ فِي سَبِيلِ كُذْيَةٍ . ، وَأَفْلَتَ مِنْ بَيْنِ أَنْيَابِ
مَشَقَّةٍ

بَعْضُ أَخْبَارِهِ

قَالَ ، لَقِيتُ الشَّيْخَ وَلِيَّ اللَّهِ أَبَا يَعْقُوبَ بِسَاحِلِ بَادَسِ^(٣) ، قَاصِدًا
الْأَخْذَ عَنْهُ ، وَالتَّيَبُّكَ بِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ رَآفِي قَطْ ، وَأَلْفَيْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ . عِنْدَ
دُخُولِي عَلَيْهِ ، رَجُلًا يَقْرَأُ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ . فَلَمَّا فَرَّغَ ، أَرَادَ أَنْ يَقْرَأَ عَلَيْهِ
أَسْطُرًا مِنَ الرِّسَالَةِ . فَقَالَ لَهُ ، اقْرَأْهَا عَلَى هَذَا الْفَقِيهِ . وَأَشَارَ إِلَيَّ ، وَرَأَيْتُ
فِي عَرْصَةٍ لَهُ أَصُولَ خَصٍّ ، فَتَمَنَّيْتُ الْأَكْلَ مِنْهَا ، وَكَانَ رَبَّاعَهَا غَيْرَ حَاضِرٍ .
فَقَامَ عَنْ سُرْعَةٍ ، وَاقْتَلَعَ مِنْهَا أَصُولًا ثَلَاثَةً ، وَدَفَعَهَا إِلَيَّ ، وَقَالَ كُلْ . فَقُلْتُ
فِي نَفْسِي ، تَصْرَفُ فِي الْخَضِرَةِ قَبْلَ حُضُورِ رَبَّاعِهَا ، فَقَالَ لِي ، إِذَا أَرَدْتَ

(١) بَحْرُ الزُّقَاقِ ، يُطْلَقُ عَلَى الْطَرَفِ الْغَرْبِيِّ الضَّيِيقِ مِنَ الْبَحْرِ الْمَتَوَسِّطِ ، الْوَاقِعِ شَرْقَ جَبَلِ
طَارِقٍ أَوْ جَبَلِ الْفَتْحِ ، فِيمَا بَيْنَ ثَغْرِ الْأَمْرِيَّةِ شَمَالًا وَمِلِيلَةَ جَنْوِبًا . وَقَدْ يَشْمَلُ مَضِيقَ جَبَلِ طَارِقٍ نَفْسَهُ .
(٢) ثَغْرِ طَرِيفٍ أَوْ جَزِيرَةِ طَرِيفٍ . سَبَقَ التَّعْرِيفُ بِهِ (رَاجِعِ الْمَجْلَدَ الْأَوَّلَ مِنَ الْإِحَاطَةِ
ص ٣٧٤ حَاشِيَةً) .

(٣) بَادَسُ أَوْ بَادِيسُ ثَغْرِ مَغْرِبِي صَغِيرٍ يَقَعُ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ الْمَتَوَسِّطِ الْجَنْوِبِيِّ مُقَابِلَ ثَغْرِ مَالِقَةِ
الْأَنْدَلُسِ . وَغَرْبِي ثَغْرِ مِلِيلَةِ الْإِسْبَانِي .

الأكل من هذه الخَضرة ، فكلُّ من هذا القسم فإنَّه لى . قلت . وخَبِرْتُ من اضْطِّلاع هذا المترجم به بعبارة الرؤيا ، ما قضيت منه العَجَب فى غير ما شئٍ جَرَّبْتُهُ . وهو الآن بحاله الموصوفة . وأصابه لهذا العهد جلاءٌ عن وطنه ، لتوفر الحَمَل عليه من الخاصِّ والعامِّ ، بما طال به نكده . ثم آلت حاله إلى بعض صلاحٍ ، والله يتولَّاه .

مولده : بمدينة فاس عام تسعين وستماية .

محمد بن عبد المنعم الصنهاجى الحميرى

يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن عبد المنعم ، من أهل سَبْتَة . الأستاذ الحافظ

حاله

من « العايد » : كان رحمه الله رجلَ صِدْقٍ ، طيَّب اللهجة . سَلِمَ الصدر ، تام الرُّجولة ، صالحاً ، عابداً ، كثير القُرب والأُوراد فى آخر حاله ، صادق اللسان . قرأ كثيراً ، وسنَّه تنيف على سبع وعشرين . ففات ^(١) أهل الدُّوب والسَّابِقة ، وكان من صدور الحُفَظ ، لم يَسْتَظْهر أحدٌ فى زمانه من اللُّغة ما اسْتَظْهره . فكاد يستظهر كتاب النَّاج للجَوْهرى وغيره . آيةٌ تُتلى ، ومثلاً يُضْرَب ، قائماً على كتاب سيبويه ، يَسْرُدُه بلفظه . اختبره الفاسيون فى ذلك غير ما مرة . طبقةٌ فى الشطرنج ، يلعبُها محجوباً . مُشاركاً فى الأصول أخذاً فى العلوم العقلية . مع المُلازمة للسنَّة . يُعرب أبداً كلامه ويزينه

(١) ورد فى الإسكوريال (مسأى) والتصويب من « الزيتونة »

مشيخته

أخذ ببلده عن الأستاذ أبي إسحق الغافقي ، ولازم أبا القاسم بن الشاط ، وانتفع به وبغيره من العلماء .

دخوله غرناطة

قدم غرناطة مع الوفد من أهل بلده ، عند ما صارت إلى إيالة الملوك من بني نصر ، لما وصلوا بالبيعة .

وفاته : كان من الوفد الذين استأصلهم الموتان [عند]^(١) مُنصرفهم عن باب السلطان ، ملك المغرب ، بأحواز تيزي^(٢) ، حسبما وقع التنبيه على بعضهم .

محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن إدريس بن سعيد

ابن مسعود بن حسن بن محمد بن عمر بن رُشيد الفهري

من أهل سبتة ، يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن رُشيد

حاله

من « عايد الصلة » : الخطيبُ المحدثُ ، المتبحرُ في علوم الرواية والإسناد . كان رحمه الله فريداً دهره عدالةً وجلالةً ، وحفظاً وأدباً . سَمْتاً وهدياً ، واسع الأسيرة ، على الإسناد . صحيح النقل ، أصيل الضبط ، تام العناية بصناعة الحديث . قيماً عليها بصيرابها ، محققاً فيها ، ذا كراً فيها للرجال ، جماعاً للكُتُب ، محافظاً على الطريقة ، مضطلعاً بغيرها ،

(١) أضفنا هذه الكلمة لاستقامة السياق

(٢) بلدة تازة المغربية ، وهي تقع شمال شرق فاس .

من العربية واللغة والعروض ، فقيهاً أصيل النظر ، ذا كراً للتفسير ، رياناً من الأدب . حافظاً للأخبار والتواريخ ، مشاركاً في الأضليلين ، عارفاً بالقراءات ، عظيم الوقار والسكينة ، بارع الخط ، حسن الخلق ، كثير التواضع ، رقيق الوجه ، متجماً ، كلف الخاصة والعامة ، مبدول الجاه والشفاعة . كهناً لأصناف الطلبة . قديم على غرناطة في وزارة صديقه ، وزعيم طريقه في حجة وتشييقه ، أبي عبد الله بن الحكيم ، فلقى براً ، وتقدم للخطابة بالمسجد الأعظم ، ونفع الله لديه بشفاعته المبذولة ، طائفة من خلقه ، وانصرف إثر مقتله إلى العُدوة ، فاستقر بمدينة فاس ، معظماً عند الملوك والخاصة ، معروف القدر عندهم .

مشيخته

[قرأ ببلده سبته على الأستاذ إمام النحاة أبي الحسن بن أبي الربيع كتاب سيبويه ، وقيد على ذلك تقييداً مفيداً ، وأخذ عنه القراءات . وأخذ أيضاً عن الأستاذ أبي الحسن بن الخطار . ورحل من بلده سبته لأداء الفريضة . حج ولقي المشايخ عام ثمانية وثمانين وستمائة ، فوافى في طريقه الحاج المحدث الراوية ، ذا الوزارتين بعد ، أبا عبد الله الحكيم ، وأخذ عن الجلة الذين يشق إحصاؤهم . فممن لقي بإفريقية الراوية العدل أبا محمد عبد الله بن هارون يروى عن ابن بقل ، والأديب المتبحر أبا الحسن حازم ابن محمد القرطاجني . وروى بالمشرق عن العدد الكثير كالإمام جابر الله أبي اليمن بن عساكر . لقيه بباب الصفا تجاه الكعبة المعظمة ، وهو موضع جلوسه للسمع ، غرة شوال عام أربعة وثمانين وستمائة ، وعن غيره ، كابي العز عبد الرحمن بن عبد المنعم بن علي بن نصر بن منظور بن هبة الله

وغيرهم ممن ثبتت في اسم مُرافقة في السَّماع والرحلة أبي عبد الله بن الحكيم رحمه الله ، فليُنظر هنالك ^(١)

تواليفه

ألّف فوايدَ رحلته في كتاب سَمَاه « مليء الغيبة فيما جُمع بِطُول الغيبة في الوجْهتين ^(٢) الكَرِيمَتين ، إلى مَكَّة وَضِيَّة » . قال شيخنا أبوبكر ابن شبرين ، وقفتُ على مُسَوِّدَتِهِ ، ورأيتُ فيه فنوناً وضروباً من الفوايد العِلْمية والتاريخ ، وطرفاً من الأخبار الحسان . والمُسُنَدات العوالي والأناشيد . وهو ديوانٌ كبير ^(٣) ، ولم يُسبق إلى مثله . قُلْتُ ورأيتُ شيئاً من مُختصره بِسَبْئَةٍ .

دخوله غرناطة

وَرَدَ على الأندلس في عام اثنين وتسعين وستماية . فعَقَدَ مجاليس للخاص والعام ، يُقرى بها فنوناً من العِلْم . وتقدّم خطيباً وإماماً بالمسجد الأعظم منها . حدّثني بعضُ شيوخنا ، قال . قَعَدَ يوماً على المنبر ، وظنَّ أن المؤذّن الثالث قد فرغ ، فقام يَخْطُبُ والمؤذّن قد رفع صوته بآذانه ، فاستعظم ذلك بعضُ الحاضرين . وهم آخر بإشعاره وتنبيهه . وكَلَّمَهُ آخر ، فلم يُثْنِه ذلك عَمَّا شَرَعَ فيه ، وقال بديهةً . أيها الناس . رَحِمَكُمُ اللهُ ، إِنَّ الواجب لا يُبْطِلُهُ المَندوب . وأن الأذان الذي بعد الأول غير مَشْرُوع الوجوب ، فتأهّبوا لطلب العلم . وانتبهوا . وتذكّروا قوله عز وجل :

(١) نقلنا مشيخة ابن رشيد عن مخطوط الزيتونة . وهي ساقطة في الإسكوريال . وفقط أورد عنها النسخ هذه العبارة (قلت اختصرتها لطولها ، وتكونها ثلث في اسم مُرافقة في السماع والرحلة أبي عبد الله بن الحكيم رحمه الله) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الجهتين)

(٣) وردت في الإسكوريال (كثير) والتصويب من ريبويه .

وما أناكم الرسول فحولوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا ، وقد رُوينا عنه صلى الله عليه وسلم ، أنه قال ، مَنْ قال لأخيه والإمام يخطب ، أضمت ، فقد لغا ، ومن لغا فلا جمعة له . جعلنا الله وإياكم ممن عليم فعيل ، وعَمِل فقبيل ، وأخلص فتحخلص . وكان ذلك مما استدِلَّ به على قُوَّة جِزانه ، وانقياد لِسانه لبيّانه .

شعره

وله شعر يتكلفه إذ كان لا يَزِن أَعاريضهُ إلاَّ بميزان العَرُوض ، فمن ذلك ما حدّث به ، قال لما حلَّلتُ بدمشق ، ودخلتُ دار الحديث الأشرَفِيَّة ، برسم رؤية النعل الكريمة ، نعلِ المصطفى صلوات الله عليه ، ولثمتُها ، حضرتني هذه الأبيات :

هنيئاً لعيني أن رأت نعل أحمد	فيا سَعْدُ جدِّي قد ظَفِرَتْ بِأَسْعَد ^(١)
وقبلتُها أَشْفَى الغليل فزادني	فيا عَجَباً زاد الظُّما عند مَوْرِد
فلله ذاك اللّثم فهو ألدُّ من	لِما شَفَّة لَمِيا وخدُّ مَوْرِد
ولله ذاك اليوم عيداً ومعلماً	بتاريخه أرخَتْ مَوْلِد أسْعَد
عليه صلاةٌ نشرها طيبٌ كما	يُحِبُّ وَيَرْضَى رَبُّنا لمَحْمَد

[وقال ، وقلت في موسم عام ستة وثمانين وستماية ، بِشَعر سَبَّته حرسها الله تعالى :

أقول إذا هبَّ النَّسيم المُعَطَّر	لعلَّ بشيراً باللقاء يُبشِّر
وعلى الصَّبا مرَّت على رُبْع جِبرتي	فَعَن طيِّبهم عَرَفُ النَّسيم يُعَبِّر
وأذكر أوقاني بسَلَمَى وبالحِمْي	فتذكرو لَظَى في أضلَمي حين أذكُر
ربوعٌ يودُّ المسك طيبَ تراها	ويهو حصى فيها عقيقٌ وجوهر

(١) مكدا في الإسكوريال . وفي « الجذوة » (بمقصدي) .

بها جيرة لا يخفرون بديمة
 إذا ما اجتلت زهر النجوم جمالهم
 ومن جود جَدَّواهم يرى اللَّيْثُ
 ومن سبب يمناهم يرى الروض يزهر
 رعى الله عهداً بالمُصَلَّى عهده
 زماناً نعيمنا فيه والظلُّ وارفٌ
 والله أيامُ المُصَلَّى وطيبها وأنفسنا
 بالقُرب والأنس تُجبرُ
 بحيث يرى بدرُ الكمال وشمسه
 أروم دُنُوا من بهاء جمالها
 خضعت وذلُّ للحبيب تعززُ
 ووجه سرورى سافر مُتهلِّلُ
 فطوبى لمن أضحى بطيبة ثاوباً
 وإذا فات عيني أن تراهم فردِّدوا على مسمى ذكر المُصَلَّى وكرِّروا
 ورَدْتُ فيا طيب الورود بطيبة
 رَماني زَماني بالفراق فغرتني
 وأضمرت أشجاني ودمعي مُظهِرُ
 فَمِنْ أَدْمَعِي ماءٌ يَفِيضُ وَيَهْمُرُ
 فجسمي مُضْفَرٌ وفؤدى أبيضُ
 وحين دنا التوديع مَن أَجِبُهُ
 ونادى صِحابي بالرحيل وأزْمَعُوا
 وألوى إليه الجيد حتى وجعته
 وقفت لأقضي زفرةً وصِبابه
 هم لمواليهم جمالٌ ومفخرُ
 تغار لباهي نورهم فتغورُ
 يغمُر ومن خوف عدواهم يذغرُ
 ومن قبض نعماهم يرى البحر يزخرُ
 وروض المني غصن يرق وينضرُ
 بجنات عدن تحتها العذب يخضرُ
 وروضته فردوسٌ وحوضٌ ومنبرُ
 ولثماً فتابي هبةٌ وتوقرُ
 فطرفي مفضوضٌ وخدِّي مَعْفَرُ
 وحالي بهم حلٌّ وعيشي أخضرُ
 يجرُّ أذيال الفخار وينشرُ
 وإذا فات عيني أن تراهم فردِّدوا على مسمى ذكر المُصَلَّى وكرِّروا
 صدَّرتُ فواخزني فلا كان مَصْلَرُ
 على مثل من فارقتُ عزَّ التَّصَبُّرُ
 وأسرتُ هجراني وحالي تُخَبِّرُ
 ومن أضلعتي نارٌ تفور وتسعرُ
 وعيشي مُغْبَرٌ ودمعي أحمَرُ
 وحان الذي مازلت منه أخلرُ
 وسارت مطاياهم وظلَّت أقهقِرُ
 وظلُّ فؤادي لوعمةً يتفطّرُ
 ولا أنثى فالوت أجدى وأجدرُ

ولو أَتَنَى بَعَثَ الحَيَاةَ بنظرةٍ
 وما باختيارى إنما قَدَّرَ جَسْرِي
 حَيْنِي إِلَى مَعْنَى الجمال مواصل
 وغيرُ جميل أَن يُرى عن جمالها
 أَيَضْبِرُ ظَمَانُ يُغَالِ بِغُلَّةٍ
 فَيَا عَيْنَهَا الزَّرْقَاءُ إِنَّ عُيُونَهَا
 سَأَقْطَعُ لَيْلِي بالسُّرى أَوْ أَزُورُهَا
 وَأُنْضِي المطايا أَوْ أُوَافِي رَبِّعَهَا
 حَظَرْتُ عَلَى نَفْسِي الحِذَارَ مِنَ الرَّدَى
 أَيْنَكَرُ تَغْرِيرَ المَشُوقِ بِنَفْسِهِ
 وَقَفْتُ عَلَى فَتَوَى المَحْبِينَ كُلِّهِمْ
 وَإِنِّي إِذَا مَا خَطَرَةٌ خَطَرَتْ قَضَيْتُ بِهِمِّي وَعَزَمْتُ هَمَّةً لَا تَأْطُرُ
 أَقِيمُ فَأَلْفِي بَيْنَ عَيْنِي هِمَّتِي وَسِيرِي فِي سُبُلِ العُلَا لَيْسَ يُنْكَرُ
 إِذَا مَا بَدَتْ لِلْعَيْنِ أَعْلَامُ طَيْبَةٍ وَلاَحَتْ قِبَابُ كَالْكَوَكِبِ تَزْهَرُ
 وَلِلْقَبَةِ الزَّهْرَاءِ سَمَكٌ سَمَا عُلَا
 لَهَا مَنْظَرٌ قَيْدُ النَّوَظِرِ وَالنَّهْيِ
 فَعَرَّجُوا عَلَى كَمَلِ الكَمَالِ وَسَلَّمُوا
 بِنَفْسِي لَا بِالْمَالِ أَرْضَى بِشَارَةٍ
 وَمَا قَدَّرُ نَفْسِي أَن تَكُونَ كَفَاً
 أَقُولُ إِذَا أَوْفَيْتُ أَكْرَمَ مُرْسَلٍ
 وَأَخْطِي بِتَقْرِيبِ الجَوَارِ مُكْرَمًا
 لَأَبْتُ وَحْطِي فِيهِ أَوْفَى وَأَوْفَرُ
 رَضِيَتْ بِمَا يَقْضِي الآلَهُ وَيَقْدِرُ
 وَشَوْقِي إِلَى مَعْنَى الجمال مُوقِرُ
 فَوَادِي صَبُوراً وَالسَّيْرِ مُيسِّرُ
 وَفِي رَوْضَةِ الرِّضْوَانِ شَهْدٌ وَكَوْثَرُ
 مِنَ الحُزْنِ فَيُضُّ بِالنَّجِيعِ تُفَجِّرُ
 وَأَحْمِي الكَرَى عَيْناً لِبَعْدِكَ يَظْهَرُ
 فَتُنْجِدُنِي طَوْرًا وَطَوْرًا تُغَوِّرُ
 أَتَحْذَرُ نَفْسُ الحَبِيبِ تُسَيِّرُ
 وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ المُحِبَّ مُغَرَّرُ
 فَلَمْ أَجِدِ التَّغْرِيرَ فِي الوَصْلِ يُنْكَرُ
 وَإِنِّي إِذَا مَا خَطَرَةٌ خَطَرَتْ قَضَيْتُ بِهِمِّي وَعَزَمْتُ هَمَّةً لَا تَأْطُرُ
 وَسِيرِي فِي سُبُلِ العُلَا لَيْسَ يُنْكَرُ
 إِذَا مَا بَدَتْ لِلْعَيْنِ أَعْلَامُ طَيْبَةٍ وَلاَحَتْ قِبَابُ كَالْكَوَكِبِ تَزْهَرُ
 وَرَاقَ سَنَى كَالشَّمْسِ بَلْ هُوَ أَزْهَرُ
 لَهَا سَاكِنٌ مِنْ نَوْرِ البَدْرِ يَبْدُرُ
 سَلِمْتُمْ وَبُلَّغْتُمْ مُنَاكِمَ فَبَاشِرُوا
 إِذَا لَاحَ نَوْرٌ فِي سَنَاها مُبَشِّرُ
 وَلَكِنهَا جُهْدٌ^(١) المُقِلُّ فَأَعْذَرُ
 قِرَايَ عَلَيْكُمْ أَنَّ ذَنْبِي يُغْفَرُ
 وَأَصْفَحُ عَنْ جَوْرِ البُعَادِ وَأَعْذَرُ

(١) وردت في الإسكوريال (جهل) والتعويذ أرجح .

وَأَزْتَعِ فِي ظِلِّ الْجَنَانِ مَنْعَمًا
هُنَاكَ هُنَاكَ الْقُرْبُ فَاَنْعِمَ بِنَيْلِهِ
وَدَعْ عَنْكَ تَطَوُّافَ الْبِلَادِ وَخَيْمِنِ
فَخَرْتُ بِمَدْحِي لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَمَنْ
أَطْلَتُ وَإِنِّي فِي الْمَدِيحِ مُقْصِرٌ
فَمَا بَلَغْتَ كَفِّ أَمْرٍ مَتَنَاوُلٍ بِهَا
وَمَا بَلَغَ الْمُهْدُونَ فِي الْقَوْلِ مِدْحَةً
عَلَيْكَ صَلَاةُ اللَّهِ مَا مَرَّ سَبْقُ
وَقَالَ يَرْتِي إِبْنَا نَجِيبًا ثَكَلَهُ بَغْرِنَاظَةٌ :

شَبَابٌ ثَوَى شَابَتْ عَلَيْهِ الْمَفَارِقُ
عَلَى حَيْنٍ رَاقٍ النَّاطِرِينَ بِسَوْفِهِ
فَمَا أَخْطَأَتْ مِنْهُ الْفَوَادَ بَعْمَدَهَا
وَحِينَ تَدَانِي لِلْكَمَالِ هِلَالُهُ
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو فَهُوَ يُشْكِي نَوَازِعًا
وَلَا مِثْلُ فَقْدَانِ الْبَنَى فَجِيعَةٌ
مُحَمَّدُ إِنْ الصَّبْرُ صَبْرٌ وَعَلَقَمٌ
فَإِنْ جَزَعًا فَاللَّهُ لِلْعَبْدِ عَازِرٌ
وَتَاللهِ مَا لِي بَعْدَ عَيْشِكَ لَذَّةٌ
فَأَنِّي بِهِ وَالْمَذَكِرَاتِ عَدِيدَةٌ
فَأَيْنَ التَّفَقُّتُ فَالشَّخْصُ لِلْعَيْنِ مَائِلٌ
وَإِنْ أَدْعُ شَخْصًا بِاسْمِهِ لَضَرُورَةٌ
وَإِنْ تَقَرَّعَ الْأَبْوَابَ رَاحَةً قَارِعٌ

وُغْصَنُ ذَوَى تَأَقَّتْ إِلَيْهِ الْحَدَائِقُ
رَمَتْهُ سِهَامٌ لِلْعَيُونِ رَوَاشِقُ
فَلَا أَبْصَرْتُ تِلْكَ الْعَيُونِ الرُّوَاقِ
أَلَمْ بِهِ نَقْصٌ وَجَدْتُ مَوَاحِقَ
عِظَامًا سَطَاها لِلْعِظَامِ عَوَارِقُ
وَإِنْ طَالَ مَا لَجَّتُ وَجَلَّتْ بَوَاقِ
عَلَى أَنَّهُ حُلُوُ الْمُثُوبَةِ سَابِقُ
وَإِنْ جَلَدًا فَالْوَعْدُ لِلَّهِ صَادِقُ
وَلَا رَاقِي مَرَأَى لَعِيتِي رَاسِقُ
فَنُبُلٌ وَهَمٌّ لِلْعَوَايِدِ خَارِقُ
وَإِنْ أَسْتَمِعَ فَالصَّوْتُ لِلأُذُنِ طَارِقُ
فَإِنْ اسْمُكَ الْمَحْبُوبَ لِلنُّطْقِ سَابِقُ
يَطِيرُ عَنْدَهَا قَلْبٌ لِذِكْرِكَ خَافِقُ

وكلُّ كتابٍ قد حوِيتَ فمُذَكَّرٌ
سبقتَ كهولةً في الطُّفولة لا تَنِي
فلو لم يُغْلِكْ الموتُ دُمتَ مَجْلِيًّا
على مَهَلٍ أحرزتَ ما شِيتَ ثَانِيًّا
رَأَتْكَ المنايا سابقاً فأغرَّتْهَا
لَيْنٌ سُلِبَتْ مِنِّي نَفِيسٌ ذَخَائِرُ
وقد كان ظَنِّي أَنَّنِي لَكَ سَابِقُ
غَرِيبِينَ كُنَّا فَرَّقَ الْبَيْنُ بَيْنَنَا
فَبَيْنُ وَبَعْدُ بِالْغَرِيبِ تَوَكُّلاً
عَسَى وَطَنُ يَذْنُو فَتَذْنُو مِنِّي
فلولا الأَسَى ذَابَ الْفُؤَادُ مِنَ الْأَسَى
فخَطَّ الْأَسَى خَطًّا تَرَوْقُ سَطُورُهُ
فيا واحدًا قد كان لِلْعَيْنِ نُورَهَا
عليك سلامُ اللَّهِ مَا جَنَّ سَاجِعُ
وما هَمَمَتْ سَحْبٌ عَوَادٍ رَوَائِجُ
رجاد على مشواك غَيْثٌ مَرُوضُ

وَأَثَارُهُ كُلُّ إِلَيْكَ تَوَائِقُ
وَأَرْهَقْتَ أَشْيَاخًا وَأَنْتَ مُرَاهِقُ
وَأَقْبَلَ سِكِّيتًا وَجِيئَةً وَلَا حِسْقُ
عِنَانِكَ لَا تَجْهَدُ وَأَنْتَ مُسَابِقُ
فَجُدَّ طِلَابًا إِنَّهُمْ لَوَاحِقُ
فإِنِّي بِمَذْخُورِ الْأَجُورِ لَوَائِقُ
فقد صارَ عَلِمِي أَنَّنِي بِكَ لَاحِقُ
فَأَبْرَحُ مَا يَلْقَى الْغَرِيبُ الْمُفَارِقُ
قد رعى بما حَمَلْتُ وَاللَّهُ ضَايِقُ
وَأَيُّ الْأُمَانِي وَالْخُطُوبِ عَوَائِقُ
ولولا الْبُكَاءُ لَمْ يَحْمِلِ الْحُزْنَ طَائِقُ
وَتَمَحَوِ الْبُكَاءُ فَالْدَّمْعُ مَاحٍ وَسَاحِقُ
اتْلُ ضِيًّا بَعْدَ بُعْدِكَ غَاسِقُ
وما طَلَعَتْ شَمْسٌ وَمَا ذَرَّ شَارِقُ
وما لَمَعَتْ تَخْذُو الرُّعُودُ بَوَارِقُ
عَبَادُ لِرِضْوَانِ الْإِلَهِ مُوَافِقُ^(١)

محتنه

تعرَّضَ إِلَيْهِ قَوْمٌ ، يومَ قَتَلَ صَدِيقَهُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحَكِيمَ بِإِذَايَةِ
قَبِيحَةٍ . وَأَسْمَعَ كُلَّ شَارِقٍ مِنَ الْقَوْلِ عَلَى أَلْسِنَةِ زَعَانِفَةٍ فَجَّرَ وَتَرَدَّمِ الْقَتِيلُ ،
فَتَخَلَّصَ وَلَا تَسَلَّ كَيْفَ ، وَأَزْمَعَ الرَّحِيلَ فَلَمْ يَلْبِثْ بَعْدَ ذَلِكَ .

وفاته : كانت وفاته بمدينة فاس . في اليوم الثامن من شهر المحرم

(١) هذا الشعر كله وارد في إيسكوريال ، وساقط في الزيتونة .

مفتتح عام أحد وعشرين وسبعماية . ودفن في الجبابة التي بخارج باب
الفتوح بالروضة المعروفة بمطرح الجنة ، التي اشتملت على العلماء والصلحاء
والفضلاء ، من الغرباء الواردين مدينة فاس . وكان مولده بسبنة عام سبع
 وخمسين وستماية .

محمد بن علي بن هاني [اللّخمى] ^(١) السّبتى

يكنى أبا عبدالله ، ويعرف باسم جدّه ، أصلهم من إشبيلية .

حاله

كان رحمه الله فريداً دهره في سموّ الهمة ، وإيثار الاقتصاد والتّحليّ
بالقناعة ، وشموخ الأنف على أهل الرّئاسة ، مُقتصراً على فائدة ^(٢) ربيع له
ببلده ، يتبَلَّغ مع الاستقامة ، مع الصّبر والعمل على حفظ المروءة ، وضوّن
ماء الوجه ، إماماً في علم العربيّة ، مبرزاً متقدماً فيه ، حافظاً للأقوال ،
مُستوعباً لطريق الخلاف ، مُستحضرّاً لحُجَج التّوجيه ، لا يُشَقُّ في ذلك
غُبَارُهُ ، ريان من الأدب ، بارع الخطّ ، سهل مقادة الكلام ، مُشاركاً في
الأصليين ، قائماً على القراءات ، حَسَنَ المجلس ، رايق البزّة ، [بارع]
المحاضرة ، فايق التّرسل ، متوسط النّظم ، كثير الاجتهاد والعكوف ، مليح
الخلق ، ظاهر الخشوع ، قريب الدّعة ، بيته شهير الحسب والجلالة .
وجرى ذكره في « الإكاييل الزاهر » ^(٣) بما نصه : عَلِمُ تَشِيرُ إِلَيْهِ الْأَكْفُ

(١) هذه الزيادة من الزيتونة .

(٢) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (فابن) .

(٣) كتاب الإكاييل الزاهر . من كتب ابن الخطيب الصغرى وقد سبق التعريف به (أنظر

مقدمة المجلد الأول من الإحاطة ، ص ٥٨ ، والمجلد الثاني ص ٣٤١ حاشية) .

ويعمل إلى لقاءه الحافر والخفّ، رفع للعربية ببلده راية لا تتأخر، ومرج منها لجة تزخر، فانفسخ مجال درسه، وأثمرت أذواح غرسه، فركض بما شا وبرح، ودون وشرح، إلى شاميل تملك الظرف زمامها، ودعابة راشّت الحلاوة سهامها. ولما أخذ المسلمون في منازلة الجبل^(١) وحصاره، وأصابوا الكفر منه بجارحة أبصاره، ورَمَوْا بالثكل فيه نازح أمصاره، كان ممن انتدب وتطوع، وسمع النداء، فأهبط، فلازمه إلى أن نفد لأهله القوت، وبلغ من فتحة الأجل الموقوت، فأقام الصلاة بمحاربه، وقد غير محيّا طول اغترابه، وبأذرّه الطاغية قبل أن يستقرّ نصل الإسلام في قِرابه، أو يعلّق أصل الدين في تُرابه. وانتدب إلى الحصار به وتبرّع، ودعا لجله فلبّى وأسرع. ولما هدر عليه الفتيق، اوركت إلى قبيلته المجانيق^(٢)، أصيب بحجر دؤم عليه كالجارح المخلّق، وانقضّ إليه انقضاض البارق المتألق، فاقتنصه، واختطفه، وعمد إلى زهره فقطفه^(٣) فمضى إلى الله طوع نيته، وضجبت غرابة المنازع حتى في منيته.

مشيخته

قرأ على الأستاذ العلامة أبي إسحق الغافقي، وعلى الأستاذ النحوي أبي بكر بن عبيدة، واعتمد عليه، وقرأ على الإمام الصالح أبي عبد الله ابن خريث.

توالياقه

ألف كتباً، منها كتاب «شرح التسهيل لابن مالك»، وهو أجل كتبه،

(١) الجبل يقصد بها جبل طارق أو جبل الفتق.

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال. وفي النسخ (وركم إلى قبلة المنجنيق).

(٣) هكذا في الإسكوريال. وفي النسخ (فاقتطفه).

أَبْدَعَ فِيهِ ، وَتَنَافَسَ [النَّاسُ] ^(١) فِيهِ . وَمِنْهَا « الْغُرَّةُ الطَّالِعَةُ فِي
شِعْرَاءِ الْمِائَةِ السَّابِعَةِ » . وَمِنْهَا « إِنْشَادُ الصَّوَالِ » ، وَإِرْشَادُ السَّوَالِ فِي لَحْنِ
الْعَامَةِ » ، وَهُوَ كِتَابٌ مُفِيدٌ ، « وَقُوتُ الْمُقِيمِ » . وَدَوْنُ تَرْسُلِ رَيْسِ
الْكِتَابِ أَبِي الْمُطَرِّفِ بْنِ عَمِيرَةَ وَضَمَهُ فِي سَفَرَيْنِ . وَلَهُ رَجَزٌ فِي الْفَرَايِضِ
مُفِيدٌ

شعره

حَدَّثَنَا شَيْخُنَا الْقَاضِي الشَّرِيفُ ، نَسِجُ وَحْدَهُ ، أَبُو الْقَاسِمِ الْحَسَنِيُّ ،
قَالَ ، خَاطَبْتُ الْأُسْتَاذَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هَانِ رَحِمَهُ اللَّهُ بِقَصِيدَةٍ مِنْ نَظْمِي أَوَّلَهَا :
هَلَّتِ الْحَدِيثَ عَنِ الْكَرْبِ الَّذِي شَخَصَا

فَاجَابَنِي عَنْ ذَلِكَ بِقَصِيدَةٍ فِي رَوِيَّهَا :

لَوْلَا مَشِيبٌ بِفَوْدِي لِلْفَوَادِ عَصَا	نَضَيْتُ فِي مُهَمِّهِ التَّشْيِيبُ لِي قَلْصَا
وَاسْتَوْقَفْتَ عِبْرَاتِي وَهِيَ جَسَارِيَّةٌ	وَكَفَاءُ تَوْهَمٍ ^(٢) رَبْعًا لِلْحَبِيبِ قَصَا
مُسَايَلًا عَنْ كِبَالِيهِ الَّتِي انْتَهَزَتْ	أَيْدِي ^(٣) الْأَمَانِي بِهَا مَا شَيْتَهُ فُرْصَا
وَكَنتُ جَارِيَةً فِيهَا مِنْ جَرَى طَلْقًا	مِنَ الْإِجْسَادَةِ لَمْ يُحْجَمْ وَلَا نَكْصَا
أَصْصَابُ شَاكِلَةِ الْمَرْمَى حِينَ رَمَى	مِنَ السُّوَارِدِ مَا ابْوَلَاهُ مَا اقْتَنَصَا
وَمَنْ أَعَدَّ مَكَانَ النَّبْلِ نُبْلَ حِجَا	لَمْ يَرْضَ إِلَّا بِأَبْكَارِ النَّهْيِ قَنَصَا
ثُمَّ انْتَنَى ثَانِيًا عَطْفَ النَّسِيبِ إِلَى	مَذْحٍ بِهِ قَدْ غَلَا مَا كَانَ قَدْ رَخَصَا
فَظَلْتُ ^(٤) أَرْفُلُ فِيهَا لِبْسَةً شَرُفْتُ	ذَاتًا وَمُنْتَسِبًا أَعَزَزَ بِهِ قَمَصَا

(١) الزيادة من النفع .

(٢) وردت في الإسكوريال (يومم) . والتصويب من النفع .

(٣) وردت في الإسكوريال (فيها) . والتصويب من النفع .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال وفي النفع .

يقول فيها وقد خولت منحتها
هذي عقايل وافت منك ذا شرف
فقلت هلا عكست القول منك له
وقلت ذى بكر فكر من أخى شرف
لها حل حُسنيات على حُلل
خولتها وقد اعتزت ملايسها
خذها أبا قاسم منى نتيجة دى
جاءت تجاوب عما قد بعثت به
وجرّع الكاشح المُغرى بها غصصا
لولا أياديه بيع الحمد مُرتخصا
ولم يكن قابلا من مدحه الرخصا
يُردى ويرضى بها الحُساد والخلصا
حُسنية تستبى من حل أو شخصا
بالبعث ينقاد للإنسان ما عوصا
ود إذا شيت ودا للورى خلصا
إن كنت تأخذ من^(١) در النحور حصا

وهى طويلة . وما ينسب إليه ، وهو مليح فى معناه :

ما للنوى مدت لغير ضرورة
إن الخليل وإن دعه ضرورة
وقال مضمنا :

لا يلمنى عاذلى حتى^(٣) يرى
لو رأى وجه حبيبي عاذلى
وجه من أهوى فلو لمى مستحيل
لتفارقنا على وجه جميل
وقال فى الفخر :

قل للموالى عش بغبطة حامد
المزن كفى والثريا همى
وللمعادى بت بضغنة حاسد
وذكا ذكرى والسعود مقاصد
وقال فى غير ذلك .

غنيست بى دون غيرى الدهر عن مثل
بعضى لبعضى أضحى يضرب المثل

(١) وردت فى الإسكوريال (س) . والتصويب من النفع .

(٢) هذه الزيادة من « الزيتونة » والنفع .

(٣) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى النفع (حبر)

ظَهَرَى انْحَنِ لِمَشِيْبٍ لَاحٍ وَاعْجَبَا غَضُّ إِذَا أَيْنَعْتَ أَزْهَارَهُ ذُبُلَا
أَذْكَ أَمْ زَهْرُ لَاحَتْ تَخْبِرُ أَنْ يَوْمَ الصَّبَا وَالتَّصْبَايِ أَنْسَ الطُّفْلَا
وَمَا جَمَعَ فِيهِ بَيْنَ تَظْلَمِهِ وَنَشْرِهِ ، مَا رَاجَعَ بِهِ شَيْخَنَا الْقَاضِي الشَّرِيفَ

أَبَا الْقَاسِمِ الْحَسَنِ . عَنْ الْقَصِيدَةِ الْهَمْزِيَّةِ الَّتِي ثَبَتَتْ فِي اسْمِهِ :

يَا أَوْحَدَ الْأَدْبَا أَوْ يَا أَوْحَدَ الْفُضْلَا أَوْ يَا أَوْحَدَ الشُّرَفَا
مَنْ ذَا تَرَاهُ أَحَقَّ مِنْكَ إِذَا التَّوْتُ طَرَقَ الْحِجَاجُ بَنَّا يَجِيبُ نَدَاءُ
أَدَبُ أَرْقُ مِنَ الْمَوَاءِ وَإِنْ تَشَا فَمِنْ الْهَوَى وَالْمَاءِ وَالصَّهْبَاءِ
وَأَلَذُّ مِنْ ظُلْمِ الْحَبِيبِ وَظُلْمِهِ بِالظَّاءِ مَفْتُوحًا وَضَمُّ الظَّاءِ
مَا السُّحْرُ إِلَّا مَا تَصُوعُغُ بِنَانُهُ وَلِسَانُهُ مِنْ حَلِيَّةِ الْإِنْشَاءِ
وَالْفُضْلُ مَا حَلِيَّتُهُ وَحَبِيَّتُهُ وَحَبَوْتِي مِنْهُ بِخَيْرِ حِسَاءِ
أَبْكَارُ فِكْرِكَ قَدْ زُفِّتَ بِمَدْحَتِي تَمْشَى رَوَايَعُهُمَا عَلَى اسْتِحْيَاءِ
لَا مِنْ قُصُورٍ بَلْ لَتُقْصِيهِمَا مِنْ حَيْثُ لَمْ يَظْفَرَنَّ بِالْإِرْفَاءِ
لَا كَنْ جُبُونٍ وَقَدْ جُبِلْنَ^(١) عَلَى الرِّضَا فَالْجَبْرُ لِلْأَبْكَارِ لِلْإِبْسَاءِ
هَذَا إِلَى الشَّرَفِ الَّذِي قَدْ فَزَتْ مِنْ عَلَيَّائِهِ بِالْعِزَّةِ الْقَعْسَاءِ
شَرَفُ السَّلِيلِ مِنَ الرُّسُولِ وَسَيْلُهُ قَامَتْ بَابِنِ سَنَا وَابِنِ سَنَا
حَسَنٌ وَأَبُو حَسَنٍ وَفَاطِمَةُ ابْنَةُ الْهَادِي الْبَرِيَّةِ خَاتَمِ النُّبَلَاءِ
شَرَفٌ عَلَى شَرَفٍ إِلَى شَرَفَيْنِ مَنْ ذَا حَازَ مَا حُزَّتْ مِنْ عَلَيَّاءِ
هَذِي ثَلَاثُ أَنْتَ وَاحِدٌ فَخَرِهَا فَاشْمَخْ لَهَا شَرْفًا بِأَنْفِ عِلَاءِ
مَنْ رَامَ رُتْبَتَكَ السَّنِيَّةَ فَلْيَقِفْ دُونَ الْمَرَامِ مَوَاقِفَ الْإِقْصَاءِ
هَذِي مَآثِرٌ قَدْ شَاوَتْ بِصِيَّتِهَا مَنْ كَانَ مِنْ أَبٍ لَهَا أَوْ شَاءِ
وَاللَّيْثُ يُرْهَبُ زَأْرُهُ فِي مَوْطِنِ مَا كَانَ مِنْ نَقْدٍ بِهِ أَوْ شَاءِ

(١) وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ (جَابِن) وَنَعْتَقْدُ أَنْ التَّصْوِيبَ أَرْجَحُ .

يكفيك من نكد المعاند أن يرى
 السنُّ يُفنى بالأنامل قسرعه
 أتخفتني بقصيدة همزية
 كم بين تلك وهذه لاكنها
 ذو الشيب يعدُّره الشُّباب فما
 من قارب الخمسين خطواً سنه
 أبنيَّ إنك أنت أسدى من به
 لله نفثة سحر ما قد شدت لي
 عارضت صفواناً بها فأريت ما
 لو راء لؤلؤك المنظم لم يفز
 بوأتني منها أجل مبرور
 وسمي بها أسمى ساير فأنما بما
 وأشدت ذكري في البلاد فلي بها
 ولقومي الفخر المشيد بنيت
 فليهن هانيهم يد بيضاء ما
 حلّيت أبياتا^(٣) لهم^(٤) لخمية
 فليشمخوا أنفا بما أوليتهم
 هذا ، بُني ، وصل الله لك ولي بك علو المقدار ، وأجرى وفق أو فوق
 إرادتك أو إرادتي لك جاريات الأقدار . ما سمح به الذهن الكليل واللسان

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (مستوطاً) .

(٢) وردت في الإسكوريال (ثناء) مرة أخرى ، والتصويب من النسخ .

(٣) وردت في الإسكوريال (أبا) . والتصويب من النسخ .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (له) .

الفَلِيل في مراجعة قصيدتك الغراء، الجالية للسراء، الآخذة بمجامع القلوب،
الآتية^(١) بجوامع المطلوب، الحسنة المهيّج والأسلوب، المتحلّية بالحلى
الحسنية^(٢)، العريقة المنتسب في العلى الحسنية، الجالبة صدا قلوب
ران عليها الكسل، وخانها المسعدان، السؤل والأمل، فمتى حامت المعاني
حولها، ولو أقامت حولها، شكّت ويلها وعولها، وحُرمت من قريضة
الفضيلة عولها، وعهدى بها، والزمان زمان، وأحكامه الماضية أمانى مقضية
وأمان، تتوارد آلافيها، ويجمع إجماعها وخلافها، ويساعدها من الألفاظ كل
سهل مُمتنع، مفترق مُجمع، مُستأنس غريب، بعيد الغور قريب، فاضح
الحُلا، واضح العُلا، وضّاح الغرة والعجين، رافع عمود الصبح المبين،
أيد من الفصاحة بإياد، فلم يحفل بصاحبى طي وإياد، وكسى بضاعة^(٣)
البلاغة، فلم يعبأ بهمّام وابن المراغة. شفاء المحزون، وعلم السرّ المخزون،
ما بين منشوره والموزون. والآن لا ملهج ولا مُنهج [ولا مرشد ولا منهج]^(٤)
عُكِست القضايا فلم تُنتج، فتبلّد القلب الذكى، [ولم يرشح القلب
البكى]^(٥)، وعمّ الإفحام وغمّ الإحجام، وتمكن الإكدا والإجبال،
وكوّرت الشمسُ وسُيرت الجبال، وعَلّت سامة، وغَلّبت ندّامة، وارتفعت
ملامة، وقامت لتوعى الأدب قيامة. حتى إذا ورد ذلك المهرق، وفرّع
غُصْنهُ المورق، تغنّى به الحمام الأورق، وأحاط بعداد عُداته الغصص
والشرق، وأمن من الغضب والسرّ، وأقبل الأمن، وذهب بإقباله الفرق،

(١) هكذا في الإسكوريال. وفي النسخ (الموفية).

(٢) هكذا في الإسكوريال. وفي النسخ (السنية).

(٣) هكذا في الإسكوريال. وفي النسخ (نصاعة).

(٤) الزيادة من النسخ. (٥) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال. ومكانها في

النسخ (ولم يرشح القلم الذكى).

نفخ في صور أهل المنظوم والمنثور ، وبُعْثَر ما في القبور ، وحُصِّل ما في
الصدور ، وتراءت للأدب صور ، وعمرت للبلاغة كُور ، وهَمَّت للبراعة
دُرر ، ونُظمت للبراعة دُرر ، وعندها يَتَبَيَّن أنك واحد حَلْبَة البيان ،
والسَّابِق في ذلك الميدان ، يوم الرُّهان ، فكان لك القدم ، وأقرَّ لك مع
التَّأخِر السَّابِق الأَقْدَم ، فوَحَقَّ نَصَاعَة ^(١) أَلْفَاظ أَجَدَّتْهَا ، حين أوردتها ،
وَأَسَلَّتْهَا حين أَرَسَلَّتْهَا ، وَأَزْنَتْهَا حين وَزَنْتَهَا ، وبراعةٍ معان سَلَكَتْهَا حين
مَلَكَتْهَا ، وَأَرْوَيْتَهَا حين رَوَّأَتْهَا ^(٢) وَأَرْوَيْتَهَا ، وَأَصَلَّتْهَا حين فَصَلَّتْهَا وَوَصَلَّتْهَا ،
ونظام جعلته لجسد البيان قَلْبًا ، والمِعْصَمَة قَلَمًا ، وهَصَرَتْ حدايقه غَلْبًا ،
وارتَكَبَتْ رَوِيَّةً صَعْبًا ، وَنِثَارًا أَتْبَعَتْهُ لَهُ خَدِيمًا ، وصيَّرته لِمُدِير كَأْسِهِ
نَدِيمًا ، وَلَحْفَظَ ذِمَامَهُ المُدَامِي ، أَوْ مُدَامَهُ الذَّمَامِي مُدِيمًا ، لَقَدْ فَتَنَنْتَنِي حين
أَتَنْتَنِي ، وَسَبَّحْتَنِي حين نَصَبْتَنِي ^(٣) ، فَذَهَبَتْ خَفَّتُهَا بَوَقَارِي ، وَلَمْ يَرُعْهَا بَعْدَ
شَيْبُ عِذَارِي ، بَلْ دَعَتْ لِلتَّصَابِي فَقُلْتُ مَرَحِبًا ، وَحَلَلْتُ لِفَتْنَتِهَا الْحَبَا ، وَلَمْ
أَحْفَلْ بِشَيْبٍ ، وَأَلْفَيْتُ مَارِدَ نِصَابِي نُصِيبٍ ، وَإِنْ كُنَّا فَرَسَى رِهَانٍ ، وَسَابِقِ
حَلْبَةِ مِيدَانٍ ، غَيْرَ أَنَّ الْجِلْدَةَ ^(٤) بَيْضَاءَ ، وَالْمَرْجُو الْإِغْضَاءَ . بَلِ الْإِرْضَاءُ .
بُنَى كَيْفَ رَأَيْتُ لِلْبَيَانِ هَذَا الطَّوْعَ ، وَالْخُرُوجَ فِيهِ مِنْ نَوْعٍ إِلَى نَوْعٍ .
أَيْنَ صَفْوَانِ بْنِ إِدْرِيسٍ ، وَمَحَلُّ دَعْوَاهُ بَيْنَ رِحْلَةٍ وَتَغْرِيسٍ ، كَمْ بَيْنَ
ثَغَاءٍ [بِقَر] ^(٥) هَذَا الْفَلَا ، وَبَيْنَ زَيْئِرٍ ^(٦) لَيْثِ الْعَرِيسِ . كَمَا أَنِّي أَقْطَعُ

(١) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي النِّفْحِ (فَصَاحَةٌ) .

(٢) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي النِّفْحِ (رَوَيْتَهَا) .

(٣) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي النِّفْحِ (صَبَّحْتَنِي) .

(٤) وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ (الْجَادَةُ) . وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النِّفْحِ .

(٥) هَذِهِ الْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَوَارِدَةٌ فِي النِّفْحِ .

(٦) هَذِهِ الْكَلِمَةُ وَارِدَةٌ فِي الْإِسْكُورِيَالِ وَسَاقِطَةٌ فِي النِّفْحِ ، وَأَثْبَاتُهَا لَازِمٌ لِمُتَقَامَةِ السِّيَاقِ

عِلْماً ، وَأَعْلَمُ قَطْعاً . وَأَحْكَمُ مَضَاءً ، وَأَمْضَى حُكْماً ، أَنَّهُ لَوْ نُظِرَ إِلَى قَصِيدَتِكَ الرَّائِقَةِ ، وَفَرِيدَتِكَ الْحَالِيَةِ الْفَائِقَةِ ، الْمَعَارِضَةِ بِهَا فَصِيدَتُهُ ، الْمُتَنَسِّخَةِ بِهَا فَرِيدَتُهُ ، لَذَهَبَ عَرْضاً وَطَوَّلاً ، ثُمَّ اعْتَقَدَ لَكَ الْيَدَ الطُّوْلَى ، وَأَقْرَبَ بَارْتِفَاعِ النَّزَاعِ ، وَذَهَبَتْ لَهُ تِلْكَ الْعُلَّالَاتُ وَالْأَطْمَاعُ ، وَنَسِيَ كَلِمَتَهُ اللَّؤْلُؤِيَّةَ ، وَرَجَعَ عَنْ دَعْوَاهِ الْأَدْبِيَّةِ ، وَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ رَبَّهُ مِنْ تِلْكَ الْإِلَهِيَّةِ . بُنِيَ وَهَذَا مِنْ ذَلِكَ ، مِنَ الْجَرَى فِي تِلْكَ الْمَسَالِكِ ، وَالتَّبَسُّطِ فِي تِلْكَ الْمَأْخَذِ وَالْمَتَارِكِ ، أَيْتَزَجُ غَيْرِي هَذَا السَّنَزَعِ ، أَمَ الْمَرْءُ بِشِعْرِهِ ^(١) وَابْنُهُ مُوَلَعٌ . حَيَّا اللَّهُ الْأَدَبَ وَبْنِيهِ ، وَأَعَادَ عَلَيْنَا مِنْ أَيَّامِهِ وَسِنِيهِ ، مَا أَعْلَى مَنَازِعِهِ ، وَأَكْبَأَ مَنَازِعِهِ ، وَأَجَلَّ مَأْخَذِهِ ، وَأَجْهَلَ تَارِكِهِ ، وَأَعْلَمَ آخِذِهِ ، وَأَرْقَ طَبَاعَهُ ، وَأَحَقَّ أَشْيَاعَهُ وَأَنْبَاعَهُ ، وَأَبْعَدَ طَرِيقَهُ ، وَأَسْعَدَ فَرِيدَتَهُ ، وَأَقْوَمَ نَهْجَهُ ، وَأَوْثَقَ نَسْجَهُ ، وَأَسَمَحَ أَلْفَاظَهُ ، وَأَفْصَحَ عُكَاظَهُ ، وَأَضْدَقَ مَعَانِيهِ وَأَلْفَاظَهُ ، وَأَحْمَدَ نِظَامَهُ وَنِشَارَهُ ، وَأَغْنَى [شِعْرَاهُ وَدِثَارَهُ] ^(٢) . فَعَابِيَهُ مَطْرُودٌ ، وَعَاتِيَهُ مَصْفُودٌ ، وَجَاهِلُهُ مَحْصُودٌ . وَعَالِمُهُ مَحْشُودٌ . غَيْرَ أَنَّ الْإِحْسَانَ فِيهِ قَلِيلٌ ، وَلِلطَّرِيقِ الْإِصَابَةِ فِيهِ عِلْمٌ وَدَلِيلٌ ، مِنْ ظَفِيرِهُمَا وَصَلَ ، وَعَلَى الْغَايَةِ الْقَصُوفِ مِنْهُمَا حَصَلَ ، وَمَنْ نَكَبَ عَنِ الطَّرِيقِ ، لَمْ يَعُدْ مِنْ ذَلِكَ الْفَرِيقِ ، فَلِيَهْنُكَ أَيُّهَا الْإِبْنُ الذَّكِيُّ ، الْبَرُّ الزَّكِيُّ ، الْحَبِيبُ الْحَقِيقِيُّ ، الصَّفِيُّ الْوَفِيُّ ، أَنْتَ حَامِلُ رَايَتِهِ ، وَوَاصِلُ غَايَتِهِ : لَيْسَ أَوَّلُوهُ وَآخِرُوهُ لِذَلِكَ بِمُنْكَرِينَ ، وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ . وَلَوْلَا أَنَّ يَطُولُ الْكِتَابُ ، وَيَنْحَرِفُ الشُّعْرَاءُ وَالْكِتَابُ ، لَفَاضَتْ يَنْابِيعُ هَذَا الْفَضْلِ فَيْضاً ، وَخَرَجَتْ إِلَى نَوْعٍ آخَرَ مِنَ الْبَلَاغَةِ أَيْضاً ، قَرَّتْ عُيُونُ أَوْدَابِكَ . وَمُلِئَتْ غِيظاً صُدُورُ أَعْدَايِكَ . وَرَقِيتَ دَرَجَ الْأَمَالِ ،

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (بنفسه) .

(٢) وردت في الإسكوريال (دثاره وشعاره) . والتصريب من النسخ . وهو أكثر تمشياً

مع السياق .

وَوُقِيتَ عَيْنُ الْكَمَالِ ، وَحُفِظَ مَنْصِبُكَ الْعَالِي ، بِفَضْلِ رَبِّكَ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالَى .
وَالسَّلَامُ الْأَتَمُّ الْأَكْمَلُ^(١) الْأَعْمُ يَخُصُّكَ بِهِ ، مِنْ طَالٍ فِي مَدَحِهِ أَرْقَاكَ
وَأَعْدَاكَ ، وَرَادَ رَوْضُ حَمْدِهِ طَلُّكَ وَرَدَاذُكَ [وَوَعْدَتِ مَصَالِحُ سَعْيِهِ فِي سَعْيِ
مَصَالِحِكَ ، وَسَيَنْفَعُكَ بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ ، وَفَضْلِهِ وَمِنْتَهَى مُعَاذُكَ]^(٢) وَوَسَّمتَ
نَفْسَكَ بِتَلْمِيذِهِ ، فَسَمَّتَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ أُسْتَاذُكَ ، ابْنُ هَانِي وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ .
دَخُولُهُ غَرْنَاطَةَ : دَخَلَ غَرْنَاطَةَ مَعَ الْوَفْدِ مِنْ أَهْلِ بِلَدِهِ عِنْدَ تَصْيِيرِهَا إِلَى
الْإِيَالَةِ النَّصْرِيَّةِ ، حَسْبَمَا ثَبِتَ فِي مَوْضِعِهِ .

تَوَفَّى بِجَبَلِ الْفَتْحِ ، وَالْعَدُوُّ يُحَاصِرُهُ ، أَصَابَهُ حَجَرُ الْمَنْجَنِيْقِ فِي رَأْسِهِ ،
فَذَهَبَ بِهِ ، تَقَبَّلَ اللَّهُ شَهَادَتَهُ وَنَفَعَهُ ، فِي أَوَاخِرِ ذِي قَعْدَةِ مِنْ عَامِ ثَلَاثَةِ
وِثْلَاثِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ^(٣)

وَمِنْ رِثَائِهِ قَاضِي الْجَمَاعَةِ شَيْخُنَا الْقَاضِي أَبُو الْقَاسِمِ الْحَسَنِيُّ ، وَهِيَ
الْقَصِيدَةُ الَّتِي أَوَّلَهَا :

سَقَى اللَّهُ بِالْخَضْرَاءِ أَشْلَاءَ سُودِدٍ تَضَمَّنَهُنَّ التُّرْبُ صُوبَ الْغَمَامِ

وَقَدْ ثَبِتَ فِي «جُهْدِ الْمُقِيلِ» فِي اسْمِ الْمَذْكُورِ فَلْيُنْظَرْ هُنَاكَ .

وَمِنْ رِثَائِهِ شَيْخُنَا الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ شَيْبَرِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ :

قَدْ كَانَ مَا قَالَ الْيَزِيدُ^(٤) فَنَاصِرٌ فَحُزْنُكَ لَا يَفْسِدُ

(١) وَارِدَةٌ فِي النَّفْحِ . وَسَاقِطَةٌ فِي الْإِسْكُورِيَالِ .

(٢) مَا بَيْنَ الْخَاصَرَتَيْنِ وَارِدٌ فِي النَّفْحِ وَسَاقِطٌ فِي الْإِسْكُورِيَالِ .

(٣) كَانَ النَّصَارِيُّ (الْفِشْتَالِيُونَ) قَدْ انْتَزَعُوا جَبَلَ الْفَتْحِ (جَبَلُ طَارِقِ) مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي
سَنَةِ ٧٠٩ هـ - ١٣١٠ م) وَلَبِثَ الْمُسْلِمُونَ يَتَحَيَّنُونَ الْفُرْصَ لِاسْتِرْدَادِ هَذَا الثَّغْرِ الْمُنْتَعِ ، وَبَعَثَ السَّالْطَانُ
مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ (ابْنُ الْأَحْمَرِ) مَلِكُ غَرْنَاطَةَ يَسْتَنْجِدُ بِمَلِكِ الْمَغْرِبِ السَّالْطَانِ الْكَبِيرِ أَبِي الْحَسَنِ الْمُرَيْي
فَلَمَّا نَدَاهُ . وَحَاصَرَتِ الْقَوَاتُ الْمُتَحَالِفَةُ جَبَلَ طَارِقٍ بِشِدَّةٍ مِنَ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، وَاسْتَعْلَمَتِ فِي الْهَآيَةِ أَنَّ
تَرَعَمَ الْحَآمِيَةَ النَّصْرَانِيَّةَ عَلَى التَّسْلِيمِ (سَنَةِ ٧٣٣ هـ - ١٣٣٣ م) ، وَأَنَّ تَسْتَرِدَّ الْجَبَلَ لِقَى فِي يَدِ
لِلْمُسْلِمِينَ عَصْرًا آخَرَ .

(٤) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي النَّفْحِ (الْيَزِيدُ) .

أَوْدَى ابْنُ هَلْفَى الرُّضَا فَاغْتَادَى لِلشَّكْلِ عِيدَ
بَحْرُ الْعُلُومِ وَصَدْرُهَا وَعَمِيدُهَا إِذْ لَا عَمِيدَ
قَدْ كَانَ زَيْنًا لِلوُجُودِ دَفْنِيهِ قَدْ فُجِعَ الْوُجُودُ
الْعِلْمُ وَالتَّحْقِيقُ وَالتَّوْفِيقُ وَالْحَسَمِ التَّلِيدُ
تَنَدَى خِلَافُهُ فَقَطِلَ فِيهَا هِيَ الرُّوضُ الْمَجْسُودُ
مُغْنِ عَنْ الْإِخْوَانِ لَا جَهْمُ اللَّقَاءِ وَلَا كَنُودُ
أَوْدَى شَهِيداً بِإِذْلٍ . مَجْهُودٌ فَعَسَمَ الشَّهِيدُ
لَمْ أَنْسَهُ حِينَ الْمَعَا رَفَ بِاسْمِهِ فِينَا تَشِيدُ
وَلَهُ صُبُوبٌ فِي طَلَاً بِالْعِلْمِ يَتْلُوهُ صُعُودُ
لِلَّهِ وَقَبْتُ كَانَ يَنْظِمُنَا كَمَا نُظِمَ الْفَرِيدُ
أَيَّامَ نَفَلُوا أَوْ نَرُوا حَ وَسَعَيْنَا السَّعَى الْحَمِيدُ
وَإِذَا الْمَشِيقَةُ جَنَّمُ هَضْبَاتِ حِلْمٍ لَا تَبِيدُ
وَمُرَادُنَا جَمِ النَّبَا تَ وَعَيْشُنَا خَضِرَ الْبُرُودُ
لَهْفَى عَلَى الْإِخْوَانِ وَالْأَتْرَابِ كُلُّهُمْ فَقِيدُ
لَوْ جِيتُ أَوْطَانِي لِأَنْكُرَنِي التَّهْلِيمَ وَالنُّجُودُ
وَلِرَاعَ نَفْسِي شَيْبُ مِنْ غَادَرْتَهُ وَهُوَ الْوَلِيدُ
وَلَطَفْتُ مَا بَيْنَ اللَّحْوِ دَ وَقَدْ تَكَاثَرَتِ اللَّحُودُ
سُرْعَانِ مَا عَاثَ الْحِمَا مَ وَنَحْنُ أَيْقَاطُ هُجُودُ
كَمْ رُمْتُ إِعْدَالَ الْمَسِيرِ فَقَبِدْتُ عَزْمِي قُبُودُ
وَالْآنَ أَخْلَفْتُ الْوَعْدَ دَ وَأَخْلَقْتُ تِلْكَ الْبُرُودُ
مَا لِلْفَتَى مَا يَبْتَنِي وَاللَّهِ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ
أَعْلَى الْقَدِيمِ الْمُلْكِ يَا وَيْلَاهُ يَعْتَرِضُ الْعَبِيدُ

يَا بَيْنُ قَدْ طَالَ الْمَدَى أَرْعِدْ وَأَبْرِقْ يَا يَزِيدُ
 وَلِكُلِّ شَيْءٍ عَسَايَةٌ وَلرَبِّمَا لَانَ الْحَدِيدُ
 إِلَيْهِ أَبَا عَبْدِ الْإِلَهِ وَدَوْنَنَا مَرْمَى بَعِيدُ
 أَينَ الرِّسَالِ مِنْكَ تَأُ تِينَا كَمَا نُظِمُ^(١) الْعُقُودُ
 أَينَ الرُّسُومِ الصَّالِحَاتِ تَصَرَّعَتْ أَيْنَ الْعُهُودِ
 أَنْعَمَ مَسَاءً لَا تَخْطُتُكَ^(٢) الْبِشَايِرُ وَالسُّعُودُ
 وَأَقْدَمَ عَلَى دَارِ الرُّضَا حَيْثُ الْإِقَامَةُ وَالْخُلُودُ
 وَالسَّقَّ الْأَحْبَسَةَ حَيْثُ هَا رُ الْمُلُوكِ وَالْقَصْرِ الْمَشِيدُ
 حَتَّى الشَّهَادَةِ لَمْ تَفْتُكْ فَنَجْمُكَ النُّجُومُ السَّعِيدُ
 لَا تَبْعُدَنَّ وَعْدُ لَوْ أَنَّ الْمَيِّتَ^(٣) فِي الدُّنْيَا يَعُودُ
 وَلَيْنَ بُلَيْتَ فَإِنَّ ذِكْرَكَ فِي الدُّنَا غَضُّ جَدِيدُ
 تَاللهُ لَا تَنْسَاكَ أَنْدَبِيَّةُ الْعُلَى مَا اخْضَرَّ عُودُ
 وَإِذَا تَسَوَّحَ فِي الْحَقْوِ قِ فَحَقُّكَ الْحَقُّ الْأَكِيدُ
 جَادَتْ صَدَاكَ عِمَامَةٌ يُرَوَّى^(٤) بِهَا ذَاكَ الصَّعِيدُ
 وَتَعَهَّدَتْكَ مِنْ الْمُهِمَنِ رَحْمَةٌ أَبَدًا وَجُودُ

محمد بن يحيى العنبدري

من أهل فاس . يكنى أبا عبد الله . ويعرف بالصادق

-
- (١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (نسق) .
 (٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (تخطيك) .
 (٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (البدم) .
 (٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (ريرن) وهو تحريف .

حاله

قال الأستاذ في « صلته »^(١) : إمامٌ في العربية ، ذاكرٌ لللغات والآداب ، متكلمٌ ، أُصولي مفيد ، مُتَفَنِّنٌ ، حافظٌ ، ماهرٌ ، عالمٌ ، زاهدٌ ، ورعٌ ، فاضلٌ . أخذَ عِلْمَ العربية والآداب عن النُّحوي أبي الحسن بن خروف ، وعن النُّحوي الأديب الضَّابِط أبي ذَرِّ الحُشَنِي ، وأكثرَ عنهما ، وأكَمَلَ الكتاب على ابن خروف ، تَفَقُّهُاً وَتَقْيِيداً وَضَبْطاً . وكان حسن الإقراء ، جَيِّدَ العبارة ، متين المعارف والدين ، شديد الورع ، مُتَوَاضِعاً جليلاً ، عالماً عاملاً ، من أَجَلٍّ من لَقِيَّتُهُ ، وأَجْمَعِهِمْ لفتون المعارف ، وضُروب الأعمال ، وكان الحِفْظُ أَغْلَبَ عليه ، وكان سريع القَلَمِ إذا كَتَبَ أَوْ قَيَّدَ ، وسمِعْتُهُ يقول ، ما سمعت شيئاً من أحد من أشياخي ، من نُكِّتِ الْعِلْمَ ، وتَفْسِيرِ مُشْكِلٍ ، وما يرجع إلى ذلك ، إِلَّا وَقَيَّدْتُهُ ، ولا قَيَّدْتُ بِخَطِّي شيئاً إِلَّا حَفِظْتُهُ ، ولا حَفِظْتُ شيئاً فَنَسِيتُهُ . هذا ما سمعت منه .

مشيخته

أخذ العربية عن الأستاذ أبي الحسن بن خروف ، وعن النُّحوي الأديب الضَّابِط أبي ذَرِّ الحُشَنِي . وأكثرَ عنه ، وأخذَ معهما عن أبي محمد بن زيدان ، ولازم ثلاثتهم ، وسمع وقرأ على الفقيه الصالح أبي محمد صالح وأخذ^(٢) عن غير من ذكر .

دخوله غرناطة

قال ، دخل الأندلس مراراً بيسير بضاعةٍ كانت لديه يَتَجَرُّ فيها ،

(١) يقصد بها كتاب « صلة الصلة » لابي جعفر بن الزبير (راجع ترجمته في المجلد الأول من الإحاطة ص ١٨٨) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (واهم) رأيتُ أُرَاجِحُ .

ودخل إشبيلية ، وتردد آخر عمره إلى غرناطة ومالقة إلى حين وفاته .
توفي رحمه الله شهيداً بمرسى جبل الفتح . دخل عليهم العدو فيه .
فقاتل حتى قُتل ، وذلك سنة أحد وخمسين وستماية . وسمعتُه يتوسل إلى
الله ، ويسأله الشهادة .

المحدثون والفقهاء والطلبة النجباء

وأولا الأصليون

محمد بن أحمد بن إبراهيم بن الزبير

من أهل غرناطة ، ولد الأستاذ الكبير أبي جعفر بن الزبير ، يكنى
أبا عمرو

حاله

هذا الشيخ سَكَّيتُ حَلَبَةَ ، ولدُ أبيه في علُو النَّبَاهَةِ . إلا أنه لو دَعِيَ
فَكَه ، حسن الحديث ، رافِضٌ للتَّصَنُّعِ ، ركض طَرَفَ الشَّيْبَةِ في ميدان
الراحة ، مُنْكَباً عن سُنَنِ أبيه وقومه ، مع شُغُوفٍ إِذْرَاكَ : وجودة حِفْظٍ .
كانا يُطْطِيعَانِ والدَّهَ في نجابته ، فلم يَعْلَمْ قَادِحاً . ورحل إلى العُدُوَّةِ .
وشرَّقَ^(١) ونال حُظُوَّةً ، وَجَرَتْ عليه خطوب . ثم عاد إلى الأندلس على
معروف رَسْمِهِ يَتَكَوَّرُ بها . وهو الآن قد نال منه الكِبَرُ . يُزَجَّى الوقت
بماتقة . متعللاً بوقفٍ من بعض الخِدم المَخْزِنِيَّةِ ، لطف الله به .

(١) شرق أى رحل إلى الشرق .

مشيخته

استجاز له والده الطَّم والرَّم ، من أهل المغرب والمشرق ، ووقف عليه منهم في الصَّغر وقفاً لم يغتبط به عمره ، وأذكره الآن بعد أمة ، عندما نقرَّ عنه لديه ، فأنثرت به يده من علوِّ رواية ، وتوفّر سبب مبرة ، وداعية إلى إقالة عشرة : وسرَّ هَيْبَة شَيْبَة . فمن ذلك الشيخ الإمام أبو علي ناصر الدين منصور بن أحمد المِشْدالي ، إجازة ثم لقاءً وسماعاً ، والشيخ الخطيب الراوية أبو عبد الله بن غريون . وأجازه الأستاذ أبو إسحق الغافقي ، وأبو القاسم بن الشَّاط ، والشَّريف أبو العباس أحمد الحسني ، والأستاذ الإمام أبو الحسين عبد الله بن أبي الربيع القرشي نزيل سبتة . ومحمد ابن صالح بن أحمد بن محمد الكتّاني الشَّاطي ببجاية ، والإمام أبو اليمن ابن عساكر بالمسجد الحرام ، وابن دَقِيق العيد وغيرهم . ومن أهل الأندلس أبو محمد بن أبي السَّداد ، وأبو جعفر بن الزيات ، وأبو عبد الله بن الكَّاد ، وأبو عبد الله بن ربيع الأشعري ، وأبو عبد الله بن بُرْطال ، وأبو محمد عبد المنعم بن سِماك ، والعدل أبو الحسن بن مَسْتَقُور . وأجازه من أهل المشرق والمغرب ، عَالَمٌ كبير .

شعره

وبضاعته فيه مُزْجاة ، فمن ذلك ما خاطبني به عند إيابي من العُدوة في غرض الرسالة عن السلطان :

نوالى الشُّكر للرحمن فَرَضاً	عَلَّمَ نِعَمٍ كَسَتْ طَوْلاً وَعَرَضاً
وكم لله من لُطْفٍ خَفِيٍّ لَنَا	منه الذي يَشَاءُ (١) وَأَمْضَا
بِمَقْدَمِكَ السَّعيدَ أَنْتَ سَعُود	تنال بها نعيم الدَّهرِ مَحْضَا
فيا بُشْرَى لَأَنْدَلُسٍ بِمَا قَدْ	به والاك بارينا وَأَرْضَا

(١) هذا بياض في الإسكوريال .

ويا لله من سَفَرٍ سَعِيدٍ قَدْ
 نَهَضْتَ بِنِيَّةٍ أَخْلَصْتَ فِيهَا
 وَثَبْتَ لِنُصْرَةِ الْإِسْلَامِ لَمَّا
 لَقَدْ أَحْيَيْتَ بِالتَّقْوَى رُسُومًا
 وَقُمْتَ بِسُنَّةِ الْمُخْتَارِ فِينَا
 وَرُضْتَ مِنَ الْعُلُومِ الصُّغْبَ حَتَّى
 فَرَأَيْتُكَ نَاجِحٌ فِيمَا تَرَاهُ
 تُدَبِّرُ أَمْرَ مَوْلَانَا فَيَلْقَى الْمُسِيءُ
 فَأَعْقَبْنَا شِفَاءً وَأَنْبَسَاطًا
 وَمَنْ أَضْحَى عَلَى ظَمَأٍ وَأَمْسَى
 أَبَا عَبْدِ الْإِلَهِ إِلَيْكَ أَشْكُو
 وَمِنْ نِعْمِكَ اسْتَجْدَى لِبَاسًا
 بَقِيَتْ مُؤَمَّلًا تُرْجَى وَتُخْشَى
 تَوَفَى فِي التَّاسِعِ لِمَحْرَمٍ مِنْ عَامِ خَمْسَةِ وَسْتِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ .

أَفَرَضْتَ الْمُهِيمَنَ فِيهِ فَرَضًا
 فَأَتَتْ بِكُلِّ مَا يَبْغَى وَيَرْضَا
 عَلِمْتَ بَأَنَّ الْأَمْرَ إِلَيْكَ أَفْضَا
 كَمَا أَرْضَيْتَ بِالتَّمْهِيدِ أَرْضَا
 تُمَهِّدُ سُنَّةً وَتُقِيمُ فَرَضًا
 جَنَيْتَ ثَمَارَهَا رَطْبًا وَغَضَا
 وَعَزَّمْتَكَ مِنْ مَوَاضِي الْهِنْدِ أَمْضَا
 لَدَيْكَ إِشْفَاقًا وَإِغْضَا
 وَقَدْ كَانَتْ قُلُوبُ النَّاسِ مَرَضَا
 يَرِدُ إِنْ شَاءَ مِنْ نِعْمِكَ خَوْضَا
 حِينَ نَابُ الْفَقْرُ عَضَا
 يَفِيضُ بِهِ عَلَى الْجِبَاهِ فَيْضَا
 وَمِثْلُكَ مِنْ إِذَا مَا جَادَ أَرْضَا

محمد بن أحمد بن خلف بن عبد الملك بن غالب الغساني

من أهل غرناطة ، يكنى أبا أبكر ، ويعرف بالقليعي .

أوليته : قد جرى من ذكره ، وذكر بيته في الطبقات ما فيه كفاية ^(١)

حاله

كان نبيه البيت ، رفيع القدر ، عالي الصيت . من أهل العلم والفضل
 والحسب والدين ، وأجمع على استيفائه أهل بلده بعد أبي محمد بن سَمْحُون
 سنة ثمان وخمسمائة .

(١) أورد ابن الخطيب ترجمة وافية لأبيه . في المجلد الأول من الإحاطة (ص ١٤٧ - ١٥٠) .

توفي بغرناطة، أوائل صفر عشرة وخمسمائة . ودفن في روضة أبيه
ذكره ابن الصيرفي وأطنب .

محمد بن أحمد بن محمد الدؤسي

من أهل غرناطة ، يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن قطبة .

حاله

من « عايد الصلة » : كان رحمه الله شيخ الفقهاء والموثقين ، صدرَ
أرباب الشورى ، نسيج وحده في الفضل ، والتخلق والعدالة ، طرُفاً في
الخير ، مُحَبِّباً إلى الكافة ، مجبولا على المشاركة ، مطبوعا على التفضيلة ،
كَهْفاً للغُرباء والقادمين ، مَالِفاً للمتعلمين ، ثِمَالاً للأسرى والعائنين ،
تَخْلَصُ منهم على يَدَيْهِ أُمَمٌ ، لِقَصْدِ الناسِ إِيَّاهُ بِالصَّدَقَةِ ، مَقْصوداً في
الشَّفَاعَاتِ ، مُعْتَمِداً بِالْأَمَانَاتِ ، لَا يُسَدَّلُ دُونَهُ سِتْرٌ ، وَلَا تُحْجَبُ عَنْهُ
حُرْمَةٌ ، فَقِيهًا حَافِظًا ، إِيْخْبَارِيًا مُحَدِّثًا مِمْتَعًا ، مُتَقَدِّمًا فِي صِنَاعَةِ التَّوْثِيقِ ،
حَسَنَ الْمَشَارَكَةِ فِي غَيْرِهَا ، كَثِيرَ الْحُضِّ عَلَى الصَّدَقَةِ فِي الْمُحُولِ وَالْأَزْمَاتِ ،
يَقُومُ فِي ذَلِكَ مَقَامَاتٍ حَمِيدَةٍ ، يَنْفَعُ اللَّهُ بِهَا الضَّعْفَاءُ ، وَيَنْقَادُ النَّاسُ
لِمَوْعِظَتِهِ ، وَيُؤَثِّرُ فِي الْقُلُوبِ بِصِدْقِهِ . فَقَدْ بَفِقْدَانِهِ رَسْمٌ مِنْ رُسُومِ الْبِرِّ
وَالصَّدَقَةِ.

مشيخته

تراً على الأستاذ الكبير أبي جعفر بن الزبير ، والخبيب ولي الله أبي الحسن
ابن زينة ، وروى عن الشيخ الوزير الحسين المحدث ابن محمد عبد المنعم
ابن حماك ، وأبي القاسم بن السكوت الملقب ، والخطيب أبي عبد الله

ابن رُشيد . والقاضي أبي يحيى بن مسعود ، والعَدْلُ أبي علي البَجلِي ، وأبي محمد عبد المؤمن الخولاني . وأجازته جماعة من أهل المشرق والمغرب ، وناب عن بعض القضاة بقرناطة . ولد عام تسعة وستين وستمائة ، وتوفي في الثالث لربيع الأول من عام ثمانية وثلاثين وسبعمائة . وكانت جنازته مشهودة .

محمد بن إبراهيم بن عبدالله بن أحمد بن محمد

ابن يوسف بن رويل الأنصاري

من أهل قرناطة . ويكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن السراج . طليطي الأهل ، طبيبُ الدار السلطانية .

حاله

من « العايد » : كان رحمه الله من أهل التَّفَنُّنِ والمعرفة ، مُتَنَاهِي الأُبْهَةِ والحُظُوةِ ، جميل الصورة ، مليح المجالسة ، كثير الدُّعَابَةِ والمُؤَانَسَةِ ، ذاكراً للأخبار والطُّرَفِ ، صاحب حظٍّ من العربية والأدب والتفسير ، قارضاً للشعر ، حسن الخط ، ظريف الوراق ، طُرْفاً في المعرفة بالعُشْبِ ، وتمييز أعيان النُّبَاتِ ، سَنِيّاً ، محافظاً ، مُجَبّاً في الصالحين ، ملازماً لهم ، مُعْتَنِياً بأخبارهم ، مُتَلَمِّداً لهم . انحاش إلى الولي أبي عبد الله التُّونِسِيِّ ، وانقطع إليه مدة حياته ، ودَوَّنَ أحواله وكراماته . وعيَّن ربيع ما يستفيدة في الطب صدقة على يَدَيْهِ . أجرى ذلك بعد موته لبنيه . ونال حظاً عريضاً من جاه السلطان ، فاطَّرح حظَّ نفسه مع المساكين والمحتاجين : فكان على باوهِ على أهل الدنيا . يوتر ذوى الحاجة ، ويخِفُّ إلى زيارتهم ، ويرفدهم ، ويُعينهم على معالجة عَمَلِهِمْ .

مشيخته

قرأ الطب على الشيخ الطبيب . نسج وحده أبي جعفر الكزني . رئيس الصناعة في وقته ، ولقى فيه الأستاذ إمام التعاليم والمعارف ، أبا عبد الله الرقوطي المُرسي وغيره . وقرأ القرآن على المقرئ الشهير أبي جعفر الطباع بالروايات السبع ، والعربية على الأستاذ أبي الحسن بن الصايغ الإشبيلي ، وأكثر القراءة على شيخ الجماعة العلامة أبي جعفر بن الزبير .
نواليفه : ألّف كتباً كثيرة ، منها في النبات والرؤيا . ومنها كتاب سماه ، « السّرّ المُداع في تفضيل غرناطة على كثير من البقاع » .

شعره

من ذلك قوله مُلغزاً في المَطَر :

وما زائرٌ مهماً أتى ابْتَهَجَتْ به نفوسٌ وعمّ الخلقُ جوداً وإحساناً
يُقيّمُ فيشكو المخلوقُ منه مُقسامه ويكرُبهم طراً إذا عنهم بساناً
يَسُرُّ إذا وافى ويكرُب إن نَسَى ويكرّه منه الوصل إن زار أحياناً
وأعجبُ شيءٍ هَجَسُ حبٍّ مواصلي به حين يُطلّ هواه إن لم يُطلّ خاناً

محنته

ذكر أنه لما توفي السلطان ثاني الملوك من بني نصر^(١) فجأةً ، وهو يُصَلِّي المغرب ، وباكر الطبيب بابه غداة ليلة موته . سأل عن البلاغ القريب عَهْدِ موته بتناوله ، فأخبر أنه تناول كَعْكاً وصلّته من وليّ عهده ،

(١) ثاني ملوك بني نصر بمملكة غرناطة هو محمد بن محمد بن يوسف الملقب بالفتح . وقد ولي الملك عقب وفاة أبيه محمد بن الأحمر الكبير في سنة ٦٧١ هـ (١٢٧٢ م) . وحكم مملكة غرناطة حتى وفاته في سنة ٧٠١ هـ (١٣٠٢ م) .

فقال كلاماً أوجَب نكبتَه ، فامتَحَن بالسَّجْن الطويل ، والتُمست الأسباب
الموصلة إلى هلاكه ، ثم أُجلى إلى العُدوة . ثم دالت الأيام ، فعاد إلى وطنه
مستأنفا ما عَهِده من البرِّ وفَقَّده من التَّجَلَّة .

ميلاده : بغرناطة عام أربعة وخمسين وستماية .

وفاته : ليلة الخميس التاسع من شهر ربيع الأول من عام ثلاثين
وسبعماية .

محمد بن ابراهيم بن عبد الله بن أبي زَمَنِين المُرِّي

يكنى أبا عبد الله ، وبيته معلوم

حاله : كان من أهل المعرفة والنُّبَل والذكاء

مشيخته

قرأ القرآن على أبي بكر بن النَّفيس ، وأبي عبد الله بن شُهيد المُرِّي
المُقَرِّي . بَطِخْشَارَش من غرناطة . ودرس الفقه عند المُشاور أبي عبد الله
بن ملك . المقَرِّي ، وأبي الحسن على بن عمر بن أَضْحَى ، وعلى غيرهما
من شيوخ غرناطة .

توفي سنة أربعين وخمسمائة .

قلت ، وإنما ذكرت هذا المترجم به مع كوني اشترطت صدر خطبته ،
ألاً أذكر هذا النمط لمكان مُصَاهَرْتِي في هذا البيت . ولعل حافِدَ هذا المترجم
به من ولدى ، يطلع على تعدادهم وذكرهم في هذا التأليف وتردادهم ،
فيكون ذلك محرضاً له على النِّجَابَةِ . محرضاً للإِجَابَةِ . جعلنا الله ممَّنْ
انتمى للعلم وأهله ، واقتفى من سُنَّته واضح سُبُلِهِ .

محمد بن جابر بن محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم بن حسان القيسي
الوادآشي الأصل والمعرفة ، التُّونسي الاستيطان ، يكنى أبا عبد الله ،
ويعرف بابن جابر

حاله

من « عايد الصلة » : نشأ بتونس ، وجال في البلاد الشرقية والمغربية ،
واستكثر من الرواية ونقّب عن المشايخ ، وقيد الكثير ، حتى أصبح جماعة
المغرب ، وراوية الوقت . ثم قدم الأندلس ظريف النزعة ، عظيم الوقار ،
قويم السمّت ، يأوى في فضل التّعيش إلى فضل ما كان بيده ، يصرفه في
مصارف التجارة . وقعد للإسماع والرواية ، وانتقل إلى بلّش ، فقرأ بها
القرآن العظيم والروايات السّبع ، على الخطيب أبي جعفر بن الزيات . ثم
رحل إلى المغرب ، ثم أعاد الرّحلة الحجازية ، وأغرق ، فلقى أمةً من
العلماء والمحدثين ، وأصبح بهم شيخاً وحده ، أنفّساح رواية ، وعُلوّ إسناد.

مشيخته

من شيوخه قاضي الجماعة بتونس أبو العباس بن الغمّاز الخزرجي
البلنّسي . وقاضي الجماعة بها أبو إسحق بن عبد الرّبيع . وقاضي قضاة
الديار المصرية بدر الدين بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن علي بن
جماعة بن صخر الكِناني . وقاضي الجماعة ببجاية . أبو العباس الغُبَريني .
وسراج الدين أبو جعفر عمر بن الخضّر بن طاهر بن طراد بن إبراهيم
ابن محمد ابن منصور الأصبّحي . وأبو محمد عبد الغفار بن محمد السّعدى
المصرى . ورضيُّ الدين إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الخليلي الجعفرى .
وشرف الدين أبو عبد الله بن الحسن بن عبد الله ابن الحافظ عبد الغنى

ابن عبد الواحد بن سرور المقدسى . وأبو الفضل أبو القاسم بن حماد بن
 أبي بكر بن عبد الواحد الحضرمى اللبيد . وعبد الله بن يوسف بن موسى
 الخلاسى . وعبد الله بن محمد بن هرون . وإبراهيم بن محمد بن أحمد
 ابن محمد بن عبد الله بن الحاج التّجيبى . وأحمد بن يوسف بن يعقوب
 ابن على الفهري اللّبي^(١) . وولده جابر بن محمد بن قاسم معين الدين ،
 وعزّ الدين أبو القاسم بن محمد بن الخطيب ، وجمال الدين أبو عبد الله
 محمد بن عبد الباقي بن الصّفّار ، وأبو بكر بن عبد الكريم بن صدقة
 العزفى ، ومحمد بن إبراهيم بن أحمد التّجيبى ، وأبو يعقوب يوسف بن
 إبراهيم بن أحمد بن على بن إبراهيم بن عقاب الجُدّامى الشاطبى ،
 وعبد الرحمن بن محمد بن على بن عبد الله الأنصارى الأسدى القيروانى ،
 وأبو القاسم خلف بن عبد العزيز القُبْتُورى^(٢) ، وعلى بن محمد بن أبي القاسم
 ابن رزين التّجيبى . وأحمد بن موسى بن عيسى البَطْرِنى^(٣) ، وعر القضاة
 فخر الدين أبو محمد عبد الواحد بن منصور بن محمد بن المنير ، وتقى الدين
 محمد بن أحمد بن عبد الخالق المصرى ، وصدر النّحاة أبو حيّان ،
 وظهير الدين أبو محمد بن عبد الخالق المخزومى المقدسى الدّلاصى ،
 ورضىّ الدين بن إبراهيم بن أبي بكر الطّبرى . والمُعمر بهاء الدين
 أبو محمد القاسم بن مظفر بن محمود بن هبة الله بن عساكر الدمشقى .
 وأما من كتب إليه فنحو مائة وثمانين من أهل المشرق والمغرب .

قدم غرناطة فى أول عام ستة وعشرين وسبعماية ، فهو باعتبار أصله
 أصلى ، وباعتبار قدومه طارىء وغريب .

(١) نسبة إلى مدينة لبلة من قواعد الغرب الأندلسى .

(٢) نسبة إلى قبّور أو كبتور من بلاد منطقة إشبيلية .

(٣) نسبة إلى بطرنة . وهى بلدة أندلسية صغيرة تقع شمال غربى بلنسية .

وأبو زيد بن نزار ، وأبو عبد الله بن الصَّيقل المرسى ، وأبو القاسم
عبد الرحمن بن عبد الله بن سمعان ، وأبو الوليد بن خيرة .

تواليايفه

من تواليايفه : « النُّكت والأُمالي في الرُّد على الغزالي » ، و « الإيضاح
والبيان في الكلام على القرآن » ، و « الوصول إلى معرفة الله ونهضة الرسول »
ورسالة « الاقتصار على مذاهب الأيَّمة الأخيار » ، ورسالة « البيان في حقيقة
الإيمان » ، والرُّد على أبي الوليد بن رشد في مسألة الاستواء الواقعة له في
الجزء الأول من مُقَدِّماته ، و « شرح مشكل ما وقع في الموطَّأ وصحيح
البيهقي » ، وقد كان شرع في تصنيفه عام ثمانية عشر وستمائة^(١) في
شوال منه ، وبلغ في الكلام فيه إلى النُّكتة الرابعة والخمسين ، وقطعت
به قواطع المرض ، وشرع في معالجة العين لرؤيا رآها ، يقال له أَلْفَتْ
في نور البصيرة ، فألَّف في نور البَصَر تَنْفَع وتَنْتَفَع ، فأَقْبَل على تأليفه
في مداواة العين ، وهو كتاب جُمُ الإفادة ، ثم أكمل النُّكت .

شعره

وكان له حظٌّ من قرض الشعر ، فمن ذلك ما مدح به إمام الحرمين
أبا المعالي الجويني :

حُبُّ حَبْرٍ يَكْنَى أبا المعالي هو ديني ففيه لا تعذلوني

أنا والله مُغْرَمٌ في هـواه علَّلوني بذكره علَّلوني

مولده : ولد يوم الثلاثاء لإثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة
سبع وخمسين وخمسمائة .

(١) ورد هذا التاريخ في الإسكوريال « والزيتونة » (عام ثمانية عشر وخمسمائة) . ومن
الواضح أنه تاريخ محرف ، وأن الحقيقة فيه أنه (ثمانية عشر وستمائة) حسباً أثبتناه . وذلك أولاً ، =

محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله الخولاني
غرناطي يكنى أبا عبد الله ويعرف بالشريشي

حسالة

من أهل التصاؤن والحشمة والوقار ، مُعْرِقٌ في بيت الخيرية والعفة ،
وكان والده صاحبنا رحمه الله ، آيةً في الدؤوب والصبر على انتساخ
الدواوين العلمية والأجزاء ، بحيث لا مَظِنَّةَ معرفة أو حُجْرَةَ طَلَبٍ تخلو
عن شيءٍ من خطّه إلا ما يَقِلُّ ، على سكون وعدالة وانقباض وصبر وقناعة ،
وأكتب للصبيان في بعض أطواره ، ونشأ ابنه المذكور ، ظاهر النبل
والخصوصية مشاركاً في فنون ، من عربية وأدب وحساب وفريضة ،
وتصرف في الشهادة المخزنية برهة ، ثم نُزِعَ عنها انقياداً لداعي النزاهة ،
وهو الآن بحاله الموصوفة

شعره

وشعره من نمط الإجازة ، فمن ذلك قوله :

بي شادن أهيف مَهْمَى انثنى	يحكى تثنّيه القضيب الرطيب
ذو غُرَّةٍ كالبدُر قد أُطْلِعَتْ	فوق قَضِيبٍ نابِتٍ في كَثِيب
خضت حشا الظلماء من حُبِّه	أَخْتَلَسَ الوصل حِذار الرقيب
فبتُ وَلِلْوَصْلِ لنا ثالثُ	يُضْمِنُا ثوبُ عَفَافٍ قَشِيب
حتى إذا ما الليل ولّى وقد	مالت نجوم الأفق نحو الغروب
ودَعَتْهُ والقلب ذو لَوْعَةٍ	أسيل من ماء جفوني غروب

يُنَازِلُ الفيلسوف ابن رشد الحفيد صاحب «المقدمات» توفي سنة ٥٩٥ هـ ، وثانياً ، لأن ابن الخطيب
نفسه يقول لنا إن صاحب الترجمة قد ولد سنة ٥٥٧ هـ .

فلست أدري حين أودعته قلبٌ بأضلاعى غدا أم قُليب
ومن ذلك فى النسب :

يا أَجْمَلِ الناسِ ويا مَنْ غَدَتْ غُرَّتُهُ تمحو سَنَا الشمسِ
أَنعمَ على عَبْدِكَ يا مالِكى دونَ اشتراءِ ومُنَى نفسى
بأن تُرى وَسْطى لِعَقْدَى وأن تُعيدَ رَبِّعى كَاملِ الأنسِ
فإن تَفَضَّلْتَ بما أَرْتَجى أبقيتنى فى عَالَمِ الإنسِ
وإن نكن تُرْجِئى خايِباً فإننى أُدْرِجُ فى رَمَسِ
وقال فى فضلِ العلم :

يا طالبَ العلمِ اجتهِدْ إنَّه خَيْرٌ من التَّالِدِ والطَّارِفِ
فالعلمُ يَذْكُو قَدْرَ إنْفِاقِهِ والمالُ إذا أَنْفَقْتَهُ تَالِفُ

وترقى إلى هذا العهد بإشارتى إلى التى لا فوقها من تعليم وَلَدِ السلطان ،
والرئاسة القرآنية بباب الإمارة ، والإمامة بالمسجد الجامع من القلعة ^(١) ،
حَمِيدُ الطريقة فى ذلك كله ، معروفُ الحق ، تَوَلَّاهُ اللهُ .
مولده : عام ثمانية عشر وسبعماية .

محمد بن محمد بن على بن سُودة المُررى

يكنى أبا القاسم

أَوَّلِيَّتُهُ

من نُبَهَاءِ بَيُوتَاتِ الأَنْدَلُسِ وأَعْيَانِهَا ، سَكَنَ سَلْفُهُ البُشَارَةَ ^(٢) ،

(١) الإشارة هنا إلى قلعة (أوقصبة) الحمراء الملاصقة للتصحر السلطانى .

(١) منطلق البشارة أو البشرات هى المنطقة الجبلية الواقعة على جنوبى سفوح جبال سييرا Nevada ، جنوب غرى غرناطة ، وعلى مقربة من البحر المتوسط . وبالإسبانية Alpujarras . وتشتهر برقاها الحصينة وحدائق فواكهها البانعة .

بشارة بنى حسان ، وولى جدّه الأشغال ، حميد السيرة ، معروف الإدانة .

حسّاله

هذا الفتى من أهل الخُصوصيّة والسكون والحياء ، المانع عن كثير من الأغراض . مال إلى العلوم العقلية ، فاستظهر على المماسّة في بعض أغراضها بالدؤوب والمكوف . المورّثين تأثير جبل الرُكيّة في جحرها ، فتصدّر للعلاج ، وعالى الشعر ، وأرسم في الكتابة : وعدّ من الفضلاء ، وظهرت على عباراته اصطلاحات الحكماء . وتشوّف إلى العهد للرحلة الحجازية ، والله يُيسّر قصده .

مُشيعته

قرأ الطبّ والتّغديل على الحَبَر طبيب الدّار السُّلطانية ، فارس ذينك الفُنين ، إبراهيم بن زرزار اليهودى ، ورَحَلَ إلى العُدوة . فقرأ على الشّريف العالم الشهير ، رُحلة الوقت في المغرب ، أبى عبد الله العلوى ، وبلغتايه نجح

شعره

أنشد السلطان قوله :

جَادَ الحِمَى صَوَّبَ الغمام هُتُونَه	تُرْجَى البُرُوق سَحَابَه فَتَعِينَه
وَسَقَى دِيَارَ العامرية بعد ما	وَأَقَى بَجَرْعَا الكَثِيبِ مَعِينَه
يَنْدَى بِأَفْئَانِ الأَرَاكِ كَأَنَّهُ	عَقْدٌ تَنَاطَرَ بالعقيق ثَمِينَه
وَمَحَى الكَثِيبَ سَكُوبَه فَكَأَنَّهُ	خَطٌّ تَطَلَّسَ مِمْهَ أَوْ نُونُوسَه
حَتَّى إِذَا الأرواح هَبَّتْ بالضُّحَا	مَسَحَتْ عَلَيْهِ بالجَنَاحِ تُبِينَه
وَكَأَنَّهُ والرعد يحسِدو خلفه	صَبَّ يَطُولُ إِلَى اللِقَاءِ حَنِينَه
أَوْسَحَ دَمْعِي فَوْقَ أَكْنَافِ اللّوى	جَادَتْ بِلَوْلُؤَةِ النَفِيسِ عَيُونَه

والبرق في حُلِّ السَّحاب كَّانَهُ
 أو ثوبٌ ضافية الملبس كاعبٌ
 هنَّ الديار برامة لا دهرها
 ولقد وقفتُ برسمها فكأنني
 قلبي بذاك اللوى خلفته
 لا تسَلُ العُدَّال عني فالهوى
 إن يخف عن شرحى حديث زميرتي
 عجباً لدمعي لا يكفُ كأنما
 محي المكارم بعدما أودى بها
 مولى الملوكة عميدُ كل فضيلة
 يفضي إلى داعي الندى فيهزه
 من ذا يُسابق فضله لوجوده
 إن تلقه تلقَ الجمال وقاره
 غمر الأنام نواله ومحا الضلال رشاده
 أخصا رسوم الدين وهي دوارس
 شمس الهدى حثفُ العدا مخبي الندا بحر الجدا طول المدى تمكينه
 ليث الشرى غوثُ الورى قمر السرى سنَّ القرى عمَّ القرى تأمينه
 فلبأسه يوم الوغى ولعزمه
 لا تسَلُ الهيجاء عنه إنه
 لو كان يُشغله المنام عن العلا
 وإذا تناولت الملوكة بماجد
 يابن الألي نصرُوا الرسول ومن بهم
 مكنون سرُّ قد أذيع مضمونه
 عمدت بحاشية النضار تزينه
 سلس القياد ولا العتاب يلينه
 من ناجل الأطلال فيه أكونه
 ألوى بمزْدَلِف الرفاق ظمينه
 ذا يخامر بالضلوع دفينه
 فعلى الفنون فريضة تبينيه
 جدوى ألي عبد الآله هُتونه
 زمنٌ تقلب بالكرام خؤونه
 علق الزمان ثمينه ومكينه
 وبملتقى الجمعين طال سكونه
 ويلجُ فيض البحر فاض يمينه
 والحلم طبعُ والسماحة دينه
 غمر الأنام نواله ومحا الضلال رشاده
 ولطالما صدع الشكوك يقينه
 شمس الهدى حثفُ العدا مخبي الندا بحر الجدا طول المدى تمكينه
 ليث الشرى غوثُ الورى قمر السرى سنَّ القرى عمَّ القرى تأمينه
 فلبأسه يوم الوغى ولعزمه
 لا تسَلُ الهيجاء عنه إنه
 لو كان يُشغله المنام عن العلا
 وإذا تناولت الملوكة بماجد
 يابن الألي نصرُوا الرسول ومن بهم
 نطق الكتاب فصيحُه ومبينه

خَصُّوا ببيعته وحاموا دونسه نهج الرضا حتى تقاوم دينه
 أمعاذد الإسلام أنت عميده وخليفة الرحمن أنت أمينه
 لم يبق إلا من بسيفك طابع والفنش^(١) في أقصى البلاد رهينه
 وبجيشك المنصور لو لاقيته أدرى بمشتجر الرماح طعنه
 ولو اضطنعت إلى العدو إدالة طاعت إليك بلاده وحصونه
 خذها إليك قصيدة من شاعر حلو الكلام مهذب تبينه
 جعل القوافي للمعالي سلماً فجنى القريض كما اقتضته فنونه
 غطى هواه عقله واقتساده يحصى النجوم جهالة تزينه
 ولو أخذته أيدي التحرير والنقد ، لرجى أن يكون شاعراً ، وبالجمله
 فالرجل معدود من السراة بيتاً وتخصصاً .

محمد بن عبد العزيز بن سالم بن خلف القيسي

منكبي^(٢) الأصل يكنى أبا عبد الله ، طبيب الدار السلطانية .

حاله

من « عايد الصلة » : كان رحمه الله فذاً في الانطباع واللؤذعية ،
 حبيب المشاركة في الطب ، مليح المحاضرة ، حفيظة ، طلعة ، مستحضراً
 للأدب ، ذاكرة لصناعة الطب ، أخذها عن إمام وقته ، أبي جعفر الكزني ،
 وانتصب للعلاج ، ثم انتقل إلى الخدمة بصناعته بالباب السلطاني . ووُلى
 الحسبة ، ومن شعره يخاطب السلطان على ألسنة أصحابنا الأطباء الذين

(١) يقصد بها هنا ملك قشتالة ، وقد كان هذا الاسم يطلق على ملوك النصارى لأن معظمهم

كان يحمل اسم الفنش (الفونسو) .

(٢) منكبي الأصل ، أي ينتسب إلى نجر المنكب Almunecar . الواقع شرقي مالقة .

جَمَعَتْهُمْ الخِدمة ببابه يومئذ ، وهم أبو الأَضْبَغ بن سعادة ، وأبو تمام
غالب الشُّقُورى :

قد جمعنا ببابكم سَطْرَ عِلْمٍ لبلوغ المتى ونيل الإرادة
ومن أسمائنا لكم حُسْنُ فَالٍ غالبٌ ثم سالمٌ وسعادة
توفى فى شهر رجب من عام سبعة عشر وسبعمائة .

محمد بن عبد الله بن أبى زَمَنِين

من أهل إلبيرة ، يكنى أبا عبد الله

حاله

من الملاحى^(١) : قال وُلِّى الأحكام ، وكان فقيها نبيا .

وفاته : توفى بغرناطة فى عَشْرِ السَّتين وأربعمائة

قلت ، قد تقدم اعتذارى عن إثبات مثله فى هذا المختصر ، فليُنظر
هناك إن شاء الله .

محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد

ابن إبراهيم بن محمد بن أبى زَمَنِين عدنان بن بشير بن كثير المُرِّى

حاله

كان من كبار المحدثين والعلماء الراسخين ، وأجلُّ وقته قدراً فى
العلم والرواية والحفظ للرأى والتمييز للحديث ، والمعرفة باختلاف العلماء ،

(١) هو أبو القاسم الملاحى صاحب كتاب « تاريخ علماء إلبيرة » وقد سبق التعريف به .
وسوف يورد لنا ابن الخطيب ترجمته بعد قليل .

مُتَفَنِّناً فِي الْعِلْمِ ، مُضْطَلَعاً بِالْأَدَبِ ، قَارِضاً لِلشُّعْرِ ، مُتَصَرِّفاً فِي حِفْظِ
 الْمَعَانِي وَالْأَخْبَارِ ، مَعَ النَّسْكِ وَالزُّهْدِ ، وَالْأَخْذِ بِسُنَنِ الصَّالِحِينَ ، وَالتَّحَلُّقِ
 بِأَخْلَاقِهِمْ . لَمْ يَزَلْ أُمَّةً فِي الْخَيْرِ ، قَانِتاً لِلَّهِ ، مُنِيباً لَهُ ، عَالِماً زَاهِداً صَالِحاً
 خَيْراً مُتَقَشِّفاً ، كَثِيرَ التَّبَتُّلِ وَالتَّرَلُّفِ بِالْخَيْرَاتِ ، مُسَارِعاً إِلَى الصَّالِحَاتِ ،
 دَائِمُ الصَّلَاةِ وَالْبِكَاءِ ، وَاعْظَا . مَذْكُراً بِاللَّهِ ، دَاعِياً إِلَيْهِ ، وَرِعاً ، مُدَبِّبِي
 الصَّدَقَةِ ، مُعِيناً عَلَى النَّايِبَةِ . مُوَاسِياً بِجَاهِهِ وَمَالِهِ ، ذَا لِسَانٍ وَبَيَانٍ ، تُصْغِي
 إِلَيْهِ الْإِفْثِدَةُ ، فَصِيحاً ، هَيَّاءً ، عَرَبِيّاً ، شَرِيفاً . أَيْ النَّفْسِ ، عَالِي الْهَمَةِ ،
 طَيِّبِ الْمَجَالِسَةِ ، أَنِيسِ الْمَشَاهِدَةِ ، ذَكِيّاً . رَاسِخاً فِي كُلِّ جُمٍّ مِنَ الْعُلُومِ ،
 صَبِيرَافِيَا جَهْدِئاً ، مَا رُؤِيَ ^(١) قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ ، مِثْلَهُ .

مَشِيخْتُهُ .

سَكَنَ قَرْطَبَةَ ، وَسَمِعَ بِهَا مِنْ أَحْمَدَ بْنِ مَطْرُفٍ ، وَوَهَّابِ بْنِ مَسْرَةَ
 الْحِجَارِيِّ ، وَعَنْ أَبَانَ بْنِ عَيْسَى بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ ذَنْبِرٍ ، وَعَنْ وَالِدِهِ عُبَيْدِ اللَّهِ
 بْنِ عَيْسَى .

مِنْ رَوَى عَنْهُ : رَوَى عَنْهُ الزَّاهِدُ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَسْعُودِ الْإِلْبِيرِيِّ
 وَغَيْرِهِ .

تَوَالِيْسُفُهُ

أَلْفَ كِتَابِ الْمُغْرَبِ فِي اخْتِصَارِ « الْمُدَوَّنَةِ » ثَلَاثِينَ جُزْءاً ، لَيْسَ فِي
 الْمُخْتَصَرَاتِ مِثْلَهُ بِإِجْمَاعٍ ، وَالْمُهَذَّبِ فِي تَفْسِيرِ « الْمُوْطَّأِ » . وَالمُشْتَمِلِ فِي
 أُصُولِ الْوُثَائِقِ ، وَحَيَاةِ الْقُلُوبِ . وَأَنْسُ الْفَرِيدِ ، وَمُنْتَخِبِ الْأَحْكَامِ ،
 وَالنِّصَائِحِ الْمُنْظُومَةِ ، وَتَفْسِيرِ الْقُرْآنِ .

(١) دَرَدَتْ فِي الْإِسْكَوْرِيَالِ (دى .) رَفْتَقْدَ أَنَّ التَّصْوِيبَ أَفْضَلَ .

مولده : في المحرم سنة أربع وعشرين وثلاثمائة .
وفاته : توفي في شهر ربيع الثاني عام ثمانية وتسعين وثلاثمائة بحاضرة
السيرة ، رحمه الله ونفع به .

محمد بن عبد الرحمن بن الحسن بن قاسم بن مُشرف بن قاسم
ابن محمد بن هاني اللخمي القايصي

يكنى أبا الحسن

حاله

كان وزيراً جليلاً ، فقيهاً رفيحاً ، جواداً ، أدبياً ، جيد الشعر ، عارفاً
بصناعة النحو والعروض ، واللغة والأدب والطب ، من أهل الرواية والدراية

مشيخته

روى عن الحافظ أبي بكر بن عطية ، وأبي محمد بن عتاب ، وأبي الوليد
بن رشد القاضي الإمام ، والقاضي أبي محمد عبد الله بن علي بن سَمْعُون .

شعره

من شعره قوله :

يَا حُرْقَةَ الْبَيْنِ كَوَيْتِ الْحِشَا حَتَّى	أَذْبَتِ الْقَلْسَبَ فِي أَضْلَعِهِ
أَذْكَيْتِ فِيهِ النَّسَارَ حَتَّى غَدَا	يَنْسَابُ ذَاكَ الذُّؤُوبُ مِنْ مَذْمَعِهِ
يَا سُؤْلَ هَذَا الْقَلْبِ حَتَّى مَتَى	يُوسَى بَرَشَفَ الرِّيقَ مِنْ مَنَبَعِهِ
فَإِنَّ فِي الشَّهْدِ شِفَاً لِلسُّورَى	لَاسِيَمَا إِنْ يَصِيرُ مِنْ مَكْسَرِعِهِ
وَاللَّهُ يُدْنِي مِنْكُمْ عَاجِلاً	وَيَبْلُغُ الْقَلْبَ إِلَى مَطْمَعِهِ .

مولده : ولد في الثلث الأخير من ليلة الجمعة لثلاث بقين لذي حجة
سنة ثمان وتسعين وأربعمائة .
توفي في آخر جمادى الأخرى سنة ست وتسعين وخمسمائة .

محمد بن عبد الرحمن بن عبد السلام بن أحمد بن يوسف
ابن أحمد النساني

من أهل غرناطة ، يكنى أبا عبد الله
حاله

كان محدثاً نبيلاً حاذقاً ذكياً ، وله شرح جليل على كتاب «الشهاب» ،
واختصاراً حسن في « اقتباس الأنوار » للرشاطي . وكان كاتباً وافر الحظ من
الأدب ، يقرض شعراً لا بأس به .

من شعره في ذكر أنساب طبقات العرب :

الشَّعْبُ ثُمَّ قَبِيلَةٌ وَعِمَارَةٌ	بَطْنٌ وَفَخْدٌ وَالْفَصِيلَةُ تَابِعُهُ
فَالشَّعْبُ يَجْمَعُ لِلْقَبَائِلِ كُلِّهَا	ثُمَّ الْقَبِيلَةُ لِلْعِمَارَةِ جَمَاعَةٌ
وَالْبَطْنُ يَجْمَعُ الْعِمَارَ فَاغْلَمَنَ	وَالْفَخْدُ يَجْمَعُ الْبَطُونَ الْوَاسِعَةَ
وَالْفَخْدُ يَجْمَعُ لِلْفَصَائِلِ كُلِّهَا	جَاءَتْ عَلَى نَسَقٍ لَهَا مُتَتَابِعَةٌ
فَحُزِيمَةُ شَعْبٍ وَإِنَّ كِنَانَةً	لِقَبِيلَةٍ عَنْهَا الْفَصَائِلُ شَاسِعَةٌ
وَقَرِيْبُهَا تَسْمُو الْعِبَارَةُ يَأْفَتِي	وَقُصَى بَطْنُ الْأَعَادِي قَامِعَةٌ
ذَا مَا تَمَّ فَخْدٌ وَذَا عَبَّاسُهَا	إِلَّا الْفَصِيلَةُ لَا تُنَاطُ بِسَابِعَةٍ

ولد بغيرناطة سنة ثمان وستين وخمسمائة .

وفاته : بمُرُسية في رمضان تسع عشرة وستماية .

محمد بن عبد الواحد بن إبراهيم بن مُفَرِّج بن أحمد بن عبد الواحد
ابن حُرَيْث بن جعفر بن سعيد بن محمد بن حَقْل الغافقي

من ولد مروان بن حقل النازل بقرية الملاحه من قَسْبِ قَيْس^(١) من
عمل البيرة ، يكنى أبا القاسم ويعرف بالملاحى . وقد نقلنا عنه الكثير ،
وهو من المفاخر الغرناطية .

حاله

كان محدثاً راوية مُعْتَنِيَا ، أديباً ، مؤرخاً ، فاضلاً جليلاً . قال
الأستاذ في « الصلة » : كان من أفضل الناس ، وأحسنهم عِشْرَةً ، وألينهم
كلمة ، وأكثرهم مروءة ، وأحسنهم خُلُقاً وخُلُقاً ، ما رأيت مثله ،
قدّس الله تربته . وذكره صاحب « الذيل »^(٢) ، الأستاذ أبو عبد الله بن
عبد الملك ، وأطنب فيه ، وذكره المحدث أبو عبد الله الطنجالى ، وذكره
ابن عساكر في تاريخه .

مشيخته

روى عن أبيه أبي محمد . وأبي القاسم بن بَشْكُوَال ، وأبي العباس بن
اليتيم ، وعالم كثير من غير بلده ، ومن أهل بلده سوى أبيه ، وعن
أبي سليمان داود بن يزيد بن عبد الله السعدى القلعى . لازمه مدة . وعن
أبي خالد بن رَفَاعَة اللخمى . وأبي محمد عبد الحق بن يزيد العبدرى .

(١) سبق التعريف بهذين الموضعين ، الملاحه وبالإسبانية La Mala ، وقنب قيس .
بالإسبانية Camba (راجع المجلد الأول من الإحاطة ص ٥٨ ، ١٢٨ ، و ١٢٩ حواشى) .
(٢) أغنى كتاب « الذيل والتكلمه » . وقد ورد بعد هذه الكلمة في مخطوط الإسكوريال كلمة
(ذكره) مرة أخرى ونعتقد أن وجودها هنا سهو من السامع ، ومن ثم فقد أغفلناها .

وأبي جعفر عبد الرحمن بن الحسن بن القصير ، وأبي بكر بن طلحة
ابن أحمد بن عبد الرحمن بن عطية المَحَارِبِي ، وأبي محمد عبد المنعم بن
عبد الرحيم ، وأبي جعفر بن حَكَم الحَصَّار ، وأبي عبد الله بن عَرُوس ،
وأبي الحسن بن كَوَثر ، وأبي بكر الكَتْنُدى ، وأبي إسحق بن الجَلَّاء ،
وأبي بكر بن أبي زَمَنِين ، وأبي القاسم بن سَمُجُون ، وأبي محمد عبد الصمد
ابن محمد بن يَعِيش الغَسَّانِي . وكان من المكثرين في باب الرواية ، أهل
الضبط والتقيد والأتقان ، بارِع الخَطِّ ، حسن الوراقَة ، أديباً بارعاً ذا كرا
للتاريخ والرجال ، عارفاً بالأنساب ، نَقَّاداً حافظاً للأسانيد ، ثقةً عدلاً ،
مشاركاً في فنون ، سياسياً . وروى عنه الأستاذ ، واعتنى بالرواية عنه .
وقال الأستاذ ، حدثني عنه من شيونخي جماعة ، منهم القاضي العدل
أبو بكر بن المُرابط .

تواليايفه

أَلَّف كتابه في « تاريخ علماء البيرة » ، واحتفل فيه . وألَّف كتاب
« الشجرة في الأنساب » ، و « كتاب الأربعين حديثاً » ، و « كتاب فضائل
القرآن » ، و « برنامج ووايته » وغير ذلك .
مولده : سنة تسع وأربعين وخمسمائة
وفاته : توفي في شعبان سنة تسع عشرة وستماية ببيلده .

محمد بن علي بن عبد الله اللخمي

يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بالشَّقُورِي ، منسوباً إلى مدينة شُقُورة^(١)
(١) هي بلدة أندلسية حصينة تقع شمال شرق مدينة أبدة ، وشمال غربي مرسية على مقربة من
مهر شقوره وبالإسبانية Segura .

ومنها أهله ، صاحبنا طبيب دار الإمارة ، حفظه الله .

حاله

هذا الرجل طُرْفٌ في الخير والأمانة ، فذُّ في حسن المشاركة ، نَقِيٌّ في حب الصالحين ، كثير الهوى إلى أهل التقوى ، حَذِرٌ من التفريط ، حريص على التعلُّق بجناب الله . نشأ سابغ رداء العفة ، كثيف جُلُباب الصيانة ، متصدراً للعلاج في زمن المراهقة ، مُعِماً ، مُخَوِّلاً في الصنّاعة بادى الوقار في سَنِّ الحشمة . ثم نظر واجتهد ، فأحرز الشهرة بدينه ، ويُعْنِ نَقِيبَتَه ، وكثرة حِيطَتَه ، ولطيف علاجه ، ونُجَح تجربته . ثم كَلِف بصحبة الصالحين ، وخاض في السلوك ، وأخذ نفسه بالارتياض والمُجاهدة ، حتى ظهرت عليه آثار ذلك . واستدعاه السلطان لعلاج نفسه ، فاغْتَبَط به ، وشَدَّ اليَدَ عليه ، وظهر له فضله ، وهو لهذا العهد ببابه ، حميدُ السيرة ، قويم الطريقة ، صحيح العقْد ، حسن التدبير ، عظيم المشاركة للناس ، أشدُّ الخلق حرصاً على سعادة من صَحِبَه ، وأكثرهم ثناءً عليه ، وأضرَحُهم نصيحة له ، نبيلُ الأغراض ، فَطِنُ المقاصد ، قايِمٌ على الصنعة ، مُبِينُ العبارة ، معتدل في البحث والمذاكرة ، متكلم في طريقة الصُّوفية ، عديم النظير في الفضل ، وكرم النفس .

شيوخه

قرأ على جده للأب ، وعلى الحكيم الوزير خالد بن خالد من شيوخ غرناطة ، وعلى شيخنا الحكيم الفاضل أبي زكريا بن هُذَيْل ، ولزامه ، وانتفع به ، وسلك بالشيخ الصُّوفى أبي مُهَذَّب عيسى الزيات ثم بأخيه الصالح الفاضل أبي جعفر الزيات ، والتزم طريقته ، وظهرت عليه بَرَكَتُه .

تواليافه

ألف كتباً نبيلة ، منها « تحفة المتوسل في صناعة الطب » وكتاباً أسماه « الجهاد الأكبر » ، وآخر سماه « قمع اليهودى عن تعدى الحدود » أحسن فيه ما شاء .

شعره

أنشدنى بعد ممانعة واعتذار ، إذ هذا الغرض ليس من شأنه :
 سألت ركاب العز أين ركابى فابدى عنادا ثم رد جوابى
 ركائبك مع سبرى يسيرُ بسيره بغير حُلُولِ مذ حَلَلتَ جَنابى
 فلا تلتفت سيراً لذاتك إنما تسير بها سيراً لغير ذهاب
 وهى متعددة .
 ولد فى عام سبعة وعشرين وسبعمائة .

محمد بن على بن فرج القربليانى^(١)

يكنى أباً عبد الله ويعرف بالشفرة^(٢)

حاله

كان رجلاً ساذجاً ، مشغلاً بصناعة الطب ، عاكفا عليها عمره .
 محققاً لكثير من أعيان النّبات ، كَلِفًا به ، مُتَعَيِّشًا من عُشْبِهِ أول أمره ،

(١) بهذه الترجمة يبدأ الجزء الثالث من كتاب الإحاطة ، مخطوط الزيتونة الذى يحفظ بدار الكتب التونسية الوطنية (مكتبة المطارين) برقم 8136 . ومخطوط المتحف البريطانى (من كتاب الإحاطة) المحفوظ برقم 8674 . Or ، ومخطوط مكتبة الرباط العامة المنقول عنه . ويحمل رقم 22704 (الكتانية)

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (الشفر) .

وارتاد المنايا ، وسرح بالعجبال ، ثم تصدّر للعلاج ، ورأس به ، وحفظ الكثير من أقوال أهله ، ونسخ جملة من كنانيشه على ركافة خطّه ، وعالج السلطان نصر المُستقر بواى آش ، وقد طرق من بها مرضٌ وافد [حمل علاجه المُشاقحة لأجله ، وعظم الهلاك فيمن اختصّ بتدبيره ، فطوّف القلب المبارك بمُبراه . ثم رحل إلى العدوّة ، وأقام بمراكش سنين عدة ، ثم كَرَّ إلى غرناطة في عام أحد وستين ، وبها هلك على أثر وصوله .

مشيخته

زعم أنه قرأ على أبيه ببلده من قريليان بلد الدّجن^(١) ، وأخذ الجراحة عن فوج من مُحسنى صناعة عمل اليد من الرّوح . وقرأ على الطبيب عبد الله بن سراج وغيره .

توالمفه : ألف كتاباً في النّبات .

وفاته : في السابع عشر لربيع الأوّل عام أحد وستين وسبعماية^(٢)

محمد بن على بن يوسف بن محمد السّكوني

يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن اللؤلؤة ، أصله من جهة قمارش^(٣)

حاله

رحل في فتايه ، بعد أن شدا شيئا من الطلب ، وكلف بالرواية والتقيد

(١) أى البلد الذى يسكنه المسلمون الذين تحت حكم النصارى . والظاهر أن هذه البلدة ، أى قريليان كانت داخلة في حدود قشتالة .

(٢) كل ما هو محصور بين الحاصرتين وارد في مخطوط الزيتونة . وساقط في الإسكوريال .

(٣) قمارش بلدة أندلسية حصينة تقع شمال شرق ثغر مالقة في سفح جبال سيرا نفادا

(جبل الثلج) ، وبالإسبانية Comares .

فلقى مشيخةً ، وأخذ عن جِلَّة ، وقدم على بلده حسن الحالة ، مستقيماً
الطريقة ، ظاهر الانقباض والعفة ، وأدخل الأندلس فوايد وقصايد ،
وكان ممن ينتفع به لو أمهلت المنية .

شعره

مما نسبته إلى نفسه من الشعر قوله :

يا من عليه اعتمادى	فى قِلٍّ أمرى وكُثْرِهِ
سَهْلٌ على ارتحالى	إلى النبى وقَبْرِهِ
فذاك أَقْصَى مُرادى	من الوجُود بأُسْرِهِ
وليس ذا بعزيز	عليك فامنن بِيُسْرِهِ

ومن ذلك :

أَمِنْ بعد ما لاح المَشِيبُ بَعْفَرِي	أَمِيلُ لَزُورٍ بالغُرورِ مصاغ
وأرتاح للذات والشَّيبُ مُنْذِر	بما ليس عنه للأَنامِ مِراغ
ومن يَمُتْ قبل المَشِيبِ فَإِنَّهُ	يُراغُ بهولٍ بعده ويُراغ
فياربُّ وفُقْنى إلى ما يكون لى	به للذى أَرْجُوهُ منك بلاغ

توفى مُعْتَبِطاً فى وقِعة الطاعون^(١) عام خمسين وسبعماية ، خطيباً بحصن

قُمارش .

(١) إن وقِعة الطاعون التى يشير إليها ابن الخطيب هنا والتى سبق أن أشار إليها غير مرة والتى سوف
يشير إليها فيما بعد مرارا أخرى باسم الطاعون الأعظم ، هى كارثة الوباء الجارف الذى اجتاح أم
الشرق والغرب معا فيما بين سنتي ١٣٤٨ و ١٣٤٩ م (٧٥٠ هـ) ، والذى طاف بالأندلس كما طاف
من قبلها بمصر وبلاد المغرب وحمل منها مئات الألوف . وتشير إليه الرواية الإسلامية باسم « الفناء
الكبير » وقد سبق التعريف بهذا الحادث .

محمد بن سُودة بن إبراهيم بن سُودة المُرِّي

أصله من بُشْرَة غرناطة ، يكنى أبا عبد الله .

حاله

من بعض التواريخ المتأخرة : كان شيخاً جليلاً ، كاتباً مجيداً ، بارع الأدب ، رايق الشعر ، سيال القريحة ، سريع البديهة ، عارفاً بالنحو واللغة والتاريخ ، ذا كراً لأيام السلف ، طيب المحاضرة ، مליح الشببة ، حسن الهيئة ، مع الدين والفضل ، والطهارة والوقار والصمت .

مشيخته

قرأ بغرناطة على الحافظ أبي محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم بن الفَرَس ، وغيره من شيوخ غرناطة . وبالمقة ، على الأستاذ أبي القاسم السهيلي وبجيان على ابن يَرْبُوع ، وبإشبيلية على الحسن بن زَرْقُون وغيره من نُظرائه .

أدبه

قال الغافقي ، كانت بينه وبين الشيخ الفقيه واحد عصره أبي الحسن سَهْل بن مالك ، مُكاتبات ومراجعات ، ظهرت فيها براعته ، وشهدت له بالتقدم براعته .

محتله

أصابته في آخر عمره نكبة ثقيلة ، أسير هو وأولاده ، فكانت وفاته أسفاً لما جرى عليهم نفعه الله . توفي في حدود سبعة وثلاثين وستماية .

محمد [بن يزيد] ^(١) بن رَفاعة الأموي ^(٢) البيري ^(٣)

أصله من قرية طُرُش ^(٤)

حاله

طلب العلم وعنى بسمعه ^(٥) ، ونسخ أكثر كتبه بخطه ، وكان لُغويا شاعرا ، من الفقهاء المُشاورين الموثقين ، وُوِّل الصلاة بالحاضرة ، وعُزل وسَرَد الصَّوم عن نَذْرِ لَزِمه عُمره .

مشيخته

سمع من شيوخ البيرة ، محمد بن فطيس ، وابن عَمْريل ، وهاشم ابن خالد ، وعثمان بن جهير ، وحفص بن نجيح ، وبقرطبة من عُبيد الله ابن يحيى بن يحيى وغيره .

من حكاياته : قال المؤرخ ، من غريب ما جرى لأبي على البغدادي ، في مَقْدَمه إلى قرطبة ، أن الخليفة الحَكَم ، أمر ابن الرُّماحس عامله على كُورَتَي البيرة وبجَّانة ، أن يحيى مع أبي على في وفد من وجوه رعيته ، وكانوا يتذاكرون الأدب في طريقهم ، إلى أن تجاروا يوما وهم سايرون ، أدب عبد الملك بن مَرَّوان ، ومُساءلته جلساءه عن أفضل المناديل ، وإنشاده بيت عَبدَةَ بن الطبيب :

(١) الزيادة في النسب من الزيتونة . ووردت مصححة في هامش الإسكوريال .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الأسدي) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الإليري) .

(٤) طرش وبالإسبانية Torrox بلدة أندلسية صغيرة تقع بين المنكب وبلش مالقة على

مقربة من البحر المتوسط .

(٥) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (بجمه) والأولى أنسب .

ثُمَّتَ قُمْنَا إِلَى جُرْدٍ مُسَوِّمَةٍ أَعْرَاقُهُنَّ لِأَيْدِينَا مَنَادِيلٌ
 وَكَانَ الذَّاكِرُ لِلْحِكَايَةِ أَبُو عَلِيٍّ ، فَأَنَشَدَ الْكَلِمَةَ فِي الْبَيْتِ أَعْرَاقُهَا ،
 فَلَوَى ابْنُ رِفَاعَةَ عِنَانَهُ مَنْصُوفًا ، وَقَالَ ، مَعَ هَذَا يُوفَدُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ،
 وَتُتَجَشَّمُ الرَّحْلَةُ الْعَظِيمَةُ ، وَهُوَ لَا يَقِيمُ وَزْنَ بَيْتٍ مَشْهُورٍ فِي النَّاسِ ،
 لَا يَغْلُطُ فِيهِ الصَّبِيَّانِ ، وَاللَّهُ لَا تَبِعَتْهُ خَطْوَةٌ ، وَانْصَرَفَ عَنِ الْجَمَاعَةِ ، وَنَدَبَهُ
 أَمِيرُهُ ابْنُ الرُّمَاحِسِ ، وَرَامَهُ بِأَنْ لَا يَفْعَلَ ، فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ حِيلَةَ ، فَكَتَبَ
 إِلَى الْخَلِيفَةِ يَعْرِفُهُ بِابْنِ رِفَاعَةَ ، وَيَصِفُ مَا جَرَى مَعَهُ ، فَأَجَابَهُ الْحَكَمُ
 عَلَى ظَهْرِ كِتَابِهِ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي بَادِيَةِ مَنْ بَوَادِينَا مِنْ يُخْطِئُ وَفَدَ
 أَهْلَ الْعِرَاقِ ، وَابْنَ رِفَاعَةَ بِالرُّضَا أَوْلَى مِنْهُ بِالسُّخْطِ ، فَدَعَهُ لَشَأْنِهِ ، وَأَقْدَمَ
 بِالرَّجُلِ غَيْرَ مُنْتَقِصٍ مِنْ تَكْرِيمِهِ ، فَسَوْفَ يُعْلِيهِ الْإِخْتِبَارُ أَوْ يَحْطُطَهُ .
 تَوَفَى سَنَةَ ثَلَاثٍ أَوْ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ^(١)

محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي
 ابن أبي بكر بن خنيس الأنصاري

من أهل الجزيرة الخضراء

حاله

كَانَ فَاضِلًا وَقَوْرًا ، مَشَارَكًا ، خَطِيبًا ، فَقِيهًا ، مُجَوِّدًا لِلْقُرْآنِ ، قَدِيمَ
 الطَّلَبِ . شَهِيرَ الْبَيْتِ ، مَعْرُوفَ التَّعْيِينِ ، نَبِيهَ السَّلَفِ فِي الْقَضَاءِ ،
 وَالْخُطَابَةِ وَالْإِقْرَاءِ ، مَضَى عَمْرُهُ خَطِيبًا بِمَسْجِدِ بِلَادِهِ الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ ،

(١) وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ وَالزَيْتُونَةِ (وَثَلَاثُمِائَةٍ) وَهُوَ تَصْحِيفٌ وَاضِحٌ ، وَصَحَّتْ مَا اثْبَتْنَاهُ
 وَهُوَ (أَرْبَعِمِائَةٍ) ، لِأَنَّ الْخَلِيفَةَ الْحَكَمَ الْمُسْتَنْصَرَ تَوَفَى بَعْدَ حُكْمِ دَامَ سِتَّةَ عَشَرَ عَامًا فِي سَنَةِ ٢٦٦ هـ .
 (٩٧٦ م) .

إلى أن تغلب العدو عليها ، وبأشر الحصار بها عشرين شهرا ، نفعه الله
ثم انتقل إلى مدينة سبّعة ، فاستقرّ خطيبا بها إلى حين وفاته .

مشيخته

قرأ على والده رحمه الله ، وعلى شيخه ، وشيخ أبيه أبي عمر ، وعباس
ابن الطفيل الشهير بابن عَظيمة ، وعلى الأستاذ أبي جعفر بن الزبير ،
والخطيب أبي عبد الله بن رُشيد بغرناطة عند قدومه عليها ، والقاضي
أبي المجد بن أبي الأحوص قاضي بلده ، وكتب له بالإجازة الوزير أبو
عبد الله بن أبي عامر بن ربيع ، وأجازته الخطباء الثلاثة أبو عبد الله
الطنجالي ، وأبو محمد الباهلي ، وأبو عثمان بن سعيد . وأخذ عن القاضي
بسبّعة أبي عبد الله الحضرمي ، والإمام الصالح أبي عبد الله بن حُرَيْث ،
والمحدث أبي القاسم التُّجَيْبِي ، والأستاذ أبي عبد الله بن عبد المنعم ،
والأخوين أبي عبد الله وأبي إبراهيم ابني يَرْبُوع . قال ، وكلُّهم لقيتهُ
وسمعتُ منه . وأجاز لي إجازة عامة ما عدا الإمام ابن حُرَيْث فإنه أجاز لي ،
ولقيته ولم أسمع عليه شيئا ، وأجاز لي غيرهم كناصر الدين المشدالي ،
والخطيب ابن عَزْمُون وغيرهما ، ممن تضمنه برنامجهُ .

تواليفه

قال . وكان أحدُ بُلغَاء عصره ، وله مُصَنَّفَات منها ، «النَّفْحَةُ الْأَرْجِيَّةُ» ،
في الغزوة المَرْجِيَّةُ ، ودخل غرناطة مع مثله من مشيخة بلده في البَيِّعَات ،
أظن ذلك .

توفي في الطَّاعُون بِسَبِّعَةَ آخر جمادى الآخرة من عام خمس مائة وسبع مائة .

محمد بن أحمد بن عبد الله المطار

من أهل المريّة .

حاله : من بعض التقييدات ، كان فتىً وسيماً ، وقوراً ، صيباً ، متعقفاً ، نجيباً ، ذكياً . كتّـب عن شيخنا أبي البركات بن الحاج ، وناب عنه في القضاء ، وانتقل بانتقاله إلى غرناطة ، فكتّـب بها . وكان ينظم نظماً مترفعاً عن الوسط . وجرى ذكره في « الإكليل » بما نصّه : مَن نبغ ونَجِب ، وخلق له البرُّ بذاته ووجب ، تحلى بوقار ، وشعشع للأدب ككاس عُقار ، إلا أنه اختُـرم في اقتبال ، وأصـيب الأجل ببـيـال .

ومن شعره قوله من قصيدة :

دعاني على طول البُعَادِ هواها	وقد سدَّ أبواب اللِّقا نَواها
وقد شمتُ برقاً للِّقا مُبَشِّراً	وقد نَفَحَتْ رِيح الصَّبَا بشذاها
وجنَّ دُجَى ليلٍ بخيلٍ بضُبحه	كما بَخِلَتْ لَيْلَى بطيف سَراها
وقاد زماني قايِدُ الحبِّ قاصداً	ربوعاً ثَوَتْ لَيْلَى بطول قَناها
وناديت والأشواق بالوَجْدِ بَرَحَتْ	ودمعي أَجْرَى سابِغاً لِلفَهاها
أبا كَعبَةَ الحُسْنِ الَّتِي لِلنَفْسِ تُرْتَجَى	رضاها وحاشي أن يَخِيبَ رجاها
أحبك يا لَيْلَى على البُعد والنوى	وبى منك أشواق تَشُبُّ لَظَهاها
لين حُجِبت لَيْلَى عن العين إننى	بعين فَوَادَى لا أزال أراها
إلى أن بدا الصبح المُشْتَتَّ شَهاها	وما بَلَغَتْ نَفْسُ المُشَوِّق مُناها
فمدَّت يميناً للوداع ودمعها	يُكفِّكُفُه خَوْفُ الرَقِيب سَراها
وقالت وداعاً لا وداع تَفَرُّق	لعلَّ اللَّيالى أن تُدِيلَ نَساها
تُذَكِّرُنَا لَيْلَى معاهد باللسوى	رعى الله ليلاتِ اللّوى ورعاها

توفى في الطاعون الأعظم عام خمسين وسبعمائة .

محمد بن أحمد بن المراكشي

من أهل ألمرية ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بالمُراكشي .

حاله

كان فتي جميل الرؤيا^(١) ، سَكُونًا ، مَطْبُوعًا عَلَى الْمُغَافَصَةِ^(٢) وَالغَمَزِ ، مهتديا إِلَى خِصْيِ الحيلة ، قادرا عَلَى المُبَاحَثَةِ ، ذَكِيًّا ، مُتَسَوِّرًا^(٣) عَلَى الكلام فِي الصَّنَائِعِ وَالْأَلْقَابِ ، مِنْ غَيْرِ تَدَرُّبٍ وَلَا حُنُكَةٍ ، دَمِثُ الْأَخْلَاقِ ، لَيْنِ العريكة ، انتحل الطب ، وتصدَّرَ للعلاج والمداواة ، واضْطَبَّنَ أَغْلُوطَةً صَارَتْ لَهُ بِهَا شَهْرَةٌ ، وَهِيَ رِقٌّ يَشْتَمِلُ عَلَى أَعْدَادٍ وَخُطُوطٍ وَزَايِرِجَةٍ ، وَجَدَاوِلَ غَرِيبَةِ الْأَشْكَالِ ، تَحْتِهَا عِلَامَاتٌ فِيهَا اصْطِلَاحَاتُ الصَّنَائِعِ وَالْعُلُومِ ، وَيَتَصَلُّ بِهَا قَصِيدَةُ رُوِيَّهَا لَامُ الْأَلْفِ أَوَّلًا ، وَهِيَ مَنْسُوبَةٌ لِأَبِي الْعَبَّاسِ السَّبْتِيِّ .

يَقُولُ سَبْتِيُّ وَيُحَمَّدُ رِبْسُهُ مُصَلٌّ عَلَى هَادٍ إِلَى النَّاسِ أُرْسِلَا وَأَنَّهَا مَدْخَلٌ لِلزَّيْرِجَةِ ذَكَرَ أَنَّهُ عَثَرَ عَلَيْهَا فِي مَظِنَّةٍ غَرِيبَةٍ ، وَظَفَرَ بِرِسَالَةِ الْعَمَلِ بِهَا ، وَتَحَرَّى بِالْإِعْلَامِ بِالْكُنَايَاتِ ، [وَالْإِخْبَارِ بِالْخَفِيِّ]^(٤) وَتَقْدِيمَةِ الْمَعْرِفَةِ ، وَالْإِنْذَارِ بِالْوَقَائِعِ ، حَتَّى اسْتَهْوَى بِذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمَشِيخَةِ ، مِمَّنْ

(١) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الزَيْتُونَةِ . وَفِي الْإِسْكُورِيَالِ (الرِّوَايَةُ) . وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) الْمَغَافَصَةُ أَيْ الْمَفَاجَأَةُ .

(١) وَرَدَتْ فِي الزَيْتُونَةِ (مُسْتَوْرًا) وَفِي الْإِسْكُورِيَالِ (سَتُورًا) وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَالتَّصْوِيبُ

أَنْسَبُ لِلْمَعْنَى وَالسِّيَاقِ .

(٢) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الزَيْتُونَةِ . وَفِي الْإِسْكُورِيَالِ (وَإِخْرَاجِ الْحَبِّ) وَالْأَوَّلَى أَفْصَحُ وَأَنْسَبُ

لِلسِّيَاقِ .

كان يركنُ إلى رُجحان نظره ، وسلامة فطرته ، واستُغِلَّت الشهادة له بالإصابة ، سجيّة النفوس في حرصها على إثبات دعاوى المتحرّفين ، أخبرني بعضهم أنه خبياً له عَظْماً صغيراً ، يكون في أطراف أجنحة الطّير ، أخذه من جناح ديك ، وزعم أرباب الخواصّ أنه يُزيل الإعياء إذا عُلّق ، فتصرّف على عاداته [من الدخول] ^(١) في تلك الجداول ، وأخذ الأعداد الكثيرة ، يَضْرِبُهَا آوَنَةً ، وَيُقْسِمُهَا أُخْرَى ، ويستخرج من تلك الجداول جيوباً وسهاماً ، وياخذ جذوراً ، وينتج له العمل آخراً حروفاً مقطعة ، ببقية الطرح ، يُولف منها كلاماً ، تُقْتَنَصُ منه الفائدة ، فكان في ذلك بيت شعر :

وفي يديكم عَظْمٌ صغير مُدَوَّرٌ يُزيل به الإعياء مَنْ كان في السَّفرِ
وأخبرني آخرون أنه سئل في نازلة فقهية لم يُلق فيها نص . فأخبر أن النص فيها موجود بمالقة ، فكان كذلك . وعارض ذلك كله جُلَّة من أشياخنا ، فذكرني الشيخ نسيج وحده ، أبو الحسن بن الجنياب أنه سامره يُخرج خبيثته سواد لَبْلَةٍ ، فتأمل ما يصنعه ، فلم يأت بشيء ، ولا ذهب إلى عمل يُتَعَقَّل ، وظاهر الأمر أن تلك الحال كانت مبنية على نَخِيل وتخمين ، تختلف فيه الإصابات وضدها ، بحسب الحالة والقياس ، لتصرف الحيلة فيه ، فاقتضى ذلك تأميل طائفة من أهل الدَّول إياه ، وانتسخوا نظاير من تلك الزيرجة المموّهة ، ممطولين منه بطريق التّحسُّر فيها إلى اليوم ، واتصل بالسلطان . فأرسم ببابه ، وتعدّى الإنس إلى طبّ العجن . فافتضح أمره ، وهُمَّ به . فنجا مُفْلِتاً . ولم تزل حاله مضطربة ، إلى أن دُعِيَ من العُدوة وسلطانها . منازل مدينة تلمسان . ووصلت الكُتُب عنه ،

(١) الزيادة من الزيتونة .

فتوجه في جفن هيبى له ، ولم ينشب أن تُوفى بالحلّة في أوائل عام سبعة وثلاثين وسبعماية .

محمد بن بكرون بن حزب الله

من أهل مالقة ، يكنى أبا عبد الله .

حاله

من أهل الخصوصية والفضل ، ظاهر الاقتصاد ، كثير التخلُّق ، حسن اللقاء ، دائم الطريقة ، مختصر الملبس والمأكل ، على سنن الفضلاء وأخلاق الجِلّة . انتظم لهذا العهد في نَمَط من يُستَجاز ويُجيز . وكان غفلاً فأقام رُشماً محموداً ، ولم يُقَصِّر عن غاية الاستعداد .

مُشِيخته

منهم الأستاذ مولى النعمة على أهل بلده ، أبو محمد عبد الواحد بن أبي السّداد الباهلى ، قرأ عليه القرآن العظيم أربعة عشر ختمة قراءة تجويد وإتقان بالأحرف السبعة ، وسمع عليه كتباً كثيرة ، وقال عند ذكره في بعض الاستدعاءات : ولازمته رضى الله عنه وأرضاه إلى حين وفاته ، ونلتُ من عظيم بركاته ، وخالص دعواته ، ما هو عندى من أجلّ الوسائل ، وأعظم الذخيرة ، وأفضل ما أعدّته لهذه الدار والدار الآخرة . وكان في صدر هذا الشيخ الفاضل كثير من عِلْم اليقين . وهو عِلْم يجعله الله في قلب العبد إذا أحبه ، لأنّه يؤول بأهله إلى احتمال المكروه ، والتزام الصبر ، ومُجاهدة الهوى ، ومُحاسبة النفس ، ومراعاة خواطر القلب ، والمُراقبة لله ، والحياء من الله ، وصحّة المعاملة له ، ودوام الإقبال عليه ، وصحّة النية ،

واستشعار الخشية . قال الله تعالى : إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ، فكفى بخشية الله علماً ، وبالإقبال عليه عزاً . قلت ، وإنما نقلت هذا ، لأن مثله لا يصدر إلا عن ذى حركة ، ومُضْطَبَّن بركة ، ومنهم الشيخ الخطيب الفاضل ولى الله ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الطنجالى .
دخل غرناطة راوياً ، وفى غير ذلك فى شئونه ، وهو الآن ببلده مألقة يخطب ببعض المساجد الجامعة بها على الحال الموصوفة .

محمد بن الحسن بن أحمد بن يحيى الأنصارى الخزرجى

الميورقى^(١) الأصل ، سكن غرناطة .

حاله

كان محدثاً على الرواية ، عارفا بالحديث وعِلِّله ، وأسماء رجاله ، مشهورا بالإنقان والضبط ، ثقة فيما نقل وروى ، ديناً ، زكياً ، متحاملاً ، فاضلاً ، خيراً ، مُتَقَلِّلاً من الدنيا ، ظاهرى المذهب داوديه^(٢) ، يغلب عليه الزهد والفضل .

مشيخته

روى بالأندلس عن أبي بكر بن عبد الباقي بن محمد الجيعارى ، وأبي على الصمدي الغسافى ، وأبي مروان الباجى ، ورحل إلى المشرق راجعاً ، وأخذ بمكة كرمها الله . عن أبي ثابت وأبي الفتح عبد الله بن محمد البصاوى وأبي نصر عبد الملك بن أبي مسلم العمرانى . قلت وغيرهم اختصرتهم

(١) نسبة إلى مدينة ميورقة Mallorca عاصمة جزيرة ميورقة ، كبرى الجزر الشرقية (البليار) .

(٢) (١) يريد الإشارة هنا إلى خلف بن داود الإصفهاني . مؤسس المذهب الفاهري المتوفى سنة ٥٢٧٠هـ .

لطولهم . وقفل إلى الأندلس فحدث بغير بلده منها ، لتجواله فيها .
من روى عنه : روى عنه أبو بكر بن رزق ، وأبو جعفر بن الغاسل
وغيرهم .

محنته

إمتحن من قبل على بن يوسف بن تاشفين ، فحمل إليه صلبة
أبي الحكم بن يوجان ، وأبي العباس بن العريف ، وضرب بالسوط عن أمره ،
وسجنه وقتا ، ثم سرحه وعاد إلى الأندلس ، وأقام بها يسيراً ، ثم انصرف
إلى المشرق ، فتوقف بالجزائر ، وتوفي بها في شهر رمضان سنة سبع وثلاثين
وخمسمائة .

محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصاري الساحلي

يكنى أبا عبد الله ، ويعرف ببلده مالقة بالمُعَمَّم .

حاله

كان طبقة من طبقات الكُفَاة ، ظُرفاً ورُوءاء وعارضةً وترتيباً ، تجلّل
بفضل شهرة أبيه ، وجعل بعض المُتَرْفين من وزراء الدّول بالمغرب أيام
وَجْهَتُهُ إليه ، صُحبة الشيخ الصالح أبيه في غرض السفارة ، مالا عريضاً
لينفقه في سبيل البرِّ ، فبنى المدرسة غرب المسجد الأعظم ، ووقف عليها
الرُّباع ، وابتنى غيرها من المساجد . فحصلت الشهرة ، ونُبّه الذِّكر ،
وتطوّر ، ورام العُروج في مدارج السُّلوك ، وانقطع إلى الخلوة ، فنصّلت
الصُّبغة ، وغلبت الطّبيعة ، وتأنّل له مال جم ، اختلف في سبب اقتنايه ،

[وأظهر]^(١) التجرُّمُ الرَّهْفُ الجوانبَ بالجاه العَرِيضُ ، والجرصُ الشَّدِيدُ ، والمُسَامَحَةُ في باب الوَرَعِ ، فَتَبَنَّاكَ به نعيما من ملبس ومطعم وطيب وترَفُّه ، طارد به اللَّذَّةُ ما شاء في باب النِّكاحِ استِمْتاعا وذَوَاقاً يَتَّبِعُ رايد الطَّرْفِ ، وَيُقَلِّدُ شاهد السَّمْعِ ، حتى نُعَى عليه . ووُلَّى الخطابة بالمسجد الأعظم بعد أبيه ، فأقام الرسم ، وأوسع المنبر ما شاء من جَهْوَرِيَّةٍ وعارِضَةٍ ، وتسوَّرَ على أعراضٍ^(٢) ، وألفاظ في أسلوب ناب عن الخشوع ، عريق في نسب القِحَّةِ . ثم رَحَلَ إلى المشرق مرة ثانية ، وكرَّرَ إلى بلده ، مليح الشَّيْبَةِ بادی الوقار ، نبيه الرُّتْبَةِ ، فتولى الخطابة إلى حين وفاته .

مشيخته

حسباً قِيدَتْهُ من خطِّ ولده أبي الحسن ، وارثه في كثير من خِلاله ، وأغلبها الكفاية . فمنهم والده رحمه الله . قرأ عليه وتآدب به ، ودوَّن في طريقه ، حسبما يتقرر ذلك . ومنهم الأستاذ أبو محمد بن أبي السداد الباهلي ، ومنهم الشيخ الراوية أبو عبد الله بن عيَّاش ، والخطيب الصالح أبو عبد الله الطَّنْجَالِي ، والخطيب الصالح أبو جعفر بن الريات ، والأستاذ ابن الفخار الأَرَكُونِي ، والقاصي أبو عمرو بن منظور ، والأستاذ ابن الزبير وغيرهم ، كابن رُشيد ، وابن خميس ، وابن بُرطال ، وابن مَسْعُودَة ، وابن ربيع ، وبالمشرق جماعة اختصرتهم لطولهم .

توالياه

وتسوَّرَ على التَّأليفِ ، بفرط كفايته ، فما يُنسب إليه كتاب :

(١) هذه الكلمة واردة في الزيتونة . وساقطه في الإسكوريال .

(٢) وردت في المخطوطين (أنراض) . والتصويب أرجح بالنسبة للمعنى والسياف .

«التجربة الربيع في شرح الجامع الصحيح» . قال ، منه ما جرّده من المبيضة .
ومنه ما لم يسمح الدهر بإتمامه . وكتاب بهجة الأنوار . وكتاب الأسرار ،
وكتاب «إرشاد السائل لنهج الوسائل»^(١) ، وكتاب بغية السالك في أشرف
المسالك في التصوف . وكتاب «أشعة الأنوار في الكشف عن ثمرات الأذكار» .
وكتاب النّفحة القدسيّة ، وكتاب «غنية الخطيب بالاختصار والتّقريب»
في خطب الجُمع والأعياد ، وكتاب «غريب النّجب في رغائب الشّعب» ،
شعب الإيمان ، وكتاب في مناسك الحج ، وكتاب «نظم سلك الجواهر في
جيد معارف الصُّدور والأكابر» ، فهرسة تحتوى على فوايد من النّعلم
وما يتعلق بالرواية ، وتسمية الشيوخ وتحرير الأسانيد .

دخوله غرناطة

دخلها مراتٍ تشدُّ عن الإحصاء . ولد عام ثمانية وسبعين وستمائة ،
وتوفى بمالقة في صبيحة ليلة النصف من شعبان عام أربعة وخمسين وسبعماية .

محمد بن محمد بن يوسف بن عمر الهاشمي

يكنى أبا بكر ، ويعرف بالطنجالي ، ولد الشيخ الولي أبي عبد الله .

حاله

من ذيل تاريخ مالقة للقاضي أبي الحسن بن الحسن . قال ، كان هذا
العالم الفاضل ممن جمع بين الدّراية والرّواية ، والتراث^(٢) والاكتساب .
وعُلُو الانتساب ، وهو من القوم الذين وصلوا الأصالة بالصّول ، وطول

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (المسائل) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (والثراء) .

الْأَلْسِنَةُ بِالطُّولِ ، وَهَلُّوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ ، أَثَرُ الشُّمُوحِ يَبْرُقُ مِنْ
أَنْفِهِ ، وَنَسِيمُ الرُّسُوحِ يَغْبِقُ مِنْ عَرْفِهِ . وَزَاجِرُ الصَّلَاحِ يُؤْمِي بِطَرْفِهِ ،
فَتَحَالَهُ مِنْ خَوْفِ اللَّهِ ذَا لَمَمٍ ، وَفِي خَلْقِهِ دِمَائَةٌ ، وَفِي عِرْيَتِهِ شَمَمٌ .
وَوَصَفَهُ بِكَثِيرٍ مِنْ هَذَا النَّمَطِ .

ومن « العايد » : كَانَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالتَّفَنُّنِ فِي الْمَعَارِفِ وَالتُّهْمِ
بِطَلِبِهَا ، جَمَعَ بَيْنَ الرَّوَايَةِ وَالدَّرَايَةِ وَالصَّلَاحِ . وَكَانَتْ فِيهِ خِفَّةٌ ، لَفَرَطٌ
صِحَّةٌ وَسَدَاجَةٌ وَفَضْلٌ رُجُولَةٌ^(١) بِهِ ، بَارِعُ الْخَطِّ ، حَسَنُ التَّقْيِيدِ ، مَهِيْبٌ
جَزْلاً ، مَعَ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ التَّوَاضُعِ ، يُحِبُّهُ النَّاسُ وَيَعْظُمُونَهُ ، خُطِبَ
بِالْمَسْجِدِ الْأَعْظَمِ مِنْ مَالِيقَةِ ، وَأَقْرَأَ بِهِ الْعِلْمُ .

مشيخته

قَرَأَ عَلَى الْأُسْتَاذِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْبَاهِلِيِّ ، وَأَبِيهِ الْوَلِيِّ الْخَطِيبِ رَحِمَهُ اللَّهُ .
وَرَوَى عَنْ جَدِّهِ أَبِي جَعْفَرٍ ، وَعَنْ الرَّوَايَةِ الْأُسْتَاذِ الْكَبِيرِ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ ،
وَالرَّوَايَةِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِيَّاشٍ ، وَالْقَاضِي أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ السَّكُونِ ،
وغيرهم ممن يطول ذكره ، مِنْ أَهْلِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ .
وَفَاتَهُ : تَوَفَّى بِمَالِيقَةِ فِي أَوَّلِ صَفَرٍ مِنْ عَامِ ثَلَاثَةِ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ
[وَكَانَ عُمرُهُ]^(٢) نَحْوًا مِنْ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً .

محمد بن محمد بن ميمون الخزرجي

يَكْنَى أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، وَيَعْرِفُ بِأَبِي أَسْلَمٍ ، لِكَثْرَةِ ضِدِّهِ هَذِهِ اللَّفْظَةُ عَنْهُ ،
مُرْسِي الْأَصْلِ ، وَسَكَنَ غَرْنَاطَةَ وَوَادِي آشٍ وَالْمَرْيَةَ .

(١) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَّالِ . وَفِي الزَّيْتُونَةِ (وَجُولَةِ) .

(٢) أَضَفْنَا هَذِهِ الزِّيَادَةَ لِيَسْتَقِيمَ السِّيَاقُ .

حاله

من كتاب « المؤمن » ^(١) : كان دَمِثَ الأخلاق ، قبل أن يخرجه شيء من [هُضَيْقَاتِ الصُّدُورِ] ^(٢) يشارك في العربية ، والشعر النازل عن الدرجة الوسطى ، لا يخلو بعضه عن كُحْن . وكان يتعيش من صناعة الطَّب . وَجَرَتْ له شهرة بالمعرفة [تَرْفَعُ به بتلك الصُّنَاعَة على حَدِّ شهرة ترك النصيحة فيها ، فكانت شُهْرَتُهُ بالمعرفة ترفع به] ^(٣) . وشُهْرَتُهُ بترك النصيحة تُنْزِلُهُ ، فيمرُّ بين الحاليتين بِشَطَفِ العيش ، وَمَقْتِ الكافَّةِ إِيَّاه .

قلت ، كان لا أَسْلَم ، طَرُفًا في المعرفة بطُرُقِ العلاج ، فسيح التجربة ، يشارك في فنون ، على حال غريبة من قِلَّةِ الظُّرْف ، وَجَفَاءِ الآلات ، وَخَشْنِ الظاهر ، والإضرار بنفسه وبالناس ، متقدِّم في المعرفة بالخصوم ، يُقصد في ذلك . وله في الحرب والحِيلُ حكايات ، قال صاحبنا أبو الحسن ابن الحسن : كانت للحكيم لا أَسْلَم خَنْزَرٌ مُخْبَأٌ ، في كَرَمٍ كان له بِالْمَرْيَةِ عَثَرَ عليها بعض الدَّعْرَة ، فسرقها له . قال ، فعمد إلى جرَّةٍ ومَلَأَهَا بخمر أخرى ، ودفنها بالجهة ، وجعل فيها شيئاً من العقاقير المُسَهِّلَاتِ ^(٤) . وأشاع أن الخمر العتيقة التي كانت له لم تُسرق ، وإنما باقية ، بموضع كذا . فعمد إليها أولئك الدَّعْرَة ، وأخذوا في استعمالها ، فعادت عليهم بالاستِطْلَاقِ القَبِيحِ المُهْلِكِ ، فقصدوا الحكيم المذكور . وعرضوا عليه ما أصابهم . فقال لهم إِيَّاه . أدُّوا إلى ثَمَنِ الشَّرِيبَةِ . وحينئذٍ أَسْرَغُ لكم في

(١) وعنوانه الكامل « المؤمن على أنباء أبناء الزمن » من تأليف أبي البركات ابن الحاج البليقي ، من شيوخ ابن الخطيب الأثريين .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . وفي الزيتونة (ضيق الصدر) .

(٣) ما بين الخاصرتين وارد في الإسكوريال وساقط في الزيتونة .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (المسهلة) .

الدواء . ويقع الشفا بحول الله . فجمعوا له أضعاف ما كان يساويه خمره ،
وعالجهم حتى شفوا بعد مشقة . وأخباره كثيرة .

وفاته : توفي عقب إقلاع الطاغية ملك برجلونة عن المرية عام
[تسعة] ^(١) وسبعماية . وخلفه ابن كان له يسمى إبراهيم ، ويعرف بالحكيم ،
وجرى له من الشهرة ما جرى لأبيه ، مرت عليه ببخت وقبول ، وتوفي بعد
عام خمسين وسبعماية .

محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم الأنصاري

جيانى الأصل مالقييه ، يكنى أبا عبد الله ويعرف بالشديد على بنية
التبصغير ، وهو كثير التردد والمقام بحضرة غرناطة .

حاله

من أهل الطلب والذكاء والطرف والخصوصية ، مجموع خلال من خط
حسن واضطلاع بحمل كتاب الله . ثلث دوح السبع المثاني ، وما شطة
عروس أبي الفرج الجوزى ، وآية صمعه فى الصوت ، وطيب النعمة ،
اقتحم لذلك دسوت الملوكة ، وتوصل إلى ضحبة الأشراف ، وجر أذيال الشهرة .
قرأ القرآن والعشر بين يدي السلطان ، أمير المسلمين بالعدوة ، ودنا منه
محلّه ، لولا إشار مسقط رأسه . وتقرّب بمثل ذلك إلى ملوك وطنه ،
وصلّى التراويح بمسجد قصر الحمراء ، غريب المنزع ، عذب الفكاهة .

(١) ورد مكانها بياض فى المخطوطين . والحادث الذى يشير إليه ابن الخطيب هو قيام خايى
الثانى ملك أراجون (وعاصمتها يومئذ برشلونة أو برجلونه) بغزو ثغر المرية فى سنة ٧٠٩ هـ (١٣٠٩ م)
وذلك بالاتفاق مع ملك قشتالة فرناندو الرابع الذى قام فى نفس الوقت بغزو الجزيرة الخضراء وجبل
طارق . ولكن جند الأندلس استطاعوا أن يهزموا الجيش الأراجونى ورده عن المرية وبذلك ، نجت من
خطر السقوط (راجع كتابى نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين (الطبعة الثالثة ص ١١٥ و ١١٦) .

ظريف المجالسة ، قادرٌ على الحكايات ، مستورٌ حمى الوقار ، مُلبٌ داعي .
الانبساط ، على استرجاعٍ واستقامة ، مبرور الوفاة ، مُنوّه الإنزال ، قُلْد
شهادة الديوان بمالقة ، مُعَوَّلًا عليه في ذلك ، فكان مغار جبل^(١) الأمانة ،
صَلِيب العود ، شامخًا ، صادق النّزاهة ، لوحًا للألقاب ، مُحرزًا للعمل .
وَوُلَّى الحسبة بمالقة حرسها الله تعالى ، فخاطبته في ذلك أداعبُهُ ، وأشير
إلى قوم من أجداده ، وأولى الحَمْل عليه بما نصه :

يا أيها الْمُحْتَسِبُ الجَنَزَلُ ومن لديه الجَدُّ والهَزَلُ
تُهْنِيكَ والشُّكْرُ لِمَوْلَى الْوَرَى ولايةٌ ليس لها عَزَلُ

كتبتُ أيها المحتسب ، المنتمى إلى النزاهة المُنتسب ، أَهْنِيكَ ببلوغ
تُمْنِيكَ ، وأحذرك من طمع نفسٍ بالغرور تُمْنِيكَ . فكأنّي وقد طافت
بركائبك السّاعة ، ولزم لأمرِك السَّمْع والطّاعة ، وارتفعت في مصانعتك
الطّماعة ، وأخذت أهل الرُّيب بَغْتَةً كما تقوم الساعة . ونَهَضْتَ تَقْعَد
وتقيم ، وسكوتك الريح العقيم ، وبين يديك القِسْطاس المُستقيم ، ولا بُدَّ
من شَرِكٍ يُنْصَب ، وجماعة على ذى جاه تتعصّب ، وحالة كَيْتٍ بها الجَناب
الأخْصَب ، فإنْ غَضَضْتَ ظَرْفَكَ . أَمِنْتَ عن الولاية صَرْفَكَ . وإنْ ملأتْ
ظَرْفَكَ ، رَحَلَتْ عنها حَرْفَكَ . وإنْ كَفَفْتَ فيها كَفَّكَ . حَفَّكَ العزُّ
فيمن حَفَّكَ . فكن لقالى المَجْبَنَةِ قاليًا ، ولحُوت السَّلَّة ساليًا . وابدِ
لدقيق الحَواري زُهد حَواري ، وازهد فيما بأيدي الناس من العَواري .
وسِرْ في اجتناب الحُلُو^(٢) على السبيل السَّوَا . وارفُضْ في الشُّوَا^(٢) دواعي
الأهْوَ . وكن على المَرَّاس . وصاحب فريد الرأس . شديد المَرَّاس . وثِيبُ

(١) وردت في الإسكوريال (جبل) والتصويب من الزيتونة .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في الزيتونة على التوالى : الحلوى ، الشوى . الأهوى .

على بايع طبيخ الأعراس ، ليثاً مرهوب الافتراس ، وأدب أطفال السوق في
السوق ، سيمًا من كان قبل البلوغ والسبوق ، وصمم في استخراج
الحقوق ، والناس أصناف ، فمنهم خسيس يطمع منك في إكلة ،
ومستعد عليك بوكزة أو ركلة . وحاسد في مطية تركب ، وعطية تسكب ،
فاخفض للحاسد جناحك ، وسدد إلى حربه رماحك ، وأشبع الخسيس منهم
مرقة دسمة فإنه حنق ، ودس له فيها عظمًا لعله يحنق ، واحفر لشريرهم
حفرة عميقة . فإنه العدو حقيقة ، حتى إذا حصل ، وعلمت أن وقت
الانتصار قد وصل . فأوقع وأوجع . ولا ترجع ، وأولياه من [حزب] ^(١)
الشیطان فأفجع ، والحق أقوى ، وإن تغفوا أقرب للتقوى . سددك الله إلى
غرض التوفيق ، وأعلقنا من الحق بالسبب الوثيق ، وجعل قدومك مقروناً
برخص اللحم والزيت والدقيق . بمنه وفضله .

مشيخته

قرأ القرآن على والده المکتب النصوح رحمه الله ، وحفظ كتباً
كرسالة أبي محمد بن أبي زيد . وشهاب القضاء ، وفصيح ثعلب ^(٢) .
وعرض الرسالة على ولي الله أبي عبد الله الطنجالي ، وأجازه . ثم على ولده
الخطيب أبي بكر . وقرأ عليه من القرآن ، وجود بحرف نافع على شيخنا
أبي البركات . وتلا على شيخنا أبي القاسم بن جزي . ثم رحل إلى المغرب ،
فلقى الشيخ الأستاذ الأوحى في التلاوة . أبا جعفر الدراج . وأخذ عن

(١) هذه الرائدة من الربتونة .

(٢) رسالة ابن أبي زيد القيرواني المتوفى سنة ٣٨٩ هـ . من أشهر متون الفقه المالكي .
وكتاب « الشهاب » لأبي عبد الله القاضي المصري المتوفى سنة ٤٥٤ هـ من كتب الحديث . و«
سند المسند » في الحديث أيضاً . وكتاب الفصيح أو فصيح ثعلب من كتب اللغة والبلاغة
لأبي عباس أحمد بن زيد بن ثعلب اللغوي النحوي المتوفى سنة ٢٩١ هـ .

الشَّريف المُقَرِّى أبي العباس الحسنى بسبَّته ، وأدرك أبا القاسم التَّجِيبى ، وتلا على الأستاذ أبى عبد الله بن عبد المنعم ولازمه ، واختصَّ بالأستاذ ابن هانى السَّبَّتى ، ولقى بفاس جماعةً كالفقيه أبى زيد الجَزُولى ، وخلف الله المجاصى ، والشيخ أبا العباس المِكناسى ، والشيخ البقية أبا عبد الله بن عبد الرازق ، وقرأ على المُقَرِّى الفدَّ الشهير فى التَّرنُّم بِالْحان القرآن أبى العباس الزَّواوى سَبْعَ خَتَمَات . وجمع عليه السَّبْع ، والمُقَرِّى أبى العباس بن حِزْب الله ، واختصَّ بالشيخ الرئيس أبى محمد عبد المُهَيْمِن الحَضْرَى .

شعره

من شعره ما كَتَبَ به إلى وزير الدولة المَغْرِبِيَّة فى غرض الاستِلطاف :

يا من به أبداً عُرِفْتُ ومن أنا	لولا لى دامتْ عُلاه وداما
لا تأخُذْكَ فى الشُّديد لومةٌ	فشُخِصَ نَشأتَه بفضلك قاما
رَبَّيْنَاهُ عَلَّمْتُهُ أَدَبْتُهُ	قَدَّمْتُهُ لِلقَرَضِ منك إماما
فجزاك ربُّ الخلق خيرَ جزاية	عَنى وبوأك الجنان مُقاما

وهو الآن بالحالة المَوْصوفة ، مستوطناً حضرة غرناطة . وتالياً الأعشار القرآنية هـ بين يدى السلطان أعزَّه الله ، مرفَّع الجانب ، معزَّز الجِراية بولايته أخباس المدرسة ، أطروفة عَصْره . لولا طَرَشُ نَقْصِ الأُنْس به ، نفعه الله .

ولد بمالقة فى عاشر ربيع الأول من عام عشرة وسبعماية .

ومن القُرباء في هذا الاسم

محمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد التلمساني الأنصاري

السبتي الدار ، الغرناطي الاستيطان ، يكنى أبا الحسين ، ويعرف
بالتلمساني .

حاله

طُرف في الخير والسلامة ، مُعرق في بيت الصّون وانفضيلة ، مُعم^(١)
تخوّل في العدالة ، قديم الطلب والاستعمال ، معروف الحق ، ملبح البسط ،
حلّو الفكاهة ، خفيف إلى هيئة الدّعاة ، على سمت ووقار ، غزل ،
لوذعي ، مع استرجاع وامتناع ، مُترَف ، عريق في الحضارة ، مؤثر للراحة ،
قليل التّجلّد ، نافر عن الكد ، مُتّصل الاستعمال ، عريض السعادة في باب
الولاية ، محمول على كتد المنبرة ، جار على سنن شيوخ الطلبة والمُقتاتين
من الأرزاق المُقدّرة ، أولى الخصوصية والضبط ، من التّظاهر بالجاه
على الكفاية . قديم على الأندلس ثمانية عشر وسبعماية ، فمهد كنف القبول
والاستعمال ، فوّل الحسبة بغرناطة ، ثم قلّد تنفيذ الأرزاق ، وهي الخطّة
الشرعية ، والولاية المُجدية ، فاتّصلت بها ولايته . وناب عني في العرض
والجواب بمجلس السلطان ، حميدُ المنأى في ذلك كله ، يقوم على كتاب الله
حفظاً وتجويداً ، طيب النّعمة ، راوياً محدثاً ، إخبارياً ، مُرتاحاً للأدب ،
ضارباً فيه بسهم . يقوم على كتب السيرة النبوية . فذاً في ذلك . قرأه
بالمسجد الجامع للجمهور . عند لحاقه بغرناطة : مُعرباً به عن نفسه . منبهاً
على مكانه . فزعموا أنّ رجلاً فاضت نفسه وجداً لشجّو نغمته . وحسن

(١) معم ، أعني الذي يعم بخير الناس .

إلقاياه . وقرأ التراويح بمسجد قصر السلطان إماماً به ، واتسم بمجلسه
بالسلامة والخير ، فلم تؤثر عنه في أحد وقعة ، ولا بدرت له ، في الحمل
على أحد بنت شفه .

مشيخته

منهم الشريف أبو علي الحسن بن الشريف أبي التقا طاهر بن أبي الشرف
ربيع بن علي بن أحمد بن علي بن أبي الطاهر بن حسن بن موهوب بن
أحمد بن محمد بن طاهر بن أبي الشرف الحسن بن علي بن محمد بن علي
ابن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن بن علي بن علي بن علي
ابن أبي طالب . ومنهم والده المترجم به ، ومنهم أبوه وجدّه ، ومنهم
الأمير الصالح أبو حاتم أحمد بن الأمير أبي القاسم محمد بن أبي العباس
أحمد بن محمد العزفي ، والمُقرى أبو القاسم بن الطيب ، وإمام الفريضة
أبو عبد الله محمد بن محمد بن حُرَيْث ، والأستاذ مُلْحِقُ الأبناء بالآباء أبو إسحق
الغافقي ، والكاتب الناسك أبو القاسم خلف بن عبد العزيز القبتوري ،
والأستاذ المُعَمَّر أبو عبد الله بن الخضّار ، والخطيب المحدث أبو عبد الله
ابن رُشَيْد ، والخطيب الأديب أبو عبد الله الغُمّاري ، والأستاذ أبو البركات
الفضل بن أحمد القنطري ، والوزير العابد أبو القاسم محمد بن محمد
ابن سهل بن مالك ، والولي الصالح أبو عبد الله الطنجالي ، والخطيب
الصالح أبو جعفر بن الزيات ، والقاضي الأعدل أبو عبد الله بن بُرْطال ،
والشيخ الوزير المعمر أبو عبد الله بن ربيع ، والصوفي الفاضل أبو عبد الله
ابن قَطْرال ، والأستاذ الحسّابي أبو اسحق البرغواطى ، هؤلاء لقيهم وقرأ
وسمع عليهم . ومن كتب له بالإجازة ، وهم خلق كثير . كخال أبيه ،
الشيخ الأديب أبي الحكم مالك بن المرحّل ، والخطيب أبي الحسن فضل

ابن فضيلة ، والأستاذ الخاتمة أبي جعفر بن الزبير ، والعدل أبي الحسن
 ابن مستقور ، والوزير المعمار أبي محمد بن سيماء ، والخطيب أبي محمد
 مولى الرئيس أبي عثمان بن حاكم ، والشيخ الصالح أبي محمد الحلاسي ،
 والقاضي أبي العباس بن الغمار ، والشيخ أبي القاسم الحضرمي اللبيدي ،
 والعدل المعمار الراوية أبي عبد الله بن هرون ، والمحدث الراوية أبي الحسن
 القراني ، وأبي إسحق إبراهيم بن أحمد بن عبد المحسن بن هبة الله بن
 أبي المنصور ، والإمام شرف الدين أبي محمد الدمياطي ، وبهاء الدين بن
 النحاس ، وقاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد ، وضياء الدين
 أبي مهدي عيسى بن يحيى بن أحمد ، وكتب في الإجازة له :

ولدتُ لعام من ثلاث وعشرة وستٌ مئين هجرةٍ لمحمد
 تطوّفتُ قُدماً بالحجاز وإنني بمصر هو المربى وسبته مَوْلِد
 إلى عالم كثير من أهل المشرق ، يشق إحصاؤهم . قد ثبت معظمهم
 في اسم صاحبه أبي محمد عبد المهيمن الحضرمي رحمه الله .

محنته

نالته محنة بجرى الأمور الاشتغالية وتبعاتها ، قال الله فيها لعثرته لغاً ،
 فاستقل من النكبة ، وعاد إلى الرتبة . ثم عفت عليه بآخرة ، فهلك تحت
 بُرّكها بعد مناهزة التسعين سنة . نفعه الله .

ولد عام ستة وسبعين وستماية . وتوفي في شهر محرم من أربعة وستين
 وسبعماية .

محمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن يوسف بن قطّال الأنصاري

من أهل مراکش ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن قطّال .

حاله

من « العايد » : كان رحمه الله فاضلاً صوفياً، عارفاً ، متحدثاً ، فقيهاً ، زاهداً ، تجرّد عن ثروة معروفة ، واقتصر على الزهد والتخلّي ، وملازمة العبادة ، والغروب عن الدنيا . وله نظم رائق ، وخطٌ بارع ، ونشر بليغ ، وكلام على طريقة القوم . رفيع الدرّجة ، عالى القدر . شرح قصيدة الإسرائيلى ، بما يشهد بفسوخ قدمه ، وتجوّل فى لقاء الأكابر على حال جميلة من إظهار الصّمت والانقباض والحشمة . ثم رحل إلى المشرق حاجاً صمّر سنة ثلاث وسبعمائة .

مشيخته

من شيوخه القاضى العالم أبو عبد الله محمد بن على ، والحافظ أبو بكر بن محمد المرادى . والفقيه أبو فارس الجروى ، والعلامة أبو الحسين بن أبي الربيع ، والعدل أبو محمد بن عبيد الله . والحاج أبو عبد الله بن الخضّار . وأبو إسحق التلمسانى ، وأبو عبد الله بن خميس . وأبو القاسم بن السّكوت . وأبو عبد الله بن عيّاش . وأبو الحسن بن فضيلة . وأبو جعفر بن الزبير ، وأبو القاسم بن خير . هؤلاء كلهم لقيهم . وأخذ عنهم . وكتب له بالإجازة جملة ، كالقاضى أبى على بن الأخوص ، وأبى القاسم العزّفى . وأبى جعفر الطنجالى . وصالح بن شريف ، وأبى عمرو الدارى . وأبى محمد بن الحجام . وأبى بكر بن خبيش ، وأبى يعقوب بن عقاب . وعز الدين الجداى . وفخر الدين بن البخارى ، وابن طرخان . وابن البوّاب ، وأمّين الدين بن عساكر . وقطب الدين بن القسطلانى . وغيرهم .

شعره

وأما شعره فكثير بديع . قال شيخنا القاضي أبو بكر بن شبرين كتبت

إليه :

يا مُعْمَل السَّيرِ أَىِّ إَعْمَالٍ سَلِّمْ عَلَى الْفَاضِلِ ابْنِ قَطْرَالِ

من أبيات راجعني عنها بأبيات منها :

زَارَتْ فَازَّرَتْ بِمَسْكَ دَارَيْنِ تَفْتَنُ لِلْحَسَنِ فِي أَفَانَيْنِ

ومثلها في شتى محاسنها ليست ببديع من ابن شبرين

توفى بحرم الله عاكفاً على الخير وصالح الأعمال ، معرضاً عن زهرة

الحياة الدنيا ، إلى أن اتصل خبر وفاته ، وفيه حكاية ، عام تسعة وسبعماية

ودخل غرناطة برسم لقاء الخطيب الصالح أبي الحسن بن فضيلة .

وغير ذلك .

العمال في هذا الاسم وأولا الأصليون

محمد بن أحمد بن محمد بن الأكل

يكنى أبا يحيى .

حاله

شيخ حسن الشَّيْبَةِ ، شامل البياض ، بعيد مدى الدَّقْنِ . خلُوع الظاهر ،

خلُوب اللفظ ، شديد الهوى إلى الصُّوفِيَّةِ . والكَلْفِ بإطراء الخيريَّةِ ،

سيما عند فقدان شكر الولاية ، وجِراح الحُطُوةِ . من بيت صَوْنٍ وحشمة ،

مبين عن نفسه في الأغراض ، مُتَقَدِّمٌ في معرفة الأمور العملية . خايض

مع الخايضين في غمار طريق التصوُّف . وانتحال كيمياء السَّعادة ، راكب

مَتْنِ دعوى عريضة في مقام التَّوْحِيدِ ، تَكْذِبُهَا أحواله الرَّاهنة جُمْلَةً ،

ولا تسلم له منها نبذة . لمعاصاة خلقه على الرياضة واستيلاء الشره ،
وعَلَبَ سلطان الشهوة . فلم يَجُنْ من جِعْجاعه المبرم فيها إلا استغراق
الوقت في القواطع عن الحق ، والأسف على ما رَزَتْه الأيام من متاع الزور ،
وقينية الغرور ، والمَشاخة أيام الولاية ، والشباب الشاهد بالشره ، والحلف
المتصل بياض اليوم ، في ثمن الخردة باليمين التي تجرُّ فساد الأنكحة ،
والغضب الذي ينقلب العين ، والبدا الذي يُصاحب الشين ، مغلوبٌ عليه
في ذلك ، ناله بسببه ضيقٌ واعتقالٌ ، وتفويت جدّة ، وإطباق رَوْع ،
وقيدٌ للعذاب ، فأَلْقِيَتْ عليه رِدائي . ونفَسَ الله عنه بِسَبِي ، محوًّا للسيئة
بالحسنّة ، وتوسلاً إلى الله بترك الحظوظ ، والمِنَّةُ لله جلّ جلاله على ذلك .

شعره

خاطبني بين يدي نكبتة أو خلفها بما نصه . ولم أكن أظن الشعر مما تلوكه
جَحْفَلْتُهُ ، ولكن الرجل من أهل الكفاية :

راجوئك بعد الله يا خيرَ مُنجد	وأكرمَ مأمول وأعظمَ مُرفد
وأفضلَ من أملتُ للحادث الذي	فقدتُ به صبرى وما ملكتُ يد
وحاشى وكلاً أن يخيب ما ملى	وقد علقتُ بابن الخطيب محمد
وما أنا إلا عَبْدُ أنعمه السّي	عهدتُ بها يُمَنّى وإنجاح مقصد
وأشرف من حضّ الملوك على النقي	وأبدى لهم نُصْحاً وصيّة مُرشد
وساسَ الرعايا الآن خيرَ سياسةٍ	مباركة في كل غيبٍ ومشهد
وأعرض عن دُنياه زهداً وإنها	لدظهرة طوعاً له عن تودّد
وما هو إلا اللَّيْث والغَيْثُ إن	أتى له خائف أوجاء مغناه مُجْتَد
وبحر علوم ذرّه كلماته إذا	رُدّدت في الحفل أى ترُدّد

صُقَيْلٌ مَرَأَى الْفِكْرَ رَبُّ لَطَائِفِ
 بَدِيعُ عَرُوجِ النَّفْسِ لِلْمَلَأِ الَّذِي
 شَفِيقٌ رَقِيقٌ دَائِمُ الْحَلَمِ رَاحِمٌ
 صَفُوحٌ عَنِ الْجَانِي عَلَى حِينِ قُدْرَةٍ
 أَيَا سِيدِي يَا عُمْدَتِي عِنْدَ شِدَّتِي
 حَنَانِيكَ وَالطُّفْ بِي وَكُنْ لِي رَاحِمًا
 رَجَاكَ رَجَا الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ
 وَأَمَّاكَ مَضْطَرًّا لِرَحْمَاكَ شَاكِيًا
 وَعِنْدِي الْفِتْقَارُ لِأَنْوَالِ مَوَاصِلًا
 تَرَفَّقْ بِأَوْلَادِ صِغَارِ بَكَائِهِمْ
 وَلَيْسَ لَهُمْ إِلَّا إِلَيْكَ تَطَلُّعُ
 أَنْلَهُمْ أَيَّامُ وَلَايَ نَظَرَةٍ مُشْفِقِي
 وَقَابِلِ أَخَا الْكُرْهُ الشَّدِيدِ بِرَحْمَةٍ
 وَلَا تَنْظُرْنِ إِلَّا لِفَضْلِكَ لَا إِلَى
 وَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَذْنَبْتُ لِي تَائِبٌ
 بَقِيَّتَ بِخَيْرٍ لِأَنْوَالٍ وَعِزَّةٍ
 وَسُخْرٍ الرَّحْمَنِ لِلْعَبْدِ إِنَّهُ

مَحَاسِنَهَا تُجَلِّي بِحَسَنِ تَعَبُّدِ
 تَجَلَّتْ بِهِ الْأَسْرَارُ فِي كُلِّ مَضْعَدِ
 وَأَيُّ جَمِيلٍ لِلْجَمِيلِ مَعُودِ
 يُوَاصِلُ تَقْوَى اللَّهِ فِي الْيَوْمِ وَالْعَدِ
 وَيَا شِرْبِي مَتَى ظَمَيْتِ وَمَوْرِدِي
 وَرَفَقًا عَلَى شَيْخٍ ضَعِيفٍ مُنْكَدِ
 وَوَفَاكَ يُهْدِي الشَّنَا الْمُجَدِّدِ
 بِحَالِ كَحَرِّ الْجَمْرِ حِينَ تَوَقَّدِ
 لِأَكْرَمِ مَوْلَى حَازَ أَجْرًا وَسَيِّدِ
 يَزِيدُ لَوَقْعِ الْحَادِثِ الْمَتَزِيدِ
 إِذَا مَسَّهُمْ ضَرٌّ أَلِيمُ التَّعَهُدِ
 وَجُدْ بِالرُّضَا وَانْظُرْ لَشَمْلٍ مُبَدِّدِ
 وَأَسْعِفْ بِغُفْرَانِ الذُّنُوبِ وَأَبْعِدِ
 جَرِيمَةَ شَيْخٍ عَنِ مَحَلِّكَ مُبْعِدِ
 فَعَاوِدِ لِي الْفَعْلَ الْجَمِيلِ وَجَدِّدِ
 وَعَيْشِ هُنِي كَيْفَ شِيتِ وَأَسْعِدِ
 لِمَتْنُ وَدَاعٍ لِلْمَحَلِّ الْمُجَدِّدِ

وقد وُلِّيَ خُطَطًا نَبِيهَةً ، مِنْهَا خُطَّةُ الْإِشْتَغَالِ عَلَى عَهْدِ الْغَادِرِ الْمُكَائِدِ
 لِلدَّوْلَةِ ، إِذْ كَانَ مِنْ أَوْلِيَاءِ شَيْطَانِهِ وَمُمَدِّيهِ فِي غِيَّهِ ، وَسَمَاسِيرِ شَغْوَذَتِهِ ،
 فَلَمْ يَزَلْ مِنْ مُسِيطَرَى دِيْوَانِ الْأَعْمَالِ ، عَلَى تَهْوُّرِ وَاقْتِحَامِ كِبَرَةٍ ، وَخُطُّ
 لَا غَايَةَ وَرَآءَهُ فِي الرِّكََاكَةِ ، كَمَا قَالَ الْمَعْرِيُّ :

تَمَشَّتْ فَوْقَهُ حُمْرُ الْمَنَاسِبِ وَلَكِنْ بَعْدَ مَا مَسِيخَتْ نَمَالَا

استحضرته يوماً بين يدي السلطان ، وهو غُفْل لَفَكٍّ ما أشكل من
مَعْمِيَّاتِهِ في الأعمال عند المطالعة ، فوصل بحال سيئة ، ولما أُعْتِبَ بسببه ،
ونعيتُ عليه هُجنته ، أحسن الصدر عن ذلك الورد ، ونَدَرَ في نفسه ، وقال
حيّاً الله رداعة الخطِّ ، إذا كانت ذريعةً إلى دخول هذا المجلس الكريم ،
فاستحسن ذلك ، لطف الله بنا أجمعين .
توفي عام سبعة وستين وسبعمائة .

محمد بن الحسن بن زيد بن أيوب بن حامد الغافقي
يكنى أبا الوليد .

أَوَّلِيَّتُهُ

أَصْلُهُ من طُلَيْطَلَة ، انتقل منها جدُّ أبيه ، وسكنوا غرناطة ، وعدُّوا
في أهلها .

حَالُهُ

كان أبو الوليد طالباً نبيلاً ، نبيلها ، سَرِيّاً ، ذكياً ، ذا خطٍّ بارِع ،
ومعرفة بالأدب والحساب ، ونَزَعَ إلى العمل فكان محمود السيرة ، مشكور
الفعل . ووُلِّيَ الإشراف في غير ما موضع . قلتُ ، وآثاره في الأملاك المنسوبة
إليه ، التي من جُمْلَةِ المُسْتَخْلَصِ السلطاني بغرناطة وغيرها ، مما يدل على
قِدَم ، وتَعَمُّ أَصِيلَةٍ .

توفي بمدينة إشبيلية سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ، وسنه دون الخمسين .

محمد بن محمد بن حسن الغافقي

إشبيلي الأصل ، غرناطي المنشأ . يكنى أبا عبد الله . ويعرف بابن
حسان .

حاله

من « العايد » : كان من أهل السَّرو والظَّرف والمروعة ، وحسن الخلق .
تولى الإشراف بغرناطة ، وخطَّة الأشغال ، فحسن الثناء عليه . وله أدب
ومشاركة . حدَّثني بعض أشياخنا ، قال ، كنت على مائدة الوزير ابن
الحكيم ، وقد تحدَّث بصَرْف ابن حسان عن عمل كان بيده ، وإذا رُقعة
قد انتهت إليه أحفظ منها :

لَكُمْ أَيَادٍ لَكُمْ أَيَادٍ كسَرْتُهَا إنها كثيرة
فإن عزمتم على انتقالٍ رِيَّه أَبْغَى أو الجزيرة
وإن أبيتم الأُمُقَامِي فنعمةٌ منكم كبيرة

وقال لي بعضهم ، جرى بين ابن حسان هذا ، وبين أحد بني علاق^(١) ،
وهم أعيان ، كلام وملاحاة^(٢) فقال ابن حسان ، إنما كان جدكم مولى بني
أضحى ، وجد بني مشرف ، فاستعدى عليه ، ورفعني إلى الوزير ابن الحكيم
فيما أظن ، فلما استفهمه عن قوله ، قال أعزَّك الله ، كنت بالكُتَّابيين ،
وعُرض عليّ كتاب قديم في ظهره أبيات حفظتها وهي :

أضحى الزمان بأضحى وهو مبتسم لنوره في سماء^(٣) المجد إشراق
فلم يسزل ينتمى للمجد كل فتى تطيب منه مواليد وأعراق
فإن تُرد شرفاً يمم مُشْرِفه^(٤) وإن ترد علق مجد فهو علاق
فعلم الوزير أن ذلك من نظمه ، ونتيجة بديهته ، فعجب من كفايته ،
وترضى خصمه . وصرفهما بخير . وتوفي في شهر رجب ثلاثة عشر وسبعمائة .

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (بنى غيلان) .

(٢) وردت في الإسكوريال (ملاحاة) والتعويوب من الزيتونة .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (سناء) .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (مشرفهم) .

محمد بن عبد الله بن ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن موسى بن ابراهيم
ابن عبد العزيز بن اسحق بن أحمد بن أسد بن قاسم النُميرى المدعوب ابن الحاج
يكنى أبا عمرو ، وقد مر ذكر أخيه

حاله

تولى خِطَّة الإشراف بِلَوْشَة وَأُنْدَرَش^(١) ومالقة . وُوُلِّيَ النظر في
مختص المريّة ، والأعشار الرومية بغرناطة . وكان له خط حسن ، وجودة
كاملة ، وَحُسْنُ خُلُقٍ ، وَوَطَاءُ أَكْنَافٍ ، تشهد له بجلالة قَدْرِهِ ، ورفيع
خَطَرِهِ . وصاهر في أعيان كالوزير أبي عبد الله بن أبي الحسن [فاضلٌ ،
سَرِيٌّ ، متخلّقٌ ، حسن الضريبة ، متميّز بخصال متعددة ، من خطٌ بديع ،
ونظم ، ومشاركة في فنون ، من طب وتعديل ، وارتياض سماع ، وذكر
التاريخ . حَجَّ وُجَالٍ في البلاد . ولقي جِلَّةً ، وتولى بالمغرب خُطَطًا نبهية
علية^(٢)]^(٣) . ثم كَرَّ إلى الأندلس عام ستين وسبعماية ، فاجرى من
الاستعمال على رَسمه . ثم اقتضت له العناية السلطانية بإشارتي ، أن يُوَجَّه
في غرض الرسالة إلى تونس وصاحب مصر ، لما تقدّم من مُرانه على تلك
البلاد ، وجولاته في أقطارها ، وتعرّفه بملوكها والجلّة من أهلها ، فأب بعد
أعوام ، مشكور التصرفات ، جاريا على سُنَنِ الفضلاء ، مضطّعا بالأحوال
التي أسندت إليه من ذلك . فلم يزل مُعْتَنِي به ، مُرَشَّحا إلى الخُطَط التي تطمح
إليها نفس مثله ، مُسْنِدا النَّظَرَ في زمام العسكر الغربي إلى ولده ، الذي

(١) سبق التعريف بها (أنظر المجلد الأول من الإحاطة ص ١٥٨ حاشية) .

(٢) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (عملية) والأولى أرجح وأنسب للسياق .

(٣) الفقرة التي بين الخاصرتين وردت في الزيتونة في أول الترجمة .

يخلفه عند رحلته نايبا عنه ، مُعَزَّزاً ذلك بالمرتبات والإحسان ، تولاه الله
وأعانه

شعره

مدح السلطان ، وأنشد له في المواليد النبوية . ورفع إلى السلطان
بحضرتي هذه الأبيات :

ومن له الفضل في الدنيا وفي الدين	مولاي يا خير أعلام السلاطين
وافت بأكرم تحسين وتحصين	ومن له سيرٌ ناهيك من سيرٍ
فوق النجوم التي فوق الأفق تُعلن	شرفتَ عبدك تشريفاً له رُتبٌ
وزاد في العز بعد الرتبة الدون	وكان لي موعدٌ مولاي أنجزه
ولو أتيتُ به حيناً على حين	والله ما الشكر مني قاضياً وطرى
ولو ملأتُ به كل الدواوين	ولا الثناء موفٍ حق أنعمه
كفا أفعاله الغر الميامين	لكن دُعائي وخبي قد رضىتهما
في خدمة لم يزل للخير تُدنين	وعند عبدك إخلاصٌ يواصله
رضى إمام له فضل يُرجين	وسوف أنصح كل النصيح مغتنما
ترضاه للملك من نصرٍ وتمكين	جوزيتَ غنى أمير المسلمين بما
ومن عم البلاد بتسكين وتهدين	وأنت أكرم من ساس الأنسام
الفخار لنا رحب الميادين	ومن كوشل أبي عبد الآله إذا أضحى
أهدى إليه مدحا بالسعد يحظين	محمد بن أبي الحجَّاج خيرة من
ودولة دولة المأمون تُنسين	وجه جميل وأفعال تناسبه
لازال في السعد والإسعاد ما سَجَعْتُ ورق الحمام على قضب البساتين ^(١)	

(١) هذا الشعر وارد في الإسكوريال . وساقط كله في الزيتونة .

محمد بن عبد الرحمن الكاتب

يكنى أبا عبد الله من أهل غرناطة . أصله من وادي آش

حاله

كان طالبا نبيها [كاتبا] ^(١) جليلا ، جيد الكتابة . كَتَبَ عن بعض أبناء الخليفة أبي يعقوب ، واختصَّ بالسيد أبي زيد بغرناطة ، وبشرق الأندلس ، وكان أثيراً عنده مكرماً . وكان رحمه الله شاعرا ، مطبوعا ، ذا معرفة جيدة بالعَدَد والمساحة ، ثم نَزَعَ عن الكتابة ، واشتغل بالعمل ، فراش فيه ، ووُئِيَ لإشراف بُنيات غرناطة . ثم وُئِيَ لإشراف غرناطة ، فكفَّ يده ، وظهرت نصيحته . ثم نُقِلَ إلى حضرة مرّاكش ، فوُئِيَ لإشرافها مدة ، ثم صُرف عنها إلى غرناطة ، وقُدِّمَ على النظر في المُستخلص إلى أن توفي .

مناقبه

أشهد لما قربت وفاته . أنه كان قد أخرج في صحته وجوازه ، أربعة «آلاف دُنير من صميم ماله لتتيمم القنطرة التي بنيت على وادي شنجيل ^(٢) بخارج غرناطة ^(٣) . وكان قبل ذلك قد بنى مسجد دار القضاء من ماله ، وتأنق في بنائه ، وأصلح مساجد عدة ، وفعل خيرا . نفعه الله .

(١) هذه الكلمة واردة في الزيتونة وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هو نهر شنيل الذي يخترق غرناطة من شرقها (enil أو Genil) . ويسمى أيضا في الجغرافية الأندلسية بنهر سنجيل أو شنجيل من اسمه اللاتيني .

(٣) وردت بعد هذه الكلمة في الزيتونة عبارة (وشرق الأندلس) فرائيا إسماعيليا لا . ليست مستقيمة مع السياق . ووجودها هنا حشو لا محل له .

شعره

من شعره ما كتب به إلى الشيخ أبي يحيى بن أبي عمران وزير الخلافة ،
وهو بحال شكاية أصابته :

شكوتُ فبأضنى المجدَ بَرُّحُ شِكَاتِهِ	وفارق وجه الشمس حسن آياته
وعادت بِعُديك الزَّمانُ زمانَةً	تعدَّتْ إلى عَوّاد وأَسَاته
وغيض ما للبشر لما تبسَّطت	يدٌ للسُّقْم في ساحات كافي كفاتهِ
فكيف بمقصُوصٍ وصلتَ جناحه	وأَذْهَمَ قد سَرَبَلَتَـهُ بشاتهِ
ومُمتَحَن لولاك أذعن خبرَةً	وهان على الأيام غَمَزُ قَناتهِ
أَمَعَلَقَ آمالي ومطمسَحَ همَّتي	وواهبُ نفسي في عِداد مِباتهِ
سأستقبل النعمى ببرك غُضَّة	ويضغُرُ ذنبُ الدهر في حَسَناتهِ
وتسطو عينُ الحق منك بمُرْهَفٍ	تُراع الخطوب الجُور من فَتِكَاتهِ
وتطلّع في أفق الخلافة نيراً	تُطالِعنا الأَقمار من قَسَماتهِ
حرامٌ على الشكوى اعتياد مطهر	حياةُ الدُّنا والدين طيَّ حِياتهِ
فما عَرَضْتُ في قصده بمَساءة	ولكن ترجَّتْ أن تُرى في عَفاتهِ ^(١)

مشيخته

قال الغافقي ، قرأ بمالقة على الأستاذ أبي زيد السهيلي رحمه الله .
وتوفي بغرناطة سنة سبع وستمائة ودفن بداره بجهة قنطرة القاضي منها
على ضفة الوادي .

(١) هذا الشعر وارد في الإسكوريال ، وسقط كله في الزيتونة .

محمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن الحسن بن عثمان

ابن محمد بن عبد الله بن سعيد بن عمار بن ياسر

أوليَّته

قد وقع التنبيه عليها ويقع بحول الله .

حاله

كان وزيراً جليلاً بعيد الصيت على الذكر رفيع الهمّة ، كثير الأمل^(١) .

نباهته

ذكره ابن صاحب الصلاة في تاريخه في الموحدين^(٢) ، فنبّه على مكانة محمد بن عبد الملك منهم في الرأى والحُظوة ، والأخذ عنه^(٣) في أمور الأندلس ، وأثنى عليه . وذكره أبو زيد السُّهيلي في شرح السيرة الكريمة ، حتى انتهى إلى حديث كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الموجه إلى هرقل ، وأن محمد بن عبد الملك عاينه عند أذفونش ، مكرماً ، مُفْتَحِراً به . والقضية مشهورة . وأما محلّه من أمداح الشعراء ، فهو الذي مدحه الأديب أبو عبد الله الرُّصافي بقوله :

أبدأ تفيض وخاطراً متوقّداً دعها تبتّ قَبَساً على عِلْمِ النَّدَا

وفيه يقول أبو عبد الله بن شرف من قصيدة :

(١) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الزيتونة (الأمال) .

(٢) ابن صاحب الصلاة هو عبد الملك بن محمد بن صاحب الصلاة الباجي المتوفى حول سنة ٦٠٥ هـ (١٢٠٨ م) وكتابه المشار إليه هو كتاب تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين . ونوجد منه قطعة كبيرة مخطوطة بالمكتبة البودلية بأكسفورد ، وقد قام بنشرها الأستاذ عبد الهادي النازكي بدمشق سنة ١٩٦٤)

(٣) وردت في الإسكوريال (معه) والتصويب من الزيتونة .

يارحمة الله للرجى ونقمة لكل باغٍ طغا عن خيرة الرسل
 لم تبق منهم كفورا دون مرقبة مطالعاً منك حتفا غير منفصل
 كما بُرائك لم تترك بأرضهم وحشاً يفر ولا طيراً بلا وجل
 وكان كثير الصيد ، ومرتد الغارات .

مناقبه في الدين

قالوا لما أنشده أبو عبد الله الرضائي في القصيدة التي مطلعها :
 لمحلك الترفيع والتعظيم ولوجهك التقديس والتكريم
 حلف ألا يسمعها ، وقال على جازتك ، لكن طباعى لا تحتمل مثل
 هذا ، فقال الرضائي ، ومن مثلك ، ومن يستحق ذلك في الوقت غيرك ،
 فقال له ، دعنى من خداعك أنا وما أعلمه عن نفسى .

شعره

أنشده صاحب « الطالع » ^(١) ، ولا يذكر له غيره : ^(٢)
 فلا تظهرن ما كان في الصدر كامناً ولا تركبن بالغيط في مركب وغر
 ولا تبحن في عذر من جاء تايباً فليس كريماً من يباحث في عذر
 وولى من الأعمال للموحدين كثيراً ، كمختص حضرة مراکش ، ودار
 السلاح ، وسلا ، وإشبيلية ، وغرناطة ، واتصلت ولايته على أعمال
 غرناطة ، وكان من شيوخها وأعيانها .

محنه

وعمل فيه عقد بأن بداره من أصناف الحلى ، مالا يكون إلا عند الملوك ،

(١) هو كتاب « الطالع السعيد في تاريخ بنى سعيد » لأبي الحسن على بن سعيد ، وقد سبقت الإشارة إليه غير مرة .

(٢) وردت في الإسكوريال (قوله) ، وهو تحريف ، والتصويب بن الزيتونة .

وأنه إذا ركب في صلاة الصبح ، من دار الرُّخام التي يجري الماء فيها ، في
 إثني عشر مكاناً ، شوشَّ الناس في الصلاة ، دوىُّ الجلاجل بالبُرْاة ،
 ومناداة الصيادين ، ونباح الكلاب ، فأمر المنصور بالقبض عليه ، وعلى
 ابن عمه صاحب أعمال إفريقية أبي الحسين ، في سنة ثلاث وسبعين
 وخمسمائة . ثم رضى عنهما ، وأمر محمد بن عبد الملك أن يكتب بخطه
 كلَّ ما أخذ له ، فصرفه عليه ، ولم ينقصه منه شيء ، وغرم ما فات له .
 ولد سنة أربع عشر وخمسمائة ، وتوفي بغرناطة سنة تسع وثمانين
 وخمسمائة .

محمد بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن الحسن
 ابن عثمان بن محمد بن عبد الله بن عمار بن ياسر العنسي
 يكنى أبا بكر ، وقلة تقدّم التعريف بأوليته .

حاله

قال في « الطالع » ساد في دولة الملثمين^(١) ، وولّوه بغرناطة الأعمال ،
 وكانت له دار الرُّخام المشهورة بإزاء الجامع الأعظم بغرناطة . قال الغافقي
 فيه : شيخ جليل ، فقيه نبيه من أهل قلعة يحْصِب^(٢) . كان في عداد
 الفقهاء ، ثم نزع إلى العمل ، وولّي إشراف غرناطة في إمارة أبي سعيد
 الميمون بن بدر اللمتوني . وقال صاحب « المُشهب » وحسب القلعة كَوْنُ
 هذا الفاضل الكامل منها ، وقد رقم بُرد مجده بالأدب ، ونال منه بالاجتهاد

(١) الملثمون أو أهل اللثام هم المرابطون .

(٢) قلعة يحصِب أو قلعة بني سعيد ، تقع شمال غرناطة ، وهي بلدة Alcala la Real

الحديثة وقد سبق التعريف بها (أنظر المجلد الأول من الإحاطة ص ١١١ حاشية) .

والشجيرة القابلة ، أعلى سبب ، وله من المكارم ما يُغيّر في وجه كعب
وحاتم ، لذلك ما قصدته الأدباء ، وتهافتت في مدحه الشعراء ، وفيه أقول :

وكان أبو بكر من الكُفّر عصمةً وردّ به الله الغُواة إلى الحق
وقام بأمر الله حافظاً أهـله بلين وسبّط في المسيرة والخلق
وهذا أبو بكر سليل ابن ياسر بغرناطة ناغاه في الرأى والصدق
فهذا لنا بالغرب يَجْنى معالمها تُباهى الذى أحيا الديانة بالشرق
وقد جرى من ذكره عند ذكر أبي بكر بن قُزّمان ، ويجرى عند ذكر
نزهون بنت القِلاعى ما فيه كفاية ، إذ كان مَفْتُوناً بها ، وبِحَمْدَةِ
وزَيْنَبِ بِنْتِ زِيَادِ الْمُؤَدِّبِ من أهل وادى آش ، وفيهما يقول :

ما بين زينب عمسرى أحت كَأْسِي وَحَمْدِهِ
وكل نظم ونثر وحكمة مُسْتَجِدَّة
وليس إلا عَفَافٌ يُبَلِّغُ المِرَّةَ قَصْدَهُ
ولذلك ما سعى به المخزومي الأعمى ، وقد سَهَا عن رَسْمِ تَفَقُّدِهِ ، فكَتَبَ
إلى عليّ بن يوسف في شأنه بما كان سبب عَزْلِهِ ونكبتِهِ :

إليك أمير المؤمنين نصيحة يجوز بها البحر المُجْعَجِعُ شاعر
بغرناطة ولّيت في الناس عاملاً ولكن بما تحويه منه المآزر
وأنت ما تخفى عليك خَفِيَّةٌ فسل أهلها فالأمر للناس ظاهر
وما لإلاه العرش تفنيه حَمْدُهُ وزينب والكأس الذى هو داير

شعره : من ذلك قوله :

يا هذه لا تروى خداع من ضاق ذُرْعُهُ
تبسكى وقسّد قَتَلْتِينِ كالسيف يقطر دَمْعُهُ

وقال عني الله عنه :

لقد صدعت قلبي حمامة أَيْكَة أثارت غراماً ما أجَلَّ وأُكرما
ورق نسيم الرِّيح من نحو أرضكم ولطفَ حتى كاد أن يتكلَّمَا

وقال في مذهب الفخر :

فخرنا بالحديث بعد القديم من معالٍ توارثت كالنجوم
نحن في الحرب أجبلُ راسيات ولنا في الندى لُطفُ النسيم
ولد في سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة ، وتوفي سنة تسع وثلاثين وخمسمائة .

ومن الطائرين في هذا الاسم من العمال

محمد بن أحمد بن المتأهل العبدي

من أهل وادي آش ، يكنى أبا عبد الله .

حاله

كان رجلاً شديد الأذمة ، أعين ، كث اللحية ، طرُفاً في الأمانة ، شديد الاسترابة بجليسه ، مُخِيناً لرفيقه ، سيء الظن بصديقه . قليل المداخلة ، كثير الانقباض ، مُختصر اللبس والمطعم ، عظيم المحافظة على النفير والقِطْمير ، مُستوعب للحضر والتقييد ، أسير محبي وعابد زمام ، وجَنِيب أمانة ، وحلُس سقيفة ، ورقيب مُشرف ، لا يقبل هuada . ولا يُلبس رِشوة ، كثير الالتفات ، متفقدٌ للآلة ، متمماً للعمل .

جرى ذكره في بعض الموضوعات الأدبية بسبب شعرٍ خامل نسب إليه بما نصه : رجل غليظ الحاشية . معدودٌ في جنس السَّائمة والماشية . تُلِيت على العمال به سُورة الغاشية ، ولم الأشغال السلطانية . فذِعرت الجُباة

لولايته ، وأيقنوا بقيام قيامتهم لطلوع آيته ، وقنطوا كل القنوط ، وقالوا جاءت الدابة تُكلمنا ، وهى إحدى الشروط ، من رجل صاييم الحسوة ، بعيد عن المصانعة والرشوة ، يتجنب الناس ، ويقول عند المخالطة لهم لا مَسَاس ، عهدى به فى الأعمال يَخْبِط وَيَتَبَّر ، وهو يَهْلَل وَيَكْبُر ، ويَحْسُن وَيَقْبِج ، وهو يسبح ، انتهى . قلت ، ووُلَّى الأشغال السلطانية ، فضم النثر ، وأوصد باب الحيلة ، وبث أسباب الضياع ، وترصد ليلا وأصيب بجراحة أخطائه ، ثم عاجلته الوفاة ، فنفس عن أقتاله المُخَنَّق .

شعره : قال يخاطب بعض أثراء الدولة قبل نهايته :

عمادى ملاذى مُؤبلى ومُؤملى ألا انعم بما ترضاه للمتأهل
وحقق بنيل القصد منك رجاءه على نحو ما يرضيك يا ذا التفضل
فأنت الذى فى العلم يُعرف قدره بخير زمان منه لازلت فيه تَعْتَل
فهْنيت يا مغنى الكمال برتبة تقِرُّ لكم بالسبق فى كل محفل
توفى عام ثلاثة وأربعين بغرناطة أو قبل ذلك بيسير ، وله خط حسن ، وممارسة فى الطلب ، وقد توسط المعترك .

محمد بن محمد بن محمد بن عبد الواحد البلوى

من أهل المرية ، يكنى أبا بكر .

أوليته

من كتاب « المؤتمن »^(١) قال : يُشهر بنسبه وأصل سلفه من جهة بيرة^(٢)

(١) سبق التعريف به (أنظر ص ١٩٥ من هذا المجلد) .

(٢) بيرة بلدة أندلسية تقع جنوب المصورة الواقعة على نهر المصورة ، شمال شرق المرية

إِما من بَجَّانَةَ^(١) ، وإِما من البريج^(٢) ، واستوعب سبب انتقالهم .

حاله

من « عايد الصلة » ، كان أحد الشيوخ من طبقتة ، وصدر الوزراء من نمطه ببلده ، سراوَّة وسماحةً ، ومبرَّةً^(٣) وأدباً ولودعية ودُعابة ، رافع راية الانطباع ، وحائز قصب^(٤) السبق في ميدان التخلُّق ، مبدول البر ، شايح المشاركة .

وقال في « المؤتمن » ، كان رجلاً عاقلاً ، عارفاً بأقوال الناس ، حافظاً لمراتبهم ، مُنزلاً لهم منازلهم ، ساعياً في حوائجهم ، لا يصدرون عنه إلا عن رضى بجميل مُداراته . التفت إلى نفسه ، فلم يَنس نصيبه من الدُّل ، ولا أغفل من كان يالقه في المنزل الخشن ، واصلاً لرحمه ، حاملاً لوطة من يَجفوه منهم ، في ماله حظٌ للمساكين ، وفي جاهه رِفْدٌ للمضطرين ، شيخاً ذكياً المُجالسة ، تَسْتَطِيب معاملته ، على يقين أنه يَخْفَى خلاف ما يُظهر ، من الرجال الذين يصلحون الدنيا ، ولا يعلّق بهم أهل الآخرة ، لعُروهِ عن النخوة والبَطَر ، رحمه الله . تكرّرت له الولاية بالديوان غير ما مرّة ، وورد على غرناطة ، وافداً ومادحاً ومُعزّياً .

مشيخته [وما صندرمه]^(٥)

قرأ على ابن عبد النور ، وتأدّب به ، وتلا على القاضي أبي علي بن أبي الأخوص أيام قضايه ببسطة ، ونظم رَجَزاً في الفرياض .

- (١) بجانه وبالإسبانية Pechina ، تقع غربي نهر أندرش وشمال غربي ثغر ألمرية . وقد سبق التعريف بها (المجلد الثاني من الإحاطة ص ١٦٢ حاشية) .
- (٢) بلدة من بلاد مقاطعة ألمرية تقع على مقربة من بجانه .
- (٣) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (مباراة) .
- (٤) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (قصبة) .
- (٥) الزيادة من الزيتونة .

شعره

قال الشيخ^(١) في «المؤمن» ، كانت له مشاركة في نظم الشعر الوَسَط ، وكان شِعْرُ تلك الحَلْبَةِ الآخِذَةِ عن ابن عبد النور ، كأنه مصوَّغٌ من شعر شيخهم المذكور ، ومحدِّثٌ عليه ، في ضعف المعاني ، ومِهْنَةُ الألفاظ . تنظُر إلى شعره ، وشعر عبد الله بن الصَّايغ ، وشعر ابن شُعبَة ، وابن رُشيد ، وابن عُبَيْد ، فتقول ذرِّيَّة بعضها من بعض .

فمن ذلك ما نظمه في ليلة سماع واجتماع بسبب قدوم أخيه أبي الحسن من الحجاز :

إلهي أجرتني إنني لك تائب	وإني من ذنبي إليك لهارب
عَصِيَّتْكَ جَهْلًا ثم جئتُك نادما	مقرًّا وقد سُدَّتْ عليَّ المذاهب
مضى زمن بي في البطالة لاهيا	شبابي قد وليَّ وعُمريَ ذاهب
فخذُ بيدي واقبل بفضلِكَ تَوْبَتِي	وحقُّ رجائي في الذي أنا راغب
أخاف على نفسي ذنوباً جَنِيْتُهَا	وحاشاك أن أشق وأنت المُحاسب
وإني لأُخَشِّي في القيامة موقفاً	ويوماً عظيماً أنت فيه المُطالب
وقد وُضِعَ الميزان بالقِسْطِ حاكما	وجاءَ شهيدٌ عند ذاك وكاتب
وطاشتْ عقول الخلق واشتدَّ خوفهم	وفرَّ عن الإنسان خلٌّ وصاحب
فما ثمَّ من يُرجى سواك تفضيلاً	وإن الذي يرجو سواك لبخايب
ومن ذا الذي يُعطى إذا أنت لم تجدْ	ومن هو ذو مَنعٍ إذا أنت واهب
عبيدُك يا مولاي يدعوك رغبة	وما زلتَ غفَّاراً لمن هو تائب

(١) يقصد بها هنا أبو البركات بن الحاح شيخ ابن الخطيب .

دعوتك مضطراً وعفوك واسع
فأنت المجازي لى وأنت المعاقب
فهب لى من رحمك ما قدر جوتته
وبالجود يا مولاي تُرجى المواهب
توسلت بالمختار من آل هاشم
ومن نحوه قصداً تُحثُّ الركائب
شفيعُ الورى يوم القيامة جاهه
ومنقذ من فى النار والحق واجب
ومما بلغ فيه أقصى مبالغ الإجادة ، قوله من قصيدة هنا فيها سلطاننا أبا
الحجاج بن نصر ، لما وفد هو وجملة أعيان البلاد أولها :

يُهنى الخلافة فتحت لك بابها فادخل على اسم الله يُمنّا غابها
منها وهو بديع ، استظرف يومئذ :

يا يوسفياً باسمه وبوجهه اصعد لمنبرها وضمن محرابها
فى الأرض مكّنك الإله كيوسف ولتملكن برّبها أربابها
بلغت بكم آرابها من بعد ما قالت لذلك نسوة ما رابها
كانت تُراود كُفوها حتى إذا ظفّرت بيوسف غلّقت أبوابها

[قلت ، ما ذكره المؤلف ابن الخطيب رحمه الله ، فى هذا المترجم
به ، من أنه ينظم الشعر الوسط ، ظهر خلافه ، إذا أثبت له هذه المقطوعة
الأخيرة . ولقد أبدع فيها وأتى بأقصى مبالغ الإجادة كما قال ، وحاز بها
نظماً أعلى مما وصفه به . وأما القصيدة الأولى فلا خفاء أنها سهلة المأخذ ،
قريبة المنزع ، بعيدة من الجزالة . ولعل ذلك كان مقصوداً من ناظمها
رحمه الله]^(١) .

توفى ببليده عن سن عالية فى شهر ربيع الآخر عام ثمانية وثلاثين
وسبعمائة .

(١) وردت هذه الفقرة ابى بن الحاضر بن فى مخطوط الإسكندرية فقط . ومن الواضح أنها
من تعليق الناسخ .

ورثاه شيخنا أبو بكر بن شبرين رحمه الله بقوله :

يا عين سحى بدمع واكف سرب لحامل الفضل والأخلاق والأدب
بكيت إذ ذكر الموق على رجل إلى بلى من الأحياء منتسب
على الفقيه أبي بكر تضمينه رمس وأعمل سيرا ثم لم يؤب
قد كان بي منه ود طاب مشرعه ما كان عن رغب كلاً ولا رهب
لكن ولا على الرحمن محتسبا في طاعة الله لم يمدق ولم يشب
فاليوم أصبح في الأجداث مرتهنا ما ضرت الريح أملودا من الغضب
إنا إلى الله من فقد الأحبة ما أشد لذعا لقلب الشاكل الوصب
من للفضائل يسديها ويلحمها من للعلی بین موروث ومكتسب
قل فيه أما تصف ركناً لمنتبذ روض لمنتجع أنس لم يقترب
باق على العهد لا تنبيه ثانية عن المكارم في ورد ولا قرب
سهل الخليفة بادی البشر منبسط يلقى الغريب بوجه الوالد الحذب
كم غير الدهر من حال فقلبيها وحال إخلاصه ممتدة الطنب
سامى المكانة معروف تقدمه وقدره في ذوى الأقدار والرتب
أكرم به من سجايا كان يحملها وكلها حسن تنبيك عن حسب
ما كان إلا من الناس الألى درجوا عقلا وحلما وجوداً هامى السحب بلقعة لكن محامده تبقى على الحقب
أمسى ضجيع الثرى في جنب وإنما صبرها من أعجب العجب
ليست صباية نفسى بعده عجباً لو غير منعه نادى الدمع لم يعجب
أجاب دمعى إذ نادى النعى به في كل يوم تناديه الردى اقترب
ما أغفل المرء عما قد أريد به يا ويح نفسى الأنفاس مضت هدرأ بين البطالة والتسوييف واللعب
ظننت أنى بالأيسام ذو هزء غلظت بل كانت الأيام تهزأ بي

أشكو إلى الله فقري من معاملة
 ما المال إلا من الله قوًى فأفلح
 أبا بكر الأَرْضَى نداءً أخٍ بك
 أهلاً بقدمتك الميمونُ ظاهرها
 نم في الكرامة فالأسباب وافرة
 لله الله والآجال قاطعة ما
 ومن فرايد آداب يُحسبها
 أما الحياة فقد مُلِيتَ مدتها
 لولا قواطعُ لي أشراكها نُصبت
 وقل ما شُفيت نفسٌ بزورة
 يا نُخبةً ضمها تُربُّ ولا عجب
 كيف السبيل إلى اللقيا وقد ضربوا
 عليك منى سلام الله يتبعه
 لله أنجو بها في مَوْقِفِ العَطَبِ
 من جاء القيامة ذا مالٍ وذائِبِ
 عليك مدى الأيام مُكْتَسِبِ
 على محل الرضى والسَّهْلِ والرحبِ
 وربما نِيلَتِ الحُسنى بلا سبب
 بيننا من خطابات ومن خُطَبِ
 فيودع الشَّهْبُ أَفلاكاً من الكُتُبِ
 فعوض الله منها خير مُنْقَلَبِ
 لَرُزْتُ قَبْرِكَ لا أشكو من النَّصَبِ
 من حِلِّ البَقِيعِ ولكن جُهدى أرب
 إن التراب قديماً مدفن النُّخَبِ
 بينى وبينك ما بقى من الحجبِ
 حسنُ الثَّنَا وما حيَّيت من كُتُبِ

محمد بن محمد بن شُعْبَةَ النِّسَّانِي

من أهل ألمرية ، يكنى أبا عبد الله .

حاله

قال شيخنا أبو البركات في الكتاب « المؤمن » ، من أهل ألمرية ووجوهها
 لا حظاً له في الأدب ، وبضاعته في الطلب مُزَجَاة . قطع عمره في الأشغال
 المخزنية ، وهو على ذلك حتى الآن . قلت هذا الرجل أحد فرسان الطريقة
 العمليّة . ماضٍ على لين ، متحرك في سكون ، كاسدٌ سوقَ المروعة ، ضانٌ
 بما يملك من جدّة ، مُنْحَطٌّ في هوة اللذة ، غير مُعْرِجٍ على رِيعِ الهمة ، لطيفٌ

التَّائِي ، مُتَنَزِّلٌ فِي الْمَعَامِلَةِ ، دَمِثُ الْأَخْلَاقِ ، مَلِيحُ الْعَمَلِ ، صَحِيحُ الْحِسَابِ ، مُنْجِبُ الْوَلَدِ .

مشيخته : قرأ على ابن عبد النور، والقدر الذي يُحس به عنه أخذه .
شعره : من شعره يخاطب أبا الحسن بن كُماشة :

وَأَقْبَلُ السَّعْدُ وَالتَّوْفِيقُ وَالْأَمَلُ	وَإِنِّي الْبَشِيرُ فَوَافِي الْأَنْسِ وَالْجَدَلِ
وَإِخْضَرَّتْ مِنْهَا الرُّبَى وَالسَّهْلُ وَالْجَبَلُ	وَرَأَيْتُ الْأَرْضَ حُسْنًا زَاهِرًا وَسَنَى
لَهُ شِعَاعُ كَضْوَى الشَّمْسِ مُتَّصِلُ	وَلَا حُجَّةَ عَلَى بَعْدِ ذَا فَعْدَا
أَحْشَاؤُنَا بِلَهَيْبِ الشَّوْقِ تَشْتَعِلُ	مَذْغَابُ أَظْلَمَتِ الدُّنْيَا لَنَا وَغَدَتْ
عَادَ الظُّلَامُ ضِيَاءً وَانْتَفَى الْخَبَلُ	وَحِينَ أَشْرَقَتِ الدُّنْيَا بِغَرَّتِهِ
مَهْمَى اعْتَرَّتْ شِدَّةٌ أَوْ ضَاقَتْ الْحِيلُ	إِيَّاهُ أَبَا حَسَنٍ أَنْتَ الرَّجَاءُ لَنَا
نَالَ الْمُنَى وَبَدَأَ عَيْشُ لَهُ خَصِلُ	وَأَنْتَ كَهْفٌ مَنِيعٌ مَنْ نَحَاكَ فَقَدْ
مَشِيدَةٌ قَدْ بَنَتْهَا السَّادَةُ الْأَوَّلُ	يَا سَيِّدًا قَدْ غَدَا فِي الْمَجْدِ ذَا رُتَبِ
بَاهَتْ بِهِمْ فِي قَدِيمِ الْأَعْصَرِ الدُّوَلُ	بَنُو كُماشَةَ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ شَهَرُوا
وَالْبَاذِلُونَ نَدَىً وَالنَّاسُ قَدْ بُخِلُ	السَّالِكُونَ هَدًى السَّابِقُونَ مَدًى
وَالسَّيِّدُ الْمُرْتَجَى وَالْفَارِسُ الْبَطْلُ	أَنْتَ الْأَخِيرُ زَمَانًا وَالْقَدِيمُ عُلا
أَضْحَى بِجُودِ يَدَيْكَ يُضْرَبُ الْمَثَلُ	إِنْ كُنْتَ جِئْتَ أَخِيرًا فَلَقَدْ
مَنْ رَامَ إِحْصَاءَهَا سُدَّتْ لَهُ السُّبُلُ	حُزْتُ الْمَآثِرُ لَا تُحْصَى لِكَثْرَتِهَا
وَأَنْتَ تَجْرُ النَّدَى وَالْوَابِلُ الْهَطْلُ	جُزْتُ الْبُدُورَ سَنَى وَالْفَرَاقِدِينَ عُلا
وَجْهٌ طَلِيقٌ وَلَفْظٌ كُلُّهُ عَسَلُ	مَنْ جَاءَ يَطْلُبُ مِنْكَ السَّلَامَ قَابِلَهُ
لَقَدْ تَرَفَّعَ فِي بُرْجٍ لَهُ زُحُلُ	وَمَنْ يَرُدُّ غَيْرَ ذَا تَبَا لَهُ وَرَدَى
وَعِشْتَ فِي عِزَّةٍ تَتَرَى وَتَتَّصِلُ	هَذَاكَ رَبِّكَ مَا أَوْلَاكَ مِنْ نَعَمِ
مَنْ ذُونَهَا رَفَعَةٌ فِي الْأَبْرُجِ الْحَمَلُ	وَلَا عَدِمْتَ مَدَى الْأَيَّامِ مَنَزَلَهُ

وَحَذَّهٗ بَعْدَ سَلَامَا عَاطِرًا أَرْجَا يَدُومُ مَا دَامَتِ الْأَسْحَارُ وَالْأَصْلُ
 مِنْ خَادِمٍ لِعِلَّاكُمْ مُخْلَصٍ لَكُمْ مِنْ حُبِّكُمْ لَا يُرَى مَا عَاشَ يَنْتَقِلُ
 تَقْبِيلُ كَفِّكَ أَعْلَى مَا يُؤْمَلُهُ فَجُدَّ بِهِ فَشِفَا الْمَهِيمِ الْقُبْلُ
 وَفَاتِهِ ، فِي أَوَّلِ عَامٍ أَرْبَعَةٍ وَسِتِّينَ وَسَبْعِمِائَةٍ .

محمد بن محمد بن العراقي

وادی آشی ، یکنی آبا عبد الله .

حاله

فاضل الأبوة ، معروف الصّون والعفة ، بادی الاستقامة ، دَمِثَ
 الأخلاق ، حسن الأدوات ، ينظّم وينشُر ، ويجيد الخطّ ، تولى أعمالاً نبیة ،
 ثم عَلِقَتْ بِهِ الحرفة ، فلَقِيَ ضَغْطًا ، وفقد نَشْبًا ، واضطر إلى التحول
 عن وطنه إلى برّ العُدوة عام ستة وخمسين وسبع مائة ، وتُعرف لهذا العهد
 أنه تولى الأشغال بقُسْطَينَةِ الهَوَاءِ^(١) من عمل إفريقية .

شعره

كتب إلى وقد أبى عملاً عُرض عليه :

أَصَمْتُ أَلْفًا ثُمَّ أَنْطَقَ بِالْخُلْفِ وَأَفْقِدُ أَلْفًا ثُمَّ آنَسُ بِالْجِلْفِ
 وَأُهْسِكُ دَهْرِي ثُمَّ أَنْطَقُ عُلْقَمًا وَيَمْحَقُ بَدْرِي ثُمَّ أُلْحِقُ بِالْخُسْفِ
 وَعَزُّكُمْ لَا كُنْتُ بِالذَّلِّ عَامِلًا وَلَوْ أَنَّ ضَعْفَى يَنْتَسِي إِلَى حَتْفِ
 فَإِنْ تَعْمَلُونِي فِي تَصَرُّفٍ عَزَّةٍ وَعَسْدِلْ وَإِلَّا فَاحْسِدُوا عَلَّةَ الصَّرْفِ
 بَقِيْتُ وَسُحُبُ الْعَطْفِ مِنْكُمْ تُظَلِّلُنِي وَعَطْفُ ثَنَائِي دَائِمًا ثَانِي الْعَطْفِ

(١) هكذا كانت تسمى مدينة قسطنطينة (معهم البلدان - مصر - ج ٧ ص ٨٩) . وهي اليوم من مدن الجزائر الزاهرة .

محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن
عبد الله بن فرتون الأنصاري

من أهل مالقة ، يكنى أبا القاسم ويعرف بالهنا
أوليتته

يُنسب إلى القاضي بَطْلَيْوُس ، قاضي القضاة رحمه الله . وبمالقة
دورٌ تنسب إلى سَلَفِهِ تدل على نباهة ، وقد قيل غير ذلك . والنص الجلي
أولى من القياس .

حاله

من « عايد الصلة » : الشيخ الحاج المحدث صاحب الأشغال بالدار
السلطانية . صَدُرَ نَمَطُهُ ، وفريدُ فنّه ، رجولةٌ وجزالةٌ واضطلاعاً وإدراكاً
وتجلداً وصبراً . نشأ بمالقة ، معدوداً في أهل الطّلب والخصُوصيّة ، ورحل
إلى الحجاز الشّريف في فتايه ^(١) ، فاستكثر من الرواية ، وأخذ عن أكابر
من أهل المشرق والمغرب ، حسبما يشهد بذلك برنامجه .

وكان على سُنن من السُّرو ^(٢) والحشمة ، فذاً في الكفاية ، جريئاً مقداماً
مَهيباً ، ظريف الشّارة ، فارِه المَرَكَب . مليح الشّيبَة ، حسن الحديث ،
وقاد الذهن ، صابراً على الوظائف ، يخلط الخوض في الأمور الدنيوية ،
بعبادة باهظة ، وأوراد ثقيلة ، ويجمع ضحك الفاتك ، وبكاء الناسك ،
في حالة واحدة ، هساً . مفرط الجِدّة . يَشْرُدُ عليه مَجْلُ ^(٣) لسانه في

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (سابقه) والله دى واحد .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (السابق) والأولى أرجح وأنسب للسلف .

(٣) هكذا رردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (مجد) والأولى أرجح .

ونُخِذَهُ بَعْدَ سَلَامَا عَاطِرًا أَرْجَا يَدُومُ مَا دَامَتِ الْأَسْحَارُ وَالْأَصْلُ
 مِنْ خَادِمٍ لِعِلَّاكُمْ مَخْلَصٍ لَكُمْ مِنْ حُبِّكُمْ لَا يُرَى مَا عَاشَ يَنْتَقِلُ
 تَقْبِيلُ كَفِّكَ أَعْلَى مَا يُؤْمَلُهُ فَجُدْ بِهِ فَشِفَا الْمَسَايِمِ الْقَبْلُ
 وفاته ، في أول عام أربعة وستين وسبعماية .

محمد بن محمد بن العراقي

وادی آشی ، یکنی آبا عبد الله .

حاله

فاضل الأبوة ، معروف الصّون والعفة ، بادی الاستقامة ، دَمِثَ
 الأخلاق ، حسن الأدوات ، ينظّم وينشُر ، ويجيد الخطّ ، تولى أعمالاً نبیة ،
 ثم عَلِقَتْ بِهِ الحرفة ، فلقى ضغطاً ، وفقد نشباً ، واضطر إلى التحول
 عن وطنه إلى بَرِّ العُدوة عام ستة وخمسين وسبع مائة ، وتعرّف لهذا العهد
 أنه تولى الأشغال بقُسْنطينة الهواء^(١) من عمل إفريقية .

شعره

كتب إلى وقد أبي عملاً عُرض عليه :

أَصَمْتُ أَلْفًا ثُمَّ أَنْطَقَ بِالْخُلْفِ وَأَفْقِدُ أَلْفًا ثُمَّ آتُسُ بِالْجِلْفِ
 وَأُمْسِكُ دَهْرِي ثُمَّ أَنْطَقُ عَلَقْدًا وَيَمْحَقُ بَدْرِي ثُمَّ أُلْحَقُ بِالْخُسْفِ
 وَعَزُّكُمْ لَا كُنْتُ بِالذَّلِّ عَامِلًا وَلَوْ أَنَّ ضَعْفِي يَنْتَمِي إِلَى حَتْفِ
 فَإِنْ تُعْدِلُونِي فِي تَصَرُّفِ عَزَّةٍ وَعَدْلٍ وَإِلَّا فَاحْسِدُوا عَلَّةَ الصَّرْفِ
 بَقِيَتْ وَسُحِبَ الْعَطْفُ مِنْكُمْ تُظَلُّنِي وَعَطْفُ ثَنَائِي دَائِمًا ثَانِي الْعَطْفِ

(١) هكذا كانت تسمى مدينة قسطنطينة (معجم البلدان - مصر ج ٧ ص ٨٩) . وهي اليوم من مدن الجزائر الزاهرة .

محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن
عبد الله بن قُرتون الأنصاري

من أهل مالقة ، يكنى أبا القاسم ويعرف بالهنا

أوليتسه

يُنسب إلى القاضي ببطليوس : قاضي القضاة رحمه الله . وبمالقة
دورٌ تنسب إلى سلفه تدل على نباهة ، وقد قيل غمر ذلك . والنص الجلي
أولى من القياس .

حاله

من « عايد الصلة » : الشيخ الحاج المحدث صاحب الأشغال بالدار
السلطانية . صَدْرُ نَمَطه ، وفريدُ فنّه ، رجولةٌ وجزالةٌ واضطلاعا وإدراكا
وتجلداً وصبراً . نشأ بمالقة ، معدوداً في أهل الطلب والخصوصية ، ورحل
إلى الحجاز الشريف في فتايه^(١) ، فاستكثر من الرواية ، وأخذ عن أكابر
من أهل المشرق والمغرب ، حسبما يشهد بذلك برنامجه .

وكان على سُنن من السُّرور^(٢) والحشدة ، فذاً في الكفاية ، جرياً مقداماً
مهيّباً ، ظريف الشارة ، فارِه المَرَكَب ، مليح الشَّيْبَة ، حسن الحديث ،
وقاد الذهن ، صابراً على الوظائف ، يَخْلُط الخوض في الأمور الدنيوية ،
بعبادةٍ باهظة ، وأورادٍ ثقيلة ، ويجمع ضحك الفاتك ، وبُكاء النَّاسِك ،
في حالة واحدة ، هُشاً . مفرط الحِدَّة ، يَشْرُد عليه مَجْلُ^(٣) لسانه في

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (سابه) والله دى واحد .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (المسبر) والاول ارجح وأنسب للدين .

(٣) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (مجد) والاول ارجح .

المجالس السلطانية بما تعرفه المندمة بسببه . قاوما على حفظ القرآن وتجويده وتلاوته . ذا خصال حميدة . صنَّاع اليد ، مقتدرا على العمليات من نسخ ومقابلة وحساب . معدودا من صدور الوقت وأعلام القطر ، ورجال الكمال .

مشيخته

أخذ عن الجلَّة من أهل بلده كالأستاذ أبي محمد بن أبي السَّداد الباهلي ، لازمه وانتفع به ، والخطيب أبي عثمان بن عيسى أخذ عنه ^(١) ، والولي أبي عبد الله الطَّنْجالي ، وغيرهم مما يطول ذكرهم من العُدوة والأندلس والمشاركة .

محتفه

لقى نصِّباً في الخدمة السلطانية ، وغَضاً من الدهر لبَّأوه ، بتعنته وعدم مبالاته مرات ، ضيق لها سجنه ، وعُرض عليه النُّكال ، ونيل منه بالإهانة كلِّ منال ، وأغرم مالا أجحف بمُحتَجِنه ، وعُرض للأيدى نفايس كُتبه ، وعلى ذلك فلم يدعُ سرُّه ، ولا أضعفتُ النكهة جاشه .
ولد عام ثلاثة وسبعين وستماية . ومات ميتة حسنة . صلى الجمعة ظهرا ، وقد لزم الفراش . ونفث دم الطاعون . ومات مُستقبل القبلة . على أتم وجوه التأهب ، سابع شوال من عام خمسین وسبعماية .

محمد بن عبد الله بن محمد بن مقاتل

من أهل مالقة . يكنى أبا القاسم . أزدى النسب ، إشبيلي الأصل . من بيت نزاهة ونباهة .

(١) ورد بهذا الاسم في مخطوط الربوة . م . بى (ومن أهل السر جاز الله بن الدين ، وأبو محمد عبد الله بن عبد المؤمن القرشي الدلاصى ، قرأ عليه القرآن بالحرم الشريف) .

حاله

كان فاضلاً وقوراً سَمَحاً ، مليح الدُّعابة ، عذبُ الفكاهة . حُلُو النادرة ، يَكْتُبُ ويُشعر . طِرْفاً في الانطباع واللَّوْذِيعَة . آيَة في خلط الجدِّ بالهزل . وُلِّي الإشراف بمدينة مالقة ، وتقلَّب في الشهادة المَخْزَنيَّة عُمره .

شعره

من شعره يخاطب ذا الوزارتين أبا عبد الله بن الحكيم رحمه الله :
 فَوَادَى مِنْ خَطْبِ الزَّمَانِ سَقِيمٍ وَفِيهِ لِسَهُمُ الْحَادِثَاتِ كُلُّومٍ
 وَلَمْ أَشْكُ دَائِي فِي الْبَرِيَّةِ لَأَمْرِي أَأَشْكُو بِهِ وَابْنُ الْحَكِيمِ حَكِيمُ
 توفى بمالقة يوم الخميس عاشر شهر رمضان من عام تسعة وثلاثين
 وسبعمائة .

محمد بن علي بن عبد ربه التجيبي

من أهل مالقة ، يكنى أبا عمرو

حاله

كان راوية ثقة ، بارع الأدب ، بليغ الكتابة . طيب النفس ، كامل المروءة ، حسن الخلق . جميل العشرة ، تلبس بالأعمال السلطانية دهرا ، ووُلِّي إشراف غرناطة وغيرها ، إلى أن قَعَدَ لشكاية منعه من القيام والتَّصَرُّفِ فعَكَفَ على النَّظَرِ ، فانتفع به .

مشيخته

كانت له رَحْلَةٌ سَمِعَ فِيهَا بِالْأَسْكَندَرِيَّةِ عَلِيَّ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَنْصُورٍ وغيره ، وروى عنه الأخوان سالم وعبد الرحمن ابنا صالح بن سالم .

تواليفه

له اختصار حسن في « أغاني الإصبهاني » ، وردَّ جيّد على ابن غرسية في رسالته الشعبيّة^(١) لم يَقْصُر فيها عن إجادة .
وتوفى لسبع خلون من محرم من عام اثنين وثمانية .

الزهاد والصلحاء والصوفية والفقراء وأولا الأصيلون

محمد بن إبراهيم بن محمد بن محمد الأنصاري
من أهل غرناطة ، يكنى أبا عبد الله ويعرف بالصنّاع .

حاله

من « عايد الصلة » : الشيخ الصوفي ، الكثير الأتباع ، الفدّ الطريقة المُجَبِّب إلى أهل الثغور من البادية . كان رحمه الله شيخاً حسن السمّت ، كثير الذّكر والمداومة ، يقود من المُخْشَوْشِينَ عددَ ربيعة ومضر ، يعمل الرّحلة إلى حُصُونِهِمْ ، فيتألّفون عليه ، تألّف النّحل على أمراها ويعاسيبيها ، مُعلنين بالذّكر ، مهرولين ، يغشون مثواه ، بأقواتهم على حالها ، ويتناغون

(١) ابن غرسية ، هو أبو عامر بن أحمد ، وهو مولد أندلسي من كتاب شرق الأندلس ، وقد نشأ بدانية في كنف محاهد العامري صاحب مملكة دانية والجزائر (٤٠٠ - ٤٣٦ هـ) ، واشتهر برسالته في «تفصيل العجم على العرب» التي وجهها إلى ابن الخداد الشاعر ببلاط الممتصم بن صمدح أمير المرية . وهذه الرسالة نفّيس تحاملا ضد الجنس العربي ، وتبالغ في تعداد نفاثته ومثالبه ، وتشيد بالعكس بصفات العجم (أى الروم أو النصارى) . وقد كان لرسالة ابن غرسية وقع عميق في سائر الأوساط الفكرية والأدبية في عصره وبعد عصره ، ورد عليه كثيرون من المفكرين والأدباء في رسائل عنيفة يسفّهون فيها آراءه واتهاماته للجنس العربي (راجع كتابي دول الطوائف - الطبعة الثانية ص ٢٠٤ - ٢٠٨ - ونفس رسالة ابن غرسية في نفس الكتاب (ص ٤٥٥ - ٤٥٩) .

في التماس القرب منه ، ويباشرون العمل في فِلاحة كانت له بما يعود عليه بوفر وإعانة . وكان من الصالحين ، وعلى سُنن الخيار الفضلاء من المسلمين ، وله حظٌ من الطَّلَب ومشاركة ، يقوم على ما يحتاج إليه من وظائف دينيه ، ويتكلم في طريق المتصوفة على مذهب أبي عبد الله السَّاحلي شيخه ، كلاماً جهورياً ، قريب الغمر^(١) . وكان له طمع في صناعة الكيمياء نهافت على دفاتيرها ، وأهل مُنتحليها ، ليستعين بها بزعمه على آماله الخيرية ، فلم يَحُلْ بطايل .

مشيخته

قرأ على أستاذ الجماعة أبي جعفر بن الزبير ، وكانت له في حاله فِراسة . حدَّثني بذلك شيخنا أبو عبد الله بن عبد الولي رحمه الله . وسلك على الشيخ الصالح أبي عبد الله السَّاحلي .

وتوفي ليلة الاثنين السابع من شهر شوال عام تسعة وأربعين وسبعماية ، وكانت جنازته آخذة في الاحتفال ، قَدِم لها العهد ، ونَفَرَ لها الناس من كل أوب ، وجيء بسريره ، تلوح عليه العناية ، وتحفُّه الأتباع المقتاتون من حِلِّ أموالهم وأيديهم من شيوخ البادية ، فتولوا مواراته ، تعلو الأصوات حوله ، ببعض أذكاره .

محمد بن أحمد الأنصاري

من أهل غرناطة ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بالمواق .

(١) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (القصر) .

لازم أبو العباس أبا الحسن الشاذلي^(١) . قال : ولقيه بعد هذا الشيخ أبي عبد الله جماعات في أقطار شتى ، ينتسبون إليه ، ويجرون من ملازمته الأذكار في أوقات معينة على طريقته ، وله رسائل منه إليهم طوال وقصار ، يوصيهم فيها بمكارم الأخلاق ، وملازمة الوظائف ، وخرج عنه إليهم على طريقة التدوين ، كتاب سماه « بالأنوار في المخاطبات والأسرار » مضمّن جملة من كلام شيخهم تاج الدين ، وكلام أبي الحسن الشاذلي ، ومخاطبات خوطب بها في سرّه ، وكلام صاحبه أبي بكر الرندي ، وحقايق الطريق ، وبعض كرامات غير من ذكر من الأولياء ، وذكر الموت ، وبعض فضائل القرآن .

مشيخته

قرأ على الأستاذ أبي الحسن البلوطي وأجازه ، وعلى أبي الحسن بن فضيلة وأجازه كذلك ، وعلى أبي جعفر بن الزبير وأجازه ، ثم رحل فحجّ ودخل الشام ، وعاش مدة من حراسة البساتين ، واعتنى بلقاء المعروفين بالزهد والعبادة ، وكان ملياً بأخبار من لقي منهم ، فمنهم الشيخ أبو الفضل تاج الدين بن عطاء الله ، وصاحبه أبو بكر بن محمد الرندي ،

مناقبه

قال ، دخلت معه إلى من خفّ على قلبي الوُصول إلى منزله لما قدم المريّة . وهو رجل يعرف بالحاج رحيب . كان من أهل العافية ، ورقت حاله ، ولم يكن ذلك يظهر عليه . لمحافظته على ستر ذلك لعلو همته ، ولم يكن أيضا أثر ذلك يظهر على منزله . بل أثاث العافية باق فيه من

(١) ما بين الخاصرتين وارد في الإسكوريال ، وساقط في الزيتونة .

فَرَّشَ وماعون . فساعة وصول هذا الشيخ ، قال الله يُجْبِرُ حالك ، فحسبْتُها
فِرَاسَة من هذا الشيخ . قال ، وخاطبته عند لقائي إياه بهذه الأبيات :

أشكو إليك بقلبٍ لست أملكه ما لم يُرد من سبيل فهو يسلكه
له تعاقبُ أهواءٍ فيقلقه هذا ويأخذه هذا ويتسرکه
طوراً يؤمنه طوراً يُخوفه طوراً يُيقننه طوراً يُشكکه
حيناً يوحشه حيناً يونسه حيناً يسكنه حيناً يحرکه
عسى الذى يمسك السبع الطِّباق على يدك يا مُطلع الأنوار يمسه
فيه سقامٌ من الدنيا وزُخرفها مهمى أبيضه بالذكر تُشرکه
عسى الذى شأنه السَّتر^(١) الجميل كما غطى عليه زماناً ليس يهتكه
فلما قرأ منها ، فيه سقامٌ من الدنيا وزخرفها ، قال هذه عِلَّتِي .

مولده : سأله عنه ، فقال لي عام ثمانية وستين بقرية الجيظ من قرى الإقليم
وفاته : بقرية قنجة^(٢) خطيباً بها ، يوم الإثنين عشرين من شهر
شعبان المكرم عام خمسين وسبع مائة ، في الوباء العام ، ودفن بقرية قنجة ،
رحمة الله عليه ورضوانه .

محمد بن أحمد بن حسين بن يحيى بن الحسين بن محمد بن أحمد
ابن صفوان القيسى

وبيته شهير بمالقة يكنى أبا الطاهر . ويعرف بابن صفوان .

(١) هذه الكلمة واردة في الزيتونة وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال ، ووردت في الزيتونة (قرتجة) والأولى أرحح نظراً
لما تقدم من أن المترجم له يشهر (بالقونجي) .

حاله

كان مفتوحاً عليه في طريق القوم ، مُلْهِماً لرموزهم ، مصنوعاً له في ذلك ، مع المحافظة على السُّنة ، والعمل بها ، آخر الرِّعيل ، وكوكب السَّحر ، وفذلِكَ الحساب ببلده ، اقتداءً وتخلُّقاً وخشوعاً وصلاحاً وعبادة ونصحاً . رَحَلَ فَحَجَّ ، وَقَفَلَ إِلَى بِلْدِهِ ، مُؤَثِّراً الْاِقْتِصَارَ عَلَى مَا لَدَيْهِ ، فَإِذَا تَكَلَّمَ فِي شَيْءٍ مِنْ تِلْكَ النَّحْلَةِ ، يَأْتِي بِالْعَجَائِبِ ، وَيُنْفِئُ كُلَّ غَامِضٍ مِنَ الْإِشَارَاتِ . وَغُنِيَ بِالْجُزْءِ الْمُنْسُوبِ إِلَى شَيْخِ الْإِسْلَامِ أَبِي إِسْمَاعِيلِ الرُّوبِيِّ الْمُسَمَّى « بِنَازِلِ السَّارَى إِلَى اللَّهِ » فَقَامَ عَلَى تَدْرِيسِهِ ، وَاضْطَّلَعَ بِأَعْيَانِهِ ، وَقَيَّدَ عَلَيْهِ مَا لَا يَدْرِكُهُ إِلَّا أَوْلُوا الْعَنَانَةَ ، وَلَازَمَهُ الْجُمْلَةُ مِنْ أَوْلَى الْفَضْلِ وَالصَّلَاحِ ، فَانْتَفَعُوا بِهِ ، وَكَانُوا فِي النَّاسِ قُدُوةً . وَوُلِيَ الْخُطَابَةَ بِالْمَسْجِدِ الْجَامِعِ مِنَ الرَّبَضِ الشَّرْقِيِّ ، وَبِهِ كَانَ يَقْعُدُ ، فَيَقْصِدُهُ النَّاسُ ، وَيَتَبَرَّكُونَ بِهِ ، وَكَانَ لَهُ مِشَارَكَةٌ فِي الْفَقْهِ ، وَقِيَامٌ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ .

تواليافه

أَلَفَ بِإِشَارَةِ السُّلْطَانِ عَلَى عَهْدِهِ ، أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ أَبِي الْحِجَّاجِ رَحِمَهُ اللَّهُ ، كِتَابًا فِي التَّصَوُّفِ وَالْكَلَامِ عَلَى اصْطِلَاحِ الْقَوْمِ ، كَتَبَ عَلَيْهِ شَيْخُنَا أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْحَيَّابِ بِظَهْرِهِ ، لَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِ ، هَذِهِ الْأَبْيَاتُ :

أَيَّامَ مَوْلَايَ الْخَلِيفَةِ يَوْسُفَ	جَاءَتْ بِهَذَا الْعَالَمِ الْمُتَصَوِّفِ
فَكَفَى بِنَا أَسَدَى مِنَ الْحِكْمِ الَّتِي	أَبْدَيْنَ مِنْ سُرِّ الطَّرِيقَةِ مَا خِيفَ
وَحَقَائِقُ رُفَعِ الْحِجَابِ بَيْنَ عَيْنِ	نُورِ الْجَمَالِ فَلَاحَ غَيْرَ مُكَيِّفٍ ^(١)
كَالْشَّمْسِ لَا كُنْ هَذِهِ أَبَدَى سَنًا	لِلْخُسْنِ وَالْمَعْنَى لَعَيْنِ الْمُنْصِفِ

(١) هَذِهِ الْأَبْيَاتُ الثَّلَاثَةُ فَقَطْ هِيَ الَّتِي وَرَدَتْ فِي الزَيْتُونَةِ مِنْ قَصِيدَةِ ابْنِ الْحَيَّابِ .

فيه حياةٌ قلوبنا ودواؤها فمن استغاث بجرعة منها شفي
 إن ابن صفوان إمام هداية صافي فصوفي فهو صوفي صاف
 وإن اختبرت فإنه صفو ابن صفو ظاهر في طيبه صفو خفي
 علم توارثه وحال قد خلت ذوقاً فنعم المقتدى والمقتسف
 فليهنلي المولى سُعود إياله فيها سراج نوره لا ينطفئ
 جلي وجوه شريعة وحقيقة صبحاً سناه باهر لا يخف
 لازلت تسلك كل نهج واضح منها وتحبي كل سعي مُزلف
 ومن تواليفه « جرُّ الحر » في التوحيد ، وعلق على الجزء المنسوب لأبي
 إسماعيل الهروي .

من أخذ عنه

أخذ عنه ببلده ، وتبرك به ، جلّة ، وكان يحضر مجلسه عالمٌ ، منهم
 شيخ الشيوخ الأعلام ، أبو القاسم الكسكلان ، وأبو الحسين الكوآب ،
 والأستاذ الصالح أبو عبد الله القطان ، وصهره الأستاذ أبو عبد الله بن قرال
 والعائد الناسك أبو الحسين الأحمر وغيرهم .

شعره

رأيت من الشعر المنسوب إليه ، وقد رواه عنه جماعة من أصحابنا ،
 يُذيل قول أبي زيد رضي الله عنه :
 رأيتك تُدنيني إليك تُباعدي فأبعدت نفسي [الابتغاء التقرب] (١)
 فقال :

هويت بدمي إليه فلم يكن بي البعد في بعدى فصَحَّ به قرب

(١) وردت في الإسكوريال (لابنغاي في القرب) وهو تحريف . والتصويب من الرينونة

فَكَانَ بِهِ سَمْعِي كَمَا بَصَرِي بِهِ وَكَانَ بِهِ لَأَيُّ لِسَانِي مَعَ الْقَلْبِ
فَقُرْبِي بِهِ قَرَبٌ بَغِيرُ تَبَاعَدِ وَقُرْبِي فِي بُعْدِي فَلَا شَيْءَ مِنْ قُرْبِ

وفاته

سافر من بلده إلى غرناطة في بعض وجهاته إليها ، وذهب سَحَرًا يرتاد ماءً لوضوئه . فتردى في حفرة تردباً أوهن قواه ، وذلك بخارج بَلْش ، فرُدَّ إلى مالقة ، فكانت بها وفاته قبل الفجر من ليلة يوم الجمعة الرابع عشر لشعبان عام تسعة وأربعين وسبعماية .

محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصاري

يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بالساحلي .

حاله

من « عايد الصلة » : المثل السائر في عُمران أوقاته كلها بالعبادة ، وصبره على المُجاهدة . قطع عمره في التَّبَتُّلِ والتَّهَجُّدِ لا يفتُر لسانه عن ذكر الله ، والصلاة على نبيه ، صلى الله عليه وسلم . خرج عن مَتْرُوكِ والده ، واقتصر على التَّمَعُّشِ من حِرْفَةِ الخياطة . ثم تعدّاها إلى النسخ والتَّعْلِيمِ : وسلك على الشيخ أبي القاسم المُرِيد ، نفع الله به ، حتى ظهرت عليه سِيا العِصَالِحِينَ ، وأقام عمره مُستوعباً ضروب الخير : وأنواع القُرب من صوم وأذان وذكر ، ونسخ وقراءة ، وملازمة خَلْوَةٍ . ذا حظٍّ من الفصاحة . وجُرْأَةٍ على الوعظ ، في صوت جَهِير ، وعَارِضَةٍ صَلِيبَةٍ . اقتدى به طوائف من أصناف الناس على تباعد الدُّيَارِ ، وألزمهم الأَذْكَار . وحوَّلهم للسلوك ، فأصبح كثير الأتباع ، بعيد الصُّمَيْت . ووُلَّى الخطابة بالمسجد الجامع من

بلده ، ونُقل إلى الخطابة . بجامع غرناطة في نبوةٍ عرضت له بسبب ذُنَابِيْ
ذُرِّيَّة طَرَقُوا الْكَدْرَ إِلَى سِرْبِهِ ^(١) ، ثم عاد إلى بلده متيناً ظَهَرَ الْحُطُوة ،
وثيق أساس المَبَرَّة .

مشيخته

قرأ ببِلده مَالِقَةَ على الخطيب أبي محمد بن عبد العظيم بن الشيخ ،
وأبي عبد الله بن نُب ، وأبي جعفر الحرَّار ، وأبي عبد الله بن الحُلُو ،
والخطيب أبي عبد الله بن الأَعْوَر .

محنته

ابتلى بعد السبعين من عمره بفَقْد بصره ، فظهر منه من الصبر والشكر
والرِّضاء بقضاء الله ، ما يظهر من مثله . وأخبرني بعض أصحابه أنه كان
يقول ، سألت الله أن يكفَّ بصرى خوفاً من الفِتنة . وفي هذا الخبر نظرٌ
لمكان المعارضة في أمره صلى الله عليه وسلم بسؤال العافية ، والإمتاع
بالإسراع والإبصار .

شهرته

وجعل الله له في قلوب كثير من الخلق ، الملوك قَمَنٌ دونهم ، من تعظيمه
ما لا شيءٌ فوقه ، حتى أن الشيخ المُعَمَّر الحَجَّةَ الرَّحْلَةَ أبا على ناصر الدين
الرَّشْدَ إلى كتب إليه من بِجَاية بما نصه : يا أيها العزيز مسناً وأهلنا الضُّر ،
وجينا ببِضَاعَةِ مُزْجَاة ، فَاؤْفِرْ لَنَا الْكَيْلَ ، وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ، إِنْ اللَّهُ يَجْزِي
الْمُتَصَدِّقِينَ . وبعده : من الْعَبْدِ الْأَصْغَرِ وَالْمُحِبِّ الْأَكْبَرِ فلان ، إلى سيِّد
العارفين ، وإمام المحققين ، في ألفاظ تناسب هذا المعنى .

حدَّثني شيخنا أبو الحسن بن الجيَّاب ، وكان من أعلام تلاميذه ،

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (شرفه) والأول أرجح وأنسب للسياق .

فَكَانَ بِهِ سَمْعِي كَمَا بَصَرِي بِهِ وَكَانَ بِهِ لَأَيُّ لِسَانِي مَعَ الْقَلْبِ
فَقُرْبِي بِهِ قَرَبٌ بَغِيرُ تَبَاعَدِ وَقُرْبِي فِي بُعْدِي فَلَا شَيْءَ مِنْ قُرْبِ

وفاته

سافر من بلده إلى غرناطة في بعض وجهاته إليها ، وذهب سَحَرًا يرتاد ماءً لوضوئه . فتردى في حفرة تردباً أوهن قواه ، وذلك بخارج بَلَشْ ، فرُدَّ إلى مالقة ، فكانت بها وفاته قبل الفجر من ليلة يوم الجمعة الرابع عشر لشعبان عام تسعة وأربعين وسبعمائة .

محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصاري

يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بالساحلي .

حاله

من « عايد الصلة » : المثل السائر في عُمران أوقاته كلها بالعبادة ، وصبره على المُجاهدة . قطع عمره في التَّبَتُّلِ والتَّهَجُّدِ لا يفتُر لسانه عن ذكر الله ، والصلاة على نبيه ، صلى الله عليه وسلم . خرج عن مَتْرُوكِ والده ، واقتصر على التَّمَعُّشِ من حِرْفَةِ الخياطة . ثم تعدّاها إلى النِّسْخِ والتَّعْلِيمِ . وسالك على الشيخ أبي القاسم المُرِيد : نفع الله به ، حتى ظهرت عليه سِيَا الصَّالِحِينَ ، وأقام عمره مُسْتَوْعِباً ضروب الخير : وأنواع القُربِ من صوم وأذان وذكر ، ونسخ وقراءة ، وملازمة خُلُوة . ذا حظٍّ من الفصاحة . وجُرْأة على الوعظ ، في صوت جَهِير ، وعَارِضَةٍ صَلِيبَةٍ . اقتدى به طوائفُ من أصناف الناس على تباعد الديار : وألزمهم الأذكار . وحولهم للسلوك ، فأصبح كثير الأتباع ، بعيد الصَّيت . ووُلِّيَ الخطابة بالمسجد الجامع من

بلده ، ونُقل إلى الخطابة . بجامع غرناطة في نَبْوَةٍ عرضت له بسبب دُنَايَى ذَرِيَّة طَرَقُوا الكَدْرَ إلى سِرْبِهِ^(١) ، ثم عاد إلى بلده متيناً ظَهَرَ الحُطُوة ، وثيق أساس المَبَرَّة .

مشيخته

قرأ ببلده مَالِقَةَ على الخطيب أبي محمد بن عبد العظيم بن الشيخ ، وأبي عبد الله بن نُب ، وأبي جعفر الحرَّار ، وأبي عبد الله بن الحُلُو ، والخطيب أبي عبد الله بن الأعْوَر .

محتنه

ابتلى بعد السبعين من عمره بفَقْدِ بصره ، فظهر منه من الصبر والشكر والرضاء بقضاء الله ، ما يظهر من مثله . وأخبرني بعض أصحابه أنه كان يقول ، سألت الله أن يكفَّ بصرى خوفاً من الفِتْنَةِ . وفي هذا المخبر نظراً لمكان المعارضة في أمره صلى الله عليه وسلم بسؤال العافية ، والإمتاع بالابصاء .

شهرته

وجعل الله له في قلوب كثير من الخلق ، الملوك فَمَنْ دَوْنَهُمْ ، من تعظيمه ما لا شَيْءَ فوقه ، حتى أن الشيخ المُعَمَّر الحُجَّةَ الرَّحْلَةَ أبا على ناصر الدين المِشْدَالِي كتب إليه من بِجَايَةٍ بما نصه : يا أيها العزيز مَسْنَا وَأَهْلُنَا الضَّر ، وجينا ببضاعة مُزْجَاة ، فَأَوْفِرْ لَنَا الكَيْلَ ، وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ، إن الله يعجزى المتصدقين . وبعده : من العَبْدِ الأصغر والمُحِبِّ الأكبر فلان ، إلى سيِّد العارفين ، وإمام المحققين ، في ألفاظ تناسب هذا المعنى .

حدَّثني شيخنا أبو الحسن بن الجِيَّاب ، وكان من أعلام تلاميذه ،

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (شرفه) والأولى أرجح وأنسب للسياق .

وصدور السالكين على يديه . قال قصدت منه خلوة ، فقلت يا سيدى .
أصحابنا يزعمون أنك ترى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاخبرنى واشف
صدرى هل هذه الرؤيا عينية أو قلبية ، قال ، فأفكر^(١) ساعة ، ثم قال ،
عندى شك فى رؤية ابن الجيَّاب الساعة ومحدثته ، فقلت لا ، فقال كذلك
الحال ، قلت وهذا أمر غريب ، ولا يصح إلا رؤية القلب ، ولكن غلبت
عليه حتى تخيل فى الحسن الصورة الكريمة ، إذ وجود جوهر واحد فى
محلين اثنين محال .

شعره

نظم الكثير من شعر مُنحط لا يصلح للكتب ولا للرواية ، ابتلى به
رحمه الله ، فمدن لبابه قوله ، وهو من الوسط :
إن كنت تأمل أن تنال وصالهم فامح الهوى فى القيل والأفعال
واصبر على مرِّ الدواء فإنسه ياتيك بعدُ بخالص السُّلَسال
توالمفه : ألف كتاباً سماه « إعلان الحجَّة فى بيان رسوم الحجَّة » .
توفى يوم الجمعة الرابع والعشرين لشوال عام خمسة وثلاثين وسبعماية ،
وكانت جنازته مشهودة ، تراحم الناس على نعشه ، وتناولوه تمزيقاً على
عادتهم من ارتكاب القريحة^(٢) الباردة فى مِسلخ حُسن الظن .

محمد بن أحمد بن قاسم الأُمى

من أهل مالقة . يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بالقطَّان ، النقيه الأواب
المتكلم المجتهدا .

(١) عدا فى الإسكوريال والزيتونة .
(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (الحجَّة الباردة) .

حاله

من « العايد » : كان هذا الرجل غريب المنزاع ، عجيب التصوف . قرأ وعقد الشروط ، وتصدّر للعدالة ، ثم تجرد ، وصدق في معاملته لله ، وعول عليه ، واضطلع بشروط التوبة ، فتحلل من أهل بلده ، واستفاد واسترحم ، واستغفر ، ونفض يديه من الدنيا ، والتزم عبادة كبيرة ، فأصبح يُشار إليه في الزهد والورع ، لا تراه إلا متبسماً ، ملازماً لذكر الله ، متواضعاً لأصاغر عبادته ، محباً في الضعفاء والمساكين ، جميل التخلق ، مغضياً عن الهينات ، صابراً على الإفادة . وجلس للجمهور بمجلس مألقة ، يتكلم في فنون العلم ، يعظ الناس ، ويُرشدهم ، ويُرهدهم ، ويحملهم على الإيثار ، في أسلوب من الاستنفار^(١) والاسترسال ، والدلالة ، والفصاحة والحفظ ، كثير التأثير في القلوب ، يخبر بإلهام وإعانة . فمال الخلق إليه ، وتزاحموا على مجلسه ، وأعلنوا بالتوبة ، وبادر مُترِفُوهم إلى الإقلاع عن إجابة الشهوات ، والاستقالة من الزلات . ودكهم الوباء ، فبدلوا من الأموال في أبواب البر والصدقة ، ما لا يأخذه الحضر ولا يدركه الإحصاء ولولا أن الأجل طرقه ، لعظم صيته ، وانتشر نفعه .

وفاته

توفي شهيد الطاعون عصر يوم الأربعاء الرابع لصفر من عام خمسين وسبعماية ، ودفن بجبانة جبل فاره^(٢) ، ضحى يوم الخميس الثاني من يوم وفاته . وصلى عليه خارج باب قنينة ، وألحده في قبره الخطيب القضاة الصالح ، أبو عبد الله الطنجالي ، رحم الله جميعهم .

(١) وردت في الإسكوريال (الاستنفار) . وفي الزيتونة (الاسترسال) .
السوبب أرجح .

(٢) جبل فاره وبالإسبانية Albralfaro ، هو الجبل الذي كان على مائة ألف البعير .
وقد سبق التعريف به (أنظر المجلد الأول من الإحاطة ص ٥٠٦ حاشية) .

ومن رناهُ الشيخ الأديب أبو الحسن الورّاد يقول :

[أَبْعُدْ وَلِيَّ اللَّهِ دَمْعِي يُسْجِمُ	وَعِمَارَ قَلْبِي مِنْ كُلِّ لَوْمٍ تَتَرَجَّمُ
فَوَادِي مَكْلُومٍ بِحُزْنِي لَفَقْدِهِ	لِذَاكَ جُفُونِي دَمْعُهَا كُلُّهُ دَمٌ ^(١)
وَمَاذَا عَسَى يُغْنِي التَّفَجُّعُ وَالْبُكَاءُ	وَمَاذَا عَسَى يُجْدِي الْأَسَى وَالتَّبَرُّمُ
سَأَصْبِرُ لِلْبَلَوِّ وَإِنْ جَلَّ خَطْبُهَا	فَصَبِرُ الْفَتَى عِنْدَ الشَّدَايدِ يُعْلَمُ
كَذَا الْعِلْمُ بِالسَّيْفِ الصَّقِيلِ لَدَى الْوَغَى	فَوَيْقِ الَّذِي مِنْ حُسْنِهِ يُوسَمُ
عَلَى قَدَرٍ صَبِرَ الْمَرْءُ تَصَغُرُ عِنْدَهُ	خُطُوبٌ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى النَّاسِ تَعْظُمُ
إِلَّا إِنَّهَا الدُّنْيَا تَعْلَةُ بَاطِلٍ	وَمَخْمَضَةُ أَحْلَامٍ لِمَنْ بَاتَ يَحْلُمُ
تَجَنَّبَهَا أَهْلُ الْعُقُولِ فَأَقْصَرُوا	وَأَغْرَقَ فِيهَا الْجَاهِلُونَ وَأَشَامُوا
أَعَدَّ نَظْرًا فِيهَا تَجَبُّكَ بِرَاحَةٍ	وَأَنَسَ بِمَا تَقْضَى عَلَيْكَ وَتَحْكُمُ
أَعَدَّ لَهَا دِرْيَاقَ صَبْرِكَ إِنَّهَا	مِنَ الْبُؤْسِ وَالتَّلَوِينِ وَاللَّهِ أَزْقَمُ
تَلَفَّتْ إِلَى تَعْذِيبِهَا لِمَحَبَّتِهَا	وَمَاذَا بِهَا يَلْقَى كَثِيبٌ وَمُغْرَمُ
يُظَنُّ بِهَا رِيحَانَةٌ وَهِيَ سِدْرَةٌ	وَلَا مُنْتَهَى إِلَّا الرَّدَى وَالتَّنَدُّمُ
عَجِبْتُ لَهَا تَخْفَى عَلَيْنَا عُيُوبُهَا	وَذَاكَ لِأَنَّا فِي الْحَقِيقَةِ نُؤَمُّ
أَلَيْسَ عَجِيبًا أَنْ يُعَوَّلَ عَاقِلٌ	عَلَى عَاجِلٍ مِنْ وَصْلِهَا يَتَصَرَّمُ
وَمَا وَصْلُهَا مِثْلُ عَشْرِ ضُدُورِهَا	وَلَكِنَّهُ صَرَفٌ لِلدَّهْرِ أَذْوَمُ
إِذَا ابْتَسَدَتْ يَوْمًا تَرَقَّبُ عُيُوبَهَا	فَمَا إِنْ لَنَا مِنْهَا يَسْلُومُ التَّبَسُّمُ
ضُحًى كَانَ وَجْهُ الدَّهْرِ سَبْرُ بَشَرِهِ	فَلَمْ يَمَسَّ حَتَّى بَانَ مِنْهُ التَّجَهُمُ
دَرِينَا بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ وَلِيٍّ مَكَانِهِ	مَكِينٌ لَدَى الْعِلْيَاءِ سَامٌ مَعْظَمُ
هَوَى مِثْلَ مَا هَوَى مِنَ الْأَفَقِ كَوَكَبٍ	فَجَلَّلْنَا لَيْلٍ مِنَ الْخَطْبِ مُظْلَمُ
تَسَاوَى لَدَيْهَا صَيَادُهَا وَعَبِيدُهَا	وَعَالِيَتُهَا النَّحْرِيْسُ وَالْمُعْتَلَمُ

(١) ورد في الزيتونة هذان البيان فقط من القصيدة .

هو الموت لا ينفك للخلق طالبا
وما هو إلا الداء عزر دواؤه
دها كل مخلوق فما منه سيد
ولو كان ذا كان النبي محمد
تعنى به موسى ويوسف قبله
به باد بهرام وتبر بهرم
وكم من عظيم الشأن حل بربعه
ولكننا ننسى ونأى حديثه
فحتى إذا حل ساحة ماجد
نسينا حديث الموت جهلا بغدوره
وفاة ورعى في التراب مؤسدا
خبا ضوء نادى أقفر ربعة
تردى فأردى فقداه أهل رية
غدا أهلها من فجعة بمصابه
وهل كان إلا والد مات عنهم
قضى نخبه الاستاذ واحد عصره
قضى نخبه القطان فالحزن قاطن
وهل كان إلا روضة رف ظلها
وهل كان إلا رحمة عاد فقداه
سل التائبين العاكفين على الهدى
أفادهم من كل علم لبابه
جزى الله رب الناس خير جزائه
أبان لهم طرق الرشاد فأقدموا

يروح ويغدو كل حين عليهم
فليس لشيء في البسيطة يحسم
له الجاه عند الله ينجو فسلم
تجنبه صلوا عليه وسلم
ونوح وإدريس وشيث وادم
وكسر من كسرى سوار ومقصم
فإن تختبره فهو رب وأعظم
وتنجد في الإعراض عنه وتتهم
نطل بها من حسرة نتكلم
فألهمنا إذ هزنا منه ملهم
وأثارة فوق السماك تخيم
من العلم والتعليم ربع ومعلم
فما منهم إلا كتيب ومغرم
وعيشهم صاب قطيع وعلقم
فيا من لقوم يتموا حين أو يتم
فكاد الأسى يقضى إلى الكل منهم
مقيم بأحناء الضلوع محكم
أتيح له قيظ من الجون صيلم
علامة فقد العلم والله أعلم
لكم منة أسدى وأهدى إليهم
وفهمهم أسرارهم فتفهم
دليلا بهم نحو الهدى حيث يمم
وحذرهم عن كل غى فأحجم

وجاء من التعلیم للخیر كله
فصاحة ألفاظ وحسن عبارة
يُصيب فلا يخطئ إذا مقصدا
يحدث في الآفاق شرقاً ومغرباً
سرى في الوری ذكر له ومدائح
لعمرك ما ياتی الزمان بمثله
فقيه نزيه زاهد متواضع
يود لو أن الناس أئرى جميعهم
يود لو أن الله تاب على الوری
عليه من الرحمن أوسع رحمة

بأبين من يأتي به من يعلم
مضى كما ينضى الحسام المصمم
ولمن يجيب فلا يبطل ولا يتلعم
فأخبره أضحى تخط وتوسم
يكاد بها طير العلى يتوسم
وما ضرني لو كنت بالله أقسم
رؤوف عطوف مشفق مترحم
فلم يبق مسكين ولم يبق معدم
فتابوا فما يبق من الكل مجرم
فقد كان فينا الدهر يحنو ويرحم

محمد بن أحمد بن يوسف بن أحمد بن عمر بن يوسف بن علي بن خالد

ابن عبد الرحمن ابن حميد الهاشمي الطنجالي

لوشى^(١) الأصل ، مالقي النشأة والاستيطان .

أوليتسه

[بيتهم نبيه إلى هاشمية النبه]^(٢) وهم ببلدنا لوشة أشراف ، وكانت
لهم فيها ثروة وثورة ، اجتثها الدهر ببعض طوارقه ، في أبواب المغالبات .
ويمت سلفنا إليهم بصحبة ومصاهرة في حديث يستدعى طولاً ، وانتقل
خلفهم إلى مالقة .

(١) لوشى أى نسبة إلى لوشة Lota وهي بلد ابن الخطيب وهي تقع غرب غداطة جنوب نهر

شليل .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال وفي الزبيرية دت كالأتي : (بيتهم
ينسب إلى الهاشمية أهل بيت نبيه) .

حِصَالُهُ

مَنْ « عَايِدُ الصَّلَاةِ » : كَانَ هَذَا الْوَلِيُّ الْفَاضِلُ ، الْمُجْمَعُ عَلَى وِلَايَتِهِ وَفَضْلِهِ ، سَهْلُ اللَّقَاءِ ، رَفِيقًا بِالْخَلْقِ ، عَطُوفًا عَلَى الضَّعْفَاءِ ، سَالِكًا سُنَنَ الصَّالِحِ مِنَ السَّلَفِ ، سَمْتًا وَهَدْيًا ، بَصْرُهُ مَغْضُوضٌ ، وَلِسَانُهُ صَامِتٌ ، [إِلَّا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ، وَعِلْمُهُ نَافِعٌ] ^(١) وَثُوبُهُ خَشِينٌ ، وَطَعْمَتُهُ قَدْ نَفِدَتْهَا الْوَرَعُ الشَّدِيدُ ، حَتَّى اضْطَفَاهَا مَخْتَارَةً ، إِذَا أَبْصَرَتْ بِهَا الْعَيْنُ ، سَبَقَتْهَا الْعَبْرَةُ . بَلَغَ مِنَ الْخَلْقِ ، الْمُلُوكَ فَمَنْ دُونَهُمُ الْغَايَةَ ، فَكَانَ يَلْجَأُ إِلَيْهِ الْمُضْطَرُّ ، وَتَمَدَّدَ إِلَى عَنَايَتِهِ الْأَيْدَى ، وَتَحَطَّ بِفَنَائِهِ الْوَسَائِلُ ، فَلَا يَرْتَفِعُ عَنْ كَلْفِ النَّاسِ وَلَا حَوَايَجِهِمْ ، وَلَا يَنْقَبِضُ عَنِ الشَّفَاعَةِ لَهُمْ ، وَإِصْلَاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ . لَهُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ أَخْبَارٌ طَرِيفَةٌ . وَاسْتَعْمَلَ فِي السَّفَارَةِ بَيْنَ مَلِكِي الْعُدُوَّةِ وَالْأَنْدَلُسِ ، فِي أَحْوَالِ الْمُسْلِمِينَ ، فَمَا فَارَقَ هَيْئَتَهُ ، وَرَكُوبَ حِمَارِهِ وَاسْتِصْحَابَ زَادِهِ ، وَلِبَسَ الْخَشِينِ مِنْ ثَوْبِهِ . وَكَانَ لَهُ حِظٌّ رَغِيبٌ مِنْ فِقْهِ وَحَدِيثٍ ، وَتَفْسِيرٍ ، وَفَرِيزَةِ . وَكُلُّ الْخُطَابَةِ بِبَلَدِهِ مَالِقَةٌ ، وَاسْتَسْقَى فِي الْمُحَوَّلِ ، فَسَقَى النَّاسَ .

حَدَّثَنِي بَعْضُ أَشْيَاخِنَا : قَالَ ، حَضَرْتُ مُقَامَهُ ، مُسْتَسْقِيًا ، وَقَدْ امْتَنَعَ الْغَيْثُ ، وَقَحَطَ النَّاسُ ، فَمَا زَادَ عِنْدَ قِيَامِنَا أَنْ قَالَ ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ، فَضَحَّ الْخَلْقُ بِالْبُكَاءِ وَالْعَجِيحِ ، وَلَمْ يَبْرَحُوا حَتَّى سُقُوا . وَكَرَامَاتُهُ كَثِيرَةٌ ، ذَائِعَةٌ مِنْ غَيْرِ خِلَافٍ وَلَا نِزَاعٍ .

حَدَّثَ بَعْضُ أَشْيَاخِنَا عَنِ الْخَطِيبِ الصَّالِحِ أَبِي جَعْفَرِ الزِّيَاتِ ، قَالَ رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ قَائِلًا يَقُولُ ، فَقِيدَ اللَّيْلَةِ مَنْ يَعْمُرُ بَيْتَ الْإِبْرَاهِيمَ بِالْأَنْدَلُسِ ، فَمَا انْتَصَفَ النَّهَارَ ، مِنْ تِلْكَ اللَّيْلَةِ . حَتَّى وَرَدَ الْخَبَرُ بِوَيْتِهِ .

(١) مَا بَيْنَ الْخَاصَرَتَيْنِ وَارَدَ فِي الزُّنُونَةِ ، وَسَاقَطَ فِي الْإِسْكَوْدِ بِالْ .

مشيخته

من شيوخه الذين قرأ عليهم ، وأسند إليهم الرواية والده رحمه الله ، وأبو عمرو بن حوط الله ، والخطيب ابن أبي ربحانة المربلي ، والقاضي أبو علي بن أبي الأحوص ، والرواية أبو الوليد بن العطار ، والرواية المحدث أبو بكر بن مشليون ، والمقري أبو عبد الله بن مستقور الطائي ، والاستاذ أبو جعفر الطباع ، وأبو الحسين بن أبي الربيع ، والمحدث أبو عبد الله بن عيَّاش ، والاستاذ أبو الحسن السَّفَّاج الرُّنْدِي ، والخطيب بلمرية أبو الحسن الغزَّال . وقرأ على الاستاذ أبي جعفر بن الزبير . وأجازه من أهل المشرق جماعة منهم أبو عبد الله بن رُزَيْق الشافعي ، والعباس أحمد ابن عبد الله بن محمد الطبري ، وأبو اليُمن عبد الصمد بن أبي الحسن عبد الوهاب بن أبي البركات المعروف بالنجم ، والحسن بن هبة الله بن عساكر ، وإبراهيم بن محمد الطبري إمام الخليل ، ومحمد بن محمد بن أحمد بن عبد ربه الطبري ، ومحمد بن علي بن وهب بن مُطِيع القُشَيْرِي ، وأبو الفتح تقي الدين بن أبي الحسن فخر الدين ، وعبد الله بن محمد بن أبي بكر الطبري المكي الشافعي وغيرهم .

ميلاده : بمالقة في رجب سنة أربعين وستمائة .

وفاته : بمالقة في يوم الخميس الثامن لجمادى الأولى من عام أربعة وعشرين وسبعماية . وقد ناهز الثمانين سنة ، لم ينتقص شيء من أعماله المقرَّبة إلى الله . من الصوم والصلاة ، وحضور الجماعات ، وملازمة الإقراء والرواية ، والصبر على الإفادة .

حدث من يؤتق به . أنَّ ولده الفقيه أبا بكر دخل عليه . وهو في

حال النَّزْع ، وَالْمَنِيَّة تُحْشَرُج فِي صَدْرِهِ ، فَقَالَ يَا وَالِدِي أَوْصِنِي ، فَقَالَ
وَعَيْنَا تَدْمَعَان ، يَا وَلَدِي أَتَقَّ اللَّهُ حَيْثُ كُنْتَ [وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ بِالْحَسَنَةِ
تُجَحِّهَا]^(١) ، وَخَالَقَ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ

محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم البليقي^(٢) ابن الحاج

والد شيخنا أبي البركات . وقد مرَّ في ذكر النِّسَب المُتَّصِل بعباس
ابن مرداس ، والأُولَيَّة النَّبِيَّة مَا يُغْنِي عَنِ الإِعَادَةِ .

حاله

من خطَّ ولده شيخنا على الاختصار ، قال يخاطبني في بعض ما كتب
به إلى : ذكر أبي ، وهو ممن طلبتم ذكره إلى في أخباره جزءاً من نحو
سبعين ورقة في المقسوم ، لخصتُ لك من مبييضته ما يُذكر :
نشأ رحمه الله بسبئية على طهارة تامة ، وعفة بالغة ، وصون ظاهر ،
كان بذلك علماً لشبان مكتبه . قرأ القرآن بالقراءات السبع ، وحفظ
ما يُذكر من المبادئ ، واتَّسم بالطلب . ثم تافت نفسه إلى الاعتلاق بالعمارة
الوُثْقَى ، التي اعتلق بها سلفه ، فنبذ الدنيا ، وأقبل على الآخرة ، وجَرَى
على سُنَنِ الْمُتَّقِينَ ، أَخَذَ بِالأَشَدِّ مِنْ ذَلِكَ وَالْأَقْوَى ، طامحاً بهِمَّتِهِ إِلَى أَقْصَى
مَا يُؤْمَلُهُ السَّالِكُونَ . فرفض زِي الطَّلِبَةِ ، ولبس الخشنية^(٣) ، وترك
مُلَابَسَةَ الْخُلُقِ بِالْجُمْلَةِ ، وبالدغ في الانقباض عنهم ، وانقطع إلى الله

(١) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في الزيتونة كالألف (واتباع الحسنة
بالسنة تمحها) وهو قلب للمعنى المقصود .

(٢) نسبة إلى بليقي ، وبالإسبانية Vellefique ، وهي بلدة أندلسية صغيرة تقع بولاية
ألمرية على مقربة من جنوبي برشانة (راجع المجلد الثاني من الإحاطة ص ١٤٣ حاشية) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الخشينة) .

بربطات سبّنة وجبالها ، وخصوصا بينائها ، وعكف على ذلك سنين ثم
 سافر إلى المغرب ، سايحاً في الأرض ، على زى الفقهاء للقاء العباد وأهل
 العلم ، فآحرز من ذلك ما شاء . ثم أجاز البحر إلى جزيرة الأندلس ،
 ووَرَدَ المريّة ، مُستقراً سَلَمِهِ ، وأخذ في إيثار^(١) بقايا أملاك بقيت لأسلافه
 بها ، على ما كان عليه من التّبثّل والإخبات . وكان على ما زلقينا من أصحابه
 وخُدّانِه ، صوّاماً ، قوّاماً ، خاشعاً ذا كراً ، تالياً^(٢) ، قوّالاً للحق ، وإن كان
 مرّاً كبيراً في إسقاط التصنّع والمباهاة ، لا يُضاهى في ذلك ، ولا يُشقُّ غبارُه .
 وقَدِمَ على غرناطة ، ودخل على أمير المسلمين ، وقال له الوزير ، يقول
 لك السلطان ما حاجتك ، فقال ، بهذا الرسم رحلتُ ، ثم ظهر لي أن أنزل
 حاجتي بالله ، فعارّ على من انتسب إليه ، أن يقصد غيره . ثم أجاز البحر
 وقد اشتدّت أحوال أهل الأندلس بسبب عدوّهم ، وقدم على ملكه ، ووعظه
 موعظةً ، أعنف عليه فيها ، فانفعل لموعظته ، وأجاز البحر بسببه^(٣) إلى
 جزيرة الأندلس ، وغزا بها ، وأقام بها ما شاء الله ، [وتآدب الروم لو تم
 المراد]^(٤) قال ، وأخبره السلطان أبو يوسف ملك المغرب ، قال كل
 رجل صالح دخل على كانت يده ترعُد في يدي ، إلا هذا الرجل ، فإن
 يدي كانت ترعُد في يده عند مصافحته .

(١) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (أثارة) . والأولى أنسب للسياق .

(٢) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (تلا) وهو تحريف .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (بسبته) والأولى أرجح وأنسب للسياق .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . وورد مكانها في الزيتونة (وتآدب لتوهم

الراد) . ولم تتضح علاقتها تماماً بالسياق .

كراماته

وجلب له كرامات عدة ، فقال في بعضها ، ومن ذلك ما حدثني الشيخ
المُتلمّ الثُّمّة أبو محمد قاسم الحصار ، وكان من الملازمين له ، المنقطعين
إلى خدمته ، والسَّفر معه إلى البادية ، فقال ، إني لأحفظ لأبيك أشياء من
الاحوال العظيمة ، منها ما أذكره ، ومنها ما لا أستطيع ذكره . ثم قال ،
حدثني أهل وادي الزَّرجون ، وهو حُشٌّ^(١) من أعمال سبّنة ، قالوا ، انصرف
السيد أبو عبد الله من هنا ، هذا لفظه ، فلما استقرَّ في رأس العقبة ،
المشرفة على الوادي ، صاح عليه أهل القرى ، إذ كانوا قد رأوا أسداً
كبيراً جداً ؛ قد تعرَّض في الطريق ، ما نجا قط من صادفه مثله ، فلما سمع
الضياح قال ما هذا ، فقيل له أهل القرى يصيحون عليه خيفةً من السبع
قال ، فأعرض عنهم بيده ، ورفع حاجبه كالتكبر على ذلك ، وأسكتهم ،
وأخذ في الطريق حتى وصل إلى الأسد ، فأشار عليه بالقضيب ، وقال له ،
من هاهنا من هاهنا ، أخرج عن الطريق ، فخرج بإذن الله عن الطريق ،
ولم يوجد هنالك بعد . وأمثال ذلك كثيرة .

مشيخته

قرأ على الاستاذ أبي الحسين بن أبي الربيع القرظي ، وأجازه والده
أبو إسحق إجازة عامة . ومن شيوخه القاضي المُسنُّ أبو عبد الله الأزدي ،
والمحدث أبو بكر بن مشايين ، وأبو عبد الله بن جوهر ، وأبو الحسين بن
السراج ، وأبو عبد الله محمد بن عبد الله الخررجي ، وأبو عبد الله بن
الأبّار ، وأبو الوليد بن العطار ، وأبو العباس بن عبد الملك ، وأبو إسحق

(١) الحش أعنى "بستان" .

ابن عيَّاش ، وأبو محمد عبد الله بن أحمد بن عطية ، وأبو بكر القرطبي حميد ، وأبو إبراهيم الطَّربُسي ، والقاضي أبو عبد الله بن عيَّاض ، والكاتب أبو الحسن الرُّعيني ، وأبو الحسن الشَّاربي ، وأبو يحيى بن الفَرَس ، وأبو إسحق بن عبيد الله ، وأبو الحسن الغزَّال ، وجماعة من الأندلس غير هؤلاء . ومن أهل العُدوة كآبى يعقوب المحاسبي^(١) وابن فُرثون وغيرهم

محتفه

نُمى عنه إلى السلطان بالأندلس ، أنه أغرَى به ملك المغرب ، وتخلَّص بعد لآئى فى خبر طويل ، وانتهب السلطان ماله ، وألحق أملاكه بالمختص^(٢) واستمر . وذلك إلى دولة والده وامنح السَّاعون به ، فعجل الله عقوبتهم .
مولده : قال شيخنا نقلت من خطِّ أبيه ما نصه : وُلد إبنى أبو بكر محمد أسعده الله ووفَّقه ، فى النصف الأول من ليلة يوم الاثنين الحادى والعشرين لذى قعدة من سنة ست وأربعين وستائة .

وفاته : قال أَلْفَيْتُ بخطِّ القاضي الأديب الكاتب آبى بكر بن شبرين وكان ممن حضر جنازته بسبَّته . وكانت وفاة الفقيه النَّاسك السَّالِك الصَّالح آبى بكر محمد بن الشيخ الفقيه المحدث آبى إسحق السلمى البُلْفِيقى فى العشر الأواخر من رمضان أربعة وتسعين وستائة بمحرُوسَة سبَّته ، ودفن إثر صلاة العصر بجبَّانة الخروبة من منارتها بمقربة من قبر ريحان الأسود العبد الصَّالح نفع الله به . وصلى عليه الإمام أبو عبد الله بن حُرَيْث .

(١) هكذا وردت فى الزيتونة . وفى الإسكوريال (المحافى) .

(٢) المختص هنا يقصد بها الأملاك السلطانية ، ويعبر عنها عادة فى لغة الأملاك الأندلسية

(بالمستخلص) .

محمد بن يحيى بن إبراهيم بن أحمد بن مالك بن إبراهيم بن يحيى ابن عبّاد النُّفْزِي

من أهل رُنْدَة ، يكنى أبا عمرو ، ويعرف بابن عبّاد ، الحاجّ الصُّوفى

حاله

نشأ ببلده رُنْدَة ، وهو من ذوى البيوتات الأصيلة بها ، ثم رَحَلَ إلى المشرق ، ولقى العلماء والصُّوفية ، وحضر عند المَشَيْخَة ، ثم كَرَّ إلى الأندلس ، فتصوَّف ، وجال في النّواحي ، وأطرح السُّمُوت ، وفوّت ما كان بيده من متاع الدُّنْيَا ، وكان [له مالٌ] ^(١) له خُطَر ، وألقى التَّصَنُّعَ لِأَهْلِهِ رَأْسًا ، وكان فيه تَوَكُّلٌ وَحِدَّةٌ ، وله ذهنٌ ثاقبٌ ، يتكلم في المُنْقُولَاتِ والمُنْقُولَاتِ ، على طريقة الحُكَمَاءِ والصُّوفِيَّةِ ، ويأتى بكلِّ عبارة غريبة ، وآثاره هائلة من غير تمكُّنٍ عِلْمٍ ، ولا وثاقة إدراكٍ ، غير أنّك لا تسمع منه إلا حَسَنًا ، وهو مع ذلك طَوَّافٌ على البلاد ، زوَّارٌ لِلرُّبُطِ ، صَبَّارٌ على المجاهدة طَوْعًا وضرورةً ، ولا يَسْلُ ثِيَابًا البَتَّةَ إلا بِذِلَّةٍ من ثوبٍ أو غيره ، صَدَقَةُ واحدٍ في وقته

محنته وفضله وشعره

نُمنى عنه كلامٌ بين يَدَيِّ صاحب المغرب ، أَسِفَ به مُدَبِّرُ الدولة يومئذٍ ، فأنشخص عند إِيَابِهِ إلى رُنْدَة وسُجِنَ بِسُجْنِ أَرْبَابِ الجَرايمِ ، فكتب إلى وليّ الأمر :

تركتُ لكم عزَّ الغنى فأنَّيبتُم وأن تتركوني لأمثلة والفقر
ونازعتوني في الخمول وإنه لذى مُهْجَتِي أحلى من البنَى والأمر

(١) وردت هذه العبارة في الزيتونة . وهى ساقطة في الإسكوريال .

ثم قال ، يا مَنْ رَمَانِي بِسَهْمِهِ ، الغربُ ، قد رُدَّ عليك مَخْضُوباً بِالْدَّمِ .
قال فوالله ما مَرَّتْ ثَلَاثَةٌ ، حتَّى نَفَذَ حُكْمُ اللَّهِ فِيمَنْ عَدَا عَلَيْهِ .

وشعره حسن يدل على طبعٍ مَعِينٍ ، فمن ذلك :

سُرِّي يُسِرُّ إِلَى أَنَّكَ تَارِكِي	نَفْسِي الْفِدَا لِلطُّفِكِ الْمُتَدَارِكِ
يَا مَا لَكَ وَلِيَ الْفَخْصَارِ بَأَنِّي	لَكَ فِي الْهَوَى مَلِكٌ وَأَنْتَكَ مَالِكِي
التَّرْكُ هَلْكَ فَاعْفِنِي مِنْهُ وَعِدْ	بِالْوَصْلِ تُحْيِي ذِمًّا مُجِبُّ هَالِكِ
وَأَعِدْ جَمِيلاً فِي الْهَوَى عَوْدَتِي	إِنْ لَمْ تُعِدْهُ إِلَى مَنْ لِلْهَالِكِ
يَا مُنِيَّةَ الْقَلْبِ الَّذِي بِجَمَالِهِ	فَتِنَ الْوَرَى مِنْ فَاتِكَ أَوْ نَاسِكَ
أَتَيْتُهُ دُونَكَ أَوْ أَحَارَ وَفِي سَنِي	ذَاكَ الْجَمَالَ جِلَا الظَّلَامِ الْحَالِكِ
وَلَكُمْ سَلَكْتُ إِلَيْكَ لَكِنْ حِينَ لَمْ	تَكُنِ الدَّلِيلَ اخْتَلَّ قَصْدُ السَّالِكِ
وَلَقَدْ عَرَفْتَ بَسْتَرِ سُرِّي فِي الْهَوَى	فَهَجَرْتَنِي فَكُسِيتُ ثَوْبَ الْهَاتِكِ
مَا السَّتْرُ إِلَّا مَا يَحُوكُ رِضَاكَ لَا	مَا حَاكَهُ اللَّبَتَرُ ^(١) كَفُّ الْحَايِكِ
مَا الْفَضْلُ إِلَّا مَا حَكَمْتَ بِهِ فَضُنْ	وَأَهْتِكِ وَصِلْ إِنْ شِيتَ أَوْ كُنْ تَارِكِ
مَا لِي سِوَى حَبِيْبِكَ يَا حُبِّي فَدَعْ	تَرْكِي فَهَلْكَ الْمَلِكُ تَرَكَ الْمَالِكِ

وقال أيضا :

هَذَا الْعَقِيقُ فَسَلْ مَعَاطِفَ بَانِهِ	هَلْ نَسَمَةٌ عَادَتْهُ مِنْ نُعْمَانِهِ
وَاسْأَلْهُ ^(٢) إِنْ زَارَتْهُ مَاذَا أَخْبَرَتْ	عَنْ أَجْرُعِ الْعَلَمِينَ أَوْ سُكَّانِهِ
وَأَصِيحْ لِحَسَنِ حَدِيثِهَا وَأَعِدْهُ لِلْمُضْنَى	فَفِيهِ الْبُرْءُ مِنْ أَشْجَانِهِ
يَا حَبِّذَا ذَاكَ الْحَدِيثَ وَحَبِّذَا	مَنْ قَدْ رَفَاهُ وَحَبِّذَا ^(٣) بَبِيَانِهِ

(١) هكذا وردت في الزيتونة . وهي ساقطة في الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت في «الكتيبة الكامنة» لابن الخطيب . وفي الإسكوريال (وارسله) والأولى

أرجح .

(٣) وردت في الإسكوريال (وحب أن) . والتصويب من الكتيبة الكامنة .

وسقى الآله رمسانه ومكانه
يا سعدُ ساعدُ مُستهماً فيه لا
وأصيحُ لما يتلو الرجود عليك من
وأبنه لي واقبل ذمائي بشارة
وسل النسيم يهبُ من واديهم
أرحمُ بروحٍ منه روحى تحييه
وبنشره انشر نفس مُشتاق
يا سعدُ حدثني فكل مُخبّر
يا سعد حدثني فكل حديث عنهم
يا سعد طارِخنيه واملأ مسمعى
أنا فى الغرام أخوك حقاً والفتى
قل كيف وادى ودُّ سَكَّان الحمى^(١)
هل قلصت أيدى النوى من ظله
وهل الربوع أواهلُ بجِمالهم
وهل التقى بان على عهد النوى^(٢)
فبروض أنسهم غمدت نضارة
وأرى هجير المجر أذبل يانعا
وأحال حال الأنس فيه وحشة

ويعزُّ قدر زمانه ومكانه
ذقت الهوى ونجوت من غدوانه
أنبياءهم بلسان حال كيانه^(١)
ويقولُ بذل ذمائي فى تبيسانه
شدًا خزاماه وطيبُ لُبَّانسه
ويُسقِمه سُقْمى فديتك عانيه
قضت شوقاً لنفحة نسمة^(٢) من بانه
عن خسر من أهواء أو إحسانه
ويجلُّ قدر الحُبِّ عن نسيانهِ
من سرّه إن شيت أو إعلانهِ
لا يكتُم الأسرار من إخوانهِ
ومنى أمانيه وروض لسانهِ
أو ماجرى هل عاث فى جريانه
فسقى للربوع الودق من هتانه
وهل اللوى يلوى بعود زمانهِ
نزّهت منها الطرف^(٣) فى بُستانهِ
منه وأذوى الغصن من ريحانه
وطوى بساط الأنس فى هجرانه

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الكتيبة الكامنة (بيان) .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الكتيبة الكامنة (هب) .

(٣) هكذا وردت فى الكتيبة الكامنة . وفى الإسكوريال (الفضا) .

(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الكتيبة (الهوى) .

(٥) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الكتيبة (القلب) . ٣

عهدٌ عَرَفْتُ الأُنْسَ في أزْمَانِه
حُبُّ غَدَائِي حُبُّه . بلبسانه
كلُّ الهوى فحملتُ كلَّ هَوَانِه
أزهُو بذلِّي في يَدَيَّ سِلْعَانِه
يَرْضَى فطيبُ العيشِ في رِضْوَانِه
عن حُبِّه فسَلَوْتُ عن سُلْطَانِه
تبغى السُّلُو ولات حينَ آوَانِه
فالكلُّ فيه علىَّ من أَعْوَانِه
في الكونِ^(١) عاذره على شِيْمَانِه
أبدى الجمالُ العُذْرَ عن هَيْمَانِه
في الحبِّ فاتركه وثني عِنَانِه
قد سامه ما ليسَ في إمكانِه

في ذا الغرامِ فأبكيه ويبكين
وهنتُ والصَّبُّ أولى الناسِ بالخونِ
وميتٌ في يده فردا فدلُّونِ
ما بين يائسٍ وآمالٍ نَرَجِسِينِ
في ذا الهوى بتمسُّ أو تأسمين
لِفي ذا الهوى^(٢) بين شوبيرٍ ومب
بذلِّي وافتنقارِ أَسْرَارِ

آهًا ووالهفَى وَيُحَى أن مَضَى
وبأَجْرُعَ العَلَمِينِ من شَرْقِيه
حاز المحاسنَ كُلَّهَا فَجَمَعْنِ لِي
وزها علىَّ بعِزَّةٍ فبِمَوَاجِبِ
وقضى بآنٍ أَقْضَى وليتَ بما قَضَى
واختار لي أن لا أَمِيلَ لِسَلْوَةٍ
يا عاذلي أو ناصحي أو لا يَمِي
غلب الغرامِ وعزَّ سلطانِ الهوى
فعلامِ تَعْتَبُ مُسْتَهَامًا كُلَّمَا
دع عنك لَوِيَّ إِنِّي لك ناصح
وإذا الفتى قامَ الجمالُ بعُذْرِه
من سامِ قلبي في هَوَاهِ سَلْوَةٍ

وقال في الغرض المذكور :

يا للرجالِ أَلَا حِبُّ يسْماعدني
غُلِبْتُ فيه وما أَجَدْتُ مُغَالِبَتِي
رَكِبْتُ لُجَّتَه وخذى فَأَذْهَشَنِي
واضيعةَ العُمُرِ والبَلَوِ مضاعفةً
والهفَ نَفْسِي إن أَوْدَت وما ظَفِرْتُ
فليت شِعْري وعُشْري ينقضي طمعاً
هل الأولى مَلِكُوا رِقًّ وقد علّموا

(١) نسفها نحي في الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . وفي الأدبية (و الحب) .

فكم أكفكف دمعى بعدهم وأرى مجدداً نار يباى وهى تبلىن
وكم أمرٌ على الأطلال^(١) أنديها وبالمنازل من خيفٍ وداريسن
وفى الفؤاد لهم ما ليس يعلمه إلا لهم علمهم بالحال يكفين
أهمى المدامع كى أروى فتعطشنى وألزم الذكر للسأوى فيشجين
وكلٌ من لمحت عيني أسايله عنهم فيغرى بهم قلبي ويغرين
يا أهل نجد وفخري أن أحبكم لا أطلب الوصل عز الحب يغنين
هل للهوى من سبيل للسنى فلقد عزت أمانبه فى الدنيا وفى الدين^(٢)

محمد بن يوسف بن خلعون

يكنى أبا القاسم ، روطى الأصل لوشيه^(٢) سكن لوشة وغرناطة ومالقة

حاله

كان من جلة المشيخة وأعلام الحكمة ، فاضلاً ، منقطع القرين فى

(١) وردت فى الاسكوريال (الأطناب) والتصويب من الكتيبة .

(٢) إن الترجمة الموجزة التى وردت فى مخطوطى الإسكوريال والزيتونة عن ابن عباد الرندى وكذا ما أورده عنه ابن الخطيب فى « الكتيبة الكامنة » (ص ٤٠ وما بعدها) هى تراجم موجزة ينقصها الكثير من صفات ابن عباد ومزاياه العلمية والصوفية . وربما كان السبب فى هذا الإيجاز راجعاً إلى اختصار النسخ . ونحن نستدرك هنا بعض الشيء فنقول إن لابن عباد مؤلفات كثيرة ، أشهرها شرحه لحساب الحكم العطائية الذى وضعه العلامة الصوفى المصرى تاج الدين بن طه الله الكندرى المتوفى سنة ٧٧٩ هـ ، وهو بالرغم من صغر حجمه يعتبر من أشهر كتب الحكم والصوف . ولابن عباد أيضاً مجموعة فى أجوبة العلوم فى مجلدين . وقد توفى ابن عباد فى سنة ٧٩٢ هـ .

راجع ترجمة وافية لابن عباد بقلم صاحبه الشيخ أبى زكريا السراج وغيره أوردها المقرئ فى نفع الطيب (ج ٣ ص ١٧٥ - ١٧٧) .

(٢) روطى نسبة إلى روطه أو روضه وبالأسبانية Rueda ، وهى بلدة صغيرة نفع على المحيط قرب نهر شلوق . San Lucar نمان مدينة سريش . وهى خير روطه الذرية من سرقسطة . ولوشيه نسبة إلى بلدة لوشة وقد سبق التعريف بها .

المعرفة بالعلوم العقلية . متبحراً في الإلهيات . إماماً في طريقة الصوفية . من أهل المقامات والأحوال . كاتباً بليغاً . شاعراً مجيداً ، كثير الحلاوة والطلاوة ، قائماً على القرآن ، فقيهاً أصولياً ، عظيم التخلق ، جميل العشرة . انتقل من حصن رُوضة إلى الخطابة والإمامة بلوشة ، كثير الدؤوب على النظر والخلوة ، مقصوداً من مُنتحلي ما لديه ضرورة . لم يتزوج ، وتماثلت عليه طائفةٌ من شأنها الغص من مثله ، فانزعج من لوشة إلى مالقة ، فتحرّف بها بصناعة الطب ، إلى حين^(١) وفاته .

حدثني والدي ، وكان خبيراً بأحواله ، وهو من أصحاب أبيه . قال . أصابت الناس شدة قحط ، وكانت طائفة من أصداده تقول كلاماً مُسججاً . معناد . إنكم إن أخرجتم ابن خلصون من بينكم ، مُطرتم . قال ، فانزعج عنها . ولما [كان على أميال]^(٢) ، نزل الغيث الرغد ، قال فسجد بموضعه ذلك ، وهو معروف ، وقال ، سيدى ، وأسأوى عندك هذا المقدار . وأوجب شكراناً . وقدم غُرناطة ، وبها الأستاذ أبو عبد الله الرقُوطى ، وله استيلاء على الخطوة^(٣) السلطانية ، وشأنه اختبار من يرد على الحضرة . ممن يحمل فناءً . وللسلطان على ابن خلصون مودة ، لمدحه في حديثه . أحد الشوار عليه بقمارش^(٤) ، بقصيدة شهيرة . فلما حضر . سأله الأستاذ ما صناعتك . فقال التصوف ، فالتفت إلى السلطان وقال : هذا رجل ضعيف لا شيء لديه . بحيث لا يفرّق بين الصناعة وغيرها ، فصرفه رحمه الله .

(١) ورد في الإسكوريال (ح) وانتصو . . من الرينونة

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الرينونة (ولما كان أميالاً)

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي الرينونة (الحضرة) وهو خريب .

(٤) هي بلدة من أعمال مقاطعة مالقة . وقد سبق التعريف بها (ج ١ ص ١٨٠)

تواليايفه

وتواليايفه كثيرة ، تدل على جلالته وأصاله معرفته ، تنطق علماً وحكمة ، وتروق أدباً وظرفاً . فمن ذلك كتابه في « المحبة » : وقفت عليه بخط جدّي الأقرب سعيد ، وهو نهاية . وكتاب « وصف السلوك » ، إلى ملك الملوك » ، عارض به ومراج الحاتمي ، فبان له الفضل ، ووجبت المزية ، ورسالة « الفتق والرتق » ، في أسرار حكمة الشرق .

شعره

من ذلك قوله :

هل تعلمون مصارع العُشّاق	عند الوداع بلوعة الأشواق
والبينُ يكتُبُ من نَجيع دمايهم	إن الشهيد لمن يمت بفسراق
لو كنتَ شاهدَ حالهم يوم النوى	لرأيتَ ما يلقون غير مُعطاق
منهم كئيبٌ لا يملُ بكأؤُه	قد أغرقتَه مدامعُ الآماق
ومُحرّقُ الأحشاء أشعلَ نارَه	طولُ الوجيب بقلبه الخفاق
ومؤلّه لا يستطيع كلامه	ما يُقاسى في الهوى ويلاق
خرس اللسان فما يُطيق عبارة	أليم المرور وماله من راق
ما للمحبّ من المُنون وقاية	إن لم يُغنّه حبيبُه بتلاق
مولاي عبدك ذاهبٌ بغرامه	فأدرك بوصلك من دماه الباق
لني إليك بذلّتي متوسّل	فاعطف باعطف منك أو إشفاق

ومن شعره أيضاً :

أعد الحديث إذا وصفتَ جماله	فيه نهيج للمحبّ خياله
يا واصف المحبوب كرّر ذكره	وأدر على عشائه جرياله

فِيذْكَرُ مِنْ أَهْوَى وَشَرَحَ صِفَاتِهِ
طَابَ السَّمَاعُ بِوصْفِهِ لِمَسَامِعِي
قَلْبِي يَلِدُ مِلَامَةً فِي حَبِّهِ
يَا عَاذِلِي أَوْ مَا تَرِقُّ لِسَامِرٍ
وَمِنْ شَعْرِهِ أَيْضاً :

إِنْ كُنْتَ تَزْعَمُ حُبَّنَا وَهَوَانَا
فَاسْجُرْ لِنَفْسِكَ إِنْ أَرَدْتَ وَصَالَنَا
وَاخْلَعْ فُؤَادَكَ فِي طِلَابِ وِدَادِنَا
فَإِذَا فَنِيَتْ عَنِ الوجودِ حَقِيقَةٌ
أَوْ مَا عَلِمْتَ الْحَبَّ فِيهِ عِبْرَةٌ
وَابْدُلْ لُبَّابَكَ إِنْ وَقَفْتَ بِبَابِنَا
مَا لَعْلَعُ مَا حَاجِرُ مَا رَامَةٌ
إِنْ الْجَمَالُ مُخَيَّمٌ بِقِيَابِنَا
نَحْنُ الْأَحِبَّةُ مِنْ يَلْدِ بَفَنَانِنَا
نَحْنُ الْمَوَالِي فَاخْضَعْنَ لِعِزِّ نَالِنَا
إِنْ التَّدَلُّلُ لِلتَّدَلُّلِ سَحَرُ
وَاصْبِرْ عَلَى ذُلِّ الْمَحَبَّةِ وَالْهَوَى
نُونُ الْهَوَانِ مِنَ الْهَوَى مَسْرُوقَةٌ

لَدَّ الْحَدِيثُ لِمَسْمَعِي وَخِلَالِهِ
وَقَرَّرْتُ عَيْنًا مَذْ لَحْتِ هِلَالِهِ
وَيَرَى رِشَادًا فِي هَوَاهُ ضِلَالِهِ
سَمِعَ الظَّلَامُ أَنَيْنَهُ فَرَّثَا لَهُ

فَاتَّخَوَّلَنَ مَذَلَّةً وَهَوَانَا
وَإِغْضَبَ عَلَيْهَا إِنْ طَلَبْتَ رِضَانَا
وَاسْمَحْ بِمَوْتِكَ^(١) إِنْ هَوَيْتَ لِقَانَا
وَعَنِ الْفَنَاءِ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَسْرَانَا
فَاخْلِصْ لَنَا عَنْ غَيْرِنَا وَسَوَانَا
وَإِتْرِكْ حِمَاكَ إِذَا فَقَدْتَ حِمَانَا
مَا رَيْمُ أَنْسٍ يَسْحَرُ أَلْمَانَانَا
وَضِبَاوُهُ مَحْجُوبَةٌ بِظُبْمَانَانَا
نَجْمَعُ لَهُ مَعَ حُسْنِنَا إِحْسَانَا
إِنَّا لَنَدْفَعُ فِي الْهَوَى مَنْ هَنَا
فَأَخْلِدِ إِلَيْنَا عَاشِقًا وَهَانَا
وَاسْمَعْ مَقَالَةَ هَايِمٍ قَدْ لَانَا
فَإِذَا هَوَيْتَ فَقَدْ لَقَيْتَ هَوَانَا

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (بنفسك) .

(٢) اللعلع أعنى العراب

ومن لطيف كلامه [ورقيق شعره]^(١)

لو خيالٌ من حَبِيبِي طَرَقَا	لم يَدَعْ دَمْعِي بِخَدِّي طَرَقَا
نَسِيمُ الرِّيحِ مِنْهُ لَوْ سَرَى	بَشْدَاهُ لَأَزَالَ الْحَسْرَقَا
وَمَتَى هَبَّتْ عَلَيَّالَاتُ الصَّبَا	صَبَحَ جَسْمِي فَهَنَ لِي نَفْثُ رَقَا
عَجَبًا يَشْكُو فَوَادِي فِي الْهَوَى	هَبَّ النَّارُ وَجَفَنِي الْفَرَقَا
يَا أَهْلَ الْحَيِّ لِي فِيكُمْ رَشَا	لم يَدَعْ لِي رَمَقًا مُذْ رَمَقَا
بَدْرُ تِمِّ طَالَعِ أَثْمَرِهِ	غُصْنُ بَانٍ تَحْتَهُ دِعْصُ نَقَا
رَاقَ حُسْنًا وَجَمَالًا مِثْلَمَا	رَقَّ قَلْبِي فِي هَسَوَاهُ وَرَقَا
[أَنَسَى الشَّمْسُ ضِيَاءَ ذَهَبًا	وَكَسَى الْبَدْرُ سَنَاهُ وَرَقَا] ^(٢)
حُلِّلَ الْحُسْنَ عَلَيْهِ خُلِيعَت	فَارْتَدَاهَا وَلَهَا قَدْ خُلِقَا

ومن شعره .

دَعَوْتُ مِنْ شَفَقَتِي رَفَقًا عَلَى كَبْدِي	فَقَالَ لِي خُلِقَ الْإِنْسَانُ فِي كَبِدِ
قُلْتُ الْخِيَالُ وَلَوْ فِي النَّوْمِ يَقْنَعُنِي	فَقَالَ قَدْ كَحُلْتُ عَيْنَاكَ بِالسُّهْدِ
فَقُلْتُ حَسْبِي بِقَلْبِي فِي تَذَكُّرِهِ	فَقَالَ لِي الْقَلْبُ وَالْأَفْكَارُ مَلِكُ يَدِي
قُلْتُ الْوِصَالُ حَيَاتِي مِنْكَ يَا أَمَلِي	قَالَ الْوِصَالُ فِرَاقُ الرُّوحِ لِلْجَسَدِ
فَقُلْتُ أَهْلًا بِمَا يَرْضَى الْحَبِيبُ بِهِ	فَإِنَّ قَلْبِي لَا يَلْسُو عَلَى أَحَدِ

ومن أقواله الصوفية ، وكلها تشير إلى ذلك [المعنى]^(٣)

رَكِبْنَا مَطَايَا شَوْقِنَا نَبْتَغِي السُّرَى	وَلِلنَّجْمِ قَنَادِيلُ يُضِيئُ لِمَنْ سَرَا
وَعَيْنُ الدُّجَا قَدْ نَامَ لَمْ يَلِدْ مَا بَنَا	وَأَجْفَانُنَا بِالسُّهْدِ لَمْ تُطْعَمِ الْكَرَا

(١) هذه الزيادة من المخطوط .

(٢) هذا البيت وارد في الإسكوريال وساقط في الرينونه .

(٣) هذه الأكلمة واردة في الرسوانه وساقطة في الإسكوريال .

إلى أن رأينا الليل شاب قذاله
لمحنا برأس البعد ناراً منيرة
وأفضى بنا السير الحثيث بسُحرة
فلما حللنا حُوة السير عسلده
وحرّك ناقوساً له أعجم الصدا
وقال لنا حطوا حميدتم مسيركم
نعمتكم صباحاً ما الذي قد أتى بكم
وراحتنا في الرّاح إن كنت بايعاً
فقال لكم عندي مُدام عتيقة
مُشعّقة كالشمس لكن تروّحت
وحلّ لنا في الجين ختم فداها
وقلنا من السّاق فلاح بوجهه
وأشعلنا عن نحره بجماله

ومن شعره في المعنى :

يانايماً يطلب الأسرار إسراراً
أرجع إليك ففبك المُلْكُ مُجتمَع
أنت المِشال وكُرسى الصّفات فتّه
والطُّور والدُّر^(٢) منشوراً وقد كتبتُ
والبيتُ يغمُرهُ سرُّ الملائك في
فيك العيان ونَبْنَى بعد آثارا
والقُلْك والفَلْك العلوى قد دارا
على العوالم إعلاناً وإسراراً
أقلامُ قُدْرته في اللّوح آثارا
مِشكاة قَلْبِكَ قد أسرَجْنَ أنوارا

(١) هذا البيت وارد في الإسكوريال وساقط في الزيتونة .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (لنا) .

(٣) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (والرق) والبولي أرجح .

وَرَفَعَ اللَّهُ سَقْفًا أَنْتَ تَسْكُنُهُ
وَبَحْرُ فِكْرِكَ مَسْجُورٌ بِجَوْهَرِهِ
فَإِنْ رَأَيْتَ [بِوَادِي الْقُدْسِ] ^(١) نَارَ هُدًى
وَاخْلَعْ لَسَمْعَ النَّدَا نَعْلِيكَ مُفْتَقِرًا
وَوَغِبْ عَنِ الْكَوْنِ بِالْأَسْمَاءِ مُتَّصِفًا
وَمِنْ ذَلِكَ فِي هَذَا الْمَعْنَى :

أَطْلَبُ مَا فِي الرُّوحِ مِنْ غَامِضِ السِّرِّ
عَرَضْتُ لِعِلْمِ أَتْبَهَمِ الشَّرْعِ بَابَهُ
وَلَكِنْ خَبِيرًا قَدْ سَأَلْتُ مُحَقِّقًا
وَبَيْنَ يَدَيَّ نَجْوَاكَ قَدِّمْ وَسِيلَةً
وَلَا تَلْتَفِتْ جِسْمًا وَلَا مَا يَخْصُصُهُ
وَخُذْ صُورَةً كَلِيَّةً جَوْهَرِيَّةً
وَلَكِنْ بِمِرْآةِ الْبَقِيَّةِ تَوَلَّدَتْ
كَذَلِكَ لَمْ تَحْدُثْ وَلَيْسَتْ قَدِيمَةً
وَلَكِنْ بِذَاتِ الذَّاتِ كَانَ ظُهُورُهَا
وَمِنْ هَذَا الْغَرَضِ قَوْلُهُ :

مُشَاهِدَتِي مَغْنَاكَ يَا غَايَتِي وَقْتُ
مُقَامِي بِقَائِي عَاكِفًا بِجَمَالِكُمْ
لَنْ حَالَتِ الْأَحْوَالُ دُونَ لِقَائِكُمْ
وَإِنْ كَانَ غَيْرِي فِي الْهَوَى خَانَ عَهْدَهُ
فَمَا أَشْتَكِي بَعْدًا وَحُبُّكَ لِي نَعْتُ
فَكُلُّ مُقَامٍ فِي الْحَقِيقَةِ لِي تَحْتَ
فَلَانِي عَلَى حُكْمِ الْمَحَبَّةِ مَا حُلْتُ
فَانِي وَأَيْمُ اللَّهِ عَهْدِي مَا خُنْتُ

(١) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي الزَيْتُونَةِ (بِالْقُدْسِ) .

(٢) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي الزَيْتُونَةِ (التَّحْمِيسِ) .

ومالي رجاً غير نَبِيلٍ وصالكم
نعم إن بدا من جانب الأنس بارقٌ
ومهما تذكرتُ العتابَ يهزني لهيبَتكم^(١) قَبْضُ يَغيبُ به النَّعْتُ
تواجدتُ حتى صار لي الوجْدُ مشرباً
فها أنا بين الصَّخو والمخو دابرٌ
قُصودي إليكم والورود عليكم
وفي غَيْبَتِي غنى حضورى لديكم
وفي فُرْقَتِي الباني بحق جَمْعَتِي
تجلَّيته لي حتى دهشتُ مهابة
مواردُ حق بل مواهبُ غاية إذا
لوايح أنوار تلوح وتختفي^(٢) ولكن
ومهمى بدت تلك الطَّوالع أدهشتُ
وهيهات هيبات الجلال تردني
نَسْفَنُ جِبَالِي فهي قاعٌ صَفْصَفٌ
ولي أدمع أججُن نار جَوَانِحِي ولي
ألا فانظروا قَلْبَ العيان حقيقةً
مراتبُ في التلويين نِلْتُ جميعها
وعند قباي عن فَنَائِي وجدتكم
ورودٌ وشربٌ ثم لا رَى بعده

ولا خوفٌ إلا أن يكون له قُوَّة
يُحرِّكُنِي بَسْطُ به نحوكم طِرْتُ
ولاح وجودٌ للحقيقة إذ غِبْتُ
أقول فلا حرفٌ هناك ولا صَوْتُ
ومنكم سُهودي والوجودُ إذا عَدِمْتُ
وعند امتحان^(٣) الرِّسْمِ والمخو أثبتُ
وفي جَمْعِ جَمْعِي في الحقيقة فرقتُ
ولما ردَّدْتُ اللَّحْظَ بالسُّرِّي عِشْتُ
ما بَدَتْ تلك البوادة لي تُهْتُ
وميضُ البرق ليس له ثَبْتُ
وإن غُيِبَتْ تلك اللَّوامع أظَلَمْتُ
وعند التَّجَلِّي لا محالة دَكَدَكْتُ^(٤)
وليس يُرى فيهن زِيغٌ ولا أَمْتُ
نَفْسٌ لولاه من حُبِّكم ذَبْتُ
فَنَائِي ووجودي والحياة إذا مِتُ
وفي عالم التَّمَكِينِ عن كُلِّها بِنْتُ
فلا رُتْبَةُ عُلوِّية فوق ما نِلْتُ
لين كنت أروى من شَرَابِكَ لا كنتُ

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (لطييتكم) .

(٢) وردت في الإسكوريال (امتحا) والتصويب أرجح .

(٣) وردت في الإسكوريال (واختن) والتصويب من الزيتونة .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (تكدكدت) .

شربتُ أكْوَاسَ الوجود مُدَامَةً فليستُ أَجْلَى عَن ورُودٍ مَتَى شَبِيتُ
وكيفُ وأَقْداحُ العوالمِ كُلُّها ولكنِّي مِن صاحبِ الدَّيْرِ أُسْكِرْتُ
تعلقُ قومٍ بالأَوَانِ وإنَّنِي جَمالُ المعاني لا المعاني عُلِمْتُ
وأَرْضَعْتُ كَنَاساً لَمْ تُدَنِّسْ بِمَزْجِها وَقَدِ نَلِثُها صِرْفاً في العُمرَى ما ضَبَعْتُ
شَرابُها الأبرارُ طابَ مزاجُهم وأَرْضَعْتُها صِرْفاً لَأَنِّي قُرْبَتُ
بِها آدَمُ نالَ الخِلافةَ عَندَما تَبَدَّثَ لَها شَمْساً لها نَحْوُهُ سَمْتُ
وَنَجَّتْ نُوحاً حينَ فَرَّ لِفُلْكِه وَمِن بَأن عَن أَسرارِها عَمْدُ المَوْتِ
وَقَدِ أَخْمَدَتِ نارَ الخَليلِ بِنورِها وَكانَ لِمُوسَى عَن أَشعَّتِها بُهْتُ
وَهَبَتْ لِرُوحِ اللَّهِ رُوحُ نَسيمِها فابْصَرَهُ الأَعْمى وَكَلَّمَهُ المَيِّتُ
وسارَ بِها المُخْتارُ سَيرى لِرَبِّه إلى حَيْثُ لا فَوْقَ هَناكَ ولا تَحْتُ
هَنيئاً لَمَن قَدِ أَسْكَرَتْهُ بِعَرفِها لَقَد نالَ ما يَبْغى وَساعَدَهُ البَخْتُ

ومن نشر الأستاذ الجليل أبي القاسم بن خَلصون المترجم به ، قوله من رسالة :
«وصلني أيها الإبن الشَّجِيب ، المُخلص الحبيب ، كتابك الناطق
بِخُلوصٍ وُؤْدُك ، ورُسوخٍ عَهْدِكَ ، وتلك سَجِيَّةٌ لا يَقة بِمَجدِكَ ، وشِيشَنَةٌ
تُعرفُ مِن والدِكَ وَجَدَّكَ ، وَصَلَ اللَّهُ أَسبابَ سَعْدِكَ ، وَأَنهَضَ عِزَّمَ جَدَّكَ ،
بِتَوفيقِ جَدِّكَ ، وَبِبلغِكَ مِن مَّامُولِكَ ، أَقْصى قَصدِكَ ، فلتَعَلِّمَ أَيُّها الحبيبُ
أَن جَنائِي يَنطَوِي لَكم أَكْثَرُ مِمَّا يَنشُرُهُ لِسانِي . فَإِنِّي مُغْرَى بِشُكْرِكُمْ وَإِن
أَعْجَبْتُ ، وَمُفْصِحٌ بِجَميلِ ذِكرِكُمْ وَإِن جَمَعْتُ ، لا جَرَمَ أَنَّ الوَقْتَ
حَكَمَ بِما حَكَمَ ، وَاسْتَوَى الهَرَجَ فَاسْتَحَكَمَ ، حَتَّى انقَطَعَتِ المَسالِكُ ، وَعَدِمَ
الوارِدُ وَالسَّالِكُ ، وَذلكَ تَمحيصٌ مِنَ اللَّهِ جاريَ عَلى قَضِيَّةٍ قِسطِهِ ، وَتَقْلِبُ
لِقُلُوبِ عِبادِهِ بَينَ إصْبَعِي قَبْضِهِ وَبَسْطِهِ ، حينَ مُدَّ عَلى الخَلِيقَةِ ظِلُّ
التَّلوينِ ، وَلَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ سائِناً ، ثُمَّ جَعَلَ شِمسَ المَعرِفَةِ لِأَهْلِ التَّمكينِ ،

عليه دليلاً باطنياً ، ثم قبض كل الفريق عن خاصيته قهضاً يسيراً ، حتى أطلع عليهم من الأنس بداراً مُنيراً . وإلى ذلك يا بُنَيَّ فَإِنِّي أَحمد الله تعالى إليك على تشويقه إِيَّاكَ إلى مُطالعة كُتُب المعارف ، ونِعْمَتُكَ لِلرُّود على بحر اللطائف . وإنَّ الإمام أبا حامد ^(١) رحمه الله ، لمُتَّحِنٌ أَحرز خَصْلَهَا ، وَأَحْكَمَ فرعها وأصلها ، لا يُنكر ذلك إلا حاسدٌ ، ولا يَأْبَاه إلا مُتَعَسِّفٌ جاحد . هذا وصفه ، رحمه الله ، فيما يَخُصُّه في ذاته . وأما تَعَالِيْمُهُ في تَوَالِيْفِهِ ، وطريقُهُ التي سَلَكَهَا في كَافَّةِ تصانيفه ؛ فَمِنْ عُلَمَائِنَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ، من قال إنه خلط النِّهَايَةَ بِالْبِدَايَةِ ، فصارت كُتُبُهُ أَقْرَبَ إِلَى التَّضْلِيلِ منها إلى الْهُدَايَةِ ، وإنَّ سَمَانَ لم يَقْصُدْ فيها إِلَّا النِّفْعَ ، فيما أَمَّهُ من الْفَرَضِ ، فَوُجِدَ في كتبه الضَّرَرُ بِالْعَرَضِ ، ومَنْ قال بهذا الْفَقِيه الْحَكِيم أَبُو بَكْرٍ بْنُ الطُّفَيْلِ ^(٢) . قال ، وأما أَبُو حَامِدٍ ، فَإِنَّهُ مُضْطَرَبٌ الْتِالَافِ ، يَرْتَبُطُ فِي مَوْضِعٍ ، وَيَحِلُّ فِي آخَرٍ ، وَيَتَمَذَّهَبُ بِأَشْيَاءَ ، وَيَكْفُرُ بِهَا ، مثل أَنَّهُ كَفَرَ الْفَلَّاسِفَةَ بِاعْتِقَادِهِمْ أَنَّ الْمَعَادَ رُوحَانِي ، وَإِنْكَارِهِمْ حَشَرَ الْأَجْسَادِ . وَقَدْ لَوَّحَ هُوَ بِأَنَّ ذَلِكَ مَذْهَبُهُ فِي آخِرِ كِتَابِ « الْجَوَاهِرُ وَالْأَرْبَعِينَ » وَخَرَجَ بِأَنَّهُ مُعْتَقِدٌ كِبَارَ الصُّوفِيَةِ ، فِي كِتَابِ آخِرٍ ، وَقَالَ إِنَّمَا مُعْتَقِدُهُ كَمُعْتَقِدِهِمْ ، وَأَنَّهُ وَقَعَ عَلَى ذَلِكَ بَعْدَ بَحْثٍ طَوِيلٍ وَعَنَاءٍ شَدِيدٍ . قَالَ ، وَإِنَّمَا كَلَامُهُ فِي كُتُبِهِ ، عَلَى نَحْوِ تَعْلِيمِ الْجُمْهُورِ . وَقَدْ اعْتَذَرَ أَبُو حَامِدٍ نَفْسُهُ عَنْ ذَلِكَ فِي آخِرِ كِتَابِ « مِيزَانِ الْعَمَلِ » ، عَلَى أَغْلَبِ ظَنِّي ، فَإِنِّي مِنْ مُطَالَعَةِ الْكُتُبِ مُدَّةً . قَالَ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي هَذِهِ الْأَلْفَاظِ إِلَّا مَا يُشَكِّكُ فِي اعْتِقَادِكَ الْمَوْرُوثِ ،

(١) هو حجة الإسلام الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ)

(١٠٥٨ - ١١١١ م) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (ابن طفيل) وهو الأكثر شيوعاً . وقد

ترجم له ابن الخطيب فيها تقدم (راجع المجلد الثاني من الإحاطة ص ٤٧٨ - ٤٨٢) .

يَعْنَى التَّقْلِيدَ ، فَإِنَّهُ مِنْ لَمْ يَشْكُ . لَمْ يَنْظُرْ ، وَمَنْ لَمْ يَنْظُرْ ، لَمْ يُبْصِرْ ، وَمَنْ لَمْ يُبْصِرْ فَقِيَ الْعَمَى وَالْحَيْرَةَ . ثُمَّ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ :

خُذْ مَا تَرَاهُ وَدَعْ شَيْئاً سَمِعْتَ بِهِ فِي طُلُوعِ الشَّمْسِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ زُحُلِ
وَذَلِكَ أَنَّهُ قَسَمَ آرَاءَهُ إِلَى ثَلَاثَةِ : رَأَى يُجَابُ بِهِ كُلُّ مُسْتَرْشِدٍ سَائِلٍ ،
بِحَسَبِ سَوَالِهِ ، وَعَلَى مَقْدَارِ فَهْمِهِ . وَرَأَى يُجَابُ بِهِ الْخَاصَّةُ ، وَلَا يُصَوِّحُ
بِهِ لِلْعَامَّةِ . وَرَأَى بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَبَيْنَ نَفْسِهِ ، لَا يَطْلُعُ عَلَيْهِ إِلَّا مِنْ شَرِيكِهِ
فِي اعْتِقَادِهِ . وَأَمَّا الْفَقِيهَ الْفَاضِلُ أَبُو الْوَلِيدِ بْنُ رُشْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ ، فَإِنَّهُ بَالِغٌ
فِي ذَلِكَ مَبَالِغٍ عَظِيمَةٍ ، وَذَلِكَ فِي كِتَابِهِ الَّذِي وَصَفَ فِيهِ مَنَاجِجَ أَدَلَّةِ
الْمُتَكَلِّمِينَ ، فَإِنَّهُ لَمَّا تَكَلَّمَ عَلَى طُرُقِ الْأَشْعَرِيَّةِ وَالْمُعْتَزَلَةِ ، وَالْفَلَّاسِفَةِ ،
وَالصُّوفِيَّةِ ، وَالْحَشَوِيَّةِ ، وَمَا أَحْدَثَتْهُ ^(١) الْمُتَكَلِّمُونَ مِنَ الضَّرَرِ فِي الشَّرِيعَةِ
بِتَوَالِيْفِهِمْ ، انْعَطَفَ فَقَالَ ، وَأَمَّا أَبُو حَامِدٍ ، فَإِنَّهُ طَمَّ الْوَادِيَّ عَلَى الْقُرَى ،
وَلَمْ يَلْتَزِمْ طَرِيقَةً فِي كُتُبِهِ ، فَتَرَاهُ مَعَ الْأَشْعَرِيَّةِ أَشْعَرِيًّا ، وَمَعَ الْمُعْتَزَلَةِ ،
مُعْتَزَلِيًّا ، وَمَعَ الْفَلَّاسِفَةِ فَيَلْسُونًا ، وَمَعَ الصُّوفِيَّةِ ، صُوفِيًّا ، حَتَّى كُنَّا بِهِ
يَوْمًا يَمَانٍ إِذَا لَاقَيْتَ ذَا يَمَنٍ وَإِنْ لَقَيْتَ مَعَدِّيًّا فَعَدْنَانِ

ثُمَّ قَالَ ، وَالَّذِي يَجِبُ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ ، أَنْ يُنْهَوْا الْجُمْهُورَ عَنْ كُتُبِهِ ،
فَإِنَّ الضَّرَرَ فِيهَا بِالذَّاتِ ، وَالْمَنْفَعَةُ بِالْعَرَضِ . قَالَ ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ لِأَنَّهُ صَرَّحَ
فِي كُتُبِهِ بِنَتَائِجِ الْحِكْمَةِ ، دُونَ مَقْدَمَاتِهَا ، وَأَفْصَحَ بِالتَّأْوِيلَاتِ الَّتِي لَا يَطْلُعُ
عَلَيْهَا إِلَّا الْعُلَمَاءُ ، الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ، وَهِيَ الَّتِي لَا يَجُوزُ أَنْ تُؤَوَّلَ لِلْجُمْهُورِ ،
وَلَا أَنْ تُذَكَّرَ فِي غَيْرِ كُتُبِ الْبُرْهَانِ . وَأَنَا أَقُولُ إِنَّ كُتُبَهُ فِي الْأَضْلِلِينَ ،
أَعْنَى أَصُولِ الدِّينِ ، وَأَصُولِ الْفِقْهِ . فِي غَايَةِ النَّبْلِ وَالنَّبَاهَةِ . وَبَسْطِ
الْلَفْظِ ، وَحُسْنِ التَّرْتِيبِ وَالتَّنْقِيسِ ، وَقُرْبِ الْمَسَائِلِ . وَكَذَلِكَ كُتُبُهُ الْفَقْهِيَّةُ

(١) وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَّالِ (وَمَا أَخَذَتْهُ) . وَالتَّصَوُّبُ مِنَ الزَّيْتُونَةِ .

والخلافية والمذهبية ، التي ألفها على مذهب الشافعي ، فإنه كان شافعي المذهب ، في الفروع . وأما كتبه التي ذُهب فيها مذهب التصوف ، فهي التي يوجد فيها ما ذكر من الضرر بالعرض . وذلك أنه بنى الأكثر من الاعتقادات فيها على ما تآدى إلى فهمه من مذاهب الفلاسفة ، ونسبها إلى المتصوفة . وقد نبه على ذلك الفقيه الجليل أبو بكر الطرطوشي^(١) في كتابه الذي سماه «بمراقى العارفين» . قال ، وقد دخل على السالكين ضرر عظيم من كُتب هذا الرجل الطوسي^(٢) ، فإنه تشبه بالصوفية ولم يَلْحَق بمذاهبهم ، وخلط مذاهب الفلاسفة بمذاهبهم ، حتى غلِط الناس فيها . على أنني أقول إن باعه في الفلسفة كان قصيراً ، وإنه حذا حذو الشيخ أبي علي بن سينا في فلسفته التي نقلها في المقاصد ، ومنطقيته الذي نقله في معيار العلم ، لكن قصر عنه . وتلك الاعتقادات ، منها حق ومنها باطل ، وتلخيصه لا يتأتى إلا لصنفين من الناس ، أعنى أهل البرهان ، وأهل المكاشفة ، فبحسب ذلك تحتاج كُتبه إلى تقليم علوم البرهان ، أو رياضة أهل المكاشفة . ولذلك صنف هو معيار العلم ، ليكون الناظر في كُتبه يتقدم ، فيتعلم منه أصناف البراهين ، فيلحق بأهل البرهان . وقدم أيضاً تصنيف «ميزان العمل» ليكون المتراض فيه ، وبه يَلْحَق بأهل المكاشفة ، حينئذ يُنظر في ساير كتبه . وهذه الرسالة طويلة ، تكلم فيها على كُتب أبي حامد الغزالي رحمه الله ، بما يدل على تفننه ، وعلى اضطلاع به . رحمه الله .

(١) أبو بكر الطرطوشي فقيه ومفكر سياسي واجتماعي أندلسي ، ولد بقرطبة من أعمال النصارى سنة ٤٥١ هـ ، وتلقى دراسته الأولى بقرطبة ، ثم نرح إلى المشرق وعاطف بحواضره ، وتلقى الكثير عن علمائه ، واستقر أخيراً بالإسكندرية وتوفي بها سنة ٥٢٠ هـ (١١٢٧ م) ، ومن أشهر مؤلفاته كتاب (سراج الملوك) وهو يعالج نظريات في السياسة والاجتماع .

(٢) نسبة إلى طوس من أعمال فارس ، وهي مسقط رأس الإمام الغزالي .

ومن الغرباء في هذا الاسم

محمد بن أحمد بن أمين بن معاذ بن إبراهيم بن جميل بن يوسف المراقى

ثم الخلاطى ، ثم الأفشرى الفارسى ، ويُنعَت من النُّعوت المشرقية
بجلال الدين ، من بلاد فارس

حاله

كان من النُّصوفية المتجُرِّدين من المال والعِيال ، ذا وقار وتُودة ،
وسُكون ومحافظة على ظاهره . أَكثَر في بلاد المشرق من الأخذ عن الشيوخ
المحدثين والمتصوفين ، ثم قَدِم المغرب ، فاستوطن بعض بلاده ، ثم أَجاز
البحر إلى الأندلس عام أربعة وسبعماية ، وأخذ عَمَّن بها من الشيوخ ،
ودخل غرناطة . وكان شافعي المذهب . يُشارك في قرص الشعر .

مشيخته

أخذ عن أبي مروان عبد الملك الشريشي بفاس ، وعن أبي بكر محمد
ابن محمد بن قسي المومياي ، ولبس الخرقة الصوفية من جماعة بالمشرق ،
وبالمغرب ، منهم الإمام أبو إبراهيم الماخرى ، عن أبي محمد صالح ، عن
أبي مدين .

توالياه

أخذ عنه تاليفه في نحو اللغة الفارسية ، وشرح ألفاظها . قال شيخنا .
الوزير أبو بكر بن الحكيم ، كتب إلى والدى ببابه : وقد أَحَسَّ بغُصٍّ من
الشيخ الإمام أبي عبد الله بن خميس ، عميد مجلس الوزارة الحكيمية :

عَبِيدُ بَابِ الْعُلَى واقف أَيْقُبِلْهُ الْمَجْدُ أمْ يَنْصَرِفُ
فَإِنْ قَبْلَ الْمَجْدِ نِلْتُ الْمُنَا وَإِلَّا فَقَدَرِي مَا أُعْرِفُ
ثم كتب على لفظه ما من وصححه . قال فأذن له ، واستظرف منزعه .

محمد بن أحمد بن شاطر الجَمَحِي المُرَاكَشِي

يكنى أبا عبد الله . ويُعرف بابن شاطر .

حاله

فقيرٌ متجردٌ ، يلبس أحسن أطوار الخِرقة . ويؤثر الاصطلاح . مَلِيحُ
الشَّيْبَةِ ، جميل الصورة ، مُسْتَظَرَفُ الشَّكْلِ ، ملازمٌ للمسجد ، مساكنٌ
بالمدارس ، محببٌ إلى الخواص . كثير الذكر ، مترددٌ التَّأَوُّهُ ، شارد
اللِّسَانِ ، كثير الفَلَكَاتِ ، مُطَّرَحٌ فِي أَكْثَرِ الْأَحْيَانِ لِلسَّمْتِ ، ينزع إلى
هدفٍ تايه ، تَشِمُّ عَلَيْهِ الْقِحَّةُ وَالْمَجَانَةُ ، مُقْتَحِمٌ حِمَى الْحِشْمَةِ فِي بَابِ
إِيْهَامِ التَّلْبِيسِ . يزلق سوء الاعتقاد عن صفاته ، وإن قارب الانهماك ، غير
مبالٍ بناقد . ولا حافلٍ بِيَدَامٍ . ولا حامدٍ . كلما اتَّبَعَ انْفَرَدَ . ومَهْمَى
استقام شرد . تطيب النفس به على غمرة . ويحسن الظَّنَّ بباطنه على سوء
ظاهره . مَلِيحُ الْحَدِيثِ ، كثير الاعتبار . دايم الاسترجاع والاستغفار . فعَالُ
الموعظة . عجيب الانتزاع من الحديث والقرآن . مع عدم الحفظ ، مُسْتَشْهِدٌ
بِالْأَبْيَاتِ الْغَرِيبَةِ عَلَى الْأَحْوَالِ . عال شيخنا القاضي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُقَرَّى :
لَقِيتُ فِيْمَنْ لَقِيتُ بِتِلْكَ مَسَانِ رَجُلَيْنِ . أَحَدُهُمَا عَالِمُ الدُّنْيَا ، وَالْآخَرُ نَادِرُهَا .
أَمَّا الْعَالِمُ فَشَيْخُنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَحْمَدَ الْعَبْدَارِي الْأَبْلَى ،
وَأَمَّا النَّادِرُ فَهُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ ، وَهُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمَعْرُوفُ ،

كثيراً ، وأبا عبد الله بن تَجَلَّات^(١) . وأبا العباس بن البنا ، وإخوانهم من
المُراكشين ومن جاورهم ، واختصَّ بأبي زيد الهزيمى ، وآثره وتبناه ،
وكان يقول له ، وألقيت عليك محبة منى ، فيظهر أثر ذلك عليه ، من
سُتر الهنات ، ووضع القبُول ، فلا تجد من يَسْتثقله من راض عنه أو ساخط .
دخل الأندلس ، وقدم على غرناطة ، وتلوّم بها أياماً .

نيسد من أقواله

فمن ذلك أنه إذا سئل عن نفسه يقول ، أنا ولى مَفْسُود ، وفى هذا
من النّصفة ، وخِفّة الروح ما لا خفاء به . قال بعض شيوخنا ، قلت له
يوماً ، كيف أنت ، فقال ، كيف أنا محبوس فى الدّم . ومن حكمه ،
الليل والنهار حَرَسِيَّان ، أحدهما أسود ، والآخر أبيض ، وقد أخذَ بمجامع
الخلق إلى يوم القيامة ، وإن مررنا إلى الله . ومرّ يوماً بأبي العباس بن شعيب
الكاتب وهو جالس فى جامع الجزيرة ، وقد ذهبت به الفكرة ، فصاح به
فلما رفع رأسه ، قال ، وله نَعشُ خاطر ، أنظر إلى مَرَكِب عَزْرَائِيل ،
قد رفع شراعَه ، والنّدا عليه ، أركبوا يا عزا . قال شيخنا أبو عبد الله المقرئ ،
وجدته يوماً فى المسجد ذا كراً ، فقلت له ، كيف أنت ، فقال مُهيم فى
روضة يَجْبُرُون ، فهمتُ بالانصراف . فقال أين تذهب من روضة من
رياض الجنة . يقام فيها على رأسك بهذا التّاج . وأشار إلى المنار ، مملوءاً
باللّه أكبر . قال وأنشدنى أبو العباس بن البنا ، وكتبهما عنه :

قصدت إلى الوجازة فى كلامى لعلمى بالصواب فى الاختصار

(١) عاتق بن الإسكوريال . ولى الرينونة (بجاز) .

ولم أخذَر فهو ما دون فهمي ولكن خِفْتُ إزراء الكبار
 فشأن فحولة العلماء شأني وشأن البسط تعليم الصغار
 قال ، وأخبار ابن شاطر تحتمل كُراسة ، قلت رأيته بفاس في أخريات
 عام خمسة وخمسين ، وهو الآن بحاله الموصوفة ، قد أربي على السبعين .

محمد بن محمد بن عبد الرحمن التميمي ، ابن الحفأوي^(١)

من أهل تونس ، يكنى أبا عبد الله ، نَزِل غرناطة ، ويعرف بالتونسي
 وبابن المؤذن ببلده .

حاله

من « العايد » : قال ، وليُّ الله المُجاب الدعوة ، الظاهرُ الكرامة ،
 المشهودُ له بالولاية . وَرَدَ الأندلس في جملة من تُجَار بلده ، وبيده مالٌ
 كبير ، بذله في معاملة ربِّه ، إلى أن استأصله بالصدقة ، وأنفقَه في
 سبيل الله ، ابتغاءَ مَرْضَاتِهِ ، وتجرَّد عن الدنيا ، وأخذ نفسه بالصلاة والصوم
 والتلاوة ، وكثرة السجود . والتطارح لا على ذلك^(٢) ، محفوظاً في ذلك
 كله ، حِفْظَةَ الأولياء ، مُذَكِّراً بمن سَلَفه من الزُّهاد ، عازباً عن الدنيا
 [أخذ نفسه]^(٣) بسلوك الإيتاب عنها ، رحمة للخلق . وتمالاً للمساكين ،
 يقصده الناس بصلفاتهم ، فيبثُّها في ذوى الحاجات^(٤) . فيتألَّف في باب
 مسجده آلاف من رجالهم ونسائهم وصبيانهم ، حتى يعمُّهم الرِّفْد ، وتسعُّهم

(١) هكذا في الإسكوريال . ووردت في الزينونة (الحفأوي) .

(٢) هذه الزيادة من الزينونة .

(٣) هذه الزيادة من الزينونة .

(٤) هكذا وردت في الزينونة . وفي الإسكوريال (الحاجه) . والأولى أسب .

الصدقة . وكان غريبَ الأحوال ، إذا وصلَ وقت الصلاة ، يظهر عليه البشرُ والسرور ، ويدخل مسجده الذي ابتناه ، واحتفل فيه ، فيخلو بنفسه آخذاً في تعبدات كثيرة ، غريبة شاملة لجميع أركان المسجد ، ويزدحم الناس حول المسجد ، وأكثرهم أهلُ الفاقة ، فإذا تمكَّن الوقت ، أذن أذاناً مؤثراً في القلوب ، جذاً وصدقاً ووقاراً ، كان صدره ينصدع عند قول ، لا إله إلا الله . ثم يعيدُ التَّعَبُّدَ والسُّجودَ في الصَّومعة وأذراجِها ، حتى يُفتَحَ باب المسجد ، وينتقل إلى صدرِ المحراب ، فيصلي ركعات خفيفة . فإذا أقام الصلاة ، ووقف عند المحراب ، ظهر عليه من الخوف والكآبة والحزن والانكسار والتضرُّع والتَّمَلُّق^(١) والرغبة ، ما لا تنفى العبارة بوصفه ، كأن موقفَه موقفَ أهل الجرائم بين أيدي الملوك الجبابرة . فإذا أتمَّ الصلاة على أتمِّ هيئاتها ، ترى كأن الغبار على وجهه ، أو كأنه حُشِر من قَبْرِ ، فإذا شرع في الدعاء بأثر الصلاة ، يتلوه بترداد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في كل دَعْوَةٍ ، ويتوسَّل به ، وتظهر عليه أحوال من الحُضور والمراقبة ، وينجلي عن وجهه ما كان به . وكان يَخْتِمُ القرآن في شهر رمضان مائة خَتْمَةٍ ، فما من ليلة ، إلا ويُحيي الليل كله فيها بمسجده . هذا ترتيبه . ولو تَبَعْنَا ما شوهد من كراماته وأحواله ، لخرجنا عن الغرض .

ولد بتونس في حدود الأربعين وستماية .

توفي في شهر ربيع الثاني عام خمسة عشر وسبعماية . وكان الحفل في جنازته عظيماً . استوعب الناس كافة ، وحضر السلطان ، فمن دونه ، وكانت تنم . زعموا . على نعشه وقبره رائحة المسك . وتبرك الناس بجنازته ،

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزينونه (التخلق) .

وقصد قبره المرضى وأهل الحاجات . وبقى القهراء يقرأون القرآن عليه مدة طويلة . وتصدق على قبره بجملة من مال ، ففدى به طائفة من الأسرى . وقبره بباب إسيرة عن يمين الخارج إلى مقبرة العسال ، معروف هنالك .

محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن يوسف اللواتي
من أهل طنجة ، يكنى أبا عبد الله ، ويُعرف بابن بطوطة .

حاله

من خط شيخنا أبي البركات ، قال ، هذا رجلٌ لديه مشاركة يسيرة في الطلب ، رحل من بلاده إلى بلاد المشرق يوم الخميس الثاني من رجب عام خمسة وعشرين وسبعماية ، فدخل بلاد مصر والشام والعراق ، وعراق العجم ، وبلاد الهند والسند ، والصين ، وصين الصين ، وبلاد اليمن . وحج عام سنة وعشرين وسبعماية . ولقى من الملوك والشيخ عالياً ، وجاور بمكة . واستقر عند ملك الهند ، فحظي لديه ، وولاه القضاء ، وأفاده مالا جسيماً . وكانت رحلته على رسم الصوفية زيا وسجية ، ثم قفل إلى بلاد المغرب ، ودخل جزيرة الأندلس ، فحكى بها أحوال المشرق ، وما استفاد من أهله ، فكذب . وقال ، لقيته بغرناطة ، وبتنا معه بيستان أبي القاسم ابن عاصم بقريّة نبلّة ، وحدثنا في تلك الليلة ، وفي اليوم قبلها عن البلاد المشرقية وغيرها ، فأخبر أنه دخل الكنيسة العظمى بالقسطنطينية العظمى ، وهي على قدر مدينة مسقفة كلها . وفيها اثني عشر ألف أسقف . قلت ، وأحاديثه في الغرابة أبعد من هذا . وانتقل إلى العُدوة ، فدخل

بلاد السودان . ثم تُعرَّف أن ملك المغرب استدعاه ، فلهحق بيابه : وأمر بتدوين رحلته^(١) .

سائر الأسماء في حرف الميم

الملوك والأمراء ، وما منهم إلا طارىء علينا أو غريب

مَزْدَلِي بن تيولتكان بن حمى بن محمد بن ترقوت بن وزبابطن بن منصور
ابن نصاله بن أمية بن واباتن الصنهاجي اللثموني

حاله

كان الأمير مَزْدَلِي عَضْدَ القايم بالدولة اللثمونية يوسف بن ناشفين ،
وقريبه لالتقائهما في تَرْقُوت ، راش به وبرى ، وجَزَّ وفَرَى ، فهو شيخ
الدولة اللثمونية ، وكبير العصابة الصنهاجية ، بطلاً ثَبُتًا ، بُهْمَةٌ من البُهم
بعيد الصَّيت ، عظيم الجَلَد ، شهير الذِّكر ، أصيل الرَّأْي ، مُسْتَحْكَم
الحُنْكَة ، طال عمره ، وَحَمَدَت مَواقِعُهُ ، وَبُعَدَت غاراتُهُ ، وعظمت في
العدوِّ وقايِعُهُ ، وشُكِرَت عن سلطانه نيابَتُهُ .

من مناقبه ، استرجاع مدينة بلنسية من أيدي الروم بسَعْيِهِ ، وردّه إلى
مُلْكَةِ الإسلام بحميد غنائه في مُنتصف رجب عام خمس وخمسين مائة .

(١) إنه لمن بواعث الأسف والدهشة معاً ، أن يقتصر ابن الخطيب في التعريف بابن بطوطة ،
أعظم الرحل المسلمين ، على هذه الأسطر القليلة ، التي نقلها من خط سجد ابن الحاج . وقد أدرك جرداً به
أن يعطى سيرة هذا الرحالة العظيم شيئاً من الأهمية ، فيعدها إليها على الأقل في الحيز الممنول الذي
ترجم فيه لمواطنه الرحالة الغرناطي ابن حبير (راجع هذه البرحة في المجلد الثاني من الإحاطة ص ٢٣٠ -
٢٣٩) والتي عرف فيها بحاله ورحلته ومشيخته ونثره وشعره بأفاضة . ولقد كان ابن الخطيب ، قبل
أن يضع لابن بطوطة هذه الترجمة الموجزة ، على ما قد موّه ، صداقته . وقد وجد إليه وقت أن كان
قاضياً بالسوس بتامسنا (في سنة ٥٧٦٣هـ) أثناء إقامته بسلا . رسالة يستشير به فيها في شراء الأرض
بجواره (راجع هذه الرسالة في كتابنا لسان الدين ابن الخطيب . ص ٣٣٤) .

دخوله عرباطه . ولّى قرطبة وغرناطة وما إليهما من قبيل يوسف بن
 ناشقيرين سبعة حمسين وخمسمائة
 قال ابن الصّيرفي^(١) . توفي ليلة الثلاثاء السابع عشر من شوال عام
 ثمانية وخمسين مائة . غازيا على مقربة من حصن قسطنطينية ، طرق به إلى
 قرطبة . فوصل يوم الأربعاء ثاني يوم وفاته ، وصلى عليه إثر صلاة العصر
 الفقيه القاضي بقرطبة أبو القاسم بن حمد بن حمدين ، ودفنه قريب أبيه ، وبُنيت
 عليه روضة حسنة . وكان ، نصر الله وجهه ، البقية الصالحة على نهج
 أمير المسلمين يوسف .

موسى بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الهنتاتي السيد أبو عمران .

حاله

بَيْتُهُ معروف . وكان أديباً شاعراً ، جواداً ، واختصّ بالعدل ، فجعل
 قَدْرُهُ في دولته ، وأمله الناس بإشبيليه في حوايجهم لمحلّه منهم .
 ولما انصرف عنها العادل إلى طلب الخلافة ، قدّمه عليها ، فبلغ الغاية .
 وفي شوال من عام اثنين وعشرين وستماية ، كانت على جيّشه الوقعة ،
 أوقعها به السيد أبو محمد البيّاسي ، وأخباره شهيرة .
 وتوفي تغريماً في البحر بعد أن وُلّي بجاية ، رحمه الله وعفما عنه .

شعره

قال ، وكان أبو المطرّف بن عميرة ، يَنشِدُ له ، يخاطب الفقيه

(٢) هو من علماء غرناطة وكتّابها في النصف الأول من القرن السادس الهجري . وقد سبق
 التعريف به . (راجع المجلد الأول من الإحاطة ص ١٠٨ حاشية) .

الأديب أبا الحسن بن حريق بسْتَحِثُّه على نظم الشعر في عَرُوض الخَبَبِ .
 خَذُ في الأشعار على الخَبَبِ ففُصُوركَ عنه من العَجَبِ
 هذا وبنو الآداب قُضُّوا بعُلوِّ مَجْدِكَ في الرُّتَبِ
 فنظم له أبو الحسن القصيدة المشهورة ، منها :

أَبْعِدَ الشَّيْبَ هَوَى وَصَبَا كَلَّا لَا لَهْوًا وَلَا لِعِبَا
 ذَرَّتْ السُّتُونُ بُرَادَتَهَا فِي مِسْكَ عِذَارِكَ فَاشْتَهَبَا
 وَمِنْهَا : يَا نَفْسَ أَحْيِ تَصَلِي أَمَلًا عِشِي رَوْحِيَا تَرَوِي عَجَبَا
 وَخُذِي فِي شُكْرِ الْكِبَرَةِ مَا لَاحِ إِلَّا صُبْحَ وَمَا ذَهَبَا
 فِيهَا أَخْرَزْتُ مَا رَفَّ مَا أَبْلَيْتَ بِجِدَّتِهِ الْحَقْبَا
 وَالْخَمْرُ إِذَا أُعْتِقَتْ وَصَفَتْ أَعْلَى ثَمَنًا مِنْهَا عِنَبَا
 وَبَقِيَّةُ عُمَرِ الْمَرْءِ لَهُ أَنْ كَانَ بِهَا طَبَّاءُ دَرَبَا
 هَبْنِي فِيهَا بِإِنَابَتِهِ مَا هَدَمَهُ أَيَّسَامُ صَبَا

دخل غرناطة ، فوجِبَ ذكره مع مثله .

مَنْدِيل بن يعقوب بن عبد الحق بن نَحْيَوَ الأمير أبو زِيَّان

حاله

كان فاضلاً عاقلاً جواداً ، عَيْنُهُ أَبَوُهُ أمير المسلمين أبو يوسف بن
 عبد الحق ، للضَّرْبِ عَلَى أَحْوَازِ مَالِقَةَ عِنْدَ الْفِتْنَةِ . فاضطَّربَ المحلة تجاه
 سَهِيل^(١) . وَضِيقٌ عَلَى تِلْكَ الْأَحْوَازِ ، وَبَرَزَ إِلَيْهِ الْجَيْشُ لِنَظَرِ مُوسَى بْنِ

(١) سَهِيل ، وتسمى اليوم بالإسبانية Fuengirola بلدة من إقليم مَالِقَةَ ، تقع على شاطئ
 البحر المتوسط ، على قيد نحو ثلاثين كيلو متراً غرب مَالِقَةَ .

زُحُو من قرابته ، النَّازِعِينَ عن إيالة المغرب من بني رَحُو . وَكَانَ اللِّقَاءُ ،
فوقعت به الدَّيْبَةُ ، وانهزم جيشه ، وَقُبِضَ عليه ، وسِيَقَ إلى السلطان ،
فتلقاه بالبر ، ورعى ما لبيته الكبير من الحق ، وأسكنه مجاوراً لقصره
بحمرايه^(١) ، مرفهاً عليه ، مَحْجُوزاً عن التصرف ، إلى أن كانَ فيما تلاحق
بهذه الحال من وفاة أبيه السلطان أبي يوسف بالجزيرة الخضراء ، وتَصَيَّرَ
الأمر إلى ولده السلطان أمير المسلمين أبي يعقوب يوسف . وتجددت الألفة
وتأكدت المودة ، وارتفعت الإحنة ، فكان ما هو معروف من التقائهما على
تَعِيْنَةٍ^(٢) إجازة ملك المغرب أبي يعقوب البحر على ظاهر مَرَبَلَّة^(٣) ، وصُرف
الأمير أبوزيان محبوا بما يليق به .

حدثني شيخنا أبو زكريا بن هذيل رحمه الله ، قال ، نُصِبَ للسلطان
أبي يعقوب خِباءٌ احتفل في اتخاذه له أميرُ سَبْتَةِ ، فبلغ الغاية التي
لاستطيعها الملوك ، سُمُوَّ عماد ، وامتداد ظل ، وانفساح ساحة ، إلى إحكام
الصَّنعة ، والإيعاء في الزُّخرف . وقعد فيه السلطان ملك المغرب ، وأجلس
السلطان أمير المسلمين أبا عبد الله ابن الغالب بالله ، عن يمينه ، وأخاه
الأمير أبا زيَّان عن يساره ، وقرأ عِشاره المعروف بالوقاد، آيةُ الله في حُسن
الصُّوت ، وبعد ما سمع ، وطيب النِّعْمَة ، قوله عز وجل ، « يا أيها
العزیز مَسْنَا وَأَهْلْنَا الضُّرُّ ، وجئنا ببضاعة مُزْجاة ، فأوف لنا الكيل ،
وتصدق علينا ، إِنَّ اللَّهَ يُجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ . قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف

(١) بحمرايه أى قصر الحمراء مقر سلاطين غرناطة .

(٢) هكذا وردت في الزيتونة وفي الإسكوريال (تبة) .

(٣) مَرَبَلَّة . بالإسبانية Marbella ثغر من ثغور شاطئ إسبانيا الجنوبي المسمى بساحل
الشمس Costa del sol ، نظراً لصفو منظره ، وصفاء جوه ، تقع على نحو ستين كيلو متراً غرب مالمقة
(وراجع المحدثات من الإحاطة ص ١٩٧ حاشية) .

وأخيه ، إذ أنتم جاهلون ، قالوا إنك لأنت يوسف ، قال أنا يوسف وهذا أخي قد منَّ الله علينا ، إنه من يتَّق ويَصْبِر ، فإن الله لا يُضيع أجر المحسنين . قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وإن كُنَّا لخاطئين ، قال لا تُشْرِب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين » . فكان مقاماً مُبهتاً . كان السلطان رحمه الله يقول ، لشدَّ ما جنى علىَّ عدو الله بَقِيحَتِهِ ، والله لقد كان يُشير بيده إلى السلطان وأخيه عند قوله ، أنا يوسف وهذا أخي . ثم أجاز للعدوة ، فطاح بها لعهد غير بعيد .

وكان الإيقاعُ بجيش الأمير أبي زيَّان في أخريات ذى الحجة عام أربعة وثمانين وستاية . فاتصل بذلك موتُ والد أمير المسلمين أبي يوسف بالخضراء في شهر محرم عام خمسة وثمانين بعده ، وكان لِقَاء السُّلْطَانَيْن بالخضراء في شهر محرم عام خمسة وثمانين هذه ، وكان اللِّقَاء كما ذكر في شهر ربيع الآخر من العام المذكور .

ومن الطارئين

المُطَرِّف بن عبد الله بن محمد ابن [عبد الرحمن بن الحكم] بن هشام
ابن عبد الرحمن بن معاوية^(١)

حاله

كان المطرّف ، ولد الخليفة^(٢) عبد الله أمير المسلمين بالأندلس ، شجاعاً مقداماً ، جَرِيّاً . صرّفه والده الخليفة في الغزوات ، وقوّد العساكر ، وهو الذي بنى حصن لَوْشَة . ووقم كثيراً من الخوارج على والده .

(١) وردت نسبة المطرف محرفة في الإسكوريال حيث ذكرت (المطرف بن عبد الله ابن عبد الله) وأسقط منها من بعد محمد اسم (عبد الرحمن) . ولكنها وردت صحيحة في الزيتونة .
(٢) إن استعمال كلمة (الخليفة) هنا هو من باب التجاوز ، لأن عبد الله لم يكن سوى أمير الأندلس ، ولم تبدأ الخلافة إلا من بعده على يد حفيده عبد الرحمن الناصر .

دخوله غرناطة

قال ابن حيان^(١) غزا المطرّف بُبَشْتَر^(٢) بسبب ابن حفصون ، إذ كان صالح الأمير عبد الله ، ودفع رهينةً إياه ، فلما امتحن الطفل ، وُجد غير ابنه ، فنهض إليه المطرّف ، وكان القايّد على العسكر قبله عبد الملك ابن أمية ، فنهض صُحبته ، ونازل المطرّف ابن حفصون ، فهتَكَ حَوَزَتَهُ ، وتقدّم إلى بِنِيَّةٍ كان ابْتَنَاهَا بموضع يعرف باللّوِيَّات ، فشرع في خرابها ، وخرج ابن حفصون ومن معه من النّصرانية يُدافع عنها ، وعن كنيسة كانت بقُرْبِهَا ، فغلب ابن حفصون ، وهدمت الكنيسة ، وقُتل في هذه الحرب حفص بن المُرّة قايّده ووجوه رجاله ، وعند الفراغ من ذلك . انصرف المطرّف ، فدخل كُورَةَ البيرة ، وبنا لَوْشَةً ، وتقدّم منها إلى البيرة ودخلها ، ثم طاف بتلك الجهات والحصون ، ثم انصرف .

ذكر إيقاعه بعبد الملك بن أمية وسبب ، الإحنة بينه وبين أبيه

قال ، وفي هذه الحركة ، أُوْقِعَ بعبد الملك بن أمية ، لما كان في نفسه لصرف والده عن عَقْدِ البَيْعَةِ له ، وتمزيق العَهْدِ في خبر يطول . وكان والده قد أخذ عليه الميثاق عند خروجه إلى شَدُونَةِ^(٣) ، أَلَّا يَغْرُضَ إليه بمكره ، وأقسم له بالإيمان ، لين نال منه شيئاً ليعاقبَه بمثله ، فلما قتله ، عَقَدَ

(١) أبو مروان بن حيان القرطبي من أعظم مؤرخي الأندلس (٣٧٧ - ٤٦٩ هـ) . وقد سبق التعريف به (أنظر المجلد الأول من الإحاطة ص ٩٢ حاشية) .

(٢) ببشتر وبالإسبانية Bobastro ، بلدة حصينة تقع في شمال غربي مالقة ، وعلى مقربة من شمال شرق رندة ، وكانت أيام الفتنة الكبرى من معاقل زعيم ثورة الجنوب ابن حفصون .

(٣) شَدُونَةُ أو مدينة شَدُونَةِ وبالإسبانية Medina Sidonia ، تقع في منطقة العرنتيرة في المثلث الإسباني على مقربة من جنوب شرق شريش ، وعلى مقربة منها كانت الموقعة الحاسمة التي انتصر فيها طارق بن زياد فاتح الأندلس على القوط سنة ٩٢ هـ (٧١١ م) .

الوثائق عليه ، وأخذ الشهادات فيها بالظلم والشؤم خوفاً من أبيه ، وكتب إليه يعتذر له ، ويُحْكَمه في نفسه .

مقتل المطرف

قال ، وظهرت عليه ، فعال قبيحة ، من أذى جيرانه بما أكَّد غاية أبيه عليه ، وأعان عليه معاوية بن هشام ، لما ذكروا أنَّ المطرف كان قد خلا به ، فذكروا أنه نزل يوماً عنده بمنزله ، وأخذوا في حديث الأبناء ، وكان المطرف عقيماً ، فدعا معاوية بِصَبِي يَكْلِفُ به ، فجاء وبرأسه ذؤابتان ، فلما نظر إليه المطرف حسده ، وقال يا معاوية ، أنتشبه بأبائنا الخلفاء في بنيهم ، وتناول السيف فحزَّ به الذؤابة ، وكان معاوية حيَّة قريش دهاء ومكراً ، فأظهر الاستحسان لصنعه وانبسط معه في الأنس ، وهو مضطغن . فلما خرج كتب إلى الخليفة يسأله اتصالة إليه ، فلما أوصله كاشفه في أمر المطرف [بما أزعجه ، وأقام على ذلك ليلاً أحكم أمره عند الخليفة] ^(١) بلطف حيلته ، فأصاب مقتله سهم سعايته . قال ابن الفياض ، بعث الأمير عبد الله إلى دار ولده المطرف عسكراً للقبض عليه ، مع ابن مضر ، فقتل في داره حتى أخذ ، وجيء به إليه ، فتشاور الوزراء في قتله ، فأشار عليه بعضهم أن لا يقتله ، وقال بعضهم إن لم تقتله قتلك ، فأمر ابن مضر بصرفه إلى داره ، وقتله فيها ، وأن يذفنه تحت الريحانة التي كان يشرب الخمر تحتها ، وهو ابن سبع وعشرين سنة ، وذلك في يوم الأحد ضحى لعشر خلون من رمضان سنة الثنتين وثمانين ومائتين .

(١) هذه العبارة واردة في الزيتونة ، وساقطة في الإسكوريال .

مُنْذِرُ بْنُ يَحْيَى التُّجِيبِي

أمير الثُّغُرِ الْمُنتَزِي بعد الجماعة بقاعدة سَرْقُسطة ، يكنى أبا الحكم
ويُلَقَّبُ بالحاجب المنصور ، وذى الرياستين

حاله

قال أبو مروان ، وكان [أبو الحكم]^(١) رجلاً من عَرَضِ الجند ،
وترقَّى إلى القيادة آخر دولة ابن أبي عامر . وتناهى أمره في الفِتنَةِ إلى
الإمارة . وكان أبوه من الفرسان غير النُبَهَاء . فأما ابنه منذر ، فكان فارساً
نقيُّ القُرُوسَةِ ، خارجاً عن مدى الجهل ، يتمسك بطَرْفِ^(٢) من الكتابة
السَّاذِجَةِ . وكان على غَدْرِهِ ، كريماً ، وهَبَ قُصَّاده مالا عظيماً ، فَوَدَّوا عليه ،
وعَمَرَت لذلك حَضْرَتُهُ سَرْقُسطة . فحسُنَت أيامه ، وهَتَفَ المُدَّاح بذكره .
وفيه يقول أبو عمرو بن درَّاج القَسْطَلِيُّ^(٣) قصيدته المشهورة ، حين

صَرَفَ إليه وجهه ، وقَدِمَ عليه في سنة ثمان وعشرين وأربعماية :
بُشْرَاكَ مِنْ طَوْلِ التَّرْحُلِ وَالسُّرَى صُبْحَ بَرْوَحِ السَّفَرِ لَاحَ فَأَسْفَرَا
مِنْ حَاجِبِ الشَّمْسِ الَّذِي حَجَبَ الدُّجَا فَجَجْرًا^(٤) بَأَنَارِ الذَّرَى مُتَفَجَّرَا

(١) هذه الكلمة واردة في الزيتونة ، وسافطة في الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (يضرب) .

(٣) هو أبو عمرو (وهو الأرجح في كنيته) أحمد بن محمد بن دراج القسطل ، من أعظم شعراء الأندلس في أواخر عهد المنصور وأوائل عهد الطوائف . ولد سنة ٣٤٧ هـ بفسطاطة من أعمال جيان . وتوفي سنة ٤٢١ هـ (١٠٣٠ م) وله مدائح كثيرة لأمراء الطوائف . وقد قام على تحقيق ديوانه ونشره الدكتور محمود علي مكى (دمشق سنة ١٩٦١) .

(٤) وردت في الإسكوريال (فجرى) . والتصويب من الديوان .

نادى بحى على الندى ثم اعتدلا
 لبّيك أسمعنا نداءك ودونسا
 من كل طارق ليل هم^(١) ينتحى
 سار ليعدل عن سمالك أنجمى
 فكأنما أعدته^(٢) أسباب النوى
 أو غار من همى فأنحى شأوها
 حتى علقت النيرين فأعلقا
 فسيرت في حرم الأهله مظلما
 وشعيت أفلاذ الفيّاد ولم أكند
 ست نسراها الجلاء مغربسا
 لا يستفيق الصبح منها ما بدا
 ظعن ألفن القفر في غول الدجا
 يطلبن لج البحر حيث تقاذفت
 هيم وما يبتغين دونك مؤردا
 من كل نضو الآل محبوبك المنى
 بدن قدت منا دماء نحورها
 نحرت بنا صدر الدبور فأنبطت
 وصبت إلى نحو الصبا فاستخلصت
 خوص نفخن بنا البرى حتى انثنت

سبل الغفاة مهللا ومكبّرا
 نوى الكواكب مخويا أو منطرا
 وجهى بوجه من لقايك أزهرا
 وقد ازدهاها عن سنّك محيرا
 نور الهدى عن يديك منورا^(٣)
 فلک البروج مغربا ومغورا
 مثنى يدى ملك الملوك النيرا
 ورقلت في خلع السموم مهجرا
 فحدوت من حدو الشريا منظرا
 وحدا بهما حادى النجباء مشمرا
 فلقسا ولا جدى الفراقدا ما سرا
 وتركن مألوف المعاهد مقفرا
 أمواجه والبر حيث تنكرا
 أبدا ولا عن بحر جودك مضدرا
 يزجيه نحوك كل محبوبك القرا
 بيغائها في كل أفق منحرا
 قلق المضاجع تحت جو أكدرا
 سكن الليالى والنهار المبصرا
 أشلاؤهن كمثل أنصاف البرا

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الديوان (همى) .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال وفى الديوان (أغرتة)

(٣) هكذا وردت هذه الشطرة فى الإسكوريال ، ووردت فى الديوان كآلى (تقدر لبعدى

من يديك مقدراً) .

نَذَرْتُ لَنَا أَنْ لَا تُلَاقَى رَاحَةً
وَتَقَاسَمْتَ أَنْ لَا تُسَيِّغَ حَيَاتَهَا
لِلَّهِ أَىْ أَهْلَةً بَلَغْتَ بِنَا
بَلْ أَىْ غُضُنٍ فِي ذَرَاكَ هَضْرَتُهُ
فَلْتُنْ صَفَا مَاءَ الْحَيَاةِ لَدَيْكَ لَى
وَلْتُنْ خَلَعْتَ عَلَى بُرْدًا أَخْضَرَا
وَلْتُنْ مَدَدْتَ عَلَى ظِلَا بَارِدَا
[وَكُفَى لِمَنْ] (٢) جَعَلَ الْحَيَاةَ بِضَاعَةً
فَمَنْ الْمُبْلَغُ عَنْ غَرِيبٍ نَازِحٍ
لَهْفَانٍ لَا يَرْتَدُّ [طَرْفُ جَفُونِهِ] (٣)
أَبْنَى لَا تَذْهَبُ بِنَفْسِكَ حَشْرَةً
فَلْتُنْ تَرَكْتَ اللَّيْلَ فَوْقَ دَاجِيَا
وَلَقَدْ وَرَدَتْ مِيَاهُ مَأْرِبٍ حُقْلًا
وَنَظَّمْتَ لِلنَّعِيدِ الْحَسَانَ قَلَانِدًا
وَحَلَلْتَ أَرْضًا بُدِّلَتْ حَصْبَاؤُهَا
وَلِيَعْلَمَ الْأَمْلَاكُ أَنَّى بَعْدَهُمْ
وَرَى عَلَى رِدَائِهِ مِنْ دُونِهِمْ
ضَرَبُوا قِدَاحَهُمْ عَلَى فَنَازِ بَى
مِمَّا تُلَاقَى أَوْ تُلَاقَى مُنْزِلَا
دُونَ ابْنِ يَحْيَى أَوْ تَمُوتَ فُتَعْدَلَا
يُغْنَاكَ يَا بَذَرَ السَّمَاءِ الْمُقْمِرَا
فَجَرَى (١) فَأَوْرَقَ فِي يَدَيْكَ وَأَذْمَرَا
فَمَا شَرَقْتَ إِلَيْكَ بِالمَاءِ الصَّرَى
فَلَقَدْ لَبِسْتُ إِلَيْكَ عَيْشًا أَغْبَرَا
فَلَكُمْ صَلَبْتُ إِلَيْكَ جَوًّا مُسْعَرَا
وَرَأَى رِضَاكَ يَهَا رَخِيصًا فَاشْتَرَى
قَلْبَا يَكَادُ عَلَى أَنْ يَتَفَطَّرَا
إِلَّا تَذَكَّرَ عَبْرَتِي فَاسْتَعْبَرَا
عَنْ غَوْلٍ رَخِلَى مُنْجِدَا أَوْ مُغَوَّرَا
فَلَقَدْ لَقِيتُ الصَّبْحَ بَعْدَكَ أَزْهَرَا
وَأَسَمْتُ خَيْلِي وَسَطَ جَنَّةٍ عَبَقَرَا
مِنْ تَاجِ كِسْرَى ذَى الْبَهَاءِ وَقَيْصَرَا
ذَهَبًا يَرِفُ لِنَسَاطِرِي وَجَوْهَرَا
أَلْقَيْتُ كُلَّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا
مَلِكُ تُخَيْرَ لِلْعَالَا فَتَخَيَّرَا
مَنْ كَانَ بِالْقَدَحِ الْمُعْلَى أَجْدَرَا

(١) هكذا وردت في الإسكوريال وفي الديوان (نخر)

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال وفي الديوان (وكفاك من)

(٣) وردت في الإسكوريال (في أجفانه) : عبارة الديوان (طرف جفونه) أنسب

مِنْ فَلَكْ طَرْفِي مِنْ تَكَالِيفِ الْفَلَاحِ
 وَكَفَا عِتَابِي مِنْ أَلَامِ مُعَسَّدَا
 وَمُسَائِلِ عَنِّي السَّرْفَاقِ وَوُدِّهِ
 وَبَقِيَّتِي فِي لُجَجِ الْأَسَى مُتَضَلِّلَا
 كَلَّا وَقَدْ آتَسْتُ مِنْ هُودِ هُدًى
 وَأَصَبْتُ فِي سَبَابِ مَوْرَثِ مُلْكِهِ
 فَكَأَنَّمَا تَابَعْتُ تَبِعَ رَافِعَا
 وَالْحَارِثُ الْجَفْنِيُّ مَمْنُوعُ الْحِمَى
 وَحَطَّطْتُ رَحْلِي بَيْنَ نَارِي حَائِمِ
 وَلَقِيتُ زَيْدَ الْخَيْلِ تَحْتَ عَجَاجَةٍ
 وَعَقَدْتُ فِي يَمَنِ مَوَاقِقَ ذِمَّةِ
 وَأَتَيْتُ بِحَذَلٍ وَهُوَ يَرْفَعُ مِنْبَرَا
 وَحَطَّطْتُ بَيْنَ جِفَانِهَا وَجُفُونِهَا
 تِلْكَ الْبَحُورُ تَتَابَعَتْ وَخَلَفَتْهَا
 وَلَقَدْ تَمَوَّكُ وَلَادَةُ وَسِيَادَةُ
 فَمَمَرْتُ بِالْأَمَالِ (١) أَكْرَمَ أَكْرَمِ
 وَشَمَائِلِ عَقِيقَتِهَا سُبُلُ الْهُدَى
 أَهْدَى إِلَى شَغَفِ الْقُلُوبِ مِنَ الْهَوَى
 وَمَشَاهِدِ لَكَ لَمْ تَكُنْ أَبْسَامُهَا

وَأَجَار طَرْفِي مِنْ تَبْسَارِيحِ السُّرَى
 وَتَذَمُّمِي مِمَّنْ تَحْمِلُ مُعَسَّدَا
 لَوْ تَنَبَّذَ السَّانِحَاتِ (٢) رَحْلِي بِالْعَرَا
 وَعَدَلْتُ عَنْ سُبُلِ الْهُدَى مُتَحِيرَا
 وَلَقِيتُ يَغْرُبُ فِي الْقُيُولِ وَجُمُورَا
 يَسْبِي الْمُلُوكَ وَلَا يَدْبُ لَهَا الضَّرَا (٣)
 أَعْلَامُهُ مَلِكَا يَدِينُ لَهُ السُّورَى
 بِالْخَيْلِ وَالْآسَادِ مَبْذُولُ الْقَرَى
 أَيَّامُ يَقْرَى مَوْسِرَا أَوْ مُعْسِرَا
 يَكْسُو غَلَايِلُهَا الْجِيَادَ الضُّمَرَا
 مَشْدُودَةُ الْأَسْبَابِ مَوْثِقَةُ الْعُرَى
 لِلدُّبَيْنِ وَالذَّنْبِيصَا وَيَخْفِضُ مِنْبَرَا
 حَزَمًا أَبَتْ حُرْمَاتُهُ أَنْ تُخْفَرَا
 سَعِيًّا فَكُنْتَ الْجَوْهَرُ الْمُتَخَيَّرَا
 وَكَسَوَكَ عَزَا وَابْتَنَنُوا لَكَ مَفْعَرَا
 مُلْكًا وَرَثَتْ عَلَيْهِ أَكْبَرُ أَكْبَرَا
 وَذَرَتْ عَلَى الْآفَاقِ مِسْكَأً أَذْفَرَا
 وَأَلَذَّ فِي الْأَجْفَانِ مِنْ طَعْمِ الْكَرَى
 ظَنًّا يَرِيبُ وَلَا حَدِيثًا يُفْتَسَرَى

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الديوان (السادات) .

(٢) هذا البيت ساقط في الإسكوريال . ووارد في الديوان .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الديوان (بالإقبال) .

لاقيت فيها الموت أسود أدهمما فذعرت به بالسيف أبيض أحمر
 ولو اجتلى في زى قرنيك معلماً لتركنه تحت العجاج مغمراً
 يسا من تكبر بالتكبر قدره حتى تكبرم أن يرى متكبراً
 والمنذر الأعداء بالبشرى لنا صدقت صفاتك منذراً ومبشراً
 ما صور الإيمان في قلب امرئ حتى يراك الله فيه مصوراً
 فارفع لها علم الهدى فلمثلها رفعتك أعلام السيادة في الذرى
 وانصر نصرت من السماء فائماً ناسبت^(١) أنصار النبي لتنصراً
 واسلم ولا وجلوا لجوك منفساً في النائبات ولا لبحرك معبراً^(٢)

سيرته

قال ، وساس لأول ولايته عظيم الفيرنحة ، فحفظت أطرافه ، وبلغ من
 استمالته طوايف النصرانية ، أن جرى على يديه بحضرته . عقد مصاهرة
 بعضهم^(٣) ، فقرفته الألسنة لسعيه في [نظام سيلك النصاري]^(٤) . وعمر
 به الثغر إلى أن ألوت به المنيّة . وقد اعترف له الناس بالرأى والسياسة .

(١) هكذا وردت في الديوان وفي الإسكوريال (ناصبت) والاول أرجح .

(٢) لم يرد في الزيتونة من هذه القصيدة سوى البيتين الأولين . ووردت القصيدة برمتها
 في ديوان ابن دراج القسطل السابق ذكره (ص ١٢٤ - ١٢١) . وأورد منها ابن بسام
 في الذخيرة ثلاثين بيتاً (القسم الأول من المجلد الأول ص ٥٦ - ٥٨ طبعة الجمعية المصرية) .

(٣) كانت هذه المصاهرة بين سانشو ملك نافار (أنبره) ورايون بوربل أمير برشاونة
 حيث اقترن الأول بابنة الثاني . وعقد الزواج بقصر الأمير المنذر بقرقطة ، وحضره الفقهاء
 والقساوسة وأعيان الملتين .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في التبريد دلائق :
 (نظام ملك النبار) وملك النبار ، هنا يعنى ملك نافار أنبره ، وكلا القراءتين صحيحة ، وتزدى
 معنى مناسيا .

كِتَابِهِ . وَاسْتَكْتَبَ عِدَّةَ كِتَابٍ كَابِنَ مَدُورَ . وَابْنَ أَرْزُقَ . وَابْنَ وَاجِبَ
وغيرهم .

وصوله إلى غرناطة

وصل غرناطة صُحْبَةَ الْأَمِيرِ الْمُرتَضَى الْآلِ ذَكَرَهُ ، وَكَانَ مِنْ أَنْهَزَمَ
بِأَنْهَزَامِهِ . وَذَكَرُوا أَنَّهُ مَرَّ بِسُلَيْمَانَ بْنِ هُودَ ، وَهُوَ مُثَبِّتٌ لِلْإِفْرَنْجِ الَّذِينَ
كَانُوا فِي الْمَحَلَّةِ لَا يَرِيْمُ مَوْقِفُهُ^(١) ، فَصَاحَ بِهِ النِّجَاجَةُ ، يَا بَنَ الْفَاعِلَةِ ،
فَلَيْسَتْ أَقْفَ عَلَيْكَ ، فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ ، جِئْتَ وَاللَّهِ بِهَا صَلَاحًا ، وَفَضَّحْتَ أَهْلَ
الْأَنْدَلُسِ ، ثُمَّ انْقَلَعَ وَرَاءَهُ .

وفاته

وَكَانَتْ عَلَى يَدَيْ رَجُلٍ مِنْ أَبْنَاءِ عَمِّهِ يَدْعَى عَبْدَ اللَّهِ بْنِ حَكَمٍ ، كَانَ
مُقَدِّمًا فِي قُوَّادِهِ ، أَضْمَرَ غَدْرَهُ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ ، وَهُوَ غَافِلٌ فِي غِلَالَةٍ ، لَيْسَ
عِنْدَهُ إِلَّا نَفَرٌ مِنْ خَوَاصِّ خَدَمِهِ الصُّقْلُبِ ، قَدْ أَكَبَّ عَلَى كِتَابٍ يَقْرُؤُهُ ،
فَوَلَّاهُ بِسِكِّينٍ أَجْهَزَ بِهِ عَلَيْهِ . وَأَجْفَلَ الْخَدَمَ إِلَّا شَهْمٌ مِنْهُمْ أَكَبَّ عَلَيْهِ
فَمَاتَ مَعَهُ . وَمَلَكَ سَرَقُوسَةَ ، وَتَمَسَّكَ بِهَا أَيَّامًا ، ثُمَّ فَرَّ عَنْهَا ، وَمَلَكَهَا
ابْنُ هُودَ . وَكَانَ الْإِيْقَاعُ بِهِ غُرَّةَ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ ثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، رَحِمَهُ
اللَّهُ عَالِيَهُ .

مُوسَى بْنُ يُوْسُفَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَحْيَى بْنِ يَحْمَرِ بْنِ زِيَّانَ
الْأَمِيرِ يَنْتَلِسَانِ ، يَكْنَى أَبَا حَمُو .

(١) أَيْ لَا يَبْرَحُهُ .

أَوَّلِيَّتُهُ

أَوَّلِيَّتُهُ معروفة تنظر فيما سلف من الأسماء .

حَالُهُ

هذا السلطان مُجْمَعٌ عَلَى حَزْمِهِ ، وَضَمُّهُ لَأَطْرَافِ مُلْكِهِ ، وَاضْطِلَاقُهُ بِأَعْبَاءِ مُلْكِ وَطْنِهِ ، وَصَبْرُهُ لِدَوْلَةِ قَوْمِهِ ، وَطُلُوعُهُ بِسَعَادَةِ قَبِيلِهِ ، عَاقِلٌ ، حَازِمٌ ، خَصِيفٌ ، ثَابِتُ الْجَأْشِ ، وَقَوْرٌ مَهِينٌ ، جَمَاعَةٌ لِلْمَالِ ، مُبَاشِرٌ لِلْأُمُورِ ، هَاجِرٌ لِلذَّاتِ ، يَقِظٌ ، مُتَشَمِّرٌ . قَامَ بِالْأَمْرِ غُرَّةَ رَبِيعِ الْأَوَّلِ فِي عِلَامِ سَتِينَ ^(١) ، مُرْتَأَشُ الْجَنَاحِ بِالْأَخْلَافِ مِنْ عَرَبِ الْقِبْلَةِ ، مَعُولًا عَلَيْهِمْ عِنْدَ قَصْدِ عَذْوِهِ ، وَحَلَبَ ضِرْعَ الْجَبَايَةِ ، فَأَثَرَى بَيْتُ مَالِهِ ، وَنَبَهَتْ دَوْلَتُهُ ، وَاتَّفَقَتْ جِيرَتُهُ ، فَهُوَ الْيَوْمَ مِمَّنْ يُشَارُ إِلَيْهِ بِالسَّدَادِ .

أَدَبُهُ وَشَعْرُهُ

وَوَجَّهَ لِهَذَا الْعَهْدِ فِي جُمْلَةِ هَدَايَا وَدِّيَّةٍ ، وَمَقَاصِدَ سِنِّيَّةٍ ، نَسَخَهُ مِنْ كِتَابِهِ الْمُسَمَّى «بِوَاسِطَةِ السُّلُوكِ فِي سِيَاسَةِ الْمُلُوكِ» ^(٢) . افْتَتَحَهُ بِقَوْلِهِ :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ نِعْمَتَهُ عَلَى الْخَلْقِ ، بِمَا أَلْفَهُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ ، شَامِلَةً شَايِعَةً ، وَيَسَّرَ طَوَائِفَ مِنْ عِبَادِهِ لِلْيُسْرَى ، فَأَتَتْ إِلَيْهَا مُسَاعَدَةٌ مُسَارِعَةً ، وَحَضَّمَهُمْ عَلَى الْأَخْذِ بِالْحُسْنَى ، وَلَا أَحْسَنُ مِنْ نَفُوسٍ أُرْشِدَتْ ،

(١) أَمِنْ سَنَةِ سَعْدَانَةِ وَسَنَةِ ٥٦٦٠ هـ .

(٢) نَوَجَدُ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ نَسَخَهُ مَحْطُوطَةً مَحْسُوبَةً بِحِرَازِ الْوُطْبِيِّ حَفِظَ بِرَغْمِ ١٣٧٤ مِنْ بَهِرْسِ Jagnan . وَتَقَعُ هَذِهِ النُّسخَةُ فِي ٩٣ لَوْحَةً كَدَّرَهُ مَكْتُوبَةٌ بِحِطِّ مَغْرَبِي . وَفَدَا أَطْلَعَنَا عَلَى الْكِتَابِ وَهُوَ يَخْتَوِي عَلَى أَرْبَعَةِ أَبْوَابٍ . الْأَوَّلُ فِي « الْوَسَائِلِ وَالْحَدِيمِ » وَالثَّانِي فِي « فَوَائِدِ الْمُلِكِ وَأَرْكَانِهِ » وَالثَّلَاثُ فِي « الْأَوْصَافِ الَّتِي هِيَ نِظَامُ الْمُلِكِ » وَالرَّابِعُ فِي « الْفِرَاسَةِ » وَيَسْخُلُّ هَذِهِ الْأَبْوَابُ كَثِيرٌ مِنَ الْأَمْثَالِ وَالْحِكَايَاتِ وَالسَّوَابِقِ .

فَأَقْبَلَتْ لِإِرْثِهَا طَالِبَةً وَلِرَبِّهَا طَائِعَةً . وَلَا أَسْمَى مِنْ هِمَمٍ نَظَرَتْ بِحُسْنِ
السِّيَاسَةِ فِي تَدْبِيرِ الرِّيَاسَةِ ، الَّتِي هِيَ لِأَشْتَاتِ الْمُلْكِ جَامِعَةٌ . وَلِأَسْبَابِ
الْمُلْكِ مَانِعَةٌ ، وَأَظْهَرَتْ مِنْ مَعَادِنِهَا دُرَّرَ الْحِكْمِ ، وَغُرَّرَ الْكَلِمِ لَائِحَةً لَامِعَةً ،
فَاجْتَلَتْ أَقْمَارَهَا طَالِعَةً ، وَاجْتَنَنْتْ أَزْهَارَهَا يَانِعَةً . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
الْكَرِيمِ ، الْمَبْعُوثِ بِالْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ ، سَاطِئَةً سَاطِعَةً ، وَالْمُعْجَزَاتِ الْمُعْجَمَاتِ
قَاصِمَةً لظُهُورِ الْجَاحِدِينَ قَاطِعَةً . الَّذِي زُوِّيتَ لَهُ الْأَرْضُ ، فَتَدَانَتْ أَفْكَارُهَا
وَهِيَ نَابِيَةٌ شَاسِعَةٌ ، وَاشْتَاقَتْ لَهُ الْمِيَاهُ ، فَبَرَزَتْ بَيْنَ أَصَابِعِهِ يَانِعَةً ،
وَأَمْتَثَلَ السَّحَابُ أَمْرَهُ ، فَسَحَّ بِاسْتِسْقَايِهِ دُرَّرًا هَامِيَةً هَامِعَةً ، وَحَنَّ الْجَذَعُ
لَهُ ، وَكَانَ حَنِينُهُ لِهَذِهِ الْآيَاتِ الثَّلَاثِ آيَةً رَابِعَةً ، إِلَى مَا لَا يُحْصَى بِمَا أَتَتْ
بِهِ مُتَوَاتِرَاتِ الْأَخْبَارِ ، وَصَيِّحَاتِ الْآثَارِ ، نَاصِرَةً لثُبُوتِهِ سَاطِعَةً . صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ ، وَحِفْظِهِ الَّتِي أَجَابَتْ دَاعِيَ اللَّهِ خَاشِعَةً خَاشِعَةً ،
وَأَذَعَنْتْ لِأَوَامِرِ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَكَانَتْ مِنَ الْاسْتِئْذَانِ
خَالِيَةً ، وَلِلْإِذْنِ خَالِعَةً ، صَلَاةً دِيمَتُهَا دَائِمَةٌ مُتَتَابِعَةٌ ، وَسَلَامٌ كَثِيرٌ .
جَمَعَ فِيهِ الْكَثِيرُ مِنْ أَخْبَارِ الْمُلُوكِ وَسَيَرِهِمْ ، وَخَصَّ بِهِ وَلَدَهُ وَوَلِيَّ عَهْدِهِ ،
فَجَاءَ مَجْمُوعًا يُسْتَظَرَفُ مِنْ مِثْلِهِ ، وَيَدُلُّ عَلَى مَكَانِهِ مِنَ الْأَدَبِ وَمَحَلُّهُ .
وُثِّبَتْ فِيهِ الْكَثِيرُ مِنْ شِعْرِهِ ، فَمِنْ ذَلِكَ قَصِيدَةُ أَجَابَ فِيهَا أَحَدَ
رُؤُوسِ الْقَبَائِلِ ، وَقَدْ طَلَبَ مِنْهُ الرُّجُوعَ إِلَى طَاعَتِهِ ، وَالْإِنْتِظَامَ فِي سِلْكِ
جَمَاعَتِهِ ، وَهِيَ :

تَذَكَّرْتُ أَطْلَالَ الرَّبُوعِ الطَّوَّاسِمِ	وَمَا قَدْ مَضَى مِنْ عَهْدِهَا الْمُتَقَادِمِ
وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدٍ [بَعْدَ أَنْسِهَا] ^(١)	بِصَّبْرِ مُنَافٍ أَوْ بِشَوْقٍ مُلَازِمِ
تَهْمٍ بِمَغْنَاهِمِ وَتَنْدَبٍ رَبْعِهِمْ	وَأَيَّ فُؤَادٍ بَعْدَهُمْ غَيْرُ هَسِيمِ

(١) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . وفي الزيتونة (هذا نسيمها)

وما حبُّ سَلَمَى للفتى بمُسالَم
ولا تَقُلْ في تَذْكَارِ تَسْلُكِ الْمَعَالِمِ
ولا يَسْتَبِي إِلَّا الضَّعِيفُ الْعَزِيزِ
قَرِيبٌ مِنَ التَّقْوَى بَعِيدُ الْمَأْتَمِ
يُسَاقُ بِخَلْقِ الشَّهْدِ مُرَّ الْعَلَامِ
بِحَارِ الرَّدَى فِي لُجْهِهَا الْمُتَلَاحِمِ
وَتَنْثُرُ دُرَرًا مِنْ دُمُوعِ سَوَاجِمِ
مِقَالَةٍ بَاكِ أَوْ مَلَامَةٍ لَا يَمِ
لَنَجْتَنِبَ الدُّومَ اجْتِنَابَ الْمَحَارِمِ
إِذَا هَامَ قَوْمٌ بِالْحَسَنِاتِ النَّوَاعِمِ
أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ بَرُوقِ الْمَبَاسِمِ
فَأَشْجَى لَدَيْنَا مِنْ غِنَا الْحَمَائِمِ
قُدُودُ الْعَوَالِي أَوْ خُدُودُ الصَّوَارِمِ
إِلَّا غِمَادُهَا الْأَبْحَرُ الْغِلَاصِمِ
بِتَفْرِيقِ مَا بَيْنَ الطَّلَى وَالْجَمَاجِمِ
وَيَرْهَبُ مِنَّا الْحَرْبُ كُلُّ مُسَالِمِ
وَنَقْدَمُ إِقْدَامَ الْأَسُودِ الضَّرَاعِمِ
يَعْسُودُ إِلَى أَوْطَانِهِ بِالْغَنَائِمِ
إِذَا شَيْكَ مَظْلُومٌ بِشَوْكَةِ ظَالِمِ
وَيَحْمِيهِ مِنَّا كُلُّ لَيْثٍ صَيَارِمِ^(٢)

تَحِنْ إِلَى سَلَمَى وَمَنْ سَكَنَ الْحِمَى
فَلَا تَنْدِبِ الْأَطْلَالَ وَأَسْلُ عَنْ الْهَوَى
فَإِنَّ الْهَوَى لَا يَسْتَفِيزُ ذَوَى النُّهَى
صَبُورٌ عَلَى الْبَلَوَى طُهُورٌ مِنَ الْهَوَى
وَمَنْ يَبْغِ دَرْكََ الْمُعْلَوَاتِ وَنَيْلَهَا
وَلَايَةً لَمَّا رَكِبْنَا إِلَى الْعُلَا
تَقُولُ بِإِشْفَاقٍ أَتَنْسَى هَوَى الدِّمَا
إِلَيْكَ فَإِنَّا لَا يَرُدُّ اعْتِزَامُنَا
أَلَمْ تَذَرِ أَنْ اللُّومَ لَوْمٌ وَأَنَّا
فَمَا بِسَوَى الْعُلْيَا هِمْنَا جَلَالَةً
بِرُوقِ السُّيُوفِ الْمَشْرِفِيَّاتِ وَالْقَنَا
وَأَمَّا صَمِيمُ السَّابِحَاتِ لَذَى الْوَعَى
وَأَحْسَنُ مِنْ قَدِّ الْفَتَسَاةِ وَخُدَّهَا
إِذَا نَحْنُ جَرَدْنَا الصَّوَارِمَ لَمْ تَعُدْ
نَوَاصِلَ بَيْنِ الْهِنْدِ [وَأَيُّ الطَّلَا]^(١)
فَيَرْغَبُ مِنَّا السَّلْمُ كُلُّ مُحَارِبِ
نَقْسُودُ إِلَى الْهَيْجَاءِ كُلُّ مُضْمَرِ
وَمَا كُلُّ مَنْ قَادَ الْجِيُوشَ إِلَى الْعَدَا
وَنَنْصُرُ مَظْلُومًا وَنَمْنَعُ ظَالِمًا
وَيَأْوِي إِلَيْنَا الْمُسْتَجِيرَ وَيَلْتَجِي

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (وإلى الطلَا) .

(٢) هكذا وردت في « الزيتونة » . وفي الإسكوريال (صبارم) .

ألم تر إذ جاء السبيعي^(١) قاصدا
 وذلك لما أن جفاه صحابه
 وأزمع إرسالاً إلينا رسالة
 وكان رأى أن المهمة^(٢) بيننا
 وقال ألا سل من عليم مجرب
 فيبلغ عنه الآن خير رسالة
 على ناقة وجناء كالحرف ضامر
 [من اللاني يُظلمن الظلم إذا عدى
 إذا أتلعت فوق السحاب جوابها
 وإن هملجت بالسير في وسط مهمه
 ولم يأمّن الخلان بعد اختلاهم
 فقالوا فحملها الحمائم قال لا
 وما القصد إلا في الوصول بسرعة
 فقال لنعم المرسلات وإثما
 فلم يلف فيها للأمانة موصعا
 فحينئذ وافى إلينا بنفسه
 يجوب إلينا البيداء قصداً وبشرنا^(٦)
 طلاب العلا تسرى مع الوحش في الفلا ويصحب منها كل باغ وباغم

إلى بابنا يبغى^(٣) التماس المكارم
 وكل خليل وده غير دايم
 بإخلاص ود واجب غير واجم
 فخلّى لذات الخف ذات المناسم
 أثبت له ما تحت طي الحيازيم
 تودى إلى خير الملوك الأعظم
 تخيرها^(٤) بين القلاص الرواسم
 ويشبهه في جيده والقوايم
 تخيلتها تعض السحاب الرواكم^(٥)
 نزلت كمثل البرق لاح لشايم
 فأمسى وفي أكبادها أى جاجم
 لبعد المداد أو خوف صيد الحمائم
 فقالوا فحملها أكسف النواسم
 لها السن مشهورة بالنمسايم
 وكل امرئ للسر ليس بكساتم
 فكان لدينا خير واف وقسام
 يضىء له الظلماء في كل عاتم
 طلاب العلا تسرى مع الوحش في الفلا ويصحب منها كل باغ وباغم

(١) هكذا وردت في «الزيتونة». وفي الإسكوريال (السبيع) والأولى أنسب للوزن.

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال. وفي الزيتونة (بكي).

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال. وفي الزيتونة (الملاية).

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال. وفي الزيتونة (نجريها).

(٥) هذان البيتان واردان في الإسكوريال وساقطان في الزيتونة.

(٦) هكذا وردت في الإسكوريال. وفي الزيتونة (سرنا).

على سَلَهَبٍ^(١) ذى صوتين مُطْعَمٍ^(٢)
 إذا شاءَ أَىَّ الوحشِ أدركه به
 ويُقدِّمه طوعاً إلينا رَجُلُوهُ
 ألا أيها الآتى لظُلِّ حَنَانِنَا
 وقوبِلْتَ مِنَّا بالذى أنتَ أَهْلُهُ
 كذا دأْبُنَا للقادمين محلَّنَا
 وهذا جوابٌ عن نظامك إِنَّنَا
 ونحن ذوو التيجان من آلِ حَمِيرٍ
 بهمتِنَا العَلِيَّا سمعونا إلى العَلا
 شَدَدْنَا لها أَزْراً وشَدَدْنَا بِنَاءَها
 نَظَمْنَا شَتِيَّتِ المجد بعد افتراقه
 ورَضْنَا جِيَادَ المُلْكِ بعد جماحها
 مناقِبُ زِيَانِيَّةٍ^(٣) مُوسَوِيَّةٍ
 يَقْصُرُ عن إدراكها كُلُّ مُتَبَغٍ
 فَللهُ مِنَّا الحمدُ والشُّكرُ دائماً
 ونختَصُّكم مِنَّا السَّلامُ الأثيرَ ما

من المَغْرِبَاتِ الصَّافِنَاتِ الصَّلاَدِمِ
 فتحسبه في البِيدِ بعضُ النِّعَايِمِ
 حمايَتُنَا لِيَسَاءُ من كُلِّ ظَالِمِ
 نَزَلْتَ بِرَحْبٍ في عِراصِ المَكَارِمِ
 وفاض عليك الجودُ فَيُضِ النِّعَايِمِ
 حِمَىً ونِنداً يُنسى به جودُ حَانِمِ
 بُعِثْنَا به كاللؤلؤِ المُتَنَسِّطِ
 لَعُمْرُكَ ما التَّيجَانُ غيرُ العَمَامِ
 وكم دُونَ إدراكِ العَلا مِن مَلاحِمِ
 وكم مَكَّثَتْ دَهراً بغيرِ دَعَائِمِ
 وكم باتَ نَهْياً شَمْلُهُ دونِ ناظِمِ
 فَذَلَّتْ وقد كانتِ صِعبابِ الشَّكَايِمِ
 يُدَلُّ لها عِزُّ المُلُوكِ القِمَاقِمِ
 ويعجزُ عن إحصائها كُلُّ ناظِمِ
 وصلى اللهُ على المختارِ من آلِ هاشِمِ
 تضاحكُ رَوْضٍ عن بُكاءِ الغَمَامِ

قلت ، ولما تعرَّفتُ كَلَفَهُ بالأدب . والإمام بمجاورته ، عزمْتُ على
 لقايه ، وتشوَّقتُ عند العَزْمِ على الرِّحلة الحجازية . إلى زيارته ، ولذلك
 كنتُ أخطبه بكلمة منها :

(١) فرس ساهب أى طويل ، وخيل ساهب .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (مطمع) .

(٣) نسبة إلى ينمراسن بن زيان بن ثابت زعيم بنى عبد الواد ، ومؤسس ملكة تلمسك

المستقلة في سنة ٦٤٠ هـ . ورأس هذه الأسرة الملوكية .

على قَدَرٍ قد جِيتَ قومَكَ يا موسى فجلَّتْ بك النُّعمَى وزالتْ بك البُوسَى
فحالتْ دون ذلك الأحوال . وهو بحاله الموصوفة إلى هذا العهد .
وفَّقَه الله ، وسائر من تولَّى أمراً من أمور المسلمين .
وجرى ذكره في رجز الدول ^(١) من نظمي :

بادَرَهَا المُفدَّى الهمامُ موسى فاذهب الرحمن عنها البُوسَى
جدد فيها المَلِكُ لما أخلقها وبعث السَّعد وقد كان لقسا
ورتب الرُّتبا والرُّسوما وأطلَّع الشُّموس والنُّجوما
واختجنَ المال بها والعُدَّة وهو بها باق لهذى المُدَّة
ولد بمدينة غرناطة حسبا وقعت عليه بخط الثَّقة من ناسه ، في أول عام
ثلاثة وعشرين وسبعماية ^(٢) .

مُبارك ومُظفر الأَميران مَوليا المنصور بن أبي عامر

حالهما

قال أبو مروان ^(٣) ، ترقياً إلى تَمَلُّك بَلَنسِيَة من وكالة السَّاقِيَة ،
وظَهر من سياستهما وتعاوُضهما صَحَّة الألفَة طول حياتهما ، ما فاتا به في
معناها أَشِقَاء الأُخوة ، وعُشاق الأَحِبَّة ، إذ نَزَلَا معاً بقصر الإمارة مُختَلِطين ،
تجمعهما مائدة واحدة من غير تَمييز في شَيْء ، إلا الحُرْم خاصَّة . وكان
التَّقدُّم لمُبارك في المُخاطبة . وحفظ رسوم الإمارة . أَفضَلُ صرامةً وذِكْراً ،

(١) يقصد ابن الخطيب هنا الإشارة إلى كتابة (رقم الحلل في نظم الدول) وقد عرفنا به في مقدمة هذا الكتاب .

(٢) توفي السلطان العالم الأديب أبو حو - موسى بن يوسف بن عبد الرحمن في سنة ٧٩١ هـ ، قتيلا خلال ثورة قام بها ولده أبوتاشفين لانتزاع الملك منه بمعاونة بني مرين .

(٣) يعنى أبو مروان ابن حيان (بن خلف بن حيان) .

قَصَرَ عَنْهُمَا مُظْفَرٌ ، لَدِمَاثَةِ خُلُقِهِ ، وَانْحِطَاطِهِ لِمُصَاحِبِهِ فِي سَائِرِ أَمْرِهِ ، عَلَى نَحْوِ نَحْوِهِ بِكِتَابَةِ سَازِجَةٍ وَفَرُوسَةٍ ، فَبَلَغَا الْغَايَةَ مِنْ اقْتِنَاءِ الْأَسْلِحَةِ وَالْآلَاتِ الْمَلُوكِيَةِ ، وَالْخَيْلِ الْمُغْرِبَاتِ ، وَنَفْسِ الْحُلِيِّ وَالْحُلَلِ ، وَإِشَادَةِ الْبِنَاءِ لِلْقُصُورِ . وَاشْتَمَلَ هَذَا الرَّأْيُ عَلَى جَمِيعِ أَصْحَابِهِمَا ، وَمَنْ تَعَلَّقَ بِهِمَا مِنْ وُزَرَئِهِمَا وَكُتَّابِهِمَا ، وَلَمْ يَغْرِضْ لَهُمَا عَارِضٌ إِنْفَاقٍ بِتِلْكَ الْآفَاقِ ^(١) ، فَانْغَمَسَا فِي النَّعِيمِ إِلَى قِمَمِ رُؤُوسِهِمَا حَتَّى انْقَضَى أَمْرُهُمَا .

قَالَ ، وَكَانَ مَوْتُ مُبَارَكٍ أَنَّهُ رَكِبَ يَوْمًا مِنْ قِصْرِ بَلَنْسِيَةِ ، وَقَدْ تَعَرَّضَ أَهْلُهَا مُسْتَغِيثِينَ مِنْ مَالٍ افْتَرَضَهُ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ لَهُمْ ، إِنْ كُنْتُ لَا أُرِيدُ إِنْفَاقَهُ فِيمَا يَعْمُ الْمُسْلِمِينَ نَفْعُهُ ، فَلَا تُؤَخِّرْ عَقُوبَتِي يَوْمِي هَذَا . وَرَكِبَ إِثْرَ ذَلِكَ . فَلَمَّا أَتَى الْقَنْطَرَةَ ، وَكَانَتْ مِنْ خَشَبٍ ، خَرَجَتْ وَجَلُّ فَرَسِهِ مِنْ خَدِّهَا فَرَمَى بِهِ أَسْفَلَهَا ، وَاعْتَرَضَتْهُ خَشَبَةٌ نَاتِيَةٌ شَرَحَتْ وَجْهَهُ ، وَسَقَطَ الْفَرَسُ عَلَيْهِ ، فَفَاضَتْ نَفْسُهُ ، وَكَفَاهُمُ اللَّهُ أَمْرَهُ يَوْمَئِذٍ .

وَفِي مُبَارَكٍ وَمُظْفَرٍ يَقُولُ أَبُو عَمْرٍو بْنُ دِرَاجٍ الْقَسْطَلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ :

أَنُورِكَ أُمُّ أَوْقَدَتْ بِاللَّيْلِ نَارَكَ	لِبَاغٍ قِرَارِكَ أَوْ لِبَاغٍ جَوَارِكَ
وَرِيَّاكَ أُمُّ عَرَفُ الْمُجَامِرِ أَشْعَلَتْ	بَعُودَ الْكِبَاءِ وَالْأَلْوَةِ نَارَكَ
وَمَبْسِمُكَ الْوَضَّاحُ أُمُّ ضَوْءٍ بَارِقٍ	حَدَاهُ دُعَائِي أَنَّ يَجُودَ دِيَارَكَ
[وَخَلْخَالَكَ اسْتَنْضِيَتْ أُمُّ قَمَرٍ بَدَا]	وَشَمْسٌ تَبَدَّتْ أُمُّ أَلَحَتْ سَوَارَكَ ^(٢)
وَطُرَّةٌ صُبِحَ أُمُّ جَبِيئُكَ سَافِرًا	أَعَرَّتِ الصَّبَاحَ نَوْرَهُ أُمُّ أَعَارَكَ
وَأَنْتِ هَجَرْتِ ^(٣) اللَّيْلَ إِذْ هَزَمَ الضُّحَى	كَتَائِبَهُ وَالصُّبْحَ لَمَّا اسْتَجَارَكَ

(١) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي الزَّيْتُونَةِ (الْأَقْطَارِ) .

(٢) هَذَا الْبَيْتُ وَارَدَ فِي دِيْوَانِ ابْنِ دِرَاجٍ (السَّابِقِ التَّعْرِيفِ بِهِ) وَسَاقَطَ فِي الْإِسْكُورِيَالِ

(٣) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي الدِّيْوَانِ (أَجَرَتْ) .

فَللصُّبْحِ فِيمَا بَيْنَ قِرطِينِكَ مَطْلَعٌ
فِيَالْتَهَارِ لَا يُغِيضُ ظِلَامُهُ
وَنَجْمُ الشَّرِيِّمَا أَمْ لَأَلْ تَقَسَّمَتْ
لِسُلْطَانِ حُسْنٍ فِي بَدِيعِ مُحَاسِنِ
وَجُنْدُ غَرَامٍ فِي دُرُوعِ صَبَابَةٍ
هُوَ الدُّنْكَ لَا بَلْقَيْسَ أَدْرَكَ شَأْوَهَا
وَقَادِحَةٌ (١) الْجَوَازِ رَاعِيَتْ مَوْهِنًا
وَطَيْفُكَ أَسْرَى فَاسْتَنَارَ تَشَوُّقِي
وَمَوْقِدُ (٢) أَنْفَاسِي إِلَيْكَ اسْتَظَارَنِي
فَكَمْ جُزْتِ مِنْ بَحْرِ إِلَى وَمَهْمَةٍ
[أَذُو الْحِظِّ مِنْ عِلْمِ الْكِتَابِ حَدَاكَ لِي
وَكَيْفَ كَتَمْتَ اللَّيْلَ وَجْهَكَ مَظْلَمًا
وَكَيْفَ اعْتَسَفْتَ الْبَيْدَ لَا فِي ظُعَانِي
وَلَا أَذْنَ الْحَيِّ الْجَمِيعُ بِرَحْلَةٍ
وَلَا أَرَزَمْتَ خَوْضَ الْمَهَارَى مَجِيبَةً
وَلَا أَذَكَّتَ الرُّكْبَانَ عَنْكَ عِيُونَهَا
وَكَيْفَ رَضِيتَ اللَّيْلَ مَلْبَسَ طَارِقِ
وَكَمْ دُونَ رَحْلِي مِنْ بَرُوجِ (٥) مَشِيدَةٍ

وَقَدْ سَكَنَ اللَّيْلَ الْبَهِيمَ خِمَارِكِ
وَبِالظُّلَامِ لَا يُغِيضُ نَهَارَكَ
يَمِينُكَ إِذْ ضَمَخَتْهَا أَمْ يَسَارَكَ
يَصِيدُ الْقُلُوبَ النَّافِرَاتِ نِفَارَكَ
ثَقُلْدُنِ أَقْدَارِ الْهَوَى وَاقْتِدَارَكَ
مَدَاكَ وَلَا الزُّبَاةُ شَقَّتْ لُجْبَارَكَ
بَحْرًا هَوَاكَ أَمْ تَرَسَّمْتُ دَارَكَ
إِلَى الْعَهْدِ أَمْ شَوْقِي إِلَيْكَ اسْتَثَارَكَ
أَمْ الرُّوحُ لِمَارِدٍ فِي اسْتَظَارَكَ
يَكَاذُ يُنْسِي الْمُسْتَهَامِ أَدْكَارَكَ
أَمْ الْفَلَكَ الدُّوَارِ نَحْوِي أَدَارَكَ (٣)
أَشْغَرَكَ أَغَشَيْتَ (٤) السَّنَا أَمْ شِعَارَكَ
وَلَا شَجَرُ الْخَطِيءِ حَفَّ شَجَارَكَ
أَرَاكِ لَهَا رَاعِي الْمَخَاضِ عِشَارَكَ
صَهِيلَ جِيَادٍ يَكْتَنِفُنِ قِطَارَكَ
حِذَارَ عِيُونٍ لَا يَنْمُنُ حِذَارَكَ
وَمَا ذَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ إِلَّا اسْتَنَارَكَ
تَحَرَّمَ مِنْ قَرَبِ الْمَزَارِ مَزَارَكَ

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الديوان (وقادمة) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الديوان (ومرتد) .

(٣) هذا البيت ساقط في الإسكوريال ووارد في الديوان .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الديوان (أغشيت) .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الديوان (قصور) .

وقد زَأَرْتُ حَوْلِي أُسُودٌ تَهَامَسَتْ
وَأَرْضِي سَيُولُ مِنْ خُيُولٍ مُظْفَرٌ
بَحِيثٍ وَجَدْتُ الْأَمْنَ يَهْتَفُ بِالْمُنَى
هَلُمِّي إِلَى بَحْرَيْنِ قَدْ مَرَجَ النَّدى
هَلُمِّي إِلَى سَيْفَيْنِ وَالْحَدُّ وَاحِدٌ
هَلُمِّي إِلَى طَرْفِي رِهَانٍ تَقْدَمَا
هَلُمِّي إِلَى قُطْبِي نَجُومٍ كَتَايِبِ
وَحْيِي^(٢) عَلَى دَوْحَيْنِ جَادَ نَدَاهُمَا
وَبُشْرَاكِ قَدْ فَازَتْ قِدَاحُكَ بِالْعُلَا^(٤)
شَرِيكَانِ فِي صِدْقِ الْمُنَى وَكِلَاهُمَا
هَمَا سَمْعَا دَعْوَاكِ يَادْعُوهُ الْهَدَى
[وَسَلَا سَيُوفَا لَمْ تَزَلْ تَلْتَطَى أَسَى
وَيَهْنِيكَ يَا دَارَ الْخِلَافَةِ مِنْهُمَا
كَلَا الْقَمَرَيْنِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ غُرَّةٌ
فَقَادَ إِلَيْكَ الْخَيْلُ شُعْثًا شَوَازِيَا
سَوَابِقَ هَيَجَاءٍ كَأَنَّ صَهِيلَهَا
بِكُلِّ سَرَى الْعِتْقِ سَرَى عَنِ الْهَدَى

لَهَا الْأُسْدُ أَنْ كُفِّي عَنِ السَّمْعِ زَارَكَ
وَلَيْلَى نَجُومٌ مِنْ سَمَاءِ مُبَارَكَ
هَلُمِّي إِلَى عَيْنَيْنِ جَادَا سِرَارَكَ
عُبَابَيْهِمَا لَا يَسْأَمَانِ انْتِظَارَكَ
يُجِيرَانِ مِنْ صَرْفِ الْحَوَادِثِ جَارَكَ
إِلَى الْأَمَدِ الْجَالِي عَلَيْكَ اخْتِيَارَكَ
تَنَادَى نَجُومَ الثَّعَسِ غُورَى مَغَارَكَ^(١)
ظِلَالُكَ وَاسْتَدْنِي إِلَيْكَ^(٣) ثِمَارَكَ
وَأَعْطَيْتِ مِنْ هَذَا الْأَنَامِ خِيَارَكَ
إِذَا قَارَنَ^(٥) الْأَقْرَانِ غَيْرَ مُشَارَكَ
وَقَدْ أَوْثَقَ الدَّهْرُ الْخُثُونَ إِسَارَكَ
بِشَارِكَ حَتَّى أَذْرَكَكَ لَكَ ثَارَكَ
هَلَالَانِ لَاحَا يَرْفَعَانِ مِنْارَكَ
أَثَارَتِ كُسُوفَيْكَ وَجَلَّتْ سِرَارَكَ^(٦)
يُلْبِسِينَ بِالنَّصْرِ الْعَزِيزِ انْتِصَارَكَ
يُجَاوِبُ تَحْتَ الْخَافِقَاتِ شِعَارَكَ
وَكُلَّ حَمِيٍّ الْأَنْفِ أَحْمَى ذِمَارَكَ

(١) هذا البيت وارد في الإسكوريال وساقط في الديوان .

(٢) هكذا وردت في الديوان . وفي الإسكوريال (وحيا) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال وفي الديوان (إلى) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي الديوان (بالمني) .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي الديوان (بارز) .

(٦) هذه الأبيات الثلاثة واردة في الديوان وساقطة في الإسكوريال .

تحلّوا من المنصور نصراً وعزّة
 إذا انتسبوا يوم الطّمان لعامر
 يقودهم منهم سراجاً كُتّيبُ
 إذا اقتُرت الرايات عن غرّتيهما
 وإن أشرق البّنادى بنور سناهما
 وكم كشفنا من كُرْبَة بعد كُرْبَة
 وكم لبّيا من دعوة وتسداركا
 ويانفّس غاوى كم أقرّا نفارك
 ولست ببدع حين قلت لهمّتي
 [فلله صدق العزم أيّة غرّة
 فإن غالت البيد اصطبارك والسرى
 وياخلّة التّسويّف قومي فاعْدق
 [وحسبك بي ياخلّة النّاي خاطري
 فقد آن إعطاء النّوى صفقة الهوى
 وياستّر البيض النّواعم أعلني
 نواجي واستودعنهنّ نواجيها
 ودونك أفلاذّ الفؤاد فشمّري
 صرفت الكرى عنها بمُعْتَبَق^(٥) السرى

هابّلوك في يوم البلاء اختيارك
 فعُمرَك يا هام العدى لا عمارك
 يقولان للدُّنيا أجدّي افتخارك
 فيا للعدى أضللت منهم فرارك
 فيُشرى الأماني عينك لا ضمّارك
 تقول لها النّيران كُفّي أوارك
 شَفّي رمق ما كان بالمتدارك
 ويارجل هاو سَم أقالا عشارك
 أَقْلِي لأغتاب الزّمان انتظارك
 إذا لم تُطيعي في لعلّ اغترارك^(١)
 فما غال ضيم الكاشحين اصطبارك
 قَباعك من دوني وشدّي إزارك
 بنفسي إلى الحظّ النفيس حطارك^(٢)
 وقولك للأيام [جُورى مَجارك]^(٣)
 إلى اليَعَمَلات والرّحال بدارك^(٤)
 حفاظك يا هذى بذى وازدهارك
 ودونك يا عين اللّبيب اعتبارك
 وقلت أديرى والنجوم عُقارك

(١) هذا البيت وارد في الديوان وساقط في الإسكوريال .

(٢) هذا البيت وارد في الديوان وساقط في الإسكوريال .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الديوان (حورى محارك) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي الديوان (سراك) .

(٥) هكذا وردت في الديوان ، وفي الإسكوريال (بمعتق) والأولى أنسب للسياق

فإن وجبت للعربيين جنوبهما فأورى بزندی سدفة ودجنة وإن خلع الليل الأصائل فاخلعي بلنسية مشوى الأماني فاطلسي سينبيك زجري عن بلائ نسيته وأظفر سعى بالرضا من مظفر قصي المنى^(١) قد شام بارقة الحيا وحمداً يميني قد تملأت بالمنى وقل لسماء المزن إن شئت اقلعي ولا توحشي. يادولة العز والمنى^(٢)

فداوي برقراق السراب خسارك إذا كانتا لي مرخك وعفسارك إلى المالكين الأكرمين عذارك كنوزك في أقطارها وأدخارك إذا أصبحت تلك القصور قصارك وبورك لي في حسن رأي مبسارك وانشقت يا ظئر الرجا حوارك^(٣) وشكراً يسارى قد حوت يسارك ويا أرضها^(٤) إن شئت غيضي بحارك مساعك من نورينهما وابتكارك^(٥)

وصولهما إلى غرناطة

وصلا مع أمثالهما من أمراء الشرق صحبة المرتضى، وكان من انهزام الجميع بظاھرهما، وإيقاع الصناهجة^(٦) بهم ما هو معلوم حسب ما مر ويأتى بحول الله.

ومن ترجمة الأعيان والوزراء

بل ومن ترجمة الطارئين والغرباء منها

-
- (١) هكذا وردت في الإسكوريال وفي الديوان (فظم).
 (٢) هكذا وردت في الديوان. وفي الإسكوريال (جوارك). والأولى أنسب للسياق. والحوار هو ولد الناقة الرضيع.
 (٣) هكذا في الإسكوريال. وفي الديوان (ويا أرضها).
 (٤) هكذا في الإسكوريال. وفي الديوان (الندى).
 (٥) وردت هذه القصيدة برمتها في ديوان ابن دراج القسطل الذي سبقت الإشارة إليه (ص ١٠١ - ١٠٨).
 (٦) أي جنده صنهاجة.

منصور بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن مخيـو

يكنى أبا علي

أولـيـتـه

معروفة قد مرّت عند ذكر إخوته وقومه .

حـالـه

كان رحمه الله فتى القوم ، لسيناً ، مَفَوَّهاً ، مُدْرِكاً ، متعاطياً للأدب والشاريخ ، مُخالطاً للنُّبَلَاءِ ، مُتَسَوِّراً خُلُقَ العلماء ، غَزْلاً ، كَلَفاً بالدُّعَابَةِ ، طُرْفَةً من طُرْفِ أَهْلِ بَيْتِهِ ، قَوَى الشَّكِيمَةَ ، جَواداً بما في وُسْعِهِ ، مُتَنَاهِياً في البِدَانَةِ . دخل غرناطة في الجُمْلَةِ من إِخْوَانِهِ وَبَنِي عَمِّهِ ، مُغَرَّبِينَ عن مَقَرِّ المُلُوكِ بالمغرب ، وأقام بها إلى شهر ربيع الأول من عام ثلاثة وستين وسبعمائة . وَرَكِبَ البحر في الخامس والعشرين منه ، عندما لَحِقَ أَخُوهُ عَبْدُ الحَكِيمِ بالمغرب ، وبإيعاعه الناس ، ولاحَتْ لَهُ بَارَقَةٌ ، لم تَكِدْ تَقْدُ حَتَّى خَبَتْ ، فبادر إلى مُظَاهَرَتِهِ في جَفْنٍ عَزَّوَى من أُسْطُولِ الأَنْدَلُسِ ، وَصَحْبِهِ قَوْمٌ مِمَّنْ يَخْطُبُ الخُطَطَ ، وَيَبْتَدِرُ رَمَقَ الدُّوَلِ . وهال عليهم البحر ، فَطَرَحَ الجَفْنُ بِأَحْوَازِ غَسَّاسَةٍ ، وقد عَادَتْهَا مُلْكَةُ عُدُوهُمْ ، فَتَقَبَّضَ عَلَيْهِ ، وَأَدْخَلَ مَدِينَةَ فاس في الثاني لربيع الآخر من العسام ، مشهور الدَّرَكِيبِ على الظُّهْرِ . يُضْرَبُ بَيْنَ يَدَيْهِ طَبْلٌ للشُّهُرَةِ . وناقورُ الحُثْلَةِ ، وَأَجْلَسَ بَيْنَ يَدَيِ السُّلْطَانِ . فَأَبْلَى بما راق الحاضرين من بيانه من العُذْرِ للمُخْرُوجِ بالاسْتِمَالَةِ حَتَّى لَرَجَى خِلاصُهُ . واستقر مُثَقَّفاً تَتَعَلَّقُ بِهِ الأَرَاغِيفُ ، وَيَخُومُ حَوْلَ مَطْرَحَةِ الاختِبارِ إلى حين وفاته .

شعره

أنشدني الفقيه الأديب أبو بكر بن أبي القاسم بن قُطبة من شعره ، وكان صاحبه في الرحلة ، ومُزامله في أسطول المنحسة ، وذلك قوله :

سوف ننال المني ونسرق مراقي العز والمعسال
إذا حططنا بأرض فساس وحكمت في العدى العوال
فأنت عندي لها حقيق يا حايـز الفضل والكمال

وفاته

في وسط جمادى الأولى من العام . دخل عليه في بيت مُعتقله فقتل ، ودُفن ببعض مدافنهم . رحمة الله عليه .

مقاتل بن عطية البرزالي

يكنى أبا حرب ، وقال فيه أبو القاسم الغافقي ، من أهل غرناطة ، ويُلقَّب بذي الوزارتين ، ويعرف بالرَّيه^(١) لحُمرة كانت في وجهه .

حاله

كان من الفرسان الشجعان لا يُضطلي بناره ، وكان معه من قومه نحو من ثلاث مائة فارس من بني برزال . وولاه الأمير عبد الله بن بلقين بن باديس مدينة اليُسانة^(٢) ، والتقى به ابن عباد وأخذ بمُخَنَّقها ، وكان

(١) كذا في الإسكوريال والزيتونة . والظاهر أن كلمة « الريه » هذه مأخوذة من الكلمة الأسبانية El Rojo ، معناها الأحمر . وقد كان ينسرب إلى العامة الأندلسية كذا . من الكلمات القشتالية .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (اللسانة) . واللسانة ، وتسمى أحياناً اليُسانة ، وبالأسبانية Lucena . وهي بلدة حصينة من أعمال مقاطعة غرناطة تقع شمال غربي مدينة لوشة على مقربة من نهر شنييل .

عبد الله يَحْذَرُهُ . وعندما تحقّق حركة اللّمتونيين إليه ، صرّفه عن جهته ،
فقلّ لذلك ناصِرُهُ ، وأسرع ذهابُ أمره .

شجاعته

قال ، وحضر مُقاتل مع عبد الله بن بُلقَيْن أمير غرناطة وقبيلة النّيبيل
في صدر سنة ثمان وسبعين وأربع مائة ، فأبلى فيها بلاء عظيمًا ، وجرح
وجهه ، ومزّق درعه بالطّعن والضّرب . وذكر من حضرها ونجا منها ،
قال ، كنتُ قد سقط الرمح من يدي ولم أشعر ، وحملتُ التّرس ولم أعلم
به ، وحملني الله إلى طريق منجاة فرَكِبْتُها ، مرّة أقع ومرّة أقوم ، فأدركت
فارساً على فرس آذهم ورُمحه على عاتقه ، ودَرَقتُه على فخذه ، ودِرعه
مُهتّكة بالطّعن ، وبه جرح في وجهه يُثعب دما تحت مغفره ، وهو مع ذلك
ينهض على رسله ، فرجعت إلى نفسي فوجدت ثِقلاً ، فتذكرت التّرس ،
فأخرجتُ جِمالتَه عن عاتقي ، وألقيته عني ، فوجدت خِفّةً ، وعدتُ إلى
العُدوّ ، فصاح ذلك الفارس ، خُذ التّرس ، قلت لا حاجة لي به ، فقال
خُذه ، فتركته وولّيت مسرعا ، فهمز فرسه ووضع سنان رمحه بين
كتفَيّ ، وقال خذ التّرس . وإلا أخرجته بين كتفيك في صدرك ، فرأيت
الموت الذي فررت منه ، ورجعت إلى التّرس فأخذته ، وأنا أدعو عليه ،
وأسرعتُ عَدُوّاً . فقال لي « على ما كنتَ فليكن عدوك » . فاستعذتُ وقلت ،
ما بعثه الله إلا لهلاكى . وإذا قطعة من خيل الروم قد بصرت به ، فوقع
في نفسه أنه يُسرّع الجرى فيسلم وأُقتل . فلما ضاق الطّلاق ما بينه وبين
أقربهم منه ، عطّف عليه كالعقاب ، وطعنه ففطره ، وتخلّص الرمح منه ،
ثم حمل على آخر فطعنه . ومال على الثالث فانهزم منه . فرجع إليّ ، وقد

بِهَتْ مِنْ فَعْلِهِ ، وَرَشَّاشِ دَمِ الْجُرْحِ . يَتَطَايَرُ مِنْ قِنَاعِ الْمَغْفَرِ لَشِدَّةِ
نَفْسِهِ . وَقَالَ لِي يَا فَاعِلُ يَا صَانِعُ أَتُلْقِي الرُّمَحَ وَمَعَكَ مَقَاتِلُ الرِّبِّهِ .

« انتهى اختصار السفر الثامن والحمد لله رب العالمين

يتلوه في اختصار التاسع بعده

ومن ترجمة القضاة

مؤمل بن رجا بن عكرمة بن رجا العقيلي من البيرة^(١) »

(١) هذا ما ورد في المخطوط في حتام هذا السفر أي السفر السابع - الذي بدأ بترجمة
(محمد بن أحمد بن محمد ابن أبي خزيمة الجبائي (المجلد الثاني ص ٣١٥) ، وهو أكبر أسفار
الإحاطة ، ويشغل في مخطوط الإسكندرية من اللوحة رقم ١ إلى اللوحة رقم ١٨٨ .

ومن السُّفر التاسع من ترجمة القضاة
مُومِّل بن رجاء بن عكرمة بن رجاء العقيلي

من البيرة

حَسَّالُه

كان شيخاً مَضْعُوفاً يَغْلِبُ عَلَيْهِ الْبَلَّةُ ، من أهل التَّعِينِ وَالْحَسَبِ
وَالْأَصَالَةِ ، عَرِيقاً فِي الْقَضَاءِ ، قَبَاضُ ابْنِ قَاضٍ ابْنِ قَاضٍ . وَلِي قَضَاءِ
إِلْبِيرَةِ بِالْأَمِيرِ مُحَمَّدٍ .

من حكاياته : رَفَعَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ كِتَابَ صَدَاقِهَا ، فَقَالَ الصَّدَاقُ
مَفْسُوخٌ ، وَأَنْتُمْ عَلَى حَرَامٍ ، فَافْتَرَقَا ، فَرَّقَ اللَّهُ بَيْنَكُمَا . ثُمَّ رَى بِالصَّدَاقِ
إِلَى مِنْ حَوْلِهِ ، وَقَالَ عَجَباً لِمَنْ يَدْعِي [فِقْهًا] ^(١) وَلَا يَعْلَمُهُ ، أَوْ يَزْعُمُ أَنَّهُ
بُوثِقٌ وَلَا يُتَّقِنُهُ ، مِثْلَ أَبِي فُلَانٍ وَهُوَ فِي الْمَجْلِسِ يَكْتُبُ هَذَا الصَّدَاقَ ، وَهُوَ
مَفْسُوخٌ ، مَا أَحَقُّهُ أَنْ يُغْرَمَ مَا فِيهِ . فَدَارَ الصَّدَاقُ عَلَى يَدَيِّ كُلِّ مَنْ حَضَرَ ،
وَكُلٌّ يَقُولُ مَا أَرَى مَوْضِعَ فَسْخٍ ، فَقَالَ أَنْتُمْ أَجْهَلُ مِنْ كَاتِبِهِ ، لَكِنِّي
أَعْذُرُكُمْ ، لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ، يَسْتُرُّ عَلَى صَاحِبِهِ خَطَأَهُ ، أَنْظَرُوا
وَأَمْنَحْكُمُ الْيَوْمَ ، فَنَظَرُوا فَلَمْ يَجِدُوا شَيْئاً يَوْجِبُ فَسْخاً . فَدَنَا مِنْهُ مُحَمَّدُ
ابْنُ فُطَيْسٍ الْفَقِيهَ ، فَقَالَ أَصْلَحَ اللَّهُ الْقَاضِي ، إِنْ اللَّهُ مَنَحَكَ مِنَ الْعِلْمِ
وَالْفَهْمِ ، مَا نَحْنُ مُقَرَّرُونَ بِالْعَجْزِ عَنْهُ ، فَأَفَدْنَا هَذِهِ الْفَائِدَةَ ، فَقَالَ ، ادْنُ
فَدَنَا مِنْهُ ، فَقَالَ ، أَوْ لَيْسَ فِي الصَّدَاقِ « وَلَا يَمْنَعُهَا زِيَارَةُ ذَوِي مَحَارِمِهَا ،
وَلَا يَمْنَعُهُمْ زِيَارَتُهَا بِالْمَعْرُوفِ » ، وَلَوْلَا مَعْرِفَتِي بِمَحَبَّتِكَ مَا أَعْلَمْتُكَ . فَشَكَرَهُ

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (صداقها) .

الشيخ . وأخذ بطرفٍ لحينه يجرُّه إليه حتى قبلها . وكان عظيم اللحية طویلها . شيمة أهل هذه الطبقة . قال ابن فطيس ، أنا المخصوص بالفائدة ، ولا أعرفُ بها إلا مَنْ تأذنُ بتعريفه إياها ، فتبسّم القاضي معجباً بما رأى ، وشفّعوا إليه أن لا يفسخ الصّدق ، وقيل للزوجين ^(١) ، لا تطلّبوا به عنده شيئاً . ووُكِّل قضاء جَيّان .

ومن الطارئين والغربا

المهلب بن أحمد بن أبي صفرة الأسدي

من أهل المريّة يكنى أبا القاسم .

حاله

كان من أدهى الناس وأفصحهم ، ومن أهل التّعین والعناية التامة ، واستقضى بالمريّة .

مشيخته

سمع من أبي محمد الإصبهاني . ورحل وروى عن أبي ذرّ الهروي .
تواليفه : ألف كتاباً في « شرح البخاري » . أخذته الناس عنه .
وفاته : توفي سنة ست وثلاثين وأربعمائة . وقيل سنة . . . ^(٢) .

ومن ترجمة الكتاب والشعراء وم الأصليون

مالك بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن بن الفرّج

ابن أزرق بن سعد بن سالم بن الفرّج

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزبون (للبروس) .

(٢) وردت هذه الترجمة الموجزة مكتوبة بخط نفس الناسخ في دمشق بخطوط (لوحة 188) فرأينا إثباتها ، وقد مضى منها السطر الأخير . فلم يتسر لنا قراءته .

المُنْزَل بُوَادَى الْحِجَارَةِ بِمَدِينَةِ الْفَرَجِ الْمُنْسُوبَةِ إِلَيْهِ الْآنَ .

قال ابن عبد الملك ، كذا كتب لى بخطه بسبته ، وهو مصمودى ثم شصّادى مولى بنى مخزوم ، مالتقى ، سكن سبته طويلا ثم مدينة فاس ، ثم عاد إلى سبته مرة أخرى ، وبآخرة فاس ، يكنى أبا الحكم وأبا المجد ، والأولى أشهر ، ويعرف بابن المرحّل ، وصف جري على جدّه على بن عبد الرحمن لما رحل من شتّمريّة^(١) حين إسلامها للروم عام خمسة وستين وخمسمائة .

حاله

قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير ، شاعرٌ رقيقٌ مطبوعٌ ، مُتَقَدِّمٌ ، سريعُ البدئية ، رقيقُ الأغراض ، ذا كَرٍ للأدب واللغة . تحرّف مدّةً بصناعة التوثيق ببلده ، وولى القضاء مراتٍ بجهات غرناطة وغيرها . وكان حسن الكتابة إذا كتب ، والشعر أغلبٌ عليه . وذكره ابن خلّاد ، وابن عبد الملك ، فأما ابن عبد الملك فلم يستوفٍ له ما استوفى لغيره . وأما ابن خلّاد فقصر به ، إذ قال ، كانت نشأته بمالقة ببلده ، وقرارة مولده في ناسها ووسط أجناسها ، لم يتميز بحسب ، ولم يتقدم في ميدان نسب ، وإنما أنهضه أدبه وشعره ، وعوضه بالظهور من الحُمُولِ نَظْمُهُ ونَثْرُهُ ، فطَلَعَ في جَبِينِ زمانه غُرَّةٌ مُنِيرَةٌ ، ونَصَعَ في سِلْكِ فُصَحَاءِ أَوَانِهِ دُرَّةٌ خَطِيرَةٌ ، وحاز من جيله رُتْبَةَ التَّقْدِيمِ ، وامتاز في رَعِيْلِهِ بِإِذْرَاكِ كُلِّ مَعْنَى وَسِيمٍ . والإنصاف

(١) هي شتّمريّة الشرق أو شتّمريّة ابن رزين ، وبالإسبانية Albarracin وهي مدينة أندلسية ، تقع شرق وادى الحجارة . وكانت أيام الطوائف قاعدة لإمارة صغيرة تحت حكم بنى رزين ، ولما تولى محمد بن سعد بن مردنيش إمارة بلنسية (وشرق الأندلس) كانت شتّمريّة ضمن أملاكه ، وهو الذى أسلمها إلى الروم (القشتاليين) ، ولكن في تاريخ أسبق من الذى يورده ابن الخطيب (نحو سنة ٥٥٠هـ) .

فيه ما ثبتَ لى فى بعض التقييدات وهو ، الشيخ المسين المَعمر الفقيه ،
 شاعرُ المغرب ، وأديبُ صُقعِهِ . وحاملُ الرّاية ، المُعلّمُ بِالشُّهرة ، المثلُ فى
 الإكثار ، الجامع بين سهولة اللفظ ، وسلاسة المعنى ، وإفادة التّوليد ،
 وإحكام الاختراع ، وأنقياد القريحَةِ ، واسترسال الطّبع ، والنفاذ فى
 الأغراض . استعان على ذلك بالعلم بالمقاصد اللّسانية ، لغةً وبياناً وعربيةً
 وعروضاً ، وحفظاً واضطّلاعاً ، إلى نفوذ الدّهن ، وشدّة الإدراك ، وقوّة
 العارضة ، والتّبريز فى ميدان اللّوْذِغِيّة ، والقِحة والمجانة ، المؤيّد ذلك
 بخفّة الرّوح ، وذكاء الطّبع ، وحرارة النّادرة ، وحلاوة الدّعابة ، يقوم
 على الأغربة والأخبار ، ويُشارك فى الفقه ، ويتقدّم فى حفظ اللغة ، ويقوم
 على الفرائض . وتولى القضاء . وكتبَ عن الأمراء ، وخدّم واسترَفِدَ ، وكان
 مقصوداً من رُواة العلم والشّعْر ، وطُلاب الدّلج ، ومُلتَمِسى الفوائد ،
 لسعة الدّرع وانفِتاح المعرفة ، وعلوّ السّن ، وطيب المجالسة ، مهيّبا
 مخطوبَ السّلامة ، مرهوباً على الأغراض ، فى شدّقه شَفَرَتُهُ ونارِهِ ،
 فلا يتعرّض إليه أحدٌ ينقذ ، أو أشار إلى قناته بغمز ، إلّا وناط به آبدّة ،
 تركته فى المثلات ، ولذلك بَخَسَ وزنه ، واقتحم حِماد ، وساءت بحاسنه
 القالة ، رحمه الله وتجاوز عنه .

مُشِيخَتُهُ

تلا بالسّبع على أبى جعفر بن على الفخّار ، وأخذ عنه بمالقة وعن غيره .
 وصحب وجالس من أهلها ، أباً بكر عبد الرحمن بن على بن دحمان ،
 وأباً عبد الله الإستجى ، وابن عسكر ، وأباً عمرو بن سالم ، وأباً النّعيم
 رضوان بن خالد ، وانتفع بهم فى الطّريقة . وبفاس أباً زيد اليرناسنى
 الفقيه . ولقى بإشبيلية أباً الحسن بن الدّباغ ، وأباً على الشّلوّيين ،

وأبا القاسم بن بَقي ، وأجازوا له . وروى عنه أبو جعفر بن الزبير ، والقاضي أبو عبد الله بن عبد الملك وجماعة .

دخوله غرناطة

قال ابن الزبير ، تكرر قدومه علينا بغرناطة ، وآخر انفصالاته عنها آخر سنة أربع وسبعين وستمائة ، وقال لي حفيده أبو الحسين التلمساني من شيوخنا ، أنشد السلطان الغالب بالله ، مجلسه للناس من المقصورة بإزاء الحمراء ، قبل بدء الحمراء . وقال غيره أقام بغرناطة ، وعقد بها الشروط مدة . وقال لي شيخنا أبو الحسن الجيَّاب ، ولي القضاء بجهات من البشارات^(١) ، وشكى للسلطان بضعف الولاية ، فبأضاف إليه حصن أشكر يانتشر^(٢) ، وأمر أن يهمل هذا الاسم ولا يُشكَّل ، فقال أبو الحكم رحمه الله عند وقوفه عليه ، قال لي السلطان في تصحيف هذا الاسم ، « أشكر يا تيس »^(٢) وهي من المقاصد النبيلة .

توالياً

وهي كثيرة متعددة ، منها شعره ، والذي دون منه أنواع . فمنه مختارُه ، وسماه بالجلولات . ومنه ، الصدور والمطالع . وله العشریات والنبيّات على حروف المعجم ، والتزام افتتاح بيوتها بحرف الروى ، وسماها ، « الوسيلة الكبرى المرجو نفعها في الدنيا والأخرى » . وعشرياته

(١) البشارات أو البشرات وبالأصالة *Alpujurras* ، قد سبق التعريف بها (انظر هذا المجلد من الإحاطة ص ١٦٨ حاشية) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (اشكر يانش) . وأشكر أو حصن أشكر ، بالإسبانية *Huescar* محلة أندلسية تقع شمال مدينة بسطة ، في شمال شرق ولاية غرناطة .

الزُّهْدِيَّة . وأرجوزته المسماة « سلك المُنْخُلُ لمالك بن المُرْحَل » نظم فيها مُنْخَلُ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ الْمَغْرَبِيِّ ، والقصيدة الطويلة المسماة بالواضحة ، والأرجوزة المسماة « اللؤلؤ والمرجان » والمُوَطَّاةُ لمالك . والأرجوزة في العروض . وكتابه في كان ماذا ، المسمى « بالرُّمى بالحصا » ، إلى ما يَشُقُّ إحصاءه ، من الأغراض النَّبيلة ، والمقاصد الأدبية .

شعره

قال القاضي أبو عبد الله بن عبد الملك ، كان مُكثرا من النظم ، مُجيدا ، سريع البديهة ، مُستغرق الفكرة في قُرْضته ، لا يُفْتَرُّ عنه حيناً من ليل أو نهار . شاهدت ذلك وأخبرني أنه دأبه ، وأنه لا يَقْدِر على صَرْفه من خاطره ، وإخلاء باله من الخوض فيه ، حتى كان من كلامه في ذلك ، أنه مرض من الأمراض المُزمنة ، واشتهر نظمه ، وذاع شعره ، فكَلِفَتْ به ألسنة الخاصة والعامة ، وضار رأس مال المُسْتَمْعِينَ والمُعَنِّين ، وهجيرُ الصَّادِرِينَ والواردِينَ ، ووسيلة المُكِدِّين^(١) ، وطراز أورد المُوذِّنِينَ وبطريقة^(٢) البطالين ، ونحن نجتزئ منه بنبذ من بعض الأغراض تدل على ما وراءها إن شاء الله . فمن ذلك في غرض النسيب :

دَنِفْتُ تَسْتَرُّ بِالْغَرَامِ طويلاً	حتى تَغْيِرَ رَقَّةً ونُحوها
بُسِطَ الْوِصَالُ فَمَا تَمَكَّنْ جالسا	حتى أَقِمِ عَلَى الْبِسَاطِ دليلاً
يَا سَادَتِي مَاذَا الْجَزَا فَدَيْتُكُمْ	الْفَضْلُ لَوْ غَيَّرَ الْفَتَى مَا قَبِلَا
قَالُوا تَعَاطَى الصَّبْرُ عَنْ أَحِبَابِهِ	لَوْ كَانَ يَصْبِرُ لِلصُّدُودِ قَلِيلَا
مَا ذَاقَ إِلَّا شَرْبَةً مِنْ هَجْرِنَا	وَكَاثَهُ شَرِبَ الْفُرَاتِ شُمُولَا

(١) وردت في الإسكوريال . (الم) فقط بعدها بياض والتكلمة من الزيتونة .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (رمطامة) .

لو قال مُتْ لكان أقوم قبيلا
 إن لم يدعه ميتا فعليلا
 فطعت فلم تسمع لمن صليلا
 ماذا الملال وما عهدت مذولا
 أترك تقطع حبلها الموضولا
 وليست ظلا من رضاك ظليلا
 عند الهجير فما وجدت مقيلا
 أحرقت في نار هجرك لوعة وغليلا
 شوقاً وما ألقى اليك سبيلا
 بالناس لو حشروا إليه قبيل
 أيطيق قلبي غصبة ورحيلا
 فوجدت يا ربح القبول قبولاً
 فارقت بعث النسيم رسولا
 يا قلب ويك أما وجدت دليلا
 نكلت عني بالبكا تنكيلا

أيقول عشت وقد تملكه الطوى
 حلف الغرام بحبنا وجمالنا
 إن الجفون هي السيوف وإنما
 قل للحبيب ولا أصرح باسمه
 بيني وبينك ذمة مرعية
 ولكم شربت صفاء وذلك خالصاً
 فيا غصن بان بان عني ظله
 إعطف على المضنى الذى
 فارقت فتقطعت أفيلا
 لو لم يكن منك التغير لم يسأل
 يا راحلاً عني بقلب مغضب
 قل للصبى هيئت أشجان الصبى
 هل لى رسول فى الرياح غاز من
 يا ليت شعرى أين قرر قراره
 إن لم يعد ذاك الوصال كعهدنا

وقال نسيباً ومدحاً :

مالى به قبل ولا بفنونه
 من ذا يجير عليه ذلك يمينه
 فعبدت نود الحسن فوق جبينه
 فتبين التمكين فى تنوينه
 لم يجن منها الصب غير منونه

أعدى على دواه خصم جفونه
 إن لم تجرنى منه رحمة قلبه
 صاب من الأتراك أصبى مهجتي
 متمكن فى الحسن نون صدغه
 تنساب عقرب صدغه فى جنه

فعل الكليم ارتاع من تبينه
لو أُمَكَّنَنِي فِيهِ رَقَّةٌ دِينَهُ
كَالرَّمْجِ شِدَّةُ طَاعَتِهِ فِي لَيْنِهِ
أَعْدَى عَلَى مَنْ أَلَدَى بِجُفُونِهِ
وَشَعَرَتُ مِنْ لَفْظِ السَّلَامِ بِسِينِهِ
مَمَاتُهُ وَحِصْرَاكَه كَسُكُونِهِ
فَمُنْهَاهُ أَنْ يَلْقَاهُ زَيْبُ مُتَوْتِهِ
فَأَمَاتُهُ مَنْ ذَاكَ ظَهَرَ أَمُونَهُ
فِيرَى مَحَلَّ الْفَصْلِ حَقَّ يَقِينِهِ
فِي حَدِّ مَجْدِ جَامِعِ لَفْنُونِهِ
تُجِبُّ مَرَرُنَ عَلَى الْعِطَا بِرُكُوبِهِ
وَتَطُوفُ بِالْحَاجَاتِ عِنْدَ حَاجُونِهِ
وَرِثَ الْبَيَانَ وَزَادَ فِي تَبْيِينِهِ
طَوْرًا وَيَخْمِي الْعِزَّ فِي عِرْنِينِهِ
بَسَطَ الْغِنَا نَفُوسَنَا بِلُحُونِهِ
كَالْمِسْكِ إِذَا يَثْنَى عَلَى دَارِينِهِ^(١)

ولوى ضفيرته فولى مُذْبِرًا
قد أَطْمَأَنَّنى فِيهِ رَقَّةٌ خَدَّهُ
وَرَجُوتُ لَيْنِ قَوَامِهِ لَوْ لَمْ يَسْكُنْ
شَاكِي السَّلَاحِ وَمَا أَلَدَى فِي جَفْنِهِ
قَادِيَتُهُ لَمَّا نَسَدَتْ لِي سِينُهُ
رَحِمَاكَ فِي دَرَفِ غَدَا وَحِيَاثِهِ
إِنْ لَمْ تَمَنَّ عَلَى مَنَّةِ رَاحِمِ
وَلَدَا أَبَيْتُ سَوَى يَمَانِ غَدُودِ
سُنْخِيخُهَا فِي بَابِ أَرُوعِ مَاجِدِ
حَيْثُ الْمَعَارِفِ وَالْعَوَارِفِ وَالْعَلَا
بَدْرُ وَفِي الْحَسَنِ بْنِ أَحْمَدِ التَّقَاتِ
تَبَغَى مَنَاهَا فِي مَنَاهَا عِنْسَدِهِ
فَرَعٌ مِنَ الْأَصْلِ الْيَمَانِي طَيِّبُ
يُسْدَى الْبَشَاشَةِ فِي أَسْرَةِ وَجْهِهِ
بُسْطَتِ شَهَائِلُهُ لِلزَّمَانِ كَمَثَلِ مَا
يُثْنَى عَلَيْهِ كُلُّ فِعْلٍ سَابِرِ

ومن النسيب قوله :

لِي الْخِيَارُ وَأَمَا فِي هَوَادِ فَلَ
أَبَيْتُ أَذْنَى أَنْ تَسْمَعَ التَّلَا
كَفَى بِخُلْكَ غَدْرًا أَنْ يُقَالَ سَلَا
وَقَلْبُ غَيْرِي صَحَا مِنْ بَعْدِ مَا ثَمَلَا

هُوَ الْحَبِيبُ قَضَى بِالْجُورِ أَمْ عَدَلَا
تَاللَّهِ مَا قَصَّرَ الْعُدَالُ فِي عَذْلِي لَبَكُنْ
أَمَا السُّلُوْ فُشِيْ لَسْتُ أَعْرِفُهُ
جُفُونُ غَيْرِي أَصَحَّتْ بَعْدَ مَا قَطَرَتْ

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الريدوتة (سارينه) .

وُغْصَنَ بَانٍ تَشْنَى مِنْ مَعْسَاطِفِهِ
آثَرُهُ نَسِيمُ الشُّعْرِ آوْنَسَةٌ
أَمَلْتُ وَالْهَمَّةُ الْعَلِيَاءُ طَامِحَةٌ
وَقَسَالُ إِيَّهَا طُفَيْسِلِي وَمُقْتَرَحُ
مَا مَنَ تَحَدَّثَ عَنْ حُسْنِي وَعَنْ كَلْفِي
نَيَّطْتُ خَدْيَ خَوْفِ الْقَبْضِ مِنْ مَلِكِهِ
تُقَبِّلُ الْأَرْضَ أَعْضَائِي وَتَخْدُمُهُ
يَا مَنْ لَهُ دَوْلَةٌ فِي الْحُسْنِ بَاهِرَةٌ
وَمَنْ نَظَمَهُ فِي عَرُوضٍ يَخْرُجُ مِنْ
فِي اخْتِرَاعِ الْأَعَارِضِ كَثِيرَةٍ :

وَالْحُبُّ لِمَسْدَقِهِ دَلَايِلُ
الْصَّبُّ إِلَى الْجَمَالِ مَائِلُ
وَالدَّمْعُ لِسَائِلِي جَسَوَابُ
وَالْحُسْنُ عَلَى الْقُلُوبِ وَابِلُ
لَوْ سَاعِدُ مَنْ أَحَبُّ سَعْدُ
يَا عَاذِلِي إِلَيْكَ عَنِّي لَا
مَا نَازَلَنِي ^(١) كَمَثَلِ ظَبْيٍ
مَا بَيْنَ دَفْوَنِهِ حُسَامُ
وَالسِّيفُ يَبِيتُ ثُمَّ يَنْبُؤُ
وَالسَّهْمُ يُصِيبُ ثُمَّ يُخْطِئُ
مَهْلًا قَدَمِي لِسَهِّ حَلَالِ
إِنْ صَدَّقَنِي ^(٢) فَذَاكَ قَصْدِي

وَالْحُبُّ لِمَسْدَقِهِ دَلَايِلُ
إِنْ رَوَّجَعَ سَائِلَ بِسَسَائِلِ
وَالْقَلْبُ إِلَى الْحَبِيبِ وَابِلُ
مَا حَالُ مِنَ الْحَبِيبِ حَايِلُ
تُقَسِّرُ سَاحَتِي الْعَمَوَازِلُ
يَشْفِي بِلِحْظَةِ الْمُنَازِلِ
مَخَارِقَهُ لِسَهِّ حَمَائِلِ
وَاللَّحْظُ يُطَبِّقُ الْمَفَاصِلِ
وَاللَّحْظُ يَمُرُّ فِي الْمَقَاتِلِ
مَا أَقْبَلُ فِيهِ قَوْلَ قَسَائِلِ
أَوْ جَدَّلَنِي فَلَا أَجَادِلِ

(١) وردت في الإسكوريال (ما نازل) والتصويب من الزيتونة .

(٢) وردت في الإسكوريال (انصدى) والتصويب من الزيتونة .

يا حسن طلوعه علينا
ظلمان مُخَفَّفَ الأعالي
قد نَمَّ به شذا الغسوالى
والطيب منبه عليه
والغنج مُحرِّك إليه
والسحر رسول مُقلتيه
والروض يعير وجنتيه
واللين يَهْزُ معطفيه
والكاس تلوح فى يديه
يُسْقِيكَ بريقه مُداما
يُسَبِّحُكَ بَرَقَةُ الحواشي
ما أحسن ما وجدت خدّاً

والسُّكر بمعطفيه مايسل
ريان مثقل الأسسافل
إذ هبَّ ونمت الغلايل
من كان عن العيسان غافل
من كان مُسَكِّنَ البلبلى^(١)
ما أقرب عهده ببسابل
ورداً كهواى غير حصيل
كالغصن تهزّه الشمايل
كالنجم بأُسعد المنازل
ما أملح ساقياً مُواصل
عشقاً ولكافة الشمايل
إذ نجم صباى غير آفل

ومن مستحسن نزعاته :

يا راحلين وبى من قربهم أمل
سِرْتُمْ وسار اشتياقى بَعْدَكُمْ مثلاً
وظلَّ يَعْزِلُنِي فى حبِّكم نَفْسُ
عطفاً علينا ولا تَبْغُوا بنا بَدَلاً
قد ذقت فضلكم دهرًا فلا وأبى
وقد هَرَمْتُ أَسَى من هجركم وجوى

لو أغنت الجليتان لى القول والعمل
من دونه السامران^(٢) الشعر والمثل
لا كانت المختنان^(٣) الحب والعذل
فما استوى التابعان العطف والعمل
ما طاب لى الأحمران^(٤) الخمر والعسل
وشبَّ منى^(٥) اثنتان الحرص والأمل

(١) هذا البيت وارد فى الإسكوريال وساقط فى الزيتونة .

(٢) هكذا وردت فى الزيتونة والخلوة . وفى الإسكوريال (الساران) وهو تعريف .

(٣) هكذا وردت فى الزيتونة . ووردت فى الإسكوريال (المختنان) .

(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال والخلوة . ووردت فى الزيتونة (الأحمران) .

(٥) وردت فى الإسكوريال (من) والتصويب من الزيتونة .

غدرتم أو مللتم يا ذوى ثقتى
قالوا كبرت ولم تبهرح كذا غزلاً
لم أنس يوم ما نادوا للرحيل ضحى
وأشرقته بهوادهم هـوادجهم
وودعوني بأجفان مرمضة تغضها^(٢)
كم عفروا بين أيدي العيس من بطل
دارت عليهم كؤوس الحب متربة
وآخرين اشتفوا منهم بضمتهم
كأننا الروض منهم روضة أنف
من لمشرق الروابي والوهادهم
يا حادى العيس خذني مأخذاً حسناً
لم يبق لى غير ذكر أو بُكا طلل
يا ليت شعرى ولا أنس ولا جدل

[ليبست الخصلتان]^(١) الغدرو الملل
أزرى بك الفاضحان الشيب والغزل
وقرب المركبان الطرف والجمال
ولاحت الزينتان الحلى والحلل
الرقبتان الخوف والخجل
أصابه المضنيان الغنج والكحل
وأبى المسكران الخمر والمقل
يا حبذا الشافيان الضم والقبل
يزهى بها المثبتان السهل والجبل^(٣)
ماراقه المعجبان الحضر والكمل
لا يستوى الضدان الريث والعجل
لو ينفع الباقيان الذكر والطلل
هل يرفع الطيبان الأنس والجذل

ومن قوله: على لسان الثغ ينطق بالسّين ثاءً ويقرأ بالرويين :

عمرت ربيع الهوى بقلب
لبست فيه أحر ذيل النحول
إن ميت شوقاً فى غسرام
أما حديث الهوى فحق
تعبت بالشوق فى حبيب
لحمّة الحب غير ناكس
أخيب به لابس
نباته بالسقام وادس
يصرف بلواه كل حادس
أنا به ما خييت يابس

(١) هكذا وردت هذه العبارة فى الزبونة والخفوة . ووردت فى الإسكوريال كالاتى

[ليبست الخصلتان] .

(٢) وردت فى الإسكوريال (ودعوا) . والتصويب من الزبونة .

(٣) هكذا فى الإسكوريال . ووردت فى الزبونة (ينهى) .

يَخْتَالُ كَالْغُصْنِ مَا دَسَ فِيهِهِ طَرَفٌ فَنَازَرَى كُلَّ مَا يَسُ ث
 دُنْيَا تَبَدَّتْ لِكُلِّ وَأَى فَهُوَ لِدُنْيَا أَى حَارِسِ ث
 يَلْعَبُ بِالْعَاشِقِينَ طَرًّا وَالْكُلُّ رَاضُونَ وَهُوَ عَابِسِ ث
 وَمَنْ شَعَرْدَ فِي الزَّهْدِ يَصِفُ الدُّنْيَا بِالْعُرُورِ وَالْحَذَائِجِ وَالزُّورِ :

يَا خَاطِبَ الدُّنْيَا طَلَبْتَ غُرُورًا وَقَبِلْتَ مِنْ تِلْكَ الْمَجَالِسِ زُورًا
 دُنْيَاكَ إِمَّا فِتْنَةٌ أَوْ مِخْنَةٌ وَأَرَاكَ فِي كِلْتَاهُمَا مَقْهُورًا
 وَأَرَى السَّنِينَ تَمُرُّ عَنْكَ سَرِيعَةً حَتَّى لِأَحْسِيَهُنَّ صِرْنَ شَهُورًا
 بَيْنَا تَرِيكَ أَهْلَةً فِي أَفْقِهِمَا أَبْصَرْتَهَا فِي إِثْرِ ذَاكَ بُدُورًا
 كَانَتْ قِنِيًّا ثُمَّ صِرْنَ دَوَائِرًا لَا بَدَّ أَنْ تَرْنَى الْوَرَى وَتَنَاقُرًا
 يَأْتِي الظَّلَامُ فَمَا يَسُودُ رُقْعَةً حَتَّى تَرَى مَسْطُورَهَا مَنَشُورًا
 فَإِذَا الصَّبَاحُ أَتَى وَمَدَّ رِدَاءَهُ تَقَضَّ الْمَسَاءُ رِدَاءَهُ الْمَنَشُورًا
 يَتِمَّاقِبَانِ عَلَيْكَ هَذَا نَاشِرٌ مِسْكًَا وَهَذَا نَاشِرٌ كَافُورًا
 مَا الْمُسْكُ وَالْكَافُورُ إِلَّا أَنْ تَرَى مِنْ فِإْمِكَ الْإِمْسَاكُ وَالْتَّكْبِيرُ
 أُمْسِي عَلَى قَوْدِيكَ مِنْ لَوْنِيهِمَا سِمَةٌ تَسُومُ كِتَابَهُ وَبُيُورُ
 حَتَّى مَتَى لَا تَرْعَوِي وَإِلَى مَتَى أَوْ مَا لَقِيتَ مِنَ الْمَشِيبِ نَاقِيرُ
 أَخْشَى عَلَيْكَ مِنَ الدُّنُوبِ فَرِمًا تَلْفَى الصَّغِيرِ مِنَ الذُّنُوبِ كَسِيرُ
 فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ لِنَنِي لَكَ نَاصِحٌ وَاسْتَغْفِرِ الْمَوْلَى تَجِدُهُ غَفُورُ
 مِنْ قَبْلِ ضَجْعَتِكَ الَّتِي تَلْقَى لَهَا خَدَّ الصُّغَارِ عَلَى التُّرَابِ حَقِيرُ
 وَالْهَوْلُ ثُمَّ الْهَوْلُ فِي الْيَوْمِ الَّذِي تَجِدُ الَّذِي قَدَّمَ مَسْطُورُ

وَقَالَ فِي الْمَنَى الْمَذْكُورِ :

إِشْفِ الْوَجْدَ مَا أَبْكِي الْعَيْنُ وَأَشْفِ الدَّمْعَ مَا نَكَّأَ الْجُفُونُ

فيا ابن الأربعين اركب سفيناً
 ونوح إن كنت من أصحاب نوح
 بدا الشيب في فوديك رقم
 لأنتم أهل كهف قد ضربنا
 رأيت الشيب يجرى في سواد
 وقد يجرى السواد على بياض
 فهذا العكس يوزن بانعكاس
 نبات هاج ثم يرى حطاماً
 نذير جاءكم عريان يعدو
 أخى إلى متى هذا التصابي
 هي الدنيا وإن وصلت وبرت
 فلا تخذعنك أيام تليها
 فذاك إذا نظرت سلاح دنيا
 وبين يديك يوم أي يسوم
 فلما دار عز ليس يفنى
 فطوبى في غد للمتقين
 وآه ثم آه ثم آه على نفسي
 أخى سمعت هذا الوعظ أم
 إذا ما الوعظ لم يورد بصدق
 وقال يتشوق إلى بيت الله الحرام ، ويمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 شوق كما رفعت نار على علم
 تشب بين فروع الضال والسلم
 ألغى بضلوعي وهو يحرقها
 حتى براني برئاً ليس بالقلم^(٢)

(١) هكذا وردت في الإسكوريال وفي الزيتونة (مبيناً) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (للقلم) .

من يَشْتَرِينِي بالبُشرى وبمِلْكِي
 دَعُ للحبیب ذِمَامِي واختَمِمْ
 يا أَهْلَ طَيِّبَةِ طابَ العَيشِ عندكم
 عايَنتُم جَنَّةَ الفِرْدوسِ من كَذَبِ
 لنتركَنَّ هَـا الأوطانَ خالِيةً
 رِكابُنَا تحمِلُ الأوزارَ مُثَقَلَةً
 ذنوبنا يا رسولَ اللَّهِ قد كَثُرَتْ
 ذَنْبٌ يَليهِ على تَكَرُّاره نَدَمٌ
 نبكى فَتُشغَلُنَا الدنيا فتُضَحِكُنَا
 يار كَبَّ مَصْرُؤِيدا يَلتَحِقُ بكم
 فيهِم عُبيدُ تسوقُ العيسُ زَفَرَتَهُ
 يَبغِي إِلَيهِ شَفيعاً لا نَظيرَ لَهُ
 ذاكَ الحَبيبِ الَّذي تُرَجى شِفاعَتُهُ
 صليَ عَلَيهِ إِلَهُ الخَلقِ ما طَلَعَتْ
 عبداً إِذا نَظَرْتُ عينيَ إِلى الحَرَمِ
 رَمَقَ فليسَ ذا قَدَمٍ من ليسَ ذا قَدَمِ
 جاورَئِمْ خَيرَ مَبعوثٍ إِلى الأُمَمِ
 في مَهَيِّطِ الوحيِ والآياتِ والحِكمِ
 ونَسَلَكَنَّ لَها البَيداءَ في الظُّلمِ
 إِلى مُحطٍ خطايا العُربِ والعَجَمِ
 وقد أَتَيْناكَ فاستَغفِرَ لِمجْتَرَمِ
 فَقَدَ مَضَى العُمُرُ في ذَنْبٍ وفي نَدَمِ
 ولو صَدَقنا البِكا شَبَّنا دَمًا بَدَمِ
 قومٌ مَغيارِبَةٌ لَحْمٌ على وَضَمِ
 لَم يَلقُ مَولاهُ قَد ناداهُ في النِّسَمِ
 في الفضلِ والمجدِ والعلِيا والكرَمِ
 مُحَمَّدٌ خَيرُ خَلقِ اللَّهِ كَلِّمِ
 شَمْسٌ وما رُفِعَت نارٌ على عِلَمِ

ومن مقطوعاته العجيبة في شتى الأغراض ، وهي نقطة من قطر ، وبلاية
 من بحر ، قوله مما يكتب على حمالة سيف ، وقد كلف بذلك غيره من
 الشعراء بسببته . فلما رآها أخفى كل منظومه ، وزعم أنه لم يأت بشيء ،
 وهو المخترع المرفق :

جمالهِ كرياضِ جاورتِ نَهرًا فأنبتت شجراً راقَتِ أزاهِرُها
 كحِيةِ الماءِ عامتَ فيه وانصرفت فغاب أولُها فيه وآخِرُها

وقوله وقد تناول الرئيس ابن خلاص^(١) بيده مِقْصَصًا فَأَدَى
يده فَأَنشَدَهُ :

عداوةٌ لا لكفك من قَدْ نَمَّ
لئن أَدْمَاكَ فهو طما شَبِيهٌ

وقوله في الخِضَاب :

سترتُ مَشِيبي بالخِضَابِ تَعْلًا
كأنِّي وَقَدْ زَوَّرتُ لونا على الصَّبَا
غُرَابِ خِضَابٍ لم يَقِفْ من حِذارِهِ
وأَغْرَبُ شَيْءٍ في الحِذارِ غُرَابُ

وقوله وهو من البديع المخترع :

لأبدٌ من مِيلٍ إلى جهةٍ فسلا
إنَّ الفؤادَ وإن تَوَسَّطَ في الحِشَا
وقوله وهو معنى قد قيل فيه :

لا تعجبوا للبرِّ يَعْجَلُ قَدْرُهُ
فالعينُ تُبْصِرُ غيرها مع بُعْدِهِ

وقوله :

أرى المتعلِّمين عليك أَعْدَاءُ
فما عند الصَّغيرِ سوى عُقُوقِ

وقوله في وصفه ذى الجاه :

يضع الناسُ صاحبَ الجاه فيهم
إن أَوْهَ يوما تَرَجَّعَ وزُنْأُ
كل يومٍ في كَفَّةِ الميزانِ
ضاعفوا البرَّ فهو ذو رُجْحَانِ

(١) هو الرئيس أبو علي بن أبي جعفر بن خلاص البلسي ، تولى حكم سبته من قبل الموحدون في سنة ٦٣٤ هـ ، ثم خلع طاعة الخلافة الموحدية في سنة ٦٤٢ هـ ، واعترف بطاعة الدولة الحفصية تونس .

أو رأوا منه نقصَ حبةً وزن ما كسوه في حبة الجُلْجُلان
وأنشدنا عنه غير واحد من شيوخنا وقد بلغ الثمانين :

يا أيها الشيخ الذي عُمُرُه قد زاد عَشْرًا بعد سَبْعِينَا
سَكِرَتْ من أَكْوَسِ خَمَرِ الصُّبَا فحدِّك الدهر ثمانينَا
وقال ، هيهات ما أظنه يُكَمِّلُها ، وقال في الكُبْرَة :

يا من لشيخ قد أَسَنُّ وقد عَفَا مذ جاوز السَّبْعِينَ أَضْحَى مُدْنَفَا
خَانَتْهُ بعد وفاها أَعْضَاؤُهُ فغدا قَعِيدًا لا يُطِيقُ تَصَرُّفَا
هَرِمًا غريبًا ما لديه مُؤَانِس إلَّا حَدِيثُ مُحَمَّدٍ وَالْمُصْطَفَى
وكتب إلى القاضي أبي الحجاج الطُّرْسُونِي في مراجعة :

يا سيدى شاكركم مَالِك قد صَيَّرْتِ بِمِ اسمِه هَمَاءَ
ومن يَعِشْ خَمْسًا وَتِسْعِينَ قد أَنتَهَى في التَّعْمِيرِ إِنِّهَاءَ
ومن نظمه في عُرْسٍ ، صَنَعَهَا بِسَبْتَةٍ على طريقه في المَجَانَةِ :

الله أكبر في منسار المجامع من سَبْتَةٍ تاذين عَبدَ خاشع
الله أكبر للصَّلَاةِ أَقِيمُهَا بين الصُّفُوفِ من البلاط الواسع
الله أكبر مُخْرِمًا وَهُوَ جَسَّهَا ودِبرَةً إلى ربِّي بقلب خاضع
الحمد لله السلام عليكم آمين لا تُفْتَحْ لِكُلِّ مَخَادِعِ
إنَّ النِّسَاءَ خَدَعْنِي وَمَكَّرْنَ بِي ومَلَأْنَ من ذِكرِ النِّسَاءِ مَسَامِعِ
حتى وقعتُ وما وقعتُ بِجَانِبِ لكن على رَأْسِ لَأْمِرٍ واقِعِ
والله ما كانت إليه ضرورة لكن أَمَرَ الله دون مَدَافِعِ
فَخَطْبُنِي في بيت حُسْنِ قُلُنِي وكَذَبُنِي في بنتِ قُبْحِ شَانِعِ
بِكُراً زعمون صَغِيرَةً في سَنِّهَا حَسَنَاءُ تُسْفِرُ عن جِمالِ بَارِعِ
خوداً لها شَعْرٌ أَثِيثٌ حَالِك كاللَّيْلِ تُجَلِي عن صَبَاحِ سَاطِعِ

حَوْرَاء يَرْتَاعُ الْغَزَالُ إِذَا رَنْتُ
 تَتَلَوُ الْكِتَابَ بَغْنَةً وَفَصَاحَةً
 بِسَامَةٍ عَنْ لَوْلُو مُتَنَاسِقِ
 أَنْفَاسُهَا كَالرَّاحِ فَضَّ خَتَامُهَا
 شَمَاءَ دُونَ تَفَاوُتِ عَرَبِيَّةٍ
 غَيْدَاءَ كَالْغَصْبَنِ الرُّطِيبِ إِذَا
 تَخَطَّوْا عَلَى رِجْلِي جَمَامَةٍ أَيْكَةٍ
 وَوَصَفْنِي لِي مِنْ حَبْسِهَا وَجَمَالِهَا
 فَدَنَوْتُ وَاسْتَأْمَنْتُ بَعْدَ تَوْحُّشِي
 فَحَمَلْتَنِي نَحْوَ الْوَلِيِّ وَجِئْتَنِي
 وَبَعِثْتَنِي مِنْ نَافِعٍ لَتَعَادِلِ
 فَشَرَطَنْ أَشْرَاطًا عَلَى كَثِيرَةٍ
 ثُمَّ انْفَصَلْتُ وَعَلِمْتُ بِأَنِّي
 وَتَرَكْتَنِي يَوْمًا وَعِذَنْ وَقَلَنْ لِي
 وَاصْنَعْ لَهَا عُرْسًا وَلَا تَحُوجْ إِلَى
 وَقَرَعْتُ سِنِّي عِنْدَ ذَلِكَ نَدَامَةً
 وَلَزِمْتَنِي حَتَّى انْفَصَلْتُ بِمَوْعِدِ
 فَلَوْ أَنِّي طَلَّقْتُ كُنْتُ مَوْفَّقًا
 لَكِنْ طَمَعْتُ بِأَنْ أَرَى الْحُسْنَ الَّذِي
 فَتَنَظَرْتُ فِي أَمْرِ الْبِنَاءِ مُعْجَلًا
 وَطَمَعْتُ بِأَنْ تُجَلِّيَ وَيُبْصِرَ وَجْهَهَا

بِجُفُونِ خَشْفٍ^(١) فِي الْخَمَائِلِ رَافِعِ
 فَيَمِيلُ نَحْوَ الذِّكْرِ قَلْبُ السَّمْعِ
 فِي ثَغْرِهَا فِي نَظْمِهِ مُتَتَابِعِ
 مِنْ بَعْدِ مَا خُتِمَتْ بِمَسْكِ رَائِعِ
 بِبِيسَالَةٍ وَشَجَاعَةٍ وَمَنْبَازِ
 مَشَتْ نَاءَتْ بِرْدٍ لِلتَّعَجُّلِ مَانِعِ
 مَخْضُوبَةٍ تُسَبِّي فَوَادِ السَّمَاعِ
 مَا الْبَعْضُ مِنْهُ يُقِيمُ عُذْرَ الْخَالِغِ
 وَأَطَاعَ قَلْبٌ لَمْ يَكُنْ بِمَطَاوِعِ
 بِالشَّاهِدِينَ وَجِلْدَ كَبِشٍ وَاسِعِ
 وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَيْسَ بِنَسَافِعِ
 مَا كُنْتُ فِي حَمْلِي لَهَا بِمَطَاوِعِ
 أَوْثِقْتُ فِي عُنْقِي لَهَا بِجَوَامِعِ
 خُذْ فِي الْبِنَاءِ وَلَكِنْ بِمَرَاغِ
 قَاضٍ عَلَيْكَ وَلَا وَكَيْلٍ رَافِعِ
 مَا كُنْتُ لَوْلَا خُدَعْتُ بِقَسَارِعِ
 بَعْدَ الْيَمِينِ إِلَى النَّهَارِ الرَّابِعِ
 وَتَفَضُّتُ مِنْ ذَلِكَ النِّكَاحِ أَصَابِعِ
 زَوَّرَنْ لِي فَذَمَمْتُ سُوءَ مَطَامِعِ
 وَصَنَعْتُ عُرْسًا يَا لَهَا مِنْ صَانِعِ
 وَيَقَرُّ عَيْنِي بِالْهَلَالِ الطَّسَالِعِ

(١) الخشف هو ولد الطليعة .

وظننتُ ذاك كما ذكّرُن ولم يكن
وحَمَلَنِي لَيْلًا إِلَى دارِ لَهَا
دارُ خرابٍ فِي مَكَانٍ تَوَحُّشٍ
فَقَعَدْتُ فِي بَيْتٍ صَغِيرٍ مُظْلَمٍ
فَسَمِعْتُ حَسًّا عَنْ شِمَالِي مُنْكَرًا
فَأَرَدْتُ أَنْ أَنْجُو بِنَفْسِي هَارِبًا
فَلَقِيتُهُنَّ وَقَدْ أَتَيْنَ بِجَذْوَةٍ
وَدَخَلْنَ بِي فِي الْبَيْتِ وَاسْتَجَلَسْنِي
وَأَشْرَنَ لِي نَحْوَ السَّمَاءِ وَقَلْنَ لِي
هَذِي خَلِيلَتُكَ الَّتِي زَوَّجْتَهَا
وَبَتْنَا النُّعْمَى الَّتِي خُوِّلَتْهَا
فَنَظَرْتُ نَحْوَ خَلِيلَاتِي [مَتَأَمِّلًا] ^(١)
وَأَتَيْتَهَا وَأَرَدْتُ نَزْعَ خِمَارِهَا
فَوَجَلَّتْهَا فِي صَدْرِهَا وَحَذَرْتَهُ
فَوَجَدْتُهَا قَرْعَاءَ تَحْسِبُ أَنَّهَا
حَوْلَاءُ تَنْظُرُ فَوْقَهَا فِي سَاقِهَا
فَقُطِيسَاءَ تَحْسِبُ أَنْ رَوْثَةً أَنْفِهَا
صَمَاءٌ تُدْعَى بِالْبَرْيَحِ ^(٢) وَتَارَةً
بِكَمَاءٍ إِنْ رَامَتْ كَلَامًا صَوْتَتْ

وَحَصَلْتُ أَيْضًا فِي مَقَامِ الْفَارِغِ
فِي مَوْضِعٍ عَنْ كُلِّ خَيْرٍ سَامِعٍ
مَا بَيْنَ آثَارِ هُنَاكَ بِلَاقِعٍ
لَا شَيْءَ فِيهِ سِوَى حَصِيرِ الْجَامِعِ
وَتَنَحَّنَا بِحِكْمِي نَقِيقُ ضِفَادِعٍ
وَوُثِيتُ عِنْدَ الْبَابِ وَثْبَةً جَازِعٍ
فَرَدَدْنِي وَحَبَسْنِي بِمَجْسَمِ
فَجَلَسْتُ كَالْمُضْرُورِ يَوْمَ زَعَاذِعِ
هَذِي زُوبِيعَةٌ وَبِنْتُ زَوَابِعِ
فَاجْلِسْ هُنَا مَعَهَا لِيَوْمٍ سَابِعِ
فَلَقَدْ حَصَلْتُ عَلَى رِيَاضٍ يَانِعِ
فَوَجَدْتُهَا مُحْجُوبَةً بِبِسْرَاقِعِ
فَعَدْتُ تُدَافِعُنِي بِجِدٍّ وَازِعِ
وَكَشَفْتُ هَامَتَهَا بِغَيْظِ صَارِعِ
مَقْرُوعَةٍ فِي رَأْسِهَا بِمَقَارِعِ
فَتَخَالُّهَا مَبْهُوتَةً فِي الشَّارِعِ
قُطِعَتْ فَلَا شُلَّتْ يَمِينُ الْقَاطِعِ
بِالطُّبْلِ أَوْ يُؤْتَى لَهَا بِمَقَامِعِ ^(٣)
تَصْوِيَتَ مِعْزَى نَحْوِ جَدَى رَاضِعِ

(١) هكذا وردت بالزيتونة . ومكانها بياض بالإسكوريال .

(٢) البريخ هنا معناها ، التعب .

(٣) جمع قمعة . وهي عبارة عن ذباب أزرق نسج يدخل أنوف الدواب . ويهاجم الإبل

إذا اشتد الحر ويلسها .

فَقَمَاءٌ إِنْ تَلْتَقَى أَسْنَانُهَا تَفْسُو إِذَا نَطَقَتْ فِسَاءُ الشَّابِعِ
 عَرَجَاءٌ إِنْ قَامَتْ تَعَالِجُ مَشِيهَا أَبْصَرَتْ مِشْيَةَ [ضَالِعٍ أَوْ خَامِعٍ] ^(١)
 فَلَقَيْنَهَا وَجَعَلَتْ أَبْصَقَ نَحْوَهَا وَأَفْرُ نَحْوِ دُجَاءٍ وَغَيْثٍ هَامِعِ
 حَيْرَانُ أَغْدُو فِي الرُّقَاقِ كَأَنِّي لَصُّ أَحْسُ بَطَالِبٍ أَوْ تَابِعِ
 حَتَّى إِذَا لَاحَ الصَّبَاحُ وَفَتَّحُوا بَابَ الْمَدِينَةِ كُنْتُ أَوَّلَ كَاسِعِ
 وَاللَّهُ مَالِي بَعْدَ ذَلِكَ بِأَمْرَهَا عَلِمْتُ وَلَا بِأُمُورٍ بَيَّتِي الضَّايِعِ

نشره

وَفَضَّلَ النَّاسُ نَظْمَهُ عَلَى نَشْرِهِ ، وَنَحْنُ نُسَلِّمُ ذَلِكَ مِنْ بَابِ الْكَثْرَةِ ،
 لَا مِنْ بَابِ الْإِجَادَةِ . وَهَذِهِ الرِّسَالَةُ مُعْلَمَةٌ بِالشَّهَادَةِ بِحَوْلِ اللَّهِ .

كَتَبَ إِلَى الشَّيْخَيْنِ الْفَقِيهَيْنِ الْأَدِيبَيْنِ الْبَلِيغَيْنِ أَبِي بَكْرٍ بَنِ يُونُسَ بْنِ
 الْفَخَّارِ وَأَبِي الْقَاسِمِ خَلْفِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْقَبْتَوِيِّ :

« اللَّهُ دَرَكَمَا خَلِيفِي صَفَاءُ ، وَأَلِيفِي وَفَاءُ ، يَتَنَازَعَانِ كَاسَ الْمَوَدَّةِ ،
 تَنَازُعَ الْأَكْفَاءِ ، وَيَتَهَادِيَانِ رِيحَانَ التَّحِيَّةِ هَادِي الظُّرْفَاءِ . قَسِيمِي نَسَبُ ،
 وَقَرِيعِي حَسَبُ ، يَتَجَاوِزَانِ بِمَطْبُوعٍ مِنَ الْأَدَبِ وَمُكْتَسَبِ ، وَيَتَوَارِدَانِ عَلَى
 عِلْمٍ مِنَ الظُّرْفِ وَنَسَبِ ، رَضِيعِي لِبَانُ ، ذَرِيعِي لُبَانُ ، يَحْرُزَانِ مِيرَاثَ
 قُسٍّ وَسَخْبَانِ ، وَيُبْرِزَانِ مِنَ الذِّكَا ، مَا بَانَ عَلَى أَبَانِ ، قَسِيمِي مُجَالُ ،
 فَصِيحِي رَوِيَّةٌ وَارْتِجَالُ ، يَتَرَعَانِ فِي أَشْطَانِ الْبَلَاغَةِ ، سَجَالًا بَعْدَ سَجَالِ ،
 وَيَقْصُرَانِ فِي مِيدَانِ الْفَصَاحَةِ رَجَالًا عَلَى رَجَالِ . مَا بِالْكَمَا لَا حُرِّمَتْ حِبَالُ الْكَمَا
 وَلَا قُصِمَتْ نِبَالُ الْكَمَا ، لَمْ تَسْمَحْ لِي مِنْ عُقُودِ كَمَا بِذُرَّةٍ ، وَلَمْ تُرْشِحْنِي مِنْ
 نُقُودِ كَمَا بِذُرَّةٍ . وَلَمْ تَفْسَحْ لِي بِحُلُودٍ وَلَا مُرَّةٍ . لَقَدْ ابْتَلَيْتُ مِنْ أَدَبِكُمَا
 بِنَهْرِ أَقْرَبِهِ وَلَا أَشْرَبِهِ . وَمَا أُرَدُّ وَلَا أَتَبَرَّدُ . وَلَوْ كُنْتُ مِنْ أَصْحَابِ

(١) هَكَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الْمُبَارَةُ فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي الزَيْتُونَةِ (الْخَامِعِ أَوْ ضَالِعِ) .

طالوت لا فُسِحت لى عُرفة ، وأُتيحت لى تُرفة . بل لو كنت من الإبل ذوات الأظماء ، ما جُلِيت بعد الظُّمإ عن الماء . ولا دخلتُ بالإشفاق مدخل العجماء . كيف وأنا ولا فخر فى صورة إنسان ، ناطق بلسان . أفرُق بين الإساءة والإحسان . وإن قلت إنَّ باعى فى النِّظم قصير ، ومالى على النثر ولى ولا نصير ، وصنعة النحو عنى بمُعزل : ومنزل الفقيه ليس لى بمنزل ، ولم أقدم على العلم القديم ، ولا استأثرت من أهله بنديم . فأنا والحمد لله غنى بصنعة الجفر ، وأقتنى اليراع كأنها شبابيك التبر ، وأبىرى البرية المغا تنيف على الشبر ، وأزين خُدود الأسطار المُستوية ، بعقارب اللّامات المُلتوية ، ولا أقول كأنها ، فلا ينكر السيدان أعزهما الله ، أنها نعم بعود أزاعم ، وبمثل شكسى تُحضّر الملاحم . فما هذا الازدراء والاجتراء فى هذا الأمر مر الواقير . تالله لقد ظلّمتانى على علم ، واستندتما إلى غير حلم ، أما رَهَبْتُمَا شَبَابَى ، أما رَغَبْتُمَا فى حسابى ، أما رَفَعْتُمَا بين نفح صِبَابَى ، وَلَفَح صِبَابَى . لعمرى لقد رَكِبْتُمَا خطرا ، وَهَجْتُمَا الأسد بطرا ، وأَبَحْتُمَا حِمَى مُحْتَضِرا ، ولم تمنعنا فى هذا الأمر نظرا .

أَعِدْ نظراً يا عبدَ قيسَ لعِلْمَا أضاعت لك النار الحِمارَ المقيداً
ونفسى عينُ الحمار فى هذا المضمار ، لا أعرف قبىلا من دبّير ، ولا أفرُق بحسبى بين صغير وكبير ، ولا أعهد أن حصاة الرمى أخف من ثبير ، أليس فى ذوى كبد رُطبة أجر ، وفى معاملة أهل التقوى والمغفرة تجر ، وإذا خَوَّلْتُمَا نِعْمَةً ، أو نَفَلْتُمَا نَفْلاً ، فاليدُ العليا خير من اليد السفلى ، وما نَقَصَ مال من صَدَقَةٍ ، ولا جمالٌ من كَمَحِ حَذَقَةٍ ، والعلم يزيد بالإنفاق ، وكنتمهُ حرامٌ باتفاق ، فإن قلتما لى إنَّ فهمك سقيم ، وعوجُك على الرياضة لا يستقيم ، فلعل الذى نَصَبَ قامتى ، يَمُنُّ باستقامتى ، وعسى

الذى يَشْقُ سَمْعِي وبَصْرِي ، أَن يَزِيلَ عَيْنِي وَحَصْرِي ، فَأَعْيِي مَا تَقْصَان ،
وَأَجْتَلِي مَا تَنْصَان ، وَأَجْنِي ثِمَارَ تِلْكَ الْأَغْصَان ، فَقَدْ شَاهَدْتُمَا كَثِيرًا مِنْ
الْحَيَوَان ، يُنَاغِي فَيَتَعَلَّم ، وَيُلَقِّن فَيَتَكَلَّم . هَذَا وَالْجِنْسُ غَيْرُ الْجِنْس ،
فَكَيْفَ الْمُشَارِكُ فِي نَوْعِيَّةِ الْإِنْس ، فَإِنْ قُلْنَا إِنْ ذَلِكَ يَشْقُ ، فَأَيْنَ الْحَقُّ
الَّذِي يَحِقُّ ، وَالْمَشَقَّةُ أَخْتُ الْمَرُوءَةِ ، وَيَنْعَكِسُ مَسَاقُ هَذِهِ الْأُخُوَّةِ ، فَيَقَالُ
الْمَرُوءَةُ أَخْتُ الْمَشَقَّةِ ، وَالْحَجِيجُ يَصْبِرُ عَلَى بُعْدِ الشُّقَّةِ ، وَلَوْلَا الْمَشَقَّةُ ، كَثُرَ
السَّادَةُ ، وَقَلَّتِ الْحَسَادَةُ ، فَمَا ضَرَّكُمْ أَيُّهَا السَّيِّدَانِ ، أَنْ تَحْسِبَا تَحْوِيلِي ،
وَتَكْتَسِبَا الْأَجْرَ فِي تَذْرِيجِي ، فَإِنَّمَا إِنْ فَعَلْتُمَا ذَلِكَ ، نُسِبَتْ إِلَى وَلايَكُمَا ،
كَمَا حُسِبَتْ عَلَى عَلَايَكُمَا ، وَأُضِفْتُ إِلَى نَدْيِكُمَا ، كَمَا عُرِفْتُ بِمَنْتَدَاكُمَا . أَلَمْ
تَعْلَمَا أَنَّ الْمَرْءَ يُعْرِفُ بِخَلِيلِهِ ، وَيُقَاسُ بِهِ فِي كَثِيرِهِ وَقَلِيلِهِ ، وَلَعَلِّي أُمْتَحَنُ
فِي مَرَامٍ ، وَيَعْجِمُ عَوْدِي رَامٍ . فَيَقُولُ هَذَا الْعُودُ مِنْ تِلْكَ الْأَعْوَادِ ، وَمَا فِي
الْحَلْبَةِ مِنْ جَوَادٍ ، فَأَكْسُوكُمْ عَارًا ، وَأَكُونُ عَلَيْكُمَا شِعَارًا . عَلَى أُنَى إِذَا
دُعِيتَ بِاسْمِكُمَا ، اسْتَرَبْتُ مِنَ الْإِدْعَاءِ ، فَلَا أَسْتَجِيبُ لِهَذَا الدُّعَاءِ ، وَلَكِنْ
أَقُولُ كَمَا قَالَ ابْنُ أَبِي سَفْيَانَ . حِينَ عَرَفَ الْإِدَارَةَ ، وَأَنْكَرَ الْإِمَارَةَ ، نَعَمْ
أُخَوَّتِي أَصَحَّ ، وَأَنَّهَا بِهَا أَشَحَّ ، إِلَّا أَنَّ غَيْرِي نَظَمَ فِي السُّلْكِ ، وَأُسْهِمَ فِي
الْمُلْكِ ، وَأَنَا بَيْنَكُمَا كَالْمَحْجُوبِ بَيْنَ طُلَّابٍ ، يَشَارِكُهُمْ فِي الْبُكَاءِ لَا فِي
التُّرَاثِ ، إِنْ حَضَرْتَ فَكُنْتُمْ فِي الْإِقْحَامِ . أَوْ لَقَعْدِ فِي زَحَامٍ ، وَإِنْ غَبِثَ
فَيُقْضَى الْأَمْرُ ، وَقَدْ سَطَرَ زَيْدٌ وَعَمَرُو . نَاشَدْتُكُمْ اللَّهُ فِي الْإِنْصَافِ ، أَنْ
تَرْبِعَا بَوَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ الشَّخَرِ . فِي نَادٍ مِنْ أُنْدِيَةِ الشَّعْرِ بِلِ السَّحَرِ ، حَيْثُ
تَنْدَرُجُ الْأَنْهَارُ ، وَتَسْتَلْزِجُ الْأَزْهَارُ ، وَيَتَبَرَّحُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، وَيَقْرَأُ الطَّيْرُ
صُحُفًا مُنْتَشِرَةً ، وَيَجْلُو النُّورُ ثُغُورًا مُؤَشِّرَةً ، يُغَازِلُ عَيُونَ النَّرَجِسِ الْوَجِلَ
خُدُودَ الْوَرْدِ الْحَجَلِ . وَنَمِيلُ أَعْطَافَ الْبَانِ ، عَلَى أَرْدَافِ الْكُثْبَانِ ، فَيَرْقُدُ

النسيم العليل في جِبر الرُّوض وهو بَلِيل ، وتَبَرُّز هوادج الرِّاح على الرِّاح .
وقد هَدَيْت بِأَقْمَار ، وَخُدَيْت بِأَزْهَار وَمِزْمَار ، وَرَكِبْتَهَا الصُّبَا وَالْكُمَيْت فِي
ذَلِكَ الْمَضْمَار ، وَلَمْ تَزَالَا فِي طَيْبٍ ، وَعَيْشٍ رَطِيبٍ ، مِنْ قَبَابٍ وَخُدُورٍ .
وَشُمُوسٍ وَبُدُورٍ ، تَصِلَانِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامَ ، أَعْجَازاً بِصُدُورٍ ، وَأَنَا الطَّرِيدُ
مَنْبُوذٌ بِالْعَرَاءِ ، مَوْقُودٌ فِي جِهَةِ الْوَرَاءِ ، لَا يُدْنِي مَحَلِّي وَلَا يُعْتَنِي بِعَقْدِي
وَلَا حَلِّي ، وَلَا أَذْرَجُ مِنَ الْخَرُورِ إِلَى الظِّلِّ ، وَلَا أَخْرُجُ مِنَ الْحَرَامِ إِلَى الْحِلِّ ،
وَلَا يُبْعَثُ إِلَيَّ مَعَ النَّسِيمِ هَبَّةٌ ، وَلَا يُتَاحُ لِي مِنَ الْآثِي عَبَّةٌ . قَدْ هَلَكْتَ لِقَوًّا ،
وَلَمْ تُقِمَّا لِي صَفْوًا ، وَمِتُّ كَمْدًا ، وَلَمْ تَبْعَثَا لِسَعْيِي أَمْدًا . أَتَرَاهُ خَلَفْتُمَانِي
جَرَضًا ، وَالْقَيْتُمَانِي حَرَضًا ، كَمْ أَسْتَسْقِي فَلَا أُسْقَى ، وَأَسْتَرْقِي فَلَا أُرْقَى ؛
لَا مَاءَ أَشْرَبُهُ وَلَا عَمَلٍ فِي وَضْلِكُمَا أُدْرِبُهُ . لَمْ يَبْقَ لِي حِيلَةٌ إِلَّا الدُّعَاءُ الْمَجَابُ .
فَعَسَى الْكَرْبُ أَنْ يَنْجَابُ . اللَّهُمَّ كَمَا أَمَدَدْتَ هَذَيْنِ السَّيِّدَيْنِ بِالْعِلْمِ الَّذِي
هُوَ جَمَالٌ ، وَسَدَّدْتَهُمَا إِلَى الْعَمَلِ الَّذِي هُوَ كَمَالٌ ، وَجَمَعْتَ فِيهِمَا الْفَضَائِلَ
وَالْمَكَارِمَ . وَخَتَمْتَ بِهِمَا الْأَفْضَلَ وَالْمَكَارِمَ ، وَجَعَلْتَ الْأَدَبَ الصَّرِيحَ أَقْلًا
نِصَالَهُمَا ، وَالنَّظَرَ الصَّحِيحَ أَقْلًا نِصَالَهُمَا ، فَاجْعَلِ اللَّهُمَّ لِي فِي قُلُوبِهِمَا رَحْمَةً
وَحَنَانًا . وَابْسُطْ لِي مِنْهُمَا وَجْهًا ، وَاشْرَحْ لِي جَنَانًا ، وَاجْعَلْنِي اللَّهُمَّ مِمَّنْ
اِقْتَدَى بِهِمَا ، وَتَعَلَّقَ بِأَهْدَابِهِمَا ، وَكَانَ دَأْبُهُ فِي الصَّالِحَاتِ كَدًّا بِهِمَا . حَتَّى
أَكُونَ بِهِمَا ثَالِثَ الْقَمَرَيْنِ فِي الْآيَاتِ . وَثَالِثَ الْعُمَرَيْنِ فِي عَمَلِ الْبِرِّ وَطُولِ الْحَيَاةِ .
اللَّهُمَّ آمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ . وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى سَيِّدِي
أَعَزَّهُمَا اللَّهُ ، إِذَا وَقَفَا عَلَى هَذَا الْخُطَابِ ، وَنَظَرَا إِلَى هَذَا الْاِحْتِطَابِ . كَيْفَ
يُدِيرَانِ رَمَزًا ، وَيَسِيرَانِ غَمَزًا ، وَيُقَالُ اسْتَتَبَ ^(١) الْفِصَالُ ، وَتَعَاطَى الْبَيْدُ
مَا تَفْعَلُ النَّصَالُ . وَحَنٌّ جَذْعٌ لَيْسَ مِنْهُمَا ، وَخُذْ عَجْفَاءَكَ وَسَمَنَهَا .

(١) هَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي الزَّيْتُونَةِ (اسْتَنْثِيَتْ) .

فَأَقُولُ وَطَرَفِي غَضِيضٌ ، وَمَحَلِّي الْحَضِيضُ ، مِثْلِي كَمِثْلِ الْفُرُوجِ أَوْ ثَانِي
الْبُرُوجِ ، وَمَا تَقَاسَ الْأَكُفُّ بِالسُّرُوجِ . فَأَضْرِبَا عَنِّي أَيُّهَا الْفَاضِلَانِ ،
مَا أَنَا مِمَّنْ تُنَاضِلَانِ ، وَالسَّلَامُ » .

مولده

قال شيخنا الفقيه أبو عبد الله بن القاضى المُتَبَحَّرُ الْعَالِمُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ
بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، سَأَلْتُهُ عَنْ مَوْلَدِهِ فَأَنْشَدَنِي :

يَا سَائِلِي عَنْ مَوْلَدِي كَيْ أذْكُرَهُ وَلِدْتُ يَوْمَ سَبْعَةِ وَعَشْرَةِ
مِنَ الْمُحَرَّمِ افْتِتَاحَ أَرْبَعٍ مِنْ بَعْدِ سِتْمَايَةِ مُفَسَّسَةِ

وفاته

فِي التَّاسِعِ عَشَرَ لِرَجَبِ عَامِ تِسْعَةِ وَتِسْعِينَ وَسِتْمَايَةِ ، وَدُفِنَ بِمَقْبَرَةِ فَاسَ ،
وَأَمَرَ أَنْ يَكْتَبَ عَلَى قَبْرِهِ :

زَرِ غَرِيبًا بِمَقَرِّهِ نَازِحًا مَالَهُ وَلِ
تَرَكَوهُ مُوسَّدًا بَيْنَ تُرْبٍ وَجَنْدَلِ
وَلْتَقُلْ عِنْدَ قَبْرِهِ بِلِسَانِ التَّدْلُلِ
يَرْحَمُ اللَّهُ عَبْدَهُ مَسَالِكَ بَنِ الْمُرْجَلِ

وَمِنْ طَارِئِي الْمُقْرِئِينَ وَالْعُلَمَاءِ

مَنْصُورِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الزَّوَاوِيِّ

صَاحِبُنَا ، يَكْنَى أَبَا عَلِيٍّ .

حاله

هَذَا الرَّجُلُ طَرَفٌ فِي الْخَيْرِ وَالسَّلَامَةِ ، وَحَسَنُ الْعَهْدِ ، وَالصُّونِ وَالطَّهَارَةِ

والعنة . قليل التصنع ، مؤثر للاقتصاد ، منقبض عن الناس . مكفوف اللسان واليد ، مُشتغل بشأنه ، عاكف على ما يُعنيه ، مستقيم الظاهر . ساذج الباطن . مُنصف في المذاكرة ، مُوجب لحق الخصم ، حريص على الإفادة والاستفادة ، مثابر على تعلُّم العلم وتعليمه ، غير أنيف عن حمّله عمّن دونه ، جُملة من جُمَل السّاذجة والرجولة وحسن المعاملة ، صدر من صدور الطلبة ، له مشاركة حسنة في كثير من العلوم العقليّة والنقلية . واطّلاعٌ وتقيد ، ونظر في الأصول والمنطق وعِلْم الكلام ، ودعوى في الحساب والهندسة والآلات . يكتب الشّعْر فلا يعدو الإجادة والسّداد .

قدم الأندلس في عام ثلاثة وخمسين وسبعماية ، فلقى رَحْباً ، وعُرف قَدْرُه ، فتقدم مُقرئاً بالمدرسة^(١) تحت جراية نبيهة ، وحلّق للناس متكلاً على الفروع الفقهية والتفسير . وتصدّر للفتيا ، وحضر بالدار السلطانية مع مثله . جَرَبْتُهُ وصَحِبْتُهُ . فبَلَوْتُ مِنْهُ دِيناً ونَصَفَةً ، وحسن عشرة .

مُحَنَّتُهُ

امتحن في هذا العهد الأخير بمطالبة شرعية ، لِمُتَوَقَّف صدر عنه لما جمع الفقهاء للنظر في ثبوت عقد على رجل نال من جانب الله والنّبوة ، وشكّ في القول بتكفيره ، فقال القوم بإشراكه في التكفير ولَطَخَ بالعاب^(٢) الكبير ، إذ كان كثير المشاحة^(٣) لجماعتهم ، فأجَلَّت الحال عن صَرْفِه عن الأندلس في أواخر شعبان عام خمسة وستين وسبعماية .

(١) المقصود بالمدرسة هنا ، المدرسة النصرية أو جامعة غرناطة السّنية ، التي أسسها السلطان يوسف أبو الحجاج في سنة ٧٥٠هـ (١٣٤٩ م) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (اللباب) وهو تحريف

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (المشاحة) والمؤدى واحد

مشيخته

طلبتُ منه تقييد مشيخته ، فكتب مما يدل على جودة القريحة ما نصه :
 « يتفضلُ سيدى الأعلى الذى أهدى بمصباحه ، وأعشوا إلى غرره
 وأوضحه . جامعُ أشتات العلوم ، وفائقُ رتق الفهوم ، حامل راية البديع ،
 وصاحبُ آيات التورية^(١) فيه والترصيع ، نُخبة البلغاء ، وفخر الجهابذة
 العلماء . قائدُ جِياد البلاغة من نواصِيها . وسائقُ شِوارِد الحِكم من أقاصِيها ،
 أبو عبد الله بن الخطيب ، أبقاه الله للقريض ، يقطِف زهره ، ويَجَنِّي
 غرره . وللبديع يُطلع قمره ، وينظم دُرره . وللأدب يَحْكُم حُلله . ويجمع
 تفاصيله وجُمَله ، وللمعانى يَجُوس بجيوش البراعة خِلالها ، ويفتَح
 بعوامل البراعة أَقْفالها ، وللأسجاع يُقَرِّط^(٢) الأسماع بفرايدها ، ويُحَلِّي النحور
 بقلايدها . وللنظم يُورد جِياده أَحلى الموارد ، ويُجِيلها^(٣) في مِضمار البلاغة
 من غير مُعاند ، وللنثر يَفْتَرع أَبكاره . ويودعها أسرارها ، ولساير العلوم
 يَصوغها في مَفْرَق الآداب تاجاً ، ويَضَعُها في أسْطُر الطُّروس سراجاً ، ولا زال
 ذا القلم الأعلى ، وبَذَر الوزارة الأَوْضَح الأَجَلَى ، ببقاء هذه الدولة المولوية
 والإمامة المحمدية . كعبةً للملوك الإسلام . ومَقْصِداً للعلماء الأعلام . ورضى
 عنهم خَلَفاً وسَلَفاً ، وبُورِكَ لنا فيهم وَسْطاً وطَرْفاً ، ولا زالت آمالنا بَعْلانهم
 منوطة . وفي جَاههم العريض مَبْسُوطَة . بقبول ما نَبَّه عليه . من كُتُب
 شيوخِ المشاهير إليه ، فها أنا أذكر ما تيسر لى من ذلك بالاختصار .
 إذ لا تفى بذكرهم وحُلاهم المجلدات الكبار .

(١) هكذا وردت في الزيتونة . ووردت في الإسكوريال (آية التفويف) وهو تحريف .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في الزيتونة (بقطر) وهو تحريف .

(٣) هكذا ووردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (ويحييها) .

فمنهم ، مولاى الوالد على بن عبد الله لقاء الله ، الروح والريحان ،
وأوسع الرضا والغفران . قرأت عليه القرآن ، وبعض ما يتعلق به من
الإعراب والضبط . ثم بعثنى إلى شيخنا المجتهد الإمام ، علّم العلماء ،
وقطب الفقهاء ، قُدوة النظار ، وإمام الأمصار ، منصور بن أحمد المشدلى
رحمه الله وقُدس روحه ، فوجدته قد بلغ السنُّ به غاية أوجبت جلوسه في
داره ، إلا أنه يُفيد بفوايده بعض زوّاره . فقرأت من أوائل ابن الحاجب^(١)
عليه لإشارة والدى بذلك إليه ، وذلك أول محرم عام سبعة وعشرين
وسبعمائة . واشتد الحصار ببجاية لسماعنا أن السلطان العبد الوادى^(٢)
ينزل علينا بنفسه ، فأمرنى بالخروج رحمه الله ، فعاقنى عايق عن الرجوع
إليه لأتم قراءة ابن الحاجب عليه . ثم مات رحمه الله عام أحد وثلاثين
وسبعمائة ، فخَصَّ مصابه البلاد وعمِّ ، ولفَّ ساير الطلبة وضم ، إلا أنه
ملاً ببجاية وأنظارها بالعلوم النظرية وقساها ، وأنظارها بالفهوم العقلية
والعقلية . فصار^(٣) من طلبته ، شيخنا المعظم ، ومفيدنا المُقدِّم
أبو عبد الله محمد بن يحيى الباهلى المعروف بالمُفسِّر^(٤) رحمه الله ، بالطريقة
الحاجبية ، والكتابة الشرعية والأدبية ، مع فضل السن وتقرير حسن ،
إلى معارف^(٥) تحلّاها ، ومحاسن اشتمل حُلّاها . واستمر في ذكر شيوخه

(١) هو أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر المعروف بابن الحاجب ، إذ كان والده
حاجباً لأحد أمراء الدولة الصلاحية المصرية . ولد بالقاهرة وبرخ في الفقه وعلوم اللغة ، واشتهر
بكتبه في النحو وفي مقدماتها « الكافية » و « الشافية » . وكانت كتبه من أهم نصوص الدراسة اللغوية
طوال العصور الوسطى . وتوفى بالإسكندرية سنة ٦٤٦ هـ .

(٢) نسبة إلى دى عبد الواد ملوك مملكة تلمسان بالمغرب الأوسط .

(٣) هكذا وردت في الزيتونة . ووردت في الإسكوريال (فنار) وهو تحريف .

(٤) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (بالاسفر) .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (معان) .

على هذه الوثيرة من التزام السَّحج ، بتقرير الحَلْي ، فأجاد ، وتجاوز^(١) المعتاد . فذكر منهم محمد بن يحيى الباهلي المذكور ، وأنه أخذ عنه جملة من العلوم ، فأفرده بقرعة الإرشاد . والأستاذ أبا علي بن حسن البجلي ، وقرأ عليه جملة من الحاصل . وجملة من المعالم الدينية والفقهية ، والكتب المنطقية ، كالخونجي ، والآيات البينات . والقاضي أبا عبد الله محمد بن أبي يوسف ، قاضي الجماعة ببجاية ، وأبا العباس أحمد بن عمران الساوي البانيولي^(٢) . قال ثم ثنيت العنان بتوجهي إلى تلمسان . راغباً في علوم العربية ، والفهوم الهندسية والحسابية ، فأول من لقيت شيخنا الذي علّمت في الدنيا جلالته وإمامته . وعُرفت في أقاصي البلاد سيادته وزعامته ، وذكر رئيس الكتاب العالم الفاضل أبا محمد عبد المهيمن الحضرمي . والمحدث البقية أبا العباس بن يربوع ، والقاضي أبا إسحق بن أبي يحيى . وقرأ شيئاً من مبادئ العربية على الأستاذ أبي عبد الله الرندي . ولقي بالأندلس جلّة . فممن قرأ عليه إمام الصنعة العربية شيخنا أبو عبد الله بن الفخّار الشهير بالبيري^(٣) ، ولازمه إلى حين وفاته ، وكتب له بالإجازة والإفان له في التحليق بموضع فُعوده من المدرسة بعده . وقاضي الجماعة الشريف أبو القاسم محمد بن أحمد الحسيني ، نسيجٌ وحده ، ولازمه . وأخذ عنه تواليفه ، وقرأ عليه تسهيل الفوائد لابن مالك . وقيد عليه . وروى عن شيخنا إمام البقية أبي البركات بن الحاج ، وعن الخطيب المحدث أبي جعفر الطنجالي . وهو الآن بالبحال الموصوفة أعانه الله وأمتع به

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (جواز) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (البانيولي) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (البيري) . والمؤدى واحد ، وهو

النسبة إلى البيرة .

شعره

زُرنا معا والشيخ القاضي المتفَنُّ أبو عبد الله الدُّقْرِي عند قدومه إلى
الأندلس رباط العقاب^(١) . واستنشدتُ القاضي . وكتب لي يومئذ بخطه ،
استنشدني الفقيه الوجيه الكامل ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الخطيب ،
أطال الله بقاه كما أطال ثناه ، وحفظ مُهجته . كما أحسن بهجته ،
فأنشدته لنفسى :

لما رأيناك بعد الشَّيب يا رَجُل لا تستقيم وأمر النفس تمتثل
زدنا يقيننا بما كنا نصدقُه عند المشيب يَشِبُّ الجِرْص والأمل
وكان ذلك بمسجد رابطة العقاب ، عقب صلاة الظهر من يوم الأحد
التاسع والعشرين لشهر ربيع الآخر من عام سبعة وخمسين وسبعماية .
وكتب الشيخ الأستاذ أبو علي يقول : منصور بن علي الزَّوَاوِي ، في رابطة
العقاب في كذا ، أَجَزْتُ صاحبنا الفقيه المعظم ، أبا عبد الله بن الخطيب
وأولاده الثلاثة عبد الله . ومحمداً . وعليها ، أسعدهم الله ، جميع ما يجوز لي
وعني روايته ، وأنشدته قولي أخطب بعض أصحابنا :

يحييك عن بعض المنازل صاحب صديق غَدَتْ تهدي إليك رسايه
مُقدِّمة حِفْظ الوداد وسفيلة ولا وُدَّ إلا أن تصحَّ وسائله
يُسائل عنك الدَّارين ولم يكن تغيب لبُعْد الدار عنك مسايه
وكتبت له قبل هذا مما أنشدته عند قدومي على غرناطة :
يا مَنْ وجدناه لفظاً حقيقة في المعسالي
مقدمات عُلاكم أنتَجن كل كدال

(١) رباط العقاب أو رابطة العقاب ، كانت أحد الرباط التي تسمى رباطاً ، وكانت تقع على مقربة من غرناطة ، وقد سبق التعريف بها (أنظر المجلد الثاني من إيمامة من ١٥٥ حاشية) .

وكل نظم قياس خلوت منه فخال
وهو من لدن أزعج عن الأندلس ، كما تقدم ذكره . مقيم بتلمسان .
على ما كان عليه من الإقراء والتدريس .

مسلم بن سعيد التَّنَمَلِي^(١)

حاله

كان غير نبيه الأبوّة . ظهر في دولة السلطان أمير المسلمين . ثاني الملوك
من بني نصر ، بمزيد كفاية ، فقلده خُطّة الجفازة ، وهي تعميم النظر في
المجاني ، وضم الأموال ، وإيقاع النكير في محل التقصير . ومظان الرّيب
فتمت حاله ، وعظم جاهه ، ورُهِبت سَطوته ، وخيف إيقاعه . وقُرِبَتْ
من السلطان وسيلته ، فتقدم الخُدّام ، واستوعب أطراف الحُطوة . واكتسب
العقار ، وصاهر في نبيه البيوتات ، وأروث عنه أخبارا ، تشهد له بالجُرد
وعلوّ الهمة ، وشرف النفس ، إلى أن قَضَى على هذه الوتيرة .

ذكروا أن شخصاً جلب سِلعة نفيسة ، مما يُطْمَع في إخفاها ، جيّدة عن
وظيفة المغرم الباهظة ، في مثل جنسه ، فبينما هو يروم المحاولة ، إذ بَصُر
بنبيه المَرَكَب والبِزة ، يَنْفَضُّ في زوايا الفَحْص عن مثل مُضْطَبِنَه ، فظنّه
رئيساً من رؤساء الجند ، فقصدّه ورغب منه إجازة خَبِيثَتِه بباب المدينة .
وقرّر لتخوفه من ظلم الحافز الكذا مُسلم ، فأخذها منه وخبأها تحت
ثيابه ، ووَكَّل به . ولم يذهب المسكين الا يسيراً . حتى سأل عن الرجل ،

(١) هكذا ورد في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الخلل) وهو تحريف . والتَّنَمَلِي نسبة إلى بلدة تنمّل . وهي بلدة صغيرة تقع فوق سح جبال الأطلس ، في جنوب غرب مراکش ، ومنها كان هُوَ من المهديّ أبي تومرت ، ومبعث دولة الموحدين .

فَأُخْبِرَ أَنَّهُ الَّذِي فُرِّ عَنْهُ . فَسُقِطَ فِي يَدِهِ . ثُمَّ تَحَامَلُ فَأَلْفَاهُ يَنْظُرُهُ فِي دَاخِلِ السُّورِ ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ أَمَانَتَهُ ، وَقَالَ سِرَّ فِي حِفْظِ اللَّهِ ، فَقَدْ عَصَمَهَا اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ الرَّجُلِ الظَّالِمِ ، فَخَجَلَ الرَّجُلُ ، وَانْصَرَفَ مَتَعَجِّبًا . وَأَخْبَارُهُ فِي السَّرَاوَةِ . وَنَجَحَ الْوَسِيلَةُ . كَثِيرَةٌ .

وفاته

تَوَفَّى فِي عَامِ ثَمَانِيَةِ وَتِسْعِينَ وَسِتَّمِائَةٍ ، وَشَهِدَ أَمِيرُهُ دَفْنَهُ . وَكَانَ قَدْ أَسَفَ وَلِيَ الْعَهْدَ بِأُمُورِ صَانِعِهِ فِيهَا مِنْ بَابِ خِدْمَةِ وَالِدِهِ . فَكَانَ يَتَلَمَّظُ لِنَكْبَتِهِ ، وَنَصَبَ لثَاتِهِ لِأَكْلِهِ . فَعَاجَلَهُ الْحِمَامُ قَبْلَ إِيقَاعِ نَقْمَتِهِ بِهِ . وَلَمَّا تَصَيَّرَ إِلَيْهِ الْأَمْرُ ، نَبَشَ قَبْرَهُ ، وَأَخْرَجَ شِلْوَهُ ، فَأُحْرِقَ بِالنَّارِ ، إِغْرَاقًا فِي شَهْوَةِ التَّشْفِي رَحْمَةً اللَّهُ عَلَيْهِ ^(١) .

ومن العمال الأثراء

مؤمل ، مولى باديس بن حبّوس

حاله ومحنته

قَالَ ابْنُ الصَّيْرِ فِي . وَقَدْ ذَكَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُلْقَيْنٍ حَفِيدَ بَادِيسَ . وَاسْتَشَارَتَهُ عَنْ أَمْرِهِ . لَمَّا بَلَغَهُ حَرَكَةُ يَوْسُفَ بْنِ تَاشُفَيْنَ إِلَى خَلْعِهِ . وَكَانَ فِي الْجُمْلَةِ مِنْ أَحْبَابِهِ . رَجُلٌ مِنْ عِيْنِ جَدِّهِ اسْمُهُ مُؤْمَلٌ . وَلَهُ سِنٌ . وَعِنْدَهُ دِهَاءٌ وَفِطْنَةٌ . وَرَأْيٌ وَنَظَرٌ . وَفَالٌ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ . وَلَمْ يَكُنْ فِي وَزَرَاءِ

(١) وَرِدَتْ هَذِهِ التَّرْجُمةُ فِي هَامِشِ اللَّوْحَةِ 198 مِنْ مَخْطُوطِ الْإِسْكُودِيَّالِ . وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمَوْضِعَ كَمَا قَدْ نَسَبَهَا ، وَهِيَ وَارِدَةٌ فِي مَكَانِهَا بِمَخْطُوطِ الزَيْتُونَةِ بِاللَّوْحَةِ 84 مِنْ الْجُزْءِ الثَّانِي .

مملكته وأخبار^(١) دولته ، أصيلَ الرأي ، جَزَلَ الكلمة ، الا ابن أبي خَيْثَمَةَ من كَتَبَتِه ، ومؤمِّل من عبِيد جَدِّه ، وجعفر من فِتْيَانِه . رجِع . قال ، فَأَلْطَفَ لَهُ مؤمِّل في القول ، وأَعْلَمَه بِرِفْقٍ ، وحُسْنِ أدبٍ ، أَنَّ ذلك غَسِرُ صوابٍ ، وأشار إليه بالخروج إلى أمير المسلمين إذا قَرُبَ ، والتَّطَارُحُ عليه ، فإنه لا تُمْكِنُه مُدافعتُه ، ولا تُطَاقُ حَرْبُه ، والاستِجداءُ^(٢) له . أحمدُ عاقبة وأَيْمَنُ مَغَبَّةٍ . وتابعه على ذلك نُظَرَاؤُه ، من أَهْلِ السِّنِّ والحُنْكَ ودافع في صِدِّ رَأْيِه الغِلْمَةُ والأَعْمَارُ ، فاستشاط غِيظاً على مؤمِّل [ومن نَحَا نَحْوَه]^(٣) ، وهمَّ بِهِمْ ، فخرجوا ، وقد سَلَّ بِهِمْ فَرَقاً مِنْهُ . فلما جَنَّهُم الليلُ فَرَّوْا إلى لَوْشَةٍ ، وبها مِنْ أَبْنَاءِ عَبِيدِ باديس قايِدُهَا ، فملكوها وثاروا فيها ، بدعوة أمير المسلمين يوسُف بن تاشُف . وبادر مؤمِّل [بالخطاب إلى أمير المسلمين المذكور]^(٤) وقد كان سَفَرَ إليه عن سلطانه ، فأعْجَبَه عقلاً ونُبْلاً ، فاهْتَزَّ إِلَيْهِ ، وكان أقوى الأسباب على حَرَكَتِه . وبادر حفيد باديس الأمر ، فأشْخَصَ الجيشَ لنظر صِهْرِه ، فتَغَلَّبَ عَلَيْهِمْ ، وسَبَقَ مؤمِّل ومن كان معه شَرَّ سَوْقٍ في الحديد ، وأَرْكَبُوا على دوابٍ هِجَنَ ، وكُشِفَتْ رُؤُوسُهُمْ ، وأُزْدِفَ وراءَ كُلِّ رَجُلٍ من يَضْفَعُهُ . وتقدَّم الأمرُ في نَضْبِ الجُدُوعِ وإحضار الرِّمَةِ . وتَلَطَّفَ جعفر في أمرهم . وقال للأمير عبد الله : إن قَتَلْتَهُم الآن ، أَطْفَأْتَ غَضَبِيكَ ، وأَذْهَبْتَ مُلْكَكَ . فاستخرج المال : وَأَنْتَ مِنْ وَرَاءِ الْإِنْتِقَامِ ، فَثَقَّفْهُمْ ، وَأَطْمِعُوا فِي أَنْفُسِهِمْ رِيثاً شَغْلَه الأمرُ ،

(١) وردت في الإسكوريال (أحبا) . والتصويب من الزيتونة .

(٢) هكذا وردت في الزيتونة . ووردت في الإسكوريال (الاستجداء) وهو تحريف .

(٣) هذه الزيادة من الزيتونة .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في الزيتونة . وورد مكانها في الإسكوريال (بخطاب

يوسف المذكور) . والأولى أنسب للسياق .

« أَنْفَذَ إِلَيْهِ يُوسُفُ بْنُ تَاشَفِينَ فِي حُلٍّ اعْتَقَالَهُمْ ، فَلَمْ تَسَعُهُ مَخَالَفَتُهُ وَأُطْلِقَهُمْ . وَلَمَّا مَلَكَ غَرْنَاطَةَ عَلَى تَفْثِيئَةِ تِلْكَ الْحَالِ ، قَدَّمَ مُؤَمَّلًا عَلَى مُسْتَخْلَصِهِ ^(١) وَجَعَلَ بِيَدِهِ مِفَاتِيحَ قَصْرِهِ ، فَنَالَ مَا شَاءَ مِنْ مَالٍ وَحُظُوءٍ ، وَاقْتَنَى مَا أَرَادَ مِنْ صَامِتٍ وَذَخِيرَةٍ . وَنُسِبَتْ إِلَيْهِ بِغَرْنَاطَةَ آثَارٌ ، مِنْهَا السَّقَايَةُ بِبَابِ الْفَخَّارِينَ وَالْحَوْزُ الْمَعْرُوفُ بِحَوْزِ مُؤَمَّلٍ ^(٢) ، أَدْرَكَتْهَا وَهِيَ بِحَالِهَا .

وفاته

قال ابن الصَّيرَفِي ، وَفِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذَا الْعَامِ ، وَهُوَ عَامُ اثْنَيْنِ وَتَسْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، تَوَفَّى بِغَرْنَاطَةَ مُؤَمَّلٌ مَوْلَى بَادِيَسِ بْنِ حَبُوسٍ ، عَبْدُ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ ، وَجَانِبِي مُسْتَخْلَصِهِ [وَكَانَ لَهُ دِهَاءٌ وَصَبْرٌ] ^(٣) ، وَلَمْ يَكُنْ بِقَارِيءٍ وَلَا كَاتِبٍ . رَزَقَهُ اللَّهُ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ ، أَيَّامَ حَيَاتِهِ ، مَنْزِلَةً لَطِيفَةً وَدَرَجَةً رَفِيعَةً . وَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى الْمَنِيَّةِ ، أَحْضَرَ مَا كَانَ عِنْدَهُ مِنْ مَالِ الْمُسْتَخْلَصِ ، وَأَشْهَدَ الْحَاضِرِينَ عَلَى دَفْعِهِ إِلَى مَنْ اسْتَوْثَقَهُ عَلَى حَمْلِهِ . ثُمَّ أَبْرَأَ جَمِيعَ عَمَالِهِ وَكُتَّابِهِ . وَأَنْفَذَ رِجَالًا مِنْ صَنَائِعِهِ إِلَى أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ بِجُمْلَةٍ مِنْ مَالِ نَفْسِهِ ، يَرِيهِ أَنَّ ذَلِكَ جَمِيعُ مَا اكْتَسَبَهُ فِي دَوْلَتِهِ ، أَيَّامَ خِدْمَتِهِ ، وَأَنَّ بَيْتَ الْمَالِ أَوْلَى بِهِ ، وَرَغِبَ فِي سَتْرِ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ ، أَظْهَرَ الْأَسْفَ عَلَيْهِ ، وَأَمْضَى تَقْدِيمَ صَنِيعَتِهِ . ثُمَّ ذَكَرَ مَا كَشَفَ الْبَحْثُ عَنْهُ مِنْ مُحْتَجَجِهِ ، وَشَقَاءِ مَنْ خَلَفَهُ بِسَبَبِهِ ، وَعَدَّدَ مَا لَا وَذَخِيرَةٍ .

(١) المستخلص هنا يقصد بها الأملاك والأموال الأميرية .

(٢) حوز مؤمل أو رجة مؤمل ، اسم مكان بغرناطة الإسلامية كان يقع في جنوب غربي الحمراء ويشتهر برياضه ومنتزهاته . وقد سبق التعريف به (راجع المجلد الأول من الإحاطة ص ٤١ ؛ حاشية) .

(٣) هذه العبارة واردة في الزيتونة . ومكانها بياض بالإسكوريال .

حرف النون

الملوك والأمراء

نصر بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر بن أحمد بن

محمد بن خميس بن عقيل الخزرجي الأنصاري

أمير المسلمين بالأندلس ، بعد أبيه وجده وأخيه . يُكنى أبا الجيوش
وقد تقدم من أولية هؤلاء الملوك ما يُغني عن الإعادة .

حاله

من كتاب « طرفة العصر في أخبار الملوك من بني نصر » ^(١) من تصنيفنا .
قال . كان فتي ملاً العيون حسناً وتمام صورة ، دُمِث الأخلاق . ليين العريكة ،
عفيفاً ، مَجْبُولاً على طلب الهدنة وحب الخير . مُعْمَد السيف ، قليل الشر ،
نافراً للبطر وإراقة الدماء ، مُحِباً في العلم وأدله . آخذاً من صناعة التعديل
بحظٍّ رَغِيب . يَخُطُّ التقاويم الصَّحِيحَةَ ، ويصنع الآلات الطَّرِيفَةَ بيده ،
اختصَّ في ذلك الشيخ الإمام أبا عبد الله بن الرِّقَام . وحيد عصره . فجاء
واحد دهره ظُرفاً وإحكاماً . وكان حَسَنَ العهد . كثير الوفاء . حَمَلَهُ الوفاء
على اللُّجَاج في وزيره المطلوب بِعَزْلِهِ . على الاستهداف للخلع .

تقدَّم يوم خلع أخيه ، وهو يوم عيد الفطر من عام ثمانية وسبعماية .
وسنه ثلاث وعشرون سنة . فكان من تمام الخلق ، وجمال الصورة ، والتأنق
في ملوكي اللباس ، آية من آيات الله خالقه . واقتدى برسوم أبيه وأخيه ،
وأَجْرَى الألقاب والعوايد لأول دولته وكانت أيامه كما شاء الله ، أيام

(١) قمنا بالتعريف بهذا الكتاب . هــن مؤلفات ابن الخطيب ، في مقدمة المجلد الأول من

« الإحاطة » (ص ٥٨) .

نَحْنُ مستمر . شملت المسلمين فيها الأزمة ، وأحاط بهم الدُّعْر ، وَكَلِبَ العدو . وسيمر من ذلك ما فيه كفاية . وكان فتىً أَيْ فتىً ، لو ساعده الجَدُّ . والأمر لله من قبل ومن بعد .

وزراء دولته

وَزَرَ له مُقِيم أمره ومُحْكَم التدبير على أخيه ، أبو بكر عتيق بن محمد ابن المول . وبيت بنى مَوْل بقرطبة ، بيتٌ له ذكر وأصالة . ولما تَغَلَّب عليها ابن هود ، اختفى بها أبوه أياما عدة . ولما تملكها السلطان الغالب بالله تلك البُرْهة . خرج إليه وصحبه إلى غرناطة ، فاتصلت قرباه بعَقْدِهِ على بِنْتٍ للرئيس أبي جعفر المعروف بالعُجَاب ابن عم السلطان . واشتد عَضْدُهُ . ثم تَأَكَّدَت القرْبى بعقد مَوْل أخى هذا الوزير على بِنْتِ الرئيس أبي الوليد أخت الرئيس أبي سعيد . مُنْجِب هؤلاء الملوك الكرام ، فقام بأمره ، واضطلع بأعباء سلطانه ، إلى أن كان من تَغَلَّب أهل الدولة عليه ، وإخافة سلطانه منه ، ما أوجب صرفه إلى المغرب في غَرَضِ الرسالة ، وأشير عليه في طريقه بإقامته بالمغرب . فكان صَرْفًا حسنًا . وتولى الوزارة محمد بن علي بن عبد الله بن الحاج ، المُسَيَّر لخلْعِهِ ، واجتثاث أصله وفرْعِهِ ، وكان خبيثًا داهية ، أعلم الناس بأخبار الروم وسيرهم وآثارهم . فحدثت بين السلطان وبين أهل حَضْرَتِهِ الوَخْشة بسببه .

قضياته

أقر على خطة القضاء بحضرته قاضى أخيه الشيخ الفقيه أبا جعفر القرشنى الحَنْبِزى بابن فركون ، وقد تقدم التعريف به مستوفى بحول الله^(١)

(١) وردت ترجمة ابن فركون المَشِير إليه ، في المجاهد الأول من الإحاطة (١٥٣ - ١٥٧)

كتابه

شيخنا الصدر الروجيه ، نسيج وحده أبو الحسن علي بن محمد بن سليمان بن الجيّاب إلى آخر مدته،

من كان على عهده من الملوك

بالمغرب : السلطان أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن أبي يعقوب يوسف بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق ، تصير الأمر إليه بعد وفاة أخيه السلطان أبي ثابت عامر بأحواز طنجة ، في صفر عام ثمانية وسبع مائة ، وكان مشكوراً ، مُبخت الولاية . وفي دولته عادت سبتة إلى الإيالة المرينية ، ثم توفي بتازي^(١) في مستهل رجب من عام عشرة وسبعماية . وتولى الملك بعده عم أبيه السلطان الجليل الكبير ، خذن العافية ، وولى السلامة ، ومهد الدولة أبو سعيد عثمان بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق . واستمرت ولايته إلى تمام أيام هذا الأمير ، وكثيراً من أيام من بعده . وقد تقدم من ذكر السلطان أبي يوسف في اسم من تقدم من الملوك ما فيه كفاية .

وبتلمسان ، الأمير أبو حمّو موسى بن عثمان بن يغمراسن ، سلطان بني عبد الواد^(٢) ، مدلل الصقع ، والمثل السائر في الحزم والتيقظ ، وصلابة الوجه ، زعموا ، وإحكام القiche ، والإغراب في خبث السيرة . واستمرت ولايته إلى عام ثمانية عشر وسبعماية ، إلى أن سطا به ولده ، عبد الرحمن أبو تاشفين .

وبتونس ، الأمير الخليفة أبو عبد الله محمد بن الواثق يحيى بن

(١) تازي أو تازة أو تازا بلدة مغربية تقع شرق مدينة فاس ، وجنوبي ثغر المزمة .

(٢) وردت في المخطوطين (عبد الوادى) والأصح ما أثبتناه

المستنصر محمد بن الأمير أبي زكريا بن أبي حفص . ثم توفى في ربيع الآخر عام تسع وسبع مائة . فولى الأمر قريبه الأمير أبو بكر بن عبد الرحمن ابن الأمير أبي زكريا ابن الأمير أبي إسحق بن الأمير أبي زكريا بن عبد الواحد بن أبي حفص . ونهض إليه من بجاية قريبه السلطان أبو البقاء خالد ابن الأمير أبي زكريا ابن الأمير أبي إسحق ابن الأمير أبي زكريا بن عبد الواحد بن أبي حفص ، فالتقيا بأرض تونس ، فهزم أبو بكر ، ونجا بنفسه ، فدخل بستانا لبعض أهل الخدمة ، مختفياً فيه ، فسعى به إلى أبي البقاء ، فجيء به إليه ، فأمر بعض القرابة بقتله صبراً ، نفعه الله . وتم الأمر لأبي البقاء في رابع جمادى الأولى منه ، إلى أن وفد الشيخ المعظم أبو يحيى زكريا الشهير باللحياني ، قافلاً من بلاد المشرق ، وهو كبير آل أبي حفص نسباً وقدرراً ، فأقام بإطرابلس ، وأنقذ إلى تونس خاصته ، الشيخ الفقيه أبا عبد الله المرزوري ^(١) محارباً لأبي البقاء ، وطالبا للأمر . فتم الأمر ، وخلع أبو البقاء تاسع جمادى الأولى عام أحد عشر وسبعماية . وتم الأمر للشيخ أبي يحيى ، واعتقل أبو البقاء ، فلم يزل معتقلاً إلى أن توفى في شوال عام ثلاثة عشر وسبعماية ، ودفن بالجبانة المعروفة لهم بالزللاج ، فضرريحه فيما تعرفنا بإزاء ضريح قتيله المظلوم أبي بكر . لا فاصل بينهما . وعند الله تجتمع الخصوم .

وأتصلت أيام الأمير أبي يحيى ، إلى أن انتقضت مدة الأمير أبي الجيوش . وقد تضمن الإمام بذلك الرجز المسمى بقطع السلطنة ^(٢) من

(١) حكاه ورد اسم هذا الفقيه في الإلكوريال وهو اسم الصحيح . وفي الزيدية (٢) ما عبد الله السلطنة (وهو تحريف .

(٣) يعني ابن الخطيب هنا إلى كتابه (رقم الحلل في نظم الدرر) الذي سبقت الإشارة إليه .

نظمي . فمن ذلك فيما يختص بملوك المغرب قولي في ذكر السلطان أبي يعقوب :

ثم تقضى معظم الزمان	مواصلاً حُضر بنى زِيَّان
حتى [أبى] ^(١) أهل تلمسان الفَرَج	ونَشَقُّوا من جانب اللُّطْف الأَرَج
لما ترقى دَرَج السَّعْد دَرَج	فانفضَّ ضيق الحصر عنها وانفَرَج
وابن ابنه وهو المسمى عامراً	أصبح بعدُ ناهياً وأمراً
وكان ليثماً دأى المَخَالِب	تغلَّب الأمر بجِدِّ غالب
أباح بالسَّيْف نفوساً عِدَّة	فلم تَطُل في المُلْك منه المُدَّة
ومات حَتَف أنفه واختَرما	ثم سليمان عليها قُدِّما
أبو الربيع دهره ربيعُ	يُثْنِي على سِيرته الجميع
حتى إذا المُلْك سليمان قضى	تصير الملك لعُثْمَن الرُّضا
فلاح نور السَّعْد فيها وأضأ	وسى العهد الذى كان مضأ

وفما يختص بينى زِيَّان ، بعد ذكر أبى زِيَّان :

حتى إذا استوفى زمان سَعْدِه	قام أبو حمّو بها من بعده
وهو الذى سَطَا عليه ولَدُه	حتى انتهى على يَدَيْسِه أَمْدُه

وفما يختص بآل أبى حنمّص بعد ذكر جملة منهم :

ثم الشهيد الأمير خالد	هيهات ما فى الدهر حى خالد
وزكريّا بها بعدُ ثَمُوا	ثم نسوا الرّحالة عنها والتّوا
رحل بالشرق وبالشرق ثَمُوا	وربما فاز امرؤ بما نَمُوا

ومن ملوك النصارى بقشتاله : هرانده بن شانجه بن ألنشيه بن هرانده بن

(١) ناقصة فى الإسكوريال وواردة فى الزيتونة واللحمة البدرية

شأنه^(١) . ونازل على عهده الجزيرة الخضراء ، ثم أفلح عنها عن ضريبة وشروط ، ثم نازل في أخريات أمره حصن القبذاق^(٢) ، وأدركه ألم الموت بظاهره ، فاحتل من المحلة إلى جيان ، وبقيت المحلة منيخة على الحصن ، إلى أن تملك بعد موت الطاغية بأيام ثلاثة ، كتموا فيها موته . ولسبب هلاكه حكاية ظريفة ، تضمنتها « طرفة العصر في تاريخ دولة بني نصر » . وقام بعده بأمر النصرانية ولده ألنش^(٣) ، واستمرت أيامه إلى عام خمسين وسبعماية .

بعض الأحداث في أيامه

نازل على أول أمره طاغية قشتالة . الجزيرة الخضراء في العام العشرين من عام تسعة وسبعماية ، وأقام عليها إلى أخريات شعبان من العام المذكور ، وأفلح عنها بعد ظهوره على الجبل^(٤) وفوز قداحه^(٥) به . ونازل صاحب برجلونة مدينة ألمرية غرة ربيع الأول من هذا العام ، وأخذ بمحنةها ، وتفرقت الطبعا على الخراش ، ووقعت على جيش المسلمين الناهد إليه وقية كبيرة ، واستمرت المطاولة إلى أخريات شعبان ، ونفس الله الحضر ، وفرج الكرب . وما كاد أهل الأندلس يستنشقون ريح العافية ،

(١) هرانده أى فرناندو ، وشأنجه أى سانشو ، وألنش أى ألفونسو ، وهو الملك فرناندو الرابع ابن سانشو الباسل الذى تولى عرش قشتالة سنة ١٢٩٦ م (٦٩٦ هـ) ، تحت وصاية أمه ماريادى مولينا ، وتوفى سنة ١٣١٢ م .

(٢) القبذاق ، وبالإسبانية Alcaudere ، بلدة حصينة تقع جنوب غرب جيان على مقربة من شمال غرب قلعة يحصب .

(٣) ألنش أى ألفونسو ، وهو هنا ألفونسو الحادى عشر ، وقد حكم قشتالة من سنة ١٣١٢ إلى سنة ١٣٥٠ م (٧٥١ هـ) .

(٤) يقصد به هنا جبل الفتح أو جبل طارق .

(٥) أى من حظه وحسن طالع .

حتى [نشأ نجم الفتنة]^(١) . ونشأت ريحُ الخلاف ، واستفسد وزير الدولة ضمائر أهلها ، واستهدف إلى رعيّتها بإيثار النصارى والصاغية^(٢) إلى العدو ، وأظهر الرئيس ابن عم الأب صاحب مألقة أبو سعيد فرج ابن اسماعيل ، صينو الغالب بالله ابن نصر ، الامتسالك بما كان بيده ، والدعاء لنفسه ، وقدم ولده الدّايل إلى طلب الملك . وثار أهل غرناطة ، يوم الخامس والعشرين لرمضان من العام ، وأعلن منهم من أعلن بالخلاف ثم خانهم التدبير ، وخبَطُوا العشواء ، ونزل الحشَم ، فلاذ الناس منهم بديارهم ، وبرَز السلطان إلى باب القلعة ، متقدماً بالعِفَّة عن الناس ، وفرَّ الحاسرون عن القيناع ، فلحقوا بالسلطان أبي الوليد بمألقة ، فاستنهضوه إلى الحركة ، وقصد الحَضرة ، فأجابهم وتحرك ، فأطاعته الحصون بطريقه ، واحتل خارج غرناطة صبيحة يوم الخميس السابع والعشرين لشوال منه ، فابتدره الناس من صايح ومُشير بثوبه ، ومُتطارح بنفسه . فدخل البلد من ناحية رَبَض البيازين ، واستقر بالقَصبة ، كما تقدم في اسمه . وفي ظهر يوم السبت التاسع والعشرين من الشهر ، نزل الحمراء دار الملك ، وانفصل السلطان المُترجم به ، موفى له شرط عقده من انتقاله إلى وادى آش ، مستبدًا بها ، وتعيين مالٍ مخصص ، وغير ذلك . ورَحَلَ ليلة الثلاثاء الثالث لذي قعدة من العام . واستمرت الحال ، بين حرب ومُهادنة ، وجَرَتْ بسبب ذلك أمور صَعْبَةٌ إلى حين وفاته . رحمه الله .

مسولده

وُلِدَ في رمضان عام ستة وثمانين رست مائة . وكانت سنه ستاً وثلاثين

(١) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة . وفي الملحّة البدرية (نجم نهاب الفتنة)

(٢) هكذا وردت في الملحّة البدرية وفي المخطوطين (الغانية) والاولى أنسب للسياق

والصاغية معناها هنا الخاصة والأنصار

سنة وثلاثة أشهر، ودولته الجامعة خمس سنين وشهراً واحداً ، ومُقامه
بوادى آش تسعة أعوام وثلاثة أيام .

وفاته

توفى رحمه الله ، ليلة الأربعاء سادس ذى قعدة من عام اثنين وعشرين
وسبعمائة بوادى آش ، ودفن بجامع القصبة منها ، ثم نقل فى أوائل
ذى الحجة منه إلى الحضرة ، فكان وصوله يوم الخميس السادس منه ،
وبرز إليه السلطان ، والجمع الكثير من الناس ، ووُضع سريره بالمصلى
العيسى ، وصُلى عليه إثر صلاة العصر ، ودفن بمقبرة سلفه بالسبيكة ،
وكان يوماً من الأيام المشهودة ، وعلى قبره مكتوب فى الرُخام :

« هذا قبر السلطان المُرَقَّع^(١) المقدار ، الكريم البيت ، العظيم النجار
سلالة الملوك الأعلام الأخيار ، الصريح النسب فى صميم الأنصار ، الملك
الأوحد ، الذى له السلف العالى المنار ، فى الملك المنيع الدمار ، رابع ملوك
بنى نصر ، أنصار دين المصطفى المختار ، المجاهدين فى سبيل الملك الغفار ،
الباذلين فى رضاه كرايم الأموال ، ونفايس الأعمار . المعظم المقدس المرحوم ،
أبى الجيوش نصر ابن السلطان الأعلى الهمام الأسمى ، المجاهد الأحمى ،
الملك العادل ، الطاهر الشمايل ، ناصر دين الإسلام ، ومُبيد عبدة الأصنام ،
المؤيد المنصور ، المقدس ، المرحوم أمير المسلمين أبى عبد الله بن السلطان
الجليل . الملك الشهير ، مؤسس قواعد الملك على التقوى والرضوان ،
وحافظ كلمة الإسلام ، وناصر دين الإيمان ، الغالب بالله . المنصور بفضل
الله ، المقدس المرحوم ، أمير المسلمين أبى عبد الله بن نصر ، تغمدّه الله
برحمته وغفرانه ، وبوآه منازل إحسانه . وكتبه فى أهل رضوانه . وكان

(١) هكذا وردت فى المخطوطين ، وفى اللوحة البدرية (الرفيع) .

مولده في يوم الاثنين الرابع والعشرين لشهر رمضان المعظم عام ستة وثمانين
وستمائة . وبويع يوم الجمعة غرة شوال عام ثمانية وسبعماية . وتوفي رحمه الله
ليلة يوم الأربعاء السادس لشهر ذي قعدة عام اثنين وعشرين وسبعماية فسبحان.
المَلِكُ الحقُّ المبين ، وارث الأرض ومن عليها ، وهو خير الوارثين . وفي جهة :

يا قبر جاد ثراك صوب غمام	يَهْمِي عليك برحمة وسلام
بُورِكتَ لَحْداً فيه أَى ودِعة	ملك كريم من نجار كرام
ماشيت من حلم ومن خلق رضى ^(١)	وزكاء أعراق ومجد سام
فاسعد بنصر رابع الأملاك من	أبناء نصر ناصري الإسلام
من خَزَرَج الفخر الذين مقامهم	في نصر خير الخلق خير مقام
يا أيها المولى المؤسس بيتسه	في معدن الأحساب والأحلام
ماللمنية والشباب مساعد	قد أقصدتك بصائبات سهام
عجلت على ذلك الجمال [فغادرت] ^(٢)	ربيع المحاسن طامس الأعلام
فمحي الردى من حُسن وجهك آية	نحو النهار لسدقة الإظلام
ما كنت إلا بذر تيم باهراً	أخنى الخسوف عليك عند تمام
فعلي ضريح أبي الجيوش تحية	كالمسك عرفاً عند فض ختام
وتغمسده رحمة الله التي	ترضيه من عدن بدار مُتّام

ومن الأعيان والوزراء

نصر بن إبراهيم بن أبي الفتح الفهرى

يكنى أبا الفتح . أصلهم من حصن أريول من عمل مرسية . ولهم في

(١) هكذا وردت في الزيتونة واللحة البدرية . وفي الإسكوريال (رضا) .

(٢) هذه الكلمة ساقطة في الإسكوريال والزيتونة ، وواردة في اللحة البدرية .

الدولة النصرية مزينة خُصوا لها بأعظم رُتب القيادة ، واستعمل بعضهم في ولاية السلطان .

حاله

تقلت من خط شيخنا أبي بكر بن شبرين ، قال ، وفي السادس عشر لذي قعدة منه ، يعنى عام عشرة وسبعماية ، توفي بغرناطة القايد المبارك ، أبو الفتح ، أحد الولاة والأعيان الذاكرين لله تعالى ، أولى النزاهة والوفاء .

نصر بن إبراهيم بن أبي الفتح بن نصر بن إبراهيم بن نصر الفهرى

يكنى أبا الفتح ، حفيد المذكور [معه في هذا الباب] ^(١) .

حاله

من كتاب «طرفة العصر» : نسيجٌ وحده في الخير والعفاف ، ولين العريكة ، ودمائة الأخلاق ^(٢) ، إلى بُعد الهمة ، وجمال الأبهة ، وضخامة التجنُّد ، واستجادة المَرَكِب والعُدَّة ، وارتباط العبادة . استعان على ذلك بالنعمة العريضة بين مُنادية ^(٣) إليه بميراث . ومُكتَسَبٍ من جرّاء المُتغَلَّب على الدولة صِهْرِهِ ابن المحروق معيشة لُبْنَتِهِ . ونَمَت حال هذا الشهم النّجد ، وشَمَخَت رُتَبَتُهُ حَتَّى خُطِبَ للوزارة في أخريات أيامه ، وعاق عن تمام المراد به . إلحاح السَّقَم على بدنه ، وملازمة الضَّنا لجُثمانه ، فمضى لسبيله ، عزيز الفَقْد عند الخاصَّة ، ذائع الثَّنَا . نَقَى العِرْض : صدرأ في الولاية . وعَلَمًا في القُواد الحُماة .

(١) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . وفي الزيتونة مكانها كلمة (قبله) .

(٢) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (الأخلاق) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (متاوية) .

وفاته

توفي بغرناطة ليلة الجمعة الثامن والعشرين لجمادى الآخرة عام خمسة وأربعين وسبعماية . وكانت جنازته آخذةً نهاية الاحتفال ، ركب إليها السلطان ، ووقف بإزاء لحده ، إلى أن وُورى ، تنوياً بقدره ، واشادة ببقاء الحرمة على خلفه . وحمل سريرته الجملة من فرسانه وأبناء نعمته .

ومن الكتاب والشعراء

نزهون بنت القليمي^(١)

قال ابن الأثير ، وهو فيها أَحْسَبُ أبو بكر محمد بن أحمد بن خلف ابن عبد الملك بن غالب الغساني ، غرناطية .

حالتها

كانت أديبة شاعرة ، سريعة الجواب ، صاحبة فكاهة ودُعابة . وقد جَرَى شيء من ذلك في اسم أبي بكر بن قُزْمان ، والمخزومي الأعمى . وأبي بكر بن سعيد^(٢) .

شعرها

دخل الأديب أبو بكر الكُندى الشاعر ، وهي تقرأ على المخزومي الأعمى ، فلما نظر إليها ، قال أجز يا أستاذ :
« لو كنت تُبصر من تكلّمه »^(٣) . فأفحَمَ المخزومي زامِعاً ، فقالت :

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزبونة (القليمي) وذكروها ابن الخطيب من قبل (نزهون بنت القلاعي) (المجلد الأول ص ٤٢٥)
(٢) راجع المجلد الأول من الإحاطة (ص ٤٢٥ - ٤٢٧) ، والمجلد الثاني (ص ٥٠٤ - ٥٠٥) .
(٣) هكذا وردت في الإسكوريال وفي النسخ (تجالسه)

« لَعَدَوْتَ أَخْرَسَ مِنْ خَلَاخِلِهِ » ثم زادت :
إليه البدرُ يطلعُ من أَرْزَتِهِ والغُصنُ يَمْرَحُ في غَلَايلِهِ
ولاخفاءً ببراءة هذه الإجازة ، ورفاعة هذا الأدب .
وكتب إليها أبو بكر بن سعيد ، وقد بلغه أنها تُخالط غيره من
الأدباء الأعيان :

يا من له ألف خل^(١) من عاشق وعشيق
أراك خلّيت للنّسا من سدّ ذاك الطريق
فأجابته بقولها :
حلّلت أبا بكر محلاً منعتَه سواك وهل غير الرفيع^(٢) له صدري
وإن كان لي كم من حبيب فإنما^(٣) يقدم أهل الحق فضل^(٤) أبي بكر
وهذه غاية في الحُسن بعيدة . ومحاسنها شهيرة ، وكانت من غرر
المفاخر الغرناطية .

حرف الصاد

من الأعيان والوزراء

الصّميل بن حاتم بن عمر بن جذع بن شمر [بن]

ذى الجوشن^(٥) الضّبّاني الكلبى

وهو من أشراف عَرَب الكوفة .

-
- (١) هكذا وردت في النسخ وفي الإسكوريال (شخص)
(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (الحبيب) .
(٣) هكذا وردت هذه الشطر في النسخ . وفي الإسكوريال (وإن كان حلاً لى كثير فإنما) .
(٤) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي النسخ (حب) .
(٥) وردت في الإسكوريال والزيتونة (ذى الجيوش) وهو تحريف

أُولَيْتِهِ

قال صاحب الكتاب « الخزائني » ^(١) جدّه أحد قتلته الحسين بن علي ،
والذي قدّم برأسه على يزيد بن معاوية . فلما قام المختار ثائراً بالحسين ،
فرّ عنه شمر ، ولحق بالشام فأقام بها ^(٢) في عزٍّ ومنعة . ولما خرج كلثوم بن
عياض غازياً إلى المغرب ، كان الصّميل ممن ضرب عليه البعث في أشرف
أهل الشام . ودخل الأندلس في طليعة بلج بن بشر القشيري ^(٣) ، فشرّف
ببذنيه إلى شرفٍ تقدّم له . وردّ ابن حيّان هذا ، وقال في كتاب « بهجة
الأنفس ، ورؤضة الأنس » ، كان الصّميل بن حاتم هذا جدّه شمر قاتل
الحسين رضي الله عنه ، من أهل الكوفة ، فلما قتله ، تمكّن منه المختار ^(٤)
بقتله ، وهدم داره ، فارتحل ولده من الكوفة ، فرأس بالأندلس ، وفاق
[أقرانه] ^(٥) بالنجدة والسّخاء .

حاله

قال ، كان شجاعاً ، نجّداً ، جواداً ، كريماً ، إلا إنه كان رجلاً أمياً
لا يقرأ ولا يكتب ، وكان له في قلب الدول ، وتدبير الحروب ، أخبار
مشهورة .

(١) هكذا وردت في الإسكوريال وفي الزيتونة (الخزاذ)

(٢) واردة في الزيتونة وساقطة في الإسكوريال

(٣) واردة في الزيتونة وساقطة في الإسكوريال

(٤) هو المختار بن أبي عبيد الثقفي . وقد خرج بالكوفة في سنة ٦٦ هـ مطالباً بشأ الحسين
ومن قتل من آل البيت . واستول على الكوفة ، وبايعه الناس على سنة كتاب الله ورسوله ، والمطالبة
بشأ الحسين وآل البيت ، وتجرّد المختار لمطاردة قتلة الحسين ، فقتل شمر بن ذي الجوشن ، و عمر
ابن سعد بن أبي وقاص ، وكل من اشترك في مأساة مقتل الحسين رضي الله عنه في كربلاء

(٥) واردة أيضاً في الزيتونة وساقطة في الإسكوريال

من أخباره . حكى ابن القوطية ، قال ، مرَّ الصَّمِيلُ بمعلم يتلو
« وتلك الأيام نداؤها بين الناس » : فوقف يسمع ، ونادى بالمعلم ، يا هناه
كذا نزلت هذه الآية ، فقال نعم ، فقال ، أرى^(١) والله أن سيُشركنا في
هذا الأمر ، العبيد والأراذل والسُّفلة .

خبره في الجود : قال ، كان أبو الأجرى الشاعر ، وقفاً على أمداح
الصَّمِيل ، وهو القايل :

بَنَى لَكَ حَاتِمٌ بَيْتاً رَفِيعاً رَأَيْنَاهُ عَلَى عُمْدٍ طَوَالِ
وَقَدْ كَانَ ابْتَنَى شِمْرٌ وَعَمْرُو بَيْتاً غَيْرَ ضَاحِيَةِ الظَّلَالِ
فَأَنْتَ ابْنُ الْأَكَارِمِ مِنْ مَعْدٍ تَعْتَلِجُ الْأَبَاطِحُ وَالرَّمَالِ
وَقَارَضَهُ بِإِجْزَالِهِ لِعَطَايِهِ ، وَانْتِمَائِهِ فِي ثَوَابِهِ ، بَأَنَ أَغْلَظَ الْقَسَمِ عَلَى
نَفْسِهِ ، بَأَنَ لَا يَرَاهُ ، إِلَّا أَعْطَاهُ مَا حَضَرَهُ ، فَكَانَ أَبُو الْأَجْرِي قَدْ اعْتَمَدَ
اجْتِنَابَهُ^(٢) فِي اللَّقَاءِ ، حِيَاءً مِنْهُ ، وَإِبْقَاءً عَلَى مَالِهِ ، فَكَانَ لَا يَزُورُهُ إِلَّا
فِي الْعِيدَيْنِ ، فَاضِئاً لِحَقِّهِ . وَقَدْ لَقِيَهُ يَوْمًا مُوَاجَهَةً بِبَعْضِ^(٣) الطَّرِيقِ ،
وَالصَّمِيلُ رَاكِبٌ ، وَمَعَهُ ابْنَاهُ فَلَمْ يَحْضُرْهُ مَا يُعْطِيهِ ، فَأَرْجَلَ أَحَدَ ابْنَيْهِ ،
وَأَعْطَاهُ دَابَّتَهُ . فَضَرَبَ فِي صُنْعِهِ . وَفِيهِ يَقُولُ مِنْ قَصِيدَةٍ :

دُونَ الصَّمِيلِ شَرِيعَةٌ مُزْرُودَةٌ لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا الْعَدُوُّ وَرُودَا
فُتَّ الْوَرَى وَجُمِعَتِ أَشْنَاتُ الْعَلَا وَخَوِيَتْ مَجْدًا لَا يُنَالُ وَجُودَا
فَإِذَا هَلَكْتَ فَلَا تَحْمِلَ فَارِسٌ سَيْفًا وَلَا حَمَلَ النِّسَاءِ وَلِيدَا
وَكَانَ صَاحِبَ أَمْرِهِ وَلَاءَهُ الْأَنْدَلُسَ قَبْلَ الْأَمْوِيِّينَ ، لَهُمُ الْأَسْمَاءُ . وَلَهُ
مَعْنَى الْإِمْرَةِ . وَكَانَ مُظَفَّرَ الْحُرُوبِ . سَدِيدَ الرَّأْيِ . شَهِيرَ الْمَوْقِفِ ، عَظِيمَ

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (يارب)

(٢) وردت هذه الكلمة في الزيتونة ، ومكانها بياض في الإسكوريال

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال وفي الزيتونة (في)

الصبر . وأوقع بالبيانة وقائع كثيرة ، منها وقعة شقنندة ، ولم يكن بالأندلس مثلها ، أثخن فيها القتل باليمانية .

أنفته

قال ، وكان أביاً للضم ، مُحاميا عن العشيرة ، كلّم أبا الخطار الأمير ، في رجل من قومه ، انتصر به ، فأفجمه ^(١) ، وردّ عليه ، فأمر به ، فتعّع ومالت عمامته . فلما خرج قال له بعض من على باب الأمير ، يا أبا الجوشن ما بال عمامتك مائلة ، فقال إن كان لي قومٌ فسَيُقيمونها ، وخرج من ليلته ، فأفسد ملّكه .

وفاؤه : وخبر وفائه مشهور ، فيما كان من جوابه لرَسُولِي عبد الرحمن ابن معاوية إليه ، بما قطع به رجاء الهوادة في أمر أميره ، يوسف بن عبد الرحمن الفهري ، والتستّر مع ذلك عليهما ^(٢) ، فليُنظر في كتاب «المقتبس» ^(٣) .

دخوله غرناطة

ولما صار الأمر إلى عبد الرحمن بن معاوية ، صقّر بني أمية ، وقهر الأمير يوسف الفهري ، ووزيره الصمّيل ، إذ عزّله الناس ، ورجع معه يوسف الفهري والصمّيل إلى قرطبة . ولم يلبثا أن نكثا ، ولحقا فحَص غرناطة ، ونازلهما الأمير عبد الرحمن بن معاوية في خبر طويل ، واستنزلهما عن عهد ، وعاد الجميع إلى قرطبة ، وكان يوسف والصمّيل يركبان إلى

(١) هكذا وردت في الزيتونة وفي الإسكوريال (فنجمه) والأول أرجح

(٢) هكذا في الإسكوريال وفي الزيتونة (عليها)

(٣) هو كتاب «المقتبس في أخبار أهل الأندلس» أو «المقتبس في تاريخ رجال الأندلس»

لأبي مروان بن حيان ، أعظم مؤرّخي الأندلس ، وأوثقهم رواية ، وأبرعهم نددا (٣٧٧-٦٩٠هـ) ؛

وقد سبق التعريف به (راجع المجلد الأول من الإحاطة ص ٩٢ حاشية)

القَصْر كل جُمعة إلى أن مضيا لسبيلهما . وكان عبد الرحمن بن معاوية
يُسْتَرَجَع . ويقول ما رأيته مثله رجلاً . لقد صَحِبَنِي من البيرة إلى قرطبة ،
فما سَتَ رُكْبَتِي رُكْبَتَهُ ، ولا خرجت دابَّته عن دابَّتِي .

ومن الكتاب والشعراء

صَفْوَان بن إدريس بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن

عيسى بن إدريس الشَّجَبِي

من أهل مُرْسِيَّة ، يُكنى أبا بجر .

حاله

كان أديباً ، حَسِيباً جليلاً ، أَصِيلاً ، مُمْتَعاً من الظَّرْف ، رِيَّان من
الأَدب ، حافظاً ، حسن الخطِّ ، سريع البديهة ، تَرِفَ النَّشَاة ، على تَصَاوُن
وعَفَاف ، جميلاً سَرِيّاً ، سَمَحاً ذكياً ، مليح العِشْرَة ، طَيِّب النفس ، مَمَّن
تساوى حظُّه في النظم والنثر ، على تبايُن الناس في ذلك .

مشيخته

روى عن أبيه وخاله ، ابن عم أبيه القاضي أبي القاسم بن إدريس ،
وأبي بكر بن مُغَاوِر ، وأبي الحسن بن القاسم ، وأبي رِجَال بن غَلْبُون ، وأبي
عبدالله بن حُمَيْد ، وأبي العباس بن مَضَاء ، وأبي القاسم بن حُبَيْش ، وأبي
محمد الحِجْرِي ، وابن حَوْط الله ، وأبي الوليد بن رُشْد . وأجاز له أبو القاسم
ابن بَشْكُوَال .

من روى عنه : أبو إسحق الياثُري . وأبو الربيع بن سالم ، وأبو عبد الله

ابن أبي البقاء . وأبو عمرو بن سالم ، ومحمد بن محمد بن عَيْشُون .

تواليافه

له توالياف أدبية منها . « زاد المسافر » ، وكتاب « الرحلة » ، وكتاب « العجالة » سفران يتضمنان من نظمه ونثره ، أدباً لا كفاء له . وانفرد من تأبين الحسين رضى الله عنه ، وبكاء أهل البيت بما ظهرت عليه بركته فى حكايات كثيرة .

شعره

ثبت من ذلك فى العجالة قوله :

جاء الزمان بآفة الجرعاء	توقان من دمعى وغيث سما
فالدَّمع يقضى عندها حق الهوى	والغيمُ حق البانة الغيناء
خلت الصدور من القلوب كما خلّت	تلك المقاصير من مهيّ وظباء
ولقد أقبل لصاحي وإنما	ذخر الصديق لأمجد الأشياء
يا صاحبي ولا أقل إذا أنا	ناديت من إن تصفيا لنداء
عوجا بحار الغيم فى سقى الجما	حتى ترى كيف انكأب الماء
ونسُنْ فى سقى المنازل سنة	نمضى بها حكماً على الطرفاء
يا منزلاً نشطت إليه عبرى	حتى تبسم زهره لبكاء
ما كنت قبل مزار ربك عالماً	أن المدامع أصدق الأنواء
ياليت شعرى والزمان تنقل	والدهر ناسخ شدة برخاء
هل نلتقى فى روضة موشية	خماقة الأغصان والأفيا
وننال فيها من تألّفنا ولو	ما فيه سُخمة ^(١) أعين الرقباء
فى حيث أتلت الغصون سوافها	قد قلدت بسلامى الأنداء

(١) وردت فى الإسكوريال (سخنة) والتصويب من الزيتونة

وَجَرَتْ ثَغُورُ الْيَاسْمِينِ فَقَبِّلْتُ
وَالْوَرْدَ فِي شَطْطِ الْخَلِيجِ كَأَنَّهُ
وَكَاَنَّ غَصْنَ الزُّهْرِ فِي خُضْرِ الرَّبِيِّ
وَكَاَنَّمَا جَاءَ النَّسِيمُ مَبَشُّرًا
فَكَسَاهُ خِلْعَةً طَيِّبَةً وَرَمَى لِسَّهُ
وَكَاَنَّمَا احْتَقَرَ الصَّنِيعَ فَبَادَرَتْ
وَالْغُصْنَ يَرْقِصُ فِي حُلَى أَوْرَاقِهِ
وَأَفْتَسَرَ ثَغُورَ الْأَقْحَسُوَانِ بِمَا رَأَى
أَفْدِيَهُ مِنْ أَنْسٍ تَصْرَمُ فَاَنْقَضَى
لَمْ يَبْقَ مِنْهُ غَيْرُ ذِكْرٍ أَوْ مَسْنَى
أَوْ رُقْعَةٍ مِنْ صَاحِبِ هَيْ تَحْفَظُهُ
كِبْطَاقَةِ الْوَسْمَى إِذْ حَيَّا بِهَا
وَهِيَ طَوِيلَةٌ . وَقَالَ مَرَايَا عَنْ كِتَابٍ أَيْضًا :

أَلَا سَمَحَ الزَّمَانُ بِهِ كِتَابًا
فَلَا أَدْرِي أَكَانَا تَحْتَ وَعْدٍ
وَقَدْ ظَفِرَتْ يَدِي بِالْغَنَمِ مِنْهُ
فَاوْ لَمْ أَسْتَفِدْ شَيْئًا سِوَاهُ
إِذَا أَحْرَزْتُ هَذَا فِي اغْتِرَابِي
رَجَمْتُ بِأَنَسِهِ شَيْطَانُ هَمِّي
رَشَفْتُ بِهِ رُضَابَ الْوُدِّ عَذْبًا
ذَرَى^(١) بَوْرُودَهُ^(٢) أَنْسَى قَبَابًا
دَعَا بِهِمَا لِبُرِّي فَاسْتَجَابَا
فَلَيْتَ الدَّهْسَ سَنَى لِي إِيَابَا
قَنِعْتُ بِمَثَلِهِ عِلْقًا لُبَابَا^(٣)
فَدَعَنِي أَقْطَعُ الْعُمَرَ اغْتِرَابَا
فَهَلْ وَجَّهْتُ طَرَسًا أَمْ شِهَابَا
يُذَكِّرُنِي شَمَائِلَكَ الْعِذَابَا

(١) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ ، وَفِي الزَيْتُونَةِ (دَوَى)

(٢) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ وَفِي الزَيْتُونَةِ (فَوْرُودَهُ)

(٣) هَكَذَا فِي الزَيْتُونَةِ . وَفِي الْإِسْكُورِيَالِ (لِيَابَا)

ولكن خِلْتُ قولَهُم تَصَابَا
 فَتَحْتُ بِفَضِّهِ لِلرَّوْضِ بَابَا
 لَسَكِي أَسْتَوْدِعُ الزُّهُرَ السَّحَابَا
 خَشِيتُ عَلَيْهِ أَنْ يَنْفُسِي التَّهَابَا
 لَكُنْتُ عَلَى كِتَابِكُمُ الْجَوَابَا
 وَأَجْزِلُ مِنْ ثَنَائِكُمُ الثَّوَابَا
 وَقِيَّدْتُ غَرَضِي ^(١) إِلَّا الْخَطَايَا
 سَلَامًا أَوْ مَنَامًا أَوْ كِتَابَا
 لَأَنَّ السَّهْمَ مَهْمَا رِيَشُ صَابَا
 وَلَوْ أَضْغَيْتُ لَمْ أَرْفَعِ جَوَابَا
 أَقْلُ مِنْ أَنَّ أَضِيقَ بِهَا جَنَابَا
 وَقَارًا وَاخْتِسَابًا وَاصْطَبَارًا
 عَرِينُ اللَّيْلِ لَا يَعْشَى الذُّبَابَا
 وَهَلْ تَسْتَرْقِصُ الرِّيحُ الْهَضَابَا
 مَلَأْتُ مَسَامِعَ الدُّنْيَا عِتَابَا
 فَمَا صَمَّتْ وَلَا قَالَتْ صَوَابَا
 عَهْدْتُ بِهَا الْقَرَارَةَ وَالشُّبَابَا
 إِذَا مَا فَارَقَ السَّيْفُ الْقِرَابَا
 إِذَا قَطَعَ الْجَمَاجِمُ وَالرَّقَابَا

وَكِدْتُ أَجْرُ أَدْيَالِي نَشَاطَا
 فَضَضْتُ خَتَامَهُ عَنِّي كَأَنِّي
 فَكِدْتُ أَبْشُهُ [فِي جَفْنِ عَيْنِي ^(١)]
 وَكُنْتُ أَصُونُهُ فِي الْقَلْبِ لَكِنِ
 وَلَسَوْ أَنَّهُ اللَّيْسَالِي سَامَحْتُنِي
 فَأَبْلَى ^(٢) عِنْدَكُمْ بِالشُّكْرِ عُذْرَا
 وَلَكِنِ اللَّيْسَالِي قَيَّدْتُنِي
 فَمَا تَلْقَانِي ^(٣) الْأَحْبَابُ إِلَّا
 لَأَمْرِ مَا يَقْصُ الدَّهْرُ رِيَشِي
 وَعَاذَلْتُ تَقُولَ وَلَسْتُ أَضْغِي
 تُخَوِّفُنِي الدَّوَاهِي وَهِيَ عِنْدِي
 إِذَا طَرَقَتْ أَعْدُّ لَهَا قِسْرَاهَا
 وَمَا مَشَلِي يُخَوِّفُ بِالدَّوَاهِي
 تَعَاتِبْنِي فَلَا يَرْتَدُّ طَسْرَفِي
 وَلَوْ أَنَّ الْعِتَابَ يُفِيدُ شَيْثَا
 وَقَدْ وَصَّيْتُهَا بِالصَّمْتِ عَنِّي
 تَعَنَّفْنِي عَلَى تَرْكِي بِلَادَا
 تَقُولُ وَهَلْ يَنْمُلُ السَّيْفُ إِلَّا
 فَتَقْلَتُ وَهَلْ يَضُرُّ السَّيْفُ قُلَّ

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (بحيص)

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (قائل)

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (علق)

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (تلقى) .

يَحِلُّ السَّهْلُ مِنْ رَكِيبِ الصَّعَابَا
 وَلَيْثُ الْبَيْتِ يَفْتَرَسُ الذُّبَابَا
 لَكَانَتْ كُلُّ طَائِرَةٍ عُقَابَا
 أَسِيرَ عَزَايِمٍ تُفْرِي الصُّلَابَا
 تَبَيَّضَ فَوْدُهَا هَرَمًا وَشَابَا
 وَإِنْ مَلَّكَ تَوَارَتْ لِي احْتِجَابَا
 وَلَوْ نِيلَ الْأَمَانِي لَمَا ^(١) أَصَابَا
 وَأَزْجَرَ مِنْ دَجَنَّتِهِ ^(٢) غُرَابَا
 وَخُضِرَا مِثْلَ خِطَاطَرِي انْسِيَابَا
 جِهَازَ الْبَيْتِ اسْتَلَبَ اسْتِلَابَا
 وَلَا أَرْضِي بِخُطَّتِهَا اكْتِسَابَا
 إِذَا طَيَّبْتُ ^(٣) بِالْمَسْكِ الْكَلَامَا
 أَرَدْتُ الصَّمْتَ بَيْنَهُمَا حِجَابَا
 سِيوفًا أَوْ جِيَادًا أَوْ صِحَابَا
 أَنَا جِي لَوْ سَمِعْتُ إِذَا أَجَابَا
 طَوْنَهُ الرِّيحِ لَمْ تَرْجِ الْإِيَابَا
 إِذَا بَرَّ الْأَشَقَّةَ الْإِنْتِسَابَا
 شَقَقْتُ عَلَيْهِ مِنْ فِكْرِي عُجَابَا
 فَأَغْنَى الشُّعْرَ عَنْ شَخْصِي وَنَابَا

يَخَوِّضُ الْهَوْلَ تُكْتَسَبُ الْمَعَالِي
 فَلَيْثُ الْغَسَابُ يَفْتَرَسُ الْإِنْسَانِي
 وَلَوْ كَانَ انْقِضَاضُ الطَّيْرِ سَهْلًا
 دَعَيْنِي وَالنَّهْـلُ اسْلَرُ أَسِيرَ فِيهِ
 أَغَازِلُ مِنْ غَزَالَتِهِ فَتَسَاةٌ
 إِذَا شَاءَتْ مُوَاصَلَتِي تَجَلَّسَتْ
 وَأُسْرَى اللَّيْلُ لَا أَلْوِي عِنَانَا
 أَطَارِحُ مِنْ كَوَاكِبِهِ كَمَا مَا
 وَأَرْكَبُ شُهْبًا غُبْرًا كِبَاعِي
 وَأَخْذُ مِنْ بَنَاتِ الدَّهْرِ حَقِّي
 وَلَسْتُ أَذِيلُ بِالْمَدْحِ الْقِسْوَانِي
 أَأْمَدُحُ مِنْ بِهِ أَهْجُو مَدِيحِي
 سَأَخْزُنُهَا ^(٤) عَنِ الْأَسْمَاعِ حَتَّى
 فَلَسْتُ بِمَادِحٍ مَا عِشْتُ إِلَّا
 أَبَا مُوسَى وَإِنِّي أَخَى وَدَادَ
 وَلَكِنْ دُونَ ذَلِكَ مَهْمَةٌ لَسُو
 أَخَى بِرِّ الْمَوَدَّةِ كُلِّ بِسْرٍ
 بَعَثْتُ إِلَيْكَ مِنْ نَظْمِي بِسْرٍ
 عِدَانِي الدَّهْرُ إِنْ يَلْقَاكَ شَخْصِي

(١) هَكَذَا فِي الزَّبُتُونَةِ . وَفِي الْإِسْكُورِيَالِ كَلِمَةٌ وَاضِحَةٌ (سَي)

(٢) وَرَدَّ فِي الْإِسْكُورِيَالِ (دَحْبَتُهُ) وَالصُّوْبُوبُ مِنَ الزَّبُتُونَةِ .

(٣) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ وَفِي الزَّبُتُونَةِ (أَطْبَبَ)

(٤) هَكَذَا وَرَدَّ فِي الْإِسْكُورِيَالِ وَفِي الزَّبُتُونَةِ (سَأَضْرِبُهَا)

وقال في الغرض الذى نظم فيه الرصافي من وصف بلدده ، وذكر إخوانه ومعاهده^(١) ، مساجلا في العروض والروى ، عقيب رسالة سماها « رسالة طراد الجياد في الميدان . وتنازع اللدان والإخوان ، في تنفيقي مرسية على غيرها من البلدان » .

هل رسول البرق يفتنم الأجرا
معاملة أربو بها غير مذنب
ليستنى من تدمير^(٢) قطرا محببا
ويقرضه ذوب اللجين وإنما
وما ذاك تقصيرا بها غير أنه
خليلي قوما فأحبسا طرق الصبا
فإن الصبا ربح على كريمة
خليلي أغنى أرض مرسية المنا
محلى بل جوئ الذى عبت به
ووكرى الذى منه درجت فليتنى
وما روضة الخضراء قد شلت بها
بأبهج منها والخليج مجرة
وقد أسكرت أزهار^(٤) أغصانها الصبا

فينشر غنى ماء عبرته نشر^(٢)
فأقضييه دمع العين من نقطة بحر
يقرب بعين التطر أن تشرب القطرا
توفيه عيني من مدامعها تيسرا
سحابة ماء البحر أن يذوى الزهرا
مخافة أن تحمى بزفرى الحرا
بآية ما تسرى من الجسنة الصغرا
ولولا توخى الصديق سميتها الكبرا
نواسم آدابى معطرة نشر
فجعت بريش العزم كى ألزم الوكرا
مجرتها نهرا وأنجمها زهرا
وقد فضحت أزهار ساحتها الزهرا
وما كنت أعتد^(٥) الصبا قبلها خمر

(١) وردت قصيدة الرصافي المشار إليها في ترجمته انى تنامت (البلاد الثاني من الإحامة ص ٥٠٧ - ٥٠٩) ومطلها :

خليل ما للبيد قد عبت نشر وما لرؤوس الركب قد رجعت سكر .

(٢) هكذا وردت هذه الشطرة في الإسكوريال . ووردت في الزيتونة كالاتى :

(فيبشر غنى ما عبرت به نشر) .

(٣) تسمير هو اسم آخر لمرسية ، وهو اسم الولاية التى تقع فيها .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفى النفج (أعطاف) .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفى النفج (أعددت) .

هنالك بين الغصن والقطر والصبأ
 إذا نَظَمَ الغصن الحيا قال خاطري
 وإن نَشَرْتُ رِيحُ الصَّبَا زهر الربى
 فوايد أسحارٍ هناك اقْتَبَسْتَهَا
 كأنَّ هَزِيزَ الرِّيحِ يمدح رَوْضَهَا
 أيارنقات [الحسن]^(٢) هل فيك نظرة
 فأَنْظُرْ من هَذِي لتلك كأنما
 هي الكاعبُ الحَسَناءُ تُمِّمُ حُسْنَهَا
 إذا خُطِبتُ أعطت دراهم زهرها
 وقامت بِعُرسِ الأُنسِ قِينَةُ أَيَّكَةٍ
 فأَغَارِيدها تَسْتَرْقِصُ الغُصْنَ النَضِيرا
 ولكن لا يستطيع بها قصرا
 كصفحة سيفٍ وَسَمُّهَا قُبْعَةٌ^(٣) صَضُرَا
 بِسَطْرٍ^(٤) لجين ضَمَّ من ذهبٍ عَشْرَا
 لنهر يودُ الأفق لو زاره فَجْجُرَا
 وقد بكيا من رَقَّةِ ذلك النُّهْرَا
 من الأُنسِ ما فيه سوى أَنَّهُ مَرَا
 وكَم لي بالباب الجديد^(٥) عَشِيَّةُ

(١) هكذا في الإسكوريال وفي النسخ (فلا فاهأ).

(٢) الزيادة من الزيتون والنخ.

(٣) وردت في الإسكوريال والزيتونة (نبعة) والتصويب من النسخ.

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة وفي النسخ (بسط).

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة. وفي النسخ (بابيات الحديد). والاول

أرجح وأنسب للسياق.

عَشَيَات^(١) كَأَنَّ الدَّهْرَ غُصَّ^(٢) بِحُسْنِهَا
 عَلَيْهِنَّ أَجْرَى خَيْلٍ دَمَعَى بَوَجْنَتِي
 أَعْهَدِي بِالْغَرْسِ الْمُنْعَمِ دَوْحُهُ
 فِكَمْ فَيْكِ مِنْ يَوْمٍ أَغْرَ مُحَجَّلٌ
 عَلَى مُذْنَبٍ كَالنَّحْرِ^(٤) مِنْ فَرَطِ حُسْنِهِ
 سَقَتِ أَدْمَعِي وَالْقَطَرُ أَيُّهُمَا انْبَرَى
 وَإِخْوَانِ صِدْقٍ لَوْ قَضَيْتِ حَقُّوْقَهُمْ
 وَلَوْ كُنْتُ أَقْضِي حَقَّ نَفْسِي وَلَمْ أَكُنْ
 وَمَا اخْتَرْتُ هَذَا الْبُعْدَ إِلَّا ضَرُورَةً
 قَضَى اللَّهُ أَنْ [يَتَأَيَّ بِالدَّهْرِ]^(٥) عَنْهُمْ
 وَوَاللَّهُ لَوْ نِلْتُ الْمُنَا مَا حَمِدَتْهَا
 أَيْانِسُ بِاللَّذَاتِ قَلْبِي وَدُونِهِمْ
 وَيَصْحَبُ هَادِي اللَّيْلِ رَاءَهُ وَحُرْفَةٌ^(٧)
 فَدَنَيْتُهُمْ بَانِسُوا وَضَنُّوا بِكَتَبِهِمْ
 وَلَوْلَا عُلَا هِمَاتِهِمْ لَعَتَبْتُهُمْ

فَأَجَلْتُ سِيَاطَ^(٣) الْبَرْقِ أَفْرَاسَهَا الشُّقْرَا
 إِذَا رَكِبْتَ حُمْرًا مِيَادِينَهَا الصَّفْرَا
 سَقَّتْكَ دَمَوَعِي إِنَّهَا مُزْنَةٌ شُكْرَا
 تَقَضَّتْ أَمَانِيهِ فَخَلَّدَتْهَا ذِكْرَا
 تَوَدُّ الثُّرَيَّا أَنْ تَكُونَ لَهُ نَحْرَا
 نَقَا الرَّمْلَةَ الْبَيْضَاءُ فَالْنَّهْرُ فَالْجِسْرَا
 لَمَّا فَارَقْتُ عَيْنِي وَجُوهَهُمُ الزَّهْرَا
 لَمَّا بَيْتٌ أَسْتَحْلِي فِرَاقَهُمُ الْمُسْرَا
 وَهَلْ تَسْتَجِيرُ الْعَيْنُ أَنْ تَفْقِدَ الشُّفْرَا
 أَرَادَ بِذَلِكَ اللَّهُ أَنْ أَعْتَبَ الدَّهْرَا
 وَمَا عَادَةُ الْمَشْغُوفِ أَنْ يُحْمِدَ الْمُهْجَرَا
 مَرَامُ يَجِدُ الرَّكْبَ^(٦) فِي طَيْهَا شَهْرَا
 وَصَادًا وَنُونًا قَدْ تَقَوَّسَ^(٨) وَاصْفَرَا
 فَلَا خَبْرًا مِنْهُمْ لَقِيْتُ وَلَا خُبْرَا
 وَلَكِنْ عُرَابُ الْخَيْلِ لَا تَحْمِلُ الزُّجْرَا^(٩)

- (١) هكذا وردت في النسخ. وفي الإسكوريال والزيتونة (عشايا) .
 (٢) هكذا في الإسكوريال وفي الزيتونة (غص) وفي النسخ (غضا) .
 (٣) هكذا في الإسكوريال وفي الزيتونة والنسخ (بساط) والأولى أرجح .
 (٤) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة . وفي النسخ (كالبحر) .
 (٥) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . وفي النسخ (تنأى ب الدار) .
 (٦) هكذا وردت في الإسكوريال وفي النسخ (الكرب) والأولى أرجح وأنسب للسياق .
 (٧) هكذا وردت في النسخ ، وفي الإسكوريال (وحزمة) .
 (٨) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي النسخ (تقدس) والأولى أرجح .
 (٩) هذا البيت وارد في الإسكوريال والزيتونة ، وساقط في النسخ .

ضربتُ غُبارَ البِيدِ في مَهْرَقِ السُّرى
وحَقَّقْتُ ذاكَ الضَّرْبِ جَمْعاً وَعُدَّةً
كَأَنَّ زَمَانِي حَاسِبٌ مُتَعَسِّفٌ
فَكَمْ عَارِفٍ بِي وَهُوَ يَحْسُبُ رُتْبَتِي
لِذَلِكَ مَا أُعْطِيتُ نَفْسِي حَقَّهَا
فَمَا بَرِحْتُ فِكْرِي عَذَارَى قَصَائِدِي
وَلَسْتُ وَإِنْ طَاشَتْ سَهَامِي بِأَيْسٍ
وَمِنْ مَقْطُوعَاتِهِ :

يا قَمْرًا مَطْلَعَهُ أَضْلَعِي
وَرَبَّمَا اسْتَوْقَدَ نَارَ الْمَسْوَى
مَلَكْتُنِي فِي دَوْلَةٍ مِنْ صَبَا
عِنْدِي مِنْ حُبِّيكَ^(٣) مَا لَوْ سَرْتُ
لَهُ سَوَادُ الْقَلْبِ مِنْهَا غَسَقُ
فَنَابٍ فِيهَا لَوْنُهَا عَنْ شَفَقِ
وَصَدَّتْنِي فِي شَرَكٍ مِنْ حَدَقِ
فِي الْبَحْرِ مِنْهُ شُعَالَةٌ لَاحْتَرَقِ
وَمِنْ مَقْطُوعَاتِهِ أَيْضاً :

قَدْ كَانَ لِي قَلْبٌ فَلَمَّا فَارَقُوا
وَجَرَتْ سَحَابٌ بِالْدموعِ فَأَوْقَدَتْ
وَمِنْ الْعَجَائِبِ أَنَّ فَيْضَ مِدَامِعِي
وَشَعْرَهُ الرَّمْلُ وَالْقَطَرُ كَثْرَةً ، فَلَنَخْتَمُ لَهُ الْمَقْطُوعَاتُ بِقَوْلِهِ :
قَالُوا وَقَدْ طَالَ بِي مَدَى خَطِيئِ
أَعْدَدْتُ شَيْئاً تَرْجُو النِّجَاةَ بِهِ
سَوَى جَنَاحٍ لِلْغَرَامِ وَطَارَا
بَيْنَ الْجَوَانِحِ لَوْعَةً وَأَوَارَا
مَاءً وَيُثْمَرُ فِي ضُلُوعِي نَارَا
وَلَمْ أَزَلْ فِي تَجَرُّمِي سَاهٍ
فَقُلْتُ أَعْدَدْتُ رَحْمَةَ اللَّهِ

(١) أورد الناسخ هذا البيت في هامش الصفحة (206)

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الزيتونة والنفح (لا ترم الذكرا) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النفح (حبك) .

نثره

كتب يهني ، قاضي الجماعة أبا القاسم بن بقى من رسالة : لان قدره^(١) ،
 دام عُمره ، وامْتِثِلْ نِهْيَهُ [الشرعى]^(٢) وأمره ، أَعْلَى رَتْبَةً ، وَأَكْرَمَ مَحَلًا ،
 مِنْ أَنْ يَتَحَلَّى بِخُطَّةٍ هِيَ بِهِ تَتَحَلَّى . كيف يهنا بالقعود لسماح دَعْوَةِ الباطل ،
 ولمعاناة الإنصاف المَطُول من الماطل ، والتَّعَب في المعادلة . بين ذوى
 المجادلة . أما لو عَلِمَ الْمُتَشَوِّقُونَ إِلَى خُطَّةِ الْأَحْكَامِ ، الْمُتَشَرِّقُونَ إِلَى مَالِهَا
 مِنَ التَّبَسُّطِ وَالِاحْتِكَامِ ، مَا يَجِبُ لَهَا مِنَ اللَّوْازِمِ ، وَالشُّرُوطِ الْجَوَازِمِ ،
 كَبَسْطِ الْكَتْفِ ، وَرَفْعِ الْجَنْفِ ، وَالْمَسَاوَاةِ بَيْنَ الْعَدُوِّ وَذِي الذَّنْبِ ، وَالصَّاحِبِ
 بِالْجَنْبِ ، وَتَقْدِيمِ ابْنِ السَّبِيلِ ، عَلَى ذِي الرَّحْمِ وَالْقَسِيلِ ، وَإِيْشَارِ الْغَرِيبِ
 عَلَى الْقَرِيبِ ، وَالتَّوَسُّعِ فِي الْأَخْلَاقِ ، حَتَّى لِيَمَنْ لَيْسَ لَهُ مِنْ خَلْقٍ ، إِلَى
 غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا عَلِمَ قَاضِي الْجَمَاعَةِ أَحْصَاهُ ، وَاسْتَعْمَلَ لِخُلُقِهِ الْفَاضِلِ أَدْنَاهُ
 وَأَقْصَاهُ ، لَجَعَلُوا خُمُولَهُمْ مِمَّا مَوْلَهُمْ ، وَأَضْرَبُوا عَنْ ظُهُورِهِمْ ، فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ
 ظُهُورِهِمْ ، اللَّهُمَّ إِلَّا مَنْ أَوْقَى بَسْطَةَ فِي الْعِلْمِ ، وَرَسَا طَوْدًا فِي سَاحَةِ الْحِلْمِ ،
 وَتَسَاوَى مِيزَانُهُ فِي الْحَرْبِ وَالسَّلَامِ . وَكَانَ [كقاضي الجماعة]^(٣) ، فِي
 الْمُمَاثِلَةِ بَيْنَ أَجْنَاسِ النَّاسِ ، فَقَصَصَارَاهُ أَنْ يَتَقَلَّدَ الْأَحْكَامَ لِلْأَجْرِ ،
 لَا لِلتَّعَسُّفِ^(٤) وَالزَّجْرِ ، وَيَتَوَلَّاهَا لِلثَّوَابِ . لَا لِلغِلْظَةِ فِي رَدِّ الْجَوَابِ . وَيَأْخُذُهَا
 نَحْسُنَ الْجَزَاءِ ، لَا لِقُبْحِ الْاِسْتِهْزَاءِ . وَيَلْتَزِمُهَا لِحَزِيلِ الذُّخْرِ لَا لِلإِزْرَاءِ
 وَالسُّخْرِ . فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ . وَسَلَكَ الْمُتَوَلَّى هَذَا السَّالِكَ . وَكَانَ كَقَاضِي^(٥)

(١) هكذا في الإسكوريال والزينة وفي النسخ (محله) .

(٢) هذه الكلمة الزائدة من الذيل والتكلمة ، والنسخ .

(٣) هكذا في الإسكوريال ، وفي النسخ (كونا لا) .

(٤) هكذا في الإسكوريال وفي الذيل والتكلمة والنسخ (للتعنيف) .

(٥) هكذا في الإسكوريال ، وفي الذيل والتكلمة (مثل قاضي) .

الجماعة ولا مثل له ، ونفع الحق به عليه ، ونَقَعَ غُلله ، فيومئذ تَهْنَأُ به خُطَّةُ القضاء ، ويعرف ما لله عليه ^(١) من اليد البيضاء ^(٢) .

ومحاسنه في النشر أيضاً جملة .

ومن أخباره أنه رحل إلى مراكش متسبباً في جهاز بنتٍ بَلَغَتْ التَّزْوِيجَ ، وقصد دار الإمارة مادحاً ، فما تيسر له شيء من أمله . ففكر في خيبة قصده ، وقال لو كنت تأملتُ جهة الله ، ومدحتُ المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وآل بيته الطاهرين ، لبُلغتُ أَملي بمحمود عملي . ثم استغفر الله في توجُّهه الأول ، وعلم أن ليس على غير الثاني من مُعَوَّلٍ ، فلم يكن إلا أن صوّب نحو هذا القصد سَهْمه ، وأمضى فيه عزمه ، وإذا به قد وُجِّه عنه ، وأدخل على الخليفة ، فسأله عن مقصده . فأخبره [منصحاً به] ^(٣) فأنفذه وزاده عليه . وأخبره أن ذلك لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم يأمره بقضاء حاجته . فانفصل مُوفى الأغراض . واستمر في مدح أهل البيت حتى اشتهر في ذلك .

وفاته

سنة ثمان وتسعين وخمسمائة . وسنه دون الأربعين سنة . وصلى عليه أبوه ، فإنه كان بمكان من الدين والفضل رحمة الله عليه . وتلقيت من جهات ، أنه دخل غرناطة ، لما امتدح القايده أبا عبد الله بن ضنايد بمدينة جيان ، حسبما يظهر من عُجالاته ، من غير تحقيق لذلك .

(١) وردت في الإسكوريال (على) وفي النسخ (عليها) والصواب أرجح .

(٢) وردت هذه الرسالة بأكملها في الذيل والنكلة (السفر الرابع ص ١٤٠ - ١٤٣) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (بما جاء له) .

صالح بن يزيد بن صالح بن موسى بن أبي القاسم ابن علي بن شريف النعمري

من أهل رُنْدَة ، يكنى أبا الطَّيِّب .

حاله

قال ابن الزُّبَيْر ، شاعر مُجِيدٌ في المدح والغزل ، وغير ذلك . وعنده مشاركة في الحساب والفرايض . نظم في ذلك . وله توالييف أدبية ، وقصائد زُهدية ، وجزءٌ على حديث جبريل عليه السلام ، وغير ذلك مما روى عنه . وكان في الجملة معدوداً في أهل الخير ، وذوى الفضل والدين . تكرر لقائي إياه ، وقد أقام بمالقة أشهراً ، أيام إقراءى . وكان لا يفارق مجالس إقراءى ، وأنشدني كثيراً من شعره .

وقال ابن عبد الملك ، كان خاتمة الأدباء بالأندلس ، بارع التصرف في منظوم الكلام ومنثوره ، فقيهاً حافظاً ، فريضياً ، متفنناً في معارف شتى ، نبيل المقاصد ، متواضعاً . مقتصداً في أحواله . وله مقامات بديعة في أغراض شتى ، وكلامه نظماً ونشراً ، مُدَوَّن .

مشيخته

روى عن آباء الحسن أبيه^(١) . والدبَّاج ، وابن الفخَّار الشَّريشي ، وابن قَطْرال . وأبي الحسن بن زَرْقُون . وأبي القاسم بن الجَدِّ .

توالييفه

ألَّف جزءاً على حديث جبريل ، وتضمنيفاً في الفَرايض وأعمالها ،

(١) هكذا في الإسكوريال والزيتونة .

وآخر في العَرُوض ، وآخر في صَنعة الشعر سماه «الوافي»^(١) في عِلْم القوافي»^(٢) .
وله كتاب كبير سماه «رَوْضَةُ الأَنْس ، ونُزْهَة النَّفْس»^(٣) .

دخوله غرناطة

وكان كثير الوفادة على غرناطة ، والتردد إليها ، يَسْتَرْفِد : ملوكها ،
ويُنْشِد أمراءها ، والقصيدة التي أولها : «أَوَصِلْني يوماً وهاجِرْني أَلْفاً» ،
أخبرني شيخنا أبو عبد الله اللُّوشِي ، أنه نظمها باقتراح السلطان رحمه الله .
وقد أوعز إليه ألا يخرج عن بعض بساتين المُلْك ، حتى يُكْمِلها في
معارضة محمد بن هاني الإلبيري .

شعره

وهو كثير ، سهل المأخذ ، عذب اللفظ ، رائق المعنى ، غير مُؤثر
للجزالة . فعن ذلك قوله رحمه الله في غرض المدح من السُّلْطانيات :
سَرى والحبُّ أَمْرٌ لَا يُرَام وقد أغرى به الشوق والغرام
وأغفَى أهلُها إِلَّا وُشَاة إذا نام الحوادثُ لا تَنَام
وما أخفا بين القسوم إِلَّا ضَنَاءُ وربما نفع السَّقام
فَنال بها على قَدر مُنْصَاه وبين التَّبْضِ والبَسْطِ القِرَام
وأشهى الوصلِ ما كان اختِلاسا وخيرُ الحبِّ ما فيه اختِتام

(١) وردت في الإسكوريال وأريثونة «الكافي» ، وكذا في نسخة لابن عبد الملك
(السفر الرابع ص ١٢٧) وصححت في هامش الإسكوريال (الوافي) .
(٢) وعنوان الكتاب الصحيح حسبما اطلعنا على نسخة شاملة منه بمكتبة الرباط العامة
(رقم ١730 المكتانية) هو : «الكتاب المسمى بالوافي في نظم القوافي» ، وهو شطوط قد جمع
في ١٨٧ صفحة كبيرة ، مكتوب بخط مندرج جميل . وفي ديباجته ما يدل على أن مؤلفه أبا الطيب
الرندي . قد تولى منصب القضاء .

(٣) هو كتاب في التاريخ والأدب . وقد كتبه أبو الطيب برسم حاكمه السلطان محمد
ابن يوسف بن الأحمر الكبير مؤسس مملكة غرناطة (٦٣٥ - ٦١١ هـ) ، وكان شعره الأثير .

وما أَخْلَى الوِصالَ لو أنَّ شَيْثًا
 بكَيْتُ من الفِرَاقِ بغيرِ أَرْضِي
 أَعَذِلْتِي وقد فارقْتِ إلَهِي
 أَأَفْقِدُهُ فلا أَبْكِي عليه
 أَنَسَاهُ فَأَحْسَبُهُ كَصَبْرِي
 رُوَيْدًا . إنْ بعضُ اللُّومِ لَوْمٌ
 ويومٌ نَوَى ^(١) وضعتُ الكَفَّ فيه
 ولولا أَن سَفَحْتُ به جَنُونًا
 وليلٌ بَتُهُ ^(٢) كالدهرِ طولًا
 كَأَنَّ سِياهَ زُهرٍ ^(٣) تجلَّى
 كَأَنَّ البَذْرَ تحتَ الغَيْمِ وجهُ
 كَأَنَّ الكوكبَ الدَّرِّيَّ كَأَسُّ
 كَأَنَّ سَطُورَ ^(٤) أَفلاكِ الدَّراري
 كَأَنَّ مَسَدَارَ قُطْبِ بَناتِ نَعشٍ
 كَأَنَّ بَناتِهِ الكَسْبَرِي جَسَوارِ
 كَأَنَّ بَناتِهِ الصُّغْرَى جُمانِ
 كَوَاكِبُ بَيْتِ أَرعَاهُنَّ حتَّى
 إلى أَن مَسَرَّقتُ كَفُّ الثُّرَيَّا

من الدُّنْيَا لِلدُّنْيَةِ دَوام
 وقد يَبْكِي الغَرِيبُ المُسْتَهام
 أَمْثَلِي في صَبَابَتِهِ يُسَلِّم
 يكونُ أَرْقَ من قَلْبِي الحِمَام
 وهل يُنْسِي لمُحِبِّوبِ ذِمَام
 ومثلي لا يُنْهِنُهُهُ المَلَام
 على قَلْبٍ يَطِيرُ به الهِيَام
 تَمْيِضُ دَمًا لِأَخْرَقَها الضُّرام
 تَنْكَّرُ لي وَعَرَفَهُ التَّمَام
 بَزَهَرِ الزُّهْرِ والشُّوقِ الكِمَام
 عليه من مَلاحِجِهِ لِثَام
 وقد رَقَّ الزُّجَاجَةُ والمُدَام
 قَسَى والرُّجُومُ لها سِهام
 نَدَى والنَّجُومُ به نِدام
 حَوَارٍ والسُّهَى فيها غَلَام
 على لَبَّاتِهَا مِنْهَا ^(٥) نِظَام
 كَأَنِّي عاشِقٌ وهى الذَّمَام
 جِوِبَ الأفقِ وأنْجَابِ الظَّلام

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (النوى) .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي التكملة (صباية) . والبيت ساقط في الزيتونة .

(٣) هكذا في الإسكوريال ، وفي التكملة (روض) .

(٤) هكذا في الإسكوريال ، وفي الزيتونة (سلوك) .

(٥) هكذا في الإسكوريال والزيتونة ، وفي الذيل والتكملة (منه) .

فما خِلْتُ انْصِدَاعَ الفجرِ إلا
وما شَبَّهْتُ وجهه الشمس إلا
وإن شَبَّهْتَهُ بِالْبَدْرِ يَوْمًا
تَهْلَلُ مِنْهُ حُسْنُ الدَّهْرِ حَتَّى
وَعَرَفَ مَا تَنْكَرُ مِنْ مَعَالٍ
وَمِلُّ الْعَيْنِ مِنْكَ جَلَالُ مَوْلَى
إِذَا مَا قِيلَ فِي يَدِهِ غَمَامٌ
وَحَشْوُ الدَّرْعِ أَرْوَعُ غَالِبِي
إِذَا مَا سَلَّ سَيْفُ الْعِزِّ يَوْمًا
تَنَاهَى مَجْدُهُ كَرَمًا وَبَأْسًا
نَمَّتْهُ لِلْمَكْسَارِ وَالْمَعَالِ
هُمُ الْأَنْصَارُ هُمْ نَصَرُوا وَآوُوا
وَهُمُ قَادُوا الْجِيوشَ لِكُلِّ فَتْحٍ
وَهُمُ مَنَحُوا الْجَزِيرَةَ مِنْ حِمَاهِمُ
فَمَنْ حَرَّبَ تَشِيبَ لَهُ النَّوَاصِي
بِسَعْدِكَ يَا مُحَمَّدَ عَزَّ دِينُ
وَبِاسْمِكَ تَمَّ لِلْإِسْلَامِ سَلَامُ
وَكَانَ مَرَامُهُ صَعْبًا وَلَكِنْ
أَدَامَ اللَّهُ أَمْرَكَ مِنْ أَمِيرٍ
وَأَنْتَ الْمُعْرُوءَةُ الْوُثْقَى تَمَامًا
وَرُوحُ أَنْتَ وَالْجِسْمُ السَّعَالَى

قِرَابًا يُنْتَضِي مِنْهُ حُمَامُ
بِوَجْهِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْهُمَامُ
فَالْبَدْرُ الْمَسْلُوحَةُ وَالْتِمَامُ
كَأَنَّكَ فِي مُحْيِيهِ ابْتِسَامُ
كَأَنَّكَ لِاسْمِهَا أَلِفٌ وَلامُ
صَنَائِعُهُ كُفْرَتُهُ وَسَامُ (١)
فَقَدْ بَخُسْتُ وَقَدْ خُدِعَ الْغَمَامُ
يُرَاعُ بِذِكْرِهِ الْجَيْشُ اللَّهَامُ
عَلَى أَمْرٍ فَسَلِّمْ يَا سَلَامُ
فَمَا يَدْرِي أَمْحِيًّا أَمْ حِمَامُ
سُرَاةً مِنْ بَنِي نَصْرِ كَرَامُ
وَلَوْلَا الْمِسْكُ مَا طَابَ الْخِتَامُ
وَلَوْلَا الْجَدُّ مَا قَطَعَ الْحُسَامُ
جِيَوَارًا لَا يُذَمُّ وَلَا يُضَامُ
وَسَلِّمْ تَحِيَّتُهُ سَلَامُ
لَهُ بَعْدَهُ الْإِلَهِ بِكَ اعْتِصَامُ
وَعَبَّ السَّلَامُ نَصْرُ مُسْتَدَامُ
بِحَمْدِ اللَّهِ قَدْ سَهَّلَ الْمَرَامُ
فَفِيهِ لِكُلِّ مَكْرَمَةٍ دَوَامُ
وَمَا لِلْعُرْوَةِ الْوُثْقَى انْفِصَامُ
وَمَعْنَى أَنْتَ وَلِلْفُظِّ الْأَنْسَامُ

(١) في الرينة (وشم) .

إذا ما ضاقت الدنيا بحُرٍّ كفاه لثَمُّ كَفِّكَ والسلام
ومن شعره أيضا :

أواصلتى يوماً وهاجرتى أَلْفَاً وصالُك ما أخلَى وهَجْرُك ما أَجْفا
ومن عجبٍ للطَّيف أن جاء واهتدى فعاد علينا^(١) عاد كالطَّيف أم أَخْفا
فيا سايراً لولا التخيُّل ما سَرى وباشاهداً لولا التعلُّل ما أَغْفا
أَلَمْ فَأَحْيَانِي ووَلَّى فراعَنِي ولم أَرَّ أَجْفَى منك طبعاً ولا أَشْفا
بَعَيْنِي شَكْوَى لِلْغَمِّرام وتِيهه إلى أن تَشْنَى عَطْفُه فانْشَنَى عَطْفا
فعانقته شوقاً وقبَلته هسوى ولا قُبلة تكفى ولا لوعة تَطْلفا

ومن نزعاته العجيبة قوله ، وقد سبق إلى غرضه غيره :

يا طَلْعَةَ الشمس إلا إنه قَمَرٌ أَمَا هَوَاك فلا يُبْقَى ولا يَكْذُر
كيف التخلُّص من عَيْنِكَ لى ومتى وفيهما القاتلان الغنَّج والحَوَر
وكيف يُسَلِّى فؤادى عن صِبابته ولو نَهَى النَّاهِيان الشَّيْبُ والكِبَرُ
أنت المُنَا والمنايا فيك قد جُمِعت وعندك الحالَتان النَّفْع والضَّرر
ولى من الشُّوق ما لا دَوَاءَ لسه ومنك لى الشَّافِيان القُرب والنَّظَر
وفى وصالك ما أُبْقَى به رَمَقى لو ساعد المُسْعِدان الذُّكر والقَدْرُ
وكان طَيْفُ خيالٍ منك يُقْنَعْنِي لو يذهب المانِعان الدَّمْع والسَّهَرُ
يانابياً^(٢) لم يكن إلا لِيَمْلِكْنِي من بعده المُهْلِكُان الغَمُّ والغَيْرُ
ما غِبتَ إلا وغاب الجنسُ أَجمعه واستوحش المُؤْنِسان السَّمْع والبَصَرُ
بما تُكِنُّ ضُلوعى فى هَوَاك بِمَنْ يعنوله السَّاجِدان النجم والشجر
إِدرك بَقِيَّةَ نَفْسٍ لست مُدْرِكُهَا

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى التزيتونة (معليا) .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى التزيتونة (يا غاييا) .

يبكى له القاسيان الدهر والحجر
إذا نبا المذهبان الورد والصدر
في ضمنها المبهجان اليمن والظفر
خانت القدمان^(١) البيض والسمر
إذا استوى المهطعان الصر والصبر
ونعمت الحليتان^(٢) البأس والخفر
كما مشى الصاحبان الشاة والنمر
فما يرى الدايان الخوف والحذر
وحبذا الطيبان [الخبر والخبر]^(٣)
كأنها الرايقان الظل والزهر
يُنسى به الأجودان البحر والمطر
كأنها النهران الشمس والقمر
لم يسهل الأضعبان البين والخطر
كما اقتضى المبرمان الجل والسفر
فحسبى المحسبان الظل والسمر
أن يُبلغ الغايان السؤل والوטר

وذلك حيرة مهجور بلا سبب
وإن أبيت فلي من ليس يُسلمنى
مؤيداً لملك بالآراء يُحكّمها
من كالأمير أبى عبد الله إذا ما
الواهب الخيل آلافا وفارسها^(٢)
والمشبه الليث فى بأس وفى خطر
تأمن الناس فى أيامه ومشوا
وزال ما كان من خوف ومن حذر
رأيتُ منه الذى كنتُ أسمع
ما شئت من شيم عليا ومن شيم
وما أردت من إحسان ومن كرم
وغسرة يتلأأ من سماحتها
إيه فلولاً دواعٍ من محبته
نأيتُ عنه اضطرارا ثم عدت له
فإن قضى الله أن يقضى به أملى
ولست أبعد إذ والحال متسع

ومن شعره فى أغراض متعددة . قال فى الليل والسهر :

أطال ليلي الكمد فالدهر عندي سرمد

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (العدمان) .

(٢) هكذا وردت فى الزيتونة . وفى الإسكوريال (ومارسا) والأول أرجح .

(٣) وردت فى الإسكوريال والزيتونة (الحليتان) والتصويب أرجح .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة فى الزيتونة . وردت فى الإسكوريال (الخمر والخبر) .

وقد أثرنا الأولى لأنه لا محل لذكر الخمر هنا باعتبارها من الطيبات .

وما أظن أنه ليلي لالهجر غد
يا نايما عن لوعي عوفيت مما أجيد
أرقد هنيئاً إنني لا أستطيع أرقد
لواعج^(١) ما تنظفي وأدمع^(٢) تضطرد
وكبدى كبد الهوى وأين منى الكبد^(٣)
ولا تسأل عن جلدي والله مالى جلد

ومن شعره أيضاً في المقطوعات .

وليلة قُصّر من طولها بزورة من رشاً نافير
أستوفر الدهر بها غالطاً فأذغم الأول والآخِر

وقال من قصيدة مُغربة في الإحسان :

وليلة نَبَّهت أجفانها والفجر قد فجر نهر النهار
والليل كالمهزوم في يوم الوغا والشهب مثل الشهب عند الفرار
كأنما استخفى السهى خيفة وطولب النجم بثأر فثار
لذلك^(٤) ما شابت نواصي الدجى وطارح^(٥) النسر أخاه فطار
وفي الثرى قمر سافر عن غرة غير منها الشفار
كأن عنقوداً [بها مائل]^(٦) إذ صار كالعرجون عند السرار
كأنها تُسبك ديناره وكفها تفتل منه سوار

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (زاعجى)

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (ددمى) .

(٣) هكذا ورد هذا البيت في الزيتونة ، ورد في الإسكوريال كالآتي (وكبد في كبد ،

لمنى واين الكبد) .

(٤) هكذا في الإسكوريال والزيتونة . وفي النسخ (كذلك) .

(٥) هكذا في الإسكوريال والزيتونة . وفي النسخ (طير) .

(٦) هكذا في الإسكوريال والزيتونة ، وفي النسخ (تنى به) .

كأنما الظلماء مظلومة تحكّم الفجر عليها فجار
 كأنما الصبح لمشتاقه^(١) [إقبال دُنيا]^(٢) بعد ذلّ افتقار
 كأنما الشمس وقد أشرقت وجهه أبيض عبد الآله استنار
 وفي وصف البحر والأنهار وما في معنى ذلك :

البحر أعظمُ مما أنت تحسبه من لم ير البحر يوماً ما رأى عجباً
 طامٍ له حَبَبٌ طاف على زورق مثلُ السماء إذا ما ملئت شهباً
 وقال في وصف نهر :

وأزرق محفوف بزهر كأنه نجوم بأكناف المجرة تزهر
 يسيل على مثل الجمان مُسلسلاً كما^(٣) سُلّ عن غمد حُسام مجوهر
 وقد صافح الأدواح من صفحاته حتى حباب بالنسيم مكسّر
 فما كان في عطف الخليج قلامه وما كان في وجه الغدير مُغفّر
 وفي العقل والتغرب :

ما أحسن العقل وآثاره لو لازم الإنسان إثارة
 يَصُونُ بالعقل الفتي نفسه كما يصون الحر أسرارَه
 لا سيما إن كان في غربة يحتاج أن يُعرف مقداره
 ومن وصفه الجيش والسلاح :

وكتيبة بالدارعين كثيفة جرت ذيول الجحفل الجرار
 روض المنايا بينها القُصْب التي زُفّت بها الرايات كالأزهار
 فيها الكُماة بنو الكُماة كأنهم أسد الشرى بين القنا الخطار

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (لهشاقه) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة ، وفي النسخ (عز غي) .

(٣) وردت في الإسكوريال (كل) والتصويب من الزيتونة .

مُتَهَلِّلِينَ لَدَى اللَّقَاءِ كَأَنَّهُمْ خُلِقَتْ وَجُوهُهُمْ مِنَ الْأَقْمَارِ
 مِنْ كُلِّ لَيْثٍ فَوْقَ بَرْقٍ خَاطِفٍ بِيَمِينِهِ قَدْرٌ مِنَ الْأَقْسَادِ
 مِنْ كُلِّ مَاضٍ قَدْ تَقَلَّدَ مِثْلَهُ فَيُصَبُّ آجَالاً عَلَى الْأَعْمَارِ
 لِبَسُوا التَّمْلُوبَ عَلَى الدَّرُوعِ وَأَسْرَعُوا لَأَكْفَهُمْ نَاراً لَأَهْلِ النَّارِ
 وَتَقَدَّمُوا وَلَهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ حُنُقُ الْعِدَا وَحُمِيَّةُ الْأَنْصَارِ
 فَارْتَاعَ نَاقُوسٌ بِخَلْعٍ لِسَابِهِ وَبَكَى الصَّلِيبُ لِنِزْلَةِ الْكُفَّارِ
 ثُمَّ انْثَنُوا عَنْهُ وَعَنْ عُيُسَادِهِ وَقَدْ أَصْبَحُوا خَبِيراً مِنَ الْأَخْبَارِ
 وَفِي السَّيْفِ :

وَأَبْيَضُ صَيْغٍ مِنْ مَاءٍ وَمِنْ لَهَبٍ عَلَى اعْتِدَالٍ فَلَمْ يَخْتَدِ وَلَمْ يَسِيلِ
 مَاضِي الْغِرَارِ يَحْسَابُ الْعُمُرَ صَوْلَتِهِ كَأَنَّمَا هُوَ مَطْبُوعٌ مِنَ الْأَجَلِ
 أَبْهَى مِنَ الْوَصْلِ بَعْدَ الْمَجْرِ مَنْظَرُهُ حُسْنًا وَأَقْطَعُ مِنْ دَيْنٍ عَلَى مَالِ
 وَأَسْمَرُ ظَنًّا مَا كُلُّ سَابِغَةٍ فَخِصَاصِ كَالْأَيْمِ يَسْتَشْفَى مِنَ النَّهْلِ
 هَامَ الْكَمَاةُ بِهِ حَبًّا وَلَا عَجَبٌ مِنْ لَوْعَةٍ بِمَلِيحِ الْقَدِّ مُعْتَدِلِ
 إِذَا الطُّعَيْنَ تَلَقَّاهُ وَأَرْغَفَهُ حَسْبَتَهُ عَاشِقًا يَبْكِي عَلَى طَلَلِ

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ فِي وَصْفِ قَوْسٍ :

تَنَكَّبَهَا كَحَاجِبِهِ وَسَوَّى بِأَهْدَافِ الْجُفُونِ لَهَا نَيْسَالَا
 فَلَمْ أَرِ قَبْلَهُ بِسَدْرًا مَنِيرًا تَحْمِلُ فَوْقَ عَاتِقِهِ هِلَالَا
 وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ قَلَمٍ :

وَأَصْفَرُ كَالصَّبِّ فِي رَوْسِقٍ تَظُنُّ بِهِ الْحُبَّ مِمَّنْ نَحَلِ
 بِدِيْعِ الصُّفَاتِ حَدِيدُ السَّبَاتِ يَطُولُ الرِّمَاحَ وَإِنْ لَمْ يَطُلِ
 يُعَبِّرُ عَمَّا وَرَاءَ الضَّمِيرِ وَيَفْعَلُ مَا فَعَلَ الطُّبَا وَالذُّبُلِ

ومن ذلك قوله فيما يظهر منها :

تفاخر السيفُ فيما قيل والقلمُ والفَضْلُ بينهما لاشك مُنفهم
كلاهما شَرَّفَ اللهُ دَرَّهُمَا وحَبَذَ الخُطَّتَانِ الحُكْمَ والحَكَمُ

ومن ذلك قوله في سَكِينِ الدَّوَاةِ :

أَنَا صَمِّصَامَةُ الْكِتَابَةِ مَالِي من شَبَّهَ في المُرْهَفَاتِ الرِّقَاقِ
فَكَأَنِّي فِي الحُسْنِ يَوْمَ وِصَالِ وكَأَنِّي فِي القَطْعِ يَوْمَ فِرَاقِ
ومن ذلك قوله في المَقْصُصِ :

وَمُعْتَنَقِينَ مَا اشْتَهَرَا بِعَشْقِ وَإِنْ وُصِفَا بِضَمٍّ وَاعْتِنَاقِ
لَعَرُّ أُبَيْكَ مَا اعْتَنَقَا لِمَعْنَى سَوَى مَعْنَى القَطِيعَةِ والفِرَاقِ

ومن ذلك قوله في الْوَرْدِ :

الْوَرْدُ سُلْطَانُ كُلِّ زَهْرٍ [لَوْ أَنَّه دَائِمُ الْوُرُودِ]^(١)
بَعْدَ خُدُودِ الْمِلَاحِ شَيْءٌ مَا أَشْبَهَ الْوَرْدَ بِالْخُدُودِ
ومن ذلك قوله في الْخَيْرِيِّ^(٢) :

وَأَزْرَقَ كَمَثَلِ السَّمَاءِ فِيهِ لِمَنْ يَنْظُرُ سِرٌّ عَجِيبُ
شَحَّ مَعَ الصُّبْحِ بِأَنْفَاسِهِ كَأَنَّمَا الصُّبْحُ عَلَيْهِ رَقِيبُ
وَبَاحَ بِاللَّيْلِ بِأَسْرَارِهِ لَمَّا رَأَى اللَّيْلُ نَهَارَ الْأَرِيبِ
ومن ذلك قوله في الرِّيحَانِ :

وَأَخْضَرَ فُسْتُقَى اللُّونِ غَضٌّ يَرُوقُ بِحَسَنِ مَنْظَرِهِ الْعُيُونَا

(١) - لما وردت هذه الشظيرة في الزيتونة . ووردت في الإسكوريال كآتي (ما به

العام) . ورد في الموضع نفس الشظيرة الشافية لمبيت الثاني كآتيه التاسع مبدؤ البيت الأول .

(٢) - لما وردت في الإسكوريال . ومن الزيتون (الحمر) . والخبري ذات بنو في

المرور من بني وله رائحة ذكية .

أغار على الترنج وقد حكاه وزاد على اسمه ألفاً ونسونا
وقال من جملة قصائده المطولات . التي تفنن فيها رحمه الله :
وغانية يُغنى عن العود صوتها وجارية تسقى وساقية تجرى
بحيث يجرُّ النهر ذيل مجرة يرفُّ على حافاتِها الزهر كالزهر
وقد هزت الأرواح خصر كتائب بألوية بيض على أسلٍ سمر
رمى قزح نيلاً إليها فجردت سيوف سواقيها على دارع النهر
وهبت صبا نجد فجرت غلايلا تجفف دمع الطل عن وجنة الزهر
كأن بصفح الروض وشئ صحيفة وكالآفات القضب والطرس كالتبر
كأن به الأفحوان خسواتيما مفضضة فيها فصوص من التبر
كأن به النرجس الغض أعيما ترقرق في أجفانها أدمع القطر
كأن شذا الخيري زورة عاشق يرى أن جنح الليل أكتم السر
وقال في وصف الرمان :

لله رمانة قد راق منظرها فمشلها ببديع الحسن منقوت
القشر حق لها قد ضم داخله والشحم قطن والمحَبُّ ياقوت
أنظر إلى جذر في اللون مختلف البعض من سجع والبعض من ذهب
ومن ذلك قوله في الجزر :

إن قلت قصب فقل قصب بلا زهر أوقلت شع فقل شع بلاهب
وفي الاغتراب^(١) وما يتعلق به مما يقرب من المطولات :

غريب كلما يلقي غريب فلا وطن لديه ولا حبيب
تذكر أصله فبكي اشتياقا وليس غريباً أن يبكي غريب
ومما هاج أشواق حديث جرى فجري له الدمع السكوب

(١) هكذا وردت في الإيسكوريال . وفي الزيتونة (الإغراء) وهو تحريف .

ذكرتُ به الشباب فشقَّ قلبي
على زمن الصبا فليبك مثلي
جهلتُ شبيبتي حتى تولت
ألا ذكر الآله بكل خير
بسلاد ماؤها عذب زلال
بها قلبي الذي قلبي المعنى
رُزقت الصبر بلين أبي وأمي
ألا فتوخَّ بعدى من أواخي
ولا تحكم بأول ما تسراه
إلا إنا خلقنا في زمان
وقد لذَّ الحمام وطاب عندي
لحى الله الضرورة فهي بلوى
رأيت المال يستر كل عيب
وفقدُ المال في التحقيق عندي
وقد أجهدتُ نفسي في اجتهاد
وقد تجرى الأمور على قياس
كأنَّ العقل للدنيا عدو
إذا لم يُرزق الإنسان بختاً

ألم تر كيف تنشقُّ القلوب
فما زمن الصبا إلا عجيب
وقدُرُ الشيء يُعرف إذ يغيب
بلاداً لا يضيع بها أديب
وريحُ هوائها مسكٌ رطيب
يكاد من الحنين له يذوب
كلانا بعد صاحبه كئيب
ودع ما لا يُريب لما يُريب
فإنَّ الفجر أوله كذوب
يشيب بهوله من لا يشيب
وعيشي لا يلدُّ ولا يطيب
تهين الحرَّ والبلوى ضروب
ولا تخفى مع الفقر العيوب
كفقد الروح ذا من ذا قريب
وما أن كلُّ مُجتهد مُصيب
ولو تجرى لعاش بها اللبيب
فما يقضى بها أرباً أريب
فما حسناته إلا ذنوب

ومن نسيبه قوله في بادرة من حمام :

برزت من الحمام تمسح وجهها
عن مثل ماء الورد بالعُنباب
والماء يقطر من ذوائب شعرها
كالطل يسقط من جناح غراب
فكانها الشمس المنيرة في الضحى
طلعت علينا من خلال سحاب

ومن مقطوعاته أيضاً قوله :

وَمُتِّمٌ^(١) لو كان صوّر نفسه
ما كان يرضى بالصدود وإنما
كثرت عليه مسائل العشاق
وقال :

وإني وقد زانه جمال
ثلاثة ما لها مثال
فمن رآه رأى رياضاً
الورد والآس والبهار

ومن ذلك قوله في ذم إخوة السوء :

ليس لإخوة باللسان أخوة
لا أنت في الدنيا تُفرّج كربه
فإذا تُراد أخوتي لا تنفع
عني ولا يوم القيامة تشفع

وقال كذلك :

ولقد عرفت الدهر حين خبرته
فإذا الأخوة باللسان كثيرة
وبلوت بالحاجات أهل زمان
وإذا الدراهم مَيْلَق الإخوان

ومن ذلك قوله في ثقل :

تزلزلت الأرض زلزالها
فقالوا أئانا أبو عامر
فقلت لسكانها ما لها
فأخرجت الأرض أثقالها

ومن ذلك قوله في الصبر :

الدهر لا يُبقي على حالة
فإن تلقاك بمكروهه
لكنه يُقبل أو يُسدبر
فأصبر فإن الدهر لا يصبر

(١) وردت في الإسكوريال والزيتونة (ومتيم) والتصويب أرجح .

ومن ذلك قولة في الموت :

الموت سرُّ الله في خلقه وحكمةٌ دلَّت على قهره
ما أصعب الموت وما بعده لو فكر الإنسان في أمره
أيام طاعات الفتي وحدها هي التي تُحسب من عُمره
لا تُلهيك الدنيا ولذاتها عن نهْي مولاك ولا أمره
وأنظر إلى من ملك الأرض هل صحَّ له منها سوى قبره

نثره

قال في كتاب « روضة الأنس » ما نصه :

« ويتعلق بهذا الباب ، ما خاطبني به الفقيه الكاتب الجليل ، أبو بكر البرذعى من أهل بلدنا ، أعزه الله : أخبرك بعُجاب ، إذ لا سرٌّ دونك ولا حجاب ، بعد أن أتقدم إليك أن لا تعجل باللوم إلى قبل علم ما لدى ، فإن الدهر أخذع من كفة الحابل ، وقلب الإنسان للآفات قابل . مشيت يوماً إلى سوق الرقيق ، لأخذ حقَّ فؤاد عتيق . فرأيت بها جارية عسجدية اللون ، حديثة عهد بالصَّون ، متميلة القد ، قايمة النهْد ، بلحظ قد أوتى من السَّحر أوفر حظٍّ ، وفمٍ كشرطة رُشحت يدم . داخله سِمطان لولاهما ما عُرف النظم ، ولا حُكم على الدر للعظم ، في صدغها لآمان ، ما خطَّ شكلهما قلم ، ولا قصَّ مثلهما حِلْم . لما جيدٌ تتمناه الغيد ، وخضر هو قبضة الكفِّ في الحَصْر ، وردف يظلمه من يُشبه به بالحقف . ويدان خلقا للوشى . وقدمان أهلتا للثم لا للمشى ، فتطاولت إليها الأعناق . وبُذلت فيها الأعلاق ، والياسير عليها مُغرم^(١) في القوم . وتسوم أهل السَّوم ،

(١) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكور بال (يعزم) .

وكل فيها يزيد ، ليلبلغ ما يريد ، إلى أن جاء فتى صادق في حبه ، لا يبالي
 بفساد ماله في صلاح قلبه ، فعدّ المال عداءً ، ولم يجد غيره من التسليم
 بُداً . فلما فاتتني ، تركتُ الأشواق وأتتني ، وانتقضت عزائم صبري
 فما أتتني ، فالله الله ، تدارك أخاك سريعاً ، قبل أن تُلفيه من الوجد صريعاً ،
 واستنزله خادماً ، قبل أن تُصبح عليه نادماً ، ولن أحتاج أن أصفها إليك
 مع ما قصصته عليك ، وقد أهديتها دُرراً ، فخذها على وجه الفكاهة
 والدُّعابة .

ولا تطلع أخا جهلٍ عليها فمن لم يدّر قدر الشيء عابه

فأجبتُه ، نعم نعم ، أنعم الله بالكَ ، وسنى آمالك ، أنا بحول الله
 أرتادُ لك ، من نحو هاتيك ، ما يُسليك ويؤاتيك ، وإلا فبيضاً كاللّجين ،
 هل القلب والعين ، زهرة غُصن في روضة حُسن ، ذات ذوايب ، كأنها الليل
 على نهار ، أو بنفسيح في بهار . لها وجه أبهى من الغنى ، وأشهى من نيل المناء ،
 فيه حاجبان كأنهما قوس صنعت من السّبح ، ورُصّعت بعاج من البلح ،
 على عنين ساحتين ، بالعقل ساخرتين ، بهما تُصاب الكبود ، وتُشقّ
 القلوب قبل الجلود ، إلى فمٍ كأنه ختام مسك ، على نظام سلك ، سقاها
 الحُسن رحيقه ، فأنبَت دُرره وعقيقه ، وجيد في الحسن وحيد ، على
 صدر كأنه من مرمر ، فيه حُقَّت عاج طوقنا بعنبر ، قد خلقتنا للغُصن ، في
 جسم غُصن ، له خضر مُدمج ، وردفه يتموج ، وأطراف كالعُصم ، رُقست
 رقم القلم ، من اللّاي شَهدن ابن المؤمّل ، وقال في مثلها الأول ، إن هي
 تاهت فمثلها تاهاً ، أو هي باهت فمثلها باهاً ، من أين للغُصن مثل قامتها .
 أو أين للبدر مثل مرآها . ما فعلت في العقول صابية . ما فعلت في العقول

عينها . تَمْلِكُنِي بِالْهَوَى وَأَمْلِكُهَا : فَمَآنَا عَبْدُهَا وَمَوْلَاهَا ، فَأَيُّهُمَا لَسْتُ
 بِذَلْتُ فِيهِ الْجُهْد . وَأَرْقَيْتُ لِلْمَجْدِ وَالْوُدِّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَأَنَا فِيمَا عَرَضَ
 لِسَيِّدِي ، حَفِظَهُ اللَّهُ ، عَلَى مَا يُحِبُّ : أَعِزُّهُ وَلَا أَعْزِلُهُ ، وَأَنْصُرُهُ وَلَا أَخْذِلُهُ
 لَكِنِّي أَقُولُ كَمَا قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ . لَا يَنْبَغِي لِمَنْ قَلْبُهُ رَقِيقٌ ، أَنْ يَدْخُلَ
 سَوْقَ الرَّقِيقِ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَدْ جُمِعَ بَيْنَ الْمَالِ وَالْجَمَالِ : يَتَنَافَسُ فِي الْعَالِي ،
 وَيَسْتَرْخِصُ بِالثَمَنِ الْغَالِي ، وَلَا يُبَالِي بِمَا قَالَ الْأَيُّمَةُ ، إِذَا وَجَدَ مِنْ بِلَاقِمِهِ ،
 كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

مَا انْتِفَاعَ الْمُحِبِّ بِالْمَالِ إِذَا لَمْ يَتَوَصَّلْ بِهِ لَوْصِلَ الْحَبِيبُ
 إِنَّمَا يَنْبَغِي بِحُكْمِ الْهَوَى أَنْ يُنْفَقَ الْمَالُ فِي صَلَاحِ الْقُلُوبِ

وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِي ، مَا كَانَتْ الْفِكَاهَةُ مِنْ شَأْنِ الْوَفَا ، وَالْمَدَاعِبَةُ مِنْ شَيْمِ
 الظُّرْفَا ، وَرَحِمَهُ اللَّهُ وَبَرَكَاتِهِ .

مولده : وُلِدَ فِي مُحَرَّمِ سَنَةِ إِحْدَى وَسِتِّمِائَةٍ .

وفاته : تَوَفَّى فِي عَامِ أَرْبَعَةِ وَثَمَانِينَ وَسِتِّمِائَةٍ

نَقَلْتُ مِنْ خَطِّ صَاحِبِنَا الْفَقِيهِ الْمُؤَرِّخِ ، أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ . قَالَ :
 أَنْشَدَنِي الشَّيْخُ الرَّأْوِيَّةُ الْأَدِيبُ الْقَاضِي الْفَاضِلُ أَبُو الْحَجَّاجِ يَوْسُفُ بْنُ
 مُوسَى بْنِ سَلِيمَانَ الْمُنْتَشَاغِرِي ، قَالَ أَنْشَدَنِي الْقَاضِي الْفَاضِلُ أَبُو الْقَاسِمِ
 ابْنُ الْوَزِيرِ أَبِي الْحَجَّاجِ ابْنُ الْحُقَالَةِ . قَالَ أَنْشَدَنِي الْأَدِيبُ أَبُو الطَّيِّبِ
 صَالِحُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ يَزِيدُ بْنُ صَالِحٍ بْنُ شَرِيفِ الرُّنْدِيِّ لِنَفْسِهِ ، لِيَكْتُبَ
 عَلَى قَبْرِهِ :

خَلِيلِي بِالْوُدِّ الَّذِي بَيْنَنَا أَجْمَعًا إِذَا مِتُّ قَبْرِي عُرْضَةٌ لِلتَّرَحُّمِ

عننى مسلمٌ يدنو فيدعو برحمة فأنى محتاج لدعوة مسلم^(١)

حرف العين

من ترجمة الملوك والأمراء

عبد الله بن إبراهيم بن علي بن محمد التجيبي ، الرئيس

أبو محمد بن إشتيلولة

أوليسته

قد مرّ شيء من ذلك في اسم الرئيس أبي إسحق أبيه .

حاله

كان أميراً شهماً ، مضطّلاً بالقضية ، شهير المواقف ، أبي النفس ،
على الهمة . انتزى على خاله أمير المسلمين الغالب بالله^(٢) ، وكان أملاً

(١) من الذائع المعروف أن أبا الطيب الرندي (صالح بن شريف) هو ناظم قصيدة مرثية
الأندلس الشهيرة التي مطلعها (لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغير بطب الميش انسان) ، والتي
أوردها لنا المقرئ في نفع الطيب ، ونقلها فيما يرجع عن كتاب (الخير السنية في تاريخ الدولة المربنية)
والتي ما زالت حتى يومنا تحتفظ برنينها المخرن . وبالرغم من ابن الخطيب قد أورد لنا طائفة شتارة
من شعر أبي الطيب ، وفيها ثلاث قصائد من مطولاته ، فإنه لم يشر بكلمة واحدة إلى مرثيته الأندلسية ،
بالرغم من أنها من غرر قصائده . وهو أمر يدعو إلى الدهشة والتساؤل ، ولما أن الناصح لخطوط كتاب
«الإساحة» قد أغفل إيراد هذه القصيدة اختصاراً أو ظناً منه بأن شهرها ندى عن إيرادها . ولما أن
ابن الخطيب قد أغفل إيرادها عمداً . ذلك أن هذه القصيدة قد نظمت تحت انهباء الأندلس وسقوط
قواعدها الكبرى ، وفزول ابن الأحمر مؤسس ملكة غرناطة عن عدد كبير من البلاد والحصون للصارى .
وقد كان ابن الخطيب من أولياء نعمة بني نصر (بنى الأحمر) ملوك غرناطة ورييب نسبهم ، وربما
رأى أن وجود هذه القصيدة في مؤلفه قد يسيء إلى ذكريات ابن الأحمر الكبير ، الذي وقعت في
عهده محنة الأندلس ، ثم نظمت القصيدة في عصره أيضاً بقلم شاعر الأثر أبي الطيب فرأى إغفالها .

(٢) أمير المسلمين المشار إليه هو حبيب بالله محمد بن يوسف بن الأحمر

مؤسس ملكة غرناطة (٦٣٥ - ٦٤٠ هـ)

لما بيده من مدينة وادي آش وما إليها ، مُعَزِّزاً بِأَخِيهِ الرَّئِيسِ أَبِي الْحَسَنِ
مُظَاهِرُهُ فِي الْأَمْرِ ، وَمُشَارِكُهُ فِي السُّلْطَانِ ، وَاسْتَمَرَّتْ الْحَالُ مَدَّةَ حَيَاةِ خَالِهِ
السُّلْطَانِ . وَلَمَّا صَارَ الْأَمْرُ إِلَى مُخِيفِهِ وَلَى الْعَهْدِ^(١) . اسْتَشْرَى الدَّاءَ ،
وَأَغْضَلَ الْأَمْرَ ، وَعَمَّتِ الْفِتْنَةُ ، وَزَاخَمَهُ السُّلْطَانُ بِالْمُنْكَبِ ، انْفَجَمَ ،
واعتنوره بالحيلة ، حَتَّى تَحْيَفَ أَطْرَافَهُ ، وَكَانَ مَا هُوَ مَعْلُومٌ ، مِنْ إِجَازَةِ
أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ أَبِي يَوْسُفَ يَعْقُوبَ بْنِ عَبْدِ الْحَقِّ^(٢) الْبَحْرَ إِلَى الْجِهَادِ .
وَمَالَ الْحَالُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السُّلْطَانِ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَصْرِ إِلَى
التَّقَاطُعِ ، وَتَصَيَّرَتْ مَالِقَةٌ إِلَى الْإِيَالَةِ الْمَغْرِبِيَّةِ^(٣) ، ثُمَّ عَادَتْ إِلَى السُّلْطَانِ .
وَفِي أَخْرِيَاتِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ ، أَحْكَمَ السُّلْطَانُ مَعَ طَاغِيَةِ الرُّومِ ، السَّلْمَ ،
وَصَرَفَ وَجْهَهُ إِلَى مَطَالِبَةِ الرَّئِيسِ أَبِي مُحَمَّدٍ ، صَاحِبِ وَادِي آش ، فَالْجَاءَ
الْحَالُ إِلَى أَنْ صَرَفَ الدَّعْوَةَ بِوَادِي آش إِلَى السُّلْطَانِ بِالْمَغْرِبِ وَرَفَعَ شِعَارَهُ ،
فَأَقْعَدَ عَنْهُ . وَوَقَّعَتْ مَرَاثِلَاتُ ، أَجَلَّتْ عَنْ انْتِقَالِ الرَّئِيسِ أَبِي مُحَمَّدٍ إِلَى
الْمَغْرِبِ ، مَعُوْضاً عَنْ مَدِينَةِ وَادِي آش بِقَصْرِ كِتَامَةِ^(٤) . وَذَلِكَ فِي عَامِ تِسْعَةِ
وِثْمَانِينَ وَسِتِّمِائَةٍ .

(١) وَلَى الْعَهْدِ الْمَشَارِإِلِيهِ هُوَ وَلَدُهُ السُّلْطَانُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدٌ (٦٧١ - ٧٠٢) الْمَلَقَبُ
بِالْفَقِيهِ لِعِلْمِهِ وَتَقْوَاهُ ، وَهُوَ ثَانِي مَلُوكِ غَرْنَاطَةِ بَعْدَ أَبِيهِ .

(٢) هُوَ أَعْظَمُ سُلَاطِينَ بَنِي مَرِينٍ مَلُوكِ الْمَغْرِبِ ، وَهُوَ الَّذِي قَضَى نَهْائِيَا عَلَى دَوْلَةِ الْمُوَحِّدِينَ
(سنة ٦٦٨ هـ) . وَعَبَّرَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ بِرِسْمِ الْجِهَادِ ، وَأَحْرَزَ عَنِ النَّصَارَى عِدَّةَ انْتِصَارَاتٍ
بَاهِرَةٍ اسْتَحَقَّ مِنْ أَجْلِهَا لِقَبَّ الْمَنْصُورِ . وَتَوَفَّى سَنَةَ ٦٨٥ هـ ، وَتَرَكَ دَوْلَةَ بَنِي مَرِينٍ الْفَتِيَّةَ فِي أَوْجِ
قُوَّتِهَا وَبِحُدُودِهَا .

(٣) وَرَدَّتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ وَالزَّيْتُونَةِ (الْمَغْرِبِيَّةِ) وَهُوَ تَجْرِيفٌ وَالْمَقْصُودُ (بِالْإِيَالَةِ الْمَغْرِبِيَّةِ)
هَذَا الْمَمْلَكَةُ الْمَغْرِبِيَّةُ أَوْ مَمْلَكَةُ بَنِي مَرِينٍ .

(٤) قَصْرُ كِتَامَةِ أَوْ الْقَصْرِ الصَّغِيرِ ، هُوَ مِيْنَاءُ مَغْرِبِي صَغِيرٌ يَتَنَعُّ عَلَى مَضِيقِ جَبَلِ طَارِقٍ فِي
مَنْتَصَفِ الْمَسَافَةِ بَيْنَ سَهْتَةٍ وَطَنْجَةٍ ، قِبَالَةَ ثَغْرِ طَرْيَفِ الْإِسْبَانِي . وَقَدْ كَانَ فِي مَنْسَبَتِ عَدِيدَةٍ ، مَنْزِلُ
الْجِيُوشِ الْفَازِيَّةِ إِلَى الْأَنْدَلُسِ وَالْآتِيَةِ مِنْهَا .

وفاته

دخلتُ قصر كِتامة يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من ذى قعدة عام
خمس وخمسين وسبعمائة في غرض الرسالة ، وزُرْتُ مقبرة الرؤساء بنى
إشقيدولة بظاهرها ، وفي قُبَّة ضخمة البناء رَحِيبة الفناء ، نسيجة وحدها
بذلك البلد ، بين منازل البلى ، وديار الفناء ، وبها قبر الرئيس أبي محمد
هذا ، عن يسار الداخل ، بينه وبين جدار القبلة قبر ، وسنامه رخام
مكتوب عليه :

قبر عزيز علينا لو أنَّ من فيه يُفدا
أَسَكَنْتُ قَرَّةَ عيني وقطعة القلب لَحدا
ما زال حُكْمًا عليه وما القضاء تَعَدَّا
فللصبر أحسن ثوب به العزيزُ تَرَدَّا

وعند رأس السنام الرخامى ، مَهْدٌ مائلٌ من الرخام فيه :

« أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، صَلَّى اللَّهُ
عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا . هذا قبرُ الرئيس الجليل ، الأَعْلَى
الهُمَام ، الأَوْحَد ، الأَسْعَد ، المبارك ، الأَسْنَى ، الأَسْمَى ، الأَخْفَل ، الأَكْمَل ،
المجاهد ، المقدس ، المرحوم ، أبي محمد عبد الله ، ابن الرئيس الجليل ،
الهُمَام ، الأَوْحَد ، الأَسْعَد ، المبارك ، الأَمْضَى ، الأَسْنَى ، الأَسْمَى ، المعظم ،
المرقَّع ، المجاهد ، الأَرْضَى . المقدس ، المرحوم أبي إسحق إبراهيم بن
إشقيدولة ، رحمه الله وعفا عنه ، وأَسَكَنَهُ جَنَّتَهُ . ظهر عفا الله عنه ،
بوادى آش . أَمَّنْهَا اللَّهُ ، قاعدة من قواعد الأندلس ، وتَسَلَّطَن ، ونُشِرَتْ
علامات سلطنته . وضربت الطبول . وجاهد منها العدو . قَصَمَهُ اللَّهُ ،
وظهر على خاله سلطان الأندلس . وأقام في سلطنته . نحواً من ثلاث

وعشرين سنة . ثم قام بدعوة الملك الأعلى ، السلطان المؤيد المنصور ، أمير المسلمين ، المؤيد بالله أبي يعقوب أيده الله بنصره ، وأمدّه بمعونته ويُسره ، وأمره أيده الله ، أن يتخلى عن وادى آش المذكورة ، ويَصِل للمغرب ، فتنحى عن الأندلس للمغرب^(١) ، آنسهُ الله ، في جمادى الأولى من عام ستة وثمانين وستاية ، فأعطاه أيده الله ، قصر عبد الكريم^(٢) آمنه الله ، وأنعم عليه ، فأقام به مدة من ثمانية أعوام ، وجاز منه إلى الأندلس ، آمنها الله ، وجاهد بها مرتين ، ثم رجع إلى قصر عبد الكريم المذكور ، وتوفى ، شرف الله روحه الطيبة المجاهدة ، عشى يوم السبت العاشر من شهر محرم سنة خمس وتسعين وستاية .

عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس بن ماكسن بن زيرى بن مناد الصنهاجى

أمير غرناطة .

أوليته : قد مرّ من ذلك فى اسم جدّه ما فيه كفاية .

حاله

لقبه المُظفّر بالله ، الناصر لدين الله . ولى بعد جدّه باديس فى شوال سنة خمس وستين وأربعمائة ، وصحبه سِماجه الصنهاجى تسع سنين . قال الغافقى ، وكان قد حاز خطأ وافرا من البلاغة والمعرفة ، شاعرا ، جيّد

(١) وردت فى الإسكوريال (الغرب) فاقتضى التصويب .

(٢) ما جاء فى هذا النقش الذى على القبر ، يخالف ما تقدم من أن السلطان أيا يوسف بعث بإرئس عبد الله إلى قصر كتامة أو القصر الصغير ، موصيا إياه به عن وادى آش . أما قصر عبد الكريم أو القصر الكبير فهى بلدة تقع داخل المغرب على مقربة من ثغر العرايش .

الشعر ، مَطْبُوعُهُ ، حسن الخط . كانت بغرناطة رُبْعَةٌ مُصَحَّفٌ بِخَطِّهِ فِي
نهاية الصُّنْعَةِ وَالْإِتْقَانِ . ووصفه ابن الصَّيْرَفِي فَقَالَ ، كَانَ جَبَانًا مُغْمَدَ
السيف ، قلقًا ، لَا يَثْبِتُ عَلَى الظَّهْرِ ، عِزَاهَا لَا أَرَبَ لَهُ فِي النِّسَاءِ ، هَيَّابَةً ،
مُفْرَطَ الْجَزَعِ ، يَخْلُدُ إِلَى الرَّاحَاتِ ، وَيَسْتَوِزِرُ الْأَغْمَارَ .

خلعه

قال ، وفي عام ثلاثة وثمانين وأربعمائة ، تحرَّك أمير المسلمين ، يوسف
ابن تاشفين ، لخلع رؤساء الأندلس ، فَأَجَازَ الْبَحْرَ ، وَبِعَمَّ قَرْطَبَةَ ،
وَتَوَاتَرَتِ الْأَنْبَاءُ عَنْ حَفِيدِ بَادِيَسَ صَاحِبِ غِرْنَاطَةِ ، بِمَا يُغَيِّظُهُ وَيُحْقِدُهُ ،
حَسْبًا تَقْدِمَ فِي اسْمِ مُؤْمَلٍ ، مَوْلَى بَادِيَسَ . وَقَدَّمَ إِلَى غِرْنَاطَةِ أَرْبَعَ مُحَلَّاتٍ ،
فَنَزَلَتْ بِمَقْرَبَةٍ مِنْهَا ، وَلَمْ تَمْتَدَّ يَدٌ إِلَى شَيْءٍ يَوْجِدُ ، فَسُرَّ النَّاسُ وَاسْتَبَشَرُوا ،
وَأَمِنَتِ الْبَادِيَةُ ، وَتَمَایِلُ أَهْلِ الْحَاضِرَةِ إِلَى الْقَوَى . وَأَسْرَعَ حَفِيدُ بَادِيَسَ
فِي الْمَالِ بِنَا : وَالْحَقَّ السُّوقَةُ وَالْحَاكَّةُ ^(١) ، وَاسْتَكْثَرَ مِنَ اللَّفِيفِ ، وَالْحَجِّ
بِالْكَتِّبِ عَلَى أَذْفُونَتِهِ بِمَا يُطْمَعُهُ . وَتَحَقَّقَ يَوْسُفُ بْنُ تَاشْفِينِ اسْتِشْرَافَ
الْحَضْرَةِ إِلَى مَقْدَمِهِ ، فَتَحَرَّكَ . وَفِي لَيْلَةِ الْأَحَدِ لثَلَاثَ عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ رَجَبٍ .
اجْتَمَعَ إِلَى حَفِيدِ بَادِيَسَ صِنَائِعُهُ ، فَخَوْفُوهُ مِنْ عَاقِبَةِ التَّرْبِصِ ، وَحَمَلُوهُ عَلَى
الْخُرُوجِ إِلَيْهِ ، فَرَكِبَ وَرَكِبَتْ أُمُّهُ وَتَرَكَ الْقَصْرَ عَلَى حَالِهِ ، وَلَقِيَ أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ
عَلَى فَرَسَخَيْنِ مِنَ الْمَدِينَةِ ، فَتَرَجَّلَ ، وَسَلَّاهُ الْعَفْوُ ، فَعَفَا عَنْهُ ، وَوَقَفَ عَلَيْهِ ،
وَأَمَرَهُ بِالرُّكُوبِ ، فَرَكِبَ ، وَأَقْبَلَ حَتَّى نَزَلَ « بِالْمَشَايِخِ » ^(٢) مِنْ خَارِجِ
الْحَضْرَةِ . وَاضْطَرَبَتِ الْمُحَلَّاتُ ، وَأَمَرَ مُؤْمَلًا بِتَقَافِهِ فِي الْقَصْرِ ، فَتَوَلَّى ذَلِكَ ،
وَخَرَجَ الْجَمُّ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، فَبَايَعُوا أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ يَوْسُفَ بْنَ تَاشْفِينِ .
فَلَقِيَهُمْ ، وَأَنَسَهُمْ ، وَسَكَّنَ جَاشَهُمْ ، فَاطْمَأَنَّنُوا . وَسَهَّلَ مُؤْمَلٌ إِلَيْهِ دُخُولَ

(١) الْحَاكَّةُ أَعْنَى السَّفَلَةُ وَأَهْلُ الشَّرِّ ، وَمِفْرَدُهَا (الْحَاك) .

(٢) هُوَ ، كَمَا يَبْدُو ، مَكَانٌ مِنْ ضَوَاعِي غِرْنَاطَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، يَصِيبُ الْيَوْمَ تَعْدِيدَ مَوْقِعِهِ .

الأعيان ، فأمر بكتب الصُّكوك ، ورفع أنواع القَبالات والخراج ،
إلا زكاة الغن ، وصَدَقَة الماشية ، وعُشْر الزَّرْع . واستقصى ما كان بالقصر ،
فظهر على ما يحول الناظر ، ويرُوع الخاطر ، من الأغلاق والذخيرة ،
والحُلَى ، ونفيس الجَوْهر ، وأحجار الياقوت ، وقَصَب الزُّمرد ، وآنية
الذهب والفضة ، وأطباق البلُّور المُحكَّم ، والجرذاذنان^(١) ، والعراقيات ،
والثياب الرِّفِيعَة ، والأنماط ، والكَلَل ، والسَّتاير ، وأوطية الديباج ، مما
كان في ادِّخار باديس واكتسايه . وأقبلت دوابُّ الظَّهر من المُنكَّب بأحمال
السَّبيك والمَسْبُوك ، واختلفت أم عبد الله لاستخراج ما أودع بطن
الأرض ، حتى لم يبق إلا الخَرثي والثَّقْل والسَّقْط . وزَّع ذلك الأمير على
قَواده ، ولم يستأثر منه بشيء . قال ، ورَغِب إليه مؤمِّل في دخول القصر ،
فركَّب إليه ، وكثر استحسانه إياه ، وأمر بحِفْظِه . وتفقد أوضاعه
وأفنيته . ونُقل عبد الله إلى مَرَّاكش ، وسنه يوم خلع ، خمس وثلاثون
سنة وسبعة أشهر ، فاستقرَّ بها هو وأخوه تميم ، وحلَّ اعتقالهما ، ورُفَّه عنهما ،
وأجرى المرتَّب والمُساهمة عليهما . وأحسن عبد الله أداء الطاعة ، مع لين
الكلمة ، فقُضِيَت مآربه ، وأسعِفَت رَغباته ، وخَفَّ على الدولة ، واستراح
واستريح منه ، ورُزِق الولد في الخُمول ، فعاش له ابنان وبنت ، جَمَعَ لهم
المال . فلما تُوفى ترك مالا جَمًّا^(٢) .

(١) هكذا وردت في المخطوط . وربما كانت (الجرجانيات) .

(٢) كان الأمير عبد الله بن بلقين ، حسبما وصفه لنا الناقد ، أدبياً شاعراً . وقد ترك
لنا كتاباً عنوانه « البيان » وهو عبارة عن مذكرات في ترجمة حياته وحوادث عصره ، وهو عصر
ملوك الطوائف ، ويتناول فيها مقدم بى زيرى إلى الأندلس ، وإمارة والد جده جبوس بن ماكسن ،
ثم إمارة جده باديس بن جبوس ، وحوادث عصره ، وحروبه وسير ، ملوك الطوائف المعاصرين .
ومقدم المرابطين وتدخلهم في شؤون الأندلس ، ثم يتناول حوادث حياته الشخصية ، حتى انهاء
ملكه واستسلامه للأمير المسلمين يوسف بن تاشفين . وقد كتب هذا السفر عبد الله بن بلقين أثناء
حياته في المنفى ، وأخرجه لنا العلامة الأستاذ لى بروفنسال بعنوان « مذكرات الأمير عبد الله »
(القاهرة - دار المعارف - ١٩٥٥) .

مولده

ولد عبد الله سنة سبع وأربعين وأربعمائة .

عبد الله بن علي بن محمد التَّجِيبِي ، الرئيس أبو محمد بن إشتَقِيلُولَة^(١)

حاله

كان رئيساً شجاعاً ، بُهْمَةً ، حازماً ، أَيْدُاً ، جَلِيداً . تولى مدينة مَالَقَةَ ، عقب وفاة الرئيس واليها أبي الوليد بن أبي الحجاج بن نصر ، صِنْو أمير المسلمين ، الغالب بالله ، في أوائل عام خمسة وخمسين وستماية . وكان صهر السلطان على إحدى بناته ، وله منه محلٌ كبير ، ومكان قريب ، وله من مُلكه حظٌ رَغِيب . واستمرت حاله إلى عام أربعة وستين وستماية ، وفَسَد ما بينه وبين وليّ العهد ، الأمير أبي عبد الله محمد بن أمير المسلمين أبي عبد الله الغالب بالله ، إذ وَغَر له صدره ، ولابني أخيه الرئيسين أبي محمد وأبي الحسن إبنَي الرئيس أبي إسحق بن إشتَقِيلُولَة المتأمرين بوادي آش ، فضايقهم وأخافهم ، بما أَدَاهُم إلى الامتناع ، والدُّعَاء لأنفسهم ، والاستِمْسَاك بما بأيديهم ، وعَمَّت المسلمين الفتنة المنسوبة إليهم . فانتزى هذا الرئيس بمدينة مَالَقَةَ ، وكان أَمْلَكَ لما بيده ، واستعان بالنَّصْرِي ، وشَمَّر عن ساعد الجِدِّ ، فأباد الكثير من أعيان البلدة ، في باب تَوْسَمِ التَّهْم ، وتَطَرَّق السعَايات ، واستولى على أموالهم . واستمرت الحال بين حرب أَجَلت فيها غَلَبَةُ الأمير مخيفه ، ولي العهد ، بجيش النَّصْرِي ، ونازل مَالَقَةَ أربعين يوماً ، وشَعَث الكثير بظاھرھا ، وتسمَّى بعَلَم الأمير عند أهل مَالَقَةَ ،

(١) هذه الترجمة ساقطة في الزيتونة .

وما بين سلم ومُهادنة . وفي عام ستين وستاية ، نازله السلطان الغالب بالله صِهْرَه ، وأعيا عليه أمرُ مالقة ، لاَضْطِلاع هذا الرئيس بأمره ، وَضَبَطَ مَنْ لِنَظَرِه ، واستَمْسَاكه بِعُرْوَةِ حَزْمِه .

وفي بعض الأيام ، ركب السلطان في ثلاثة من ممالِيكه ، متَخَفِياً^(١) ، كاتماً غرضه ، وقعد بباب المدينة . فلما بَصُرَ به الرجال القايَمون به ، هالهم الأمر ، وأَذْهَشَتْهُمُ الهَيْبَةُ ، فَأَفْرَجُوا لَهُ ، مُوقِّرِينَ لَجَلالِه ، آتِسِينَ لِقَلَّةِ أَتِباعِه ، فدخل ، وقصد القَصْبَةَ ، وقد نُذِرَ به الرئيس أبو محمد ، فبادر إليه راجِلاً ، مُتَبَدِّلاً ، مُهْرَولاً^(٢) ، حافياً . ولما دنا منه ، تَراعى على رِجْلِيهِ يُقَبِّلُهُمَا ، إظهاراً لحَقِّ أُبُوَّتِه ، وتعظيماً لِقَدْرِه ، ودخل معه إلى بِنْتِه وَحَفَلَتِه ، فتراعى الجميع على أطرافه يَلْتِمِسُونَهَا ، ويتعلَّقون بأذياله وأذْرانِه ، وهو يبكي إظهاراً لِلشَّفَقَةِ والمودَّة ، وتكلَّم الجميل . وأقام معهم بَياض يومه ، ثم انصرف إلى محلَّتِه ، وأتبعه الرئيس ، فأمرَه بالاستمساك بِقَصْبَتِه وملازمة محلِّ إِمْرَتِه ، وما لبث أن شرع في الارتحال عن ألْطافٍ ومُهادات ، وتقدير جِرايات ، وإحكام هَدِيَّة ، وتقدير إِمارة ، إلى أن توفى السلطان رحمه الله ، فعادت الفتنَةُ جَزَعَةً ، ووالى ولدهُ أمير المسلمين بعده ، الضرب على مالقة ، إلى أن هلك الرئيس أبو محمد ، واستقر بالأُمور ولدهُ المذكور في المحمَّدين ، وكان من الأمر ما يَنْظُرُه في مكانه من أراد استيفاءه بحول الله .

عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد العزفي

يكْنى أبا طالب ، الرئيس الفقيه ، الكبير الشهير ، صاحب الأمر

(١) وردت في الإسكوريال (مخفياً) والتصويب أنسب للسياق .

(٢) وردت في الإسكوريال (مهزولاً) . والتصويب أنسب للسياق .

والرياسة والإمارة بسببته ، نيابة عن أخيه الرئيس الصالح أبي حاتم بحكم الاستقلال في ذلك ، والاستبداد التام ، من غير مطالعة لأخيه ولا رجوع إليه في شيء من الأمور ، ولا تشوف من أخيه إلى ذلك ، لخروج البتة عنه ، وإيثاره العزلة . واشتغاله بنفسه .

حاله

قد تقدم من ذكر أوليته ما فيه كفاية . وكان من أهل الجلال والصيانة ، وطهارة النشأة ، حافظاً للحديث ، ملازماً لتلاوة كتاب الله عارفاً بالتاريخ ، عظيم الهيبة ، كبير القدر والصيت ، على المهمة ، شديد البأ ، معظماً عند الملوك ، جميل الشارة ، مُمَثِّل الإشارة لديهم ، عجيب السكينة والوقار ، بعيد المرعى ، شديد الانقباض ، مُطاع السلطان بموضعه مَرْهُوب الجانب ، من غير إيقاع بأحد ، ولا هتك حرمة ، محافظاً على إقامة الرسوم الحنبية والدينية .

مشيخته

قرأ على الأستاذ أبي الحسين بن أبي الربيع وغيره .

نكبته

« تَغْلِبْ عَلَى بَلَدِهِ أَيَّامَ إِمَارَتِهِ ، وَثَارَ أَهْلُهُ إِلَيْهِ فِي السَّلَاحِ وَالْمُدَّةِ لِيُحِيطُوا بِمَنْ فِي الْقَصَبَةِ . فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ ، وَشَكَرَ مَسَاعِيَهُمْ ، وَقَالَ : فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كُنْ عَبْدَ اللَّهِ الْمَقْتُولِ ، وَلَا تَكُنْ عَبْدَ اللَّهِ الْقَاتِلِ . فَانصَرَفُوا . وَدَخَلَ مَنْزِلَهُ ، مُلْقِيًا بِيَدِهِ ، وَمُسَلِّمًا لِقَضَاءِ اللَّهِ [سبحانه] (١) فِي كِبَرِهِ ، إِلَى أَنْ تُبْعَثَ عَلَيْهِ ، وَعَلَى سَائِرِ بَنِيهِ وَقَوْمِهِ ، عِندَ ارْتِفَاعِ (٢) النَّبِيِّ »

(١) هذه الزيادة من الزيتونة .

(٢) وردت في الإسكوريال (امناع) والصويب من الزيتونة .

وانتشار المُتَغَلِّبِينَ على القَصْبَةِ ، فَنَقَفُوا متَحَرِّجِينَ من دماء المسلمين ،
وَصُرفوا إلى الأَنْدَلُسِ ، في ضُحُو يوم الخميس الثاني عشر من ذى قعدة عام
خمسَ وسبعمائة ، بعد انقضاء خمسة عشر يوماً من تملك بلدهم . فاستقر
بغرناطة ، تحت سِتْر واحترام ، وجِراية فيها كفاف . ثم لما خرجت سَبْتَة
عن طاعة أمير المسلمين ، انصرف القَوْمُ إلى فاس ، فتوفي بها .
وفاته : في شعبان المكرم من عام ثلاثة عشر وسبعمائة .

عبد الله بن الجبير بن عثمان بن عيسى بن الجبير اليحصبي

من أهل لَوْشَة ، وهو مخسُوب من الغرناطيين . قال الأستاذ ، من
أعيانها ذوى الشرف والجلالة ، قلت يُنسب إليه بها معاهد تدل على قِدَمِ
وأصالة .

حاله

قال أبو القاسم الملاحى ، كان أديباً بارع الأدب ، كاتباً ، بليغاً ،
شاعراً مطبوعاً ، لَسِناً مُقَوَّهاً ، عارفاً بالنحو والأدب واللغات . وقد مال فى
عُنفوان شببته إلى الجُنْدِيَّة لشهامته ، وعزَّة نفسه ، فكان فى عَسْكر المأمون
ابن عَبَّاد ، واشتَمَل عليه المأمون ، وكان من أَظرف الناس ، وأملَحهم
شِيبةً ، وأحسنهم شارةً ، وأتمهم معرفة .

مشيخته

أخذ عن أشياخ بلده غرناطة ، وأخذ بمالقة عن غانم الأديب .
وبقرطبة عن ابن سراج

شعره

وله في إنشاده لدى المأمون مجال رَحْبٌ ، فمن ذلك قوله :

يا هاجرِين أَضَلَّ اللهُ سَعِيَكُمْ كم تهجرون محبِّيكم بلا سبب
ويا مُسِرِّين للإِخْوان غائِلَةً ومُظْهِرين وجوه البرِّ والرحب
ما كان ضررُكم الإِخلاص لو طُبِعَتْ تلك النفوس على عُلْياء أو أدب
أشبهَتْهم الدهر لما كان والدُكم فأنتم شرُّ أبناءٍ لشرِّ أبٍ

عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد بن علي الساماني

والد المؤلف ، رضى الله عنه ، يُكنى أبا محمد ، غرناطى الولادة
والاستيطان ، لَوْشَى الأَصْل ، ثم طَلَيْطِلِيه ، ثم قُرْطَبِيه .

أوليتته

كان سَلَفُه يعرفون بقرطبة ، ببني وزير ، وهم بها أهلُ نباهة ، وبيتهم
بيت فقيهٍ وخَيْرِيَّةٍ وماليَّةٍ ، ونجارهم نِجارُ فرسان يمانِيَّةٍ . ولما حَدَّثَ على
الحَكَم بن هشام الوَقِيعة الرِّبْضِيَّة ، وكان له الفُلج ، وبأهل الرِّبْض الدِّبرة ،
كأنَّ أعلامُ هذا البيت من الجالِيَّة أَمام الحِكم ، حسبما امتُحن به الكثير
من أعلام المشيخة بها ، كالفقيه طالوت ، ويحيى بن يحيى ، وغيرهم ،
ولحِقُوا بطلَيْطِلَة ، فاستقروا بها ، ونَبأ بهم وطنُهم ، ثم حَوَّموا على سُكنى
المَوْسَطَة ، وآب إلى قرطبة قَبْلَهم بعد عهدٍ مُتَقادِم ، ومنهم خَلَف
وعبد الرحمن ، وقد مرَّ له ذِكرٌ في هذا الكتاب . ووُلَّى القضاء بالكُورة .
ومنهم قوم من قرابتهم تملَّكوا مُنْتَفِرِد^(١) ، الحصن المعروف الآن بالمَنعة

(١) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة .

والخُصْب ، وتمدّن فيهم ، وبُنيت به القلعة السّامية ، ونُسب إليه ذلك
المجد ، فهم يُعرفون ببلدنا ببني المُنتفريدين . واستقرّ منهم جدُّنا الأعلى
بلَوْشَة خطيباً وقاضياً بالصُّبْع ومُشاوراً^(١) وهو المُضاف إلى اسمه التَّسْوِيد
بلَوْشَة عُرْفاً كأنه اسمُ مُركَّب ، فلا يقول أحد منهم في القديم إلا سيّدِي
سعيد . كذا تعرّفنا من المشيخة ، وإليه النّسبة اليوم ، وبه يُعرف خَلْفُه
ببني الخطيب ، وكان صالحاً فاضلاً ، من أهل العلم و العمل . حدثني
الشيخ المُسنُّ أبو الحكم المنتفريدي ، وقد وقَفَني على جِدَار بُرج ببعض
أَملاكنا بها ، على الطّريق الآتية من غرناطة إلى لَوْشَة ، ثم إلى غيرها ،
كإشبيلية وسواها ، فقال كان جدُّك يسكن بهذا البرج كذا من فصول العام ،
ويتلو القرآن ليلاً ، فلا يَمُلك المارُّون على الطّريق ، أن يقربوا إضغَاءً لحُسن
تِلاوته وخُشوعاً . وكان ولدُه عبد الله بعده ، على وَتيرة حسنة من الخير والنّباهة
وطيب الطّعمة ، ثم جدّه الأقرب سعيد على سُننه ، مُربٍ عليه بمزيد المعرفة ،
وحُسن الخطِّ . ولما وقع بلَوْشَة بِلده ، ما هو معروف من ثورة أصهارهم من
بني الطَّنْجَالِي ، وكان بينهم ما يكون بين الفحول في الهجَمات من التّشاجر ،
فرَّ عنهم خيفةً على نفسه ، وعلى ذلك فناله^(٢) اعتقال طويل ، عدا به
عليه عن تلك الثورة . ثم بان عُذره ، وبُرئت ساحته ، واستظهر به السلطان ،
وأقام بغرناطة ، مُكرِّماً ، مُؤثراً ، مُؤمّناً ، وصاهر في أشراف بيوتاتها ،
فكانت عنده بنتُ الوزير أبي العليّ أضحى بن أضحى الهمداني ، وتُوفيت
تحتّه ، فأنجز له بسببها الحظُّ في الحِمَام الأعظم المنسوب إلى جدّها اليوم .
ثم تزوج بنت القايِد أبي جعفر أحمد بن محمد الجعْدالة السّلمى ، أم

(١) كانت « الشورى » من الخطط الفرعية الملحقة بالقضاء في العصور الأخيرة بالأندلس ،
ويطلق على من يتقلدها « المشاور » ، واختصاصها بدور حول الإفتاء وإبداء الرأى في المسائل
الشرعية . (٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (ناله) .

الأب المترجم به ، ولها إلى السلطان ثانی ملوك بنى نصر وعظيمهم^(١) ،
مَنَاتٌ بَبْنُوَّةُ الخُؤُولَةِ من جهة القنّواد الأَصْلَاءِ القرطبيين بنى دحون ، فَوَضَحَ
القصد ، وتَأَكَّدَتِ الحُظُوةُ . وقد وَقَعَتْ الإشارة إلى ذلك كله فى محلّه .
ثم رَسَخَتْ لولده أبى ، القِدْمُ فى الخِدْمَةِ والعناية ، حسبما يتقرر فى موضعه .

حاله

كان رحمه الله فذاً فى حُسن الشكل والأُبْهة ، وطلاقة اللسان ، ونصاعة
الظرف ، وحضور الجواب ، وطيب المجالسة ، وثُقُوب الفهم ، مُشاراً إليه
فى الحلاوة وعُدُوْبَةِ الفكاهة ، واسترسال الانبساط ، مُغَيِّياً فى ميدان الدُّعابة ،
جَزْلاً ، مَهيباً ، صارماً ، مُتَجَنِّداً ، رايق الخُضُل رَكْضاً وثقافةً ، وعدّواً
وسباحةً وشَطْرُنْجاً ، حافظاً للمُثل واللُّغة ، إخبارياً ، مضطلعاً بالتاريخ ،
ناظماً ناثراً ، جميل البِزّة ، فارِه المُرْكَب ، مليح الشَّيْبَةِ . نشأ بغرناطة
تحت تَرْفٍ وَنِعْمَةٍ ، من جهة أمّه وأبيه ، وقرأ على أبى إسحق بن زُرْقَال ،
وأبى الحسن البَلُّوطى ، ثم على أستاذ الجماعة أبى جعفر بن الزُّبَيْر ، ظاهرةً
عليه مُخَيَّلَةُ النَّجَابَةِ والإدراك . ثم أَقْصَرَ لعدم الحامل على الدُّؤُوب ،
وانتقل إلى بَلَد سَلَفِهِ ، متحيفاً الكثير من الأصول فى باب البَذَل وقِرَى
الضُّيُوف ، ومُداومة الصَّيد ، وإيثار الراحة ، مُعْتَمِداً بالتَّجَلَّة ، مَقْصُود
الحِلَّة ، مخطوب المُدَاخِلَةِ ، من أبناء أشراف الدولة ، مُنْتَجِعاً لأولى الكُدِيَةِ .
ولما قام بالأمر السلطان ، أمير المسلمين أبو الوليد ، وأمّه بنت السلطان
ثانى الملوك من بنى نصر ، جَزَمَ ما تقدّم من المَنَات والوسيلة ، اسْتَنْهَضَهُ

(١) ثانى ملوك بنى نصر ، هو السلطان محمد بن محمد بن يوسف بن الأحمر الملقب بالفقيه
للمه وتقواه . حكم ملكة غرناطة عقب وفاة أبيه فى سنة ٦٧١ هـ (١٢٧٢ م) حتى وفاته فى سنة
٧٠١ هـ (١٣٠٢ م) .

للإعانة على أمره ، وجعل طريقه على بلده ، فَحَطَبَ^(١) في حَبْلِهِ ، وتمسك بدعوته ، واعتمده بنزله وضيافته ، وكان أعظم الأسباب في حصول الأمر بيده ، ودخوله في حكمه ، وانتقل إلى حضرة الملك بانتقاله ، فنال ما شاء من اصطناعه ، وحظوته ، وجرى له هذا الرسم في أيام من خليفه من ولده إلى يوم الوقعة الكبرى بطريف تاريخ فقده .

وجرى ذكره في كتاب « الإكليل » بما نصه : إن طال الكلام ، وجمحت الأقلام ، كنت كما قيل ، مَادَحُ نفسه يُقَرُّكَ السلام ، وإن أَحْجَمْتُ ، فما أَسْدَيْتُ في الثناء ولا أَلْحَمْتُ ، وَأَضَعْتُ الحقوق ، وَخِفْتُ ومعاذ الله العُقُوق . هذا ، ولو أَنِّي زَجَرْتُ طَيْرَ الْبَيَانِ مِنْ أَوْكَارِهِ ، وَجِيتَهُ^(٢) بعيون^(٣) الإحسان وأبكاره ، لما قضيت حقه بعد ، ولا قلت إلا التي علمت سعد . فقد كان رحمه الله ذَمَرَ عزم ، ورجل رخاء وأزم ، تروق أنوار خِلاله الباهرة ، وتُضِيءُ مجالس الملوك من صُورَتَيْهِ الباطنة والظاهرة ، ذكاءً يتوقّد ، وطلاقةً يحسد نورها الفرقد ، فَقَدَتْهُ بكائنة طريف^(٤) ، جَبَرَ الله عِثَارَهَا ، وعَجَّلَ ثَارَهَا .

حدث خطيب المسجد الأعظم ، وهو ما هو ، من وفور العقل ، وصحة النّقل ، قال ، مررت بأبيك بعد ما تمت الكسرة ، وخذلت تلك الأسرة ، وقد كبا بأخيك الطّرف ، وعُرض عليه الحمام للصّرف ، والشيخ رحمه الله

(١) وردت في الإسكوريال والزيتونة (فخطب) والتصويب أنسب للدعوى والسياق .

(٢) وردت في الإسكوريال (وجهته) والتصويب من الزيتونة .

(٣) وردت في الإسكوريال (بعون) وفتح أن التصويب أرجح .

(٤) هي المعركة التي نشبت في سنة ٧٤١ هـ (١٣٤٠ م) بين القشتاليين وجيش المسلمين المتحد من المغاربة والأندلسيين . على ضفاف نهر سالادو ، على مقربة من نهر طريف وهزم فيها المسلمون هزيمة فادحة . وقد سبق التعريف بها تفصيلا .

لم تَزِلْ قدمه ، ولا راعه الموقف وعِظْمُه . ولما آيس من الخلاص وطلَّابه ،
صَرَفْتِي وقال أنا أولى به ، فقضى سعيداً شهيداً ، لم يَسْتَنْفِرْهُ الهول ، ولم يُثْنِه
ولا رضى عار الفرار عن ابنه .

شعره

قال فى « الإكليل » ، وكان له فى الأدب فريضة ، وفى النادرة العذبة
منادح^(١) عريضة . تكلمت يوماً بين يديه ، فى مسائل من الطب ، وأنشدته
أبياتاً من شعرى ، وقرأتُ عليه رُقاعاً من إنشائى ، فسرَّ وتهلَّل ، وعبرَ
عما أُمِّل ، وما برح أن ارتجل قوله رحمة الله عليه :

الطبُّ والشَّعرُ والكتابة سِمَاتُنَا فى بنى النَّجَابَةِ
هَنَ ثلاثٌ مُبَلَّغَاتٌ مراتباً بعضها الحِجَابَةُ
وَوَقَّعَ لى يوماً بِيخْطَه على ظَهَرِ أبياتٍ ، بعثْتُها إليه ، أَعْرَضَ عليه فَمَطَّها :
وَرَدَّتْ كما وَرَدَ النسيم بِسحره عن رَوْضَةِ جَادِ الغمامِ رُبَاها
فَكأنما هَارُوتٌ أَوْدَعَ سِحرَه فيها وآثرها به وَحْبَاها
مصقولة الألفاظ يَبْهَرُ حَسْنُها بِمِثْلِها افتخرَ البليغُ وبَاهى
فَقَرَرْتُ عِيناً عندَ رُؤْيَا حَسْنُها إلى أبوكَ وَكنتَ أَنْتَ أَبَاها
ومن شعره قوله :

وقالوا قد نَأَوْا فاصْبِرْ سَتُشْفَى فثِيْرِياقُ الهوى بُعْدَ الدِّيَارِ
فَقَمَلْتُ هَبُوا بَأَنَّ الحَقَّ هَذَا فَمَقْلَبِي^(٢) يَمْدُوا فِيمَ اصْطِبارِ
ومن قوله مما يَجْرى مَجْرَى الحَكَمِ والأمثال :

عليك بالصِّمْتِ فكم ناطق كَلَامُهُ أَدَى إلى كَلْمِهِ
إن لسان المرء أَهْمَادى إلى غُرَّتْهُ وَاللهُ من خَصْمِهِ

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (منادج) . وفى النفع (منادم) .
والأولى أرجح . (٢) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الزيتونة والنفع (بقلبي) .

يُرى صغير الجِرم مُستَضْعفا وجُرمه أكبر من جِرمه
وقال وهو من المستحسن في التَّجْنِيس :
أنا بالدهر يا بنى خبير فإذا شئت عِلْمه فتعالى
كم مَلِكٌ قد ارتغى منه روضا لم يدافع عنه الرحمن ما ارتغى لا
كل شئٍ تراه يَفْنَى وَيَبْقَى ربنا الله ذو الجلال تعالى
أنشدني هاتين المقطوعتين .

مولده

ولد بحضرة غرناطة في جمادى الأولى من عام اثنين وسبعين وستماية .

وفاته

بعد يوم الواقعة الكبرى على المسلمين بظاهر طريف يوم الاثنين السابع
لجمادى الأولى عام واحد وأربعين وسبعماية .

من رثاه

قلت في رثايه من قصيدة أولها :
سهام المنايا لا تطيش ولا تُخطى وللدهر كف تستردُّ الذى تعطى^(١)
وإنّا وإن كنا على ثبج الدُّنْيا فلا بدَّ يوما أن نحصلَّ على الشَّطِّ
وسِيَّان ذلُّ الفقر أو عِزَّةُ الغنى ومن أسرع السَّير الحثيث ومن يُبْطِئُ
تساوى على ورْدِ الرَّدَى كلُّ وارد فلم يُغن ربُّ السَّيف عن ربَّة القِرْطِ
وقال شيخنا أبو زكريا بن هذيل من قصيدة يرثيه بها :

إذا أنا لم أرث الصديق فما عُذرى إذا قلتُ أبياتا حسنا من الشعر

(١) هكذا وردت هذه الشطرة في الإسكوريال والنسخ . وفى الزيتونة كالاتى (وللدهر
كف يسترد الذى يعطى) .

ولو كان شعري لم يكن غير نذبة وأجريت دمعي لليراع عن الجبر
لما كنت أقضي حقَّ صُحبته التي توخَّيْتُها عوناً على نوب الدهر
رماني عبد الله يوم وداعه بداهية دَهْيَاء قاصِمة الظهر
قطعتُ رجائي حين صح حديثه فإن لم يوفِ دمعي فقد خانني صبري^(١)
وهل مؤنس كاهن الخطيب لو حشني أبثُّ له همِّي وأودعُه سرِّي

عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن جزي

من أهل غرناطة ، يكنى أبا محمد ، وقد مرَّ ذكر أبيه شيخنا وأخويه ،
وتقرَّرت نباهة بيئتهم .

حاله

هذا الفاضل قريع بيت نبيه ، وسلفٍ شهير ، وأبوة خيرة ، وأخوة
بليغة ، وخؤولة تميَّزت من السلطان بحُظوة . أديب حافظ ، قام على فنِّ
العربية ، شارك في فنون لِسَانِيَّة سواه ، طرَّف في الإدراك ، جيد النظم ،
مِطْوَاع القريحة ، باطنه نُبُل ، وظاهره غَفْلَة . قعد للإقراء ببلده غرناطة ،
مُعِيداً ومُسْتَقِلاً ، ثم تقدَّم للقضاء بجهات نبيهة ، على زمن الحداثة ، وهو
لهذا العهد مَخْطُوب رُتْبة ، وجارٍ إلى غاية ، وعينٌ من أعيان البلدة .

مُشِيخْتُهُ

أخذ عن والده الأستاذ الشهير أبي القاسم حديث الرِّحمة بشرطه .
وسمع عليه على صغر السنِّ ، أبعاضاً من كتب عدة في فنون مختلفة .
كـبعض صحيح مسلم . وبعض صحيح البخاري . وبعض الجامع للترمذی .

(١) هكذا وردت في الزيتونة والنفع . وفي الإسكوريال (صبر) .

وبعض السنن للنسائي ، وبعض سنن أبي داود ، وبعض موطأ مالك بن أنس
وبعض الشفاء ليعياض ، وبعض الشمائل للترمذي . وبعض الأعلام للنميري ،
وبعض المشرع السلس في الحديث المسلسل لابن أبي الأحوص ، وبعض
كتاب التيسير لأبي عمرو الداني ، وبعض كتاب التبصرة للمكي ، وبعض
الكافي لابن شريح ، وبعض الهداية للمهدي ، وبعض التلخيص للطبري ،
وبعض كتاب الدلالة في إثبات النبوة والرسالة لأبي عامر بن ربيع ، وبعض
كتاب حلبة الأسانيد وبُغية التلاميذ لابن الكماد ، وبعض كتاب وسيلة
المسلم في تهذيب صحيح مسلم من توالييف والده ، وبعض القوانين
الفقهية ، وبعض كتاب الدعوات والأذكار . وبعض كتاب النور المبين
في قواعد عقائد الدين من تأليفه ، وبعض تقريب الوصول إلى علم
الأصول ، وبعض كتاب الصلاة ، وبعض كتاب الأنوار السنية في الكلمات
السنية ، وبعض كتاب برنامج . كل ذلك من تالييف والده ، رحمه الله .
وأجاز له رواية الكتب المذكورة عنه ، مع رواية جميع مروياته وتوالييفه
وتقييداته ، إجازة عامة . ولقَّنه في صغره ، جملة من الأحاديث النبوية
والمسائل الفقهية ، والمقطوعات الشعرية .

ومنهم قاضي الجماعة أبو البركات بن الحاج ، حدثه بالمرية حديث
الرحمة بشرطه ، وسمع عليه بها وبغرناطة عدَّة من أبعاض كتب ، وأجاز له
عامَّة ، وأنشده من شعره ، وشعر غيره . ومنهم قاضي الجماعة الشريف أبو القاسم
لازمه مدة القراءة عليه . واستفاد منه . وتفقه عليه بقراءة غيره في كثير
من النُّصف الثاني من كتاب سيبويه ، وفي كثير من النصف الثاني من
كتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي ، وفي كثير من كتاب التسهيل لابن مالك ،
وفي القصيدة الخزرجية في العرُوض ، وسمع من لفظه الربع الواحد أو

نحوه من تأليفه شرح مَقْصُورَة حازم ، وتفقه عليه فيه ، وأنشده كثيراً من شعره وشعر غيره . ومنهم الأستاذ أبو عبد الله البيّاني . لازمه مدة القراءة عليه ، وتفقه عليه بقراءته في كتاب التسهيل البديع في اختصار التفریع إلا يسيراً منه ، وتفقه عليه بقراءة غيره في أبعاض من كتب فقهية وغيرها، ككتاب التهذيب ، وكتاب الجواهر الثمينة ، وكتاب التفریع ، وكتاب الرسالة لابن أبي زيد ، وكتاب الأحكام لابن العربي ، وكتاب شرح العمدة لابن دقيق العيد ، وغير ذلك مما يطول ذكره . ومنهم الأستاذ الأعرف الشهير أبو سعيد بن لب ، تفقه عليه بقراءته في جميع النصف الثاني من كتاب الإيضاح للفارسي ، وفي كثير من النصف الأول من كتاب سيبويه ، وتفقه عليه بقراءة غيره في أبعاض من كتب عدة ، في فنون مختلفة ، كالمُدَوَّنَة والجواهر ، وكتاب ابن الحاجب ، وكتاب التلقين ، وكتاب الجمل ، وكتاب التسهيل والتنقيح ، والشَّاطِبيَّة ، وكتاب العمدة في الحديث وغير ذلك . ومنهم الشيخ المقرئ المحدث أبو عبد الله محمد بن محمد بن بيبش ، سمع عليه بقراءة أخيه الكاتب أبي عبد الله محمد ، جميع كتاب الموطأ ، وكتاب الشفا إلا يسيراً منه ، وأجازه روايتهما عنه ، ورواية جميع مَرْوِيَّاتِه ، إجازة عامة ، وأنشده جملة من شعره وشعر غيره . ومن أجازه عامة ، رئيس الكتاب أبو الحسن بن الجيّاب ، وقاضى الجماعة أبو عبد الله بن يحيى بن بكر الأشعري . والخطيب أبو علي القرشي ، والأستاذ أبو محمد بن سلمون ، والحاج الراوية أبو جعفر ابن جابر ، والشيخ القاضي أبو جعفر أحمد بن عتيق الشَّاطِبي الأزدی ، والقاضى الكاتب البارع أبو بكر بن شبرين ، والقاضى الخطيب الأستاذ الراوية أبو بكر بن الشيخ الخطيب الصالح أبي جعفر بن الزيات ،

والقاضي الخطيب أبو محمد بن محمد بن الصّايح . وممن كتب له بالإجازة من المشايخ ، شيخ المشايخ أثير الدين أبو حيّان محمد بن يوسف بن حيّان ، وقاضي الجماعة بفاس محمد بن محمد بن أحمد المقرئ ، ورئيس الكتاب أبو محمد الحَضْرَمي ، وجماعة سوى من ذكر من أهل المشرق والمغرب .

شعره

وشعره نبيل الأغراض ، حسن المقاصد . فمن ذلك قوله :

سَنَى ^(١) اللَّيْلَةَ الْغَرَّاءَ وَافْتَتَكَ بِالْبُشْرَى	وَأَبْدَى مِنْهَا وَجْهَ الْقَبُولِ لَكَ الْبِشْرَا
تَهَلَّلَ وَجْهَ الْكَوْنِ مِنْ طَرْبِهَا	وَأَشْرَقَتْ لِلدُّنَا بِغُرَّتِهَا الْغَسْرَا
لَهَا الْمِنَّةُ الْعَظْمَى بِمِلَادِ أَحْمَدَ	لَهَا الرُّتْبَةُ الْعُلْيَا لَهَا الْعِزَّةُ الْكُبْرَا
طَوَى سِرَّهُ فِي صَدْرِهِ الدَّهْرَ مُدَّةً	فَوَافَى رَبِيعاً نَاشِراً ذَلِكَ السُّرَا
حَوَى شَهْرَةَ الْفَضْلِ الشَّهِيرِ وَفَضْلَهُ	فَأَحْسَنَ بِهِ فَضْلاً وَأَعْظَمَ بِهِ شَهْرَا
لَقَدْ كَانَ لَيْلُ الْكُفْرِ فِي اللَّيْلِ قَدْ جَفَا	فَأَطْلَعَ مِنْهُ فِي سِمَةِ الْهَدَى فَجَسْرَا
وَفِي لَيْلَةِ الْمِيلَادِ لَاحَتْ شَوَاهِدُ قَضَتْ	أَنَّ دِينَ الْكُفْرِ قَدْ أَبْطَلَ الْكُفْسْرَا
لَقَدْ أَخْمَدَتْ أَنْوَارُهَا نَارُ فَارَسَ	وَأَرْجَفَ كَمَا ارْتَجَّ إِيوانه كِسْرَى
لَهُ مَعْجَزَاتٌ يُعْجِزُ الْقَلْبَ كُنْهَهَا	وَيُخَصِّرُ إِنْ رَامَ اللِّسَانَ لَهَا حَصْرَا
مَعَالٍ يَكْلُ الشُّعْرَ عَنْ نَيْلٍ وَصَفَهَا	وَتَقْصُرُ عَنْ إِدْرَاكِ مَصْعَدِهِ ^(٢) الشُّعْرَا
بِهِ بَشَّرَ الرُّسُلُ الْكَرَامَ وَلَمْ تَزَلْ	شَمَائِلُهُ تُتْلَى وَآيَاتُهُ تَنْشُرَا
فَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى مَنَاقِبُهُ الْعُلَى	وَفِي الذِّكْرِ آيَاتُ رَحْمَتِهِ لَهُ قَدْرَا
لَقَدْ خَصَّهُ مَوْلَاهُ بِالْقُرْبِ وَالرَّضَى	وَحَسْبُكَ مَا قَدْ نَصَّ فِي النَّجْمِ وَالْإِسْرَا
وَرَدَّ عَلَيْهِ الشَّمْسُ بَعْدَ غُرُوبِهَا	وَشَقَّ عَلَى رَغَمِ الْعُدَاةِ لَهُ الْبَدْرَا

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (هـ) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة .

وكان له في مائه وطعامه
 غدا الماء من بين الأصابع نابعا
 وكم نايل أولى وكم سائل حبا
 كفى شاهدا أن رد عين قتادة
 وحن إليه الجذع عند فراقه
 وحق له إذ بان عنه حبيبسه
 خليلي والدنيا تجدد للفقر ضروبا
 بعينكما هل لي إلى أرض طيبة
 منّا للنفس من تلك المعاهد زورة
 وتعفير خدي في عروق ثراها
 تعللني نفسي بإدراكها المنسا
 ومن كانت الآمال أقصى اجتهاده
 وكم زجرتها واعظاتها زمانها
 وكنت لها عصير الشبيبة عاذرا
 وأما وقد ولت ثلاثون حجة
 إذا أنت لم تترك سوى النفس طايعا
 ولم أدخر إلا شفاعة أحمد
 لقد عاقت كف الرجاء بحمله
 هو المرتضى الداعي إلى منهج الرضا
 هو الحاسر الماحي الضلالة بالهدى
 بأي كلام يبلغ المرء وصف من

لطايف ربانية تبهر الفكر
 وعاد قليل الزاد من يمنه كثيرا
 وكم مشتك أشفى وكم مدين أبر
 فكان لها الفضل المبين على الأخر
 ولا حنت الخنساء إذ فارقت صخر
 ومن [ذاق طعم] ^(١) الوصل لم يحمل الهجر
 من الأشواق لو تنفع الذكر
 سبيل فأما الصبر عنها فلا صبرا
 أثبت بها شكوى وأشكو بها وزرا
 ليمنحو لي ذنبا ويثبت لي أجرا
 وما أجهدت عيشا ولا ملكت قفرا
 غدت كفه مما تأمله صنفرا
 فما سمعت وعظا ولا قبلت زجرا
 سقاه الحيا ما كان أقصره عصرا
 فلست أرى للنفس من بعدها عذرا
 فلا بد بعد الشيب من تركه قسرا
 لتخفيف وزر شدا ما أوثق الظهر
 لعل كسير القلب يقايله ببرا
 هو المصطفى الهادي الميسر لليسر
 هو الشافع الوافي إذا شهر الحشر
 مكارمه تستغرق النظم والنشرا

(١) وردت في الإسكوريال (ذا - وبهذا بياض) . والتصويب من الزيتونة .

خِلَالُ إِذَا الْأَفْكَارُ جَاسَتْ خِلَالَهَا
لَقَدْ غَضَّ طَرْفَ النَّجْمِ بَاهِرُهَا سَنَى
سَقَى لَيْلَةَ حَيَّتْ بِهِ وَاكْفَ الْحَيَا
لَقَدْ خَصَّهَا سِنْدُ الْإِلَهِ بِرَحْمَةٍ
أَقَمْتَ أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ حَقُوقَهَا
لَقَدْ سِرْتُ فِيهَا إِذْ أَتَيْتُكَ بِسِرِّهِ
عَرَفْتَ بِهَا حَقَّ الَّذِي عَرَفْتُ بِهِ
وَأَصْحَبْتُهَا الْإِخْلَاصَ لِلَّهِ وَالتَّقْصَا
لِلَّذِي مَصْنَعٌ مَلَأَ الْعَيُّونَ مُحَاسِنًا

تَكَرَّرُ عَلَى الْأَعْقَابِ خَاسِئَةٌ خَسِرَا
وَأَرْغَمَ أَنْفَ الرُّوضِ عَاطِرُهَا نَشْرَا
فَنَعْمَاؤُهَا مَا إِنْ يَحِيطُ بِهَا شُكْرَا
فَعَمَّتْ بِهَا الدُّنْيَا وَسُكَّانُهَا طُورَا
بِأَفْعَالٍ بَرٍّ أَضْحَكَتْ لِلْهُدَى ثَغْرَا
أَقَرَّتْ لَهَا عَيْنَا وَسُرَّتْ لَهَا صَدْرَا
فَأَحْسَنْتَهَا شُكْرَا وَأَوْلَيْتَهَا بِرًّا
وَأَعْقَبَهَا الْإِحْسَانَ وَالنَّائِلَ الْغَمْرَا
تَجَسَّمُ فِيهِ السُّحْرُ حَتَّى بَدَا قَصْرَا

منها بعد أبيات في المدح للسلطان :

رَوَى عَنْ أَبِي الْحَجَّاجِ غُرَّ شَمَائِلِ
وَمَنْ كَبَّنِي نَصْرَ جَلَالَةِ مَنْصَبِ
هُمْ مَا هُمْ إِنْ تَلَقَّوهُمْ فِي مَهْمَةٍ
سَلَالَةِ أَنْصَارِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ فَسَلُ

أَعَادَ لَنَا دَهْمَ اللَّيَالِي بِهَا غُرًّا
بِهِمْ نَصَرَ الرَّحْمَنُ دِينَ الْهُدَى نَصْرَا
لَقِيتُ الْجَنَابَ السَّهْلَ وَالْمُعْقِلَ الْوَعْرَا
أَحَدًا يُنَبِّئُكَ عَنْهُمْ وَسَلُّ بَدْرَا

وَمِنْ شَعْرِهِ فِي الْمَقْطُوعَاتِ . قَالَ فِي التَّوْرِيَةِ الْعَرُوضِيَّةِ :

لَقَدْ قَطَعْتَ قَلْبِي يَا خَلِيلِي
وَلَكِنْ مَا عَجِيبٌ مِنْكَ هَذَا إِنَّهُ
وَقَالَ فِي التَّوْرِيَةِ النَّحْوِيَّةِ :

لَقَدْ كُنْتُ مُوَصُولًا فَأُبْدِلُ وَضَلَكُمْ
فَمَا بِالْكُمْ غَيَّرْتُمْ حَالَ عِبْدِكُمْ
بِهَجْرٍ وَمَا مِثْلِي عَلَى الْهَجْرِ يَصْبِرُ
وَعَهْدِي بِالْمَحْجُوبِ لَيْسَ يُغَيِّرُ

وَقَالَ فِي التَّوْرِيَةِ مَدَاعِبًا بَعْضُ الْمُقَرَّرِينَ لِلْعَدَدِ وَهُوَ بَدِيعٌ :

يَا نَاصِبًا عِلْمَ الْحِسَابِ حِيسَالَهُ
إِنْ كُنْتَ تَرْجُو بِالْحِسَابِ وَصَالَهُ
لِقَنَاصِ ظَنِّي سَاحِرَ الْأَلْبَابِ
فَالْبَدْرُ يَرْزُقُنَا بِغَيْرِ حِسَابِ

وقال في التَّورِيَّةِ العَرُوضِيَّةِ :

لَقَدْ كَمَّلَ السُّودُ بَيْنَنَا ودمنا على فَرَحٍ شَامِلٍ
فَإِنْ دَخَلَ الْقَطْعُ فِي وَضَلْنَا فَقَدْ يَدْخُلُ الْقَطْعُ فِي الْكَامِلِ
وقال في تَضْمِينِ مَثَلٍ :

أَلَا اكْتُمُ حَبًّا مِنْ أَجَبَّتْ واصبر فَإِنَّ الْمَجْرَ يُحْدِثُهُ الْكَلَامُ
وإنَّ أَبْدَاهُ دَمْعٌ أَوْ نَحْوُلٌ فَمَنْ بَعْدَ اجْتِهَادِي لَا تُلَامُ
وقال :

وَأَشْنَبُ الثُّغْرَ لَهُ وَجَنَسُهُ تَعَدَّتْ الذُّحُلُ عَلَى وَرْدِهَا
مَا ذَاكَ إِلَّا حَسَدٌ إِذْ رَأَتْ رُضَابَهُ أَعْدَبَ مِنْ شَهْدِهَا
وقال في التَّورِيَّةِ بِأَسْمَاءِ كُتِبَ فَفَهِيَّةِ جَوَابًا غَيْرَ مُعْمَى :

لَكَ اللَّهُ مِنْ خَلٍّ حَبَانِي بِرُقْعَةٍ حَبْتَنِي مِنْ أَبْيَاتِهَا بِالنُّوَادِرِ
رِسَالَةٍ رَمَزَ فِي الْجَمَالِ نَهَايَةَ وَخَيْرَةِ نَظْمٍ أَتَحَفَّتْ بِالْجَوَاهِرِ
وقال في التَّورِيَّةِ أَيْضًا :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو عُذْرًا تَرُدُّدًا إِلَى فَلَمَّا لَاحَ سِرِّي لَهُمْ حَالُوا^(١)
لَقَدْ خَدَعُونِي إِذْ أَرُونِي مَوْدَّةً وَلَكِنَّهُ لَا غَرُّوْ أَنْ يُخْدَعَ الْآلُ
وقال يَخَاطِبُ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ :

أَيَا حَسَنُ إِنْ شَتَّتَ الدَّهْرَ شَمَلْنَا فَلَيْسَ لَوُدُّ فِي الْفُؤَادِ شَتَاتٍ
وإنَّ حُلَّتْ عَنْ عَهْدِ الْإِخَاءِ فَلَمْ يَزَلْ لِقَلْبِي عَلَى حِفْظِ الْيَهُودِ ثَبَاتٍ
وَهَبْنِي سَرَّتْ مِنِّي إِلَيْكَ إِسَاءَةٌ أَلَمْ تَتَقَدَّمْ قَبْلَهَا حَسَنَاتٍ
وقال في النَّسِيبِ :

إِنْ كَانَ بَابُ الْقُرْبِ قَدْ سُدَّ بَيْنَنَا وَلَمْ يَبْقَ لِي فِي نَيْلِ وَصْلِكَ مَطْمَعٌ

(١) وردت هذه الشطرة في الإسكورييل كالأق (والى فلما لاح سري لهم حالوا) .
ووردت في الزيتونة كالأق (الى فلما لاح سرام خال) .

وَأَخْفَرْتُ عَهْدِي دُونَ ذَنْبِ جَنِّيْتِهِ وَأَصْبَحَ وَدِّي فِيكَ وَهُوَ مُضَيِّعٌ
وَلَمْ تَرْتِ لِي عَمَّا أُلَاقِي مِنَ الْأَسَى وَصِرْتُ أَنَادِي مِنْكَ مَنْ لَيْسَ يَسْمَعُ
وَضَاقَتْ بِي الْأَحْوَالُ عَنْ كُلِّ وَجْهَةٍ فَمَا أَرْتَجِي مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ أَوْ سَعُ
وَمِمَّا نَظَّمَهُ فِي التَّضَمِّينِ مَخَاطِبًا بَعْضَ الْمُنتَحِلِينَ لِلشُّعْرِ قَوْلُهُ :

لَقَدْ صِرْتُ فِي غَضَبِ الْقَصَايِدِ مَاهِرًا فَمَا اسْمَ جَمِيعِ [الشعر] ^(١) عِنْدَكَ غَزِيلٍ
وَلَمْ تُبْقِ شِعْرًا لِمَرِيٍّ مُتَقَسِّدٍ وَلَمْ تَبْقِ شِعْرًا يَا بَنَ بَشْتِ ^(٢) لِأَوَّلِ
فَشِعْرُ جَرِيرٍ قَدْ غَضِبْتَ وَرَوَيْسَهُ وَشِعْرُ ابْنِ مَرْجِ الْكُحْلِ وَابْنِ الْمَرْحَلِ
وَلِنْ دَامَ هَذَا الْأَمْرُ أَصْبَحْتَ تَدْعِي قِفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزَلِ

ومن المقرئين والعلماء

عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن مجاهد العبدي الكوَّاب

من أهل غرناطة ، يكنى أبا محمد الخطيب ، المقرئ

حاله

من « الصُّلَّة » : كَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَتَقَنَّ أَهْلَ زَمَانِهِ فِي تَجْوِيدِ كِتَابِ اللَّهِ
الْعَزِيزِ ، وَأَبْرَعَهُمْ فِي ذَلِكَ ، وَأَنْفَعَهُمْ لِلْمَتَعَلِّمِ ، نَفَعَ اللَّهُ بِهِ كُلَّ مَنْ قَرَأَ عَلَيْهِ ،
وَتَرَكَ بَعْدَهُ جُمْلَةً يُرْجَعُ إِلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ ، وَيُعْمَلُ عَلَى مَا عِنْدَهُمْ . وَكَانَ مَعَ
ذَلِكَ نَبِيَهُ الْأَغْرَاضِ ، فِي جَمِيعِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي عِلْمِهِ [ذَاكِرًا لِلْإِخْتِيَارَاتِ
الَّتِي تَنْسَبُ لِلْمَقْرئين] ^(٣) ، مِنْ يُرْجَعُ وَيُعْلَلُ ، وَيَخْتَارُ وَيَرُدُّ ، مُوَفِّقًا فِي

(١) الزيادة من الزيتونة .

(٢) كذا في الإسكوريال والزيتونة .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة في الزيتونة . ووردت محرفة في الإسكوريال كالآتي :

(ذَاكِرًا لِإِخْتِيَارَاتِ الْمَقْرئين) .

ذلك ، صابرا على التعليم ؛ دايماً عليه نهارة وليله ، ذاكرا لخلاف السبعة . رحل الناس إليه من كل مكان ، خاصتهم وعامهم ، وملاً ببلده تجويدا وإتقاناً ، وكان مع هذا فاضلاً ورعا جليلاً . خطب بجامع غرناطة وأمّ به مدة طويلة ، إلى حين وفاته .

مشيخته

أخذ القراءات عن الحاج أبي الحسين بن كوشر ، وأبي خالد بن رفاعه ، وأبي عبد الله بن عروس . ورحل إلى بياسة ، فأخذ بها القراءات عن أبي بكر ابن حسون ، وأخذ مع هؤلاء عن جعفر بن حكيم ، وأبي جعفر بن عبد الرحيم ، وأبي الحسن الصدفي الفاسي ، وسمع عليه كثيراً من كتاب سيبويه تفقهاً ، وأجاز له كتابة القاضي أبو بكر بن أبي جَمْرَة مع آخرين ممن أخذوا عنه .

من أخذ عنه

روى عنه الناس أهل بلده وغيرهم : منهم ابن أبي الأخص ، وأبو عبد الله بن إبراهيم المقرئ .

وفاته

توفي في سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ، ودفن بمقبرة باب البيرة .

عبد الله بن علي بن عبد الله بن علي بن سلمون الكناني

من أهل غرناطة . يكنى أبا محمد ، ويعرف بابن سلمون

حاله

كان رحمه الله ، نسيجاً وحده ، ديناً وفضلاً ، وتخلقاً ودماثة ، ولين

جَانِب ، حَسَنُ اللَّقَاءِ . سَلِيمٌ ^(١) الْبَاطِن ، مُغْرَقًا فِي الْخَيْر ، عَظِيمُ الْهَشَّةِ ^(٢) وَالْقَبُول ، كَرِيمُ الطَّوِيَّة ، عَظِيمُ الْإِنْقِيَاد ، [طَيِّبُ اللَّهْجَةِ] ^(٣) ، مُتَهَالِكًا فِي التِّمَاسِ الصَّالِحِينَ ، يَتَقَلَّبُ فِي ذَلِكَ بَيْنَ الْخَطِئِ وَالْإِصَابَةِ ، صَدْرًا فِي أَهْلِ الشُّوْرَى . قَرَأَ بِبَلَدِهِ وَسَمِعَ وَأَسْمَعَ وَأَقْرَأَ ، وَكُتِبَ الشُّرُوطُ مَدَّةً ، مَأْثُورُ الْعَدَالَةِ ، مَعْرُوفُ النَّزَاهَةِ ، مِثْلًا فِي ذَلِكَ ، وَيَقُومُ عَلَى الْعَرَبِيَّةِ وَالْفَقْهِ ، خَصُوصًا بِأَبِ الْبُيُوعِ ، وَيَتَقَدَّمُ السَّبَاقُ فِي مَعْرِفَةِ الْقِرَاءَاتِ ، مُنْقَطِعُ الْقَرِينِ فِي ذَلِكَ ، أَشَدُّ النَّاسِ خُفُوفًا فِي الْحَوَاجِجِ ، وَأَسْرَعُهُمْ إِلَى الْمَشَارِكَةِ .

مَشِيخَتُهُ

قَرَأَ عَلَى الْأُسْتَاذِ الْكَبِيرِ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ بِغَرْنَاطَةِ ، وَلَا زَمَهُ ، فَانْتَفَعَ بِهِ ، دَرَايَةً وَرَوَايَةً . وَقَرَأَ عَلَى الْخَطِيبِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ فَضِيلَةَ ، وَالْمُكْتَبِّ أَبِي الْحَسَنِ الْبَلُّوْطِيِّ ، وَأَبِي مُحَمَّدٍ النَّفْزِيِّ ، وَالْخَطِيبِ أَبِي جَعْفَرِ الْكُحَيْلِيِّ . وَبِمَالَقَةِ عَلَى الْأُسْتَاذِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْبَاهِلِيِّ . وَبَسْبَتَةِ عَلَى الْأُسْتَاذِ الْمُقَرَّى رُحْلَةَ وَقْتِهِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ الطَّيِّبِ ، وَسَمِعَ عَلَيْهِ الْكَثِيرَ . وَعَلَى الْأُسْتَاذِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الدَّرَاجِ ، وَلَا زَمَ مَجْلِسَ إِقْرَائِهِ ، وَعَلَى الشَّيْخِ الْمَعْمَرِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ الْخَطَّارِ الْكَامِيِّ ، وَهُوَ أَعْلَى مِنْ لَقِيهِ مِنْ تِلْكَ الْحَلْبَةِ . وَأَخَذَ بِالْإِجَازَةِ عَنْ الْعَدْلِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّوْلِيِّ ، وَرَوَايَتُهُ عَالِيَةٌ . لَقِيَ أَبَا الرَّبِيعِ بْنِ سَالِمٍ ، وَلَقِيَ بِسَبْتَةِ الشَّرِيفِ الرَّأْوِيَةَ أَبَا عَلَى الْحَسَنِ بْنِ أَبِي الشَّرَفِ رَبِيعٍ ، وَالْأَدِيبِ الْكَاتِبِ أَبَا عَلَى الْحَسَنِ بْنِ عَتِيقِ بْنِ الْحَسَنِ ابْنِ رَشِيقٍ . وَبِفَنَاسِ الْفَقِيهِ أَبَا غَالِبٍ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ

(١) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي الزَّيْتُونَةِ (سَالِم) .

(٢) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي الزَّيْتُونَةِ (الْهَيْبَةِ) .

(٣) هَذِهِ الْعِبَارَةُ وَارِدَةٌ فِي الْإِسْكُورِيَالِ وَسَاقِطَةٌ فِي الزَّيْتُونَةِ .

المَغِيلِي . وقرأ على الخطيب المحدث أبي عبد الله بن رُشيد . وسمع على ذى
الوزارتين أبي عبد الله بن الحكيم . ولقى الأديب المعمّر مالك بن المرحّل .
وأجازه أبو عمران موسى بن الخطيب أبي الحسن الدّارِي برُندة . وأجازه
من أهل المشرق كثير ، منهم عز الدين أحمد بن محمد الحسنِي بقيّة
الأشراف بالديار المصرية ، وجمال الدين أحمد بن محمد بن عبد الله
الظاهري ، ونجم الدين أحمد بن حمدان الحرّاني ، وجمال الدين أحمد
ابن أبي الفتح الشّيباني ، وأحمد بن عبد المنعم الصّوفي ، ومولده عام
أحد وستاية ، وأحمد بن سلّمان بن أحمد المقدسي ، وأحمد بن عبد الحميد
ابن عبد الهادي ، وشمس الدين إبراهيم بن سرور المقدسي ، والخطيب
بالمسجد الأعظم ببجاية أبو عبد الله بن صالح الكِنّاني ، وأبو عبد الله محمد
أبي خمسة^(١) محمد بن البكري بن أبي بكر ، وأبو عبد الله محمد بن علي
ابن وهب بن مُطيع بن أبي الطاعة القُشَيْرِي ، وابن دقيق العيد تقي الدين ،
وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعد بن جماعة ، والشيخة الصالحة
أم محمد عائشة بنت أبي الخطاب محمد بن أحمد بن خليل السّكوني .
وأجازه نحو من المائتين من أهل المشرق والمغرب . ولقى بفاس الشّيخة
الأديبة الطيبة الشاعرة ، سارة بنت أحمد بن عثمان بن الصلاح الحلبيّة
وأجازته ، وألبسته خرقة التصوّف .

قال ، وأنشدتني قصيدة أجابت بها الخطيب المحدث ، أبا عبد الله
ابن رُشيد ، أولها يعنى قصيدة ابن رُشيد :

سرى نسيم من حمى سارة عاد به كل نسيم عسائرا
وجال أفكار الدنيا ذكرها فسار فيها مثلا سايرا

(١) هكذا وردت في المخطوطين .

دايرةٌ والمجدُّ قطبٌ لها دارت عليه فلَكَا دايرة
فقالَت :

وإني قريضٌ منكم مذ غدا لبعض أوصافكم ذاكرة
أطلع من أنفاسه الحجا ومن شذاه نفساً عاطرا
أعاد مَيِّتَ الفكر من خاطري من بعد دَفْنٍ في الثرى ناشرا
يَبْهر طَرْفي حَسَنُ مَنْظَره أَحِبُّ به نظما غدا باهرا
فقلتُ لها هالني حُسْنُه أشاعراً أصبح أم ساحرا
أم روضة هذى التي قد نوى^(١) أم بدرٌ تيم قد بدا زاهرا
أم ضربٌ من فمه سايل أم جوهر أضحي لنا نائرا
لله ما أعذبَ ألفاظه وأنورَ الباطن والظَّاهرا
يا ابن رُشيد بل أبا الرُّشد يا من لم يزل لطيِّ العُلَى ناشرا
خذ ما فدَّتكَ النفس يا سيدي وكن لمن نظمَها عاذرا
ما تصل الأنثى بتقصيرها لأنَّ تَباري ذَكَراً ماهرا
لازلت تُحيي من رسوم العُلا ما كان منها دارساً دائرا

تصانيفه

الكتاب المسمى « بالشافي في تجربة ما وقع من الخلاف بين التيسير
والتبصرة والكافي » لا نظير له .

مولده

ولد بغرناطة بلده في الثاني والعشرين لذي قعدة من عام تسعة وستين
وست مائة .

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (قرا) .

وفاته

فُقِدَ في الوقِعة العظمى بطريف يوم الإثنين السابع لجمادى الأولى من عام أحد وأربعين وسبعمائة . حدث بعض الجند أنه رآه يتحامل ، وجُرَّحَ بصدّره يَثْغَبُ دماً ، وهو رابطط الجأش ، فكان آخر العهد به . تقبَّلَ الله شهادته .

عبد الله بن سهل الغرناطي

يكنى أبا محمد ، ويُنبِزُ ^(١) بالوجه نافخ ^(٢)

حاله

من كتاب ابن حمّامة ، قال عُنِيَ بعِلْمِ القرآن والنحو والحديث ، عناية تامة ، وبهذا كنت أسمع الثناء عليه من الأشياخ ، في حال طفولتي ^(٣) بغرناطة ، ثم شُهر بعد ذلك بعِلْمِ المَنَطق ، والعلوم الرياضية ، وسائر العلوم القديمة ، وعُظُم بسببها ، وامتدَّ صيته من أجلها ، وأجمع المسلمون واليهود والنصارى ، أن ليس في زمانه مثله ، ولا في كثير ممن تقدّمه ، وبين هذه المِلال الثلاثة من التّحاسد ما عُرِف . وكانت النصارى تقصّده من طليطة ، تتعلّم منه أيام كان ببياسة ^(٤) ، وله مع قسيسهم مجالس في التناظر ، حاز فيها قصب السبق . قال ، ثم خرج عن بياسة ، وسار إلى نظر ابن هَمُّشك ^(٥) عند خروج النصارى عن بياسة . وله تواليف . وهو الآن بحاله .

(١) ينبز منهاها يلقب .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (النافخ) .

(٣) وردت في الإسكوريال (قفولتي) والتصويب من الزيتونة .

(٤) بياسة ، وبالإسبانية Baeza ، بلدة أندلسية قديمة تقع شمال شرق جيان بينها وبين

أبدة ، وقد سبق التعريف بها .

(٥) ترجم له ابن الخطيب في المجلد الأول من الإحاطة (ص ٢٩٦ - ٢٠٣) .

قلت ، تاريخ هذا القول ، عام ثلاثة وخمسين وخمسمائة .

عبد الله بن أيوب الأنصارى

يكنى أبا محمد ، ويعرف بابن خروج ، من أهل قلعة أيوب^(١) .

حاله

' فقيه حافظ لمذهب مالك . استوطن غرناطة وسكنها .

تواليفه

ألّف في الفقه كتابا مفيدا سماه « المنوطة » على مذهب مالك ، في ثمانية أسفار أتقن فيها كل الإتقان :

وفاته : توفى بها سنة اثنتين وستين وخمسمائة ، وقد قارب المائة .

عبد الله بن الحسن بن أحمد بن يحيى بن عبد الله الأنصارى

مالقى ، قرطبي الأصل ، يكنى أبا محمد ، ويعرف بالقرطبي ، وقرأ بغرناطة .

حاله

كان في وقته ببلده ، كامل المعارف ، صدرا في المقرئين والمجودين ، رئيس^(٢) المحدثين وإمامهم ، واسع المعرفة ، مكثرا ، ثقة ، عدلا ، أميناً ، مكيّن الرواية^(٣) ، رايق الخط ، نبيل التقييد والضبط ، ناقد ، ذا كرا

(١) قلعة أيوب ، وبالإسبانية Calatayud ، بلدة حصينة من أعمال النغر الأعلى تقع جنوب غربي سرقسطة على نهر خالون أحد أفرع نهر إيرو (إبره) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (رأس) .

(٣) وردت في الإسكوريال (يكر الدراية) . والتصويب من الزيتونة .

أسماء رجال الحديث وطبقاتهم وتواريخهم ، وما حلوا به من جرحٍ وتعديل ، لا يدانيه أحد في ذلك ، عزيز النظر ، متيقظاً ، متوقد الذهن ، كريم الخلال ، حميد العشرة ، دمثاً ، متواضعاً ، حسن الخلق ، مُحَبِّباً إلى الناس ، نزيه النفس ، جميل الهيئة ، وقوراً ، مُعَظِّماً عند الخاصة والعامة ، ديناً ، زاهداً ، ورعاً ، فاضلاً . نحوياً ماهراً ، رياناً من الأدب ، قائلاً الجيد من الشعر ، مُقَصِّداً ومُقَطَّعاً . وكان له بجامع مالقة الأعظم ، مجلس عام ، سوى مجلس تدريسه ، يتكلم [فيه] ^(١) على الحديث ، إسناداً ومَثْنًا ، بطريقة عجز عنها الكثير من أكابر أهل زمانه . وتصدر للإقراء ابن عشرين سنة .

« من أخباره في العلم والذكاء » : قالوا قُرئ عليه يوماً باب الابتداء بالكلم التي يُلفظ بها في إيضاح الفارسي ، وكان أحسن الناس قياماً عليه فتكلم على المسألة الواقعة في ذلك الباب ، المتعلقة بعلم العروض ، وكان في الحاضرين من أحسن صناعاته ، فجاذبه الكلام ، وضايقه المباحثه ، حتى أحس الأستاذ من نفسه التَّقْصِير ، إذ لم يكن له قَبْلُ كَبِيرُ نَظَرٍ في العروض ، فكفَّ عن الخَوْض في المسألة ، وانصرف إلى منزله ، وعكف سائر اليوم على تَصَفُّحِ عِلْمِ العروض ، حتى فهم أغراضه ، وحصل تواليفه وصنَّف ^(٢) فيه مختصراً نبيلاً ، لخص في صدره ضروبه ^(٣) ، وأبدع فيه بنظم مثله ، وجاء به من الغد ، مُعْجِزاً من رآه أو سمع به ، فُبهِتَ الحاضرون وقضوا العجب من اقتداره وذكائه ، ونفوذ فهمه ، وسبُوْهُ هِمَّتِهِ .

ومن أخباره في الدين : قال أبو أحمد جعفر بن زعرور العمالي المالقي تلميذه الأخص به ، بتُّ معه ليلة في دُويْرته التي كانت له بجبل

(١) الزيادة من الذيل والشكلة .

(٢) هكذا وردت في الزيتونة والذيل والشكلة . وفي الإسكود بال (وضبط) .

(٣) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكود بال (فرشه) .

فَارَهُ^(١) للإقراء والمطالعة . فقام ساعة كنت فيها يتمظانا ، وهو ضاحك مسرور ، يَشِدُّ يده كأنه ظفر بشيء نفيس ، فسألته فقال ، رأيت كأن الناس قد حُشروا في العَرَض على الله ، وأنى بالمحدثين ، وكنت أرى أبا عبد الله النُميري يُوْتِي به . فيوقف بين يدي الله تعالى . فيعطى براءته ، من النار ، ثم يُوْتِي بي ، فأوقفت بين يدي ربي ، فأعطاني براءتي من النار ، فاستيقظت ، وأنا أشدُّ عليها يدي اغتباطا بها وفرحا ، والحمد لله .

مشيخته

تلا بمالقة على أبيه ، وأبي زيد السُّهيلي ، والقاسم بن دَحْمَان ، وروى عنهم ، وعن أبي الحُجَّاج بن الشيخ ، وأبوى عبد الله بن الفَخَّار ، وابن نوح ، وابن اليتيم ، وابن كامل ، وابن جابر ، وابن بُونة . وبالمُنْكَب عن عبد الوهاب الصَّدفي . وحضر بمالقة مجلس أبي إسحق بن قرقول . وبإشبيلية عن أبي بكر بن الجَد ، وابن صاف ، وأبي جعفر بن مضاء ، وأبوى الحسن عبد الرحمن بن مسلمة ، وأبي عبد الله بن زَرْقُون ، وأبي القاسم بن عبد الرزاق ، وأبي محمد بن جُمهور . وبغرناطة عن أبوى جعفر بن حَكَم الحَصَّار ، وابن سُراحيل ، وأبي عبد الله بن عروس ، وأبوى محمد عبد الحق النَّوَالشي ، وعبد المنعم بن الفَرَس . وبمرسية عن أبي عبد الله بن حُميد ، وأبي القاسم بن حُبَيْش ، وبسبته عن أبي محمد الحجري . وأجاز له من الأندلس ابن مُحرز وابن حُسُون وابن خيرة ، والأَرْكُشي ، وابن حنص وابن سعادة ، ويحيى المَجْريطي ، وابن بَشْكُوَال ، وابن قُزْمَان . ومن أهل المشرق جماعة كبيرة .

(١) جبل فاره وبالإسبانية Gibralfaro ، مكان مرتفع بشرق مالقة . وقد سبق التعرف به (راجع المجلد الأول من الإحاطة ص ٥٠٦ حاشية) .

شعره وتصانيفه

أَلَّفَ في العروض مجموعات نبيلة ، وفي قراءة نافع : ولخص أسانيد
الموطأ ، وله المبدى لخطب الرندي . ودخل يوما بمجلس^(١) أقرأ به أبو
الفضل عياض ، وكان أفتى منه ، غير أن الشيب جار عليه ، وتأخر شيب
الأستاذ ، فقال يا أستاذ شيبنا وما شيبتم ، قال فأنشده ارتجالا :

وهل نافع أن أخطأ الشيب مفرق
لئن كان خطب الشيب يوجد حسه^(٢)
وقد شاب أترابي وشباب لدائي
بتربي فمعنساه يقوم بذاتي
ومن شعره في التجنيس :

لعمرك ما الدنيا بسرعة سيرها
حقيقتها أن المقام بغيرها
بسكانها إلا طريق مجاز
ولكنهم قد أولعوا بمجاز
ومما يؤثر أيضا من شعره قوله :
سهرت أعين ونامت عيون
فاطردهم ما استطعت عن^(٣)
لأمر تكون أولا تكون
النفس فحملانك الهموم جنون
إن ربا كفاك بالأمس ما كان
فسيكفيك في غد ما يكون

مولده

ولد أبو محمد قريب ظهر يوم الإثنين لثمان بقرين من ذى القعدة عام
ستة وخمسين وخمسمائة . «وفاته» سحر ليلة السبت أو سحر يومها ،
ودفن إثر صلاة العصر من اليوم السابع لربيع الآخر سنة أحد عشر وستماية

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (مسجد) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة . وفي الدليل والتكلة (عينه) .

(٣) وردت هذه الشطرة في الزيتونة كالآتي (فاطردهم عن النفس ما استطعت) .

من رثاه

رثاه الأديب أبو محمد عبد الله بن حسن البرجسي من قصيدة حسنة طويلة :

خليلي هباً ساعداني بعبسرة	وقولا لمن بالرّى ويحكم هبوا
نبكى العلى والمجد والعلم والتقى	فما تمّ أحزاني نوائحه ^(١) الصّحب
فقد سلب الدين الحنيفي روحه	ففى كل سرب من نباهته نهب
وقد طمست أنوار سنة أحمد	وقد خلّت الدنيا وقد ظعن الركب
مضى الكوكب الوقاد والمرهف الذى	يصحّح فى نصّ الحديث فما ينب
تمنى علاه النيران ونوره	وقالا بزعم أنّه لهما تسرب
أأسلو وبحر العلم غيضت مياهه	ومحي رسوم العلم يحجبه الثرب
عزيز على الإسلام أن يودع الثرى	مُسَدِّدُه الأسرى ^(٢) وعالمه النّذب
بكى العالم العلوى والسبع حسرة	أولئكم حزب الله ما فوقهم حزب
على القرطبي الحبر أستاذنا الذى	على أهل هذا العصر فضله الرب
فقد كان فيما مضى من زمانه	به تحسّن الدنيا ويكتسب الشعب
ويجمع سرب الأنس روض حياته	فقد جفّ ذاك الروض وافترق السرب
فسحقاً لدنيا خادعتنا بمكرها	إذا عاقدت سلماً فتصددها حرب
ركبنا السهل الذلول فقادنا	إلى كل ما فى طيه مركب صعب
ونغفل عنها والردى يستفزنا	كنى واعظاً بالموت لو كان لى لب

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (يواجه) وهو تحريف .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال والزيتونة . وفى الذيل والتكلمة (الأهدى) .

عبد الله بن أحمد بن إسماعيل بن عيسى بن أحمد بن
إسماعيل بن سِماك العاملي^(١)

يكنى أبا محمد ، مالمقى الأصل .

حاله

كان فقيهاً أديباً ، بارع الأدب ، شاعراً مطبوعاً ، كثير النادر ، خلّو
الشمائل ، أدرك شيوخاً جلّة ، ووُلّي قضاء غرناطة مدّة .

مشيخته

روى عن جده لأمه وابن عم أبيه أبي عمر أحمد بن إسماعيل ، وأبي علي
[الغساني ، وأبي الحسن علي بن عبيد الرحمن بن سمحون والمرساني^(٢) الأديب ،

شعره

الروض مُخَصَّرُ الرُّبِّي مُتَجَمِّلُ	للناظرين بأجمل الألوان
وكأنما بَسَطَتْ هناك سِوارها	خُودٌ زَهَتْ بقلائد العقيان
وكأنما فَتَقَّتْ هناك نوافِحُ	من مِسْكَةٍ عُمِجَتْ بِعَرَفِ البان
والطَّيْرُ يَسْجَعُ في الغُصُونِ كأنما	تقرأ القيّان فيه على العيدان
والماءُ مُطَرَّدٌ يَسِيلُ عُبَابُه	كسلاسل من فُضَّةٍ وَجُمان
بهجات حُسْنٍ أَكْمَلَتْ فِكائِها	حُسْنُ اليَقِينِ وبَهْجَةُ الإِيْمان

وكتب إلى الكاتب أبي نصر الفتح بن عبيد الله^(٣) في أثناء رسالة :

تَفَتَّحَتْ الكِتَابَةُ عن نَسِيمِ	نَسِيمُ المِسْكِ في خُلُقِ الكَرِيمِ
أَبَا نَصْرَ رَسَمْتَ لها رَسوما	تَخال رَسومُها وَضَحَ النُّجُومِ

(١) وردت هذه الترجمة في هامش لوحة 223 من مخطوط الإسكوريال . ولم ترد في الزينونة

(٢) هكذا في الإسكوريال .

(٣) هو الفتح بن خاقان من أشهر كتاب عصر الطوائف ، ومؤلف كتاب « قلائد العقيان » .

وقد كانت عَفَّتْ فَأَثَرَتْ مِنْهَا سراجاً لاح في الليل البهيم
 فَتَحَتْ مِنَ الصُّنَاعَةِ كُلِّ بَابٍ فسارّة في طريق مستقيم
 فَكُتِّبَ الزَّمان وَلَسْتَ مِنْهُمْ إذا راموا مَرَامَكَ في هُمُومٍ
 فما قِيسُ بآبِدَعٍ مِنْكَ لِفُظًّا ولا سَحْبَانٍ مِثْلُكَ في العُلُومِ

« وفاته » : في السابع والعشرين من رمضان المعظم سنة أربعين وخمسمائة
 وهو ابن أربع وثمانين سنة .

ومن ترجمة القضاة

عبد الله بن أحمد^(١) بن محمد بن سعيد بن أيوب بن الحسن بن

مُنْخَل بن زيد الغافقي

من أهل غرناطة وأعيانها ، يُكنى أبا محمد ، ويُنسب إلى غافق بن
 الشَّاهد^(٢) بن عك بن عدنان ، لا إلى حِصْن غافق .

حاله

من « العايد » كان رجلاً صحيح المنصب ، سليم الصدر ، قليل
 المصانعة ، كثير الحركة والهشة ، والعجاة ، ملازم الاجتهاد والعكوف ،
 لا يفتر عن النسخ والتقييد والمطالعة ، على حال الكبرة ، قديم التعيين
 والأصالة ، وُلِّي القضاء عُمره بمواضع كثيرة ، منها بيرة ورُندة ثم مالقة ،
 مضافاً إلى الخطابة بها .

(١) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (أبي أحمد) .

(٢) وردت في الإسكوريال (الشاهك) . والتصويب من الزيتونة .

مشيخته

حجّ في حدود سبعة وثمانين وستمائة ، وروى عن جِلَّة من أهل المشرق ، كالإمام تقى الدين بن دقيق العيد ، والحافظ أبي محمد عبد المؤمن الدُمياطي ، وشمس الدين المصنّف^(١) أبي عبد الله بن عبد السلام . وأجازه من أهل المغرب شيخ الجماعة بالأندلس أبو جعفر بن الزبير ، والقاضي ابن أبي الأحوص ، والخطيب أبو الحسن بن فضيلة ، والأستاذ أبو الحسن ابن الصّايغ الإشبيلي ، وأبو جعفر الطّباع ، وغيرهم .

تواليافه

ألّف كتابا سماه « بالمنهاج في ترتيب مسائل الفقيه المشاور أبي عبد الله ابن الحاج » .

مولده

ولد بغرناطة في حدود ستين وستمائة .
« وفاته » : توفي بغرناطة يوم عاشوراء من عام أحد وثلاثين وسبعمائة .

عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن

أبي زَمَنِين المَرَّي

يكنى أبا خالد .

حاله

كان فقيها جليلا ، ووُلّي القضاء ببعض جهات غرناطة .

(٣) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (المصنف) .

(٤) وردت هذه الترجمة في لوحة 224 من مخطوط الإسكوريال . ولم ترد في الزيتونة .

مشيخته

أخذ الفقه عن أبي جعفر بن هلال ، وأبي محمد بن سيماء القاضي .
والعربية عن الخضر بن رضوان العبدي . والحديث عن الحافظ أبي بكر
ابن غالب بن عبد الرحمن بن عطية ، والإمام أبي الحسن علي بن أحمد ،
والقاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض أيام قضائه بغرناطة .

مولده

ولد سنة سبع وتسعين وأربعمائة .
« وفاته » : توفي في ذى قعدة سنة أربع وأربعين وخمس مائة .

عبد الله بن يحيى بن محمد^(١) بن أحمد بن زكريا بن عيسى بن محمد بن
يحيى بن زكريا الأنصاري

يكنى أبا محمد ، من أهل غرناطة ، شرقي الأصل ، مُرْسِيّه ، من
بُيُوتاته النّبِيّه ، وقد مرّ ذكر أخيه .

حاله

كان على طريقة حسنة من دماء الأخلاق ، وسلامة السّجّية ، والنزاهة ،
والجسمة ، والاشتغال بما يعنى . وُلّي القضاء دون العشرين سنة ، وتصرف
فيه عُمره بالجهات الأندلسية ، فأظهر فيه عدلاً ونزاهة ، ولم يختلف
عليه اثنان مدة حياته ، من أهل المعرفة بالأحكام ، والتّقدّم في عقْد الشُّروط ،
وصناعة الفرائض ، علماً وعملاً ، ثاقب الذهن ، نافذاً في صنعة العدّد .

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (عمر) .

مشيخته

قرأ على أبيه القاضي أبي بكر بن زكريا ، وله رواية عالية عن أعلام من أهل المشرق والمغرب . وقرأ على أبي الحسن بن فضيلة الولي الصالح ، والقاضي أبي عبد الله بن هشام الألباني ، والأستاذ أبي جعفر بن الزبير ، والحاج أبي محمد^(١) بن جابر ، وأبي بكر القلّويسي . وقرأ العدّد وما أشبهه على الأستاذ التّعاليمي أبي عبد الله الرّقّام ، ولأزمه ، [وأجازه]^(٢) طائفة كبيرة . أخبرني ولده الفاضل أبو بكر ، قال : وَرَدَ سؤالٌ من تونس مع تاجر وصل في مَرَكِبٍ إلى مدينة المُنَكَّب أيام قضائه بها ، في رَجُلٍ فَرَطَ في إخراج زكاة ماله سنين مُتَعَدِّدة ، سُمِّيت في السؤال مع نِسْبة قدر المال ، وطلب في السؤال ، أن يكون عَمَلُهَا بالأربعة الأعداد المُتَنَاسِبة ، إذ عَمَلُهَا بذلك ، أصعبُ من عملها بالجبر والمُقابلة ، فَعَمِلَهَا وأخرجها بِالْعَمَلَيْنِ ، وعبرَ عنها بعبارة حسنة ، وكتبها في بطاقة بخطٍّ جميل ، فذكر التاجر أنه لم يبق بتونس فقيه ، إلا ونسخ منها نسخة ، واستحسنها .

مولده

ولد يوم الخميس السابع عشر لجمادى الآخرة عام خمسة وسبعين وستمائة .

« وفاته » : توفي قاضيا بِبَسْطَةِ في التاسع عشر من رمضان عام خمسة وأربعين وسبعماية .

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الملوى) .

(٢) هذه الكلمة واردة في الزيتونة . وساقطة في الإسكوريال .

عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الملك بن أبي جرة الأزدي

من أهل مُرسِيه ، نَزِيل غرناطة ، يُكْنَى أبا محمد ، وبَيْتُه بِمُرسِيه من
أعلام بيوتاتها ، شهير التَّعِين والأَصالة ، يَنْكح^(١) فِيهِ الأُمراء .

حاله

كان من أعلام وقته فضلا وعدالة وصلاحا ووقارا ، طاهر النشأة ،
عَفَّ الطُّعْمَة ، كثير الحياء ، مليح التَّخَلُّق . نشأ بِمُرسِيه ، ثم انتقل
إلى غرناطة فتولَّى القضاء ببيرة وجهاتها ، ثم جاز إلى سَبْتَة ، وانعقدت
بينه وبين رؤسائها المُصَاهرة في بعض بَناته . ثم آب إلى غرناطة عند
رجوع إِيالَة سَبْتَة إلى أميرها ، فتقدَّم خطيبا بها .

مشيخته

روى بالإجازة عن الخطيب الحافظ أبي الربيع بن سالم وأمثاله .

وفاته

الغريبة المُسْتَحْسنة . قال بعض شيوخنا ، كنت أَسْمَعُه عند سجوده ،
وتَبَتُّلُه وضراعتَه إلى الله . يقول اللهم أَمِتْنِي مَيِّتَةً حَسَنَةً ، ويكرِّر ذلك .
فأجاب الله دعاءه ، وتوفاه على أتم وجوه التَّائِب طهارة وخشوعاً وخضوعاً
وتأهّباً ، وزماناً ومكاناً ، عندما صعد أول دَرَجٍ من أدراج المِنْبَر ، يوم
الجمعة الثالث والعشرين لشوال من عام أحد عشر وسبع مائة ، فكان يوما
مشهودا لا عهد بمثله ، مارُئِي أكثر باكيًا منه ، وأكثر الناس من الشناء عليه

(١) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة ، ومعناها هنا (يُزَوِّج من بناته الأُمراء) .

عبد الله بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن بن سليمان بن عمر بن
حَوْط الله الأنصاري الحارثي الأزدي
يكنى أبا محمد .

حاله

من « الصُّلَّة » : قال ، القاضى المحدث الجليل العالم ، كان فقيهاً
جليلاً أصولياً ، نحويّاً ، كاتباً ، أديباً ، شاعراً ، مُتَفَنِّناً في العلوم ،
ورعاً ، دينياً ، حافظاً ، ثبَتاً ، فاضلاً . وكان يُدرِّس كتاب سيبويه ،
وَمُسْتَضْنَى أَبِي حَامِد ، ويميل إلى الاجتهاد في نظره ، وَيُغَلِّب طريقة الظَّاهِرِيَّة^(١) ،
مشهوراً بالعقل والفضل ، معظماً عند الملوك ، معلوم القدر لديهم ، يخطب
في مجالس الأمراء والمحافل الجمهورية ، مُقَدِّماً في ذلك ، بلاغةً وفصاحة
إلى أبعد مضمار . وللملوك الموحدين به اعتناء كبير . وهو كان أستاذ الناصر^(٢)
وإخوته ، وكان له عند المنصور والدهم ، بذلك أَكْرَم أثره ، مع ما كان
مشهوراً به من العلم والدين والفضل . وُلِّي القضاء بإشبيلية وقرطبة ومُرسية
وسبته وسلا وميورقة ، فتظاهر بالعدل ، وعُرف بما أبطن من الدين والفضل ،
وكان من العلماء العاملين ، سُنيّاً ، مُجانباً لأهل البدع والأهواء ، بارع
الخط ، حسن التقييد .

مشيخته

تردّد في طلب العلم ، فسمع ببِلنسية وشاطِبة ومرسية وألمرية وقرطبة

(١) طريقة الظاهرية أى المذهب الظاهري ، وقد سبق التعريف به (راجع المجلد الأول من الإحاطة ص ٢٠٩ حاشية) .

(٢) الناصر هو الخليفة المرحى محمد الناصر الدين الله ولد الخليفة يعقوب المنصور ،
وقد حكم من سنة ٥٩٥ - ٦١٠ هـ (١١٩٩ - ١٢١٣ م) ، وهو المهزوم في موقعة العقاب
الشهيرة بالأندلس في سنة ٦٠٩ هـ (١٢١٢ م) .

وإشبيلية ومالقة ، وغيرها من البلاد الأندلسية ، وتحصل له سماعٌ جمٌّ لم يشاركه فيه أحد من أهل المغرب . قرأ القرآن على أبيه ، وعلى أبي محمد عبد الصمد الغسائي ، وأخذ عن ابن حميد كتاب سيبويه تفقُّهاً . وعن غيره ، وسمع عن ابن بشكَّوَال ، وقرأ أكثر من ستين تأليفاً بين كبار وصغار ، وكَمَل له على أبي محمد بن عبد الله ، بين قراءة وسماع نحو من ستة وثلاثين تأليفاً ، منها الصَّحِيحان . وأكثَر عن ابن حُبَيْش ، والسَّهيلي ، وابن الفَخَّار وغيرهم . واستيفاءً مشيخته يَشُق .

شعره

قال الأستاذ ، أنشدني ابنه أبو القاسم ، ونقلت من خطه :
أندري أنَّك الخطأُ حقاً وأنَّك بالذي تَدري رَهِين
وتَعْتَبُ^(١) الألى فعلوا وقالوا وذاك الظَّن والإفكُ المُبِين

مولده

في محرم سنة ثمان وأربعين وخمسمائة .
« وفاته » : كان آخر عمره قد أُعيد إلى مُرسية ، قَصَّدها من الحضرة ، فمات بغرناطة سَحَر يوم الخميس الثاني لربيع الأول اثنى عشرة وستمائة ، ونُقل منها في تابوته الذي أُحْد فيه ، يوم السبت التاسع عشر لشعبان من السنة إلى مالقة ، فدفن بها .

عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن أحمد بن

عبد الرحمن بن ربيع الأشعري

من أهل قرطبة . يكنى أبا القاسم ويعرف بابن ربيع .

(١) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (وتغابوا) .

حاله

كان رحمه الله أديبا، كاتباً شاعراً، نحويًا . فقيها أصوليًا ، مُشاركاً في علوم ، مُحبّاً في القراءة ، وطيباً^(١) عند المناظرة ، مُتناصفاً ، سنياً ، أشعري المذهب والنسب ، مُصمّماً على طريقة الأشعرية ، مُلتزماً للمذهب أهل السنة المالكي ، من بقايا الناس وعليتهم ، ومن آخر طلببة الأندلس المشاركين الجلة ، المُصممين على مذهب أهل السنة . المُنافرين للمذاهب الفلسفية ، والمُبتدعة ، والزَّيغ . وُلِّي قضاءً مواضع من الأندلس . منها مدينة شَرِيش ورُنْدَة ومالقة ، وأمَّ وخطبَ بجامعها . ثم وُلِّي قضاء الجماعة^(٢) بحضرة غرناطة ، وعقدَ بها مجلساً للإقراء . فانتفع به طلبتها ، واستمر على ذلك ، وكانت ولايته غرناطة نحواً من سبعة أعوام .

مُشِيخته

أخذ عن أبيه أبي عامر وتفقه به ، وعن الخطيب أبي جعفر بن يحيى الحميري ، وتلا عليه ، وتآدب به . وعن الأستاذ أبي الحسن بن خروف ، وروى مع هؤلاء عن القاضي أبي القاسم بن بَقِي . وأبي محمد بن حَوْطِ الله ، وأبي عبد الله بن أَصْبَغ وغيرهم ، وأجاز له الشيخ المُسنُّ أبو الحسن علي ابن أحمد بن علي الغافقي الشَّقُورِي ، وله به علُو . وبالأستاذ الخطيب المُسنُّ أبي جعفر بن يحيى المتقدم .

وفاته

توفي في السابع عشر لشوال سنة ست وستين وستمائة . ولهم يَخْلِف بعده مثله ، ولا مَنْ يُنْأَرِبُه .

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (مرصيا) .

(٢) منصب قاضي الجماعة في النظام القضائي الأندلسي هو منصب قاضي القضاة ، أو رئاسة القضاة العليا .

عبد الله بن إبراهيم بن الزبير بن الحسن بن الحسين الثقفي العاصمي
من ولد عاصم بن مُسلم الداخل في طلعة بَلَج الملقَّب بالعريان ، أخو
الأستاذ أبي جعفر بن الزبير ، شقيقه ، يكنى أبا محمد .

حاله

كان طبيباً ماهراً ، كاتباً شاعراً ، ذا كراً للغة ، صَنَعَ^(١) الـيدين ،
متقدِّماً في أقرانه نباهة وفصاحة^(٢) ، معدوم النظر في الشجاعة والإقدام ،
يحضر الغزوات : فارساً وراجلاً ، ولقى بفَحْص غرناطة^(٣) ليلاً ، نَصْرانياً
يتجسَّس ، فأسرَّه وجرَّه ، وأدخله البلد : ولم يلتفت إلى ثَمَنِه ، استَكْنَمَا
لتلك الفيلة .

مشيخته

أخذ القرآن عن الأستاذ أبي عبد الله بن مَسْتَقُور^(٤) ، وروى عن أبي
يحيى بن عبد الرحيم ، وأبي الوليد العطار ، وأبي القاسم بن ربيع [وأبي
الخطار بن خليل ، وأخذ عن أبي عمر بن حَوْطِ الله بمالقة ، وابن أبي ریحانه .
وبَسَبْتَهُ على أبي بكر بن]^(٥) مشليون . وأجاز له أبو بكر بن مُحَرِّز ، وأبو الحسن
الشاري . وأخذ عن الأستاذ الناقد أبي الحسن علي بن محمد الكِنَانِي .

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (كأصابع) والأول أرجح . وصنع
اليدين أي ماهر في الأعمال اليدوية .

(٢) وردت في الإسكوريال (فصا) فقط . وهي ساقطة في الزيتونة .

(٣) فحص غرناطة أو مرج غرناطة La vega de Granada ، هو البسيط الأخضر الذي
يقع جنوب شرق غرناطة . وقد سبق التعريف به (أنظر المجلد الأول من الإحاطة ص ٩٩ حاشية) .

(٤) وردت في الإسكوريال (مسمور) . وفي الزيتونة (مسفور) وهو تعريف .

(٥) ما بين الحاصرتين وارد في الزيتونة ، وسقط في الإسكوريال .

مولده

وُلد بغرناطة لسبع عشرة ليلة خلت من ذى قعدة سنة ثلاث وأربعين وستمائة .
وفاته : توفى بها سحر أول يوم من ذى قعدة سنة ثلاث وثمانين وستمائة .

عبد الله بن موسى بن عبد الرحمن بن حماد الصنهاجي

يكنى أبا يحيى .

حاله

طالب نبيل فاضل ، ورع زاهد ، مؤثر في الدنيا بما تملكه ، تال لكتاب
الله في جميع الأوقات .

أخباره [في الإيثار]^(١)

وجه له السيد [أبو اسحاق]^(٢) ابن الخليفة ابن يعقوب خمسمائة
دُنيّر^(٣) ليُصلح بها من شأنه . فصرف جميعها على أهل السّتر في أقل من
شهر . ومرّ بفتى في إشبيلية ، وأعوان القاضى يحملونه إلى السّجن ، وهو
يبكى فسأله ، فقال : أنا غريب ، وطولبت بخمسين دُنيّرا . وبىدى
عقود ، وطولبت بضامن فلم أجده ، فقال ، له الله ، قال نعم ، قال ،
فدفع له خمسين دُنيّرا ، قال أشهد لك بها ، فضجر وقال إن الله إذا أعطى
عبده شيئا لم يُشهد به عليه ، وتركه وانصرف لشأنه ، وكانت عنده
معرفة وأدب .

« مولده » بغرناطة في سنة إحدى وعشرين وخمسمائة^(٤) .

(١) هذه العبارة واردة في الزيتونة وساقطة في الإسكوريال . (٢) الزيادة من الزيتونة .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (دينار) .

(٤) وردت هذه الترجمة في هامش لوحة 226 من مخطوط الإسكوريال . والظاهر

أن الناسخ كان قد نسيها فثبتها في هذا الموضع .

ومن ترجمة الكتاب والشعراء بين أصلي وطاريء

عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الأزدي

من أهل بلش يكنى أبا محمد . ويعرف بابن المربع^(١)

حاله

من نُبهاء أدباء البادية ، خَشِنَ الظاهر ، مُنْطَوٍ على لَوْدَعِيَّة ، مُتَوَارِيَّة
في مظهر جَفْوَةٍ ، كثير الانطباع عند الخُبْرَةِ ، قادر على النظم والنثر ،
متوسط الطَّبَقَةِ فيهما ، مُسْتَرْفِدٌ بالشعر ، سَيَّالُ القريحة ، مَرْهُوبُ الهجاء ،
مشهور المكان ببلده ، يعيش من الخِدْمِ^(٢) المَخَزَنِيَّةِ ، بين خَارِصٍ^(٣) وشاهد
وجدَ بذلك وقته ، يوسط^(٤) رَقَاعَتَهُ ، فتنجح الوسيلة ، [ويتمشَّى له بين
الرِّضَا والسُّخْطِ الغرض]^(٥) .

وجرى ذكره في « التاج » بما نصه : « طویل القوادم والخوافي ،
كَلِيفٌ على كبر سنه بعقایل القوافي ، شابٌ في الأدب وشبٌّ ، ونَشِيقُ رِيحِ
البيان لَمَّا هبَّ ، قحاول^(٦) رَفِيعَةٍ ، وجزله . وأجاد جَدَّهُ وأَحْكَمَ هَزْلَهُ .
فإن مَدَحَ صَدَحَ ، وإن وَصَفَ أَنْصَفَ ، وإن عَصَفَ قَصَفَ . وإن أنشأ ودونَ ،
وتَقَلَّبَ في أفانين البلاغة وتلونَ ، أفسد ما شاء الله وكَوَّنَ : فهو شيخُ
الطريقة الأدبية وفتاها ، وخطيب حَقْلِهَا^(٧) كلما أتاها . لا يتوقَّف عليه

(١) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الزيتونة (ابن الربيع) .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي الزيتونة (الخدمة) .

(٣) هكذا في الإسكوريال ، وفي الزيتونة (خارج) .

(٤) هكذا في الإسكوريال ، وفي الزيتونة (يوسع) .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال ، وفي الزيتونة (وينزله بين السخط والرضى)

(٦) وردت في الإسكوريال (قحاور) . والتصويب من النسخ .

(٧) هكذا وردت في الإسكوريال والنسخ ، وفي الزيتونة (حلفه) وهو تحريف

من أغراضها غرض ، ولا يَصِيح لديه منها مُفترض . ولم تنزل برُوقه تتألق ،
ومعانيه بأذيال الإحسان تتعلّق . حتى برَزَ في أبطال الكلام وفرسانه ،
وذعرت القلوب لسطوة لسانه ، وألقت إليه الصّناعة زمامها ، ووقفت
عليه أحكامها . وعبرَ البحر ، مُنتجعاً بسعره ، ومُنْفِقاً في سوق الكساد من
شعره ، فأبرق وأرعد ، وحذر وتوعّد^(١) ، وبلغ جهد إمكانه ، في التعريف
بمكانه ، فما حرك ولا هزّ ، وذللّ في طلب الرّفد وقد عزّ ، وما برح أن رجع
إلى وطنه الذي اعتاده ، رجوع الحديث إلى قتاده .

شعره

قال في « التاج » ، وقد أثبت من نزعاته ، وبعض مُخترعاته ، ما يدل
على سعة باعه ، ونهضة ذِراعه . فمن النسيب قوله :

ما للمُحِبِّ دواء يُذهِب الأَلَمَا	عنه سوى لِمَم فيه ارتشاف لِمَا
ولا يَرُدُّ عليه نَومٌ مُقلته	إلاّ الدُّنُو إلى من شفّه سَقَمَا
يا حاكماً والهوى فينا يُؤَيِّدُه	هواك فيّ بما ترّضاه قد حَكَمَا
أشغلتني بك شُغلاً شاغلا	فلما تناسى فديتك عني بعد ذاك لما
ملكته رُوحى فأرْفِق قد علمت بما	يلقى ولا حجة تبقى لمن عَلِمَا
ما غِبت عني إلا غاب عن بَصَرِي	بدرأ إذا لاح يُجلى نوره الظُّلُمَا
ما لُحِتَ لى فدنا طرفي لغيرك يامولّى	لحا فيه جَفَنى النوم قد حُرَمَا
طَوَّعاً لطيعك لا أعصيك فافضِ بما	ترضاه أَرْضَى بما ترضى ولا جَرَمَا
إنّ الهوى يمتنّضى ذلاً لغيرك لو	أفادنى فيك قرباً يُبرِّد الأَلَمَا
سَلِمْتُ من كل عَيْب يا محمداً لا	كن قلب صَبَّك من عَيْنيك ما سَلَمَا

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي النسخ (وأوعد) .

ومن مخاطباته الأدبية . ما كتب هـ إلى شيخ الصوفية ببلده مع طالع
من ولده :

مُماليكم قد زاد فيكم مُربَعٌ	من الأفق الكَوْنِي باليَمْنِ طالع
بأنواركم يَهْدِي إلى سُبُلِ الهدى	وَيَسْمُو لما تَسْمُو إليه المَطالِع
فواسوه منكم بالدُّعاء فَإِنَّه	مُجَاب بفضل الله للخلْق نافع
أفاض عليه الله من بَرَكاتكم	وأبقاكم ذوالعرش ماجنٌ ساجع ^(١)

فوقَّع له الشيخ المخاطب بها : أبو جعفر بن الزيات رحمه الله ، بما نصه :

عسى الله يؤتِيه من العِلْمِ حِصَّة	تُصَوَّب على الألباب منها يَنابع
ويجعلُه طَرَفاً لكل سَجِيَّة	مُطَهَّرَةً للناس فيها منافع
ويُلْحِقُه في الصالحات بجدِّه	فيثني عليه الكلُّ دانٍ وشاسع
وذو العرش جلَّ إِسماءُ عميمٌ نواله	وخير الورى في نصِّ ما قلت شافع
فما أنت دوني يا أباه مُهنأً به	فالسُرور الكلُّ بابنك جسامع

وله يستدعى إلى الباكور :

بَدَار بَدَار قد آن البَدَار	إلى أَكْواسِ باكورٍ تُدار
تبدَّت رافلاتٍ في مُسوح	له لون الدِّياجي مُستعار
وقد رَقَمَت بياضاً في سواد	كَأَنَّ الليل خالَطَه النهار
وقد نَضِجَت وما طُبِخَت بنار	وهل يُحتاج للباكور نَسار
ولا تحتاج مَضْغاً لا وليس ^(٢)	عجيبٌ لا يُشَقُّ له غَبَسار
فقل للخلق قُل للضررس دَعْنِي	ففى البَلْع اكتفاءً واقتصار

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (شافع) .

(٢) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (لا لسر) .

ومما وقع له أثناء مقامات تشبه باقتداره ، مقطوعة سهلة وهى :

رَعَى الله عهداً حوى ما حوى	لأهل الوداد وأهل الهوى
أراهم أموراً حلاً ورُدْهِمَا	وأعطاهم السؤل [كيف نوا] ^(١)
ولما حلا الوصل صالوا له	ورأموه ملُوساً وما رَوا
وأوردتهم سرّاً سِرارهم	ورُوداً إلى الكل ذا دوا
وما أملُ طال إلا وهما	ولا أملُ صال إلا هَوا

وقال يرثى ديكاً فقدّه ، ويصف الوجد الذى وجده ، ويبكى من عدم أذانه ، إلى غير ذلك من مُستطرف شأنه :

أوودى به الحتف لما جاءه الأجل	ديكاً فلا عِوض منه ولا بدل
قد كان لى أملٌ فى أن يعيش فلم	يُثبِت مع الحتف فى بُغياها أمل
فقدته فلعمرى إنها عِظْسة	وبالمواعظ تَذرى دمعها المُقل
كأنّ مطرفاً وثى فوق ملبسه	عليه من كل حُسن باهر حُل
كأنّ إكليل كسرى فوق مفرقه	وتاجه فهو على الشّكل مُحتفل
مؤقتٌ لم يكن بطريق له خطأ	فيما يُرتب من وِرد ولا خطا
كأنّ زرقيل فيما مرّ علمه	علم المواقيت فيما رتب الأول
يرحل الليل يُحجى بالصّراخ فما	يصدّه كَلَلٌ عنه ولا مَدل
رأيتُه قد وهنت منه القوى فهوى للأرض فعلا يُريه الشّارب الثمل	
لو يُفتدى بديوك الأرض قلّ له	ذاك الفِدا ولكن فاجأ الأجل
قالوا الدّواء فلم يُغن الدّوا ولم	ينفعه من ذاك ما قالوا وما فعلوا

(١) هكذا وردت فى الزيتونة ووردت بحرفة فى الإسكوريال (كلا بهوا) .

أَمَلْتُ فِيهِ ثَوَاباً أَجْرُ مُخْتَسِبٍ إِنَّ قَلْتُ ذَاكَ صَحَّ الْقَوْلُ وَالْعَمَلُ
 وَأَمْرُهُ السُّلْطَانُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ سَادِسُ الْمُلُوكِ النَّصْرِيِّينَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ ،
 وَقَدْ نَظَرَ إِلَى شُلَيْبٍ ^(١) . وَتَرَدَّى بِالثَّلَجِ وَتَعَمَّمَ ، وَكَمَّلَ مَا أَرَادَ مِنْ بَزَّتِهِ ^(٢)
 وَتَمَّمَ ، أَنْ يَنْظُمَ أُبَيَاتاً فِي وَصْفِهِ ، فَقَالَ بَدِيهَةً :

وَمَا عِنْدَهُ عِلْمٌ بِطُولٍ وَلَا قِصَرٍ	وَشَيْخٌ جَلِيلُ الْقَدْرِ قَدْ طَالَ عَمْرُهُ
وَلَيْسَ بِثَوْبٍ أَحْكَمْتَهُ يَدُ الْبَشَرِ	عَلَيْهِ لِبَاسٌ أَبْيَضٌ بَاهِرُ السَّنَا
وَكُسُوتُهُ فِيهَا لِأَهْلِ النَّهْيِ عِبر	وَطَوْرًا تَرَاهُ كُلَّهُ كَأَسِيًّا بِهِ
لِحَرٍّ وَلَا بَرْدٍ مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ	وَطَوْرًا تَرَاهُ عَارِيًّا لَيْسَ يَشْتَكِي
عَلَى حَالِهِ لَمْ يَشْكُ ضَعْفًا وَلَا كِبَرٍ	وَكَمْ مَرَّتِ الْأَيَّامُ وَهُوَ كَمَا تَرَى
لِبَهْجَتِهَا فِي الْأَرْضِ ذَكَرٌ قَدْ انْتَشَرَ	فَذَاكَ شُلَيْبٌ شَيْخٌ غَرْنَاطَةُ النَّبِيِّ
كَبِيرٌ مَلُوكِ الْأَرْضِ فِي حَالَةِ الصِّغَرِ	بِهَا مَلِكٌ [سَامِي الْمَرَاقِ أَطَاعَهُ] ^(٣)
تَقْيِيهِ مَدَى الْأَيَّامِ مِنْ كُلِّ مَا ضُرِرَ	تَوَلَّاهُ رَبُّ الْعَرْشِ مِنْهُ بَعْضُ مِصْمَةٍ

نشره

ونشره كثير ما بين مخاطبات وخطب [وَمُقْطَعَاتٍ] ^(٤) ولعب ، وَزَرْدِيَّاتٍ
 شَأْنُهَا عَجَبٌ . فَمِنْ ذَلِكَ مَا خَاطَبَ بِهِ الرَّئِيسَ أَبَا سَعِيدَ بْنِ نَصْرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ
 أَضْعَحِيَّةَ :

يَقُولُ شَاكِرُ الْأَيَّادِي . وَذَاكَرُ فَخْرٍ كُلِّ نَادِي ، وَنَاشِرُ غُرُورِ الْعُرُورِ
 لِلْعَاكِفِ وَالْبَادِي ، وَالرَّايِحِ وَالْغَادِي . إِسْمَعُوا مِنِّي حَدِيثًا تَلَذُّهُ الْأَسْمَاعُ ،

(١) شُلَيْبٌ هُوَ الْجَبَلُ الشَّهِيرُ الْمُسَرَّفُ عَلَى غَرْنَاطَةِ ، وَدُسِمَى كَذَلِكَ جَبَلُ السَّلْحِ ، وَدِرْيسِيَّةُ Sierra Nevada . وَفَدَّ سَبْقُ الْعَمَلِ بِهِ (أَنْبَاءُ الْأَوَّلِ مِنَ الْإِحَامَةِ ص ٩٦ حَاشِيَةٌ)
 (٢) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَّالِ . وَفِي الرِّبْتُونَةِ (حَرْنَد) وَمَعْنَاهَا الْإِيَّامُ الْمَدَى
 أَوْ السَّحَابُ الْمَاطِرُ . وَالْأَوَّلُ أَرْجَحُ .
 (٣) هَكَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ فِي الْإِسْكُورِيَّالِ . وَفِي الرِّبْتُونَةِ (سَائِسُ الرِّبَابِ طَاعَةُ) .
 (٤) هَذِهِ الْكَلِمَةُ وَارِدَةٌ فِي الزَّيْتُونَةِ ، وَسَاقِطَةٌ فِي الْإِسْكُورِيَّالِ .

وَيَسْتَطِرْفُهُ الْإِسْتِمَاعُ . وَيَشْهَدُ بِحُسْنِهِ الْإِجْمَاعُ . وَيَجِبُ عَلَيْهِ الْإِحْتِمَاعُ . وَهُوَ مِنَ
 الْأَحَادِيثِ الَّتِي لَمْ تَتَّفَقْ إِلَّا لِمِثْلِي . وَلَا ذَكَرْتُ عَنْ أَحَدٍ قَبْلِي . وَدَلِيلُكَ يَا مُعْشَرَ الْأَلْبِيَاءِ ،
 وَالْخُلَصَاءِ الْأَحْيَاءِ . أَنِّي دَخَلْتُ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ دَارِي . فِي بَعْضِ أَذْوَارِي ،
 لِأَقْضَى مِنْ أَخَذِ الْغِذَاءِ أَوْ طَارِي . عَلَى حَسَبِ أَطْوَارِي . فَقَالَتْ لِي رَبَّةُ
 الْبَيْتِ ، لَمْ جِئْتُ . وَبِمَا أَتَيْتُ . قُلْتُ جِئْتُ لَكِذَا وَكَذَا فَهَاتِ الْغَدَا ،
 فَقَالَتْ لَا غَدَا لَكَ عِنْدِي الْيَوْمَ . وَلَوْ أَوْدَى بِكَ الصَّوْمُ . حَتَّى تَسَلَ
 الْإِسْتِخَارَةَ ، وَتَفْعَلَ كَمَا فَعَلَ زَوْجُ الْجَارَةِ ، طَيِّبَ اللَّهُ نِجَارَهُ . وَمَلَأَ
 بِالْأَرْزَاقِ وَجَارَهُ . قُلْتُ وَمَا فَعَلَ قَرِينِي . وَأَرْنِي مِنَ الْعَلَامَةِ مَا أَحْبَبْتَ [أَنْ]
 تَرِينِي . قَالَتْ إِنَّهُ فَكَّرَ فِي الْعِيدِ . وَنَظَرَ فِي أَسْبَابِ التَّعْبِيدِ . وَفَعَلَ فِي ذَلِكَ
 مَا يَسْتَحْسِنُهُ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ . وَأَنْتِ قَدْ نَسِيتَ ذِكْرَهُ ؛ وَمَحَوْتَهُ مِنْ بَالِكَ ،
 وَلَمْ تَنْظُرِي إِلَيْهِ نَظْرَةً بَعِينٍ اهْتِبَالِكِ . وَعِيدِ الْأَضْحَى فِي الْيَدِ . وَالنَّظَرُ فِي
 شِرَاءِ الْأُضْحِيَّةِ الْيَوْمِ أَوْفَقُ مِنَ الْعَدِّ . قُلْتُ صَدَقْتِ ، وَبِالْحَقِّ نَطَقْتِ ،
 بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ ، وَشَكَرَ جَمِيلَ تَحْفِيكِ . فَلَقَدْ نَبَّهْتِ بَعْلِيكَ لِإِقَامَةِ السُّنَّةِ ،
 وَرَفَعْتَ عَنْهُ مِنَ الْغَفْلَةِ مَنَّةً . وَالْآنَ أَسِيرُ لِأَبْحَثَ عَمَّا ذَكَرْتِ . وَأَنْظُرِي فِي
 إِحْضَارِ مَا إِلَيْهِ أَشَرْتُ . وَيَتَأَتَّى ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِسَعْدِكَ . وَتَنَالِينَ فِيهِ مِنْ
 بِلَوَغِ الْأَمْرِ غَايَةِ قَصْدِكَ . وَالْجَدُّ لَيْسَ مِنَ الْهَزْلِ ، وَالْأُضْحِيَّةُ لِلْمَرْأَةِ وَلِلرَّجُلِ
 الْغَزَلُ . قَالَتْ ذَعْنِي مِنَ الْخُرَافَاتِ . وَأَخْبَارِ الزَّرَّافَاتِ . فَإِنَّكَ حُلُوُ اللِّسَانِ ،
 قَلِيلُ الْإِحْسَانِ . تَخَذْتُ الْغُرْبَةَ صُحْبَتَكَ إِلَى سَاسَانِ . فَتَهَاوَنْتِ بِالنِّسَاءِ ،
 وَأَسَأْتُ فِيمَنْ أَسَا . وَعُودْتُ أَكُلَ خُبْزِكَ فِي غَيْرِ مَنْدِيلِ . وَإِيقَادِ الْفَتِيلِ
 دُونَ قَنْدِيلِ ، وَسُكْنَى الْخَانِ . وَعَدَمِ ارْتِفَاعِ الدُّخَانِ . فَمَا تَقِيمُ مَوْسِمًا ،
 وَلَا تَعْرِفُ لَهُ مَيْسِمًا . وَأَخَذْتُ مَعِيَ فِي ذَلِكَ بِطَوِيلٍ وَعَرِيضٍ . وَكَلَانًا فِي
 طَرَفِي نَقِيضٍ . إِلَى أَنْ قُلْتُ مَا إِزَارُكَ وَرِدَائِي ، فَقَدْ تَفَاقَمَ بِكَ أَمْرُ دَائِي ،

وما أظنك إلا بَغْض^(١) أعدائي . قالت مالك والإزار ، شطَّ بك المزار ،
لعلك تريد إرْهانه في الأُضْحِيَّة والأبْزار ، أخرج عني يا مَقِيَّت ، لا عَمِرْتُ
معك ولا بقيت ، أَوَعَدِمْتَ الدِّين ، وأخذ الورق بالعين . يلزمني صوم
سنة ، لا أَغْفَيْتُ معك سنة ، إلا إن رَجَعْتُ بمثل ما رجع به زوج جارتي ،
وأرى لك الرِّيح في تجارتي . فقامت عندها وقد لَوَتْ رأسها وولَّكت^(٢) ،
وابْتَدَرَتْ وهَرُولَتْ ، وجالت في العِتاب وَصَوَّلَتْ ، وضُمَّتْ بِنْتَهَا وولدها ،
وقامت باللَّجج ، والانتصار بالحُجج أودَّها ، فلم يسغنى إلا أن عدوت
أطوف السُّكَّ والشوارع ، وأبادر لما غدوتُ بسبيله وأسارع ، وأجوب
الآفاق ، وأسِل الرِّفاق ، وأخترق الأسواق ، وأقتحم زريبة بعد زريبة ،
وأختبر منها البعيدة والقريبة ، فما استرخَصْتَه استَنَقَصْتَه ، وما استغلبته
استغلبته ، وما وافق غرضي ، اغترَضْنِي دُونَهُ عَدَمُ غَرْضِي ، حتى انقضى
ثُلثا يومي ، وقد عَيِيَتْ بدوراني وهَوَى ، وأنا لم أتحصل من الابتِياح على
فايدة ، ولا عادت عليَّ فيه من قضاء الأرب عايِدة ، فأومأت الإياب ، وأنا
أجد من خَوْفِها ، ما يجد صغار الغنم من الذَّئاب ، إلى أن مررت بقصَّاب
[يقصب]^(٣) في مَجْزَرِهِ ، قد شدَّ في وسطه مِئْزَرَهُ ، وقَصَّر^(٤) أثوابه حتى
كشف عن ساقيه ، وشَمَّر عن ساعديه حتى أبدى مِرْفَقيهِ ، وبين يديه عَنَزٌ
قد شدَّ يديه في رَقَبَتِهِ^(٥) ، وهو يجذبه فيبْرُك ، ويجرُّه فما يتحرَّك ، ويروم
سَيْرَهُ فيرجع القهقري ، ويعود إلى ورا ، والقصَّاب يشدُّ على إزاره ، خِيفَةً

(١) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الزيتونة (من جملة) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الزيتونة (رولت) .

(٣) هذه الزيادة من الزيتونة .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الزيتونة (وربط) .

(٥) وردت في الإسكوريال (روقيه) . والتصحيح من الزيتونة .

من فراره ، وهو يقول : اقتله من جانِ باغٍ ، وشيطان طاغٍ ، ما أشده
وما ألذه ، وما أصدّه ، وما أجده ، وما أكثره بشخم . وما أطيبه بلحم ،
الطلاق يلزمه ، إن كان عاين تيساً مثله أو أضحية تشبهه قبله ،
أضحية حفيّلة ، ومنحة جليّلة . هنّا الله من رزقها ، وأخلف عليه رزقها .
فاقتحمت المزدحم ، أنظر مع من نظر ، وأختبر فيمن اختبر . وأنا والله
لا أعرف في التّقليب والتّخمين . ولا أفرّق بين العجف والسّمين ، غير أنّي
رأيت صورة دون البغل وفوق الحمار ، وهيكلًا يُخبرك عن صورة العُمار ،
فقلت للقصاب كم طلبك فيه ، على أن تُمهّل الثّمن حتى أوفيه ، فقال
ابغني فيه أجيرا ، وكن له الآن من الذّبح مُجيرا ، وخُذْه بما يرضى ، لأول
التّقضى . قلت استمع الصوت ، ولا تخفّ القوّت . قال ابتعّه مني نسيّة
وخُذْه هديّة ، قلت نعم ، فشقّ لي^(١) الضمير . وعاكسني فيه بالنّقيير
والقطمير . قال تضمّن لي فيه عشرين دينارا^(٢) أقبضها منك لانقضاء
الحول دُنَيْراً دُنَيْراً^(٣) . قلت إنّ هذا لكثير ، فاسمح منه بإحاطة اليسير .
قال والذي فلّق الحبة ، وبرأ النّسمة ، لا أنقصك من هذا . وما قلت لك
سمّيمة ، اللهم إن شئت السّعة في الأجل . فأقضى لك ذلك دون أجل ،
فجلّبتني للابتّيع منه ، الإنساء في الأمَد^(٤) . وغلّبتني بذلك فلم أفقر منه
لرأى والد ولا وَلَد ، ولا أحوجت نفسي في ذلك لمشورة أحد ، وقلت قد
اشتريته منك ، فضّع البركة ، ليصحّ النّجح في الحركة . فقال فقيّه ،
بارك الله فيه ، قد بعته لك . فاقبض متاعك . وثبّت ابتياعك . وها هو في

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (فشقني) .

(٢) وردت في الإسكوريال (كبارا) والتصويب من الزيتونة .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (دينار دينار)

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الأجل) والمؤدى واحد

قَبْضِكَ ، فاشدُّدْ وثاقه ، وهلمَّ لنعمد عليك الوثاقه . فأنحدرت معه لدكان التوثيق، وابتدرت من السَّعة إلى الضيق ، وَأَوْثَقَنِي بالشَّاة تحت عَمْدٍ وثيق ، وحمَلَنِي من ركوب الدين ولحاق الشَّين في أَوْعر طريق . ثم قال لي هذا تَيْسُكَ فشأنك وإياه ، وما أَظنك إلا تَعْصِياه^(١) ، وأتِ بحمَّالين أربعة ، فإنك لا تقدر أن تَرْفَعه ، ولا يتأتَّى لك أن يُتَبَّعَكَ ولا أن تَتَّبَعه ، ولم يبق لك من الكُلْفَةِ إلا أن يَحْضُلَ في محلِّكَ ، فيكْمُلُ سرورُ أَهْلِكَ . وانطلقت للحمَّال ، وقلت هلمَّ إليَّ ، وقم الآن بين يديَّ ، حتى انتهينا إلى مَجْزرة القَصَّاب ، والعَنْزُ يُطلب فلا يُصاب ، فقلت أين التَّيسُ يا أبا أُوَيْس . قال إنه قد فرَّ ، ولا أعلم حيث استقرَّ . قلت أَتُضِيعُ عليَّ مالى ، لتُخِيبَ آمالى ، والله لا يُحْزِنُكَ بالعَصَا كمن عَصَا ، ولا رَفَعْتُكَ إلى الحُكَّام ، تُجْرى عليك منهم الأحكام . قال مالى علم به ، ولا يَمُنُّ قَلْبِي ، لعلَّه فرَّ لأُمِّه وأبيهِ ، وصاحِبَتِهِ وبَنِيهِ ، فعليك بالبرِّيح . فاتجهت أنادى بالأسواق ، وجيران الزُّقاق ، من ثَمِفَ لي تَيْساً فله البِشارة ، بعد ما أتى بالأماره ، وإذا بِرَجُلٍ قد خرج من دَهْلِيز ، وله هَدِير وهَزِير ، وهو يقول من صاحبُ العَنْزِ المشُوم ، لا عَدِمَ به الشُّوم ، إن وَقَعْتَ عليه عيني ، يرتفع الكلام بينه وبينى . قلت أنا صاحبه فما الذى دَهاكَ مِنِّي أو بلغكَ عَنِّي . قال إن عَنزَكَ حين شَرَدَ، خرج مثل الأسد ، وأوقع الرَّهَجَ^(٢) في البلد ، وأضرَّ بكلِّ أَحَدٍ ، ودخل في دهلِيز الفخَّارة ، فقام فيه وقَعَد ، وكان العمل فيه مطبُوخاً ونيأ ، فلم يترك منه شيا ، ومنه كانت مَعِيشَتِي ، وبه استقامت عِيشَتِي ، وأنت ضامن مالى ، فارتَفِيعْ معي إلى الوالى ، والعَنْزُ مع هذا يَلُورُ وَسَطَ الجمهور ،

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي الزيتونة (إلا أنك تنماه) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الرهجة) .

وَيَكُرُّ كَرَّةً الْغَفْرِيتِ الْمَرْجُورِ ، وَيَأْتِي بِالْكَسْرِ عَلَى مَا بَقِيَ فِي الدَّهْلِيْزِ مِنَ
الطُّوَاجِنِ وَالْقُدُورِ ، وَالخَلْقُ قَدْ انْحَسَرُوا لِلضَّجِيْجِ ، وَكَثُرَ الْعِيَاطُ وَالْعَجِيْجُ
وَأَنْتَ تَعْرِفُ عَفْرَطَةَ الْبَاعَةِ ، وَمَا يَحْوُونَ مِنَ الْوَضَاعَةِ ، وَأَنَا أَحَاوِلُ مِنْ
أَخَذِهِ مَا أَسْتَطِيعُ ، وَأَرْوِمُ الْإِطَاعَةَ مِنْ غَيْرِ مُطِيعٍ ، وَالْبَاعَةُ قَدْ أَكْسَبَتْهُ مِنَ
الْحِمَاقَةِ ، مَا لَمْ يَكُنْ لِي بِهِ طَاقَةٌ . وَرَجُلٌ يَقُولُ الْمُحْتَسِبُ ، وَاعْرِفْ مَا
تَكْتَسِبُ ، وَإِلَى مَنْ تَتَنَسَّبُ ، فَقَدْ كَثُرَ عِنْدَهُ بِكَ التَّشْكِيُّ ، وَصَاحِبُ
الدَّهْلِيْزِ قُبَالَتِهِ يَبْكِي ، وَقَدْ وَجَدَ [عِنْدَهُ] ^(١) عَلَيْكَ وَجَدَ الشُّكُوى ، وَأَيَقِنُ
أَنَّكَ كَسَرْتَ الدَّعْوَى ، وَأَمْرٌ بِإِحْضَارِكَ ، وَهُوَ فِي انْتِظَارِكَ ، فَشَدُّ وَسْطِكَ ،
وَاحْفَظْ إِبْطَاقَكَ ، وَإِنَّكَ تَقُومُ عَلَى مَنْ فَتَحَ بَاعَهُ لِلْحُكْمِ عَلَى الْبَاعَةِ ، وَنُصِبَ
لِأَرْبَابِ الْبِرَاهِينِ عَلَى أَرْبَابِ الشُّوَاهِينِ ، وَرَفَعَ عَلَى طَبَقَةٍ ، لِيَمْلَأَ طَبَقَةً ،
ثُمَّ أَمْسَكَنِي بِالْيَمِينِ ، حَتَّى أَوْصَلَنِي لِلْأَمِينِ ، فَقَالَ لِي أَرْسَلْتَ التَّيْسَ لِلْفُسَادِ
كَأَنَّكَ فِي نِعَمِ اللَّهِ مِنَ الْحُسَادِ . قُلْتُ إِنَّهُ شَرَّدَ ، وَلَمْ أَدْرِ حَيْثُ وَرَدَ ، قَالَ
وَلَمْ لَا أَخَذْتَ مِيثَاقَهُ ، وَلَمْ تَشْدُدْ وَثَاقَهُ ، يَا شَرْطِي طَرَّدَهُ ، وَاطْرَحَ يَدَكَ
فِيهِ وَجَرَّدَهُ . قُلْتُ أَتَجَرَّدُنِي السَّاعَةَ ، وَلَسْتُ مِنَ الْبَاعَةِ ، قَالَ لَا بَدَأَ مِنْ ذَاكَ
أَوْ تَضْمَنَ مَا أَفْسَدَهُ هُنَاكَ . قُلْتُ الضَّمَانُ الضَّمَانُ ، الْأَمَانُ الْأَمَانُ . قَالَ قَدْ
أَمْنْتُ إِنْ ضَمِنْتَ ، وَعَلَيْكَ الثَّقَافُ ، حَتَّى يَقَعَ الْإِنْصَافُ ، أَوْ ضَامِنٌ كَافٍ ،
فَابْتَدَرَ أَحَدُ إِخْوَانِي ، وَبَعْضُ جِيرَانِي ، فَأَدَّى عَنِّي مَا ظَهَرَ بِالتَّقْدِيرِ ، وَآلَتْ
الْحَالُ لِلتَّكْدِيرِ . ثُمَّ أَرَدْتُ الْإِنْصِرَافَ بِالتَّيْسِ ، لَا كَانَ كَيَانَهُ ، وَلَا كَوْنَهُ
مَكَانَهُ ، وَإِذَا بِالشَّرْطِي قَدْ دَارَ حَوْلِي ، وَقَالَ لِي كُذِّفْ فِعْلِي بِأَدَاءِ جَعَلِي ، فَقَدْ
عَطَلْتُ مِنْ أَجْلِكَ شُغْلِي ، فَلَمْ يَكْ عِنْدِي بِمَا تُكْسِرُ سُورَتَهُ ، وَلَا بِمَا تُطْفِئُ
جَمْرَتَهُ ، فَاسْتَرَهَنَ مِثْرَى فِي بَيْتِهِ لِيَأْخُذَ مَايَتَهُ ^(٢) . وَتَوَجَّهْتُ لِدَارِي ، وَقَدْ

(١) زَائِدَةٌ فِي الزَيْتُونَةِ . (٢) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ ، وَفِي الزَيْتُونَةِ (مَا فَتَهُ) .

تقدّمت أخبارى . وقدمت بغبارى . وتغيّر صغارى وكبارى . والتّيس على
 كاهل الحمّال . يرغو كالبعير . ويزأركالأسد إذا فصلت العير . فلقّت
 للحمال إنزله على مهل . فهلال^(١) التّعييد قد استهلّ ، فحين طرحه فى
 الأسطوان . كراً إلى العُدوان ، وصرخ كالشيطان . وهم أن يقفّز الحيّطان ،
 وعلا فوق الجدار ، وأقام الرّهجة فى الدار ، ولم تبق فى الزقاق عجوز
 إلا وصّلت لتراه ، وتسلّ عما اعتراه ، وتقول بكم اشتراه ، والأولاد قد
 [دارت به]^(٢) ، وأرهقهم لهفه ، ودخل قلوبهم خوفه ، فابتدرت ربّة
 البيت . وقالت كيت وكيت ، لا خلّ ولا زيت ، ولا حى ولا ميت ،
 ولا موسم ولا عيد ، ولا قريب ولا بعيد . سقت العفريت إلى المنزل ،
 ورّجعت بمعزول ، ومن قال لك اشتريه ، ما لم تره ، ومن قال لك سقه
 حتى توثقه ، ومتى تفرّح زوجتك ، والعنز أضحيّتك ، ومتى تطبخ القدور
 وولّدك منه معذور . وبأى قلب تأكل الشّويّة ، ولم تخلّص لك فيه النيّة
 واقلة سعيها ، وأخلف وعدها . والله لو كان العنز يخرج الكنز ، ما عمّر
 لى داراً . ولا قرّب لى جواراً . أخرّج عنى يا لكيع ، فعل الله بك وصنع ،
 وما حبّسك عن الكباش السّمان . والضّان الرّفيعة الأثمان ، يا قليل التّحصيل ،
 يا من لا يعرف الخياطة ولا التّفصيل . أدلّك على كبش سمين . واسع
 الصدر والجبين . أكحلّ عجيب . أقرن مثل كبش الخطيب . يعبق من
 أوذاكه كلّ طيب . يغلب شحمه على لحمه . ويسيل الودك من عظمه ،
 قد عُلف بالشّعير . ودبرّ عليه أحسن تدبير . لا بالصّغير ولا بالكبير ،
 تصدّح منه الألوان . ويستطرف شواه فى كلّ أوان . ويستحسن ثريده

(١) دت فى الإسكوريال (بهـ ١) . و تعريب من التريوتة .

(٢) التريادة من التريوتة

وقديده في سائر الأحيان . قلت بيّني لي قولك . لأتعرّف فعلك . وأين تُوجد هذه الصّفة . يا قليلة المَعْرِفة . قالت عند مولانا ، وَكَهْفِنَا وَمَأْوَانَا الرئيس الأعلى ، الشّهاب الأجلّي ، القمر الزّاهر . الملك الظّاهر ، الذي أعزّ المسلمين بنِعْمَتِهِ ، وأذلّ المشركين بنِقْمَتِهِ . واسترسل في المدح فأطال وفيما ثبّت كِفَايَةً .

وفاته

في كايّنة الطّاعون ببليده بلّش في أواخر عام خمسين وسبعماية ودفن بها .

عبد الله بن إبراهيم بن وزمر الحجارى^(١) الصّنهاجى

الأديب المصنف ، يكنى أبا محمد .

حاله وأوّليته

أبو أدب مدينة الفرج بوادى الحجارة^(٢) ، المصنّف للمأمون بن ذى النون^(٣) كتاب « مغنيطاس الأفكار فيما تحتوى عليه مدينة الفرج من النظم والنثر والأخبار » ، وكان أبو محمد هذا ما هراً ، كاتباً ، شاعراً ، رَحَّالاً . سكن مدينة شِلْب^(٤) . بعد استيلاء العدو على بلاده « بالشّغر » .

(١) نسبة إلى مدينة « وادى الحجارة » .

(٢) مدينة الفرج هو اسم يطلق على مدينة وادى الحجارة وبالإسبانية Guadalajara وهى مدينة أندلسية حصينة ، تقع على أحد أفرع نهر التاجه على مقربة من منابعه جنوبى الثغر الأعلى . وكانت أيام المسلمين من المواقع الأندلسية الأمامية ، ونشبت حولها خلال المصور المتوالية ، وقائع عديدة بين المسلمين والنصارى .

(٣) المأمون بن ذى النون ، هو من ملوك الطوائف ، وقد حكم طليطاة من سنة ٤٣٥ إلى سنة ٤٦٧ هـ وكان من أعظم ملوك بنى ذى النون ، وأعظم ملوك الطوائف .

(٤) شلب Silves هى مدينة صغيرة . بولاية الغرب الأندلسى تقع جنوبى البرتغال ، وإليها ينتسب الشاعر الكبير ابن عمار ، وقد كانت أيام بنى عباد قاعدة منطقة النرب القصوى ، وما زالت بها بعض أطلال قصر الشراويت الشهير .

وله في التَّحْوُلُ أشعار وأخبار . قَدَم غرناطة ، وقصد عبد الملك بن سعيد صاحب القلعة^(١) من بُنَيَّاتِهَا ، واستأذن عليه في زِيٍّ موحِشٍ ، واستخَفَّ به القاعدون ببابه ، إلى أن لطف بعضهم ، وسأله أن يُعرِّف به القياد ، فلما بُلِّغَ عنه ، أمر بإدخاله . فأنشده قصيدة مطلعها :

عليك أحوالي الذِّكر الجميل فجيتُ ومن ثُنَايِك لي دَليل
أتيتُ ولم أقدم من رسول لأن القلب كان هو الرسول
منها في وصف زِيِّه البدوي المُستقل وما في طيِّه :

ومثِّلني بَدَنٌ فيه خمر يخف بها ومنظره ثَقِيل
فأكرم نَزْلَه ، وأحسن إليه ، وأقام عنده سنة ، حتى أَلَّف بالقلعة كتاب « المُسَهَّب في غرائب المَغْرِب » ، وفيه التَّنْبِيه على الحُلَى البَلَادِيَةِ والعِبَادِيَةِ . وانصرف إلى قصد ابن هود برُوطَة ، بعد أن عدَّله عن التَّحْوُل عنه ، فقال النَّفْس تَوَاقَة ، ومال بالتَّغْرِب طاقة ، ثم أفكَّر وقال :
يقولون لي ماذا الملal تقيم في محلٌ فعند الأُنس تذهب راحلا
فقلت لهم مثل الحَمَام إذا شدا على غُصْن أَمْسَى بآخر نازلا

نكبه

قال علي بن موسى بن سعيد^(٢) : ولما قصد الحِجَارَى رُوطَة . وحلَّ

(١) القلعة أو قلعة بني سعيد أو قلعة يحصب ، وهي الآن Alcalá la Real (القلعة الملكية) بلدة حصينة تقع شمالي غرناطة . وقد سبق التعريف بها (أنظر المجلد الأول من الإحاطة ص ١١١ حاشية) .

(٢) علي بن موسى بن سعيد الأندلسي المعروف بابن سعيد المغربي من سادة قلعة بني سعيد التي سبقت الإشارة إليها . وهو أديب ورحالة . وسليل أسرة من الأدباء والمؤرخين ، وهو آخر من عصف من أسرته كتاب « المغرب في حلى المغرب » الشهير ، والذي توالى على تصنيفه عدة من أسرته . وقد توفي بدمشق سنة ٦٧٣ هـ . وسوف يترجم له ابن الخطيب فيما بعد .

لدى أميرها المستنصر بن عداد الدولة بن هود^(١) . وتحرك لغزو من قصده من البشكنس^(٢) ، فهزم جيشه ، وكان الحيجارى أحد من أسر في تلك الوقعة ، فاستقر ببسقية^(٣) ، وبقي بها مدة ، يحرك ابن هود بالأشعار ويحثه على خلاصه من الأسار ، فلم يجد عنده ذمامة ، ولا تحرك له اهتمامه ، فخاطب عبد الملك بن سعيد بقوله :

أصبحت في بسقية مُسْلِمًا إلى الأعادي لا أرى مُسْلِمًا
مُكَلَّفًا ما ليس في طاقتي مُصَفِّدا مُنْتَهرا مُرْعَمًا
أطلب بالخسمة واحسرتي وحالتي تقضى بآن أُخْدَمَا
[فهل كريم يُرتجى للأسير يفكه أكرم به مُنْتَمًا]^(٤)

وقوله :

أرئيس الزمان أغفلت أمري وتلذذت تاركاً لي بأسري
ما كذا يعمل^(٥) الكرام ولكن قد جرى على الموعود دهرى
فاجتهد في فدايه ، [ولم يمر شهر]^(٦) إلا وقد تخلص من أسره ،

(١) المستنصر بن هود ولد عماد الدولة عبد الملك بن المستعين بن هود ، وهو آخر بني هود ملوك سرقسطة . وكان بعد سقوط سرقسطة في أيدي المرابطين (سنة ٥٠٣ هـ) قد لجأ إلى بلدة روعة الحصينة الواقعة على نهر خالون جنوبي سرقسطة واستقر بها . ولما توفي خلفه في الإمارة ولده أبو جعفر أحمد الملقب بسيف الدولة المستنصر بالله ، واستمر في حكم روعة وما حولها تحت حماية ملك أراجون حتى خلع عنها سنة ٥٣٤ هـ (١١٣٩ م) .

(٢) البشكنس Vascones هم سكان مملكة ولاية نازار (نبرة) الواقعة شمال غرب الثغر الأعلى بين سفوح البرنيه وخليج غسقونية .

(٣) بسقية وبالإسبانية Vizcaya ، هي إحدى ولايات مملكة نافارا أو نبرة ، السالفة الذكر .

(٤) هكذا ورد هذا البيت في الزيتونة . وفي الإسكوريال كالاتي (فهل كريم يرتجى له فكاك يا أكرمهم منّا) وهو نص محرف .

(٥) هكذا في الإسكوريال وفي الزيتونة (ويفعل) .

(٦) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في الزيتونة كالاتي (ولم تمر به أشهر)

واستقرَّ لديه . فكان طليق آل سعيد . وفيهم يقول

وجدت سعيداً مُنْجِباً خيراً غُضْبَةً هم في بني أعصارهم^(١) كالمواسم
مُسْنَفَةً أَسْمَاعُهُمْ بِمَدَائِحِ^(٢) مُسَوِّرة أَيْمَانِهِمْ بِالصُّورَامِ
[فكم لهم في الحرب من فضل نائِرٍ وكم لهم في السَّلم من فضل ناظِمٍ]^(٣)

تواليفه

وتواليفه الحِجَارِي بديعة . منها « الحديقة » في البديع . وهو كتاب مشهور . ومنها « المسهب في غرايب^(٤) المغرب » . وافتتح خطبته بقوله : « الحمد لله الذي جعل العباد من البلاد بِمَنْزِلَةِ الأرواح من الأجساد ، والأسياف من الأغمام » . وهو في ستة مجلدات^(٥) .

عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد
ابن الخطيب السَّلماني

يكنى أبا محمد .

« أَوْلَيْتُهُ » ، تُنْظَرُ فِي اسْمِ جَدِّهِ .

حاله

حسن الشَّكْل . جيِّد الفهم ، يُغَطِّي مِنْهُ [رِمَاذُ]^(٦) السُّكُونُ جُمُوعَ حَرَكَةٍ ، مُنْقِصٌ عَنِ النَّاسِ . قَلِيلُ الْبَشَاشَةِ . حَسَنُ الْخَطِّ . وَسَطُ النَّظْمِ . كَتَبَ

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي كتاب المغرب (أزمهيم)

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي كتاب المغرب (بفضايل)

(٣) هذا البيت وارد في كتاب المغرب ، وساقط في الإسكوريال والزيتونة

(٤) هكذا في الإسكوريال ، وفي المغرب « فضائل » .

(٥) لم يذكر لنا ابن الخطيب تاريخ وفاة الحجاري . وقد توفي في سنة ٥٢٠ هـ (١١٥٥ م)

(٦) الزيادة من نفح الطيب

عن الأمراء بالمغرب ، وأنشدتهم . واقتضى خلعهم وصكوكهم بالإقطاع والإحسان . ثم لما كانت الفتنه ، كتب عن سلطان وطنه ، مُعزَّز الخُطَّة بالقيادة ، وأنشدتهم .

مشيخته

قرأ على قاضي الجماعة ، الشيخ الأستاذ الخطيب أبي القاسم الحسني ، والأستاذ الخطيب أبي سعيد فرج بن لب التَّغْلبي ، واستظهر بعض المبادئ في العربية ، واستُجيز له من أدركه ميلادُه من أهل المشرق والمغرب .

شعره

وشعره مُترَفَّع عن الوَسَط إلى الإِجَادَة ، بما يكفله ^(١) عُدْر الحَدَاثَة ، وقد ثَبَت في اسم السلطان لهذا العهد ، أبي عبد الله بن نصر ، أيده الله ، ما يدل على جودة قَرِيحَتِه ، وذكاء طَبْعِه . ومما دَوَّن الذي ثَبَت له حيث ذكر قوله :

لِمَنْ طَلَّلَ بِالرَّقْمَتَيْنِ مُحِيلٌ عَفَّتْ دِمْنَتَيْهِ شِمَالٌ وَقَبُولٌ
يلوح كباقي الوَشْمِ غَيْرُهُ الْبَلَى وجادت عليه السُّحْبُ وَهِيَ هَمُولٌ
فِيَا سَعْدُ مَهْلًا بِالرُّكَّابِ لَعَلَّنَا نُسَايِلُ رَبْعًا فَاَلْمَحِبُّ سَسْئُولُ
قِفِ الْعَيْسَ نَنْظُرَ نَظْرَةَ تُذْهِبُ الْأَسَى وَيُشْفَى بِهَا بَيْنَ الضُّلُوعِ غَلِيلُ
وَعَرَّجْ عَلَى الْوَادِي الْمَقْدِسِ بِالْحِمَى فطاب لديه مَرْبَعٌ وَمَقْمِيلُ
فِيَا حَبْدًا تِلْكَ الدِّيَارِ وَحَبْدًا حديثُهَا لِلْعَاشِقِينَ طَوِيلُ
دَعَوَتْ لَهَا سَتْمِيَا الْحِمَى [عِنْدَمَا سَرَى] ^(٢) وَمَيْضُ وَعَرْفُ النَّسِيمِ عَمِيلُ
وَأَرْسَلْتُ دَمْعِي لِلْغَمَامِ مُسَاجِلًا فَسَالِ عَلَى الْخَدَيْنِ مِنْهُ مَسِيلُ

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (يكلفه) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة . وفي النسخ مكانها كلمة (وربوعه)

فأصبح ذاك الرُّبْعُ من بعد مَحَلِّهِ رياضاً بها الغُصْنُ المُرُوحُ ^(١) يَمِيلُ
لَيْنَ حَالِ رَسْمِ الدَّارِ عما عَهْدَتِهِ وعَهْدُ الهوى في القلب ليس يَحُولُ
ومما شَجَانِي بعد ما سَكَنَ الهوى بسكائنِ حماماتٍ لَنْ هَدِيلُ
توسَّدنَ فَرْعَ البانِ والنَّجْمِ ما يَلُ وقد آن من جيش الظلام رَحِيلُ
فيا صاحبي دَعْ عَنْكَ لَوْمِي فَإِنَّهُ كلامٌ على سَمْعِ المُحِبِّ ثَقِيلُ
تَقُولُ اصْطَبَاراً عن مَعَاهِدِكَ الأُلَى وهيهات صَبْرِي ^(٢) ما إِلَيْهِ سَبِيلُ
فلله عِيناً من رَأَى وللأسَا غَدَاةٌ اسْتَقَلَّتْ بِالْخَلِيطِ ^(٣) حُمُولُ
يُطَاوِلُ لَيْلَ التَّمِ مَنِي مُسْهَدٍ ^(٤) وقد بان عني منزلٌ وخليْلُ
فيا ليت شعري هل يَعودُنَّ ما مَضَى وهل يَسْمَحُنَّ الدهرُ وهو بَخِيلُ ^(٥)

نشره

أجابني لما خاطبتُ الجُمْلَةَ من الكُتَّابِ ، والسلطان رضى الله عنه ،
بالمُنْكَبِ . في رحلة أَعْمَلَهَا بما نصه :

« لله من فَدَّةِ المعاني ، حيث مَشُوقُ الفؤاد عانى . لما أَنارت بها المَعَانِي ،
غَنِينَ عن مُطَرَّبِ الأغاني ، يا صاحب ^(٦) الإِدْعَانِي ، أَجِبْ بالله من دَعَانِي ،
إِذَا صِرت من كثرة الأمانِي . بالشوق والوجد مثل ماني . وَرَدَّتْ سَحَابَاتُ
سَيْدِي الَّتِي أَنْشَأَتْ لَغَمَامِ الرَّحْمَةِ . عند اشتداد الأَزْمَةِ رِياحاً . ومَلَأَتْ

(١) هكذا في الإسكوريال والنسخ . وفي الزيتونة (الرطاب) .

(٢) هكذا وردت في الزيتونة والنسخ . وفي الإسكوريال (بكى) . والاولى أرجح .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال وفي النسخ ، ووردت في الزيتونة (بالخيطة) .

(٤) وردت في الإسكوريال والزيتونة (مسعدا) والتصحيح من النسخ .

(٥) نشرت القصيدة بأكملها في فتح الطيب (ج ٤ ص ٢٦٨-٢٦٩) وهي في خمس بيتات .

(٦) هكذا وردت في الزيتونة ، وفي الإسكوريال (يا صاحبي) .

العيون محاسناً ، والصُّدُور انشراحاً ، وأصبح رحيب قِرطاسها ، وعميم فضلها [ونوالها] ^(١) ، وأيناسُها لفرسان البلاغة ، مَغْدَى ومَراحاً . فلم أَدْر أَصَحِيفَةً نُسِختَ مَسْطُورَةٌ ، أَمْ رَوْضَةٌ نُفِحتْ مَمْطُورَةٌ ، أَطِيبُ مِنَ الْمِسْكِ مُنْتَشِقًا ، وَأَحْسَنُ مِنَ السِّلْكِ مَتَسِّقًا ، فَمَلَّكْتُهَا مَقَادَةَ خَاطِرِي ، وَأَوْدَعْتُهَا سَوَادَ قَلْبِي وَنَاضِرِي ، وَطَلَّعْتُ عَلَى طُلُوعِ الصُّبْحِ ، عَلَى عَقَبِ السُّرَى ، وَخَلَصْتُ خُلُوصَ الْخِيَالِ مَعَ سِنَةِ الْكَرَى . فَلِلَّهِ مَا جَلَبَتْ مِنْ أَنْسٍ ، وَأَذْهَبَتْ لِطَايِفَةِ الشَّيْطَانِ مِنْ مَسٍّ ، وَهَاجَتْ مِنَ الشُّوقِ ، الَّذِي شَبَّ عَمْرُهُ عَنِ الطُّوقِ ، وَالْوَجْدُ الَّذِي أَصْبَحَ وَارِي الزُّنْدِ . فَأَقْسَمَ بِبَارِي النَّسَمِ ، وَوَاهِبِ الْحُظُوظِ وَالْقَسَمِ ، لَوْ أُعْطِيتُ لِلنَّفْسِ مَقَادَتَهَا ، وَسَوَّغْتُهَا إِرَادَتَهَا ، مَا قَنَعْتُ ^(٢) بِنِيَابَةِ الْقِرْطَاسِ وَالْمِدَادِ ، عَنْ مُبَاشَرَةِ الْأَرْوَاحِ وَالْأَجْسَادِ ، وَإِنْ أَعْرَضْتَ عَقَبَةَ لِلشُّعَيْرِ ، وَرَأْسَ الْمَزَادِ [وَشَمَخَ بِأَنْفِهِ وَزَادَ] ^(٣) ، وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ بِأَذْخٍ ، وَطُودٍ شَامَخٍ ، قَدْ أَذْكَرْتَ الْعِقَابَ عُقَابَهُ ، وَصَافَحْتَ النُّجُومَ هِضَابَهُ ، قَدْ طَمَحَ بِطَرْفِهِ . وَشَمَخَ بِأَنْفِهِ ، وَسَالَ الْوُقَارَ عَلَى عَطْفِهِ :

مَلَكْتُ عِنَانَ الرِّيحِ ^(٤) رَاحَتُهُ فَجِيادُهَا مِنْ تَحْتِهِ تَجْرِي
وَأَمَّا الْحَمَلُ ^(٥) الْهَابِيجُ ، وَالْبَحْرُ الْمُتَمَاجِيجُ ، وَالطَّلُّ الْمَائِلُ ، وَالذَّنَبُ
الشَّائِلُ ، فَمُسَاجِلَةُ مَوْلَايَ فِي ذَلِكَ الْمَجَالِ ، مِنَ الْمَحَالِ ، إِذِ الْعَمْدُ قُصَارَاهُ
أَلْفَاظٌ مَرَكَّبَةٌ ، غَيْرُ مَرْتَبَةٍ :

هُوَ جَهْدُ الْمُقِيلِ وَأَفَاكُ مَنِيٍّ إِنَّ جُهْدَ الْمُقِيلِ غَيْرُ قَلِيلٍ

(١) الزيادة من الزيتونة .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الزيتونة (تمت) .

(٣) هذه العبارة وازدة في الزيتونة ، وساقطة في الإسكوريال .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الزيتونة (الرمح) .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال وفي الزيتونة (الجمال) .

وأقرأ على مولاي ، أبقاء الله . سلاما عميما ، تنسم روضه نسيما ،
ورف نظره ، وعبق شميما ، والأوفر الأذكي منه عليه مُعادا ، ما سَحَّ
السحاب إرعادا ، وأبرق الغمام رعدا والحُسام أبعادا ، ورحمة الله وبركاته .
من عبده الشَّيْخ لوجهه . عبد الله بن الخطيب ، في الخامس عشر لجمادى
الأولى عام تسعة وستين وسبعماية .

مولده : بحضرة غرناطة . يوم السبت سابع عشر صفر عام ثلاثة
وأربعين وسبعماية .

عبد الله بن محمد بن سارّه البكرى

شَنَتَرِينِي^(١) ، سكن ألمرية وغرناطة ، وتردّد مادحاً ومنتجعاً [شرقاً
ومغرباً]^(٢) ويضرب في كثير من البلاد .

حاله

كان ذا حظّ صالح من النحو واللغة ، وحفظ الأشعار ، أديباً ماهراً ،
شاعراً مُجيداً ، مطبوع الاختراع والتّوليد . تجوّل في شرق الأندلس وغربها ،
مُعَلِّماً للنحو ، ومادحاً ولاتها ، وكتبَ عن بعضهم ، وتعيّش بالوراقة زماناً ،
وكان حسن الخطّ ، جيّد النقل والقبّط .

مشيخته

روى عن أبي الحسن بن الأخضر .

(١) نسبة إلى شتارين . وبالبرتغالية Santarem ، وهي بلدة أندلسية قديمة من بلاد
الغرب الأندلسي وتقع على نهر التاجه ، شمال شرق أشبونة .
(٢) الزيادة من الزيتونة .

من روى عنه : روى عنه أبو بكر بن مسعود ، وأبو جعفر بن
الباذنش ، وأبو عثمان بن هرون ، وأبو الظاهر التميمي . وأبو العباس بن
علي اللص ، وأبو العلاء بن الجنان . وأبو محمد بن يوسف القضاعي ،
وإبراهيم بن محمد السبتي .

شعره

وشعره كثير [جيد] ^(١) شهير . منه في جرّفة الوراق قولہ :

أما الوراق فهي أئكة جرّفة أغصانها وثمارها الحرمان
شبهت صاحبها بإبرة خايط يكسو العراة وظهّره عريان

وقال في نَجْم الرَّحِيم ، وهو من التشبيه العقيم :

وكوكب أبصر العفريت مُشرقاً فانقضى يذكي سريماً خلفه طيه
كفارس حلّ إخصاراً عمامته نجسرها كلها من خلفه عذبه

وقال منه في المواعظ :

يا من يُصيحُ إلى داعي السّفاه وقد نادى به النّاعيان الشّيبُ والكبير
إن كنت لا تسمع الذّكر فقيم تدي في رأسك الواعيان السّبع والبقر
ليس الأصم ولا الأعمى سوى رجلٍ لم يهده الغاديان العين والأنسر
لا الدهر يبتقى على حال ولا الفلك الأعلى ولا النّيران الشمس والنّمر
لأرحلنّ عن الدنيا ولو كرهاً فراقها النّشوايان البدّة والحضر

وقال في موت ابنته له :

ألا يا موت كنت بنا رؤوفاً فجددت السرور لنا بزورة
حمدنا سعيك المشكور لما كنيت مؤنة وشرت عورة
فأنكحنا الضّريح بلا صداقٍ وجهزنا العروس بغير شورة

وفاته

توفي عبد الله بن ساره سنة تسع عشرة وخمسمائة .

عبد الله بن محمد الشراط

يكنى أبا محمد ، من أهل مالقة .

حاله

طالبٌ جليل . ذكى ، مدرك ، ظريف . كثير الصلّاف والخترؤانة^(١) والإزراء بمن دونه ، حادُّ النادرة ، مرسلٌ عنان الدُّعابة . شاعرٌ مُكثر ، يقوم على الأدب والعربية ، وله تقدُّم في الحساب ، والبرهان على مسايله . استُدعى إلى الكتابة بالباب السلطاني . واخنص بولى العهد . ونيط به من العمل ، وظيفُ نبيه^(٢) ، وكاد ينمو عُشبه ، ويتأشب^(٣) جاهه ، لو أن الليالي أمهلته ، فاعتبط لأمد قريب من ظهوره ، وكانت بينه وبين الوزير أبي عبد الله بن الحكيم ، إحنةٌ . تخلَّصه الجِمام لأجلها ، من كف انتقامه .

شعره

وشعره كثير ، لكنى لم أنظر منه إلا باليسير . نقلت من خطِّ صاحبنا القاضى المؤرخ أبي الحسن بن الحسن ، من نظم أبي محمد الشراط . فى معنى ، كان أدباء عصره ، قد كلِّفوا بالنظم فيه ، يظهر من هذه الأبيات فى شَمعة :

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال ، ولّى الزينة (الخدمونة) والخر هو نعت والإفساد ، والعدر أحيان .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال ، ود الرينة (بيل) .

(٣) من تأشب أى تجمع .

وكنْتُ أَلِفْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ إِلْفًا أَنْسَادِي مَسْرَةً فَيَجِيبُ أَلْفًا
وَكُنَّا مِثْلَ وَضَلِ الْعَهْدِ وَضَلًا وَكُنَّا مِثْلَ وَضَفِ الشَّهْدِ وَضَفَا
فَفَرَّقَ بَيْنَنَا صَرْفُ اللَّيْسَالِ وَسَوَّغَنَا كُؤُسَ الْبَيْنِ صِرْفَا
فَصِرْتُ غَدَاةَ يَوْمِ الْبَيْنِ شَسْعَا وَسَارَ فَصَارَ كَالْعَسَلِ الْمُصَفَّا
فَدَمَعِي لَا يَتِمُّ أَسَى وَجَسْمِي يُغْصُ^(١) بِنَارٍ وَجَدِي لَيْسَ يُطْفَأُ
ثُمَّ فِي الْمَعْنَى أَيْضًا :

حَالِي وَحَالِكَ أَضَحَتْ آيَةٌ عَجَبًا إِنْ كُنْتُ مُغْرِبًا أَوْ كُنْتُ مُغْتَرِبًا
إِذَا دَنَوْتُ فَلِإِنِّي مُشْعَرٌ طَسْرِبًا وَإِنْ نَأَيْتُ فَلِإِنِّي مُشْعَلٌ لِهَبَا
كَذَاكَ الشَّمْعُ لَا تَنْفَكُ حَالَتُهُ إِلَّا إِلَى النَّاسِ مَهْمَا فَارَقَ الضَّرْبَا
وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا :

رَحَلْتُمْ وَخَلَفْتُمْ مَشُوفَكُمْ نِسْبِيَا رَهِينَ هِيَامٍ لَا يَمُوتُ وَلَا يَحْيَا
فَضَاقَتْ عَلَى الْأَرْضِ وَاعْتَصَصَ مَذْهَبِي وَمَا زَلَّتْ فِي قَوْمِي^(٢) وَلَا ضَاقَتْ الدُّنْيَا
وَمَا بِاخْتِيَارِ شَتِّ الدَّهْرِ بَيْنَنَا وَهَلْ يَمْلِكُ الْإِنْسَانُ مِنْ أَمْرِهِ شَيْئًا
فَلَا أَضْلَعِي لَمْ تَخْبُ مِنْ أَجْلِكُمْ جَوَى وَذَا أَدْمَعِي لَمْ تَأَلْ مِنْ بَعْدِكُمْ جَزِيَا
كَأَنِّي شَمْعٌ فِي فُسْوَادٍ وَأَدْمَعُ وَقَدْ فَارَقْتُ مِنْ وَصْلِكُمْ رِيَا
وَذَكَرَ لِي ، أَنَّ هَذَا صَدَرَ عَنْهُ فِي مَجْلِسِ أَنْسٍ مَعَ الْوَزِيرِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ
ابْنِ عَيْسَى بِمَالِقَةِ ، بِحَضْرَةِ طَايِفَةٍ مِنْ ظُرَفَاءِ الْأَدْبَاءِ .

وفاته

كَانَ حَيَاةً سَبْعِمِائَةً ، وَتَوَفَّى بِغَرْنَاطَةِ ، وَهُوَ عَلَى حَالِهِ مِنَ الْكِتَابَةِ ،
رَحِمَهُ اللَّهُ .

(١) مَكْذَا وَرَدَتْ فِي الزَيْتُونَةِ ، وَفِي الْإِسْكُورِيَالِ (يَنْطُ) وَالْأَوَّلَى أُرْجِحُ .

(٢) مَكْذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي الزَيْتُونَةِ (نَوِي) .

عبد الله بن يوسف بن رضوان بن يوسف بن رضوان التَّجَارِي^(١)

يكنى أبا القاسم ، ويعرف باسم جدّه ، من أهل مالقة ، وصاحب القلم الأعلى لهذا العهد بالمغرب .

حاله

هذا الفاضل نسيجٌ وحده : فهماً وانطباعاً ، ولودعيّة ، مع الدّين والصّون ، مُعِمٌّ ، مخولٌ في الخير ، مُشْتَوِلٌ على خصال حميدة ، من خطٍّ وأدب وحِفْظ ، مشاركٌ في معارف جملة . كتب ببليده عَدْلًا رَضَى ، وأنشد السلطان عند حلوله ببليده . ورحل عن بلده إلى المغرب ، فارتسم في كتابة الإنشاء بالباب السلطاني ، ثم بان فضله ، ونَبّه قدره ، ولَطَفَ محلّه ، وعاد إلى الأندلس ، لما جَرَتْ على سلطانه الهزيمة بالقيروان^(٢) ، ولم يَنْتَشِلْه الدهر بعدها مع جملة من خواصّه . فلما استأثر الله بالسلطان المذكور ، مؤسّوم التّمحيص ، وصيّر أمره إلى ولده بعده ، جَنَحَ إليه ، ولحق ببابه ، مُقْتَرَن الوفاة ، بيّمن الطّائر : وسعادة النّصبة ، مظنة الاصطناع ، فحَصَلَ على الحُطوة ، وأصبح في الأمد القريب ، محلاً للبتّ وجليساً في الخلوة ، ومؤتمناً على خُطّة العلامة ، من رجل ناهض بالكلّ ، جَلِدَ على العمل ، حذِر من الذّكر ، متقلّص ذبل الجاه ، مُتَهَيِّبٌ^(٣) ، غزير المشاركة ،

(١) هكذا وردت واضحة في الإسكوريال والزيتونة وجذوة الاقتباس . ووردت في

الكتيبة الكامنة (بيروت ص ٢٥٤) البخاري وهو تحريف .

(٢) من الواقع أن ابن الخطيب يشير هنا أولاً إلى السلطان أبي الحسن المريني ، ثم يشير ثانياً إلى ولده السلطان فارس أبي عنان ، وهو الذي خرج عليه عقب هزائمه في حملته إلى تونس ، وانتزع الملك لنفسه (٧٥٢ هـ) واستمر في الحكم حتى وفاته في سنة ٧٥٩ هـ . وقد أشار ابن خلدون في التعريف إلى ذلك صراحة عند ذكره لابن رضوان ، حيث قال إنه كان من ورد في جملة السلطان أبي الحسن . (راجع التعريف - القاهرة ١٩٥٢ - ص ٢٢ و ٢٣) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (متصيب) .

مطفئ في حقوق الدول ، عند انخفاض الأسعار . جالب لسوق الملك ما يُنفق فيها . حارُّ النادرة . مليح التَّندير ، خلو الفكاهة . غزل مع العفة . حافظ للعيون . مُقدِّم في باب التحسين والتنقيح . لم ينشِب الملكُ أن أنيس منه بهذه الحال : فشَدَّ عليه يد الغبطة . وأنشَب فيه فيه برائين الأثرة : ورمى إليه بمقاليذ الخدمة . فسَمَّا مكانه : وعلا كعبه . ونما عُشّه . وهو الآن بحاله الموصوفة : من مفاخر قُطره . ومناقب وطنه . كثر الله مثله .

مشيخته

قرأ ببيلده على المقرئ أبي محمد بن أيوب ، والمقرئ الصالح أبي عبد الله المهندس^(١) ، والأستاذ أبي عبد الله بن أبي الجيش والقاضي أبي جعفر بن عبد الحق ، وروى عن الخطيب المحدث أبي جعفر الطنجالي ، والقاضي أبي بكر بن منظور . وبغرناطة عن جلَّة ، منهم شيخنا رئيس الكتاب أبو الحسن بن الجيَّاب . وقاضي الجماعة أبو الفاسم بن أحمد الحسني ، ولازم بالمغرب الرئيس أبا محمد عبد الله بن الحَضَمي ، والقاضي أبا إسحق إبراهيم بن أبي يحيى ، وأبا العباس بن ربيع السبتي . وبتلمسان عن أبي عبد الله الآبلي . وأبي عبد الله بن الشَّجا وغيرهما . وبتونس عن قاضي الجماعة أبي عبد الله بن عبد السلام . وعن جماعة غيرهم .

شعره

ونظمه ونشره متجاريان لهذا العهد في ميدان الإجازة . أما شعره فمُتناسب الوضع . سهل المأخذ ، ظاهر الرُوءاء . مُحكَّم الإمرة للتَّنفيح . وأما نشره

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الرتبة (المدنى)

فَطَرِيفُ السَّجْعِ ، كَثِيرُ الدَّالَةِ ، مُطِيعٌ لِدَعْوَةِ الْبَدِيَّةِ ، وَرَبَّمَا اسْتَعْمَلَ الْكَلَامَ
الْمُرْسِلَ ، فَجَرَى يِرَاعُهُ فِي مِيدَانِهِ مَلَى عَيْنَانِهِ .

وَجَرَى ذَكَرَهُ فِي « التَّاج » أَيَّامَ لَمْ يَفْهَقْ حَوْضُهُ ، وَلَا أَزْهَرَ رَوْضُهُ ،
وَلَا تَبَايَنْتَ سَمَاوُهُ وَلَا أَرْضُهُ . بِمَا نَصَبَهُ : أَدِيبٌ أَحْسَنُ مَا شَأْ ، وَفَتَحَ قُلُوبَهُ ^(١)
فَمَلَأَ الدَّلُوَّ وَبَلَّ الرِّشَا . وَعَانَى عَلَى حَدَائِثِهِ الشَّعْرَ وَالْإِنْشَاءَ ، وَلَهُ بِبِلَدِهِ
بَيْتٌ مَعْمُورٌ بِفَضْلِ وَأَمَانَةٍ ، وَمَجْدٌ وَدِيَانَةٌ . وَنَشَأَ هَذَا الْفَاضِلُ عَلَى أَتَمِّ
الْعَفَافِ وَالصُّونِ . فَمَا مَالَ إِلَى فُسَادٍ بَعْدَ الْكَوْنِ . وَلَهُ خَطٌّ بَارِعٌ . وَفَهُمْ
إِلَى الْغَوَامِضِ مُسَارِعٌ . وَقَدْ أَثْبَتُ مِنْ كَلَامِهِ ، وَنَفَثَاتُ أَقْلَامِهِ ، كُلُّ مُحْكَمٍ
الْعُقُودِ ، زَارِيًّا بِنْتَ الْعَنْقُودِ . فَمِنْ ذَلِكَ قَصِيدَةٌ أَنْشَدَهَا لِلسُّلْطَانِ أَمِيرِ
الْمُسْلِمِينَ ^(٢) ، مَهْنِيًّا بِهَلَاكِ الْأَسْطُولِ الْحَرْبِيِّ بِالزُّرْقَاقِ الْغَرْبِيِّ ^(٣) ، أَجَادَ أَغْرَاضَهَا
وَسَبَّكَ الْمَعَانِي وَرَاضَهَا ، وَهِيَ قَوْلُهُ :

لَعَلَّكُمْ أَنْ تَرْعِيَا ^(٤) لِي وَسَايِلَا فَبِاللَّهِ عُوجًا بِالرُّكَّابِ وَسَايِلَا
بِأَوْطَانٍ أَوْ طَارِ قِفَا وَمَسَارِي ^(٥) وَبِالْحُبِّ خُصًّا بِالسَّلَامِ الْمَنَازِلَا
أَلَا فَاَنْشَدَا بَيْنَ الْقِيَابِ مِنَ الْحِمَا فَوَادَّ شَجْرًا ^(٦) أَضْحَى عَنْ الْجِسْمِ رَاحِلَا

(١) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي الزَّيْتُونَةِ (قَلِيلُهُ) .

(٢) أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ الْمَشَارِ إِلَيْهِ هُنَا ، هُوَ السُّلْطَانُ يُوسُفُ أَبُو الْحِجَاجِ مَلِكُ الْأَنْدَلُسِ
الَّذِي حَكَمَ مِنْ سَنَةِ ٧٣٣ إِلَى سَنَةِ ٧٥٥ هـ (١٣٣٣ - ١٣٥٤ م) .

(٣) الزُّرْقَاقُ الْغَرْبِيُّ يَقْصِدُ بِهَا هُنَا مَضِيقَ جَبَلِ طَارِقٍ أَوْ جَبَلِ الْفَتْحِ كَمَا كَانَ يُسَمَّى عِنْدَهُمْ ،
وَكَانَ النَّصَارَى (الْقِشْتَالِيُّونَ) قَدْ ضَرَبُوا حَوْلَهُ الْحَصَارَ فِي سَنَةِ ٧٥٠ هـ (١٣٤٩ م) بِقَصْدِ الْإِسْتِيلَاءِ
عَلَيْهِ . وَلَكِنْهُمْ مَنُوا بِالْفَشْلِ ، وَدَبَّ الْوَبَاءُ إِلَى قَوَاتِهِمْ . وَهَلَكَ فِيهِ مَلِكُهُمُ الْفُونْسَرُ الْحَادِي عَشَرَ ،
وَهَلَكَتْ مَعْظَمُ سَفْنِهِمُ الْمَحَاصِرَةِ ، وَانْطَرَوْا إِلَى تَرْكِ الْحَصَارِ وَالْإِنْسَحَابِ ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ٧٥١ هـ
(١٣٥٠ م) .

(٤) هَكَذَا وَرَدَ فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي الزَّيْتُونَةِ (تَعُوجًا) .

(٥) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي الزَّيْتُونَةِ (وَمَسَارِبِ) .

(٦) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي الزَّيْتُونَةِ (شَجْرِي) .

وَبُنَّا صَبَابًا هُنَالِكَ وَاشْرَحَا
 رَعَى اللَّهُ مَثْوَاكُمْ عَلَى الْقُرْبِ وَالنَّوَى
 وَهَلْ لَزِمَانٍ بِاللَّوَى سَقَى اللَّوَى
 فَجَطَّيْ بَعِيدُ الدَّارِ مِنْهُ بِقُرْبِهِ
 لَقَدْ جَارَ دَهْرِي أَنْ نَأَى بِمِطَالِي
 وَحَمَلْنِي مِنْ صَرْفِهِ مَا يَوْدُنِي ^(١)
 عَتَبْتُ عَلَيْهِ فَاغْتَدَى لِي عَاتِبَا
 أَتَعْتَبْنِي إِذْ قَدْ أَفْذَنْتُكَ مَوْقِفَسَا
 مَلِيكَ حَبَاهُ اللَّهُ بِالْخُلُقِ الرُّضَا
 مَلِيكَ عَلَا فَوْقَ السَّمَاءِ فَطَرَفَهُ
 إِذَا مَا دَجَا لَيْلُ الْخُطُوبِ فَيَشْرُهُ
 نَمَاهُ مِنَ الْأَنْصَارِ غَرَّ أَكْبَارِ
 تَلَوَا شُورَ النِّعْمَاءِ فِي حِزْبِهِمْ كَمَا
 تَسَامَتْ لَهُمْ فِي الْمَعْلُوتِ مَرَاتِبِ
 عِصَابَةِ نَصْرِ اللَّهِ طَابَتْ أَوْ اخْسَرَا
 لَقَدْ كَانَ رَبُّعُ الْمَجْدِ مِنْ قَبْلِ خَالِيَا
 إِذَا يُوسُفُ مِنْهُمْ تَلْسُوحُ يَمِينِهِ
 كِتَابِيهِ فِي الْفَتْحِ تَكْتُبُ أُسْطُرَا
 عَوَامِلُهُ بِالْحَذْفِ تَحْكُمُ فِي الْعِدِ
 يَبْدُدُ جَمْعَ الْكُفْرِ رُعبَا وَهَيْبَةً

لَهُمْ مِنْ أَحَادِيثِي عَرِيضًا وَطَايِلَا
 وَلَا زَالَ هَامِي السُّحْبِ فِي الرَّبْعِ هَامِلَا
 مَا رَبَّ فَمَا أَلْقَى مَدَى الدَّهْرِ حَايِلَا
 وَيُورِدُ فِيهِ مِنْ مُنَاهِ مَنْهَايِلَا
 وَظَلَّ بِمَا أَبْقَى مِنَ الْقُرْبِ مَا طَلَا
 وَمَكَّنْ مِنْهُ الْخُطُوبَ شَوَاغِلَا
 وَقَالَ اصْصُخْ لِي لَا تَكُنْ لِي عَاذِلَا
 لَدَى أَعْظَمِ الْأَمْلَاقِ حِلْمًا وَنَايِلَا ^(٢)
 وَأَعْلَى لَهُ فِي الْمَكْرَمَاتِ الْمَنَازِلَا
 غَدَا كَهْلَالِ ^(٣) الْأُفُقِ يُبْصِرُنَا عَلَا
 صَبَاحُ وَبَدْرُ لَا يُرَى الدَّهْرُ آفِلَا
 لَهُمْ شِيمُ مَلَأَ الْفَضَاءَ فَضَايِلَا
 جَلُّوا صُورَ الْأَيَّامِ غُرًّا جَلَايِلَا
 يُرَى زُحْلُ دُونَ الْمَرَاتِبِ زَاخِلَا
 كَمَا قَدْ زَكَّتْ أَصْلَا وَطَابَتْ أَوَايِلَا
 وَمِنْ آلِ نَصْرِ عَادَ يُبْصِرُ آهْلَا
 تَقُولُ سَحَابُ الْعُجُودِ وَالْبِاسُ هَاطِلَا
 تَسِينُ مِنَ الْأَنْفَسَالِ فِيهَا الْمَسَايِلَا
 كَمَا حَكَمُوا فِي حَذْفِ جَزْمِ عَوَامِلَا
 كَمَا بَدَّدَتْ مِنْهُ الْيَمِينُ النُّوَافِلَا

(١) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الزيتونة (يوده) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الزيتونة (ودايلا) .

(٣) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (بهلال) ، والأولى أرجح .

ومنها في وصفه الأسطول واللقاء :

ولما استقامت بالزقاق أساطل
 رآها عدو الله فانفض جمعته
 ومن دهش ظن السواحل أبحرا
 ومن جندكم هبت عليه عواصف
 تفرقهم أيدي سببا وتبيدهم
 وعهدى بمرّ الرياح للنار موقدا
 وكان لهم بردّ العذاب ولم يكن
 حداهم هواهم للإسار وللفنسا
 فهم بين عان في القيود مصفد
 ستهلك ما بالبر منهم جنودكم^(١)

واستقلت نلشعود محافلا
 وأبصر أمواج البحار أساطلا
 ومن رعب خال البحار سواحلا
 تدمر أدناها الصلاب الجنادلا
 فقد خلقت فيهم حساما وذابلا
 فقد أطفأت تلك الحروب المشاعلا
 سلاماً وما كادوه قد عاد باطلا
 فما أفلتوا من ذا وذاك حبايلا
 وفان عليه السيف أصبح صايلا
 كما أهلكك من كان بالبحر عاجلا

وقال أيضا يمدحه :

نشرت لواء النصر واليمن والسعد
 أعدت لنا الدنيا نعيماً ولسدة
 بنوركم والله يكلأ نـوركم
 تحلى لكم بالملك نحر ولبة
 مآثركم قد سطرتها يد العلاء
 بمدحكم للقرآن أثنى منزلا
 كفاكم فخارا أنه لكم أب
 ثناؤكم هذا أم المسك نافع

وأطلعت وجه اليسر والأمن والرفد
 ألا للمعالي ما تعيد وما تبد
 تبدت لنا سبل السعادة والرشد
 فراق كذاك الجيد يزدان بالعقد
 على صفحات النخر أو مفرق الحد
 وقد حُزتم مجدا بجدكم سعد
 ومن فخره إن أنت تدعو بالجد
 وذكركم أم عساظر العنبر الورد

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (جودم) والأول أنسب للمعنى

أَجَلْ ذَكَرْكُمْ أَزْكَى وَأَذْكَى لِنَاشِقٍ
 طَلَعَتْ عَلَى الْآفَاقِ نُورًا وَبِهَجَّةٍ
 وَفِي جَمَلَةِ الْأَمْلَاقِ عَزٌّ وَرَفْعَةٌ
 وَلَوْ أَنِّي قُفْتُ سَحَابَانِ وَأَيْسَلُ
 لَمَا قُمْتُ بِالْمِعْشَارِ مِنْ بَعْضِ مَا لَكُمْ
 كَمَا أَنَّكُمْ أَجْلَى وَأَعْلَى لِمَشْهَدٍ
 فَمَا أَنْتَ إِلَّا الْبَدْرُ فِي طَالِعِ السَّعْدِ
 وَدُمُ فِي خُلُودِ الْمُلْكِ وَالنَّصْرِ وَالسَّعْدِ
 وَأَرْبَيْتُ فِي شِعْرِي عَلَى الشَّاعِرِ الْكِندِ
 مِنَ الْجُودِ وَالْأَفْضَالِ وَالْبَذْلِ وَالرَّفْدِ^(١)

وقال في شيخه أبي بكر بن منظور رحمه الله :

جَلَّالُكَ أَوَّلَى بِالْعُلَا الْمَخْلُودِ
 لِمَجْدِكَ كَانَ الْعِزُّ يَذْخَرُ وَالْعُلَى
 أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ مُشْرِفًا
 فَهَنَيْتَ بِالْفَخْرِ السُّنَى مَحَلَّهُ
 شَهِدْتُ بِمَا أَوْلَيْتَنِي مِنْ عَوَارِفِ
 وَمَا حُزْتُ مِنْ مَجْدِ كَرِيمِ نِجَارِهِ
 لَقَدْ نَبَّأْتَنِي بِالرَّوَّاحِ^(٢) لِعِزِّكُمْ
 تُحَدِّثُنِي نَفْسِي وَإِنِّي لَصَادِقُ
 ذَلِيلِي بِهَذَا أَنَّكَ الْمَاجِدُ الَّذِي
 لِيَفْخَرُ أَوْ لَوْ الْفَخْرُ الْمَنِيفُ بِأَنَّكُمْ
 إِمَامُ عُلُومٍ مُعْتَلَى الْقَدْرِ لَمْ يَزَلْ
 وَقَاضٍ إِذَا الْأَحْكَامُ أَشْكَلَ أَمْرُهَا
 إِذَا الْحَقُّ أَبْدَى نُورَهُ عِنْدَ حُكْمِهِ
 وَإِنْ جَمِيعُ الْخَلْقِ فِي الْحَقِّ عِنْدَهُ
 وَذَكَرَكَ أَعْلَى الذِّكْرِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ
 وَأَنَّكَ لِلْأَوَّلَى بِأَرْفَعِ سُودِدٍ
 بِمَقْعَدِ خَيْرِ الْعَالَمِينَ مُحَمَّدٍ
 وَهَنَيْتَ بِالْمَجْدِ الرَّفِيعِ الْمُجَدِّدِ
 وَخَوَّلْتَ مِنْ نَعْمَى وَأَسَدَيْتَ مِنْ يَدِ
 وَمَا لَكَ مِنْ مَجْدٍ وَرِفْعَةٍ مَحْنِدِ
 مَخَائِلِ إِسْعَادِ تَرْوِجٍ وَتَغْنِدِ
 بِأَنْ سَوْفَ تَلْقَى كَامِلًا كُلَّ مَقْصِدِ
 تَسَامَى عُلُوهَا فَوْقَ كُلِّ مَمَجَّدِ
 لَهُمْ عِلْمٌ أَعْلَى بِهِ الْكُلُّ مُقْتَدَى
 رِءَاءِ الْمَعَالَى وَالْعَوَارِفِ يَرْتَدِ
 جَلًّا لَهَا بَرَأَى الْحَقِيقَةَ مُرْشِدِ
 رَأَيْتَ لَهُ حَدَّ الْحُسَامِ الْمَهْنَدِ
 سَوَاسِيَةَ مَا بَيْنَ دَانٍ وَسَيْدِ

(١) وردت هذه القصيدة في هامش اللوحة 234 من مخطوط الإسكوريال . وم ترد في

مخطوط الزيتونة .

(٢) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (بالعام) .

بقاضٍ حلِيمٍ في القضاء مُسَدِّدٍ
وأَحْيَا بما أولاه شُرْعَةً أَحْمَدَ
لأمرٍ بِعُرْفٍ أو لِإِزامٍ بِمَسْجِدٍ
وللشُّرْعَةِ البِيضَاءِ يُهْدَى وَيَهْتَدَى
وإِحْسَانِهِ لِلْمُعْتَفِينَ بِمَرْصَدٍ
فَمَا لِنِ بَنِي عَنْ مُطْلَقٍ أو مُقَيَّدٍ
بشِيمَتِهِ الْغُرَاءِ فِي الْفَضْلِ يُبْتَدَى
وَيَا طَارِقًا يَطْوِي السُّرَى كُلَّ قَدْ قَدْ
تَجَدَّ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرَ مَوْقَدٍ

هَنِيئاً لَنَا بَلٌّ لِلْقَضَاءِ وَفَضْلُهُ
أَمَاتَ بِهِ الرَّحْمَنُ كُلَّ ضَلَالَةٍ
وَكَايْنُ تَرَاهُ لَا يَزَالُ مَلَاظِمًا
وَمَا زَالَ قِدْمًا لِلْحَقِيقَةِ حَامِيًا
وَيَمْنَحُ أَفْضَالًا وَيُولِي أَيَادِيًا
يُقَيِّدُ أَحْرَارًا بِمَنْطِقِ جَسُودِهِ
نَعَمْ إِنْ يَكُنْ لِلْفَضْلِ شَخْصٌ فَإِنَّمَا
أَيَا نَاشِرًا أَسْنَى الْمَعَارِفِ وَالْغِنَا
أَلَا تَقِ عَصَا التَّسْيَارِ وَاعْشِ لِنَارِهِ

ومن مقطوعاته قوله :

تَبَرَّأْتُ مَنْ حَوْلِي إِلَيْكَ وَأَيَّقَنْتُ
فَلَا أَرْهَبُ الْأَيَّامُ إِذْ كُنْتُ مَلْجَأِي
بِرَحْمَاكَ آمَالِي فَصَبَحَ يَقِينِي
وَحَسْبِي يَقِينِي بِالْيَقِينِ يَقِينِي

ومن شعره لهذا العهد منقولاً من خطِّه ، قال مما نظمهُ فلان ، يعني نفسه

في كتاب الشُّفَا ، نفع الله به :

سَلِ بِالْعُلَى وَسَتَى الْمَعَارِفِ يَبْهَرُ
وَهَلْ لِلْمَفَاخِرِ غَيْرَ مَا شَهِدَتْ بِهِ
هَلْ زَانِهَا إِلَّا الْأَيِّمَةُ مَعْشَرُ
هَمَّ مَا هَمَّ شَرْفًا وَنِيلَ مَزَاقِبِ
أَيُّ الْكِتَابِ وَخَارَتْهَا الْأَعْصَرُ
وَرِثُوا الْهَدَى عَنْ خَيْرِ مَبْعُوثٍ بِهِ
يَوْمَ الْقِيَامِ إِذَا يَهْوِلُ الْمَخْشَرُ
وَعِيَاضُ^(٢) الْأَعْلَى قِدَاحًا فِي الْعُلَى
فَخِرَاءُ هَدْيِهِمْ لِلنَّعِيمِ الْأَكْبَرِ^(١)
مَنْهُمْ وَحَوْلَهُ الْفَخَارُ الْأَظْهَرُ

(١) هكذا وردت هذه الشطرة في الإسكوريال . ووردت في الزينونة كالاتي : (ففخارهم حول العظيم الأكبر) .

(٢) هو الفقيه الحافظ عياض بن موسى البحصبي السبتي (٤٧٦-٥٤٤هـ) . وسوف يترجم له ابن الخطيب فيما بعد في الإحاطة .

بشفايه^(١) تشفى الصدور وإنه
هو للثوالف روح صورتها وقل
أفنت محاسنه المدايح مثل ما
وله اليد البيضاء في تأليفه
هو مورد الهيم العطاش هفت
فيه نزال من الرضى ما نبتغى
أنظر إليه تميمة من كل ما
لكأننى بك يا عياض مهنا
لكأننى بك يا عياض منعم
لكأننى بك يا عياض متوجاً
لكأننى بك راوياً من حوضه
فعلى محبته طويت ضمائرا
ها إنهن لشرعة المسادى الرضا
فجزاك رب العالمين تحية
وسقى هزيم الودق مضجعك الذى
وقال فى محمل الكتب :

أنا الحبر فى حمل العلوم وإن تقل
أقيد ضروب العلم ما دمت قائما
خدمت بتقوى الله خير خليفه
أبا سالم لا زال فى الدهر سالما

بأنى حلى عن حلاهن تسدل
وإن لم أقم فالعلم عنى بمغزل
فبوانى من قربى خير منزل
يسوغ من شرب المنا^(٢) كل منهل

(١) الإشارة هنا إلى كتاب القاضى عياض « الشفا بتعريف حقوق المصطفى » وهو أشهر كتبه . وفادى أن القصيدة كلها تقرىظ ومديح للقاضى عياض وكتابه المذكور .
(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (العلا) .

وكان قد رأى ليلة الإثنين الثانية لجمادى الأولى عام ستين وسبعماية
 في النوم ، كأن الوزير أبا علي بن عمر بن يعقوب بن عمران القُدودي ، يأمره
 أن يجيب عن كلام من كتب إليه . فأجاب عنه بأبيات نظمها في النوم ،
 ولم يحفظ منها غير هذين البيتين :

وإني لأجزى^(١) بما قد أتاه صديقي احتمالا لفعل الحرفاء
 بتمكين ودِّ وإثبات عهد وإجزال حمد وبذل حياء
 ومن نظمه في التورية :

وبخيلٌ لما دعوه لسكنى منزل بالجنان ضنٌ بذاك
 قال لي مخزنٌ بداري فيه جلُّ ما لي فليست للدار شك
 لا تعرج على الجنان بسكنى ولتكن ساكناً بمخزن مالك
 ومن ذلك أيضا :

يا ربُّ منشأة عجت لسانها وقد احتوت في البحر أعجب شان
 سكنت بجنيسها عصابة شدة حلّت محلّ الروح في الجنان
 فتحركت بإرادة مع أنها في حُسْنها ليست من الحيوان
 وجرت كما قد شاء سُكانها فعلمت أن السرّ في السّكان
 ومن ذلك أيضا قوله :

وذى خِداعٍ دُعوه لاشتغال وما عرفوه غثاً من سمين
 فأظهر زُهدَه وغنى بمال وجيشُ الحرّص منه في كمين
 وأقسم لا فعلتُ بمن خبٌّ فيسا عجباً لخلاف مُهين
 يَمُدُّ بسيره ويمين حلفٍ ليأكلَ باليسار وباليمين

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (لَانْجَز) .

شئ من نشره

خاطبته من مدينة سلا بما نصه ، حسبما يظهر من غرضه :
 مرضتُ فأبأى لذاك مريضه وبرؤك مقرون ببرىء اعتلالها
 فما راع ذاك الذات للضر رافع ولا وُسِمت بالسقم^(١) غرُ خلاها
 وينظر باقى الرسالة فى خبر التعريف بمؤلف الكتاب^(٢)
 فراجعنى عن ذلك بما نصه :

متى شئت ألقى من علايك كل ما يُنيل من الآمال خير منسأها
 كبر اعتلال من دعايك زارنى وعادات بر لم ترُم عن وصأها
 أبقى الله ذلك الجلال الأعلى متطوِّلاً بتأكيد البر ، متفضلاً بموجبات
 الحمد والشكر . وردتني سِمة سيدى المشتملة على معهود تشريفه ، وفضله
 الغنى عن تعريفه ، متحفياً فى السؤال عن شرح الحال ، ومُعلنأ ما تحلّى
 به من كرم الخلال ، والشرف العال ، والمعظم على ما يسرُّ ذلك الجلال ،
 الوزارى ، الرياسى ، أجراه الله على أفضل ما عوده ، كما أعلى فى كل
 مكرمة يده ، ذلك ببركة دُعائه الصالح ، وجهه المُخيم بين الجوانح .
 والله سبحانه محمود على نعمه ، ومواهب لطفه وكرمه ، وهو سبحانه
 المسئول أن يسنى لسيدى قرارَ خاطر ، على ما يسره فى الباطن والظاهر .
 يَمَنُّ الله وفضله ، والسلام على جلاله الأعلى ورحمة الله وبركاته . كتبه
 المعظم الشاكر ، الداعى المحب . ابن رضوان وفقه الله .

وما خالبنى به ، وقد حَرَّتْ بينى وبين المتغلب على دولتهم ، رُشاق ،
 فيها سلم وإيقاع ما نصه :

(١) كذلك وردت فى الإسكوريال . وفى الزنتونة (بالنسبة) .

(٢) تشغل ترجمة ابن الخطيب لنفسه السفر الشفى عشر من كتاب « الإحاطة » الذى يبدأ
 بلوحه ٤٢٥ . من مخطوط الإسكوريال (١٦٧٣ ديرنبور) ، وهو خاتمة أسفار الكتاب .

يا سيدى الذى علا مجده قَدْرًا وَخَطَرًا ، وسما ذكره فى الأندية الحافلة
 ثناءً وشكراً ، وسما فخره فى المراتب الدينية والدنيوية حمداً وأجراً ،
 أبقاك الله جميل السعى ، أصيل الرأى ، سديد الرمى ، رشيد الأمر والنهى ،
 ممدوحاً من بُلْغَاءِ زمانك ، بما يقصر بالنوايع^(١) والعشى ، مفتوحاً لك
 باب القبول ، عند الواحد الحق . وصلنى كتابك الذى هو للإعجاز آية ،
 وللإحسان غاية ، ولشاهد الحسن تبريز ، ولثوب الأدب تطرير ، وفى النقد
 إبريز ، وقفت منه على ما لا تفى العبارة بعجايبه ، ولا يحيد الفضل كله
 عن مذاهبه ، من كل أسلوب طار فى الجو إغراباً وإغراباً ، ومَلَك من سحر
 البيان خطاباً ، وحُمِد ثناه مُطالاً وحديثاً مُطاباً ، شَأْن من قَصْر عن شَأْوَ
 البلغاء ، بعد الإغيا ، ووقف دون سباق البديع بعد الإغيا ، فلم يُشَقُّ
 غُبَارُه ، ولا اقتُفِيَتْ إلا بالوَهْم آثاره ، فله من سيدى إتحافٌ سرٌّ ما شاء ،
 وأَحْكَم الإنشاء ، وبرُّ الأكابر والأنشاء ، فما شئت من إفصاح وكتابة ،
 وبرٌّ ورعاية ، وفهم وإفهام ، وتخصيص وإبهام ، وكَبْح لَطَرْف النفس وقمع ،
 وخَفْض فى الجواب ورفع ، وتحرُّج وتورُّع ، وترقُّص وتوسُّع ، وجَماع
 وأصحاب ، وعَتَب وإعتاب ، وإدلال على أَحْباب ، إلى غير ذلك من أنواع
 الأغراض ، والمقاصد السَّالمة جواهرها من الأعراض ، جملةً جمعت المحاسن ،
 وأمتعت السامع والمُعَاين ، وحلَّت من امتِناعها مع السهولة الحَرَم ، إلا من
 زاد الله تلك المعارف ظهوراً ، وجعلها فى شرع المكارم هُدًى ونوراً . وأما
 شكر الجناب الوزارى ، أَسْمَاه الله ، بحكم النيابة عن جلالكم . فقد
 أبلغت فيه حمدى ، وبذلت ما عندى ، ووُدِّى لكم وُدِّى ، ووَرَدِّى لكم

(١) هكذا ورتت فى الإسكوريال . وفى الزينونة (بالنوايع) .

من المُخالصة لكم وِرْدَى ، وكل حالات ذلك الكمال ، مُبْجَع على تفضيله ،
مُعْتَمِد من الشَّاءِ العاطر بإجماله وتفصيله . وأما مُؤَدِّيهِ إِلَيْكُمْ أَخِي وسيدى
الفقيه المعظم ، قاضى الحضرة وخطيبها ، أَبُو الحَسَنِ ، أَدَامَ اللَّهُ عَزَّتْهُ ،
وَحَفِظَ أَخُوْتَهُ ، فقد قرر من أوصاف كمالانكم ، ما لا تَنَى بتقريره
الأمثلة من أولى العلم بتلك السَّجَايا الغُرِّ ، والشَّيْمِ الزُّهْرِ ، وما تحلَّيْتُمْ به
من التقوى والبرِّ ، والعدل والفضل ، والصبر والشكر ، ولحمَلِ المتاعب
فى أمور الجهاد ، وترك الملاذ والدَّعة فى مرضاة ربِّ العباد ، والإعراض عن
الفانية ، والإقبال على الباقية ، فياها من صفات خلَّعت السعادة عليكم
مطارفها ، وأَجَزَلَتْ عَوَارِفها ، وجمعت لكم تاليدها وطارفها ، زَكَّى اللهُ ثوابها
وجَدَّدَ أَثْوابها ، ووصل بالقبول أسبابها . وذكُر لى أيضا من حسناتكم ،
المنقَّبة الكبيرة ، والقُرْبَةُ الأثيرة ، فى إقامة المارستان بالحضرة^(١) ،
والتَّسبُّب فى إنشاء تلك المَكْرَمَةِ المبتكرة ، التى هى من مُهمَّات المسلمين
بالمحلِّ الأعلى ، ومن ضروريات الدين بالمزيَّة الفضلى ، وما ذخره القَدَرُ
لكم من الأجر ، فى ذلك السعى المشكور ، والعمل المبرور ، فسرتنى لتلك
المجادة ، إحراز ذلك الفضل العظيم ، والفوز بثوابه الكريم ، وفخره
العميم . ومعلومٌ ، أَبْقاكم اللهُ ، ما تقدَّم من ضياع الغُربا والضعفا ، من
المُضَى فيما سلف هنالك ، وقَبْل ما قُدِّر لهم من المُرْتَفَق العظيم وبذلك ،
حتى أَنَّ من حَفِظ قول عمر رضى اللهُ عنه . والله لو ضاعت نخلة بشاطيء
النرات . لَخِيفَتْ أَنْ يُسْأَلَ اللهُ عنها عمر . لاشك فى أَنَّ من تقدَّم من أهل

(١) يشير الكاتب هنا إلى المارستان الكبير الذى أنشاه ابن الخطيب بحضرة غرناطة أيام
وزارته الثانية . وذكر لنا أنه كان يفوق بسعته وروعة تنظيمه . ارستان القاهرة الشهير (راجع المجلد
الثانى من الإحاطة ص ٥٠) .

الأمر هُنَالِكُمْ ، لا بَدَّ من سؤاله عَن ضاع لعدم القيام بهذا الواجب المغفل .
والحمد لله على ما خصَّكم به من مزية قوله صلى الله عليه وسلم ، إذا
أَرَادَ الله بخليفة خيراً ، جعل له وزيراً صالحاً ، إن نَسِيَ ذَكَرَهُ ، وإن
ذَكَرَ أَعَانَهُ .

وأما « كتاب المحبة »^(١) فقد وقف المُعَظَّم على ما وجهتهم منه ،
وقوفاً ظهر بِمِزْيَةِ التَّأَمُّلِ ، وَعَلِمَ منه ما تَرَكَ لِلآخِرِ لِلأَوَّلِ ، ولم يشك في
أَنَّ الفضل للحاكي ، وَشَتَّانَ بَيْنَ البَاكِي وَالمُتَبَاكِي . حقا لقد فاق التَّأَلِيفَ
جَمْعاً وترتيباً ، وَذهب في الطُّرُق الصوفية مذهباً عجيباً . ولقد بهرت معانيه
كالعرائس المجلَّوة حسناً ونضارة ، وَبَرَعَتْ^(٢) بدائعُه وروايَعُه سَنَى وإِنارة ،
وألفاظا مُختارة ، وَكُؤُوساً مُدارة ، وَغِيوِثاً مِنَ البَرَكَاتِ مِندَارة ، أَحْسَنَ
بِمَا أَدَتِهِ تِلْكَ الغُرُورِ السَّافِرَةِ ، وَالْأَمْثَالِ السَّابِرَةِ ، وَالْخَمَائِلِ النَّاطِرَةِ ، وَاللَّائِلِ
المُفَاخِرَةِ ، وَالنَّجُومِ الزَّاهِرَةِ . أما إِنَّهُ لِكِتَابٌ تَفْصِيْلُ زُبْدَةِ الْعِلْمِ ، وَثَمَرَةُ
الفُهْمِ ، وَإِنْ مَوْضُوعُهُ لِلْبَابِ اللَّبَابِ ، وَخُلَاصَةُ الْأَلْبَابِ ، وَفَذُلُكَةُ الْحِسَابِ ،
وَفَتَحَ الْمَلِكُ الْوَهَّابِ ، سَنَى اللهُ لَكُمْ وَلَنَا كَمَالَهُ ، وَبَلَغَ الْجَمِيعَ مَنَا آمَالَهُ ،
وَجَعَلَ السَّعْيَ فِيهِ خَالِصاً لَوَجْهِهِ ، وَكَفَيْلَا بِمَعْرِفَتِهِ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ ، وَهُوَ سَبِيحَانُهُ
يُبْقِي بَرَكَتَكُمْ ، وَيَكَاذُ ذَاتَكُمْ الْكَرِيمَةَ وَحَوَّزَتَكُمْ ، بِفَضْلِهِ [وَوَطُولِهِ وَقُوَّتِهِ]^(٣)
وَالسَّلَامُ الْكَرِيمُ^(٤) يَخْتَصُّكُمْ بِهِ كَثِيرَا أَثِيرَا ، مُعَظَّمُ مَقْدَرَاكُمْ ، وَمُلتَزِمُ
إِجْلَالِكُمْ وَإِكْبَارِكُمْ ، ابْنُ رِضْوَانٍ ، وَفَقْدَهُ اللهُ ، وَكُتِبَ فِي الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ
لِرَجَبٍ مِنْ عَامِ سَبْعَةِ وَسِتِّينَ وَسَبْعِمِائَةٍ .

(١) « كتاب المحبة » أو « روضة التعريف بالحب الشريف » هو من أهم كتب ابن حجر .

وبراجع في التعريف به وأسباب تأليفه ، انظر الأول من الإحاطة (ص ٦٢) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (وبهرت) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (وقوته وحوله) .

(٤) وردت في الإسكوريال (الكثير) . والتصويب من الزيتونة .

وهو الآن بحاله الموصوفة : أعانه الله . وله ترددٌ إلى حضرة غرناطة ،
واجتياز وإلمام^(١) .

عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن
محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن محمد بن
عبد الله بن سعيد بن عمار بن ياسر
غرناطى ، قلعى^(٢) الأصل ، سكن مالقة .

حاله

قال صاحب « الطالع »^(٣) هو المشهور باليربطول^(٤) . زاد على أخيه بخفة
الروح ، وطيب النوادر ، واختار سكنى مالقة ، فما زال بها ، يمشى على
كواهل ما تعاقب فيها من الدول ، ويقلب طرفه ، مما نال من ولاياتها^(٥) ،
بين الخيل والخول ، حتى أن ابن عسكر ، قاضى مالقة وعالمها ، كان من
جملة مَنْ مَدَحَهِ ، وتوسل به إلى بلوغ أغراضه عند القوم ، وصنّف له
شجرة الأنساب السعيدية . وكان قبيح المنظر ، مع كونه من رياحين الفضل
والأدب . فمن الحكايات المتعلقة بذلك ، أنه دخل يوما على الوالى
بغرناطة ، السيد أبى إبراهيم ، وجعل يساره ، وكان مُختصا به ، واقتضى

(١) توفى ابن رضوان النجارى بألف سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة (جذوة الأقباس - القسم
الثانى - ص ٤٣٧) .

(٢) قلعى الأصل نسبة إلى قلعة بخصيب أو قلعة بن سعيد . وقد سبق التعريف بها .

(٣) هو كتاب « الطالع السعيد فى تاريخ بنى سعيد » لأبى الحسن على بن موسى المعروف
بأبن سعيد الأندلسى وقد سبقت الإشارة إليه .

(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الزيتونة (اليربطول) .

(٥) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (ولايتها) .

ذلك أن رَدَّ ظهره للشيخ الفقيه الجليل ، عميد البلدة ، أبي الحسن سهل بن مالك ، ثم التفت فردَّ وجهه إليه ، وقال اعْتَذِرْ لَكُمْ بِأَمْرٍ ضَرُورِي فقال أبو الحسن ، إنما تعتذر لسيدنا ، فانقلب المجلس ضَحِكًا . ومنها أنه خرج إلى سوق الدواب مع ابن يحيى الحضرمي المشهور أيضا بخفَّة الروح ، وكان مَسْلُطًا على بني سعيد ، فبينما هو واقف ، إذ النخاس ينادي على فَرَس ، فَمُ يَشْرَب من القادوس ، وَعَيْنٌ تحصد بالْمِنْجَل ، فقال له يا قائد أبا محمد ، سرُّ بنا من هنا لئلا تؤخذ من يدي ، ولا أقدر لك بحيلة ، فعلم مقصده ، ولم يخف عليه أَنَّ تلك صورته ، فقال سل جارتك عنها ، فمضى لأُمِّه ، وأَوْقَعَ بينها وبينه ، فحَلَفَ أن لا يدخل عليها الدار . قال أبو عمران بن سعيد ، واتفق أن جُرْتُ بدار أم الحضرمي ، فرأيتُه إلى ناحية ، وهو كَثِيبٌ مُنْكَسِر ، فقلت له ما خبرك يا أبا يحيى ، فقال لي عن أُمِّه وعن نفسه ، النساءُ يرمين أبناءَ الزنا صغارا ، وهذه العجوز الفاعلة الصَّانعة ، ترميني ابن خمسين سنة ، فقلت له وما سبب ذلك ، فقال ابن عَمِّك يوسف الجمال ، لا أخذ الله له يَدٌ ، فمأزلتُ حتى أَصْلَحْتُ بينها وبينه .

ومن نوادر أجوبته المُسَكَّنة ، أَنَّهُ كان كثير الخِلْطَةِ بمَرَاكش لأحد السَّادة ، لا يفارقه ، إلى أن وُلِيَ ذلك السَّيد . وتموَّل ، واشتغل بدُنْيَاه عنه . فقبل له ، نرى السيد فلانا أَضْرَب عن صُحْبَتِكَ ومُنَادِمَتِكَ ، فقال . كان يحتاج إلى وقتاً كان يَتَبَخَّرُ بي ، وأما اليوم فإنه يتبَخَّرُ بالعُود والسَّند والعُنبَر . وقال له شخص كان يُلقَّب « بِفُسَيَّوَات » في مجلس خاص . أي فائدة في « اليربطول » ، وفيهم ذا يُحتاج إليه ، فقال له لا تُقِل هذا ، فإنه يقطع رايحة الفسا . فودَّ أنه لم ينطق . وتكلم شخص من المُتَرَفِّين

فقال ، أمس بغنا الباذنجان التي بدار خالتي ، بعشرين مثقالا ، فقال
لوبيعم الكريز التي فيها لساوي أكثر من مائة .

وأخباره شهيرة ، قال أبو الحسن علي بن موسى ، وقعت في رسائل
الكاتب الجليل ، شيخ الكتاب أبي زيد الفازازي ، على رسائل في حق
أبي محمد اليربطول ، ومنه إليه ، فعنها في رسالة عن السيد أبي العلاء
صاحب قرطبة ، إلى أخيه أبي موسى صاحب مالقة ، ويصلكم به إن شاء الله ،
القايد الأجل الأكرم ، الحسيب الأمجد الأنجد ، أبو محمد أدام الله
كرامته ، وكتب سلامته ، وهو الأكيد الحرمة ، القديم الخدمة ، المرعى
[المائة والذمة]^(١) المستحق البر في وجوه كثيرة ، ولعمان أثيرة ، منها
أنه من عقب عمار بن ياسر رضوان الله عليه ، وحسبكم هذا مجدا مؤثلا ،
وشرفا موثلا ، ومنها تعين بيته وسلفه ، واختصاصهم من النجاة
والظهور ، بأنوّه الاسم وأشرفه ، وكونهم بين معتكف على مضجعه ، أو
مجاهد بمرهقه ومثقفه ، ومنها سبقتهم إلى هذا الأمر العزيز ، وتميزهم
بأثرة الشفوف والتميز ، ومنها الانقطاع إلى أخيكم ، ممد مؤرده ومصدره ،
وكرم مغيبه ومحضره ، وهذه وسایل شتى ، وأذمة قل ما تتأتى لغيره .

وفاته

كانت وفاته بمالقة بعد عشرين وستماية ، قال الرئيس ، أبو عمر بن
حكيم ، شاهدته قد وصل إلى السيد أبي محمد البياسي أيام ثورته^(٢) ، وهو
بشتلية^(٣) مع وفاد مالقة بالبيعة سنة ثنتين وعشرين وستماية .

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الأمانة والحرمة) .
(٢) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن ، وكان حاكما اسطرب أمر
الخلافة الموحدية في أوائل القرن السابع الهجري وأيام علي بن أبي طالب ، فلما نهض السيد عبد الله بن يعقوب
المنصور بالأندلس ، داعيا لنفسه بالخلافة ، نهضت بالعدل ، خرج عليه ، وأهض بدوره يدو
المنصور بالخلافة في منطقة حبان ، واستولى إلى حبان على أباد ورياسة ثم مرطاب وعرف عبد
البياسي واستمرت ثورته زهاء ثلاثة أعوام ، ثم نهض أهل قرطبة لإفراطة في محاربة المنصور . وقائلوه
حتى قتل (٦٢١ - ٦٢٣ هـ)
(٣) شتيلة أو شتيلة ملدة أندلسة تقع على مقربة من نهر شبل جنوب قرطبة وشرق إستجة .

ومن الصوفية والفقراء

عبد الله بن عبد البر بن سُلَيْمَن بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أشعث الرُّعَيْنِي
من أهل أَرْجِدُونَه^(١) من كورة رِيَّة ، يكنى أبا محمد ، ويعرف
بابن أبي المجد .

حاله

كان من أعلام الكُور سَلَفًا ، وترتّبًا ، وصِلَاحًا ، وإِنَابَةً ، وَنِيَّةً في
الصّالِحِينَ ، مُتَّسِعَ الدَّرَجِ للوارد ، كثير الإِثَار بما تيسَّر ، مَلِيحُ التَّخَلُّقِ ،
حَسَنُ السَّمْتِ ، طَيِّبُ النَفْسِ ، حَسَنُ الظَّنِّ ، له حظ من الطَّلَبِ ، من
فقه وقراءات وفريضة ، وخَوْضٍ في طريقة الصوفية ، وأدب لا بأس به ،
قطع عُمُرَه خطيبًا وقاضيًا ببلده ، ووزيرًا ، وكتب بالدار السلطانية ، في
كل ذلك لم يفارق السَّدَادَ .

مشيخته

قرأ على الأستاذ الجليل أبي جعفر بن الزُّبَيْر . رَحَلَ إليه من وطنه عام
اثنين وتسعين وستاية ، ولازمه وانتفع به ، أخذ عنه الكتاب العزيز
والعربية ، وسمع عليه الكثير من الحديث ، وعلى الخطيب الصوفي
المحقق أبي الحسن فضل بن محمد بن فضيلة المعافري ، وعلى الخطيب
المحدث أبي عبد الله محمد بن عمر بن رُشَيْد ، وسمع على الشيخ القاضي
الرَّايَّة أبي محمد الشَّيْبَعِي ، والوزير السُّعْمَر المحدث الحَسِيب أبي محمد
بدا المنعم بن سِمَاك العاملي ، والعدل الرَّايَّة أبي الحسن بن مَسْتَقُور .
وزرا مالقة على الأستاذ أبي بكر بن الفَخَّار ، وأجازه من أهل المشرق طائفة .
(١) أَرَجِدُونَه أو أَرَشِدُونَه وبالإسبانية Archidona هي بلدة أندلسية قديمة تقع شمال ،
مالقة في منطقة وعة تحيط بها الجبال .

شعره

مما حدثني ابن أخته صاحبنا أبو عثمان بن سعيد . قال نظم الفقيه
القاضي الكاتب أبو بكر بن شبرين بيت الكتاب مألّف الجملة ،
رحمهم الله ، هذين البيتين :

ألا يا مُحبَّ المصطفى زِدْ صَبَابَةً وَضَمِّخْ لِسَانَ الذِّكْرِ مِنْهُ بِطِيبِهِ
وَلَا تَعْبَأَنَّ بِالْمُبْطِلِينَ فَإِنْ مَسَا عَلَامَةُ حُبِّ اللَّهِ حُبُّ حَبِيبِهِ
فَأَخَذَ الْأَصْحَابُ فِي تَذْيِيلِ ذَلِكَ . فقال الشيخ أبو الحسن بن الجيّاب رحمه الله :
فَمَنْ يَغْمُرُ الْأَوْقَاتُ طُرّاً بِذِكْرِهِ فَلَيْسَ نَصِيبٌ فِي الْهَدَى كَنَصِيبِهِ
وَمَنْ كَانَ عَنْهُ مُعْرَضاً طَوَّلَ دَهْرِهِ فَكَيْفَ يَرْجِيهِ شَفِيعُ ذَنْبِهِ
وقال أبو القاسم بن أبي القاسم بن أبي العافية :

أليس الذي جَلَى دُجَا الْجَهْلِ هَدًى بِسُورِ أَقَمْنَا بَعْدَهُ نَهْتَدَى بِهِ
وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ دَأْبِهِ شُكْرُ مُنْعَمٍ فَمَشْهُدُهُ فِي النَّاسِ مِثْلُ مَغِيبِهِ
وقال أبو بكر بن أرقم :

نبيُّ هَدَانَا مِنْ ضَلَالٍ وَحِيرَةٍ إِلَى مُرْتَقَى سَامِي الْمَحَلِّ خَصِيبِهِ
فَهَلْ يَذْكُرُ الْمَلْهُوفُ فَضْلَ مُجِيرِهِ وَيَغْمِطُ شَاكِيَ الدَّاءِ شُكْرَ طَبِيبِهِ
وانتهى القول إلى الخطيب أبي محمد بن أبي المجد فقال رحمه الله ما يزال كذلك :

وَمَنْ قَالَ مَغْرُورًا حِجَابُكَ ذَكَرَهُ فَذَلِكَ مَغْمُورٌ طَرِيدٌ عِيُوبِهِ
وَذِكْرُ رَسُولِ اللَّهِ فَرَضٌ مُؤَكَّدٌ وَكُلُّ مُعْجَزٍ قَسَائِلُ بُوجُوبِهِ
وقال يوماً شيخنا أبو الحسن بن الجيّاب هذين البيتين على عادة الأدباء في
اختيار الأذهان :

جَاهِدِ النَّفْسَ جَاهِدًا فَإِذَا مَسَا فَتَنَبَّتْ عَنْكَ فَهْيَ عَيْنُ الْوُجُودِ
وَلِيَكُنْ حَكَمُكَ الْمَسْدَدُ فِيهَا حَكَمُ سَعْدٍ نِي تَنْلِسُهُ لِلْيَهُودِ

قال ، فأجابه أبو محمد بن أبي المجد :

أيها العارف المُعَبِّر ذوقنا عن معانٍ غزيرة في الوجود
 إن حال الفنا عن كل غير لمقام المُراد غير المُريد
 كيف لي بالجهاد^(١) غير معان وعدوه مُظَاهِرٌ بجنسود
 ولو أني حكمت فيمن ذكرتم حُكم سَعِدَ لكنت جدُّ سعيد
 فأراها صَبَابَةً^(٢) بي فتوناً وأراني في حبِّها كَيْسَمَزِيد
 سوف أَسْلُو بِحُبِّكُمْ عن سواها^(٣) ولو أَبَدَت فعل المحبِّ الودود
 ليس شيءٌ سوى إلآهك يَبْقَى واعتبر صِدْقَ ذا بقَوْلٍ لَبِيد

وفاته

توفي رحمه الله، ليلة النصف من شعبان المكرم عام تسعة وثلاثين وسبعماية . وكان يجمع الفقراء ويحضر طائفتهم ، وتظهر عليه حالٌ ، لا يتمالك معها ، وربما أَوْحَشَتْ من لا يعرفه بها .

عبد الله بن فارس بن زيان

من بني عبد الوادي ، تَلِمَسَانِي بِكُنْيَ أَبَا مُحَمَّد ، وينتمي إلى بني زِيَّان من بيت أمراءهم .

كذا نقلت من خط صاحبنا الفقيه القاضي أبي الطاهر ... قاضي الجماعة أبي جعفر بن فركون . وله بأحواله عناية ، وله إليه تردد كثير وزيارة . قال ورد الأندلس مع أبيه . وهو طفل صغير . واستقر بمقتورية

(١) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (بالجماد) والأولى أرجح .

(٢) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (حباة) .

(٣) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (هداها) والأولى أرجح .

في ديوان غزائها . ولما توفي أبوه ، سلك مسلكه برهة ، ورفض ذلك ، وجعل يتردد بين الولد ، وانقطع لشأنه .

حاله

هذا الرجل غريب النزعة في الانقطاع عن الخلق ، ينقطع ببعض جبال بني مشرف ، واتخذ فيها كهوفاً وبيوتاً من الشعر أزيد من أربعين عاماً ، وهلم جراً ، منفرداً ، لا يُدْخِلُ أحداً ، ولا يُبْلِسُهُ من العرب ، ويجعل الحلفاء في عنقه^(١) اختلف فيه ، فمن ناسب ذلك إلى التلبّيس وإلى لَوْنَةٍ تأتيه ، وربما أثاب بشيء ، ويطلبون دُعاه ومُكالمته ، فربما أفهم ، وربما أبهم .

محنته

ذكروا أنه ورث عن أخ له ما لا غنياً ، وقدم مالقة ، وقد سُرِقَ تاجر بها ذهباً عينا ، فاتهم بها ، فَجَرَّتْ عليه محنة كبيرة من الضرب الوجيع ، ثم ظهرت براءته ، وطلب الحاكم الجاير منه العفو ، فعفا عنه ، وقال لله عندى حقوق وذنوب ، لعل بهذا أَكْفَرُها ، وصرف عليه المال فأباه ، وقال لا حاجة لي به فهو مال سوء ، وتركه وانصرف ، وكان من أمر انقطاعه ما ذكر .

شيء من أخباره : استفاض عنه بالجهة المذكورة شفاء المرضى ، وتفريج الكُرْبَات^(٢) إلى غير ذلك من أخبار لا تحصى كثيرة . وهو إلى هذا العهد بحاله الموصوفة ، وهو عام سبعين وسبعماية .

مولده : بتلمسان عام تسعين وستماية . ودخل غرناطة غير ما مرة .

(١) هنا كلمات محاة استحالت قراءتها .

(٢) هنا بقية قائمة يتخللها المحو ، فرأينا الإغضاد عنها .

قال الفقيه أبو الطاهر منها في عام عشرة وسبعمائة ^(١) .

عبد الله بن فرج بن غزلون اليحصبي

يعرف بابن العسال ، ويكنى أبا محمد ، طليطلى الأصل . سكن
غرناطة واستوطنها ، الصالح المقصود الثربة ، المبرور البقعة ، المفزع
لأهل المدينة عند الشدة .

حاله

قال ابن الصيرفي ، كان رحمه الله ، فذاً في وقته ، غريب الجود ،
طريفاً في الخير والزهد والورع ، له في كل جو مُتَنَفِّس ، يضرب في كل
علم بسهم ، وله في الوعظ توالييف كبيرة ، وأشعاره في الزهد مشهورة ،
جارية على ألسنة الناس ، أكثرها كالأمثال جيّدة الرضعة ، صحيحة المباني
والمعاني . وكان يُحَلِّق في الفقه . ويجلس للوعظ . وقال الغافقي ، كان
فقيهاً جليلاً ، زاهداً ، مُتَفَنِّئاً ، فصيحاً لساناً ، الأغلب عليه حفظ الحديث
والآداب ، والنحو ، حافظاً ، عارفاً بالتفسير ، شاعراً مطبوعاً . كان له
مجلس ، يُقْرَأُ عليه فيه الحفظ والتفسير ، ويتكلم عليه ، ويقص من
حفظه أحاديث . وألف في أنواع من العلوم ، وكان يعظ الناس بجامع
غرناطة ، غريباً في وقته ، فذاً في دهره ، عزيز الوجود .

مشيخته

روى عن أبي محمد مكي بن أبي طالب ، وأبي عمرو ، المقرئ الداني ،
وأبي عمر بن عبد البر ، وأبي إسحق إبراهيم بن مسعود اللبيري الزاهد ،

(١) وردت هذه الترجمة ، في بضعة أسطر قاتمة وممحاة في آخرها ، في هامش اللوحة 239
إسكوريال . ولم ترد في الزيتونة . وقد رأينا أن نثبتها هنا بالرغم مما تخللها من الحو والسقط الكثير .

وعن أبيه فرَج ، وعن أبي زيد الحشاش^(١) القاضي ، وعن القاضي أبي الوليد الباجي .

شعره

وشعره كثير ، ومن أمثل ما رُوى منه قوله :
لست وَجِيهاً [لدى إلهي]^(٢) في مبدل الأمر والمعاد
لو كنت وجيهاً لما برأني في عالم الكون والفساد

وفاته

توفي رحمه الله يوم الاثنين لعشر خلون من رمضان عام سبعة وثمانين وأربعمائة [وألحد ضحى يوم الثلاثاء بعده بمقبرة باب البيرة بين الجبانتين . ويعرف المكان إلى الآن بمقبرة العسال . وكان له يوم مشهود ، وأُوقد نيف على الثمانين رحمه الله ، ونفع به]^(٣) .

ومن الملوك والأمراء والأعيان والوزراء

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية ، أمير المؤمنين الناصر لدين الله الخليفة الممتنع ، المجتود ، المظفر ، البعيد الذكر ، الشهير الصيت .

حاله

كان أبيض ، أشهل ، حسن الوجه ، عظيم الجسم ، قصير الساقين .

(١) مكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (النشا) .

(٢) مكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في الزيتونة (هذا الأمر) .

(٣) ما بين الحاصرتين وارد في هامش الإسكوريال ، استكمال واستدراك . ووارد في

مكانه بالزيتونة .

أول من تسمى أمير المؤمنين ، ولي الخلافة ، فعلا جدّه ، وبُعد صيته ، وتوطأ ملكه ، وكان خلافته كانت شمساً نافية للظلمات ، فبايعه أجداده وأعمامه وأهل بيته ، على حداثة السن ، وجِدّة العمر ، فجدد الخلافة ، وأحيا الدعوة ، وزين الملك ، ووطد الدولة ، وأجرى الله له من السعد ، ما يعظم عنه الوصف ، ويُجلُّ عن الذكر ، وهياً له استئزال الثوار والمنافقين ، واجتثاث جرائيمهم .

بنوه : أحد عشر، منهم الحَكَم الخليفة بعده ، والمنذر ، وعبد الله ، وعبد الجبار .

حُجَّابِه : بدر مولاة ، وموسى بن حُدَيْر .

قضاته : جملة منهم أسلم بن عبد العزيز ، وأحمد بن بَقِيٍّ ، ومنذر ابن سعيد البلوطي .

نقش خاتمه : عبد الرحمن بقضاء الله راض .

أمه : أم ولد تسمى مُزْنَة . وبويع له في ربيع الأول من سنة تسع وتسعين ومائتين^(١) .

دخوله إلّ البيره

قال المؤرخ ، أول غزوة غزاها بعد أن استَحْجَبَ بدرا مولاة ، وخرج إليها يوم الخميس رابع عشرة ليلة خلت من شعبان سنة ثلاثمائة مَقْوضاً إليه ، ومُستدعياً نصره ، واستيلاف الشَّاردين ، وتأمين الخائفين . إلى ناحية كُورَة جَبَّان ، وحصن المُنتَلون ، فاستنزل منه سعيد بن هُذَيْل ،

(١) هكذا ورد هذا التاريخ في الزيتون . وفي الإسكوريال (تسع وسعين ومائتين) وكلاهما خطأ . والصواب أن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله (الناصر) بويع له في سبّتل ربيع الأول سنة ٨٣٠٠ .

وأَناب إليه من كان نافرأً عن الطاعة ، مثل ابن اللبَّانة وابن مَسْرَّة ودحون الأعمى^(١) ، وانصرف إلى قرطبة ، وقد تجول ، وأنزل كل من بحصن من حصون كورة جيان . وبَسْطَة وناجِرة^(٢) وإلبيرة وبجَّانة والبُشْرة وغيرها بعد أن عرض نفسه عليها . وعلى عهده توفي ابن حَفْصُون . وجرت عليه هزيمة الخَنْدَق في سنة سبع وعشرين وثلاثمائة ، وطال عمره ، فملك نيَفا وخمسين سنة ، وُوجد بخطّه ، أيام السُّرور التي صَفَتْ لى دون كدر يوم كذا ويوم كذا ، فَعُدَّت ، فوجدت أربعة عشر يوماً .

وفاته

في أول رمضان من سنة خمسين وثلاثمائة^(٣) .

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله بن محمد
ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية

يكنى أبا المطرف ، ويلقب بالمرتضى .

حاله وصفته

-
- (١) هكذا وردت هذه الأسماء في المخطوطين . وليس فيها ما يطابق الاسم الصحيح سوى ابن مسرة . وهو الفقيه الفيلسوف أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مسرة الجبلي (٢٦٩ - ٣١٩ هـ) . وقد اتهم أيام الناصر بالكفر والزيف ، وأصدر الناصر في حقه خطابه المشهور بدحض بعض آرائه وتكفيرها (راجع كتابي دولة الإسلام في الأندلس - الطبعة الرابعة - ص ٤٣٠ - ٤٣٤ وص ٦٩٨ - ٦٩٩)
- (٢) وردت في المخطوطين (وتاجلة) . وهو تحريف ونعتقد أن الصواب ما أثبتناه .
- (٣) هذه الترجمة التي اختصرها الناسخ من الترجمة الأصلية لعبد الرحمن الناصر ، هي مع الأسف ترجمة ضئيلة مضطربة ، مليئة بالأخطاء التاريخية ، وهي بهذه الصورة لا يمكن نسبتها كما هي إلى ابن الخطيب ، وقد كتب ابن الخطيب عن عبد الرحمن الناصر فصلاً قوياً جزلاً قيماً في كتابه « إعمال الأعلام » (طبع بيروت) ص ٢٨ - ٤١ . وراجع ما ورد عن عبد الرحمن الناصر من فصول متعاقبة في كتابي دولة الإسلام في الأندلس (الطبعة الرابعة) ص ٣٧٢ - ٤٦٣ .

كان أبيض أشقر أقنى ، مخفف البدن ، مدور اللحية ، خيراً ،
فاضلاً . من أهل الصلاح والتقوى ، قام بدولته خيران العامرى ، بعد
أن كثر السؤال عن بنى أمية ، فلم يجد فيهم أسداً للخلافة منه ، بورعه
وعفاه ، ووقاره ، وخاطب في شأنه ملوك الطوائف على عهده ، فاستجاب
الكل إلى الطاعة ، بعد أن أجمع^(١) الفقهاء والشيوخ ، وجعلوها شورى ،
وانصرفوا يريدون قرطبة ، وبدأوا^(٢) بصنّهاجة بالقتال ، فكان نزوله
بجبل شقشتر على محجة واط .

وفاته

يوم لثلاث خلون من جمادى الأولى سنة تسع وأربعمائة . وكانت
الهزيمة على عساكر المرتضى ، فتركوا المحلات وهربوا ، وفشى^(٣) فيهم
القتل ، وظفرت صنّهاجة من المتاع والأموال ، بما يأخذه الوصف ، وقتل
المرتضى في تلك الهزيمة ، فلم يوقع له على أثر ، وقد بلغ سنه نحو
أربعين^(٤) .

عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن
أبى العاصى بن أمية بن عبد شمس

يكنى أبا المظرف ، وقيل أبا زيد ، وقيل أبا سليمان ، وهو الداخل
إلى الأندلس ، والمجدد للخلافة بها لذريته ، والملقب بصقر بنى أمية^(٥) .

(١) وردت في الزيتونة (أجمعوا) وهو تحريف اقتضى التصويب .

(٢) وردت في الزيتونة (أهدوا) والتصويب أنسب للسياق .

(٣) وردت في الزيتونة (وفشوا) وهو تحريف اقتضى التصويب .

(٤) وردت هذه الترجمة في الزيتونة فقط . ولم ترد في الإسكوريال .

(٥) المعروف المتداول أن عبد الرحمن بن معاوية الداخل يلقب « بصقر قریش » وليس

« بصقر بنى أمية » .

حاله

قال ابن مفرّج ، كان الأمير عبد الرحمن بن معاوية ، راجح العقل ، راسخ العلم ، ثابت الفهم ، كثير الحزم ، فذّ العزم ، بريثا من العجز ، مستخفا للثقل ، سريع النهضة ، متّصل الحركة ، لا يخلد إلى راحة ، ولا يسكن إلى دعة ، ولا يكلّ الأمور إلى غيره ، ثم لا ينفرد بإبرامها برأيه . وعلى ذلك فكان شجاعا ، مقداما ، بعيد الغور ، شديد الحذر ، قليل الطمأنينة ، بليغا ، مَفْوْهاً ، شاعراً مُحْسِنًا ، سَمَحًا ، سَخِيًا ، طَلَقَ^(١) اللسان ، فاضل البنان ، يلبس البياض ، وَيَعْتَمُّ به ويؤثره . وكان أُعْطِيَ هَيْبَةً من وليّه وعدوّه لم يُعْطَها واحد من الملوك في زمانه . وقال غيره ، وألّفى الأمير عبد الرحمن الأندلس ثغرا من أنأى الثغور القاصية ، غفلا من سمة المُلْك ، عاطلا من حليّه الإمامة ، فأزْهَبَ أهله بالطاعة السلطانية ، وحرّكهم بالسيرة الملوكية ، ورفعهم بالآداب الوسطية^(٢) ، فألبسهم عما قريب المودة ، وأقامهم على الطريقة . وبدأ يدوّن الدواوين ، وأقام القوانين ، ورفع الأووين . وفَرَضَ الأعطية ، وأنفَذَ الأفضية ، وعقد الألوية ، وجنّد الأجناد ، ورفع العِماد ، وأوثق الأوتاد ، فأقام للمُلْك آلهته ، وأخذ للسلطان عُدتّه .

نبذة من أوليته

لما ظهر بنو العباس بالمشرق ، ونجا فيمن نجا من بنى أمية ، معروفًا بصفته عندهم ، وخرج يُؤم المغرب لأمرٍ كان في نفسه ، من مُلْك الأندلس ، اقتضاه حدثان . فسار حتى نزل القَيْرُوان ، ومعة بدُرّ مولاة ، ثم سار حتى

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (حلو) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الزيتونة (الواسطية) .

لحق بأخواله من نينزة : ثم سار بساحل العُدوة ، في كنف قوم من زفاته ،
 وبعث إلى الأندلس بدرأ ، قد اخل له بها من يوثق به ، وأجاز البحر إلى
 المنكب ، وسأل عنها ، فقال نكبوا عنها ، ونزل بشاط من أحوازا ،
 وقدم إليه أولو دعوته ، وعقد اللوا ، وقصد قرطبة في خبر يطول ،
 وحروب مبيرة ، وهزم يوسف الفهري ، واستولى على قرطبة ، فبوع له
 بها يوم عيد الأضحى من سنة ثمان وثلاثين ومائة ، وهو ابن خمس وعشرين
 سنة .

دخوله إلى البيرة

قالوا ، ولما انهزم الأمير يوسف بن عبد الرحمن الفهري ، لحق بالبيرة
 فامتنع بحصن غرناطة ، وحاصره الأمير عبد الرحمن بن معوية ، وأحاط
 به ، فنزل على صلح ، وانعقد بينهما عقد ، ورهته يوسف ابنيه أبا زيد
 وأبا الأسود ، وشهد في الأمان وجوه العسكر ، منهم أمية بن حمزة الفهري ،
 وحبيب بن عبد الملك المرواني ، ومالك بن عبد الله القرشي ، ويحيى بن
 يحيى اليحصبي ، ورزق بن النعمان الغسالي ، وجدار بن سلامة المذحجي .
 وعمر بن عبد الحميد العبدري ، وثعلبة بن عبيد الجذامي ، والحريش
 ابن حوار السلمى ، وعتاب بن علقمة اللخمي ، وطالوت بن عمر اليحصبي ،
 والجراح بن حبيب الأسدي ، وموسى بن خالد ، والحصين بن العقيلي ،
 وعبد الرحمن بن منعم الكلبي ، إلى آخرين سواهم ، بتاريخ يوم الأربعاء
 ليلتين خلتا من ربيع الأول سنة تسع وثلاثين ومائة . نقلت أسماء من
 شهد ، لكونهم ممن دخل البلدة ، ووجب ذكره ، فاجتزأت بذلك ، فرارا
 من الإطالة ، إذ هذا الأمر بعيد الأمد ، والإحاطة لله .

بلاغته ونشره وشعره

قال الرازي ، قام بين يديه رجل من جند قنسرين ، يستنجد به .
وقال له ، يا ابن الخلايف الراشدين والسادات الأكرمين ، إليك فررنا .
وبك عذت من زمن ظلوم ، ودهر غشوم ، قلل المال ، وذهب الحال .
وصير إلئ بذاك المنال ، فأنت ولي الحمد ، وربى المجد ، والمرجو للرفد .
فقال له ابن معاوية مسرعا ، قد سمعنا مقالتك ، فلا تعودن ولا سواك لمثله .
من إراقة وجهك ، بتصريح المسئلة ، والإلحاف في الطلبة ، وإذا ألم بك
خطب [أو دهاك أمر ، أو أحرقتك حاجة]^(١) فارفعه إلينا في رقة
لا تعدو ذكيا ، تسر عليك خلقتك ، وتكف شماتة العدو بك ، بعد
رفعها إلى مالكنها ومالكها ، عن وجهه ، بإخلاص الدعاء ، وحسن النية
وأمر له بجائزة حسنة . وخرج الناس يعجبون من حسن منطقته ، وبراعة
أدبه .

ومن شعره قوله ، وقد نظر إلى نخلة بمنية الرصافة ، مفردة ، هاجت
شجنه إلى تذكر بلاد المشرق :

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة	تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل
فقلت شبيهي في التغرب والنوى	وطول التنائى عن بنيى وعن أهلى
نشأت بأرض أنت فيها غريبة	فمثلك في الإقصاء والمنتأى مثلى
سقتك غواذى المزن من صوبها الذى	يسح ويستمرى السماكين بالوبل

وفاته

توفى بقرطبة يوم الثلاثاء الرابع والعشرين لربيع الآخر سنة اثنتين

(١) هكذا وردت هذه الجملة في الزيتونة . ووردت مكانها في الإسكوريال عبار
(واحرقتك أمر) .

وسبعين ومائة ، وهو ابن تسعة وخمسين عاما ، وأربعة أشهر ، وكانت
 مُدَّةُ مُلْكِهِ ثلاثا وثلاثين سنة وأربعة أشهر ، وأخباره شهيرة .
 وجرى ذكره في الرِّجْزِ المسمى بقطع السلوك ، في ذكر هذين من
 بنى أُمِيَّة ، قولى فى ذكر الداخِل :

وغمِرَ الهولُ كَقَطْعِ اللَّيْلِ	بِفِتْنَةِ الْفِهْرِى وَالصَّمِيلِ
وَجَلَّتْ الْفِتْنَةُ فِي أَنْدَلُسْ	فَأَصْبَحَتْ فَرِيَسَةَ الْمُفْتَرَسِ
فَأُسْرِعَ السَّيْرَ إِلَيْهَا وَابْتَدَّرْ	وَكُلُّ شَيْءٍ بِقَضَاءٍ وَقَدَّرْ
صَقَّرُ قَرِيْشٍ عَابِدِ الرَّحْمَنِ	بَانِي الْمَعَالِي لِبْنِي مَرْوَانَ
جَدَّدَ عَهْدَ الْخُلَفَاءِ فِيهَا	وَأَسَّسَ الْمَلِكُ لِمُتَرَفِيهَا
ثُمَّ أَجَابَ دَاعِيَ الْجِمَامِ	وَنَخَلَفَ الْأَمْرَ إِلَى هِشَامِ
وَقَامَ بِالْأَمْرِ الْحَفِيدُ النَّاصِرُ	وَالنَّاسُ مَحْضُورٌ بِهَا وَحَاصِرُ
فَأَقْبَلَ السَّعْدُ وَجَاءَ النَّصْرُ	وَأَشْرَقَ الْأَمْنُ وَضَاءَ الْقَصْرِ
وَعَادَتِ الْأَيَّامُ فِي شَبَابٍ	وَأَصْبَحَ الْعَدُوُّ فِي تَبَابٍ
سَطَى وَأَعْطَى وَتَغَاضَى وَوَفَا	وَكَلِمَا أَقْدَرَهُ اللَّهُ عَفَا
فَعَادَ مِنْ خَالَفَ فِيهَا وَانْتَزَا	وَحَارِبَ الْكُفَّارَ دَابَا وَغَزَا
وَأَوْقَعَ الرُّومَ بِهِ فِي الْخَنْدَقِ	فَانْقَلَبَ الْمَلِكُ بِسَعْيِ مُخَفِّقِ
وَاتَّصَلَتْ مِنْ بَعْدِ ذَا فَتَوْحٍ	تَغْدُو عَلَى مَشْوَاهِ أَوْ تَرْوَحُ
فَاغْتَنِمُوا السَّلْمَ لِهَذَا الْحَيْنِ	وَوَصَلَتْ إِسْرَالُ قُسْطَنْطِينِ
وَسَاعَدَ السَّعْدُ فَنَالَ وَاقْتَنَمَا	ثُمَّ بَنَى الزَّهْرَا فِيمَا قَدْ بُنَا
حَتَّى إِذَا مَا كَمُلْتَ أَيَّامُهُ	سَبَّحَانَ مَنْ لَا يَنْقُضِي دَوَامُهُ

عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن سعيد بن محمد اللخمي

من أهل رُنْدَة وأعيانها ، يكنى أبا القاسم ، ويعرف بابن الحكيم ،
 وجدّه يحيى ، هو المعروف بابن الحكيم ، وقد تقدّم ذكر جُمْلَة من هذا
 البيت .

حاله

كان رحمه الله عين بلده المشار إليه ، كثير الانقباض والعزلة ،
 مجانباً لأهل الدنيا ، نشأ على طهارة وعِفَّة ، مرَضَى الحال ، معدوداً في
 أهل النزاهة والعدالة ، وأفرط في باب الصدقة ، بما انقطع عنه أهل الإثراء
 من المتصدّقين ، ووقفوا دون شأوه . ومن شهير ما يُروى من مناقبه في
 هذا الباب . أنه أعتق بكل عضو من أعضائه رَقَبَةً ، وفي ذلك يقول
 بعض أدباء عصره :

أَعْتَقَ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ رَقَبَةً واعتدّ ذلك ذخراً ليوم العقبة

لا أجدُ مَنْقَبَةً مثل هذه المنقبة

مشيخته

روى عن القاضي الجليل أبي الحسن بن قَطْرال ، وعن أبي محمد بن
 ابن عبد الله بن عبد العظيم الزهرى ، وأبي البركات بن مَوْدُود الفارسي .
 وأبي الحسن الدُّبَّاج ، سمع من هؤلاء وأجازوا له . وأجاز له أبو أمية
 ابن سعد السُّعُود بن عُفَيْر ، وأبو العباس بن مكنون الزاهد ، قال الأستاذ
 أبو جعفر بن الزبير ، وكان شيخنا القاضي العالم الجليل أبو الخطّاب
 ابن خليل ، يَطنّب في الشناخ عليه . ووقفت على ما خاطبه به معرباً عن ذلك .

شعره

منقولاً من « طرفة العَصْر » من قصيدة يردُّها المؤذنون منها :

كم ذا أُعْلِلُ بالتَّسْوِيفِ والأَمَلِ قلباً تغلَّبَ بين الوجدِ والوجَلِ
وكم أُجَرِّدُ أذيالَ الصُّبَا مَرَحًا في مَسْرَحِ اللّهُو وفي مَلْعَبِ الغَزَلِ
وكم أُمَاظِلُ [نَفْسِي بِالمَتَابِ] ^(١) ولا عِزْمَ فيوضِ حَى عن وَاضِحِ السُّبُلِ
ضَلَلْتُ والحَقُّ لَا تخْفَى معالِمُه شَتَّانَ بَيْنَ طَرِيقِ الجَدِّ والهَزَلِ

وفاته

يوم الاثنين التاسع والعشرين لجمادى الأولى عام ثلاثة وسبعين وستمائة

عبد الرحيم بن إبراهيم بن عبد الرحيم الخزرجي

يكنى أبا القاسم ، ويعرف بابن القَرَس ، ويُلقَّب بالمُهَر ، من أعيان
غرناطة .

^(٢) حاله

كان فقيهاً جليلاً القدر . رفيع الذكر ، عارفاً بالنحو واللغة والأدب ،
ماهر الكتابة ، رايق الشعر . بديع التَّوشِيح ، سريع البديهة ، جارياً على
أخلاق الملوك في مَرْكَبِهِ وملبسه وزيِّهِ . قال ابن مسعدة ^(٣) : وطِىءَ من
درجات [العزِّ] ^(٤) والمجد أعلاها ، وفرع من الأصالة ^(٥) مُنْتَبِهاً . ثم علت

(١) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في الزيتونة كالآتي (نفساً بالمتاب) .

(٢) أغفلت في المخطوطين . ورد رأينا إبتنائها جرمنا على أسوب ابن الخطيب في ترتيب مادة تراجمه .

(٣) هكذا في الزيتونة ، وفي الإسكوريال (ابن مسعدة) .

(٤) هذه الزيادة من الزيتونة .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (البطانة) وهو تحريف .

هَمَّتْهُ إِلَى طَلَبِ الرِّيَاسَةِ وَالْمُلْكِ ، فَارْتَحَلَ إِلَى بِلَادِ الْعُدُوَّةِ ، وَدَعَا إِلَى نَفْسِهِ ، فَاجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ الْخَلْقُ الْكَثِيرُ . وَالْجَمُّ الْغَفِيرُ . وَدَعَا بِهِ بِاسْمِ الْخَلِيفَةِ ، وَحَيَّوْهُ بِتَحِيَّةِ الْمَلِكِ . ثُمَّ خَانَتْهُ الْأَقْدَارُ . وَالْدَّهْرُ بِالْإِنْسَانِ غَدَّارٌ ، فَاحْطَاطَ بِهِ جِيُوشُ النَّاصِرِ بْنِ الْمَنْصُورِ ، وَهُوَ فِي جَيْشٍ عَظِيمٍ مِنَ الْبَرْبَرِ ، فَقُطِعَ رَأْسُهُ ، وَهُزِمَ جَيْشُهُ ، وَسِيقَ إِلَى بَابِ الْخَلِيفَةِ ، فَعُلِقَ عَلَى بَابِ مَرَاكُشَ ، فِي شَبَكَةِ حَدِيدٍ ، وَبَقِيَ بِهِ مَدَّةً مِنْ عَشْرِينَ سَنَةً ^(١) .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ بْنُ الزُّبَيْرِ ، كَانَ أَحَدُ نَسَبَاءِ وَقْتِهِ ، لَوْلَا حَدَثَةٌ كَانَتْ فِيهِ ، أَدَّتْ بِهِ إِلَى مَا حَدَّثَنِي بِهِ بَعْضُ شَيْوَخِي مِنْ صَحْبِهِ . قَالَ ، خَرَجْنَا مَعَهُ يَوْمًا عَلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ مَرَاكُشَ بِرِسْمِ الْفُرْجَةِ ، فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ الرَّجُوعِ نَظَرْنَا إِلَى رُؤُوسٍ مُعَلَّقَةٍ ، وَتَعَوَّذْنَا بِاللَّهِ مِنَ الشَّرِّ وَأَهْلِهِ ، وَسَأَلْنَاهُ سَبْحَانَهُ الْعَافِيَةَ . قَالَ ، فَأَخَذَ يَتَعَجَّبُ مِنَّا ، وَقَالَ ، هَذَا خَوَرُ طَرِيقَةٍ وَخَسَاسَةٌ هُمَّةٌ ، وَاللَّهُ مَا الشَّرَفُ وَالْهَمَّةُ إِلَّا فِي تِلْكَ ، يَعْنِي فِي طَلَبِ الْمُلْكِ ، وَإِنْ أَدَّى الْاجْتِهَادُ فِيهِ إِلَى الْمَوْتِ دُونَهُ عَلَى تِلْكَ الصِّفَةِ . قَالَ ، فَمَا بَرَحْتَ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامَ ، حَتَّى شَرَعَ فِي ذَلِكَ ، وَرَامَ الثُّورَةَ . وَسِيقَ رَأْسُهُ إِلَى مَرَاكُشَ ، فَعُلِقَ فِي جُمْلَةٍ تِلْكَ الرُّؤُوسَ ، وَكُتِبَ عَلَيْهِ ، أَوْقِيلَ فِيهِ :

(١) إِنْ عَبْدَ الرَّحِيمِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْفَرَسِ الْمَذْكُورِ هُوَ فِي الْأَصْلِ أُنْدَلُسِيٌّ يَلْتَمِسُ إِلَى قَبِيلَةِ « جَزُولَةَ » الْبَرْبَرِيَّةِ . وَيَعْرِفُ بِالْمَهْرِ وَبِأَقْبِ قَصْبَةٍ . وَكَانَ عَلَى جَانِبِ كَبِيرٍ مِنَ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ . نَزَحَ إِلَى الْمَغْرِبِ ، وَحَضَرَ ذَاتَ يَوْمٍ مَجْلِسَ الْخَلِيفَةِ الْمُوَحَّدِيِّ يَعْقُوبَ الْمَنْصُورِ ، وَبَدَرَتْ مِنْهُ بَعْضُ آرَاءِ خَشْيَ عَاقِبَتَهَا فَاخْتَفَى حِينًا ، ثُمَّ ظَهَرَ بَعْدَ وَفَاةِ الْمَنْصُورِ فِي السُّوسِ فِي مَنَازِلِ قَبِيلَتِهِ جَزُولَةَ ، وَانْتَحَلَ الْإِمَامَةَ ، وَادَّعَى أَنَّهُ « الْقَحْطَانِي » الَّذِي وَرَدَ ذِكْرُهُ فِي الْحَدِيثِ بِأَنَّهُ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُخْرِجَ رَجُلٌ مِنَ قَحْطَانَ ، يَقُودُ النَّاسَ ، وَيَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا كَمَا مَلَأَتْ جُورًا . وَذَاعَتْ دَعْوَتُهُ فِي بِلَادِ السُّوسِ وَالتَّنَّتْ حَوْلَهُ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ ، وَجَرَدَتْ عَلَيْهِ حُكُومَةُ مَرَاكُشَ عِدَّةَ حِمَلَاتٍ صَغِيرَةٍ مُتَوَالِيَةٍ ، كَانَ يَهْزِمُهَا تَبَاعًا . ثُمَّ جَهَّزَ الْخَلِيفَةُ النَّاصِرُ الْمُوَحَّدِيُّ حَمْلَةً كَبِيرَةً لِمُحَارَبَتِهِ وَسَحَقَهُ ، فَانْفَضَّ عَنْهُ مَعْظَمُ جُمُوعِهِ ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ مَنْ وَقَفَ إِلَى جَانِبِهِ ، وَقُبِضَ عَلَى الدَّعِيِّ . وَقُتِلَ وَاحْتَزَّ رَأْسُهُ ، وَعُلِقَ عَلَى بَابِ مَرَاكُشَ ، وَكَانَ مَصْرُوعَ ابْنِ الْفَرَسِ وَأَنْهِيَارُ ثَوْرَتِهِ عَلَى هَذَا اسْتَحْوَى سَنَةَ ٥٩٨ هـ (١٢٠٢ م) .

لقد طَمَحَ المُّهَرُّ الجُمُوحَ لغاية فقطَّعَ أعناقَ الجِيَادِ السَّوَابِقِ
جَرَى وَجَرَتْ رِجَالُهُ لَكِنَّ رَأْسَهُ أَتَى سَابِقاً والجِسْمَ لَيْسَ بِسَابِقِ
وكانت ثورته ببعض جهات دُرْعَةٍ من بلاد السُّوسِ .

مشيخته

أَخَذَ عَنْ صِبْهِ القَاضِي أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ المَنَعِ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ . وَعَنْ
غَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ بَلَدِهِ ، وَتَفَقَّهَ بِهِمْ ، وَبَهَرَ فِي العَقَلِيَّاتِ وَالْعُلُومِ القَدِيمَةِ ، وَقَرَأَ
عَلَى القَاضِي المَحْدُثِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي زَمَنِينَ ، وَتَلَا عَلَى الأُسْتَاذِ الخَطِيبِ أَبِي
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَرُوسٍ : وَالْأَدَبَ وَالنَّحْوَ عَلَى الأُسْتَاذِ الوَزِيرِ أَبِي يَحْيَى بْنِ
مَسْعُودَةٍ . وَأَجَازَهُ الأُسْتَاذُ الخَطِيبُ أَبُو جَعْفَرٍ العَطَّارُ . وَمِنْ شَعْرِهِ فِي الثَّوْرَةِ :

قُولُوا لِأَوْلَادِ^(١) عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بْنِ عَلِيٍّ تَأَهَّبُوا لَوُقُوعِ الحَادِثِ الجَلِيلِ
قَدْ جَاءَ فَارَسُ قَحْطَانٍ وَسَيِّدُهَا^(٢) وَوَارِثُ المَلِكِ وَالغَلَّابِ لِلدُّوَلِ^(٣)

وَمِنْ شَعْرِهِ القَصِيدَةُ الشَّهِيرَةُ وَهِيَ :

اللَّهُ حَسْبِي لَا أُرِيدُ سِوَاهُ هَلْ فِي الوجودِ الحَقِّ إِلَّا اللَّهُ
ذَاتُ الإِلَهِ بِهَا تَقُومُ دَوْلَتُنَا هَلْ كَانَ يَوجِدُ غَيْرُهُ لَوْلَاهُ
يَا مَنْ يَلُودُ بِذَاتِهِ أَنْتَ الَّذِي لَا تَطْمَعُ الأَبْصَارُ فِي مَرَّاهِ
لَا غَرَوًا أَنَّا قَدْ رَأَيْنَاهُ بِهَا فَالحَقُّ يَظْهَرُ ذَاتَهُ وَتَرَاهُ^(٤)
يَا مَنْ لَهُ وَجَبَ الكَمَالُ بِذَاتِهِ فَالْكَلُّ غَايَةُ فَوْزِهِمْ^(٥) لِقِيَاهُ

(١) هَكَذَا فِي الإِسْكَوْرِيَالِ ، وَفِي نَصِّ آخِرٍ (لَا بُنَاءَ) .

(٢) هَكَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الشُّطْرَةُ فِي الإِسْكَوْرِيَالِ . وَفِي نَصِّ آخِرٍ (قَدْ جَاءَ سَيِّدُ قَحْطَانٍ وَعَالَمُهَا) .

(٣) هَكَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الشُّطْرَةُ فِي الإِسْكَوْرِيَالِ . وَفِي نَصِّ آخِرٍ (وَمُنْتَهَى القَوْلِ وَالغَلَّابِ لِلدُّوَلِ)

(٤) هَكَذَا وَرَدَ هَذَا البَيْتُ فِي الإِسْكَوْرِيَالِ وَفِي الزَيْتُونَةِ كَالآتِي : (لَا غَرَوًا قَدْ رَأَيْنَاهُ :

نَلْحَقُ يَظْهَرُ يَظْهَرُ ذَاتَهُ وَتَرَاهُ) .

(٥) هَكَذَا فِي الإِسْكَوْرِيَالِ . وَفِي الزَيْتُونَةِ (قَدَرَهُمْ) .

أنت الذى لما تعالى جده قصرت خطا الألباب دون حماه^(١)
 أنت الذى امتلأ الوجود بحمده لما غدا ملاّن من نُعمساه
 أنت الذى اخترع الوجود بأسسه ما بين أعلاه إلى أدناه
 أنت الذى خصصتنا بوجودنا أنت الذى عرّفتنا معناه^(١)
 أنت الذى لو لم تلج أنواره لم تُعرف الأضداد والأشباه
 لم أفسح ما أودعته لئله ما صان سرّ الحق من أفساه
 عجز الأنام عن امتداحك لئله تحضاهل الأفكار دون مبداه
 من كان يعلم أنك الحق الذى بهر العقول فحسبه وكفلسه
 لم ينقطع أحد إليك محبة إلا وأصبح حامدا عُقباه
 وهى طويلة ..

من أهل غرناطة يكنى أبا ورد ويعرف بابن القصبة
 عديم رواء الحس ، قريب العهد بالنجعة ، فارق وطنه وعيصره ،
 واستقبل المغرب ... الوفادة ، وقدم على الأندلس فى أخريات دولة الثانى
 من الملوك النصرين ، فمهد جانب البر له ، وقرب مجلسه ، ورعى وسيلته ،
 وكان على عمل بر ، من صوم واعتكاف وجهاد .

نباهته

ووقف بن ولده الشريف أبو زيد عبد الرحيم ، على رسالة كتب بها أمير
 مكة على عهده إلى سلطان الأندلس ثانى الملوك النصرين رحمهم الله ، وعبر
 فيها عن نفسه ، من عبد الله المؤيد بالله محمد بن سعد الحرسنى ، فى غرض
 المواصلة والمودة والمراجعة عن بر صدر عن السلطان رحمه الله من فصولها :

(١) هذا البيت وارد فى الإسكوريال ، وساقط فى الزيتونة .

«ثم أنكم رضى الله عنكم، بالغنم في الإحسان للسيد الشريف أبي القاسم الذي انتسب إلينا، وأوَيْتموه من أجلنا، وأكرمتموه، ورفعتموه احتراماً لبيته الشريف، جعل الله عملكم معه وسيلة بين يدي جدنا عليه السلام» وهي طويلة وتحميدها ظريف، من شنشنة أحوال تلك البال بمكة المباركة . وفاته : توفي شهيدا في الواقعة بين المسلمين والنصارى بظاهر ألمرية عندما وقع الصريخ لإنجادها، ورفع العدو البرجلون عنها في السادس والعشرين من شهر ربيع الأول عام عشرة وسبعمائة^(١).

ومن ترجمه المقرئين والعلماء والطلبة النجباء من ترجمة الطارئين منهم

عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن أصْبَغ بن

حسن بن سعدون بن رضوان بن فتوح الخشعمي

مالقي [يكنى]^(٢) أبا زيد، وأبا القاسم، وأبا الحسين، وهي قليلة، شهر بالسهيلى .

حاله

كان مُقْرِياً مجوِّداً، متحققاً بمعرفة التفسير، غواصاً على المعاني البديعة، ظريف التهذيب إلى المقاصد الغريبة^(٣)، محدثاً واسع الرواية، ضابطاً لما يحدث به، حافظاً متقدماً، ذا كرا للأدب والتواريخ والأشعار والأنساب، مبرزاً في الفهم، ذكياً، أديباً كاتباً بليغاً، شاعراً مجيداً، نحويّاً عارفاً

(١) وردت هذه الترجمة بهامش اللوحة 242 لإسكوريال، مطبوس أولها، وغير واضح اسم صاحبها (الذي ذكر فيها بعد أنه الشريف أبو القاسم)، فرأينا أن نقلها كما هي، وأن نتخذ مكانها بعد ترجمة ابن الفرس .

(٢) ساقطة في الإسكوريال وواردة في الزيتونة .

(٣) هكذا في الإسكوريال، وفي الزيتونة (الطريقة) .

بارعا ، يَقِظاً ، يَغْلِبُ عَلَيْهِ عِلْمُ الْعَرَبِيَّةِ وَالْأَدَبِ . اسْتَدْعَى آخِرًا إِلَى التَّدْرِيسِ بِمَرَاكَشَ ، فَانْتَقَلَ إِلَيْهَا مِنْ مَالِقَةِ ، مُحَلِّ إِقْرَائِهِ ، وَمُتَبَوِّأَ إِفَادَتِهِ ، فَاتَّخَذَ بِهَا النَّاسَ عَنْهُ ، إِلَى حِينِ وَفَاتِهِ .

مَشِيخَتُهُ

تَلَا بِالْحَرَمَيْنِ عَلَى خَالِ أَبِيهِ الْخَطِيبِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ عَبَّاسٍ ، وَبِالسَّبْعِ عَلَى أَبِي دَاوُدَ بْنِ يَحْيَى ، وَعَلَى أَبِي عَلِيٍّ مِنْصُورِ بْنِ عَلَاءٍ ، وَأَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ خُلْفِ بْنِ رَضِيٍّ ، وَرَوَى عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ طَاهِرٍ ، وَابْنِ الْعَرَبِيِّ ، وَابْنِ قُذْلَةَ ، وَأَبِي الْحَسَنِ شُرَيْحٍ ، وَابْنِ عَيْسَى ، وَيُونُسَ بْنِ مُغِيثٍ ، وَأَبِي الْحَسَنِ بْنِ الطَّرَاوَةِ ، وَأَكْثَرَ عَنْهُ فِي عُلُومِ اللِّسَانِ ، وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ حَفِيدَ^(١) مَكِّيٍّ ، وَابْنِ أُخْتِ غَانِمٍ ، وَابْنِ مُعَمَّرٍ ، وَابْنِ نَجَاحٍ ، وَأَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ يُونُسَ ، وَابْنِ يُحْنَنَ اللَّهِ ، وَأَبُو الْقَاسِمِ ابْنِ الْأَبْرَشِ ، وَابْنُ الرَّمَّاءِ ، وَأَبُو مُحَمَّدٍ ابْنِ رَشْدٍ ، وَالْقَاسِمُ بْنُ دَحْمَانَ ، وَأَبُو مَرْوَانَ بْنِ بُونَةَ ، وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَحْرٍ . وَنَظَرَ فِي « الْمَدُونَةِ » عَلَى ابْنِ هِشَامٍ . وَأَجَازَ لَهُ وَلَمْ يَلْقَهُ ، أَبُو الْعَبَّاسِ عَبَّادُ بْنُ سَرْحَانَ ، وَأَبُو الْقَاسِمِ بْنُ وَرْدٍ .

مَنْ رَوَى عَنْهُ

رَوَى عَنْهُ أَبُو إِسْحَاقَ الزَّوَالِي . وَأَبُو إِسْحَاقَ الْجَانِي ، وَأَبُو أُمِيَّةَ بْنُ عُفَيْرٍ ، وَأَبُو بَكْرٍ بْنُ دَحْمَانَ ، وَابْنُ قُتَيْبَةَ . وَالْمُحَمَّدُونَ ابْنُ طَلْحَةَ ، وَابْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَابْنُ عَلِيٍّ جُوَيْحِمَاتٍ . وَأَبُو جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ الْمَجِيدِ ، وَالْحَفَّارُ وَسَهْلُ بْنُ مَالِكٍ ، وَابْنُ الْعَفَّاصِ ، وَابْنُ أَبِي الْعَافِيَةِ . وَأَبُو الْحَسَنِ السَّرَّاجُ ، وَأَبُو سُلَيْمَانَ بْنِ حَوْطِ اللَّهِ ، وَالسَّمَاوِيُّ . وَابْنُ عِيَّاشِ الْأَنْدَرُسِيِّ ، وَابْنُ عَطِيَّةٍ ،

(١) هذه الكلمة واردة في الإسكوريال وساقطة في الزيتونة .

وابن يربوع ، وابن رُشيد ، وابن ناجح ، وابن جَمْهُور ، وأبو عبد الله بن عيَّاش الكاتب ، وابن الجذع : وأبو علي الشُّلُوبين . وسالم بن صالح ، وأبو القاسم بن بَقِي ، وأبو القاسم بن الطَّيْلَسَان ، وعبد الرحيم بن الفَرَس ، وابن المَلْجُوم ، وأبو الكرم جُودِي : وأبو محمد بن حَوْط الله ، إلى جملة لا يحصرها الحدُّ .

دخل غرناطة . وكان كثير التأميل والمدح لأبي الحسن بن أَضْحَى قاضيهَا ورِيسَهَا^(١) . وله في مدحه أشعار كثيرة : وذكر لي من أَرخ في الغرناطيين ، وأخبرني بذلك صاحبنا القاضي أبو الحسن بن الحسن كتابة عَمَّن يثق به .

توالياه

منها كتاب « الشَّريف والإعلام بما أُبْهِم في القرآن من أسماء الأعلام » . ومنها شرح آية الوصية ، ومنها « الرُّوض الآئِف والمُشرع الرُّوفا فيما اشتمل عليه كتاب السيرة واخْتَوَى » . وابتدأ إِمْلَاءَه في محرم سنة تسع وستين وخمسمائة ، وفرغ منه في جمادى منها . ومنها « حِلْيَةُ النَّبِيل في معارضة ما في السَّبِيل » . إلى غير ذلك .

شعره

قال أبو عبد الله بن عبد الملك : أَنشدني أبو محمد القَطَّان ، قال أَنشدني أبو علي الرُّندِي ، قال أَنشدني أبو القاسم السُّهَيْلِي لنفسه :
أَسَايِلُ عَنْ جِيرَانِهِ مِنْ لَقِيَّتِهِ وَأَعْرَضَ عَنْ ذَكَرَاهِ وَالْحَالُ تَنْطِقُ

(١) هو من ثوار الأندلس في أواخر عهد المرابطين . وقد سبق التعريف به (راجع المجلد الثاني من الإحاطة ص ٥٠٤ حاشية) .

ومالى إلى جيرانه من صِبابَة ولكنَّ قلبي عن صَبُوح^(١) يوفِّق
ونقلت من خطِّ الفقيه القاضى أبي الحسن بن الحسن ، من شعر أبي
القاسم السَّهيلي ، مذيلاً بيت أبي العافية في قطعة لزومية :

ولما رأيتُ الدهر تسطو خطوبه بكل جَلِيد في الورى وُهدان
ولم أر من جِرْزِ أَلُوذٍ بظُلَّسه ولا مَنْ له بالحادثات يُسدان
فَزَعْتُ إلى من تملك الدهر كفه ومن ليس ذو مُلك له بمران
وأَعْرَضْتُ عن ذكر الورى متبرِّماً إلى الرَّبِّ من قاص هناك ودان
وناديتُه سرا ليرحم عبْرَتِي وقلت رجائي قادي وهْدان
ولم أدعه حتى تطاول مفضلاً على بالهام الدُّعاء وعان^(٢)
وقلت أرْجِي عطفه مَمْثُلاً ببيت لعَبْد صايل بَرْدان
تغطيت من دهرى بظلِّ جناحه فعسى ترى دهرى وليس بَرانى
قلت ، وما ضَرَّه ، غفر الله له ، لو سَلِمْتَ أَساتِه من بَرْدان ، ولكن
أَبَتْ صِناعَةُ الذَّهْوِ إلا أن تخرج أَعناقها .

ومن شعره قوله :

تواضع إذا كنتَ تَبْغِي العِلا وكنتَ راسياً عند صَفْو الغَضْب
فخَفَضُ الفتى نفسه رِفْعَةً له واعتبر برُسُوب الذهب
وشعره كثير ، وكتابته كذلك ، وكلاهما من نمط يقصر عن الإِجادة .
وقال ملفِّزاً في محمل الكُتُب ، وهو مما استُحسن من مقاصده :
حامل للعلسوم غير فقيهه ليس يرجو أمراً ولا يتَّقِيه

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (هواه) .

(٢) هكذا وردت في الزيتونة . ووردت في الإسكوريال مرة أخرى (وهدان) .

يحمل العلم فاتحا قدميه
ومن ذلك قوله في المجنبات :

شَعَفَ الفؤاد نواعمُ أبكار
أَذكى من المسك العتيق لنا
وكانَّ من صافي اللجين بطونها
صَفَتْ البواطن والظواهر كلها
عجبا لها وهي النعم يصوغها
ومن شعره وثبت في الصلة :

إذا قلتُ يوما سلام عليك
شِفَاً إذ قلتُها مُقْبِلاً
فأعجب لحال اختلافيهما
وهذا سلامٌ وهذا سلامٌ

مولده : عام سبعة أو ثمانية وخمسمائة .

وتوفي في مراکش سحر ليلة الخامس والعشرين من شعبان أحد وثمانين
 وخمسمائة ، ودفن لظهره بجبانة الشيوخ خارج مراکش ، وكان قد عمى
سبعة [عشرة]^(٢) عاما من عمره

[عبد الرحمن بن هانيء اللخمي]

يكنى أبا المطرف ، من أهل فرق من إقليم غرناطة .

حاله

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (انضمت) .

(٢) واردة في الزيتونة ، وساقطة في الإسكوريال .

كان فقيهاً فاضلاً ، وتجوّل في بلاد المشرق . قال أنشدني إمام الجامع^(١)
بالبصرة :

بلاءٌ ليس يشبهه بلاءٌ عداوةٌ غير ذى حَسَبٍ ودين
يُنْيَاكَ منه عِرْضاً لم يَهْنُ ويرتّعُ منك في عِرْضٍ مَصُونٍ^(٢)

[عبد الرحمن بن أحمد بن أحمد بن محمد الأزدي]

من أهل غرناطة ، يكنى أبا جعفر ، ويعرف بابن القصيص .

حاله

كان فقيهاً^(٣) جليلاً ، بارع الأدب ، عارفاً بالوثيقة ، نقّاداً لها ، صاحب رواية وإدراية ، تقلّب ببلاد الاندلس ، وأخذ الناس عنه بمرسية وغيرها . ورحل إلى مدينة فاس ، وإفريقية ، وأخذها ، ووُلى القضاء بتقرش من بلاد الجريد .

مشيخته

روى عن أبيه القاضي أبي الحسن بن أحمد ، وعن عمه أبي مروان ، وعن أبوي الحسن ابن دُرّي ، وابن الباذش ، وأبي الوليد بن رشد ، وأبي إسحق بن رشيق الطليطلي نزيل وادي آش ، وأبي بكر بن العربي ، وأبي الحسن ابن وَكَب ، وأبي محمد عبد الحق بن عطية ، وأبي عبد الله بن أبي الخِصَال ،

(١) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (الصلاة) .

(٢) وردت هذه الترجمة الموجزة في موضعها المتعاد بالزيتونة . وأشار إليها الناسخ بالإسكوريال في هامش اللوحة 244 بقوله (قلت سقط هنا في جملة من اختصرتهم عبد الرحمن بن ماني اللخمي) وأورد البيهقي .

(٣) مكانها كلمات غير مقروءة .

وأبى الحسن يونس بن مغيث . وأبى القاسم بن وَرْد ، وأبى بكر بن مسعود الخُشْنى ، وأبى القاسم بن بَقِي ، وأبى الفضل عِيَاض بن موسى بن عِيَاض ، وغيرهم .

تواليافه

له توالياف وخطب ورسائل ومقامات ، وجمع مناقب مَنْ أدركه من أهل عصره ، واختصر كتاب الجُمُل لابن خاقان الإصبهاني ، وغير ذلك ، وألف برنامجاً يضم رواياته .

من روى عنه

روى عنه ابن الملجوم ، واستوفى خبره

وفاته

ركب البحر قاصدا الحج ، فتوفي شهيداً في البحر ، قتله الروم بمرسى تونس مع جماعة من المسلمين ، صبح يوم الأحد ، في العشر الوسط من شهر ربيع الآخر سنة ست وسبعين وخمسمائة^(١) .

عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد الأنصاري

يكنى أبا بكر ، ويعرف بابن الفصّال .

حاله

هذا الرجل فاضل عريق في العدالة . ذكي ، نبيل . مُختصر الجِرم ، شعلة من شُعَل الإدراك ، مليح المحاوراة ، عظيم الكفاية . طالب مُتقِن .
(١) وردت هذه الترجمة في هامش اللوحة 244 من مخطوط الإسكوريال ولم ترد في الزيتونة .

قرأ على مشيخة بلده ، واختص منهم بمولى النعمة على أبناء جنسه ، أنى سعيد ابن لب ، واستظهر من حفظه كتباً كثيرة ، منها كتاب التفريع فى الفروع ، وارتسم فى العُدول ، وتعاطى لهذا العهد الأدب ، فبرز فى فنّه .

أدبه

مما جمع فيه بين نظمه ونشره ، قوله يخاطب الكتاب ، ويُشعر ببراعته
الآلِباب :

لعل نسيم الريح يسرى عليه فأهدى صحيح الوذ طى سقيم
لتحملها عنى وأركى تمحيه لقينته كهف مسانيع ورقسيم
ويذكر ما بين الجوانح من جوى وشوق إليهم مقعد ومقيم^(١)

يا كُتّاب المحلّ السامى ، والإمام المُتسامى ، وواكف الأدب البسامى ، أناشدكم بانتظامى فى محبتكم وارتسامى ، وأقسم بحقكم علىّ وحبّاً إقسامى ، ألا ما أمددتم بأذهانكم الثاقبة ، وأسعدتم بأفكاركم النيرة الواقعة ، على إخراج هذا المُسمّى ، وشرح ما أبهمه المُعمّى^(٢) ، فلعمرى لقد أحرّق مزاجى ، وفرّق امتزاجى ، وأظلم به وهاجى ، وغطّى على مرآة ابتهاجى ، فأعينونى بقوة ما استطعتم ، وأقطعونى من مددكم ما قُطعتُم ، وآتونى بذلك كله إعانةً وسداً . وإلاّ فيها هو بين يديكم ، ففكّوا غلقه ، واسرّدوا خلقه ، واجمعوا مُضغّه المتباينة وعلقه ، حتى يستقيم جسداً قائماً بذاته ، متصفاً بصفاته المذكورة ولذاته ، قايلًا بتسلّيه أسلوباً مُصححاً كان أو مقلوباً . وإن تأبى عليكم وتمنّع ، وأدركه الحياء [فتستّر]^(٢) وتقنّع ، وضرب على آذان

(١) هذا البيت وارد فى الإسكوريال وساقط فى الزيتونة .

(٢) زائدة فى الزيتونة .

الشُّهَداءُ ، وربط على قلوبهم من الإرشاد له والاهتداء : فابْعَثُوا أَحَدَكُمْ إِلَى
المدينة لِيَسْأَلَ عَنْهُ خَدِينَهُ :

أُحَاجِي ذَوِي الْعِلْمِ وَالْحِلْمِ مِنْ	تَرَى شُعْلَةَ الْفَهْمِ مِنْ زَنْدِهِ
عَنْ اسْمٍ هُوَ الْمَوْتُ مَهْمَا دَنَا	وَلِنْ بَاتَ يُبَيِّكُنِي عَلَى فَقْدِهِ
لَذِيذٌ وَلَيْسَ بِذِي طَعْمٍ	وَيُؤْمَرُ بِالْغُسْلِ مِنْ بَعْدِهِ
وَأَطِيبُ مَا يَجْتَنِيهِ الْفَتَى	لَدَى رَبَّةِ الْحَسَنِ أَوْ عَبْدِهِ
مُضْجِعُهُ عَشْرُ الثَّلَاثِ فِي حِسَابِ	الْمُضْجِعِ مَنْ خَدَّهُ
وَإِنْ شِيتَ قُلُوبَ مَطْعَمٍ ذَمُّهُ	الرَّسُولُ وَحُضْرٌ عَلَى بُعْدِهِ
وَقَدْ جَاءَ فِي الذِّكْرِ إِخْرَاجُهُ	لِقَوْمِ نَبِيِّ عَلَى عَهْدِهِ
وَتَصْحِيفٌ ضِدُّ لَهُ آخِرُ	يُبَارِكُ لِلنَّحْلِ فِي شَهْدِهِ
وَتَصْحِيفٌ مَقْلُوبُهُ رَبُّهُ	تَرَدَّدَ مِنْ قَبْلِ فِي رَدِّهِ
فَهَاكُمْ مَعَانِيهِ قَدْ بَدَتْ	كَنَارُ الْكَرِيمِ عَلَى نَجْدِهِ

وَكُتِبَ لِلْوَلَدِ أَسْعَدُهُ اللَّهُ ، يَتَوَسَّلُ إِلَيْهِ ، وَيُرْوَمُ قَضَاءُ حَاجَتِهِ :

أَيُّهَا السَّيِّدُ الْعَزِيزُ تَصَدَّقْ	فِي الْمَقَامِ الْعَلِيِّ بِالْوَسِيلَةِ
عِنْدَ رَبِّ الْوَزَارَتَيْنِ أَطَالَ اللَّهُ	أَيَّامَهُ حَسَانًا جَمِيسَةً
عَلَيْهِ أَنْ يَجِيرَنِي مِنْ زَمَانٍ	مَسْنَى الضَّرِّ مِنْ خُطَاهِ الثَّقِيلَةِ
وَاسْتَطَالَتْ عَلَيَّ بِالنَّهْبِ جَوْرًا	مِنْ يَدِيهِ الْخَفِيفَةِ الْمُسْتَطِيلَةِ
لَمْ تَدْعُ لِي بِضَاعَةَ غَيْرِ مُزْجَاةٍ	وَنَزَرَ أَهْمُونَ بِهِ مِنْ قَلِيلِهِ
وَإِذَا مَا وَفَّى لِي الْكَئِيلُ يَوْمًا	حَشَفًا مَا يُكِيلُهُ سُوءُ كَيْلِهِ
فَشَفَى بِي غَلِيلَهُ لَا شَفَى بِي	دُونَ ابْنَائِهِ الْجَمِيعِ غَلِيلِهِ
مِنْ لِهَذَا الزَّمَانِ مُذْ نَالَ مِنِّْي	لَيْسَ لِي بِالزَّمَانِ وَاللَّهُ حِيلَهُ
غَيْرَ أَنْ يَشْفَعَ الْوَزِيرُ وَيَدْعَى	عَبْدَهُ أَوْ خَدِيْعَهُ أَوْ خَلِيلَهُ

دُمْتَ يَا بَنَ الرَّزِيرِ فِي عِزِّكَ السَّامِي وَدَامَتْ بِهِ اللَّيَالِي ^(١) كَفِيلَةَ

سَيِّدِي الَّذِي بَعَزَةً جَاهَهُ أَصُول ^(١) ، وَبِتَوْسُلِي بِعَنَائِيَّتِهِ أَبْلُغُ الْمَأْمُولِ وَالسُّوْلَ ،
وَأُرُوْمَ لِمَا أَنَا أَحُوْمُ عَلَيْهِ الْوُصُولَ ، بِبِرْكَةِ الْمَشْفُوعِ إِلَيْهِ وَالرَّسُولِ ،
الْمَرْغُوبِ مِنْ مَجْدِكَ السَّامِي الصَّرِيحِ ، وَالْمُؤْمَلِ مِنْ ذَلِكَ الْوَجْهِ السَّنِيِّ
الصَّبِيحِ ، أَنْ تَقُومَ بَيْنَ يَدَيِ نَجْوَى الشَّفَاعَةِ ، هَذِهِ الرُّقَاعَةُ ، وَتُعَيِّنَ
بِذَاتِكَ الْفَاضِلَةَ النَّفَّاعَةَ ، مِنْ لِسَانِكَ مِصْقَاعَةَ ، حَتَّى يَنْجَلِيَ حَالِي عَنْ بَلَجٍ ،
وَأَتَنْسَمَ مِنْ مَهَبَّاتِ الْقَبُولِ طَيْبِ الْأَرْجِ ، وَتَتَطَّلَعَ مُسْتَبَشِّرَاتِ فَرْحَتِي مِنْ
ثَنِّيَّاتِ الْفَرَجِ ، فَإِنْ سَيِّدَ الْجَمَاعَةِ الْأَعْلَى ، وَمَلَاذَ هَذِهِ الْبَسِيطَةِ وَفَحْظَهَا
الْأَجْلَى ، فَسَحَّ اللَّهُ تَعَالَى فِي مِيدَانِ هَذَا الْوُجُودِ بِوُجُودِهِ ، وَأَضْفَى عَلَى هَذَا
الْقُطْرِ مَلَابِسَ السُّتْرِ بِرَأْيِهِ السَّيِّدِ وَسُعُودِهِ ، وَبَدَّغَهُ فِي جَمِيعِكُمْ غَايَةَ أَمَلِهِ
وَمَقْصُودِهِ ، قَلَمًا تَضْمِيْعٍ عِنْدَهُ شَفَاعَةُ الْأَكْبَرِ مِنْ وَلَدِهِ ، أَوْ يَخِيبُ لَدَيْهِ مِنْ
تَوْسُلٍ إِلَيْهِ بِأَزْكَى قِطْعٍ كَبِدِهِ ، وَبِيَحَقِّكَ أَلَا مَا أَمَرْتَ هَذِهِ الرُّقْعَةَ بِالْمَثُولِ
بَيْنَ يَدَيِ ذَلِكَ الزَّكِيِّ الذَّاتِ الطَّاهِرِ الْبُقْعَةِ ، وَقَلَّ لَهَا قَبْلَ الْحُلُولِ بَيْنَ
يَدَيِ هَذَا الْمَوْلَى الْكَرِيمِ ، وَالْمَوْئِلِ الرَّحِيمِ ، بِعَظِيمِ التَّوْقِيرِ وَالتَّعْجِيلِ ،
وَاعْلَمْ يَا أَيْنَهَا السَّائِلِ ، أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ هُوَ الْمُؤْمَلُ ، بَعْدَ اللَّهِ تَعَالَى فِي هَذَا
الْعَجَلِ ، وَالْحُجَّةِ الْبَالِغَةِ فِي تَبْلِيغِ رَاجِيهِ أَقْصَى مَا يُؤْمَلُونَهُ بِالتَّعْجِيلِ ،
وِخَاتِمَةِ كَلَامِ الْبَلَاغَةِ ، وَتِمَامِ الْفَصَاحَةِ ، الْمَوْقِفِ عَلَيْهِ ذَلِكَ كُلَّهُ بِالتَّسْجِيلِ ،
وَعُورَةِ صَفْحِ دِينِ الْإِسْلَامِ الْمُؤَيَّدَةِ بِالتَّعْجِيلِ . وَهَذَا هُوَ مَدُبَّرُ فَلَكَ الْخِلَافَةُ
الْعَالِيَةِ بِإِيَالَتِهِ . وَحَافِظُ بَذْرِ سَمَائِمِهَا السَّامِيَةِ بِهَالَتِهِ ، فَقَرِّى بِالْمَثُولِ بَيْنَ
يَدَيْهِ عَيْنًا . وَلِتَقْدِ قُضِيَّتُ عَلَى الْأَيَّامِ بِذَلِكَ دَيْنًا ، وَإِذَا قِيلَ مَا وَسِيلَةُ

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الطول) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الطول) .

مُؤمِّلِكَ ، وحاجة مُتوسِّلِكَ ، فوسيلته تشيعه في أهل ذلك المعنى ، وحاجته يتكفَّل بها مجدكم الصميم ويُعفى ، وليست تكون بخرمة جاهكم من العَرَض الأدنى ، وتَمَنَّ فَإِنَّ لِلْإِنْسَانِ هنالك ما تَمَنَّى ، وتوَلَّى تكليف مرسل بحسب ما وسِعكم ، وأنتم الأعلون ، والله معكم . ثم اثن العِنان ، والله المستعان ، وأعيدى السلام ، ثم عودى بسلام .

وخاطب قاضي الحضرة ، وقد أنكر عليه لباس ثوب أَصْفَر :
 أَبْقَى الله المثابة العلية ، ومثلها أعلى ، وقَدَحُها في المَعْلُوات المَعْلَى ،
 ما لها أَمَرَتْ ، لا زالت بركاتها تَنُثَال ، ولأَمْرٍ ما يجب الامتثال ، بتَغْيِير
 ثوبِ الفاقع اللون ، وإحالته عن مُعتاده في الكُون ، وإلحاقه بالأسود الجُون
 أَصْبَغُه جَداداً ، وأَيام سِيدى أَيام سُرور ، وبنو الزمان يَعدُّله ضاحكٌ
 ومَسْرور ، ما هَكَذا شِيَمَةُ البُرُور ، بل لو استطعنا أَنْ نَزْهو له كالميلاد ،
 ونَتَزيا في أَيامه بَزَى الأعياد ، ونَرُفُل من المشروع في مُخْبِر ومَوْزُوس ،
 ونَتَجَلَّى في حُلُل العَرُوس ، حتى تَقَرَّ عَيْنُ سِيدى بكتيبة دِفَاعه ، وقيمة^(١)
 نوافله وإشْفاعه ، ففى عِلْم سِيدى الذى به الاهتداء ، وبفضله^(٢) الاقتداء ،
 تفضيل الأَصْفَر الفاقع ، حيثما وَقَعَ من المواقع ، فهو مهما حَضَرَ نزهة
 الحاضرين ، وكفاه فاقعٌ لونها تسرُّ الناظرين . ولقد اغتَمَّ جبريل عليه
 السلام ، وبه تَطَرَّز المُخبرات والأعلام ، وإنه لَزِيَّ الطُّرفاء ، وشارة أهل
 الرِّفَاء ، اللهم إلا إن كان سِيدى ، دام له^(١) البقاء ، وساعده الارتقاء ،
 يُنْهى أهل التَّبَرِيز ، عن مقاربة لون الذهب الإبريز ، خيفة أن تَمِيل
 له منهم ضريبة . فيزُنُوا بريبة ، فَنَعْم إذا وَنُعْمى عين . وسمعا وطاعة
 لهذا الأمر الهين اللين ، أَتَبْعُكَ لا زيدا وعمراً . ولا أعصى لك أمراً ، ثم

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (قيم) .

(٢) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (بيلمه) مرة أخرى والأول أرجح .

(٣) هكذا في الإسكوريال ، وفي الزيتونة (أدام الله له) .

لا ألبس بعدها إلا طمراً ، وأنجرد لطاعتك تجريداً ، وأسلك إليك فقيراً
ومزيداً ، ولا أتعرض للسُّخْط بلبس شَفِيف ، استنشق هَبَاه ، وألبس
عَبَاه ، وأبرأ من لباس زِي يُنشئ عِتَابَا ، يلقي على لسانٍ مثل هذا كِتَابَا ،
وأُتُوب منه مَتَابَا ، ولولا أُنَى اللَّيْلَةِ صِفَر اليدين ، ومُعْتَقَل الدِّين ، لَبَاكَرْتُ
به من حَانُوت صَبَاغِ رَأْسِ خَابِيَةٍ ، وقَاعِ مَظْلَمَةِ جَابِيَةٍ ، فَأَصِيرُهُ حَالِكَا ،
ولا ألبسه حتى استَفْتَى فيه مَالِكَا ، ولَعَلِّي أَجِدُ فَأَرْضِي سِيدِي بِالتَّزْيِي بِشَارْتِهِ ،
والعَمَلِ بِمَقْتَضَى إِشَارْتِهِ ، وَاللَّهِ تَعَالَى يُبْقِيهِ لِلْحَسَنَاتِ ، يُنَبِّهَ عَلَيْهَا ، وَيُؤْمِرَ
بِعَمَلِهِ ^(١) وَحَظَّهُ إِلَيْهَا ، وَالسَّلَام .

وخاطبني وقد قديم في شهادة المواريث بحضرة غرناطة :

يا منتهى الغايات دامت لنا غايتك القُصُوى بلا قُوت
طلبتُ إحيائي بكم فانتهي من قبله حالي إلى الموت
وحقُّ ذلك الجاهِ جاء العُلا لا مِتُّ إلا أن أُنَى وقت

مولاي الذي أتأذى ^(٢) من جَوْرِ الزمان بذيَمَامِ جلاله ، وأتعوذ من نَقْصِ
شهادة المواريث بتمام كماله ، شهادةً يَأْبَاهَا الْمُعْسِرُ وَالْحَيُّ ، وَيُودُّ أَنْ لَا يُوَافِيَهُ
أَجَلُهُ عَلَيْهَا الْحَيُّ ، مُنَاقِضَةً لِمَا الْعَبْدُ بِسَبِيلِهِ ، غَيْرُ مُرْبِحٍ قَطْمِيرُهَا مِنْ
قَلِيلِهِ ، فَإِنْ ظَهَرَ لِمَوْلَايَ إِعْفَاءُ عَبْدِهِ ، فَمِنْ عِنْدِهِ . وَاللَّهُ تَعَالَى يُمَتِّعُ الْجَمِيعَ
بِدَوَامِ سَعْدِهِ ، وَالسَّلَامُ الْكَرِيمُ ، يَخْتَصُّ بِالظَّاهِرِ مِنْ ذَاتِهِ وَمَجْدِهِ ، وَرَحْمَةِ
اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ ، مِنْ عَبْدٍ لِإِنْعَامِكُمْ ابْنِ الْفَصَّالِ لُطْفِ اللَّهِ بِهِ :

قد كنت أسترزق الأحياء مارزقوا شيئا ولا وفؤني بعض أقوات
فكيف حالي لما أن شكوتهم رجعت أطلب قوتي عند أموات
والسلام يعود على جناب مولاي ورحمة الله وبركاته :

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (بعلبه) .

(٢) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (اتلذذ) والاولى أرجح .

وخطب أحد أصحابه ، وقد استخفى لأمر قُرف به ، برسالة افتتحها
بأبيات على حرف الصاد ، أجابه المذكور عن ذلك بما نصّه ، وفيه إشارة
لغلط وقع في الإعراب :

يا شُعْلَةً من ذكاءٍ أرسلت شررا إلى قريبٍ من الأرجاء بعد قص
وشبهةً حملت دعوى السّفاح علي فحلّ يليق به مضمونها وخص
رحمك في فلقد جرّعتني غصصا أثار تعريضها المكتوم من غص
بليتنى بنكاة القرّح في كبدي كمثّل مرتجف المجنوم بالبرص

أيها الأخ الذي رقى ومسح ، ثم فصّح ، وغشّ ونصح ، ومزّق ثم
نصح ، وتلاعب بأطراف الكلام المشقّق فما أفصح ، ما لسحاتك ذات
الجيد المنصوص ، توهم سِمة الودّ المرصوص ، ثم تعدل إلى التأويلات
عن النصّوص ، وتؤنس على العموم ، وتوحش على الخصوص ، لا درّ
دره من باب برّضاع مفتاحه ، وتأنيس حرّ سبق بالسجن استفتاحه ، ومن
الذي أنهى إلى أخى خبر ثقافى ، ووثيقة تحببسى وإيقافى ، وقد أبى ذلك
سعدُ فرعُه باسق ، وعزّ عقده متناسق . ويا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق
[بنبيأ] ^(١) ، بل المشوى والحمد لله جنّات وغُرف ، والمُنتهى مجد وشرف ،
فإن كان وليّ مكترثاً فيحق له السرور ، أو شامِتاً ، فلى الظّل وله الحرور .
أنا لا أزنّ والحمد لله بها من هناءه ، ولما أدين بها من عزّى ومُناه ، ولا تمرّلى
ببال فلست بذى سيف . ولست بنكال نفسى أرقّ شيمة . وأكرم مَشيمة ،
وعينى أغرّز ديمة ، لو كان يُسئل لسان عن إنسان . أر مجاولته بمالعه
خِوان ، أوقفنى إخوان لا بمأزق عُدوان . لارتسمت منه بدبوان . لا يُغنى

(١) هذه الكلمة واردّة في الزيتونة . وساقطة في الإسكوريان .

في حربٍ عَوَانٍ . عين هذا النشكَلِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ فَرَارِهِ . وعنوان هذا الحدِّ غرارِهِ . وأما كَوْنِي من جَسَدِ الصُّفْرَةِ . ومِن أَجْهَازِ سَيِّدِي الْفَقَارِ عَلَى ذِي الْفَقْرَةِ . فَأَقْسَمُ لَوْ ضُرِبَ الْقَتِيلُ بِبَعْضِ الْبَقَرَةِ . لِتَعَيِّنِ مَقْدَارَ تِلْكَ الْغَفْمَةِ . اللَّهُمَّ لَوْ كُنْتُ مِثْلَ سَيِّدِي مِمَّنْ تَتَضَاعَلُ النَّخْلَةُ السَّحُوقُ لِقَامَتِهِ ، وَيَعْتَرِفُ^(١) عَوْجٌ لَدَيْهِ بِتَمَامَتِهِ وَدِمَامَتِهِ . مُقْبِلُ الظُّعْنِ كَالْبُدُورِ فِي سَحَابِ الْخُدُورِ ، وَخَلِيفَةُ السَّيِّدِ الَّذِي بَلَغَتْ سِرَاوِيلُهُ تَنْدُوءَ الْعَدُوِّ الْأَيِّدِ ، لَطُلْتُ بِبَاعٍ مَدِيدٍ ، وَسَاعِدَتِي الْخَلْقُ بِسَاعِدٍ شَدِيدٍ . وَأَنَا لِي جِسْمٌ شَحْتٌ ، يَحْفُ بِهِ بَخْتٌ ، وَحَسْبُ مِثْلِي أَنْ يَعْلَمَ فِي مِيدَانِ هَوَى ، تُسَلُّ فِيهِ سَيُوفُ اللَّحَاطِ عَلَى ذَوَى الْحِفَاطِ ، وَتَشْرَعَ سَيُوفُ الْقُدُودِ . إِلَى شَكَاةِ الصُّدُودِ^(٢) ، وَتَسْطُو أُولُو الْجُفُونِ السُّودَ بِالْأَسُودِ ، فَكَيْفَ أَخْشَى تَبِيعَةً تَزِلُّ عَنْ صِفَاتِي ، وَتَنَاقِي صِفَاتِي ، وَلَا تَطْمَعُ أَسْبَابُهَا فِي التَّنْفَاتِي ، وَلَا تَسْتَعْمَلُ فِي حَرْبِهَا قَنَا أَلْفَاتِي . وَاللَّهُ يَشْكُرُ سَيِّدِي عَلَى اِهْتِبَالِهِ . وَيَحِلُّ كَرِيمَ سِبَالِهِ ، عَلَى مَا ظَهَرَ لِأَجْلِي مِنْ شَغَفٍ بِأَلِهِ ، إِذْ رَفَعَ مَا يُتَصَبَّبُ ، وَغَيَّرَ مَا لَوْ غَيَّرَهُ الْحِجَاجُ ، لَكَانَ مَعَ الْهَيْبَةِ يُحَصَّبُ^(٣) ، وَنَكَّتْ بِأَنْ نَفَقَتْ بِالْحِظْ سَوَقِي . وَظَهَرَ لِأَجْلِهِ فُسُوقِي^(٤) وَيَا حَبْدًا هُوَ مِنْ شَفِيعٍ رَفِيعٍ ، وَوَسِيلَةٍ لَا يَخَالِفُهَا الرَّغْيُ ، وَلَا يَخِيبُهَا السَّمَى . وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَمَائِلِ .

لِلَّهِ بِالْإِنْسَانِ فِي تَعْلِيمِهِ بِوَسَاطَةِ الْقَلَمِ الْكَرِيمِ عَنَايَةَ
فَالْخَطُّ خَطٌّ وَالْكِتَابَةُ لَمْ تَزَلْ فِي الدَّهْرِ عَنْ مَعْنَى الْكَمَالِ كِنَايَةَ

وَمَا أَقْرَبُ يَا سَيِّدِي هَذِهِ الدَّعْوَى لَشَهَادَتِكَ . وَكِبَرِ هَامَتِكَ :

(١) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الرِّبَوْتَةِ . وَفِي الْإِسْكَوْرِيَالِ (يَغْتَرَفُ) وَالْأَوَّلُ أَرْجَحُ .

(٢) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْإِسْكَوْرِيَالِ . وَفِي الرِّبَوْتَةِ (الصُّعُودُ) .

(٣) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْإِسْكَوْرِيَالِ . وَفِي الرِّبَوْتَةِ (يَصْبُ) وَهُوَ نَحْرِي .

(٤) هَكَذَا فِي الرِّبَوْتَةِ . وَفِي الْإِسْكَوْرِيَالِ (يَسُوقُ) .

لو كنت حاضرهم بخندق بلج ولحمل ما قد أبرموه فصال
 لخصصت بالدعوى التي عموها ولقيل^(١) فصل جلاه الفصال
 وتركت فرعون بن موسى عبرة تتقدمته بسيفه الأوصال

فاحمد الله الذي نجاك من حضور وليمتها ، ولم تشهد يوم حليمتها .
 وأما اعتذارك عما يقل من تنقذ الكنز ، ومُنْتَطَح العنز ، فورع في سیدی
 أتم من أن يُتَّهم بخيبة ، ولسانه أعف من أن يُنسب إلى ريبة ، لما اتصل به
 من فضل ضريبة ، ومقاصد في الخير غريبة ، إنما يستخف سیدی أفرط
 التهم ، رمى العوامل بالتهم ، فيجری أصح مجرى أختها ، ويلبسها ثياب
 تحتها ، بحيث لا إثم يترتب ، ولا هو ممن تعتبه ، وعلى الرجال فجنايته
 عذبة الجنا ، ومقاصده مستطرفة^(٢) لفصح أو كنى . أبقاه الله رب نفاضة
 وجرادة ، ولا أخلى مبرده القاطع من برادة ، وعوده الخير عادة ، ولا أعده
 بركة وسعادة ، بفضل الله . والسلام عليه من وليه المستزيد من ورش^(٣)
 وليه ، لا بل من قلايد حليه . محمد بن فركون القرشي . ورحمة الله وبركاته

فراجع المترجم بما نصه ، وقد اتهم أن ذلك من إملاي :

يا مُلِّيس النصيح ثوب الغش مُتَّهما يلوى النصيحة عنه غير مُنتَكص
 وجاهلا باتخاذ الهزل مأدبة أشد ما يُتَوَقى محمل الرخص
 نصحته فقمصاني فانقلبتي إلى حال يُغص بها من جملة الغصص
 بالأمس أنكرت آيات القصاص له واليوم يُسمع فيه سورة القصص
 ممن استعرت يا بابلي هذا السحر . ولم تسكن بناصية السحر . ولا

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (ولقلت) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (مستطرفة) .

(٣) وردت في الإسكوريال (ورش) . وفي الزيتونة (ورش) .

يحمل معنى مناسباً .

أعملت إلى بابل هاروت امتطاء ظهر ، ومن أين جيت بقلايد ذلك النحر ،
 أمّن البحر ، أو مما وراء الشهر . ما لمثل هذه الأريحية الفاتقة ، استنشقتنا
 مهيبك ، ولا قبل هذه البارقة الفايقة ، استكثرتنا غيك . يا أيها الساحر ادع
 لنا ربك . أأضغات أحلام ما تريبه الأقلام ، أم في لحظة تلد الأيام ،
 فرايد الأعلام . لقد عهدت بربعك مُحسن دُعابة ، ما فرعت شعبه ، أو
 مُصيباً في صُبابه ، ما قرعتُ بابَه ، ولا استرجعت قبل أن أعبر عُبابه .
 اللهم إلا أن تكون تلك الآيات البيّنات ، من بنات يراعتك ، لا براعتك
 ومُغتَرِسُ تلك الزهر ، الطالعة كالكوكب الزهر ، مختلس يد استطاعتك ،
 لا زراعتك ، وإلا فنطرح مصايد التعليم والإنشاء ، وننتظر معنى قوله
 عز وجل ، يؤتي الحكمة من يشاء ، أو نتوسّل في مقام الإلحاح والإلحاف .
 أن ننقل من غايلة الحسد إلى الإنصاف ، وحسبي أن أطلعت بالحديقة
 الأنيقة ، ووقفت من مثلي تلك الطريقة على حقيقة ، فألفيت بها بيانا
 قد وضح تبياناً أو أطلق عنانا ، ومحاسن وجدت إحسانا ، فتمثلت إنسانا ،
 سرح لسانا ، وأجهد بنانا ، إلا أن صادح أيكتها يتحمل في قيظ ، ويكاد
 يتميز من الغيظ ، فيفيض ويغيض ، ويهيض وينهض ، ثم يهيض ، ويأخذ
 في طويل وعريض ، بتسبيب وتعريض ، ويتناهض في ذلك بغير مهيض ،
 وفاتن كمايمها^(١) تسل عن الصادح ، ويتلقف عصا استعجاله ما يُفكّه
 المادح ، ويحرق بناره زناد القادح ، ويتعاطى من نفسه بالإعجاب ، ويكاد
 ينادى من وراء حجاب ، إن هذا لشيء عجاب . إليه بغير تمويه ، رجع
 الحديث الأول ، إلى [ما عليه المعول]^(٢) ، لا در درها من نصيحة غير

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي الزيتونة (كأينها) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في الزيتونة كالآتي (ما إليه أمل)

صحيفة ، ووصية مودة صريحة ، تعلقت بغير ذى قريحة ، فهي استعجلتني
 بداهية كاتب ، واستطالة ظالم عاتب [قد سلَّ مُرَّهفه واستنجد مُتَرَفه] ^(١) ،
 وجهزها نحو كتيبته تُسفر عن تحجيل ، بغير تبجيل [وسحابة سيجل ترمى
 بسجيل] ^(٢) ما كان إلا أن استقلت ، ورمتني بدائها وانسلت ، وألقت
 ما فيها وتخلت ، فحسني الله ، تغلب على فهمي ، ورُميت بسهمي ، وقُتلت
 بسلاحي ، وأشكرت براحي ، بُريت برُيت ، مما به دُهيت ، أنت أبقاك الله
 لم تلن ^(٣) بها منى منالاً وعزاً ، فكيف بها تنسب إلى بُعدك وتُعزا ، نفسي
 التي هي أرق وأجدر بالمعالى وأحق ، وشكلى أخف على القلوب وأدق ،
 وشمايلي أملك فلا تُسرق ، ولساني هو الذى يُسئل فلا يُفل ، وقدرى
 يُعزّه ويُجل ، عما فخرت أنت به من ملعب مايدة ، ومجال رقاب مُمائدة ،
 فحاشى سيدى أن يقع منه بذلك مفخر ، إلا أن يكون يلهو ويسخر ، وموج بخره
 بالطيب والخبيث ^(٤) تزخر ، وعينُ شكلى هي بحمد الله ، عينُ الظرف ^(٥)
 المُشار إليه بالبنان والظرف . وأما تعريض سيدى بصغر القامة ، وتكبيره
 لغير إقامة ، فمُطرد قول ، ومُدامة غول ، وفريضة ^(٦) نشأ فيها غول ،
 إذ لا مبالاة تجسم كائنا ما كان ، أو ما سمعت أن السر في السكان ، وإنما
 الجسد للروح مكان [ولم يبق إليه فقد يروح] ^(٧) ، وقد قال ، ويسئلونك

(١) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في الزيتونة كالآتي (قد فل
 مذهبه واستنجد مضربه) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في الزيتونة كالآتي (وسحابة
 بسجيل ترمى بتسجيل) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (تدر) .

(٤) هذه الكلمة واردة في الإسكوريال وساقطة في الزيتونة .

(٥) واردة في الإسكوريال وساقطة في الزيتونة .

(٦) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (فراضة) .

(٧) هكذا وردت هذه العبارة في الزيتونة ، وفي الإسكوريال (ولم ين اليه بعد سروح) .

عن الروح ، والمرء بقلبه ولسانه ، لا بمُسْتَظْهَرِ عِيَانِهِ ، والله درُّ القايِلِ :

لم يُرَضِّنِي أَنِّي بِجِسْمِ هَائِلٍ والروح ما وَفَّتْ لَهُ أَغْرَاضُهُ

ولقد رَضِيتُ بِأَنَّ جِسْمِي نَاحِلٌ والروح سابغة به فِضْفَاضَةٌ

ولما وَقَعَ سَيِّدِي بِمَكْتَوْنِي عَلَى الْمَرْفُوعِ وَالْمَنْصُوبِ ، وَظَفِرَتْ يَدُهُ بِالْمَغْصُوبِ ،
وَالْبَاحِثِ الْمَغْصُوبِ ، لَمْ يُقْلِحْهَا ^(١) زَلَّةٌ عَالِمٌ . وَإِنِّي وَقَدْ وَجَدْتُهَا مُنِيَّةً حَالِمٌ ،
فَعَدَّدَ وَأَعَادَ ، وَشَدَّدَ وَأَشَادَ ، هَلَّا عَقِيلٌ مَا قَالُ ، وَعَلِمَ أَنَّ الْمَقِيلَ سَيَكُونُ مَقَالٌ ،
[وَزَلَّةُ الْعَالَمِ لَا تُقَالُ] ^(٢) وَأَنَّ الْحَرْبَ سَجَالٌ . وَقَبِيضَةٌ غَيْرُهُ هُوَ الْمُتَلَاعِبُ
فِي الْحِجَالِ ^(٣) ، وَبِالْجُمْلَةِ فَلَكَ الْفَضْلُ يَا سَيِّدِي ، مَا اعْتُنَى بِمَعْنَاكَ ، وَارْتَفَعَ بَيْنَ
مَغَانِي الْكِرَامِ مَعْنَاكَ ، فَمَدَّةُ رُكُوبِكَ الْحُمْرَانِ ^(٤) لَا تُجَارَى ، وَلَا يَشْقُ أَحَدُكَ
غُبَارًا . أَبْقَاكَ اللَّهُ تَحْفَظُ عُرَى هَذَا الْوِدَادِ ، وَيَشْمَلُ الْجَمِيعَ بَرَكَةٌ ذَلِكَ
النَّادِ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ مِنْ ابْنِ الْفَضَّالِ ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

وَجَعَلَا إِلَى التَّحْكِيمِ ، وَفَوْضَا لِنَظَرِي التَّفْضِيلِ فَكَتَبْتُ :

وَأَذْكُرُ مَا أَتَى فِي سُورَةِ الْقَصَصِ	بَارِكْ عَلَيْهَا بِذِكْرِ اللَّهِ مِنْ قَصَصِ
وَقَدْ أَحَالَ بَيْنَ حَالِ كَيْدِهِ وَعَهِصِ	حَيْثُ اغْتَدَى السَّحَرُ يَلْهُو بِالْعُقُولِ
مِنْ كَافِلِ الصُّونِ بَعْدَ الْكُونِ جَحْرُوصِ	عَقَائِلِ الْعَقْلِ وَالسَّحَرِ الْحَلَالِ قُوتِ
بِسِحْرِ مَنْ فَلَّكَ النُّذُورُ فِي حِصَصِ	وَأَقْبَلَتْ تَتَهَادَى كَالْبُدُورِ إِذَا
الْمِثْلُ غَيْرُ مَطِيعٍ وَالْمِثْلَانِ عَصِ	مِنْ لِلْبُدُورِ وَرَبَّاتِ الْخُدُورِ بِهَا
قَيَسَتْ بَيْنَ سَوَى مِنْ جُمْلَةِ الْقُرُصِ	مَا قُرْصَةُ الْبَدْرِ وَالشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ أَنْ

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (يلقها) .

(٢) هذه العبارة وأردت في الزيتونة وساقطة في الإسكوريال .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (المجال) .

(٤) هكذا وردت في المخطوطين .

تالله ما حُكِّمَهَا يوماً بِمُنْتَقَضٍ كلاً ولا بدرها يوماً بِمُنْتَقَضٍ
 إن قال حُكِّمِي فِيهَا بالسَّوَادِ فَقَدْ أَمِنْتُ مَا يَحْذَرُ الْقَاضِي مِنَ الْغُصَصِ
 أَوْ كُنْتُ أَرْخَصْتُ فِي التَّرْجِيحِ ^(١) مَجْتَهِداً لَمْ يَقْبَلِ الْوَرَعَ الْفُتْيَا مَعَ الرَّخَصِ
 يَا مُذَلِّجَ لَيْلِ التَّرْجِيحِ قِفْ ، فَقَدْ خَفِيتِ الْكَوَاكِبَ ، وَيَا قَاضِي طَرْفِ
 التَّحْسِينِ وَالتَّقْبِيحِ ، تَسَامَتْ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَنَاقِبَ ، وَيَا مُسْتَوْكِفَ خَيْرِ
 الْوَقِيعَةِ مِنْ وَرَاءِ أَقْتَامِ الْقِيعَةِ ^(٢) ، تَصَالَحْتَ الْمَوَاقِبَ . حَصَّحَ الْحَقُّ
 فَارْتَفَعَ اللَّجَاجُ ، وَتَعَارَضَتْ الْأَدَلَّةُ فَسَقَطَ الْاِخْتِجَاجُ ، وَوَضَعْتَ الْحَرْبَ
 أَوْزَارَهَا فَسَكَنَ الْعَجَاجُ ، وَطَابَ نَحْلُ الْأَقْلَامِ بِأَزْهَارِ الْأَحْلَامِ ، فَطَابَ
 الْمُجَاجُ ، وَقَلَّ لَفْرَعُونَ الْبَيَانَ وَإِنْ تَأَلَّهْ ، وَبَلَدَ الْعُقُولَ وَبَلَّهْ ، وَوَلَّى بِالْفُرُورِ
 وَدَلَّهْ . أَوْسَعَ الْكَنَائِينَ ^(٣) نَثَلًا ، وَدَوْنَكَ أَيْدَا شَثَلًا ، وَشَخْرَا حَثَلًا ، لَا خَطْمًا
 وَلَا أَثَلًا . إِنْ هَذَا لَسَاحِرَانِ إِلَى قَوْلِهِ ، وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمَثَلِي ، وَإِنْ
 أَثَرْتُ أَدَبَ الْحَلِيمِ مَعَ قِصَّةِ الْكَلِيمِ ^(٤) ، فَقُلْ لِمُجْمِلِ جِيَادِ التَّعَالِمِ ،
 وَوَاضِعِ جُغْرَافِيَا الْأَقَالِمِ ، انْدَلُسَا مَا عَلِمْتَ بِلَدِ الْأَجَمِ ، لَا سُودَ الْعَجَمِ ،
 وَمِنَاحِضِ السَّقُوطِ ، عَلَى شَوْكَ قَتَادِ الْقُوطِ ، وَلَمْ يَذَرِ إِنْ مَحَلَّ ذَاتِ الْعَجَائِبِ
 وَالْأَسْرَارِ ، الَّتِي تُضْرِبُ إِلَيْهَا أَبَاطُ النُّجَابِ فِي غَيْرِ الْإِقْلِيمِ الْأَوَّلِ . وَهَذَا
 الْوَطْنُ بِشَهَادَةِ الْقَلْبِ الْحَوَّلِ . إِنَّمَا هُوَ رَسْمٌ دَارِسٌ . لَيْسَ عَلَيْهِ مِنْ مُعَوَّلٍ .
 فَهَذَا لَكَ يَتَكَلَّمُ الْحَقُّ فَيُفَصِّحُ وَيُعْجَمُ ، وَيُرَدِّ الْمَلَذَّ عَلَى النَفُوسِ الْجَرِيَّةِ ،
 مِنْ مَطَالِعِ الْأَضْوَاءِ ^(٥) فَيَحْدُثُ وَيُلْهِمُ . وَيَجُودُ خَازِنُ الْأَمْدَادِ ، عَلَى

(١) مَكْذَا فِي الْإِسْكَورِيَالِ . وَفِي الزَيْتُونَةِ (التَّحْرِيجِ) .

(٢) مَكْذَا فِي الْإِسْكَورِيَالِ . وَفِي الزَيْتُونَةِ (الْوَقِيعَةِ) مَرَّةً أُخْرَى .

(٣) مَكْذَا فِي الْإِسْكَورِيَالِ . وَفِي الزَيْتُونَةِ (الْكَنَى) .

(٤) مَكْذَا فِي الْإِسْكَورِيَالِ . وَفِي الزَيْتُونَةِ (الْحَكِيمِ) .

(٥) كَذَا فِي الْإِسْكَورِيَالِ . وَفِي الزَيْتُونَةِ (الْأَضْوَالِ) .

المُتَوَسِّلُ بِوَسِيلَةِ الاستعداد ، فيقطع ويُسهِم . وأما إقليمتنا الرابع والخامس ،
بعد أن فكَّافَتِ المناظر والمَلَامِسَ ، وتَنَاصَفَ الليل الدَّامِسَ واليوم الشَّامِسَ ،
باعتدال ربيعي ، ومجرى طبيعي . وذكيٌ بليد ، ومعاش وتوليد ، وطَريف
في البداوة وتَلِيد ، ليس به يرباه ولا هَرَم ، يخدم بها دَرَبٌ مُحْتَرَم ، ويشبُّ
لقرياته حُرَم ، فيفيد روحانياً يتصرف ، ورييساً يتعرَّض ويتعرَّف ،
كلما استنزل صاب^(١) ، وأعمل الانتصاب ، وجَلِب المآرب ، وأذهب
الأوصاب ، وعلم الجواب ، وفهم الصواب . ولو فرضنا هذه المدارك ذوات
أمثال ، أو مَسْبُوقَة بِمِثَال ، لتلقينا منشور القضاء بامثال ، لا كُنَّا نخاف
أن نَمِيلَ بعض الميل ، فنَجْنِي بذلك أبخس الجرى وإرضا الذَّمِيل ، ونَجْرُ
تنازُع الفِهْرَى مع الصُّمِيل . فمن خَيْرٍ مَيِّز ، ومن حَكَمٍ أَرَى به وتُهَكِّم ،
وما سَلَّ سيوف الخوارج في الزمن الدَّارِج ، إلا التَّحْكِيم ، حتى جَهْل^(٢)
الحكيم ، وخلع الخِطَام^(٣) ، ونزع الشُّكِيم ، وأضرَّ بالخلق نافع ،
وذهب الطفل لجراه واليافع ، وذم الذَّمَام ورُدَّ الشَّافِع ، وقَطَر سيف
قَطْرَى بِكُلِّ نجيع طَرَى ، وزار الشَّيْب الأسد المحصور ، وصلت الغزالة
بمسجد الثَّقَفَى وهو محصور ، وانتهت المقاصير والقصور ، إلا أن مُسْتَأهِل
الوظيفة الشرعية ، عند الضرورة يُجبر ، والمُنتَدِب للبرِّ مُحْيٍ عند الله
ويُجبر ، واجعلني^(٤) على خزائن الأرض ، وهو الأَوْضَح والأشهر ، فيها به
يُسْتَظْهَر . وأنا فإن حكمتُ على التَّعْجِيل ، فغير مُشْهِدٍ على نفسي بالتَّسْجِيل ،
إنما هو تَلْفِيْق برضى وتَطْفِيل ، يُعْتَب عليه من تصدُّع بالحق وبمضى إلا أن

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الصاب) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (سجل) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الخصام) .

(٤) هكذا في الإسكوريال ، وفي الزيتونة (وجعلني) .

يُغْضَى ، ورأى فيها المراضاة والاستصْلاح ، وإلا فالسَّلاح والرُّكاب الطَّلَّاح ،
والصلح خير ، وما استُدْفِعَ بمثل التَّسامح ضَيْر . ومن وقف عليه ، واعتَبِر
مالديه ، فليعلم أَنِّي صَدَعْتُ وقطعتُ ، والحقُّ أَطَعْتُ ، وإن أريد إلاَّ
الإصلاح ما استطعتُ ، والسلام .

عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر
ابن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي

من ذرية عثمان أخي كُريب المذكور في نُبهاء ، ثوار الأندلس . وينتسب
سلفُهم إلى وائل بن حُجْر ، وحاله عند القُدوم على رسول الله صلى الله عليه
وسلم معروف .

أُولَيْتُهُ

قد ذكر بعضُ منها . وانتقل سلفه من مدينة إشبيلية عن نباهة وتعيَّن
وشهرة عند الحادثة بها ، أو قبل ذلك ، واستقرَّ بتونس منهم ثالث
المحمدين ، محمد بن الحسن ، وتناسلوا على سِراوة وحِشمة ورسوم حسنة ،
وتصرفَ جدُّ المترجم به للوكها في القيادة

حاله

هذا الرجل الفاضل حسن الخلق ، جم الفضائل^(١) باهر الخُصل ،
رفيع القَدْر ، ظاهر الحياء ، أصيل المجد . وقور المجلس ، خاصي الزِّي ،
عالي الهمة ، عزُوف^(٢) عن الضَّيْم ، صعب المَقادة ، قوى الجأش ، طامحٌ

(١) وردت في الإسكوريال (الفضل) والتصويب من النفع .

(٢) وردت في الإسكوريال (عزوب) وهو تحريف .

لَقَنَّ الرِّياسة ، خَاطِبُ الحَظِّ : مُتَقَدِّمٌ فِي فَنُونِ عَقْلِيَّةٍ وَنَقْلِيَّةٍ ، مُتَعَدِّدُ الْمَزَايَا ، سَدِيدُ البَحْثِ ، كَثِيرُ الحِفْظِ . صَحِيحُ التَّصَوُّرِ ، بَارِعُ المَخْطِ ، مُقَرَّرٌ بِالتَّجَلَّةِ ، جَوَادُ الكُفِّ ، حَسَنُ العِشْرَةِ ، مَبْدُولٌ^(١) المِشَارِكَةِ ، مُقِيمٌ لِرُسُومِ التَّعْيِينِ ، عَاكِفٌ عَلَى رَعْيِ نِجَالِ^(٢) الْأَصَالَةِ ، مَفْخَرَةٌ مِنْ مَفَاخِرِ التُّخُومِ المَغْرِبِيَّةِ .

مَشِيخَتُهُ

قَرَأَ القُرْآنَ بِبِلَدِهِ عَلَى المَكْتَبِ ابْنِ بَرَال . وَالعَرَبِيَّةَ عَلَى المَقْرِي الزَّوَاوِي وَابْنَ العَرَبِيِّ ، وَتَأَدَّبَ بِأَبِيهِ ، وَأَخَذَ عَنِ المَحْدِثِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَابِرِ الوَادِي أَشَى ، وَحَضَرَ مَجْلِسَ القَاضِي أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ ، وَرَوَى عَنِ الحَافِظِ عَبْدِ اللَّهِ السُّطِّيِّ . وَالرَّئِيسِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ المَهْمَنِ الحَضْرَمِيِّ ، وَلاَزَمَ العَالِمَ الشَّهِيرَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الأَبْلَى ، وَانْتَفَعَ بِهِ .

تَوَجُّهُهُ إِلَى المَغْرِبِ

انصرفت عن إفريقية منشئه . بعد أن تعلق بالخدمة السلطانية على الحداثة وإقامته لرسم العلامة بحكم الاستنابة عام ثلاثة وخمسين وسبع مائة . وعُرف فضله ، وخطبه السلطان مُنْفِقَ سَوَاقِ العِلْمِ والأَدَبِ أَبُو عِنَانَ فَارِسَ بْنِ عَلِيٍّ ابْنِ عَثْمَانَ ، وَاسْتَقْدَمَهُ . وَاسْتَحْضَرَهُ بِمَجْلِسِ المَذَاكِرَةِ ، فَعَرَفَ حَقَّهُ ، وَأَوْجَبَ فَضْلَهُ ، وَاسْتَعْدَلَهُ فِي الكِتَابَةِ أَوَّلَ عامِ سِتَّةٍ وَخَمْسِينَ ، ثُمَّ عَظَّمَ عَلَيْهِ حَمْلُ الخَاصَّةِ مِنْ طَلَبَةِ الحَضْرَةِ لِبَعْدِهِ عَنِ حَسَنِ التَّنَاسُيِّ ، وَشَفُوفِهِ بِثُقُوبِ الفَهْمِ ، وَجُودَةِ الإِدْرَاكِ . فَأَغْرَوْا بِهِ السُّلْطَانَ إِغْرَاءً عَصِيدَهُ مَا جُبِلَ عَلَيْهِ عِنْدَئِذٍ مِنْ إِغْفَالِ التَّحَنُّظِ ، مِمَّا يَرِيبُ لَدَيْهِ . فَأَصَابَتْهُ شِدَّةٌ تَخْلُصُهُ

(١) وَرَدَتْ فِي الإِسْكَوْرِيَالِ (بَذُول) . وَالتَّصْوِيبُ مِنْ انْتَفَاحِ .

(٢) وَرَدَتْ فِي الإِسْكَوْرِيَالِ (طَلَل) وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

منها أجله ؛ كانت مُغربة في جفاء ذلك الملك ، وهناة جواره ، وإحدى العواذل لأولى الهوى في القول بفضله ، [واستأثر به الاعتقال باقى أيام دولته على سُنن الأشراف من الصَّبر]^(١) وعدم الخُشوع ، وإهمال التوسُّل ، وإبادة المكسُوب في سبيل النِّفقة ، والإرضاخ على زمن المحنة ، وجارِ المنزل البخس ، إلى أن أفضى الأمر إلى السَّعيد ولده ، فأعْتَبَه قِيَم الملك لحينه ، وأعادَه إلى رسمه . ودالت الدولة إلى السلطان أبي سالم ، وكان له به الاتصال . قبل تسوُّغ المحنة^(٢) ، بما أكسَد حُظوته ، فقلَّده ديوان الإنشاء مُطلق الجرايات ، محرر السُّهام ، نبيه الرُّتبة ، إلى آخر أيامه . ولما أَلَقَت الدولة مقادها بعده إلى الوزير عمر بن عبد الله ، مُدبِّر الأمر وله إليه [قَبْل ذلك]^(٣) وسيلة ، وفي حَلِيهِ^(٤) شركة ، وعنده حق رابته تقصيره ، عما ارتَمَى إليه أَمَلَه ، فسَاء ما بينهما إلى أن آل إلى انفصاله عن الباب المرينى .

دخوله غرناطة

ورد على الأندلس في أوائل شهر ربيع الأول من عام أربعة وستين وسبعماية ، واهتَزَّ له السلطان . وأَرْكَب خاصَّته لتلقَّيه ، وأَكْرَم وفادته ، وخلع عليه ، وأَجْلَسَه بمجلسه الخاص . ولم يدْخِرْ عنه برا ومؤاكلة ومُطايبة وفكاهة .

وخاطبني لما حل بظاهر الحضرة مخاطبة لم تحضرني الآن
فأجبتُه عنها بقولي :

حلَّلت حلول الغيث في البلد المحل على الطائر الميمون والرحب والسَّهل

(١) هذه العبارة واردة في الإسكوريال ، وساقطة في النسخ .

(٢) وردت في الإسكوريال (المتيحة) . والتصويب من النسخ .

(٣) هذه الزيادة واردة في الإسكوريال ، وساقطة في النسخ .

(٤) هكذا وردت في النسخ ، وفي الإسكوريال (جلبه) .

يَمِيناً بَمَنْ تَعْنُو الْوُجُوهُ لَوَجْهِهِ مِنْ الشَّيْخِ وَالطِّفْلِ الْمَهْدِ^(١) وَالْكَهْلِ
لَتَمْدَ نَشَاتٌ عِنْدِي لِلْفَيَاكِ غَبِطَةٌ تُنْسِيْ اغْتِبَاطِيْ بِالشَّيْبَةِ وَالْأَهْلِ
أَقْسَمْتُ بِمَنْ حَجَّتْ قَرِيْشَ لَبَيْتِهِ ، وَقَبْرِ صَرْفَتْ أَزْمَةَ الْأَحْيَاءِ لَمِيْتِهِ ،
الَّذِي زِيَاظَتِهِ الْأَمْنِيَّةُ السَّنِيَّةُ ، وَالْعَارِفَةُ الْوَارِفَةُ ، وَاللَّطِيْفَةُ الْمُطِيْفَةُ ، بَيْنَ
رَجْعِ الشَّبَابِ يَقْطُرُ مَاءً ، وَيَرْفُ نَمَاءً ، وَيُغَاوِزُ عُيُونَ الْكَوَاكِبِ ، فَضْلاً عَنْ
الْكَوَاكِبِ ، إِشَارَةً وَإِيمَاءً ، بِحَيْثُ لَا الْوَخْطُ يَلْدِمُ بِسِيَّاحِ لِمَتِّهِ ، أَوْ يَقْدَحُ
ذُبَالَةً فِي ظُلْمَتِهِ ، أَوْ يَقْوِمُ حَوَارِيَّهُ فِي مَلَّتِهِ ، مِنْ الْأَحَابِشِ وَأُمَّتِهِ ، وَزَمَانُهُ
رُوحٌ وَرَاحٌ ، وَمَعْدِي فِي النَّعِيمِ وَمَرَاخٌ ، وَقَصْفٌ صِرَاحٌ ، وَرُفَى وَجِرَاحٌ ،
وَانْتِخَابٌ وَاقْتِرَاحٌ ، وَصُدُورٌ مَا هِيَ إِلَّا انْشِرَاحٌ ، وَمَسْرَاتٌ تَرْدِفُهَا أَفْرَاحٌ .
وَبَيْنَ قُدُومِكَ خَلِيعَ الرَّسَنِ ، مُمْتَعاً وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، بِالْيَقِظَةِ وَالْوَسَنِ ، مُحْكَمًا
فِي نُسْكَ الْجَنِيْدِ ، أَوْ فَتَاكَ الْحَسَنِ ، مُمْتَعًا بِظَرْفِ الْمَعَارِفِ ، مَالئًا أَكْثَفَ
الصَّيَارِفِ ، مَا حَيًّا بِأَنْوَارِ الْبَرَاهِمِينَ شُبَّهِ الزُّخَارِفِ - لَمَّا اخْتَرَتْ الشَّبَابَ ،
وَأِنْ شَاقَنِي زَمْنُهُ ، وَأَعْيَانِي ثَمْنُهُ ، وَأَجَرَتْ سَحَابَ دَمْعِي دِمْنُهُ . فَالْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي رَفَى جَنُونَ اغْتِرَابِي ، وَمَلَكَنِي أَزْمَةَ آرَابِي ، وَغَبَطَنِي بِمَائِي وَتَرَابِي ،
وَمَأْلَفَ أَتْرَابِي ، وَقَدْ أَغْضَنِي بِلَذِيذِ شَرَابِي ، وَوَقَعَ عَلَى سَطُورِهِ الْمَعْتَبَرَةُ
إِضْرَابِي ، وَعَجَّلَتْ هَذِهِ مَغْبِطَةٌ بِمَنَاخِ الْمُطِيَّةِ ، وَمُنْتَهَى الطَّيَّةِ ، وَمُلْتَقَى السُّعُودِ
غَيْرِ الْبَطِيَّةِ ، وَتَهْنِئِ الْآمَالِ الْوَثِيرَةِ الْوُطِيَّةِ ، فَمَا شِثَتْ مِنْ نَفُوسٍ عَاطِشَةٍ
إِلَى رِيِّكَ ، مَتَجَمِّلَةٍ بِزِيَّكَ ، عَاقِلَةٌ خَطِي مُهْرِيَّكَ ، وَمَوْلَى مَكَارِمِهِ نَشِيدَةٌ
أَمْثَالِكَ ، وَمُظَانُّ مِثَالِكَ ، وَسَيَصْدُقُ الْخَبَرُ مَا هُنَالِكَ ، وَيَسْعَ فُضْلُ مَجْدِكَ
فِي التَّخْلُفِ عَنِ الْأَصْحَارِ ، لَا بَلَّ الْلِقَاءِ مِنْ وَرَاءِ الْبَحَارِ ، وَالسَّلَامُ .

وَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِالْحَضْرَةِ ، جَرَتْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ مَكَاتِبَاتٌ ، أَقْطَعَهَا الظَّرْفُ

(١) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي النَّفْحِ ، فِي التَّعْرِيفِ بِابْنِ خَلْدُونٍ ، وَوَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ
(الْمَصْب) .

جانبه ، وأوضح الأدب فيها مذاهبه . فمن ذلك ما خاطبته به ، وقد تسرى
جارية رومية إسمها هند [صبيحة الابتناء بها]^(١)

أوصيك بالشيخ أبي بكره لا تأمنن في حالة مكره
واجتنب الشك إذا جئته جنبك الرحمن ما تكره

سيدى ، لازلت تتصف بالوالج ، بين الخلاخل والدمالج ، وتركض
فوقها ركض الهمالج . اخبرنى كيف كانت الحال ، وهل حطت بالقاع
من خير البقاع الرّحال ، وأحكم بمروء المراودة الاكتحال ، وارتفع بالسّقا
الإمحال ، وصحّ الانتحال ، وحصحص الحق وذهب المّحال ، وقد
طولعت بكل بشرى وبشر ، وزفت هند منك إلى بشر ، فلله من عشيّة
تمتّت من الربيع بفرش موشية ، [وابتدلت منها أى وساد وخشية]^(٢)
وقد أقبل ظي الكناس من الدّماس ، ومطوق الحمام من الحمام ، وقد
حسّنت الوجه الجميل النظرية ، وأزيلت عن الفرع الأثيث الأبرية ،
وصقلت الخدود فهى كأنها الأمرية ، وسلطت الدّلك على الجلود ، وأغرّيت
النّورة بالشعر المولود ، وعادت الأعضاء يزلق^(٣) عنها اللّمس ، ولا تنالها
البّنان الخمس ، والسّحنة يجول فى صفحتها الفضية ماء النّعيم ،
والمسواك يلبى من ثنية التّنعيم ، والقلب يرمى من الكف الرّقيم بالمقعد
المقيم ، وينظر إلى نجوم الوشوم ، فيقول إني سقيم . وقد تفتح ورد الخفر ،
وحكم لزنجى الظّفيرة بالظّفّر ، واتصف أمير الحُسن بالصدود المغتفر ،
ورُش بماء الطّيب ، ثم أعلّق بباله دُخان العود الرّطيب . وأقبلت الغادة

(١) هذه العبارة واردة فى النفع وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال والزيتونة . ووردت فى النفع كالاتى

(وأبدلت منها أى آساد وحشيتة) .

(٣) هكذا وردت فى النفع . وفى المخطوطين (يزلق) والأولى أرجح .

يهدبها اليمُن . وتزفُّها السعادة ، فهي تمشي على استحياء ، وقد ذاع طيب
الريّا ، وراق حُسن المُحيّا ، حتى إذا نَزَعَ الخُفُّ ، وقُبِلَت الأكُفُّ ،
[وصَحِبَ المزمَر]^(١) وتجاوب الدَّفُّ ، وذاع الأَرَجُّ ، وارتفع الحَرَجُّ ،
وتجَوَّز اللّوا والمنعرج ، ونزل على بِشر بزيارة هند الفَرَج ، اهتزّت الأرض
ورَبَّت ، وغوصيت الطُّباع البشرية فآبَت . ولله در القائل :

ومرت فقلت متى نلتقى فهشّ اشتياقاً إليها الخبيث
وكاد بمزق سرباله فقلت إليك بُساق الحديث

فلما انسدل جَنح الظلام ، وانتصفت من غريم العِشاء الأخيرة فريضة
الإسلام ، وخاطت خيوط المنام ، عُيون الأنام ، تأنّى دُنُو الجلسة ، ومُسارقة
الجلسة ، ثم عَضَّة^(٢) النهْد ، وقُبِلَه الفمّ والمخد ، وإرسال اليد من النُّجد
إلى الوَهْد ، وكانت الإمالة القليلة قبل المد ، ثم الإفاضة فيما يُغبط
ويُربغ ، ثم الإماطة لما يُشَوَّن ويُشغَب ، ثم إعمال المسير إلى السَّير .
وصرنا إلى الحُسنى ورقّ كلامنا ورَضَتْ فذات صَمْعَةٍ أتى إذلال

هذا بعد منازعة للأطواق يسيرة ، يراها الغيد من حسن السيرة ،
ثم شُرِعَ في حل التُّكة ، ونزع الشكة ، وتهيئة الأرض الغرار^(٣) عمل السُّكة ،
ثم كان الوحي والاستعجال . وحَمَى الوطيس والمجال ، وعلا الجزء الخفيف ،
وتضافرت الخُصور الهيف ، وتشاطر الطُّبع العَفيف ، وتواتر التقبيل ،
وكان الأخذُ الوَبيل ، وامتاز الأنوك من النَّبيل ، ومنها جائر وعلى الله قَصْدُ
السَّبيل ، فيالها من نِعَمٍ مُتداركة ، ونفوس في سبيل القِحة مُتْهالكة ،
(١) وردت في الإسكوريال (وصب المزمَر) وفي الزيتونة (وصب المزمَر) .
والتصويب من النفخ .

(٢) هكذا وردت في النفخ . وفي الإسكوريال والزيتونة (عض) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (العرار) . وفي النفخ (الغراز) .

وَنَفَسٌ يَقْطَعُ حُرُوفَ الْحَقِّ . وَسِبْحَانُ الَّذِي يُزِيدُ فِي الْخَلْقِ . وَعَظُمَتِ
الْمُهَانَعَةُ ، وَكَثُرَتْ بِالْيَدِ الْمُصَانَعَةِ ، وَطَالَ التَّرَاوُغُ وَالتَّزَاوُرُ ، وَشَكِيَ التَّجَاوُرُ ^(١)
وَهُنَالِكَ تَخْتَلِفُ الْأَحْوَالُ . وَتَعْظُمُ الْأَهْوَالُ ، وَتُخْسرُ أَوْ تُرْبِحُ الْأَمْوَالُ ،
فَمَنْ عَصَا تَنْقَلِبُ ثَعْبَانًا مُبِينًا ، وَنُونُهُ تَصِيرُ تَنْينًا ، وَبَطْلُ لَمْ يَهْلُهُ
الْمَعْتَرِكُ الْهَائِلُ ، وَالْوَهْمُ الزَّائِلُ ، وَلَا حَالُ بَيْنِهِ وَبَيْنَ قُرَّتِهِ الْحَائِلُ ، فَتَعْدَى
فَتْكَةُ السُّلَيْكِ إِلَى فَتْكَةِ الْبِرَاضِ ، وَتَقْلُدُ مَذْهَبَ الْأَزَارِقَةِ مِنَ الْخَوَارِجِ فِي
الاعْتِرَاضِ ، ثُمَّ شَقَّ الصَّفِّ ، وَقَدْ خَضَّبَ الْكَفَّ ، بَعْدَ أَنْ كَادَ يَصِيبُ
الْبَرَى ^(٢) بَطْعَنَهُ ، وَيَبْهَوُّ بِمَقْتِ اللَّهِ وَلَعْنَتِهِ :

طَعْنَتْ ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ ^(٣) طَعْنَةً ثَائِرَةً لَهَا نَفَذٌ لَوْلَا الشَّعَاعُ أَضَاءَهَا
وَهُنَاكَ هَدَأَ الْقِتَالُ ، وَسَكَنَ الْخَبَالُ ، وَوَقَعَ الْمَتَوَقَّعُ فَاسْتَرَا حِ الْبَالُ ،
وَتَشَوَّفُ إِلَى مَذْهَبِ الثَّنَوِيَّةِ ، مَنْ لَمْ يَكُنْ لِلتَّوْحِيدِ بِمُبَالٍ ، وَكَثُرَ السُّؤَالُ
عَنِ الْبَالِ بِمَا بَالُ ، وَجَعَلَ الْجَرِيحُ يَقُولُ ، وَقَدْ نَظَرَ إِلَى دَمِهِ يَسِيلُ عَلَى
قَدَمِهِ :

أَنْتَى لَهُ عَنْ دَمِي الْمُسْفُوكِ مُعْتَذِرٌ أَقُولُ حَمَلْتُهُ فِي سَفْكِهِ تَعْبًا
وَمِنْ سِنَانِ عَادِ عِنَانَا ، وَشَجَاعِ صَارِ هِدَانَا ^(٤) جَبَانَا ، كُلَّمَا شَابَتْهُ
شَائِبَةُ رِيْبَةٍ ، أَدْخَلَ يَدَهُ فِي جَيْبِهِ ، فَانْجَحَرَتِ الْحَيَّةُ ، وَمَاتَتِ الْغَرِيْزَةُ
الْحَيَّةُ ، وَهَنَاكَ يَزِيغُ الْبَصَرُ ، وَيُخْذَلُ الْمُتَنَصِّرُ ، وَيَسْلُمُ الْأَسْرُ ، وَيَغْلِبُ
الْحَصْرُ ، وَيَجِفُّ اللَّبَابُ ، وَيُظْهِرُ الْعَابُ ، وَيَخْفِقُ الْفَمُودُ ، وَيَكْبُو الْجَوَادُ ،
وَيَسِيلُ الْعَرَقُ ، وَيَشْتَدُّ الْكَرْبُ وَالْأَرْقُ ، وَيَنْشَأُ فِي مَحَلِّ الْأَمْنِ الْفَرَقُ ،

(١) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْمَخْطُوطِينَ . وَفِي النِّفْحِ (التَّحَاوُرِ) .

(٢) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْمَخْطُوطِينَ . وَفِي النِّفْحِ (الْبُؤْسَى) وَالْأَوَّلَى أَرْجَحُ .

(٣) هَكَذَا فِي الزَّيْتُونَةِ وَالنِّفْحِ . وَفِي الْإِسْكُونِيَّاتِ (ابْنِ عَبْدِ الْقَيْسِ) .

(٤) وَارِدَةٌ فِي الْمَخْطُوطِينَ . وَسَاقِطَةٌ فِي النِّفْحِ .

وَيُدرِك فرعونَ الغرق . وَيَقْوَى اللُّجَاجَ وَيَعْظُم الخَرْق . فلا تزيد الحال
إلا شِدَّةً ، ولا تعرف تلك الجارحة^(١) المؤمنة إلا رِدَّةً :
إذا لم يكن عَوْنٌ من الله للفتى فَأَكْثَرَ^(٢) ما يعجنى عليه اجتهاده
فكم مُغَرِّى بطول اللَّبِث ، وهو من الخَبْث ، يؤمل الكَرَّة ، ليزيل
المعرة ، وَيُسْتَنْصِر الخيال ، ويعمل باليد الاحتيال :

إنك لا تشكو إلى مُصْمِت فاصبر على الحِمْل الثقيل أوُمِتْ
ومُعْتَدِر بمرض أصابه ، جَرَّعه أو صابه . ووجع طَرَقه ، جَلَبَ أَرْقه ،
وخطيب أُرْتِج عليه أحياناً ، فقال سَيُحدث الله بعد عَشْرِ يُسْرَا ، وبعد عِ
بياننا ، اللهم إِنَّا نعوذ بك من فضائح الفُرُوج إذا اسْتَغْلَقَتْ أَقْفالها ،
ولم تُسَمَّ^(٣) بالنَّجِيع أَغْفالها^(٤) ، ومن مَعْرَات الأقدار ، والنكول عن
الأبكار ، ومن النُّزول عن البِطُون والسُّرر ، والجوارح الحسنة الغُرر ،
قبل ثَقْبِ الدُّرر ، ولا تجعلنا ممن يستحي من البُكَر بالغداة ، وتُعلم منه
كلال الأداة ، وهو مجال فُضِّحَتْ فيه رجال ، وفِرَاش شُكِّيت فيه أوْجال ،
وأُعْمِلَتْ رَوِيَّةٌ وارْتِجال . فمن قائل :

أرفعه طورا على إضْبَبَسَعِي ورأسه مضطربة^(٥) أَشْفَلَه
كالحنَّش المقتول يُلقَى على عود لكى يطرح فى مَزْبَلَه
أو قایل :

عَدِمَتْ من أيرى قوى حسه يا حَسْرَةَ المرء على نفسه

-
- (١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (المجارحة) . وفي النفع (الجائحة) .
(٢) هكذا في المخطوطين . وفي النفع (فأول) .
(٣) هكذا في المخطوطين . وفي النفع (تتسم) .
(٤) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال والنفع (أغفالها) . والأولى أرجح .
(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة والنفع (مضطرب) .

تراه قد مال على أضله
كحائط خرّ على أسه

وقايل :

أَيْخَسِلُنِي إِبْلِيسُ دَاعِينَ أَصْبَحَا
بِرَجْلِي وَرَأْسِي دُمْلًا وَزُكَامَا
فَلَيْتَهُمَا كَانَا بِهِ وَأَزِيدَهُ
رَخَاوَةً أَيْرَ لَا يَرِيدُ قَيْسَامَا

وقائل :

أَقُولُ لِأَيْرَى وَهُوَ يَرْقُبُ فَتَكَّةَ
بِهِ خَبِثَتْ مِنْ أَيْرَ وَغَالَتْكَ دَاهِيَةً
إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْأَيْرِ بَخْتُ تَعَذَّرَتْ
عَلَيْهِ وَجْوهُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ

وقايل :

تَعَفَّفَ فَوْقَ الْخَصِيَّتَيْنِ كِدَانَهُ
رِشَاءً إِلَى جَنْبِ الرُّكْبَةِ مُلْتَفًّ
كَفَرَّخَ ابْنَ ذِي يَوْمِينَ بِرَفْعِ رَأْسِهِ
إِلَى أَبْوِيهِ ثُمَّ يُلْدِرُكَ الضَّعْفَ

وقايل :

نَكَرَشَ أَيْرَى بَعْدَمَا كَانَ أَمْلَسَا
وَصَارَ جَوَابِي لِلْمَهَا أَنْ مَرَزْنَ بِي
وَكَانَ غَنِيًّا مِنْ قَوَاهِ فَأَفْلَسَا
مَضَى الْوَصْلَ إِلَّا مُنِيَّةً تَبْعَثُ الْأَسَى

وقايل :

بِنَفْسِي مِنْ حَيِّثُهُ فَاسْتَخَفَّ بِي
وَقَابِلُنِي [بِالْهَزْمِ وَالنَّجَّةِ] ^(٢) بَعْدَمَا
وَمَا ارْتَجَى مِنْ مُوسِرٍ فَوْقَ دَكَّةٍ ^(٣)
وَلَمْ يَخْطُرِ الْمَجْرَانُ مِنْهُ ^(١) عَلَى بَالٍ
حَطَّطْتُ بِهِ رِجْلِي وَجَرَّدْتُ سِرِّيَالِي
عَرَضْتُ لَهُ شَيْئًا مِنَ الْحَشَفِ الْبَالِي
عَلَّلْتُ ^(٤) لَا تَزَالُ تُبْكِي ، وَعَلَّلَ عَلَى الدَّهْرِ تَشْكِي ، وَأَحَادِيثُ تُقْصُ
وَتَحْكِي . فَإِنْ كُنْتَ أَعَزَّكَ اللَّهُ مِنَ النَّمَطِ الْأَوَّلِ ، وَلَمْ تُقَلِّ . وَهَلْ عِنْدَ

(١) مَكْذَا فِي الْمَخْطُوطَيْنِ . وَفِي النِّفَجِ (يَوْمَا) .

(٢) مَكْذَا فِي الْإِسْكُورِيَّاتِ . وَفِي النِّفَجِ (بِالْغُورِ وَالنَّجْدِ) . وَالذِّبْتُ سَاتَعْتُ فِي الزَّيْتُونَةِ .

(٣) مَكْذَا فِي الْمَخْطُوطَيْنِ . وَفِي النِّفَجِ (تَكَّة) .

(٤) مَكْذَا فِي الْمَخْطُوطَيْنِ . وَفِي النِّفَجِ (مَمُومٌ) .

رسم دارس من مَعُول ، فقد جَنَيْتَ الشَّر . واستَطَبْتَ السَّمر ، فاستدع
 الأبواق من أقصى المدينة ، واخرج على قومك في ثياب الزينة . واستبشر
 بالوفود ، وعرف المسمع عارفة الجود ، وتبجح بصلابة العود ، وإنجاز
 الوعود ، واجن رمآن النهود . من أغصان القُدود ، واقطف ببنان^(١) اللثم
 أقاح الثُّغور وورد الخُدود . وإن كانت الأخرى ، فاخف الكمد ، وأرض
 الشمد ، وانتظر الأمد ، واكذب التوسم ، واستعمل التبسم ، واستكثم
 النسوة ، وأفض فيهن الرشوة ، وتقلد المغالطة وارتكب ، وجيء على
 قميصك^(٢) بدم كذب ، واستنجد الرحمن . واستعن على أمورك^(٣) بالكتمان

لا تظهرن لعاذلٍ أو عاذرٍ حالبك في [السراء والضراء]^(٤)

فلرحمة المتفجعين حرارة في القلب مثل شماتة الأعداء

وانتثيق الأرج : وارثقب الفرج . فكم غمام [طبق وما همى]^(٥) ،
 وما رميت إذ رميت ، ولكن الله رمى : وأملك بعدها عنان نفسك ، حتى
 تمكّنك الفرصة ، وترفع اليك القصة ، ولا تشتره^(٦) إلى عمل لا تنفيء
 منه بتمام ، وخذ عن إمام ، والله در [عروة بن حزام]^(٧) .

الله يعلم ما تركت قتالهم حتى رموا مهرى بأشقر مزيد

وعلمت أني إن أقاتل دونهم أقتل ولم يضرر عدوى مشهدي

(١) هكذا في الإسكوريال والنفح . وفي الزيتونة (بنار) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النفح (قميصه) . والعبارة ساقطة في الزيتونة .

(٣) هكذا في المخطوطين . وفي النفح (أمرك) .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في المخطوطين . ووردت في النفح (السراء والضراء) .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في المخطوطين . وورد مكانها في النفح (طما) .

(٦) هكذا في المخطوطين . وفي النفح (نسرع) .

(٧) هكذا ورد هذا الاسم في الإسكوريال . ولم يرد في الزيتونة سوى كلمة (عروة) .

وورد في النفح (الحرث بن هشام) .

ففررت منهم والأحبة فيهم طمعا لهم بعقاب يوم مُفسد
واللبانات تَلين وتَجْمع . والمآرب تَدنو وتَنزَح ، وتَحْرُن ثم تَسْمَح ،
وكم من شُجاعٍ خام . ويَقْظُ نام ، ودليل أخطأ الطريق ، وأضلَّ الفريق ،
والله عز وجل يجعلها خَلَّةً موصولة ، وشَمَلًا أكنافه بالخير مَشْمُولَةٌ ، وبِنِيَّةِ
أركانها لركاب^(١) اليُمن مأمولة ، حتى يكثر خَدَم سيدي وجواريه ،
وأسرته وسراريه ، وتَضُمُّو عليه نعمة^(٢) باريه ، ما طُورِد قَنِيص ، واقتُحِم
عَيْص ، وأُذِرْك مرام عويص ، وأعطى زاهد وحُرْم حريص . والسلام .

تواليفه

شرح القصيدة المسماة بالبُرْدَة شرحاً بديعاً ، دلَّ فيه على انفساح
ذُرْعِه ، وتفنُّن إدراكه ، وغزارة حفظه . ولخص كثيراً من كُتُب ابن رشد .
وعلَّق للسلطان أيام نظره في العلوم العقلية ، تقييداً مفيداً في المنطق ،
ولخص مُحَصِّل الإمام فخر الدين ابن الخطيب [الرازي]^(٣) . وبذلك
داعبته أول لُتْمِيَّة لُتْمِيَّتِه ببعض منازل الأشراف ، في سبيل المبرَّة بمدينة
فاس ، فتملت له لى عليك مُطالبة ، فإنك لُخَّصت « مُحَصِّلِي » . وألف
كتاباً في الحساب . وشرع في هذه الأيام في شرح الرَّجَز الصادر عني في
أصول الفقه ، بشيء لا غاية وراءه في الكمال^(٤) . وأما نشره وسُلْطانيَّاته ،

(١) هكذا وردت في المخطوطين . وفي النسخ (لركائب) .

(٢) هكذا في المخطوطين . وفي النسخ (نعم) .

(٣) يعرف الإمام فخر الدين الرازي (وهو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين المتوفى

سنة ٦٠٦ هـ) يعرف بابن الخطيب .

(٤) ورد في آخر اللوحة 252 إسكوريال ، بعد هذه الكلمة ، ما يأتى مدونا بقلم الناسخ :

« قلت هذا المقدار هو الذى ذكره الشيخ ابن الخطيب عن تواليف هذا الفاضل المترجم به لمكان وفاة
الشيخ قبل المترجم . ولو علم الشيخ رحمه الله بكتابه المشهور ، الذى سحر به الخاص والجمهور
المسمى « بكتاب العبر وديوان المبتدا والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من
ذوى السلطان الأكبر » لعله بما يجب فى حقه ، وان انتهى إلى غاية فلا يتأدى فى صدقه . ولقد =

مُرْسَلُهَا وَمُسَجَّعُهَا ، فَخُلِجَ بِلاغةً ، ورياض فنون ، ومعادن إبداع ، يُفْرَغُ عنها يراعه الجريء ، شبيهة البدائع بالخواتم ، في نداوة الحروف ، وقُرب العهد بجريّة المداد ، ونفوذ أمر القريحة ، واسترسال الطبع . وأما نظمه^(١) ، فنهض لهذا العهد قُدماً في ميدان الشعر . وأغرى نقله باعتبار أساليبه ، فأنثال عليه جوه ، وهان عليه صعبه ، فآنى منه بكل غريبة . من ذلك قوله يخاطب السلطان ملك المغرب ليلة الميلاد الكريم عام اثنين وستين وسبعمائة بقصيدة طويلة :

وَأَظْلَمَ مَوْقِفَ عَبْرَى وَنَحِيْبِ	[أَسْرَقْنَ فِي هَجْرِي وَفِي تَعْذِيْبِ
لُودَاعِ مَشْغُوفِ الْفُؤَادِ كَثِيْبِ	وَأَبَيَّنَ يَوْمَ الْبَيِّنِ مَوْقِفَ سَاعَةِ
قَلْبِي رَهِيْنِ صَبِيْصَابَةِ وَوَجِيْبِ	لِلَّهِ عَهْدَ الظَّاعِنِيْنَ وَغَسَادِرِوَا
فَشَرِقَتْ بَعْدَهُمْ بِمَاءِ غُرُوبِيْ	غَرَبَتْ رَكَائِبُهُمْ وَدَمَعِيْ سَافِحِ
رَحْمَاكَ فِي عَذْلِيْ وَفِي تَأْنِيْبِيْ	يَا نَاقِعاً بِالْعَتَبِ غُلَّةَ شَوْقِهِمْ
مَاءِ الْمَلَامِ لَدَيَّ غَيْرُ شَرِيْبِ	يَسْتَعْذِبُ الصَّبِّ الْمَلَامِ وَإِنِّيْ
لَوْلَا تَذَكُّرُ مَنْزِلٍ وَحَبِيْبِ	مَا هَاجَنِيْ طَرْبٌ وَلَا اعْتَادَ الْجَوِيْ
لِلْبَدْرِ مِنْهُمْ أَوْ كِنَاسِ رَبِيْبِ	أَهْفُوْا إِلَى الْأَطْلَالِ كَانَتْ مَطْلَعاً
فِي عِظْفِهَا لِلدَّهْرِ آيْ خُطُوبِ	عَبَّيْتُ بِهَا أَيْدِي الْبَلِيْ وَتَرَدَّدَتْ
لِيَجِدْهَا وَصَفِيْ وَحُسْنِ نَسِيْبِيْ	تَبْلَى مَعَاهِدَهَا وَإِنْ عَهْدُهَا
هَزَزَتْ ذِكْرَاهَا إِلَى التَّشْبِيْبِ	وَإِذَا الدِّيَارُ تَعَرَّضَتْ لِمُتَيِّمٍ
أَلْوَى بَدِيْنِ فُؤَادِي الْمَنْهَوْبِ	إِلَيْهِ عَلَى الصَّبْرِ الْجَمِيْلِ فَإِنَّهُ

= اخترع فيه ، من بين المناحي مذهبا عجيبا ، وطريقة مبتدعة وأسلوبا ، وسلك فيه من الحديث على العلوم ، وتنقيح الفهوم ، وما يعرض في الاجتماع الإنساني من الأعراض اللاتية والخيالات والخلوم ، مسلكا غريبا . رحم الله مبدعه ، ومتع في أعلى عليين مخترعه .

(١) هكذا وردت في النسخ . وفي المخطوطين (شمره) . وقد أثرنا الأول تجنباً للتكرار

لم أنسها والدهر يثني صرفه
 والدار مونة محاسنها بما
 يا سائق الأظعان تغتسب الفلا
 تهافتاً عن رخل كل مُذلل
 تهتاذب النفحات فضل رداه
 إن هام من ظما الصباية صحبه
 في كل شعب منية من دونها
 هلاً عطفت صدورهن إلى التي
 فتبم من أكتاف يشرب ماأنا
 حيث النسوة أيها مجلوة
 سر غريب لم تهجبه الثرى
 باميد الرسل الكرام ضراعة
 عاقت ذنوبى عن جنابك والمنى
 لا كالآلىء صرفوا العزائم للثقى
 لم يخلصوا الله حى فرقوا
 كبلى شفاعتك التى أرجو بها
 إن النجاة وإن أتيت لاأرى
 إلى دعوتك واثقاً بإجابتي
 قصرت فى مدحى فإن يك طيباً
 ماداعسى ينبغى المطيل وقدحوى
 يا هل تبلىنى الليالى زورة
 أمحو خطيئانى بإخلاصى بها

ويغض طرفى حسيد ورقيب
 ليست من الأيام كل قشيب
 وتواصل الآساد بالتأويب
 نشوان من أين ومس لغوب
 فى ملتقاهما من صبا وجنوب
 نهلوا بمورد دمه المسكوب
 هجر الأمانى أو لقاء شعوب
 فيها لبانة أعين وقلوب
 يكفيك ما تخشاه من تشريب
 تلو من الآثار كل غريب
 ما كان سر الله بالمحجوب
 تقضى من نفسى وتذهب حوبى
 فيها تعللنى بكل كسوب
 فاستأثروا منها بخير نصيب
 فى الله بين مضاجع وجنوب
 صفحاً جميلاً عن قبيح ذنوبى
 فيفضل جاهك ليس بالتسبيب
 يا خير مدعو وخير مجيب
 فبها لذكرك من أريج الطيب
 فى مدحك القرآن كل مطيب
 تدنى إلى الفوز بالمرغوب
 وأحط أوزارى وإضر ذنوبى

في فتية هجروا المنى وتعودوا
 يطوى صحائف ليلهم فوق الفلا
 إن رنم الحادى بذكرك رددوا
 أو غرّد الركب الخلى بطيبة
 ورثوا اغتساف البید عن آبائهم
 الطاعنون الخيل وهى عوابس
 والواهبون المقربات هواتنا
 والمانعون الجار حتى عرضهم
 تخشى بواذرهم ويرجى حلمهم
 ومنها بعد كثير :

سائل به طامى العباب وقد سرى
 تهديه شهب أسنة وعسى زائم
 حتى انجلت ظلم الضلال بسعيه
 يا ابن الألى شادوا الخلافة بالتقى
 جمعوا بحفظ الدين آى مناقب
 لله مجدك طارفاً أو تالداً
 كم رهبة أو رغبة لك موالعلا
 لا زلت مسرورا بأشرف دولة
 تحبى المعالى غادياً أو رائحاً
 وقال من قصيدة خاطبه بها عند وصول هدية ملك السودان ، وفيها الحيوان

الغريب المسمى بالزرافة :

(١) وردت هكذا فى الإسكوريال والنفع . وفى التعريف (ترجمه ریح) .

قَدَحَتْ يَدَ الْأَشْوَاقِ مِنْ زَنْدِي وَهَفَّتْ بِقَلْبِي زَفْرَةَ الْوَجْدِ
 وَنَبَذَتْ سُلُوفَانِي عَلَى ثِقَةٍ بِالْقَرَبِ فَاسْتَبَدَلْتُ بِالْبُعْدِ
 وَلِرُبِّ وَصَلْتُ كُنْتُ آمِلُهُ فَاعْتَصَفْتُ مِنْهُ مَوْلِمَ الصَّدِّ
 لَا عَهْدَ عِنْدَ الصَّبْرِ أَطْلُبُهُ إِنَّ الْغَرَامَ أَضَاعَ مِنْ عَهْدِي
 يَلْحَى الْعَذُولُ فَمَا أَعْنَفُهُ وَأَقُولُ ضَلُّ فَايْتَنِي رُشْدِي
 وَأَعَارِضُ النَّفْحَاتِ أَسَاطِمَا بَرْدَ الْجَوَى فَتَزِيدُ فِي الْوَقْدِ
 يَهْدِي الْغَرَامَ إِلَى مَسَالِكِهَا لَتَعْلَى بِضَعِيفٍ مَا تَهْدِي
 يَا سَائِقَ الْوَجْنَاءِ^(١) مُعْتَسِفَا طَى الْفَلَاةِ لَطِيَّةَ الْوَجْسِدِ
 أَرِحِ الرُّكَّابَ فِي الصَّبَا نَبَاً يُغْنِي عَنِ الْمُسْتَنَةِ الْجُرْدِ
 وَسَلِ الرُّبُوعَ بِرَامَةٍ خَيْرًا عَنْ سَاكِنِي نَجْدٍ وَعَنْ نَجْدِ
 مَا لِي تُلَامَ عَلَى الْهَوَى خُلُقِي وَهِيَ الَّتِي تَأْتِي سَوَى الْحَمْدِ
 لَا بَيَّتُ إِلَّا الرُّشْدَ مَذْوَاحَتِ بِالْمُسْتَعِينِ مَعَالِمِ الرُّشْدِ
 نَعَمِ الْخَلِيقَةِ فِي هُدًى وَتَقَى وَبِنَاءِ عِزٍّ شَامِخِ الطُّودِ
 نَجَلُ السَّرَاةِ الْغُرِّ شَانُهُمْ كَسِبَ الْعُلَا بِمَوَاهِبِ الْوَجْدِ

ومنها في ذكر خلوصه إليه : وما ارتكبه فيه :

اللَّهُ مِنِّي إِذْ تَأَوَّبَ مِنِّي ذَكَرَاهُ وَهُوَ بِشَاهِقِ فَرْدِ
 شَهْمٌ يَفْلُ بَوَاتِرَ قَضِيَا وَجُمُوعِ أَقْيَالِ أُولَى أَيْدِ
 أَوْرَيْتُ زَنْدَ الْعِزِّ فِي ظُلْمِي وَقَضَيْتُ حَقَّ الْمَجْدِ مِنْ قِصْدِي
 وَوَرَدْتُ عَنْ ظَمَأٍ مِنْ دِلِّهِ فَرَوَيْتُ مِنْ عِزٍّ وَمِنْ رِفْدِ
 هِيَ جَنَّةُ الْمَأْوَى لِمَنْ كَلِمَتِ آمِسَالِهِ بِمِثَالِ الْمَجْدِ
 لَوْ لَمْ أَتَلَّ بِوَرْدٍ كَبَرْتُهَا مَا قَلْتُ هُدًى جَنَّةَ الْخُلْدِ

(١) هكذا في الإسكوريال ونسخ . وفي التعريف (الأطمان) .

من مُبْلَغٍ قَوِيٍّ ودونهم
إِنِّي أَنَفْتُ عَلَى رَجَائِهِمْ
وَمِنْهَا

ورقيمة الأعطاف حالية
وحشية الأنساب ما أنست
تسمو بجيد بالغ صَعْدًا
طالت رؤوس الشامخات به
قطعت إليك تنائفًا وصلت
نَحْدَى عَلَى اسْتِصْعَابِهَا ذُلًّا
بسعودك اللامى ضمنًا لنما
جاءتك في وفد الأحابش لا
وأفوك أنضاء تُقَلِّبُهُمْ
كالطيف يَسْتَقْرِى مضاجعه
يُثْنُونَ بِالْحُسْنَى التى سبقت
ويرون لَحْظَكَ من وفادتهم
يا مُسْتَعِينًا جَلًّا فى شَرَفٍ
جازاك ربُّك عن خَلِيقَتِهِ
وبقيت للدنيا وساكنها
وقال يخاطب صدر الدولة فيما يظهر من غرض المنظوم^(٣) :

(١) هكذا فى الإسكوريال والتعريف . وفى النسخ (بالقرد) وهو تحريف .

(٢) كل ما تقدم من شعر ابن خلدون المحصور بين الحاصرتين ، وارد فى الإسكوريال وساقط فى الزيتونة .

(٣) المقصود بصدر الدولة هنا هو الوزير عمر بن عبد الله مدبر ملك المغرب يومئذ .

نادى لشكوى البث خير سميع
بالقرب كنت لها أجل شفيع
منها فأصبح في الأجاج شروعي
ليس الزمان لشمها بصلوع
إني المصون وأنت غير مضيع
دون الأنام هواك قبل نزع
فصبتهم غنى وكنت منيعي
وتقطعت أنفاسهم بصنيعي
حسداً فرأوني بكل شنيع
قد صنتها عنهم بفضل قنوعي
ما كان طيعه لهم بمطيع
حسبي بعلمك^(٢) ذاك من تفريعي
اعتدتها لفؤادي المصدوع
فتحول ما بيني وبين هجوعي
نفث الإباء صدودهم في روعي
وأروح أعثر في فضول دموعي
فتسير في الأوهام كل مروع
حمل الهموم تجول بين ضلوعي
بحوادث جاءت على تنويع

يا سيد الفضلاء دعوة مُشفق
مالي وللإقصاء بعد تعلّة
وأرى الليالي رنقت لي صافيا
ولقد خلصت إليك بالقرب التي
ووثقت منك بآي وعد صادق
وسما بنفسى للخليفة طاعة
حتى انتحاني الكاشحون بسعيهم
رغمت نفوسهم^(١) بنجح وسائل
وبغوا بما نقيموا على خلافتي
لا تطمع عنهم ببذل في السّي
أني أضام وفي يدي القلم الذي
ولي الخصائص ليس تأبى رتبة
قسماً بمجدك وهو خير أليّة
إني لتضطّح الهموم بمضجعي^(٣)
عظفاً على بوحدتي عن معشر
أغلو إذا باكرتهم متجلداً
حيران أوجس عند نفسي خيفة
أطوى على الزفرات قلباً إده
ولقد أقول لصرف دهر رابني

(١) هكذا وردت في الزيتونة ، وفي الاسكوريال والنفح (أنوفهم) .

(٢) هكذا وردت في الاسكوريال والزيتونة . وفي النفح (بعلمي) .

(٣) هكذا وردت هذه الشطرة في الاسكوريال والنفح . ووردت في الزيتونة كالآتي (اني ليضطجع

اللوم بمضجمي) .

مَهْلًا عَلَيْكَ فَلَيْسَ خَطْبُكَ ضَائِرِي فَلَقَدْ لَيْسَتْ لَهُ أَجْنُ دُرُوعِ
إِنِّي ظَفِرْتُ بِعَصْمَةٍ مِنْ أَوْحَدِ بَذَّ الْجَمِيعَ بِفَضْلِهِ الْمَجْمُوعِ
وَأَنْشُدُ السُّلْطَانَ أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ أَبَا الْحَجَّاجِ ،
لَأَوَّلِ قَدُومِهِ لَيْلَةَ الْمِيلَادِ الْكَرِيمِ ، مِنْ عَامِ أَرْبَعَةٍ وَسِتِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ :

[حَيَّ الْمَعَاهِدَ كَانَتْ قَبْلُ تُحْيِينِي بَوَاكِفَ الدَّمْعِ يُرْوِيهَا وَيُظْمِينِي
إِنْ الْأُلَى نَزَحَتْ دَارِي وَدَارُهُمْ تَحْمَلُوا الْقَلْبَ فِي آثَارِهِمْ دُونِي
وَقَفْتُ أَنْشُدُ صَبْرًا ضَاعَ بَعْدَهُمْ فِيهِمْ وَأَسْأَلُ رَسْمًا لَا يُنَاجِينِي
أُمُثِّلِ الرَّبْعَ مِنْ شَوْقٍ وَالْثُمَّه وَكَيْفَ وَالْفِكْرَ يُدْنِيهِ وَيُقْصِينِي
وَيَنْهَبِ الْوَجْدُ مِنِّي كُلَّ لَوْلَاةٍ مَا زَالَ جَفَنِي ^(١) عَلَيْهَا غَيْرَ مَأْمُونِ
سَقَتْ جَفُونِي مَغَانِي الرَّبْعِ بَعْدَهُمْ فَالِدَمْعِ وَقَفْتُ عَلَى أَطْلَالِهِ الْجُونِ
قَدْ كَانَ لِلْقَلْبِ عَنْ دَاعِي الْهَوَى شُغْلٌ لَوْ أَنَّ قَلْبِي إِلَى السُّلْوَانِ يَدْعُونِي
أَحْبَابُنَا هَلْ لِعَهْدِ الْوَصْلِ ^(٢) مَذْكَرُ مِنْكُمْ وَهَلْ نَسْمَةٌ مِنْكُمْ تُحْيِينِي
مَالِي وَلِلطَّيْفِ لَا يُعْتَادُ ^(٣) زَائِرُهُ وَلِلنَّسِيمِ عَلِيلًا ^(٤) لَا يُدَاوِينِي
يَا أَهْلَ نَجْدٍ وَمَا نَجْدٌ وَسَاكِنُهَا حُسْنًا سَوَى جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ وَالْعَيْنِ
أَعِنْدَكُمْ أَنَّنِي مَا مَرَّ ذِكْرُكُمْ إِلَّا انْشَثَبْتُ كَأَنَّ الرَّاحَ تُثْنِينِي
أَصْبُوا إِلَى الْبَرْقِ مِنْ أَنْجَاءِ أَرْضِكُمْ شَوْقًا وَلَوْلَاكُمْ مَا كَانَ يُصْهِبِينِي
يَا نَازِحًا وَالْمُنَى تُدْنِيهِ مِنْ خَلْدِي حَتَّى لِأَخْسِيهِ قُرْبًا يُنَاجِينِي
أَسْأَلِي هَوَاكَ فَوَادِي عَنْ سِوَاكَ وَمَا سِوَاكَ يَوْمًا بِحَالِ عَنكَ يُسْلِينِي
تَرَى اللَّيَالِي أَنْسَتَكَ أَذْكَارِي يَسَا مَنْ لَمْ يَكُنْ ذِكْرُهُ الْأَيَّامَ تُنْسِينِي

(١) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الزَيْتُونَةِ وَالنَّفْعِ . وَفِي التَّعْرِيفِ (قَلْبِي) .

(٢) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْإِسْكَوَوِيَّالِ وَالنَّفْعِ وَالتَّعْرِيفِ . وَفِي الزَيْتُونَةِ (الْوَدِ) .

(٣) هَكَذَا فِي الْإِسْكَوَوِيَّالِ وَالنَّفْعِ وَالتَّعْرِيفِ . وَفِي الزَيْتُونَةِ (يَمُودِ) .

(٤) هَكَذَا فِي الْإِسْكَوَوِيَّالِ وَالنَّفْعِ وَالتَّعْرِيفِ . وَفِي الزَيْتُونَةِ (عَلِيلِ) .

ومنها في ذكر التفريط :

أبعد مرّ الثلاثين التي ذهبت أولى الشباب بإحساني وتحسيني
أضعتُ فيها نفسيّاً ما ورّدتُ به إلّا سَراب غرور ليس يرويني
واخسرتنا من أمانيّ كلّها خِدَعُ تريش غيّي ومرّ الدهر يُبريني

ومنها في وصف المشور المُبتنى لهذا العهد :

يامُضنعا شيدت منه السَّعود حمى لا يطرُق الدهر مَبْنَاهُ بِتَوْهين
صرحُ يحار لديه الطَّرْفُ مُفْتَتِنَا فما يروقلك من شكل وتلّوين
بُعْدًا لِإِيوان كسرى إنّ مشورك السَّامى لأعظم من تلك الأوّلين
ودعْ دمشق ومغناها فقصرك ذا أشهى إلى القلب من أبواب جَيرون^(١)

ومنها في التعريض بالوزير الذي كان انصرافه من المغرب لأجله :

من مُبلَغ عني الصَّحْبُ الألى جهلوا وُدّي وضاع حماهم إذ أضاعوني
إني أويت من العلّيا إلى حَرَمٍ كادت مغانيه بالبُشرى تحييني
وإنني ظاعن لم ألقَ بعدهم دهرًا أشاكي ولا خصما يُشاكيني
لا كالتى أخفرت عهدي ليالى إذ أقلب الطَّرْف بين الخوف والهون
سُقيا ورَعياً لأيامي الى ظفّيرت يداى منها بحظٍّ غير مَعْبُون
ارتاد منها مليّاً لا يماطلنى وعداً وأرجو كريماً لا يُعنيني
وهاك منها قوافٍ طيها حِكَمُ مثل الأزاهر في طيّ الرياحين
تلّوح إن جليت دُرّاً وإن تليت تُشنى عليك بأنفاس البساتين
عانيتُ منها بجهدى كلّ شارِدَة لولا سُعودك ما كانت تُواتيني
يَمْنَعُ الفِكْرُ عنها ما تقسّمه من حُزنٍ بطيّ الصّدر مكنون

(١) ما بين الخاصرتين من بداية هذه القصيدة ساقط في « الزيتونة ». ولم يرد منها فيه

سوى قسمها الأخير في التعريض بالوزير عمر بن عبد الله .

لكن بسعدك ذلت لي شواردها فرضتُ منها بتحبير وتزيين
 بقيت دهرك في أمني وفي دعة ودام مُلكك في نصري وتمكين
 وهو الآن قد بدا له في التحول ، طوع أمل ثاب له في الأمير أبي عبد الله
 ابن الأمير أبي زكريا بن أبي حفص ، لما عاد إليه مُلك بجاية ، وطار إليه
 بجناح شراع ، تفيّاً ظله ، وصلك من لدنه رآه مستقرا عنده ، يُدعم ذلك
 بدعوى تقصير خفي أحس به ، وجعله علّة مُنقلبه ، وتجنّ سار منه في
 مذهبه وذلك في^(١) من عام ثمانية وستين وسبعمائة . ولما بلغ بجاية
 صدّق رأيه ، ونجحت مُخيّلتة ، فاشتمل عليه أميرها ، وولاه الحجابة بها .
 ولم ينشب أن ظهر عليه ابن عمه الأمير أبو العباس صاحب قسنطينة ،
 وملك البلدة بد مهلكه ، وأجرى المترجم به على رُسْمه بما طرق إليه الظنة
 بداخلته في الواقع . ثم ساء ما بينه وبين الأمير أبي العباس ، وانصرف عنه ،
 واستوطن بِسكرة ، متحوّلاً إلى جوار ربيسها أبي العباس بن مزني ، متعلّلاً
 برفده إلى هذا العهد .

وخاطبته برسالة في هذه الأيام ، تنظر في اسم المؤلّف في آخر الديوان .

مولده

بمدينة تونس بلده ، حرسها الله ، في شهر رمضان من عام اثنين وثلاثين
 وسبعمائة^(٢) .

(١) هنا بياض في المخطوط . ونقول تكلّة للسياق إن استيلاء الأمير أبي عبد الله محمد الحفصي
 على بجاية كان في رمضان سنة ٧٦٥ هـ ، وأن ابن خلدون غادر الأندلس ، تلبية لدعوة الأمير ، حسبما
 يحدثنا في « التعريف » ، في منتصف عام ٧٦٦ هـ ، وأقلع من ثغر المرية ، فوصل إلى بجاية خمسة
 أيام من سفره (رجب سنة ٧٦٦ هـ) (راجع التعريف بابن خلدون ص ٩٧ و ٩٨ - وراجع كتابي
 « ابن خلدون » (الطبعة الثالثة - ص ٥٠ و ٥١) .

(٢) توفي ابن خلدون بمدينة القاهرة الممزية في^٦ السادس والعشرين من شهر رمضان سنة
 ٨٠٨ هـ الموافق ١٦ مارس سنة ١٤٠٦ م ، ودفن ، حسبما يذكر لنا السخاوي في ترجمته ، « بمقابر
 الصوفية » خارج باب النصر .

[عبد الرحمن بن الحاج بن القميصي الإلبيري]

حاله : كان شاعراً مجيداً ، هجا القاضي أبا الحسن بن توبة قاضي
غرناطة ، ومن نصره من الفقهاء ، فضربه القاضي ضرباً وجيعاً ، وطيف به
على الأسواق بغرناطة ، فقال فيه الكاتب أبو إسحاق الإلبيري الزاهد ،
وكان يومئذ كاتباً للقاضي المذكور ، الأبيات الشهيرة :

السَّوْطُ أَبْلَغُ مِنْ قَوْلٍ وَمِنْ قِيلٍ وَمِنْ نِيَّاحٍ سَفِيهِ بِالْأَبَاطِيلِ
مِنْ الدَّارِ كَحَرِّ النَّارِ أَبْصَرَاهُ يَغْقِلُ التَّقَاضِي أَيْ تَغْقِيلُ^(١)

عبد الرحمن بن يخلف بن أحمد بن تفلت الفازازي

يكنى أبا زيد .

حاله

كان حافظاً نظّاراً [ذكياً]^(١) ذا حظٍّ وافر من معرفة أصول الفقه
وعلم الكلام ، وعناية بشأن الرواية ، مُتَبَدِّلًا في هيئته ولباسه ، قلماً يرى
راكباً في حَضَرٍ إِلَّا لضررة ، فاضلاً ، سَنِيًّا ، شديد [الإنكار]^(٢) والإنحاء
على أهل البدع ، مُبَالِغًا في التحذير منهم ، عامر الإِثَاءِ^(٣) ، يطلب العلم
شَغَفًا به ، وانطباعاً إليه ، وحبّاً فيه ، وحرصاً عليه ، آية من آيات الله في
سرعة البديهة ، وارتجال النظم والنثر وفُور مادّة ، وموالة استعمال ،
لا يكاد يُقْمِدُ ، ولا يصرفه عنه ، إِلَّا نَسِخَ أو مطالعة علم . أو مذاكرة

(١) وردت هذه الترجمة الموجزة في مخطوط الزيتونة (لوحة ١٨١ من الجزء الثاني)
ولم ترد في مخطوط الإسكوريال فراينا إثباتها .

(٢) واردة في الزيتونة . وساقطة في الإسكوريال .

(٣) وردت في الإسكوريال (آتاه) . وفي الزيتونة (لآتاه) ، ونعتقد أن التصويب

أنسب للسياق .

فيه ، حتى صار له مَلَكَةٌ ، لا يتكلف معها الإنشاء ، مع الإجابة ، وتمكّن البراعة . وكان متلبساً بالكتابة عن الولاة والأمراء ، ملتزماً بذلك ، كارها له ، حريصاً على الانتطاع عنه ، واختصّ بالسيد أبي إسحق بن المنصور ، وبأخيه أبي العلاء ، وبلازمتهما استحق الذكر فيمن دخل غرناطة ، إذ عُدَّ ممن دخلها من الأمراء .

مشيخته

روى عن أبيه أبي سعيد ، وأبي الحسن جابر بن أحمد ، وابن عتيق بن مون ، وأبي الحسن بن الصايغ ، وأبي زيد السهيلي ، وأبي عبد الله التُّجِيبِي ، وأبي عبد الله بن الفخَّار ، وأبي محمد بن عبّيد الله ، وأبي المعالي محمود الخراساني ، وأبي الوليد بن يزيد بن بَقْمَى وغيرهم . وروى عنه ابنه أبو عبد الله ، وأبو بكر بن سيّد الناس ، وابن مهدي ، وأبو جعفر بن علي ابن غالب ، وأبو العباس بن علي بن مروان ، وأبو عمرو بن سالم ، وأبو القاسم عبد الرحيم بن سالم ، وابنه عبد الوهاب بن عبد الرحمن ابن سالم ، وأبو القاسم عبد الكريم بن عُمران ، وأبو يحيى بن سليمان ابن حَوْطَرِ الله ، وأبو محمد بن قاسم الحرار ، وأبو الحسن الرُّعَيْنِي ، وأبو علي الماقرى .

توالياً ومنظوماته

له المُعَشَّرات الزُّهْدِيَّة ، التي ترجمها بقوله : «المعشرات الزُّهْدِيَّة ، والمذكرات الحقيقية الجُذِيَّة ، ناطقة بالسنة الوجليلين المُشْفِقِينَ ، شايقة إلى مذاهج السالكين المُسْتَبْقِينَ . نظمها متبركاً بعبادتهم^(١) متبعيناً بأغراضهم وإشاراتهم ، قابضاً عنان الدعوى عن مُداناتهم ومُجاراتهم ، مهتدياً إهداء

(١) هكذا وردت في الزيتونة ، وفي الإسكوريال (ببدايتهم) .

السُّنَنُ الخمس ، بالأشعة الواضحة من إشاراتهم ، مُخَلِّدًا دُونَ أَفْقِهِمُ الْعَالِي ،
إِلَى حَضِيضِهِ ، جَامِعًا لِحَسَنِ أَقْوَالِهِ . وَقَبِيحَ أَفْعَالِهِ ، بَيْنَ الشَّيْءِ وَنَقِصِيضِهِ .
عَبْدُ الرَّحْمَنِ » . وَلَهُ « الْمُعَشَّرَاتُ الْحُبِّيَّةُ » ، وَتَرْجُمَتُهَا النَّفَحَاتُ الْقَلْبِيَّةُ ،
وَاللَّفَحَاتُ الشَّوْقِيَّةُ ، مَنْظُومَةٌ عَلَى أَلْسِنَةِ الذَّاهِبِينَ وَجَدًا ، الدَّائِبِينَ كَمَدًا
وَجَهْدًا ، الَّذِينَ غَرَبُوا ، وَبَقِيَتْ أَنْوَارُهُمْ ، وَاجْتَجَبُوا وَظَهَرَتْ آثَارُهُمْ ،
وَنَاطَقُوا وَصَمَّتْ أَخْبَارُهُمْ ، وَوَفُّوا الْعُبُودِيَّةَ حَقَّهَا ، وَمَحْضُوا الْمَحَبَّةَ مُسْتَحَقَّهَا ،
نَظْمٌ مِنْ نَسَجٍ عَلَى مَنَاطِحِهِمْ ، وَلَمْ يَشَارِكْهُمْ إِلَّا فِي أَقْوَالِهِمْ فَلَانٌ . وَالْقَصَايِدُ ،
فِي مَدْحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، الَّتِي كُلُّ قَصِيدَةٍ مِنْهَا عَشْرُونَ بَيْتًا ،
وَتَرْجُمَتُهَا الْوَسَائِلُ الْمُتَقَبِّلَةُ ، وَالْآثَارُ الْمُسَلِّمَةُ الْمُقْبِلَةُ ، مُودَعَةٌ فِي الْعِشْرِينَ^(١)
النَّبَوِيَّةِ ، وَالْحَقَائِقُ اللَّفْظِيَّةُ وَالْمَعْنَوِيَّةُ ، نَظْمٌ مِنْ اعْتَقَدَهَا مِنْ أَزْكَى الْأَعْمَالِ ،
وَأَعَدَّهَا لِمَا يَسْتَقْبِلُهُ مِنْ مُذْهِشِ الْأَهْوَالِ ، وَفَرَعَ خَاطِرُهُ لَهَا ، عَلَى تَوَالِي
الْقَوَاطِعِ ، وَتَتَابَعِ الْأَشْغَالِ ، وَرَجَا بَرَكَتَ خَاتَمِ الرِّسَالَةِ ، وَغَايَةَ السُّودِ
وَالْجَلَالَةِ ، مَحْوًا مَا لَسَلَفَهُ مِنْ خَطِيئَةٍ فِي الْفِعْلِ ، وَزَلَلَ فِي الْمَقَالِ ، وَاللَّهُ
سَبِّحَانَهُ وَلِيُّ الْقَبُولِ لِلتَّوْبَةِ ، وَالْمُنَّانُ بِتَسْوِيغِ هَذِهِ الْمِثْنَةِ الْمَطْلُوبَةِ ، فَذَلِكَ
يَسِيرٌ فِي جَنْبِ^(٢) قُدْرَتِهِ ، وَمَعْهُودُ رَحْمَتِهِ الْوَاسِعَةِ وَمَغْفِرَتِهِ .

شعره

وشعره كثير جداً ، ونشره مشهور وموجود . فمن شعره في غرض الشكر لله
عز وجل ، على غِيْثِ جَاءَ بَعْدَ قَحْطِ :

نعم الإله بشكره تنقيس
فالله يشكر في النوال ويحمد
مدت إليه أكفنا محتاجة
فأنالها من جوده ما نعهد

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الشعرية) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (جانب) .

وأغاثنسا بغماسيم وكافسة
 حملت إلى ظمها البسيطة ربه
 فالجوُّ برّاق والشُّعاع مُنَضَّض
 والأرض في حلى الأني كأنما
 والروض مَطْلُول الخمايل باسم
 تاهت عقول الناس في حركاتها
 فيقول أرباب البطالة تنشني
 وإذا اهتديت إلى الصواب فإنها
 هذا هو الفضل الذي لا ينقضي
 لحضر فؤادك للقيام بشكره
 وانقُضْ يدك من العباد فكلُّهم
 وإذا افتقرت إلى سواه فإنما
 نعم الإله كما تشاهد حُجَّةً
 فانظر إلى آثار رحمته التي
 يا ليت شعري والدليل مُبْلَغ
 من ذا الذي يرتاب أن إلهة
 كل يصرح حاله ومقاله
 ومن شعره أيضاً قوله :

عجباً لمن ترك الحقيقة جانباً
 وابتاع بالحق المُصَحَّح حاضراً
 وغدا لأرباب الصواب مُجانِباً
 ما شاء للزور المُعَلَّل عسايباً

(١) وردت في الإسكوريال (المجلد) . والتصويب من الزيتونة .

من بعد بما قد صار أَنْفَذَ أسهما
لا تَخْذَعْنِكَ سوابقُ من سابق
فلربما اشْتَدَّ الخيـال وعاقه
ولِكم إمامٌ قد أَضُرَّ بفهمه
فانحرف بأفلاطون وأرسطا
ودع الفلاسفة الذمـيم جميعهم
ياطالب البرهان في أوضاعهم
أَعْرِضْتَ عن شطِّ النجاة ملجأً
وصفا الدليل فما نفعت بصفوه
فانظر به، هل ترى مُتَفَلْسِفا
أَعْيَتْهُ أعباءُ الشريعة شدةً
والله أَسْلَ عصمةً وكفـايةً

ومن شعره :

إليك مددتُ الكفَّ في كل شدة
وأنت ملاذُ والأنام بمغزل^(١)
فحقَّقْ رجائي فيك يا ربِّ واكفني
ومن أين أخشى من عدوِّ إساءة
وكم كُرْبَةٌ نَجَّيْتَنِي من غمارها
[فلا قوة عندي ولا لي حيلة]^(٥)

- (١) وردت في الإسكوريال (عاليه) وفي الزيتونة (عليه) . ونعتقد أن التصوب أنـسب للسياق .
(٢) الطريق اللاحظ أي الطريق الواضح .
(٣) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (الهجـي) . والاول جمع .
(٤) هذه الكلمة واردة في الزيتونة ، وساقطة في الإسكوريال .
(٥) هكذا وردت هذه الشطرة في الزيتونة . وفي الإسكوريال (فلا قوة عندي إلى حيلة) .

وأشدَّ عاديةً^(١) وأمضى قاضياً
حتى ترى الإحضار منه عواقباً
دون الصواب هوىً وأصبح غالباً
كتبُ تعبٌ من الضلال كتابياً
طاليس ودونهما تسلك طريقاً لاحقاً^(٢)
ومتألم تأني الأحقِّ الواجباً
أعزَّز على بآنٍ تعمر جانباً
في بحر هلك ليس يُنجي عاطياً
حتى جعلت له الحير^(٣) شايباً
فيمن تسرى إلا دعياً كاذباً
فارتد مسلوباً ويحسب سالباً
من أن أكون عن المحجة ناكباً

فيا مُنْجى المُضْطَرَّ عند دُعَايِهِ أَعْنَى فَقَدْ سُدَّتْ عَلَى مَذَاهِبِ
 رَجَاؤُكَ رَأْسَ الْمَالِ عِنْدَى وَرَبِّحُهُ وَزُهُدُ فِي الْمَخْلُوقِ أَسْنَى الْمَوَاهِبِ
 إِذَا عَجَزُوا عَنْ نَفْعِهِمْ فِي نَفْسِهِمْ فَتَأْمِيلُهُمْ بَعْضَ الظُّنُونِ الْكُوَاذِبِ
 فَيَا مُحْسِنًا فِيمَا مَضَى أَنْتَ قَادِرٌ عَلَى اللَّطْفِ فِي حَالِي وَحُسْنِ الْعَوَاقِبِ
 وَإِنِّي لَأَرْجُو مِنْكَ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ وَإِنْ كُنْتَ حَطَا [فِي] ^(١) كَثِيرِ الْمَعَايِبِ
 [فَصَلِّ عَلَى الْمُخْتَارِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ إِمَامِ الْوَرَى عِنْدَ اشْتِدَادِ النُّوَابِيبِ] ^(٢)
 وَقَالَ فِي مُدْعَى قِرَاءَةِ الْخَطِّ دُونَ نَظَرٍ :

[وَأَدُورُ مِيَّاسَ الْعَوَاطِفِ أَصْبَحْتُ مُحَاسِنَةً فِي النَّاسِ كَالنَّوْعِ فِي الْجِنْسِ] ^(٣)
 يُدِيرُ عَلَى الْقِرْطَاسِ أُنْمُلُ كَفِّسَهُ فَيُدْرِكُ أَخْفَى الْخَطِّ فِي أَيْسَرِ اللَّمَسِ
 فَتَسَالُ فَرِيقُ سِخْرٍ بِبَابِلَ عِنْسِهِ وَقَالَ فَرِيقُ لَيْسَ هَذَا مِنَ الْإِنْسِ
 فَقُلْتُ لَهُمْ لِمَ لَمْ تَفْهَمُوا ^(٤) سِرَّ دَرْكِهِ عَلَى أَنَّهُ لِلْعَقْلِ أَجَلِي مِنَ الشَّمْسِ
 سَتَكْفِهِ ^(٥) حُبُّ الْقَلُوبِ فَأَصْبَحْتُ مَدَارِكَهَا أَجْفَانُ أُنْمُلِيهِ الْخَمْسِ
 وَفَاتِهِ : اسْتَقْدَمَهُ الْمَأْمُونُ ^(٦) عَلَى حَالٍ وَحْشَةٍ ، كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ ، فُورِدَ
 وَرُودُ الرِّضَا عَلَى مَرَاكُشٍ فِي شَعْبَانَ سَنَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَسِتْمَايَةِ . وَتَوَفَّى فِي
 ذِي قَعْدَةٍ بَعْدَهُ ، وَدُفِنَ بِجَبَانَةِ الشَّيُوخِ مَعَ أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ وَقَرْنَاهُمَا ،
 رَحِمَ اللَّهُ جَمِيعَهُمْ .

انتهى السفر التاسع بحمد الله

- (١) زائدة في الزيتونة .
 (٢) هذا البيت وارد في الزيتونة وساقط في الإسكوريال .
 (٣) هذا البيت وارد في الزيتونة وساقط في الإسكوريال .
 (٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (تدركوا) .
 (٥) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (فتكفه) .
 (٦) هو الخليفة الموحد أبو العلاء ولد الخليفة يعقوب المنصور ، وقد تولى الخلافة في ربيع
 الأول سنة ٦٢٧ هـ ، وتوفى في أواخر سنة ٦٢٩ هـ

ومن السفر العاشر العمال الأثرا في هذا الحرف

عبد الرحمن بن أسباط

الكاتب المنجيب ، كاتب أمير المسلمين ، يوسف بن تاشفين .

حاله

لحق به بالعُدوة ، فاتَّصل بخدمته ، وأغراه بالأندلس ، إذ ألقى إليه أمورها على صورتها ، حتى كان ما قرغ الله عز وجل ، من استيلائه على ممالكها ، وخلعه لرؤسائها . وكان عبد الرحمن قبل اتصاله به ، ممتدورا عليه في رزقه ، يتحرَّف بالنسخ ، ولم يكن حَسِن الخط ، ولا مُعَرَّب اللفظ ، إلى أن تَسَيَّر للكتابة في باب الديوان بالمرية ، ورأى خلال ذلك ، في نومه ، شخصا يوقظه ، ويقول له قم يا صاحب رُبْع الدنيا ، وقصَّ رؤياه على صاحب له بمثواه ، فبَشَّرَه ، فطلب من ذلك الحين السُّمُو بنفسه ، فأجاز البحر ، وتعلَّق بحاشية الحُرَّة العَلِيا زينب^(١) ، فاستَكْتَبته . فلما تُوفِّيت الحُرَّة . أقرَّه أمير المسلمين كاتباً ، فزال ماشاء ، مما ترثى إليه الهَمَمُ . جاهاً ومالاً وشهرةً . وكان رجلاً حَصيفاً ، سَكُوناً ، عاقلاً ، مُجَادِي الجاه . حَسِن الوساطة ، شهير المكانة .

توفي فجأةً بمدينة سبته . في عام سبعة وثمانين وأربعمائة . وتقلد

(١) هي زينب بنت إسحاق الفراءية ، زوجة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين . وكانت من قبل زوجة لابن عم أبي بكر المنوي . فطلقها ونزل له عنها ، حينما اعتزم السير إلى الغزو في الصحراء ، حتى لا تشاطره حياة الفقر الحشنة ، وكانت زينب من أجل وأذكى نساء عصرها .

الكتابة بعده ، أبو بكر بن القَصِيرَة . ذكره ابن الصِّيرَفِي (١) .

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن مالك المعافى

وكرر مالك في نسبه

أَوَّلِيَّتُهُ

قالوا من ولد عُقْبَة بن نعيم الداخِل الى الأندلس ، من جند دمشق ،
نزِيل قرية شكنب من إقليم تاجرة الجمل من عمل بَلَدِنَا لَوْشَة ، غرناطى
يكنى أبا محمد .

حاله

كان أبو محمد هذا أحد وزراء الأندلس ، كثير الصَّنَائِع ، جَزَل
المواهب ، عظيم المكارم ، على سُنَن عظماء الملوك ، وأخلاق السادة الكرام .
لم يُر بعده مثله في حال الأندلس ، ذاكرا للفقهِ والحديث ، بارعا في
الأدب ، شاعرا مجيدا ، كاتباً بليغا ، حُلُو الكتابة والشعر ، هُشَا مع وقار ،
لِيناً على مَضَاء ، على الهمة . كثير الخادم والأمل .

من آثاره الماثلة إلى اليوم الحَمَام ، بجوفى الجامع الأعظم من غرناطة .
بدأ بنائه أول يوم من جمادى الأولى سنة تسع وخمسمائة . وشرع في الزيادة
في سَقَف الجامع من صَحْنِه سنة ست عشرة ، وعوض أرجل قسيه ، أعمدة
الرخام ، وجلب الروس والموايد من قرطبة ، وفرش صحنه بِكُذَّان الصُّخِيرَة .
ومن مكارمه أنه لما وُلِّي مُسْتَخْلَص غرناطة وإشبيلية ، وجَّه أميره على بن
يوسف بن تاشفين إلى طُرُوشَة برسم بنائها ، وإصلاح خللها ، فلما استوفى

(١) هذه الترجمة واردة في الإسكوريال وساقطة في الزيتونة .

الغاية فيها ، قلّده ، واستصحب جملة من ماله لمؤنته المختصة به ، فلما احتلّها سال قاضيها ، فكتب إليه جملة من أهلها ممن ضَعُف حاله وقلّ تصبرفه ، من ذوى البيوتات ، فاستعملهم أمانة في كل وجه جميل ، ووسّع أرزاقهم ، حتى كَمَل له ما أراد من عمله . ومن عَجَزَ أن يستعمله ، وصله من ماله ، وصَدَرَ عنها وقد أنعش خلقا كثيرا .

شعره

من قوله في مجلس أطربه ساعه ، وبَسَطَه احتشاد الأنس فيه واجتماعه :
 لا تَلْمَنِي إِذَا طَرِبْتُ لَشَجْوٍ يبعث الأنس فالكریم طُرُوبِ
 ليس شَقُّ الجيوب حتما علينا إنما الحقُّ أن تُشَقَّ القلوب
 وقال ، وقد قَطَفَ غلام من غلمانه نَوَّارة ، ومدَّ بها يده إلى أبي نصر
 الفتح بن عبيد الله^(١) . فقال أبو نصر :

ويَنذِرُ بدا والطَّرْفُ مَطْلَعُ حَسَنِهِ وفي كَفِّهِ من رايق النُّورِ كوكب
 يروح لتعذيب النفوس ويَعْتَدِي ويَطْلُعُ في أفق الجمال وَيَغْرُبُ
 فقال أبو محمد بن مالك :
 ويَحْصِدُ منه الغُصْنُ أَيْ مُهْنَهفٍ يجيئُ على مثل الكَتِيبِ ويذهب

نشره

قال أبو نصر ، كتبتُ إليه مودِّعا ، فكتب إلي مُستَدْعيا ، وأخبرني
 رسوله أنه لما قرأ الكتاب وضعه ، وما سَوَّى ولا فَكَّرَ ولا رَوَى :

يا سيدي ، جرت الأيام بجمع افتراقك ، وكان الله جارك في انطِلاقك ،
 فغَيْرُكَ رُوِّعَ بالظُّعْنِ ، وأوقدَ للدرداع جامع الشَّجَنِ ، فأنت من أبناء هذا

(١) هو أبو نصر الفتح بن خافان مؤلف « قلائد العقيان » ، المتوفى سنة ٥٣٥ هـ ، وقد سبقت الإشارة إليه غير مرة .

الزمن ، خليفةُ الخضر ، لا يستقرُّ على وطن ، كأنَّكَ والله يَخْتار لك
ما تأتيه وما تدعه ، مُوَكَّل بفضاء الأرض تذرعه ، فحسبُ من نوى
يعشرك الاستمتاع ، أن يعدَّكَ من العواري السريعة الارتجاع ، فلا يأسفُ
على قِلَّة الشوى وينشد : وفارقتُ حتى ما أبالي من النوى .

وفاته

اعتلَّ بإشبيلية فانتقل إلى غرناطة ، فزادت علته بها ، وتوفي رحمه الله
بها في غرة شعبان سنة ثمان عشرة وخمسمائة ، ودفن إثر صلاة الظهر من
يوم الجمعة المذكورة بمقبرة باب البيرة ، وحضر جنازته الخاصة والعامة .
« من رثاه » : رثاه ذو الوزارتين أبو عبد الله بن أبي الخصال رحمه الله ،

لقال :

إن كنتَ تشفق من نزوح نواه	فهنالك مقبرةٌ وذا مشواه
قسمَ زمانك عِبرةً أو عِبرةً	وأحِلَّ تشوقه على ذكره
وأغدَّه ما امتدَّت حياتك غايباً	أو عاتباً إن لم تزرُ زُرناه
أو نائماً غلبت عليه رقدةٌ	لمُشهدٍ لم تغتمض عيناه
أو كوكبا سرت الرُّكاب بنوره	فمضى وبلغنا المحلَّ سنه
فمتى تبعد والنفوس تزوره	ومتى تغيب والقلوب تراه
يا واحدأ عدل الجميع وأصلحت	دُنيا الجميع ودينهم دُنياه
طالت أذاتك بالحياء كرامةً	والله يكرم عبده بأذاه
ليشهادة التوحيد بين لسانه	وجنائه نور يرى مسرَّاه
ويوجِّهه سيمى أغرَّ مُحجَّل	مهما بدا لم تلتبس سيماه
وكأنما هو في الحياة سَكينة	لولا ادِّتزازُ في الندى يغشاه
وكانه لحظَّ العُفاة توجُّعا	فتلازمت فوق الفؤاد يسداه

أَبْدَى رِضَى الرَّحْمَنِ عَنْكَ ثَنَاءُهُمْ
يا ذا الذى شَغَفَ القُلُوبَ بِهِ
إِنْ الثَّنَاءَ علامة لِرِضَاهُ
وَذَا لَا تَرْتَجِيهِ وَذَاكَ لَا تَخْشَاهُ
رَسِيعَ الْجَمِيعِ بِظِلِّهِ وَحَنَاهُ
وَنَعَى إِلَى النَّفْسِ مِنْ يَنْعَاهُ
قَدْ كُنْتَ نَاضِرُهُ وَكُنْتَ تَرَاهُ
يَعْتَادُ قَبْرَكَ لِلْبَيْكَا أَسْفَاءَ بِمَا
يَا تُرْبَةً حَلَّ الْوَزِيرِ ضَرْبِهَا
وَسَرَى إِلَيْكَ وَمَنْكَ ذَكَرُ سَاطِعِ
كَالْمَسْكِ عَاطِرَةً بِهِ الْأَفْوَاهُ^(١)

عبد الرحمن بن عبد الملك الينشقي

يكنى أبا بكر ، أصله من مدينة باغة^(٢) ، ونشأ بلبوشة ، وهو محسوب
من الغرناطين .

حاله

كان شيخاً يبدو على مخيلته النبيل والدَّهَاءُ ، مع قُصُور أدواته . يَنْتَحِلُ
النَّظْمَ والنثر ، في أَرَاغِيزٍ يَتَوَصَّلُ بِهَا إِلَى غَرَضِهِ ، من التَّصَرُّفِ فِي الْعَمَلِ .
وجرى ذكره « في التَّاجِ الْمُحَلَّى » وغيره بما نصه : قَارِضُ حَاجٍ ، مُدَاهِنُ
مُدَاجٍ ، أَخْبَثُ مِنْ نَظَرٍ مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ ، وَأَعْدَرُ مِنْ تَلَبُّسٍ بِسَعَارٍ وَفِي ،
إِلَى مَكِيدَةِ مَبْثُوتَةِ الْحَبَايِلِ ، وَإِغْرَاءِ بَقِطْعٍ بَيْنَ الشُّعُوبِ وَالْقَبَايِلِ ، مِنْ
شِيُوخِ طَرِيقَةِ الْعَمَلِ ، الْمُتَقَدِّبِينَ مِنْ أَحْوَالِهَا ، بَيْنَ الصَّحْوِ وَالشُّمْلِ ،
الْمُتَعَلِّلِينَ بِرُسُومِهَا ، حِينَ اخْتَلَطَ الْمَرْعَى بِالْهَمَلِ . وهو ناضلٌ أَرْجَازٌ ، وَمُسْتَعْمَلٌ

(١) وردت هذه الترجمة في الإسكوريال ولم ترد في الأثرية .

(٢) باغة وبالإسبانية Priego بلدة أندلسية من إقليم غرناطة تقع شمال لوشة ، وعلى مقربة

من قلعة يحصب .

حقيقة ومجاز . نظم مُختصر السيرة ، في الألفاظ اليسيرة ، ونظم رَجَزاً في الزَّجَر والقال ، نبّه به تلك الطريقة بعد الإغفال ، فمن نظمه ما خاطبني به مستدعياً إلى إعدار ولده :

أريد من سيدي الأعلى تكلفه على الوصول إلى داري صباح غد
يزيدني شرفاً منه ويُبصر لي صناعة القاطع الحجّام في ولدي
فأجبتّه :

يا سيدي الأوحد الأسمى ومُعتمدي وذا الوسيلة من أهل ومن بلد
دعوت في يوم الاثنين الصُّحاب ضُحي وفيه ما ليس في بيت ولا أحد
يوم السَّلام على المولى وخدمته فاصفح وإن عثرت رجلى فخذ بيدي
والعُذر أوضح من نارٍ على عَلم فعدّ إن غبتُ عن لوم وعن فند
يقيت في ظل عيش لا نفاد له مُصاحباً غير محصور إلى أمد
ومنه أيضاً :

قل لابن سيدٍ والديه لقد علّا وتجاوز المقدار فيما يَفْخَر
ما ساد والده فيُحمد أمره إلّا صغير العُز حتى يَكْبُر
وصدرت عنه مقطوعات في غير هذا المعنى مما عُدّب به الميخني ، منها قوله :
إنّ الولاية رفعةٌ لكنّها أبدا إذا حقّقتها تنتقل
فانظر فضائل من مضى من أهلها تجد الفضائل كلّها لا تُعزل
وقال :

هنيا أبا إسحق دُمت موفّقاً سعيذا قرير العين بالعرّس والعرّس
فأنت كمثل البدر في الحسن والني تملكتهما في الحسن أسنى من الشمس
وقالوا عجيبٌ نور بدرين ظاهر فقلت نعم إنّ أَلِفَ الجنس للجنس
وكتب إلى :

إذا ضاق ذُرعى بالزمان شكّرتّه لمولاي من آل الخطيب فينْفَرَج

هو العُدَّة العظمى هو السيّد الذي بأوصافه الحُسنى المكارم تَبَنَّج
وزيرٌ علا ذاتاً وقدرًا وَمَنْصِبًا فمن دونه أَعْلَا الكواكب يَنْدَرَج
وفى بابهِ نِلْتُ الأمانى وقادى دليلُ رشادى حيث رافَقَنى الفَرَج
فلا زال فى سَعْدٍ وعزٍّ ونعمةٍ تُصان به الأموال والأهل والمُهَج
توفى فى الطاعون عام خمسين وسبعماية بغرناطة^(١)

وفى سائر الأسماء التى بمعنى عبد الله وعبد الرحمن ، وأولاد الأمراء
عبد الأعلى بن موسى بن نصير مولى لخم
أوليته

أبوه المنسوب إليه فتح الأندلس ، ومحطه من الدين والشهرة ،
وعِظَم الصِّيت معروف .

حاله

كان عبد الأعلى أميراً على سُنن أبيه فى الفضل والدين ، وهو الذى
باشَر فتح غرناطة ومالقة ، واستحق الذكر لذلك . قال الرّازى ، وكان
موسى بن نصير ، قد أخرج ابنه عبد الأعلى فيمن رتبّه من الرجال إلى
إلبيرة وتُدْمير ، لفتحها ، ومضى إلى إلبيرة ففتحها ، وضمّ بها إلى غرناطة
اليهود ، مستظهِراً بهم على النّصر ، ثم مضى إلى كورة رِيّه ، ففتحها^(٢)

عبد الحليم بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن نجيو
يكنى أبا محمد ، أوليته معروفة .

(١) وردت هذه الترجمة فى الإسكوريال ، ولم ترد فى الزيتونة .

(٢) وردت هذه الترجمة فى الإسكوريال ولم ترد فى الزيتونة .

وفسد ما بين أبيه وبين جدّه ، أمير المسلمين ، بما أوجب انتيادّه إلى سكنى مدينة سجلماسة ، مُعَزَّزَةً له ألقابُ السلطان بها . مدوّخاً ما بأحوازا من أماكن الرياسة ، منسوبة إليه بها الآثار ، كالسد الكبير الشهير ، وقصور الملك . فلما نزل عنها على حكم أخيه أمير المسلمين أبي الحسن ، وأمضى قتلته بالفِصاد ، نشأ ولده ، وهم عدّة بباب عمّهم ، يسعّهم رِفْدُهُ ، ويقودهم ولده ، ثم جلاهم إلى الأندلس لبّنه السلطان أبو عِنان ، عندما تصيّر الأمر إليه ، فاستقرّوا بغرناطة ، تحت برّ وجراية ، فليقاً بمكانهم من جلاهم ومن بعده ، لإشارة عيون الترشّيح إليهم ، مغازلة من كُتب ، وعودهم بحيث تَعَثَّرَ فيهم المظنّة ، إلى أن كان من أمرهم ما هو معروف .

حاله

هذا الرجل من أهل الخير والعفاف والصّيانة ، ودَمَتِ الخُلُقُ ، وحسن الإدارة ، يألّف أهل الفضل ، خاطبٌ للرُتبة بكل جهد وحيلة ، وسُدَّ عنه باب الأطماع . حُذِّرَ من كان له الأمر بالأندلس من لدُن وصوله ، كى لا تختلف أحوال هذا الوطن في صَرَف وجود أهله إلى غزو عدو البِلّة ، ومُحوّلى القبيلة ، وإعراضهم عن الإغماض في الفِتنة المُسلمة ، وربما عيت عنهم الحركات والهموم . فَتَحَقَّقُوا من فيها عليهم . إلى أن تبرأ ساحتهم ويظن به السكون . فلما دالت الدولة ، وكانت للأخابث الكرّة ، واستقرّت بيد الرئيس الغادر الكرّة ، وكان ما تقدّم الإلماع به من عمل السلطان أبي سالم ملك المغرب . على إجازة السلطان وليّ مُلك الأندلس ، المُزعج عنها بعلّة البَغْي . ذهب الدّايل الأخرق إلى المقارضة . فعندما استقرّ السلطان أبو عبد الله بجبل الفتح . حاول إجازة الأمير عبد الحلّيم إلى تِلْمَسَان بعد مفاوضة . فكان ذلك في أخريات ذى قعدة ، وقد قضى الأمر

في السلطان أبي سالم . وانحلت العُقدة ، وانتكشت المريرة ، وولى الناس الرجل المعتوه . وقد إلى تِلْمَسَان من لم يَرْض محلّه من الإدالة ، ولا قويت نفسه على العِوض ، ولا صابرت غَضّ المخافة ، وحرك ذلك من عزمه ، وقد أنجده السلطان مُستدعيه بما في طَوْقة . ولما اتصل خبره بالقيام بالأمر بفاس ، ومُعْمِل التدبير على سلطانه . أعمل النظر فيهم ، زعموا بتسليم الأمر ، ثم حذر من لحق به من أضداده ، فصمّ على الحصار ، واشتراب بالقبيل المَرِينِي ، وأكثف الحجاب دونهم بما يحرك أنفَتهم ، فنَفَرُوا عنه بواحدة أول عام ثلاثة وستين وسبعماية ، واتفق رأيهم على الأمير عبد الحليم ، فتوجّهت إليه وجهوهم اتّفاقا ، وانثالوا عليه اضطرارا ، ونازل البلد الجديد ، دار الملك من مدينة فاس ، يوم السبت السادس لشهر المحرم من العام . واضطربت المحلات بظاهره ، وخرج إليه أهل المدينة القُدْزِي ، فأخذ بيعتهم ، وخاطب الجهات ، فألقت إليه قواعدها باليد ، ووصلت إليه مخاطباتها .

ومن ذلك ما خوطب به من مدينة سَلا ، وأنا يومئذ بها :

يا إمام الهدى وأيّ إمام أوضح الحق بعد إخفاء رسمه
أنت عبد الحليم حلّمك نر جو فالسمي له نصيب من اسمه

وسلك مسلكا حسنا في الناس ، وقسح الآمال ، وأجمل اللقاء ، وتحمل الجفاء ، واستفز الخاصة بجميل التأتى وأخذ العفو ، والتظاهر بإقامة رسوم الديانة ، وحارب البلد المحصور في يوم السبت الثالث عشر لشهر الله المحرم المذكور ، كانت الملاقاة التي برز فيها وزير الملك ومدير رحاه بمن اشتملت عليه البلدة من الروم والجنود الرُحْل ، واستكثير من آلات الظهور وعُدَد التّهويل ، فكانت بين الفريقين حرب مرة تولى بكبرها الناشبة ،

فأرسلت على القوم حَوَاصِبَ النَّبْلِ ، غارت لها الحَيْلُ ، واقشعرت الوجوه ،
وتقهقرت المواكب . وعندها بَرَزَ السلطان المَعْتُوهُ ، مصاحبةً له نَسَمَةُ
الإقدام ، وتهوّر الشجاعة عند مفارقة الخلال الصَّحِيَّةِ ، وتوالت الشَّدَات ،
وتكالبت الطَّائِفَةُ المحصورة ، فتمرّست بأختها . ووقعت الهزيمة ضُخْوةً
اليوم المذكور على قَبِيلِ بني مَرِين ومن لَفَّ لِفْهَم ، فصَرَفُوا الوجوه إلى
مدينة تازِي ، واستقرّ بها سلطانهم ، ودخلت مِكناسة في أمرهم ، وضاق
ذَرَعُ فاس للمُلكِ بهم ، إلى أن وصل الأمير المُستَدْعَى ، طِيَّةَ الصَّبر ، وأجدى
دَفْعَ الدِّين ، ودخل البلد في يوم الاثنين الثاني والعشرين لصفر من العام .
وكان اللقاء بين جيش السلطان ، لنظر الوزير ، مُطْعَمَ الإمهال ومُعَوَّدَ
الصُّنْع . وبين جيش بني مَرِين ، لنظر الأخ عبد المؤمن ابن السلطان
أبي علي . فرحل القوم من مِكناسة ، وفرّ عنهم الكثير من الأولياء ، وأخلّوا
الْعَرَصَةَ ، واستقروا أخيراً ببلد أبيهم سِجْلَمَاسَة ، فكانت بين القوم
مُهادنة . وعلى أثرها تَعَصَّبَ للأخ عبد المؤمن معظم عرب الجهة ، وقد برز
إليهم في شأن استخلاص الجبابة ، فرجعوا به إلى سِجْلَمَاسَة . وخرج
لمدافعتهم الأمير عبد الحلیم ، بمن معه من أشياخ قبيله والعرب أولى
مظاهر ، فكانت بينهم حرب أَجَلَتْ عن هزيمة الأمير عبد الحلیم ،
واستلّحم للسيف جملة من المشاهير . كالشيخ الخاطب في حَبْلِهِ ، خِذَن
النُّكْر وقادح زَنْد الفِتْنَةِ ، الدَّائِن بالحَمَل على الدول على التفصيل
والجُمْلَةِ . المُعْتَمِد بالمغرب بالرأى والمشورة ، يحيى بن رَحْو بن مَسْطَى
وغیره . وأذعن عبد الحلیم بعدها للخَلْع ، وخرج عن الأمر لأخيه ، وأبقى
عليه ، ونحرج من قتله . وتُعرَّف لهذا الوقت صَرْفُهُ عنه إلى الأرض
الحجازية على صحراء القِبْلَةِ ، فانتهى أمره إلى هذه الغاية .

دخوله غرناطة

قدم على الحضرة مع الجملة من إخوته وبنى عمه في (١)
 جلاهم السلطان أبو عنان ، عندما تصير له الأمر ، فاستقروا بها ، يناهز
 عبد الحليم منهم بلوغ أشده .
 وتوفى (١) وستين وسبعماية (٢)

عبد المؤمن بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن محيى

أخو الأمير عبد الحليم يكنى أبا محمد

حاله

كان رجلا وقورا ، سكونا ، نحيفا ، آية الله في جمود الكف ، وإيثار
 المسك ، قليل المداخلة للناس ، مشتغلا بما يُغنيه من خويصة نفسه ،
 موصوفاً ببسالة وإقدام ، حسن الهيئة . دخل الأندلس مع أخيه ، وعلى
 رسمه ، وتحرك معه ، وابن أخ لهما ، فتولى كثيرا من أمره ، ولقى الهول
 دونه . ولما استقروا بسجلماسة ، كان ما تقرر من توبته على أمره ، والعمل
 على خلعه ، مُعتذرا زعموا إليه ، موفيا حقه ، موجبا تجلته إلى حين
 انصرافه ، ووصل الأندلس خطابه ، يُعرف بذلك بما نصه في المذرجة .
 ولم ينشب أن أحس بحركة جيش السلطان بفاس إليه . فخاطب عميد
 المهاجرة (٣) ، عامر بن محمد المينتاقى ، وعرض نفسه عليه . فاستدعاه .

(١) بياض بالخطوط .

(٢) وردت هذه الترجمة في الإسكوريال ولم ترد في الزيتونة .

(٣) نسبة إلى هكورة وهي إحدى القبائل البربرية المغربية ، انصارية في بلاد اسوس
 جنوب شرق مراكش ، وغرب سلجلماسة .

وَبَدَّلَ لَهُ أَمَانًا . وَلَمَّا تَحَصَّلَ عِنْدَهُ ، قَبِضَ عَلَيْهِ . وَثَقَّفَهُ . وَشَدَّ عَلَيْهِ يَدَهُ ، وَحَصَّلَ عَلَى طَلَبِهِ دَهِيَّةً ، مِنْ التَّوَعُّدِ بِمَكَانِهِ ، وَاتَّخَاذِ الْيَدِ عِنْدَ السُّلْطَانِ بِكَفِّ عَادِيَّتِهِ إِلَى هَذَا التَّارِيخِ ^(١)

وَمِنَ الْأَفْرَادِ أَيْضًا فِي هَذَا الْحَرْفِ وَهُمْ طَارُؤُونَ

عبد الحق بن علي بن عثمان بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق

الأمير المُخَاف بعد أبيه أمير المسلمين أبي الحسن بمدينة الجزائر ، بعد ما تَوَجَّهَ إِلَى الْمَغْرِبِ ، وَجَرَتْ عَلَيْهِ الْهَزِيمَةُ مِنْ بَنِي زِيَّانَ .

حَالُهُ

كَانَ صَبِيحًا ظَاهِرَ السُّكُونِ وَالْأَدَبِ ، فِي سِنِّ الْمَرَاهِقَةِ ، لَمْ يَنْشُبْ أَنْ نَازَلَهُ جَيْشٌ عَدُوٌّ ، وَمَالَاهُ أَهْلُ الْبَلَدِ ، وَأَخَذَ مِنْ مَعِهِ لِأَنْفُسِهِمْ وَلَهُ الْأَمَانُ ، فَنَزَلَ عَنْهَا وَلَحِقَ بِالْأَنْدَلُسِ . قَالَ فِي كِتَابِ « طُرُقِ الْعَصْرِ » ، وَفِي لَيْلَةِ الْعَاشِرِ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ وَسَبْعِمِائَةً ، اتَّصَلَ الْخَبِيرُ مِنْ جِهَةِ السَّاحِلِ ، بِنَزُولِ الْأَمِيرِ عَبْدِ الْحَقِّ ابْنِ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ أَبِي الْحَسَنِ وَمِنْ مَعِهِ ، بِسَاحِلِ شُلُوبَانِيَّةِ ^(١) ، مُفْلِتَيْنِ مِنْ دَهْقِ الشَّدَةِ ، بِمَا كَانَ مِنْ مَنَازِلَةِ جَيْشِ بَنِي زِيَّانَ مَدِينَةَ الْجَزَائِرِ ، وَقِيَامِ أَهْلِهَا بِدَعْوَتِهِمْ ، لَمَّا سَيَّمُوهُ مِنَ الْمَطَاوِلَةِ ، وَنَهَكَهُمْ مِنَ الْفِتْنَةِ ، وَامْتَنَعَ الْأَمِيرُ وَمِنْ مَعِهِ بِقَصَبَتَيْهَا ، وَأَخَذُوا لِأَنْفُسِهِمْ عَهْدًا ، فَنَزَلُوا وَرُكِبُوا الْبَحْرَ ، فَرَاغَتْهُمْ السَّلَامَةُ ، وَشَمَلَهُمْ سَيْتَرُ الْعِصْمَةِ . وَلَحِينَ اتَّصَلَ بِالسُّلْطَانِ خَبَرُهُ ، بِأَدْرِإِلِيهِ بِمُرْكَبَيْنِ ثَقِيلَيْنِ الْحَلِيَّةِ ، وَمَا يَنْسَابُ ذَلِكَ مِنْ بَزَّةٍ ، وَعَجَّلَ مِنْ خِدَامِهِ بِمَنْ يَقُومُ بِبِيرِهِ ، وَأَصْحَبِهِ

(١) وَرَدَتْ هَذِهِ التَّرْجُمَةُ فِي الْإِسْكُورِيَالِ وَلَمْ تَرُدَّ فِي الزَّيْتُونَةِ .

(٢) شُلُوبَانِيَّةٌ وَبِالْإِسْبَانِيَّةِ Salobrena ثَغْرِ أُنْدَلُسِ صَغِيرٍ يَقَعُ عَلَى الْبَحْرِ الْمُتَوَسِّطِ جَنُوبِي غَرْنَاطَةِ وَقد سبق التعريف بها (أنظر ص ١١٢ من المجلد الأول حاشية) .

إلى منزل كرامته ، ولرابع يوم من وصوله . كان قدومه ، وبرز له السلطان
بروزاً فخماً ، ونزل له ، قارضاً إياه أحسن القرض ، بما أسلفه من يد ،
وأسداه من طول . وأقام ضيفاً في جواره ، إلى أن استدعاه أخوه ملك
المغرب ، فانصرف عن رضى منه ، ولم ينشب أن هلك مُغتالاً في جُملة
أرذاهم الترشيح^(١) .

عبد الواحد بن زكريا بن أحمد اللحياني

يكنى أبا ملك . وبيتُه في الموحدين الملوك بتونس . وأبوه سلطان
إفريقية المترقى إليها من رتبة الشياخة الموحدية .

حاله

كان رجلاً طوالاً نحيفاً ، فاضلاً حسيباً ، مقبياً للرُسوم الحسبية ،
حسن العشرة ، معتدلاً الطريقة . نشأ بالبلاد الشرقية ، ثم اتصل بوطنه
إفريقية ، وتقلد الإمارة بها برهة يسيرة ، ثم فر عنها ولحق بالمغرب ،
وجاز إلى الأندلس ، وقدم على سلطانها ، فرحب به ، وقابله بالبر ، ونوه
محلّه ، وأطلق جرابته ، ثم ارتحل أدراجه إلى العُدوة ، ووقعت بيني وبينه
صُحبة ، أنشدته عند وداعه :

أبا ملك أنت نجلُ الملوك	غيوثُ الندى وليوثُ النزال
ومثلك يرتاح للمكرّمات	ومالك بين الورى من مثال
عزيزُ بأنفسنا أن نرى	ركابك مؤذنة بارتحال
وقد خبرتُ منك خلقاً كريماً	أناف على درجات الكمال

(١) وردت هذه الترجمة في الإسكوريال . ولم ترد في الزيتونة .

وفازتْ لديكِ بساعات أنس كما زار في النوم طيف الخيال
فلولا تعلُّدنا أننا نزورك فسوق بساط الجلال
ونبلغ فيك الذي نشتهى وذلك على السهل المنال
لما فترت أنفُس من أسي ولا برحت أدمع في انهمال
تلقَّتك حيث اختللت السُعود وكان لك الله على كل حال^(١)

ومن ترجمة الأعيان والوزراء والأمائل والكبرا

عبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق بن محيُو

يكنى أبا إدريس ، شيخ الغزاة بالأندلس .

حاله

كان شجاعاً عفيفاً تقياً ، وقوراً جليداً ، معروف الحق ، بعيد الضيعة .
نازع الأمر قومه بالمغرب ، وانتزى بمدينة تازي ، على السلطان أبي الربيع ،
وأخذ بها البيعة لنفسه . ثم ضاق ذُرْعُهُ ، فعبر فيمن معه إلى تلمسان .
ولما هلك أبو الربيع ، وولى السلطان أبو سعيد ، قدّم للكتّيب في شأنه إلى
سلطان الأندلس ، وقد تعرّف عزمه على اللحاق ، ولم ينشب أن لحق
بالمريّة من تلمسان ، فثُقِفَ بها ، قضاةً لِحَقٍّ من خاطب في شأنه . ثم بدا
للسلطان في أمره ، فأوعز لرُقباه في الغفلة عنه . وفرّ فلحق ببلاد النصرى^(٢)
فأقام بها ، إلى أن كانت الوقعة بالسلطان بغرناطة ، بأحواز قرية العطشا
على يد طالب المُلْك أمير المسلمين أبي الوليد . وأسير يومئذ شيخ الغزاة
حمو بن عبد الحق ، وترجّع الرأي في إطلاقه وصرفه . إعلانا للتهديد .

(١) وردت هذه الترجمة في الإسكوريال . ولم ترد في الزيتونة .

(٢) ومعناها هنا النصرى أى بلاد ملك النصرى أو ملك قشتالة .

فنجحت الحيلة ، وعُزل عن الخُطة ، واستُدعى عبد الحق هذا إليها ، فوصل غرناطة ، وقُدِّم شيخا على الغزاة . ولما تغلب السلطان أبو الوليد على الأمر ، واستوسق له ، وكان ممن شمله أمانه ، فأقره مرووساً بالشيخ أبي سعيد عثمان بن أبي العلاء برهة . ثم لحق بأمره المخلوع نصر ، المستقرّ مُوَادَعاً بوادي آش ، وأوقع بجيش المسلمين مظاهر الطاغية ، الوقية الشنيعة بقرمونة ، وأقام لدية مُدَّة . ثم لحق بأرض النّصرى ، وأجاز البحر إلى سبتة . مظاهراً لأمرها أبي عمرو يحيى بن أبي طالب العزفى ، وقد كشف القيناع فى مُنايذة طاعة السلطان ، ملك المغرب ، وكان أملك لما بيده . وأُتيح له ظفرٌ عظيم على الجيش المُضيق على سبتة ، فبيته وهزمه . وتخلّص له ولده ، الكاين بمضرب أمير الجيش فى بيت من الخشب رهينة ، فصُرف عليه ، فما شئت من ذبايح شهرة ، وبعد صبت ، وكرم أخذوته . ثم بدا له فى التّحول إلى تلمسان ، فانتقل إليها ، وأقام فى إيالة ملكها عبد الرحمن بن موسى بن تاشفين إلى آخر عمره .

وفاته

توفى يوم دخول مدينة تلمسان عتوة . وهو يوم عبد الفطر من عام ثمانية وثلثين وسبعماية ، قُتل على باب منزله ، يُدافع عن نفسه ، وعلى ذلك فلم يُشهر عنه يومئذ كبير غناء ، وكُور واستلحم ، وحز رأسه . وكان أسوة أميرها فى المَحْيَا والمَمَات : رحم الله جميعهم . فانتقل بانتقاله وقُتل بمقتله . وكان أيضاً علماً من أعلام الحروب . ومثلاً فى الأبطال . وليثاً من ليوث النّزال^(١) .

(١) وردت هذه الترجمة فى الإسكوريال . ولم ترد فى الزبيدة .

عبد الملك بن علي بن هذيل الفزاري وعبد الله أخوه

حاليهما

قال ابن مسعدة ، أبو محمد وأبو مروان توليا خُطّة الوزارة في الدولة الحَبْشِيَّة^(١) ، ثم توليا القيادة بشغور الأندلس ، وقهرا ما جاورهما من العدو ، وغلباه . وسَمَيَاهُ كَأْسَ المنايا ، وجَرَّعَاهُ . ولم يَزَلَا قائِمين على ذلك ، ظاهرين عَلمَين ، إلى أن اسْتَشْهَدَا رَحِمَهُمَا اللهُ^(٢) .

عبد القهار بن مفرج بن عبد القهار بن هذيل الفزاري

حاله

قال ابن مسعدة ، كان بارع الأدب ، شاعرا . نحويا ، لُغَوِيَا ، كاتباً متوقِّدَ الذهن ، عنده معرفة بالطب ، ثم اعتزل الناس ، وانقَبَضَ ، وقصد سُكْنَى الْبِشَارَاتِ^(٣) ، لينفرد بها ، ويُخْفِي نفسه ، فرارا من الخدمة ، فنهياً له المراد .

شعره

وكان شاعرا جيّد القريحة سريع الخاطر ، ومن شعره :

يا صاح لا تعرض لزَوْجِيَّة كلُّ البَلا من أَجلِها يَغْتَرَى
الفقر والدُّل وطول الأَسَى لستُ بما أذكره مُفْتَرَى

(١) نسبة إلى حبوس بن ماكسن ، أمير غرناطة ، وأول أمرائها من البربر أيام الطوائف وقد حكم من سنة ٤١١ إلى سنة ٤٢٨ هـ .

(٢) وردت هذه الترجمة في الإسكوريال ولم ترد في الزيتونة .

(٣) هي المنطقة الجبلية الواقعة بين جبال سيرا نفادا (جبل شلير) وبين البحر جنوبي غرناطة ، وقد سبق التعريف بها . (أنظر ص ١٦٨ من هذا المجلد من الإحاطة) .

ما في فم المرأة شيء سوى اشترلي واشترلي واشتر^(١)

القضاة الفضلاء وأولا الأصليون

عبد الحق بن غالب [بن عطية]^(٢) بن عبد الرحمن بن غالب بن
عبد الرؤوف بن تمام بن عبد الله بن تمام بن عطية بن خالد بن
عطية بن خالد بن خفاف بن أسلم بن مكثوم المحاربي

أوليّته

من ولد زيد بن مُحارب بن عطية ، نزل جدّه عطية بن خفاف بقرية
قِسلة من زاوية غرناطة ، فأنسل كثيراً ممن له خطرٌ ، وفيه فضل .

حاله

كان عبد الحق فقيهاً ، عالماً بالتفسير والأحكام والحديث والفقه ،
والنحو والأدب واللغة ، مُقيّداً حسن التقييد ، له نظم ونثر ، وُلّي القضاء
بمدينة ألمرية في المحرم سنة تسع وعشرين وخمسمائة ، وكان غاية في الدّهاء
والذكاء ، والتّهمم بالعلم ، سرى الهمة في اقتناء الكتب . توتّى الحق ،
وعَدَل في الحكم ، وأعزّ الخُطة .

مشيخته

روى عن الحافظ أبيه ، وأبوى على الغسانی والصّدفي ، وأبي عبد الله
محمد بن فرج مولى الطلاع ، وأبي المُطرّف الشعبي ، وأبي الحسين بن البيان ،
وأبي القاسم بن الحصار المقرئ ، وغيرهم .

(١) وردت هذه الترجمة في الإسكوريال . ولم ترد في الزيتونة .

(٢) الزيادة من الزيتونة .

تواليفه

ألف كتابه المسمى « بالوجيز في التفسير » فأحسن فيه وأبدع ، وطار
بحسن نيته كل مطار . وألف برنامجاً ضمنه مرويّاته ، وأسماء شيوخه ،
وجرّز وأجاد .

شعره

قال الملاحى ، ما حدثني به غير واحد من أشياخه عنه ، قوله :
وليلة جيت^(١) فيها البجدع مُرتديا بالسيف أسحب أذبالا من الظلم
والنجم حيران في بحر الدجا غرق والبذر في طيلسان الليل كالعلم
كأنما الليل زنجى بكاهله جرح فيثغب أحيانا له بدم
وقال يندب عهد شبابه :

سقياً لعهد شباب ظلت أمرح في ريعانه وليالى العيش أسحر
أيام روض الصبا لم تلو أغصنه وروّق العمر غصن والهوى حمار
والنفس تركض في تضمين ثرتها طرفاً له في زمان اللهو إحضار
عهداً كريماً ليسنا منه أردية كانت عيوناً ومحييت فهي آثار
مضى وأبقى بقلبي منه نار أسي كوني سلاماً أو برداً فيه يا نار
أبعد أن نعت نفسي وأصبح في ليل الشباب لصبح الشيب أسفار
ونازعتني الليالى وانثنت كسراً عن ضيغم ماله ناب وأظفار
ألا سلاح خلال أخلصت فلها في منهل المجد إيراد وإصدار
أضبو إلى روض عيش روضه خصل أو ينثنى بي عن اللقيا إقصار
إذا تعطلت كفى من شبا قلم آثاره في رياض العلم أزهار

(١) مكدا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (بات) .

من روى عنه

روى عنه أبو بكر بن أبي جَمْرَة ، وأبو محمد بن عبد الله ، وأبو القاسم بن حُبَيْش ، وأبو جعفر بن مَضَاء ، وأبو محمد عبد المنعم ، وأبو جعفر ابن حَكَم ، وغيرهم .

مولده : ولد سنة إحدى وثمانين وأربع مائة .

وفاته : توفى في الخامس والعشرين لشهر رمضان سنة ست وأربعين وخمس مائة بمدينة لُورَقَة^(١) . قَصَدَ مرسية يتولى قضاءها ، فُصِدَ عنها ، وَصُرِفَ منها إلى لُورَقَة ، اعتداء عليه .

عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم بن فرج الخزرجي

من أهل غرناطة ، يكنى أبا محمد ، ويعرف بابن الفَرَس ، وقد تقدم ذكر طائفة من أهل بيته .

حاله

كان حافظاً جليلاً ، فقيهاً ، عارفاً بالنحو واللغة ، كاتباً بارعاً ، شاعراً مطبوعاً ، شهير الذكر ، على الصُّبَيْت . وُلِّيَ القضاء بمدينة شُفَر ، ثم بمدينة وادي آش ، ثم بجيَّان ، ثم بغرناطة ، ثم عُزل عنها ، ثم وَلَّيَها الولاية التي كان من مُضَمَّن ظَهِيرِهَا ، قول المنصور له ، أقول لك ما قاله موسى عليه السلام لأخيه هرون ، إخْلِفْنِي فِي قَوْمِي ، وَاصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ، وجعل إليه النظر في الحِسْبَة ، والشُّرْطَة ، وغير ذلك ،

(١) سبق التعريف بها (انظر المجلد الأول من الإحاطة ص ٤١٢ حاشيته) .

فكان إليه النظر في الدماء فما دُونها ، ولم يكن يُقطع أمرٌ دُونه ببلده وما يرجع إليه .

وقال ابن عبد الملك ، كان من بيت علم وجلالة ، مُستبحراً في فنون المعارف ، على تفاريقها ، متحققاً بها ، نافذاً فيها ، ذكياً القلب . حافظاً للفقهِ . استظهر أوان طلبه للكتابيين ، المُدَوَّنة ، وكتاب سيبويه وغيرهما ، وعُني به أبوه وجده عناية تامة . وقال أبو الربيع بن سالم ، سمعت أبا بكر ابن الجُدِّ ، وحسبك شاهداً ، يقول غير ما مرة ، ما أعلمُ بالأندلس ، أحفظَ لمذهب مالك من عبد النعم بن الفرس ، بعد أبي عبد الله بن زرقون .

مشيخته

روى عن أبيه الحافظ أبي عبد الله ، وعن جده أبي القاسم ، سمع عليهما وقرأ ، وعن أبي بكر بن النفيس ، وأبي الحسن بن هذيل ، وأبي عبد الله ابن سعادة ، وأبي محمد عبد الجبار بن موسى الجذامي ، وأبي عامر محمد ابن أحمد الشُّلبي ، وأبي العباس أحمد وأخيه أبي الحسن ابن زيادة الله . هذه جملة من لقي من الشيوخ وشافهه وسمع منه . وأجاز له من غير لقاء وبعضهم باللقاء من غير قراءة ، ابن ورد ، وابن بَقِي . وأبو عبد الله ابن سليمان التونسي ، وأبو جعفر بن قبال ، وأبو الحسن بن الباذش ، ويونس بن مغيث ، وابن مُعَمَّر ، وشريح ، وابن الوحيد ، وأبو عبد الله ابن صاف . والرُّشاطي ، والجُميري ، وابن وضاح ، وابن موهب ، وأبو مروان الباجي ، وأبو العباس بن خلف بن عيشون ، وأبو بكر بن

طاهر ، وجعفر بن مكي ، وابن العربي ، ومساعد بن أحمد بن مساعد ،
وعبد الحق بن عطية ، وأبو مروان بن قزمان ، وابن أبي الخصال . وعياض
ابن موسى ، والمآزري ، وغيرهم .

تواليافه

ألف عدة توالياف ، منها كتاب الأحكام ، ألفه وهو ابن خمسة وعشرين
عاماً ، فاستوفى ووفى ، واختصر الأحكام السلطانية ، وكتاب النسب
لأبي عبيد بن سلام ، وناسخ القرآن ومنسوخه لابن شاهين ، وكتاب
المُحتسب لابن جني . وألف كتاباً في المسائل التي اختلف فيها النحويون
من أهل البصرة والكوفة ، وكتاباً في صناعة الجدل . ورد على ابن غرسية
في رسالته في تفضيل العجم على العرب . وكتب بخطه من كتب العربية
واللغة والأدب والطب وغير ذلك .

من روى عنه

حدث عنه الحافظ أبو محمد القرطبي ، وأبو علي الرندي ، وإبنا
حَوْطِ اللَّهِ ، وأبو الربيع بن سالم ، والجهم الغفير .

شعره

[أبا ما بقلبي اليوم أن يتكثما	وحسبك بالدمع السفوح مترجما
وأعجب به من آخرسبات مفصحا	يُبِينُ للواشين ما كان مُبهما
فكم عبرة في نهر شقر بعثتها	سباقا فأمسى النهر مُختضبا دما
يرجع ترجيع الأنين اضطراة	كشكوى الجريح للجريح نالما
كَمَلْنُ بصحبي في قوفة الدمع نائر	شقايق نيمان على متن أرقما
ولله ليل قد لبست ظلامه	راداً بأنوار النجوم مُنحما

أناوح فيه الورق فوق غصونها
ومالي إلا للفرقدين مُصاحب
أبيتُ شتيت الشمل والشمل فيهما
فيا قاصداً تُدمِر عَرَج مُصافحا
وأعلم بأبواب السلام صبابتي
وإن طُفْتُ في تلك الأجارع لا تُنْصِع
وما ضرّها لو جاذبت ظبية النقا
فيُثنى قضيباً أثمر البدر مايساً
وما كنت إلا البدر وافي غمامة
وما ذاك من هجر ولكن لشقوة
فيا ليتني أصبحت في الشعر لفظة
ولله ما أذكى نسيمك نفحة
ولله ما أشفى لِقاك للجوى
وما الراح بالماء القراح مشوبة
فمالي وللأيام قد كان شملنا
وما جنيتُ الطيب من شهد وصلها
وقد ذقت طعم البين حتى كأنني
فمن لفؤاد شطره حازه الصوى
ويا ليت أن الدار حان مزارها
ولو صح قرب الدار لي لجعلته إلى
فقد طال ما ناديت سيراً وجهرة
ومن شعره :

فكم أوزقَ منهنّ قد بات مُعجماً
ويا بُعد حالي في الصّباية منهما
جَميعُ كما أبصرتُ عقداً مُنظّماً
نسألك رَسماً بالعقيق ومعلّماً
كما كان عَرَف المسك بالمسك علماً
بحقّ هواها إن لم تَلِم مُسلّماً
فضول رداء قد تَغَشَّته مُعلّماً
بحقّف مسيل لقه السيل مُظلماً
فما لاح حتى غاب فيها مُغيماً
أبت أن يكون الوصل منها مُتمّماً
تردّدني مهما أردت تفهّماً
أأنت أعزت للروض طيباً تنسماً
كأنك قد أصبحت عيسى بن مريم
بأطيب من ذكراك إن خامرت فما
جميعاً فأضحى في يديها مُقسماً
جنيتُ من التّبيد للوصل علقماً
لألفة من أهواه ما ذقت مطعماً
وشطراً لإحراز الثّواب مُسلّماً
فلو صح قرب الدار أدركت مغناً
مرنق السلوان والصبر سلّماً
عسى وطن يدنو بهم ولعلّماً ؟

سلامٌ على من شَفَّنِي بعدُ داره
ومن هو في عَيْنِي أَلَدُّ من الكَرَى
سلامٌ عليه كلما ذرَّ شارق
لَعَمْرُكَ ما أَخْشَى غداة وداعنا
وسال على الخدَّين دمعٌ كأنه
وعانقتُ منه غُصْنٌ بانٍ منعمًا
وأصِبتُ في أرضٍ وقلبي بغيرها
نأى وجهٌ من أهوى فأظلم أفقه
سَلَى البرق عن شَوْقِي يُخْبِرُكَ بالذى
وهل هو إلَّا نارٌ وَجُدَى وكلما
ومن شعره أيضًا رحمة الله عليه :

أَقْرَأُ على شِنْجِلٍ^(٢) سلاما
من مُغْرَمِ القلب ليس ينسى
إذا رأى مَنْظَرًا سواه
وإن أتى مَشْرَبًا حميدا
وقَفَ بَنَجْدٍ وقسوف صب
وأندب أراكا بشُعب رَضْوَى
وأذكر شبابًا مضى سريعا

أَطِيبٌ من عَرَفَه نَسِما
مَنْظَرُه الرايق الوَسِما
عاف الجَنَنِ منه والشِّمِما
كان وإن راقه ذَمِما
يستذكر الخِمْدَن والحَمِما
قد رَجَعَت بعدنا مَشِما
أصِبتُ من بعده سقيما

(١) هذا الشعر المحصور بين الحاصرتين وارد في الاسكوريال وساقط في الرهوضة .
(٢) شنجل يقصد بها هنا نهر شفيل ، وهو فرع الوادى الكبير الذى تقع عليه غرناطة ،
ويعرف عند الأندلسيين أيضا بنهر سنجيل أو شنجيل محرفا عن اسمه اللاتينى Singilis . وقد سبق
التعريف به (راجع المجلد الأول من الإحاطة ص ١٦٨)

هيهات ولى وجاء شيبٌ وكيف للقلب أن يهيما
 ما يصلح الشيب غير تقوى تخجُب عن وجهه الجعيما
 فى كل يوم له ارتحال أعجب به طاعناً مقيما
 ما العمر إلا لديه دين قد آن أن يقضى الغريما
 فعند إلى تسوية نصوح وارج إلهام بنا رحىما
 قد سبق الوعد منه حتى أطمع ذا الشقوة النعيما

مولده فى سنة أربع وعشرين وخمسمائة

« وفاته » : عصر يوم الأحد الرابع من جمادى الآخرة سنة سبع
 وتسعين وخمسمائة . وشهد دفنه بباب البيرة الجم الغفير ، وازدحم الناس
 على نعشه حتى حملوه على أكفهم ومزقوه . وأمر أن يكتب على قبره :
 عليك سلام الله يا من يُسلم ورحمته ما زرتنى ترحم
 أتحنبنى وحدى نُقلت إلى هنا ستلحق بى عما قريب فتعلم
 فىا لمن يُمسى لندياه مؤثرا ويُهمل أخراه ستشقى وتندم
 فلا تفرحن إلا بتقديم طاعة فذاك الذى يُنجى غدا ويُسلم

ومن غير الأصليين

عبد الحكيم بن الحسين بن عبد الملك بن يحيى بن باسيو بن تاذررت

الشمالى الدرنازىنى ثم الواغدينى

أصله من تينملل^(١) من نظر مراكش ، وانتقل جدّه عبد الملك مع

(١) تينملل بلدة من بلاد السوس بالمغرب الأقصى ، تقع فوق سفح جبال الأطلس جنوب
 غرب مراكش . وقد اتخذها المهدي ابن تومرت فى أواخر حياته مركزا لدعوته ورياسته ، وأقام
 بها مسجده الذى ما زال باقيا إلى اليوم ، ثم دفن فيه عقب وفاته .

الخليفة عبد المؤمن بن علي إلى إقليم بجاية . ونشأ عبد الملك ببجاية ، وانتقل إلى تونس في حدود خمسة وثمانين . وورد أبو محمد الأندلس في حدود سبعمائة .

حاله

من تعريف شيخنا أبي البركات : كان من أهل المعرفة ، بالفقه وأصوله ، على طريقة المتأخرين . وكان مع ذلك رجلاً كريم النفس . صادق اللّهجة ، سليم الصدر ، مُنصفاً في المذاكرة . قلتُ يجمع هذا الرجل إلى ما وصفه به ، الأصالة ببلده إفريقية . وثبتُ اسمه في « عايد الصلة » بما نصه : الشيخ الأستاذ القاضي ، يكنى أبا محمد . كان رحمه الله من أهل العلم بالفقه ، والقيام على الأصلين ، صحيح الباطن ، سليم الصدر ، من أهل الدين والعدالة والأصالة . بثَّ في الأندلس علم أصول الفقه ، وانتفع [به] ^(١) . وتصرف في القضاء في جهات .

مشيخته

منقولاً من خطِّ ولده الفقيه أبي عبد الله صاحبنا ، الكاتب بالدار السلطانية . قرأ ببلده على الفقيه الصدر أبي علي بن غنوان ، والشيخ أبي الطاهر بن سرور . والإمام أبي علي ناصر الدين المُشْدالي ، والشيخ أبي الشَّمل جماعة الحلبي ، والشيخ أبي الحجاج بن قُسوم وغيرهم . [ومن خطِّ المحدث أبي بكر بن الزيات ، يحمل عن أبي الطاهر بن سرور ، وعن أبي إسحق بن عبد الرقيق] ^(٢) .

(١) أضفنا هـ الكلمة ليستقيم السياق .

(٢) ما بين الحاصرتين وارد في نهاية الفقرة الخاصة « بتواليه » ولكننا رأينا أنها أولى

بأن توضع مع « المشيخة » .

تواليافه

من تواليافه : « المعانى المُبتكرة الفكرية فى ترتيب المعالم الفقهية » ،
« والإيجاز فى دلالة المجاز » ، ونُصرة الحق ، وردّ الباغى فى مسألة الصّدقة
ببعض الأضحية ، والكُرّاس المرسوم « بالمباحث البديعة فى مقتضى الامر
من الشريعة » .

مولده

ببجاية فى أحد لجمادى الأولى من عام ثلاثة وستين وستمائة .
وتوفى قاضيا بشالش^(١) يوم الجمعة ، و. الرابع عشر لجمادى
الأولى من عام ثلاثة وعشرين وسبعماية . ودفن ببجاية باب إلبيرة
بمقربة من قبرولى الله أبى عبد الله التونسى . وكانت جنازته مشهورة^(٢) .

ومن المقرين والعلماء

عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هرون بن جلهمة^(٣) بن
العباس بن مرداس السامى

أصله من قرية قورت ، وقيل حصن واط من خارج غرناطة ، وبها
نشأ وقرأ .

حاله

قال ابن عبد البر . كان جماعا للعلم ، كثير الكتب . طويل اللسان ،

(١) لم نجد فى القرى الغرناطية المعاصرة ، أية بلدة يتفق إسمها أو يقترب من اسم هذه البلدة
والظاهر أنها من الأماكن التى دثرت .

(٢) هذه الترجمة واردة فى الإسكوريال . وساقطة فى الزيتونة .

(٣) كذا فى الإسكوريال والزيتونة ، وفى ترتيب المدارك (الرباط ج ٤ ص ١٢٢) .

فقيها ، نحويا ، عَرُوضيا ، شاعرا ، نُسابة ، إخبارياً . وكان أكثر من
يختلف إليه ، الملوك وأبناؤهم . قال ابن مخلوف ، كان يأتي إلى معالي
الأُمور . وقال غيره ، رأيته يخرج من الجامع ، وخلفه نحو من ثلاثمائة ،
بين طالب حديث ، وفرايض ، وفقه ، وإعراب ، وقد رتب الدُّول
عليه ، كل يوم ثلاثين دولة ، لا يُقرأ عليه فيها شيء الا تواليغه ،
وموطاً مالك . وكان يلبس الخَزَّ والسَّعيد^(١) . قال ابن نمير ، وإنما كان
يفعله إجلالا للعلم ، وتوقيرا له . وكان يلبس إلى جسمه ثوب
شعر ، وكان صَوَّاما قَوَّاما . وقال المغاسي ، او رأيته ما كان على
باب ابن حبيب ، لازدريتَ غيره . وزعم الزَّبيدي ، أنه نعى إلى سُحنون^(٢)
فاسترجع ، وقال مات عالم الأندلس . قال ابن القَرَضِي ، جمع إلى إمامته
في الفقه ، التبحُّج في الأدب ، والتفنُّن في ضروب العلوم ، وكان فقيها
مُفتيا . قال ابن خَلَف أبو القاسم الغافقي ، كان له أرضٌ وزبتون بقرية
بيرة من طوق غرناطة ، حبَّس جميع ذلك على مسجد قرطبة . وله ببيرة
مسجد ينسب إليه . وكان يهبط من قرية قورت يوم الإثنين والخميس
إلى مسجده ببيرة ، فيُقرأ عليه ، وينصرف إلى قريته .

مُشِيخَتُهُ

روى عن صَعَصَعَة بن سلام ، والغازي بن قيس ، وزباد بن عبد-
الرحمن . ورحل إلى المشرق سنة ثمان ومائتين . وهو ابن ثلاث وثلاثين

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (السعيرى) .

(٢) سحنون بن سعيد من أعظم أقطاب الفقه المالكي ، وازدهرت مدرسته الفقهية بالمغرب واند

في أوائل القرن الثالث ، وتوفي بها سنة ٢٤٠ هـ .

سنة ، وكانت رحلته من قريته بنمحص غرناطة^(١) . وسمع فيها من عبد الملك بن الماجشون ، ومطرّف بن عبد الله ، وأضبغ بن الفرج ، وابنه موسى ، وجماعة سواهم ، وأقام في رحلته ثلاثة أعوام وشهورا . وعاد إلى البيرة ، إلى أن رحله عبد الرحمن بن الحكم إلى قرطبة ، في رمضان سنة ثمان عشرة ومائتين .

« من روى عنه » : سمع منه إبنه محمد وعبد الله ، وسعيد بن نمر ، وأحمد بن راشد ، وإبراهيم بن خالد ، وإبراهيم بن شعيب ، ومحمد بن قُطيس . وروى عنه من عظماء القرطبيين ، مطرّف بن عيسى ، وبقي بن مغلّ ، ومحمد بن وضّاح ، والمقامي في جماعة .

تواليافه

قال أبو الفضل عياض بن موسى ، في كتابه في أصحاب مالك^(٢) قال بعضهم ، قلت لعبد الملك بن حبيب . كم كُتُبُك التي ألّفت ، قال ألّفُ كتاب وخمسون كتابا . قال عبد الأعلى ، منها كتب المواعظ سبعة ، وكتب الفضائل سبعة ، وكتب أجواد قريش وأخبارها وأنسابها خمسة عشر كتابا ، وكتب السلطان وسيرة الإمام ثمانية كتب ، وكتب الباه والنساء ثمانية ، وغير ذلك . ومن كتب سماعته في الحديث والفقه ، وتواليافه في الطب ، وتفسير القرآن . ستون كتابا . وكتاب المغازي ، والناسخ والمنسوخ ، ورغائب القرآن ، وكتاب الرّهون والحديثان^(٣) . خمسة وتسعون كتابا . وكتاب مقام رسول الله صلى عليه وسلم ، اثنان وعشرون

(١) فحص غرناطة La Vega de Granada ، هو البسيط الأخضر الواقع جنوب شرق غرناطة . وقد سبق التعريف به (راجع المجلد الأول من الإحاطة ص ٩٩) .

(٢) هو كتاب « ترتيب المدارك ، وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك » .

(٣) وردت في الإسكوريال (المغازي) مرة أخرى ، والتصويب من الزيتونة .

لا تَنْسَ لا يُنْسِكَ الرحمن عاشوراء واذكره لازلت في الأحياء مذكورا
قال الرسول صلاة الله تَشْمَلْهُ قولاً وجدنا عليه الحق والنورا
من بات في ليل عاشوراء ذا سَعَةِ يَكُنْ بَعِيشُهُ في الحَوْلِ محبورا
فارغب فديتُكَ فيما فيه رَغَبْتَنَا خير الورى كلَّهم حيّاً ومقبورا

وفاته

توفي في ذى الحجة سنة ثمان وثلاثين . وقيل تسع وثلاثين ومايتين .
قال ابن خَلَف ، كان يقول في دعائه ، إن كنت يارب راضيا عني ،
فاقبضني إليك قبل انقضاء سنة ثمان وثلاثين ، فقبضه الله في أحب
الشهور إليه ، رمضان من عام ثمانية وثلاثين ، وهو ابن أربع وستين
سنة . وصلى عليه ولده محمد ، ودفن بمقبرة أم سلمة بقبلي محراب
مسجد الضيافة من قرطبة . قالوا ، والخبر متصل ، إنه وُجد جسده
وكفنه واقرين لم يتغيرا بعد وفاته ، بتسع وأربعين سنة ، وقُطعت من
كفنه قطعة ، رُفعت إلى الأمير عبد الله ، وذلك عندما دُفن محمد بن
وضّاح إلى جنبه ، رحمهم الله . ورثاه أبو عبد الله الرشاش وغيره ، فقال :

لئن أَخَذْتُ منا المنايا مُهَذَّبَا وقد قل^(١) فيها من يُقال المهذّب
لقد طاب فيه الموت والموت غِبْطَةً لمن هو مغموم الفؤاد مُعَذَّب

ولأحمد بن ساهي فيه :

ماذا تَضْمَنَ قبرٌ أنت ساكنه من التقي والندي ياخير مفقود
عجبت للأرض في أن غيبتك وقد ملأتها جكماء في البيض والسود

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (قين)

قلت^(١) . فلو لم يكن من المفاخر العرناطية إلا حد الحشر لكان

ومن الطارئين عليها

عبد الواحد بن محمد بن علي بن أبي السداد الأموي الماتقي ، الشهير بالباهلي

حاله

كان رحمه الله بعيداً المدى ، منقطع القرين في الدين المتيقن والصالح .
وسكون النفس ، ولين الجانب . والتواضع . وحسن الخلق . إلى وسامة
الصورة . وملاحاة الشئبة ، وطيب القراءة . مولى النعمة على الطلبة
من أهل بلده . أستاذاً حافلاً ، متفنناً ، مضطجعاً ، إماماً في القراءات .
حازياً خصل السباق إتقاناً ، وأداة . ومعرفة ، ورواية ، وتحقيقاً . ماهراً
في صناعة النحو ، فقيهاً ، أصولياً ، حسن التعليم ، مستمر القراءة ،
فسيح التخليق ، نافعا . متحجباً ، مقسوم الأزمنة على العلم وأهله . كثير
الخشوع والخشوع ، قريب الدُّمعة . أقرأ عمره . وخطب بالمسجد الأعظم
من مالقة وأخذ عنه الكثير من أهل الأندلس

مشيخته

قرأ على الأستاذ الإمام أبي جعفر بن الزبير . وكان من مفاخره .
وعلى القاضي أبي علي بن أبي الأحوص . وعلى المقرئ الضريير أبي عبد الله
محمد بن علي بن الحسن بن سالم بن خلف السُّهيلي . والراوية أبي الحجاج
ابن أبي ربحانة المربلي . وكتب له بالإجازة العامة . الراوية أبو الوليد
العتار . والإمام أبو عبد الله بن سميون الطُّنِّي . وسع على الراوية أبي عمر
عبد الرحمن بن حوط الله الأنصاري . وقرأ على القاضي أبي القاسم . قاسم

(١) مكنا و أبركورمال و الزيتونة (قال ابن الخطيب)

ابن أحمد بن حسن الجبجري الشهير بالسُّكُوت الملقب . وأخذ عن الشيخ الصالح أبي جعفر أحمد بن يوسف الهاشمي الطنجالي ، وغيرهم ممن يطول ذكرهم . ويحمل عن خاله ولي الله أبي محمد عبد العظيم ابن ولي الله محمد بن أبي الحجاج ابن الشيخ رحمه الله .

«توالياً» : شرح التيسير في القراءات . وله توالياً غيره في القرآن والفقه .

شعره

حدث الشيخ الفقيه القاضي أبو الحجاج المُنْتَشافري . قال ، رأيت في النوم أبا محمد الباهلي أيام قراءتي عليه بمالقة في المسجد الجامع بها ، وهو قائم يذکر الناس ويعظمهم . فعلمت من قوله ، أَنَحْسِبُونَنِي غَنِيًّا فقيرا ، أَنَا فقير ، أَنَا . فاستيقظت وقصصتها عليه ، فاستغفر الله ، وقال ، يا بني حقا ما رأيت . ثم رفع إلى ثاني يوم تعريفة ، رُقعة فيها مكتوب : لئن ظن قوم من أهل الدنيا بأن لهم قسوة أو غنسا لقد غلطوا ويحُهم بجمع ما لهم فتاهوا عقولا وعموا أعينا فلا تحسبوني أرى رأيهم . فإني ضعيف فقير أَنَا وليس افتقاري وفقرى معاً إلى الخلق^(١) فما عند خلقي غنا وليكن إلى خالقي وحده وفي ذلك عزٌ ونيل المنا فمن ذلَّ للحق يرق العسلا ومن ذلَّ للخلق يلق العسا

وفاته

ببلده مالقة رضي الله عنه . ونفَع به . في خامس دي القعدة من عام خمسة وسبعماية . وكان الحفل في جنازته عظيما . وحف الناس رزعه ، وحمله الطلبة وأهل العلم على رؤوسهم . سكن غرناطة وأقرأ بها .

(١) هكذا وردت في ارسونه . وفي نسخة ييل (خلق) .

ومن الكتاب والشعراء في هذا الحرف

عبد الحق بن محمد بن عطية بن يحيى بن عبد الله بن طلحة بن

أحمد بن عبد الرحمن بن غالب بن عطية المحاربي

صاحبنا الكاتب للدولة الغادرة .

حاله

كان هذا الرجل في حال الدعة التي استصحبها ، وقبل أن تَبْعته
أيدي الفضول ، بعفاف وطهارة ، إلى خِصْل خط ، نشط البَنان ، جَلَد
على العمل . ونظمه وسط ، ونشره جَمهوري^(١) عامي ، مُبين عن
الأغراض . ووُلِّي ببلده الخطابة والقضاء^(٢) في الحداثة . ثم
انتقل إلى غرناطة ، فجَاجأت به الكتابة السلطانية باختيارى ، مُستظهرة
منه ببطل كفاية ، وبإذِل حِمْل كُلفَة ، فانتقل رئيسا في غرض إعانتى ،
وانتشالى من الكُلفة ، على الضعف وإلمام المرض ، والترُّفُع عن الابتِذال ،
والأنفة من الاستخدام ، فرفع الكَلَّ ، ولطُف من الدولة محلّه . ثم لما
حال الأمر ، وحُتِم التَّمحيص ، وتُسُوّرت القلعة ، وانتشر النّظم ، واستأثر
به الاضطِناع ، كَشَفَت الخِبرة منه عن سَوعة لا تُوارى ، وعَورة لا يُرتاب
في أشنوعَتها ولا يُتَمارى ، فسبحان من علّم النفس فجورَها وتقواها ،
إذ لصيق بالذّائل الفاسق . فكان آلة انتقامه ، وجارحة صيده ، وأُخبولة

(١) وردت في الإسكوريال (جهوزى) ، والتصويب أرجح

(٢) بياض بالإسكوريال .

كَيْدِهِ ، فَسَفَكَ الدِّمَاءَ ، وَهَتَكَ الْأَسْتَارَ ، وَمَزَّقَ الْأَسْبَابَ ، وَبَدَّلَ الْأَرْضَ
غَيْرَ الْأَرْضِ ، وَهُوَ يَزُقُّهُ فِي أُذُنِهِ . فَيَوْمَ النَّصِيحَةِ ، وَيَنْحُلُهُ لِقَبِ الْهُدَايَةِ ،
وَيَبْلُغُ فِي شِدَّةِ أَزْرِهِ إِلَى الْغَايَةِ : « عُنْوَانُ عَقْلِ الْفَتَى اخْتِيَارُهُ . يَجْرَى فِي
جَمِيلِ دَعْوَتِهِ » . طَوَالاً ، أَخْرَقَ ، بُسِيءُ السَّمْعِ ، وَيَنْسَى الْإِجَابَةَ ،
بِدَوِيًّا ، قُحَّا ، جَهَّوْرِيًّا ، ذَاهِلًا عَنْ عَوَاقِبِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ : طِرْفًا فِي سُوءِ
الْعَهْدِ ، وَقَلَّةَ الْوَفَا ، مَرْدُودًا فِي الْحَافِزَةِ . مُنْسَلَخًا مِنْ آيَةِ السَّعَادَةِ ، تَشْهَدُ
عَلَيْهِ بِالْحَمْلِ يَدُهُ . وَيَقِيمُ عَلَيْهِ الْحُجُجَ شَرُّهُ ، وَتَبُوهَ هَفَوَاتِ النَّدَمِ
جَهَالَتِهِ . ثُمَّ أَسْلَمَ الْمَحْرُومَ مُضْطَّنَّعَهُ ، أَحْوَجُ مَا كَانَ إِلَيْهِ ، وَتَبَرَّأَ مِنْهُ ،
وَلَحِقَتْهُ بَعْدَهُ مُطَابَاةٌ مَالِيَّةٌ . لَقِيَ لِأَجْلِهَا ضَغْطًا . وَهُوَ الْآنَ بِحَالِ خِزْيٍ ،
وَاجْتِنَابِ تَبِعَاتٍ ، خَلَّصْنَا اللَّهَ مِنْ وَرَطَاتِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

أُولِيَّتُهُ وَشِوْنُخُهُ

وَبَسْطُ كَثِيرٍ مِنْ مُجْمَلِ حَالِهِ حَسْبَا نَقَلْتُ مِنْ خَطِّهِ .

قَالَ يَخَاطِبُنِي بِمَا نَصَبَهُ :

يَا سَيِّدًا فَاقَ فِي مَجْدٍ وَفِي شَرَفٍ	وَفَاتِ سَبَقًا بِفَضْلِ الذَّاتِ وَالسَّلَفِ
وَفَاضِلًا عَنْ سَبِيلِ الدَّمِ مُنْحَرَفًا	وَعَنْ سَبِيلِ الْمَعَالَى غَيْرَ مُنْحَرَفٍ
وَتَحْفَةَ السَّزَمِ الْآتِيِ فَلَقَدْ	أَرْبَى بِمَا حَازَهُ مِنْهَا عَلَى التُّحَفِ
وَمَعْدَنًا لِنَفِيسِ الدَّرِّ فَهُوَ لِمَا	حَوَاهِ مِنْهُ لَدَى التَّشْبِيهِ كَالصَّدَفِ
وَبَحْرٍ بِعِلْمِ جَمِيعِ النَّاسِ مُفْتَرَفٌ	مِنْهُ وَنَيْلِ الْمَعَالَى حِظٌّ مُفْتَرَفٍ
وَسَابِقًا بَدَأَ أَهْلَ الْعَصْرِ قَاطِبَةً	فَالْكُلُّ فِي ذَلِكَ مِنْهُمْ غَيْرَ مُخْتَلَفِ
مَنْ ذَا يُخَالِفُ فِي نَارٍ عَلَى عِلْمِ	أَوْ يَجْهَدُ الشَّمْسَ نُورًا وَهُوَ غَيْرُ خَفِ
مَا أَنْتَ إِلَّا وَحِيدُ الْعَصْرِ فِي شَرِيمِ	وَفِي ذِكَاؤِ وَفِي عِلْمِ وَفِي ظَرْفِ
لِلَّهِ مِنْ مُنْتَمٍ لِلْمَجْدِ مُنْتَسِبِ	بِالْفَضْلِ مُتَّسِمٍ بِالْعِلْمِ مُتَّصِفِ

لله من حَسَبٍ غَدٍّ ومن كَسْرٍ
 أيهِ أيا من به تَبَيَّ الوزاره إذ
 يا صاحب القلم الأعلى الذى جُمِعت
 يا من يَقْصُرُ وَضْفَى فى عُلَاه ولو
 شَرَفْتَنى عندما اسْتَدْعَيْت من قِبَلِى
 وربنا راق ثَغْرُ فى مَباسمه حتى
 أَجَلٌ قَدْرَكَ أن تَرْضَى لِمُنْتَجِع
 هذا ولو أَنى فَمَا أَتَيْتُ به
 لكنى أَفْضَى إلى التَّقْصِيرِ من خَجَلٍ
 فَحَسْبِى العَجْزُ عما قد أَشْرَتْ به
 لكن أَجَبْتُ إلى المطلوب مُمْتَثِلًا
 فانظر إليها بعين الصَّفْحِ عن زَلالٍ
 بِقِيَّتٍ لِلدَّهْرِ تَطْوِيهِ وَتَنْشُرِهِ
 قد شاده السَّلَفُ الأَخْيَارُ لِلْمُخَلَفِ
 كُنْتَ الأَحَقُّ بها فى الذَّاتِ والشَّرَفِ
 فيه المعالى ببَعْضِ البَعْضِ لم أَصِفِ
 أَنَسَى مَدِيحَ حَبِيبٍ فى أبى دُلْفِ
 نظماً تَدَوَّنَتْ فى أَبْدَعِ الصُّحُفِ
 إِذا نَسَّاهُ إِلى السَّامِ مُرْتَشِفِ
 بِسَوْءِ كَيْلَتِهِ حَظًّا مع الحَشَفِ
 نَافَحْتُ فى الطَّيِّبِ زَهْرَ الرُّوضَةِ الأَنِفِ
 أَخْلَيْتُ بالبَعْضِ مما تَسْتَحِقُ أَفِ
 والعجزُ حَتْمًا قُصَارَى كُلِّ مُعْتَرِفِ
 وَإِنْ غَدَوْتُ بِمَرٍّ فى القَوْمِ كَالْهَدَفِ
 واجعل تَصَفُّحَهَا من جُمْلَةِ الكُلْفِ ،
 تَسْمُو من العِزِّ بِاسْمٍ غيرِ مُنْصَرَفِ

جيتك ، أعزك الله ، ببضاعة مُرْجاة ، وأَعْلَقْتُ رَجَاى من قبولك
 بِأُمْنِيَّةِ مُرْجاة ، وما مثلك يُعَامَلُ بِسَقَطِ المَتَاعِ ، ولا يُرْضَى له بِالْحَشَفِ
 مع بَخْسِ المدِّ والصَّاعِ . لكن فضلك يُغْفَى عن التَّقْصِيرِ وَيَسْمَحُ ، وَيَتَجَاوَزُ
 عن الخطأِ وَيُصْفَحُ ، وَأَنْتَ فى كُلِّ حالٍ إلى الأَدْنَى من الله أَجْنَحُ . ولولا
 أَنَّ إِشَارَتَكَ واجبة الامتثال ، والمُسَارعةُ إِلَيْهَا مُقَدِّمةٌ على سائر الأعمال ،
 لما أَتَيْتُ بها تَمْشِى على اسْتِحْيَاءٍ . ولا عَرَّضْتُ نَفْسِى أَنْ أَقِفَ مَوْقِفَ
 حِشْمَةٍ وَحِيَاءٍ . فما مَثَلِى فَمَا أَعْرَضَهُ عَلَيْكَ ، أو أَقَدَّمَهُ من هذا الْهَذَرِ بَيْنَ
 يَدَيْكَ ، إِلَّا مَثَلُ من أَهْدَى الْخَرَزَ لَجَالِبِ الدُّرِّ ، أو عَارِضَ لِنُوشِلِ مَوْجِ
 الْبَحْرِ ، أو كَانِثٍ بِالْحَصَى عَدَدَ الْأَنْجُمِ الزُّهْرِ . على أَنى لو نَظَّمْتُ الشُّعْرَى

شِعْراً . وَجِئْتُكَ بِالسُّحْرِ الْحَلَالِ نِظْماً وَنَشْراً ، وَنَافَحْتُكَ بِمِثْلِ تِلْكَ الرُّوضَةِ
 الْأَدَبِيَّةِ ، الَّتِي تَعْبَقُ أَزَاهِرُهَا نَشْراً . لَمَّا وَصَفْتُكَ بِبَعْضِ الْبَعْضِ مِنْ نَفَائِسِ
 خُلَاكَ ، وَلَا وَفَّيْتُ مَا يَجِبُ مِنْ نَشْرِ مَآثِرِ عُلاكَ . فَمَا عَسَى أَنْ أَقُولَ فِي تِلْكَ
 الْمَآثِرِ الْعِلْمِيَّةِ ، وَالذَّاتِ الْمَوْسُومَةِ بِاسْمِ التَّعْرِيفِ وَالْعِلْمِيَّةِ ، أَوْ أُعْبِّرَ عَنْهُ
 فِي وَصْفِ تِلْكَ الْمَحَاسِنِ الْأَدَبِيَّةِ ، وَالْمَفَاخِرِ الْحَسَبِيَّةِ . إِنْ وَصَفْتُ مَالَكَ مِنْ
 شَرَفِ الذَّاتِ ، مِلْتُ إِلَى الْإِخْتِصَارِ ، وَقَلْتُ آيَةً مِنَ الْآيَاتِ . وَإِنْ ذَهَبْتُ
 إِلَى ذِكْرِ مَفَاخِرِكَ الْبَاهِرَةِ الْآيَاتِ ، بَلَغْتُ فِي مَدَى الْفَخْرِ وَالْحَسَبِ إِلَى أَبْعَدِ
 الْغَايَاتِ ، وَإِنْ حَلَّيْتُكَ بِبَعْضِ الْحُلَا وَالصِّفَاتِ ، سَكَبْتُ مَحَاسِنَ الرُّوضِ
 الْأَرِيحِ النَّفَّاحَاتِ . فَكَمْ لَكَ مِنَ التَّصَانِيفِ الرَّايِقَةِ ، وَالْبِدَائِعِ الْفَائِقَةِ ،
 وَالْآدَابِ الْبَارِعَةِ ، وَالْمَحَاسِنِ الْجَامِعَةِ . فَمَا شِيتَ مِنْ حُدَايِقَ ذَاتِ بَهْجَةٍ ،
 كَأَنَّمَا جَادَتْهَا سُحُبُ نَيْسَانَ ، وَجَنَّتْ ثَرَاتُهَا صِنُونُ وَغَيْرُ صِنُونِ ،
 تُزْرَى بِبِدَائِعِ بَدِيعِ الزَّمَانِ ، وَتُخْجَلُ الرُّوضُ كَمَا يُخْجَلُ الْوَرْدُ ابْتِسَامِ
 الْأَقْحَوَانِ . نَظَمْتُ كَمَا انْتَشَرَ الدُّرُّ ، وَنَشَرْتُ تَتَمَنَّى الْجَوَازِ ، أَنْ تَتَقَلَّدَهُ
 وَالْأُنْجُمُ الزُّهْرُ ، وَمَعَانٍ أَرْقُ مِنْ نَسِيمِ الْأَسْحَارِ ، تَهَبُّ عَلَى صَفَحَاتِ الْأَزْهَارِ .
 فَأَهْلًا بِكَ يَا رَوْضَةَ الْآدَابِ ، وَرَبَّ الْبَلَاغَةِ ، الَّتِي شَمَسَ آيَاتُهَا لَا تَتَوَارَى
 بِالْحِجَابِ ، فَمَا أَنْتَ إِلَّا حَسَنَةُ الزَّمَانِ ، وَمَالِكُ أَرْزَمَةِ الْبَيَانِ ، وَسَبَّاقُ
 غَايَاتِ الْحَسَنِ وَالْإِحْسَانِ . وَقَدْ وَجَدْتُ مَكَانَ الْقَوْلِ ذَا سَعَةٍ فِي إِوْصَافِكَ ،
 وَمَا فِي تَحْلِيلِكَ بِالْفَضَائِلِ وَاتِّصَافِكَ . لَكُنِّي رَأَيْتُ أَتَى لَوْ مَدَدْتُ فِي ذَلِكَ
 بَاعَ الْإِطْنَابِ ، وَأَتَيْتُ فِيهِ بِالْعَجَبِ الْعَجَابِ ، فَلَيْسَ لِي إِلَّا تَقْصِيرٌ عَنِ الْمُطَاوَلَةِ
 وَإِمْسَاكِ ، وَالْعَجْزُ عَنْ دَرْكِ الْإِدْرَاكِ إِدْرَاكِ . إِلَيْهِ أَهِيَ السَّيِّدُ الْأَعْلَى ، وَالْفَاضِلُ
 الَّذِي لَهُ فِي قِدَاحِ الْفَخْرِ ، الْقِدْحُ الْمُعَلَّى ، فَإِنَّكَ أَمَرْتَ أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكَ
 لَتَعْرِيفِ بِنَفْسِي وَمَوْلَدِي ، وَذَكَرَ أَشْيَاخِي الَّذِينَ بِأَنْوَارِهِمْ أَقْتَدَى ،

فعلمتُ. أن هذا إنما هو تَهَمُّ منك بشأني . وجَرَّيُّ على مُعتاد الفضل الذي يَقْضُر عنه لساني . وفضل جميل لا أزال أَجْرِي في الثناء عليه مِلٌّ عِنائي . وإلاَّ فمن أنا في الناس حتى أُتَسَبَّ . أو من يذهب إلاَّ أنت هذا المذهب .

اما التعريف بنفسى . فأبدأ فيه باسم أبى . هو أبو القاسم محمد بن عطية بن يحيى بن عبد الله بن طلحة بن أحمد بن عبد الرحمن بن غالب ابن عطية المحاربى . وجدى عطية هو الدّاخل إلى الأندلس عام الفتح ، نزل بالبيرة ، وبها تفرّع من تفرّع من عَقْبِهِ . إلى أن انتقلوا إلى غرناطة ، فتأثّل بها حالهم . واستمر بها استيطانهم ، إلى حدود المائة السابعة ، فتسبّب في الانتقال من بقى منهم ، وهو جدّى الأقرب الأنساب ، وقضى ارتحاله إلى مدينة وادى آش ، ولكل أجلٍ كتاب . وذلك أنه استقضى بنظر ما فى دولة أمير المسلمين الغالب بالله ، أول ملوك هذه الدولة النصرية ، نصر الله خلفها ، ورحم سلفها . فاتخذ فيها صِهراً ونسباً ، وكان ذلك لاستيطانه بها سبباً ، واستمر مُقامه بها إلى أن ارتحل إلى المشرق لأداء الفريضة ، فكان إلى أشرف الحالات مُرتحله ، وقضى فى إيباه من الحج أمله . واستمرت به الاستيطان . وتعدّرت بعوده إلى غرناطة بعدما نَبَت فيها الأوطان . على أنه لم يَعَدَم من الله السّتر الجميل . ولاحظ من عنايته بإيصال النّعمة كَفِيل . فإنه سبحانه حَفِظ مَنْ سَلَفَ فيمن خَلَفَ ، وجعلهم فى حال الاغتراب . فيمن اشتهر بنباهة الحال واتّصف ، وقبض لمصاهرتهم من خيار المجد والشرف . وبذلك حَفِظَ الله بيتهم ، وشَمَلَ باتصال النّعمة حيّهم وميتهم . فالحمد لله ، بجميع محامده . على جميل عوايده . وتخلّف بوادى آش أبى وأعمامى . نغمدهم الله وإيباى برحمته ، وجمع شملنا فى جَنَّتِهِ .

واما التعريف بهم ، فأنت أبقاك الله ، بمن سَدَفَ قديما منهم أَغْلَمَ ،
وسبيلك في معرفتهم أَجْدَى وَأَقْوَمَ . بما وهبكم الله من عَوَارِفِ المعارف ،
وجعل لكم من الإحاطة بالتالد منها والطَّارِف . وأما مَنْ لَمْ يَقَعْ به تعريف ،
مَنْ بَعْدَهُمْ . فمن اقْتَنَى رَسْمَهُمْ في الطريقة العلمية ، ولم يتجاوز جدهم
وهو جدِّي أبو بكر عبد الله بن طلحة ورابع أجدادي . كان رحمه الله
ممن جرى على سُنَنِ آبائه . وقام بالعلم أحسن قيام ، ونهض بأعجابه .
أَلَّفَ كتابا في « الرقايق » ، ففات في شَأْوَهِ سَبَقِ السابق ، وتصدَّرَ ببيلده
للْفُتْيَا ، وانتفع به الناس ، وكان شيخهم المُقَدِّم . ولم أَقِفْ على تاريخ
مولده ولا وفاته ، غير أَنَّهُ توفى في حدود المائة الخامسة رحمه الله ،
وأما مَنْ بَيْنِي وبينه من الآباء ، كجدِّي الأقرب وأبيه ومن خَلَفَهُ من بنيهِ .
فما منهم من بلغ رُتْبَةَ السَّابِق ، ولا قَصُرَ أيضا عن درجة اللائِق . وإنما
أخذ في الطلب بنَصِيب ، ورمى فيه بَسْمَهُ مُصِيب .

وأما مولدى فبوادى آش في أواخر عام تسعة وسبع مائة . وفي عام
ثلاثة وعشرين ، ابتدأت القراءة على الأستاذ أبي عبد الله الطُّرْسُوني وغيره
من يأتى ذكره . ثم كتبت بعد ستة أعوام على من وَلِيَهَا من القضاة أولى
العدالة والسَّيَر المرتضاة ، ولم يطل العهد حتى تقدَّمت في جامعها الأعظم
خطيبا وإماما ، وارتسمت في هذه الخُطَّة التي مازالت على من أحسن
مأما ، وذلك في أواخر عام ثمانية وثلاثين . ثم وُلِّيت القضاء بها ،
وبما يرجع إليها من النَّظَر ، في شهر ربيع الأول من عام ثلاثة وأربعين ،
واستمرَّت الولاية إلى حين انتقالى للحضرة ، آخر رجب من عام ستة
وخمسين ، أسأل الله الإقالة والصَّفْح عما اقترفت من خطأ أو زَلَل ،
أو ارتكبته من عَمْد وسَهْو ، في قول أو عمل بمَنِّهِ .

واما أشياخي ، فإني قرأت بالحضرة على الأستاذ الخطيب أبي الحسن القبيجاطي ، والأستاذ الخطيب أبي القاسم بن جُزى . وبالملة على الأستاذ القاضي أبي عمرو بن منظور . وبالمريّة على الأستاذ القاضي أبي الحسن بن أبي العيش ، وسيدى القاضي أبي البركات بن الحاج ، والأستاذ أبي عثمان بن ليون ، وبوادي آش على الأستاذ القاضي أبي عبد الله بن غالب ، والأستاذ أبي عامر بن عبد العظيم . كل هؤلاء قرأت قراءة تفقّه ، وعَرَضْتُ على أكثرهم جملة كتب في النحو والفقه والأدب ، أكبرها كتاب المقامات للحريري . وأما من لقيته من المشايخ واستفدت ، منهم أبو الحسن بن الجيّاب بالحضرة ، وبالملة القاضي أبو عبد الله بن بكر ، والقاضي أبو عبد الله بن عيّاش ، والأستاذ أبو عبد الله بن حفيد الأمين . ومن لقيته لقاءً بترك ، سيدى أبو جعفر بن الزيات بهلّش ، وبالملة الخطيب أبو عبد الله السّاحلي ، والصّوفي أبو الطاهر بن صفوان ، والمُقري أبو القاسم بن درهم . وبالمريّة الخطيب أبو القاسم بن شعيب ، والخطيب ابن فرخون . ولقيت أيضا القاضي أبا جعفر بن فرّكون القرشي ، والقاضي الخطيب أبا محمد بن الصايغ . ومن رأيته بوادي آش ، وأنا إذ ذاك في المكتب ، وأخذت بحظّ من التبرك به ، سيدى أبو عبد الله الطنّجالي نفع الله به . والحمد لله رب العالمين .

شعره

من مطولاته قوله . ومن خطّه نقلت :

ألا أيها الليل البطي الكواكب	متى يَنجلى صبحٌ بنيل المسارب
وحقّ متى أرمى النجم - يوم مُراقبا	فمن طالع منها على إثر غارب
أحدث نفسي أن أرى الركب سايرا	وذنبى يُقَصِّيني بأقصي المغارب

فلا فزْتُ من نَيْل الأمانى بطايل
وكم حَدَّثتني النفس أن أبلغ المُنَا
وما قُصرت بي عن زيارة قَبْرِهِ
ولاحبُ أوطان نَبَتْ بي ربُوعها
ولكن ذنوبٌ أَثْقَلتني فهأنا من
إليـسك رسول الله شوقى مُجَدِّدٌ
وأعملت في تلك الأباطيح والرُّبى
وقضيتُ من لثم البَقِيع لُبَانِي
ورويتُ من ماء زمزم غُلَّتِي
حبيبي شفيعى مُنتهى غايى التى
محمد المختار والهاشِر السدى
رؤوفٌ رحيمٌ خصَّه الله باسمه
رسول كريم رفع الله قَدْرَهُ
وشرفه أصلاً وفرعاً وَمَحْتِداً
سراجُ الهدى ذو الجاه والمجد والعلا
هو المصطفى المختار من آل هاشم
هو الأَمْدُ الأَقْصى هو الملجأ الذى
إمام النبیین الكرام وإنه لَكا لَبَدْرٌ فيهم بين تلك المواكب
بشير^(١) نذير مفضل متطوّل سراجٌ منير بذّ نور الكواكب
شريف مُنِيف باهر الفضل كاملٌ نفيس المعالى والخلا والمنساقب
عظيم المزايا ماله من تماثُل كريم السَّجَايا ماله من مُناسِب

(١) وردت في الإسكوريال محرقة (نير) .

ملأ دُ منيع ملجأ عاصم لمن
 حلیم^(١) جميل الخلق والخلق ماله
 وناهيك من فرع نمته أصوله
 أولى الحسب العد الرفيع جنبه
 له معجزات ماله من معارض
 تهدي بهن الخلق شرقاً ومغرباً
 فدونها كها كالأنجم الزهر عدة
 فأحصارها مهما تتبعت معوز
 لقد شرف الله الوجود بمُرسل
 وشرف شهراً فيه مولده الذي
 فشهر ربيع في الشهور مقدم
 فله منه ليلسة قد تلات
 ليهن أمير المسلمين بها المنا
 على حين أحياها بذكر حبيبه
 وألف شملاً للمحبسين فيهم
 فسوف يُجازى عن كريم صنيعة
 وسوف يُسريه الله في لهم دينه
 فيحى حى الإسلام عمن يرؤمه
 ويعتز دين الله شرقاً ومغرباً
 إلآهى مالى بعد رحماك مطلب
 سوى زورة القبر الشريف وإنها

عليه سلام الله ملاح كوكب وما فارق الإطعمان حادى الركائب
وقال فى غرض المدح والتهنئة بعرض الجيش ، وتضمن ذلك وصف
حاله فى انتقاله إلى الحضرة :

يا قاطع البيد يطوى السهل والجبال
ينكى فى آفاق أرض لا يؤنسه
أو ظبية أذكرت عهد التواصل تحكى
أستغفر الله فى تلك اللحاظ فقد
أو هادل فوق غصن البان تحسبه
أو لامع البرق إذ تحكى إنارته
ماذا عسى أن تقضى من زمانك فى
وكم معالم أرض أو مجاهلها
إن كنت تأمل عزاً لا نظير له
فالعز مرسى بعيد لا يُنال سوى
والدر فى صدف قلت نفاسته
فاربأ بنفسك عن أهل وعن وطن
وانس الديار التى منها نأى وطنى
وعد عن ذكر محبوب شغفت به
واقصد إلى الحضرة العليا وخط بها
غرناطة لا عفا رسم بها أبداً
أنهى التى شرف الله الأنام بمسن
خليفة الله مولانا ومولنا

ومُنْضِيا فى الفيا فى الخيل والإبل
إلا تذكر عهد للحبيب خلا
اللحاظ التى عاهدت والمقلا
أربى بها الحُسن عن ضرب المَها مثلاً
صباً لفقد حبيب بان قد ثكلاً
كفا خضيباً مُشيراً بالسدى عدلاً
قطع المَهامه ترَجُّو أن تنال عُلا
قطعتها لا تملُ السريث والعجلا
وتبتغى السؤل فيما شيت والأملا
بعزم من شدَّ عزم البين وارتحلا
ولم بين فخره إلا إذا انتقلا
..... (١)

وعهد أنس به قلبُ المحب سلا
ولا تلم به مدحا ولا غزلا
رخلاً ولا تبغ عن أرجائها حولا
ولا سلا قلب من يبغى بها بدلا
فى مقعد الملك من حمراؤها نزلا
وخير من أمن الأرجاء والسبلا

محمد بن أبي الحجاج أفضل من
 من آل نصر أولى المسلك الذي
 هو الذي شرف الله البلاد ومن
 أقام عدلا ورفقا في رعيته
 فهو المُجَار به من لا مُجِير له
 إن المدائح طرّا لا تنى أبدا ببيع
 بالحزم والفهم والإقدام شيمته
 إن قال أجمل في قول وأبدعه
 يؤلى الجميل ويُعطى عزّ نائيه
 من سائل عن بني نصر فما أحد
 هم الذين إذا ما استمنحوا منحو
 هم الألى مهدوا أرجاء أنسلس
 فإن تسَلَّ عنهم يوم الرّهان فلم
 من ذا يجاريهم في كل مكرمة
 مولاى يا خير من للنصر قد رفعت
 لله عيني لما أبصرتك وقد أعددت
 وأنت في قبة يسمو بها عمدة
 والجيش يَغشى عيون الخلق منظره
 لا غرو أن شعاع الشمس يشمل ما
 وراية النصر والتأييد خافقة
 والخيل قد كسيت أثواب زينتها
 ترى الحماة عليها يوم عرضهم

قد قام فينا بحق الله إذ عدلا
 بهرت علاه كالشمس لما حلت الحما
 فيها بدولته إذ فاقت الدولا
 وكان أرحم من آوى ومن كفلا
 لم يخش إحن الليالى فادحا جللا
 ما قد تحلّا من نفيس عسلا
 والجود بما على أوصافه اشتلا
 والفعل أجمل منه كلما فعلا
 من قد رجاه ولا استجدى ولا سالا
 منهم بأبلغ منهم كلمسا سالا
 أنسى العطا وأبدوا بعده الخجلا
 إذ حكّموا في الأعادى البيض والأملا
 يعدل بأختلّهم في سنّه بطلا
 أيّشبه البحر في تمثيله الوشلا
 راياته ولسواء الفخر قد حملا
 بسين يديك الخيسل والخولا
 أقام منا دامر الدين فاعتدلا
 لما اكتمسى منك نور الحق مكتسلا
 أضحى عليه إذا ما لاح منسدلا
 قد أسبل الله منها النصر فأنسدلا
 فمن براقعها قد ألبيست حسللا
 يمشون من فرط زهو مشية الخيلا

فمن رُماةِ قِسيِّ العُربِ عُثَّيت
ومن كُماةِ شِدَادِ البِساسِ شَأْنُهُم
بسعدك انتظمت تلك الجيوش لأن
ونخلد الله مُلكاً أنت ناصبـه
لازلت تزداد بها نُعمى مضاعفة
ومن ذلك قوله :

يا عاذلى فى الهوى أقصر عن العذل
فكيف أضغى إلى عذل العذول وقد
تملكته كما شاءت بنظرتها
مُعبرة عن نفيس الدر فاضحة
من نور غرتها شمس تسروق سنى
يا حبيداً عهدنسا والشمل مُنتظم
أيام أعين هذا الدهر نائمة
وخبيداً أزيغ قد ظلال ما نظمت
قضيت منها أمانى النفس فى دعة
سطنى الغمام رباها كل مُنهمر
وجادها من سماء الجود صوب حياً
خليفة الله والمساخى بسيرته
محمد بن أبى الحجاج أفضل من
والباعث الجيش فى سهل وفى جبل
من آل نصر أول الفخر الذين لهم
مهما أردت غنائم فى الأمور به

تحكى الأهلهُ مهما بورها اكتملا
أن يعملوا البيض والخطية الذبلا
أسهمت فى نظمها أسلافك الأولا
ما عاقبت بكرر من دهرنا الأصلا
لتملا الارض منها السهل والجبال

وعن حديثى مع المحبوب لا تسل
تقلص القلب منى صايد المُقل
فتانة الطارف والألحاظ تنهدل
بقدها الغص الميس فى الميسل
تحتل منها محل الشمس فى الحمل
بجانب الغور فى آيامنا الأول
عنا وأحداثه منا على وجـل
عقد التواصل فى عيش بها خصل
من الزمان موفى الأنس والجذل
وكم سَطَطها دموعى كل مُنهمل
بالعارض المَطِل ابن العارض المَطِل
رسم الضلال ومُحى واضح السبل
سارت أحاديث علياه سرى المثل
حتى تُغص سواحي السهل والجبل
مزية أورثت من خاتم الرسل
شاهدت منه جميع الخلق فى رجل

لَنْ يَسْتَظِلَّ بِعَلِيَّاهُ أَخُو أَمَلٍ
 وَلَا اسْتَجَارَ بِهِ مَنْ لَا مُجَسِّرَ لَهُ
 يُنْمَى إِلَى مَعَشَرِ شَادِ الْآلَةِ لَهُمْ
 بِمُلْكِهِمْ قَدْ تَحَلَّى الدَّهْرُ فَهُوَ بِهِ
 هُمُ الْأُلَى نَصَرُوا أَرْجَاءَ أَنْدَلَسَ
 هُمُ الْأُلَى مَهَّدُوا دِينَ الْهَدَى فَسَمَتْ
 مِنْ أَمَّتِهِمْ صَادِيَّ الْأَمَالِ نَالَ بِهِمْ
 أَوْ أَمَّتِهِمْ ضَاحِيًا أَضْحَى يُجَرَّرُ مِنْ
 إِنْ الْفَضَائِلُ أَضْحَتْ لِاسْمِهِ تَبَعًا
 مَوْلَايَ خَذَهَا تَرُوقُ السَّامِعِينَ لَهَا
 لَكِنِّي بِاعْتِبَارِ عِظَمِ مِلْكِكَ لَمْ أُجِدْ
 فَإِنْ خُبِرْتُ كَذَاكَ الْخَلْقَ أَجْمَعِهِمْ
 لَازِلَتْ فخرُ مَلُوكِ الْأَرْضِ كُلِّهِمْ
 وَدُمْتَ لِلدَّهْرِ تَطْوِيئِهِ وَتَنْشُرُهُ
 وَمِنْ ذَلِكَ مَا نَظَّمَهُ لِيُنْقَشَ فِي بَعْضِ الْمَبَانِي الَّتِي أَنْشَأْتُهَا :

أَنَا مَصْنُوعٌ قَدْ فَاقَ كُلَّ الْمَصَانِعِ
 فَرَسَمِي إِذَا حَقَّقْتَنِيهِ وَاعْتَرْتَنِيهِ
 فَقَسِدَ جَمْعُ اللَّهِ الْمَحَاسِنِ كُلِّهَا
 ظَلٌّ كَمَا جُمِعَتْ كُلُّ الْفَضَائِلِ فِي الَّذِي
 وَزِيرُ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ وَحَسْبُهُ
 وَذُو الْقَلَمِ الْأَعْمَلِي الَّذِي فَعَّلَهُ
 وَمُطْلَعُ آيَاتِ الْبَيَانِ لِمُبْصَرِ
 فَمَا مَنْزِلُ زَهْيٍ بِمِثْلِ بَسْدَائِعِ
 لِكُلِّ الْمَعَانِي جَامِعُ أَيَّ جَامِعِ
 لَدَى فَيَا لِلَّهِ إِبْسِدَاعُ صَانِعِ
 بِسُكْنَايَ قَدْ وَاثَقَاهُ أَيْمَنُ طَالِعِ
 مَزِيَّةٌ فَخِيرٍ مَالِهَا مِنْ مُدَافِعِ
 لِمَنْ يَوْمَلُهُ مِثْلُ السَّيِّئِ وَفِ الْقَوَاعِ
 كَشَمْسِ الضُّحَى حَلَّتْ بِأَسْنَى الْمَطَالِعِ

وإنسان عَيْن الدهر قَرَّتْ لِنَابِهِ
هو ابن الخطيب السَّيِّد المُنْتَمِي
لقد كنت لولا عَطْفَة من حَنَانِهِ
فصيرتني مَغْسِنِي كَرِيمَا وَمُرْبِعَا
فها أنا روضُ يروق نَسِيمُكُمْ
وقد جَمَعْتَنَا نَسَبَة الطَّبِيع عندما
فَأَشْبِه إِزْهَارِي بطيب ثَنَائِهِ
فلا زلتُ معموراً بِهِ فِي مَسْرَةِ
ولا زال من قَد حَلَّنِي أَوْ يَحَلَّنِي
ودام لمولانا المؤيَّد سَعْدُهُ

وفي التهنئة يا بلال من مرض :

الآن قد قامت الدنيا على قدم
والآن قد عادت الدنيا لبهجتها
والآن قد عمت البُشْرَى بِرَاحَتِهِ
لا سيما عند مثلي ممن اتَّضَحَتْ
فكيف لي وأيادي فضله مَلَكَتْ
وصيرتني في أهلي وفي وطني
وأَحْسَبْتُ أَمَلِي الْأَقْصَى لَغَايَتِهِ
وماذا عسى أن أُوَفِّي من ثَنَائِهِ أَوْ
ولو ملكْتُ زمام الفضل طَوَّعَ يَدِي
يُهْنِك بِشْرَى قَدْ اسْتَبْشَرْتُ مَذْ وَرَدَتْ بِهَا لِعَمْرِكَ وَهوَ الْبَرْ فِي الضَّيِّمِ
ومذ دَعَتْ هَذِهِ الْبِشْرَى بِتَهْنِيَةٍ

لما استقلَّ رَئِيسُ السَّيْفِ وَالْقَلَمِ
مذ أُنِسَتْ بُرْءُهُ مِنْ طَارِقِ الْأَلَمِ
فلم تزل للوَرَى مِنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ
منه دلائل صدق غير متهم
رَفِّي بِمَا أَجَزَلْتُ مِنْ وَافِرِ الْقَسَمِ
وبين أهل النُّهْيِ نِدَاراً عَلَى عِلْمِ
إذ صرْتُ مِنْ جَاهِهِ الْمُسَامُولِ فِي حَرَمِ
أُنْهِى إِلَى مَجْدِهِ مِنْ فَاضِلِ الشُّيَمِ
قَصَّرْتُ فِي ضَمْنِ مَنْشُورٍ وَمُنْتَظَمِ
فمنحني أَوْلَى وَمَحْضُ الْعَهْدِ وَالْكَرَمِ

لازلت للعزة القمساء منتظيها مستصحباً لعلاء غير مُصمره
ودمتَ بذر سني تهدي إنارته في حيث يفضّل خطب أو يحار عم
ولا عذمت بفضل الله عافية تستصحب النعم المنهلة الديم
وليس لهذا العهد للرجل انتحالٌ لغير الشعر والكتابة . وغير هذا
للشعر فِراره . فقلّ أن ينتهي الشعر في الضعة والاستيزال إلى ما دون هذا
النمط . فهو بغير^(١) ثان : شعراً وشكلاً وبلداً ، لطف الله به . وهو لهذا
العهد . على ما تقدم من النكبة ، واتصال السخط من الدولة . تغمّدنا الله
وإياه بلطفه . ولا نكص عنا ظلّ عنايته وسنوره .
« مولده » : حسباً تقدم من بسط حاله مما قيّده بخطه في عام تسعة وسبعماية .

عبد الرزاق بن يوسف بن عبد الرزاق الأشعري

من أهل قرية الأنجرون من إقليم غرناطة ، أبو محمد .

حاله

فقيه أديب كاتب سري . موصوف بكرم نفس ، وحسن خلق .
لقى أسيانها وأخذ عنهم

شعره

يا مُنعمًا مازال من أمسه يَرفل في السابغ من أميته
ويا حُسامًا جرّدته العُلا فريع صرف الدهر من سكوته
عبدك قد ساءت هنا حاله شوقًا لمن خلف من إخوته

(١) ورد في هامش المخطوط تعليقاً على هذه الكلمة من يقول : « الله أعلم أنه كاد

يشبه للشيخ عبد العظيم الوادي أتى المنقب بالبعير » .

شوقها يبتث الجمر في قلبه ويخلص للشهد على مفاته
فسكن المؤلم من شوقه وانس المقلق من وحشته
وامن عليه ببلوغ النسا في علمكم من مقتضى بغيته
وهاكها نفثة ذى خجلة تفهم ما يلقيه من نفثته
إذا شدا مداحكم ساجعاً يحسده الطيسار في نغمته
« وفاته » : سنة إحدى وسبعين وخمسمائة عن سن عالية ^(١) .

عبد الملك بن سعيد بن خلف العنسى

من أهل قلعة بحصب ^(٢) من عمل البيرة .

حاله ونسبه

هو عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد
ابن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن سعد بن عمّار بن ياسر ،
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان عينا من أعيان الأندلس ،
مُشاراً إليه في البيت والرأى ، والجزالة والفضل . علقت به الآمال ،
ورُفعت إليه المادح ، وحُطت لديه الرّحال . وكان من أولى الجلالة
والنّباهة . والطلب والكتابة الحسنة . والخطّ البارع . واشتمل على
حُظرة الأمير يحيى بن غانية اللّمتوى . وكتب عنه . بلده قلعة بنى
سعيد ، فثقفها ، وجعل بها أكبر بنيه عبد الرحمن ضابطاً لها
وحارساً . فحصّنها أبو مروان ومهدا بالعمارة . فكانت في الفتنة مثابة

(١) وردت هذه الترجمة في الإسكوريال ولم نرد في الرتبة .

(٢) قلعة بحصب أو قلعة بنى سعيد سبق التعرف بها . (راجع المجلد الأول من الإحاطة

ص ١١١ حاشية) .

وَأَمْنَا . وَحِرْزًا لَهُ وَلِبْنِيهِ . فَانْجَلَّتِ النَّاسُ إِلَيْهَا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ . وَلَمَّا قَبِضَ ابْنُ غَانِيَةَ ^(١) عَلَى الْقُمُطِ مَرِينَ وَأَصْحَابَهُ النَّصَارَى عِنْدَمَا وَصَلُوا لَاسْتَنْجَازِ الْوَعْدِ فِي الْخُرُوجِ عَنْ جَيَّانَ . وَتَحَصَّلُوا بِيَدِهِ بِإِشَارَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ ابْنِ سَعِيدٍ ، حَسْبًا ثَبِتَ فِي اسْمِ الْأَمِيرِ يَحْيَى ، ثَقَّفَهُمْ بِالْقَلْعَةِ بِيَدِ ثِقَّتِهِ الْمَذْكُورِ وَأَمِينِهِ أَبِي مَرْوَانَ ، فَتَحَصَّلُوا فِي مَعْقَلِ حَرِيرٍ ، عِنْدَ أَمِيرٍ وَافِرِ الْعَقْلِ ، سَدِيدِ الرَّأْيِ . وَمَاتَ ابْنُ غَانِيَةَ بِغَرْنَاطَةَ لِأَيَّامٍ قَلِيلَةٍ ، وَاخْتَلَفَ قَوْمُهُ ، فَنَظَرَ أَبُو مَرْوَانَ لِنَفْسِهِ ، وَعَاهَدَ الْقُمُطَ مَرِينَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الزُّعَمَاءِ عَلَى عُهُودٍ ، أَخَذَهَا عَلَيْهِمْ وَعَلَى سُلْطَانِهِمْ ، أَنْ يَكُونُوا تَحْتَ أَمْنٍ وَحِفْظٍ طَوِيلٍ مَدَّتِهِ ، فَأُجْرِيَتِ الْقَلْعَةُ فِي الْأَمْنِ وَالْحِمَايَةِ ، وَكُفَّ أَيْدَى التَّعْدَى مَجْرَى مَا لِمُلْكِ النَّصْرَى ^(٢) مِنَ الْبِلَادِ ، فَشَمِلَ أَهْلُهَا الْأَمْنَ ، وَاتَّسَعَتْ فِيهَا الْعِمَارَةُ ، وَتَنَكَّبَتْهَا التَّنَكُّبَاتُ ، وَتَحَاشَتْهَا الْغَارَاتُ . وَلَمْ يَزَلْ أَبُو مَرْوَانَ بِهَا إِلَى أَنْ دَخَلَ فِي أَمْرِ الْمُوَحِّدِينَ . وَوَصَلَ هُوَ وَابْنُهُ إِلَى السَّيِّدِ أَبِي سَعِيدٍ بِغَرْنَاطَةَ ، وَحَضَرَ مَعَهُ غَزْوَةُ الْمَرْيَةِ . ثُمَّ دَخَلَ بِجَمَلَتِهِ ، فَكَمَلَ لَهُ الْأَمْنَ ، وَأَقْرَعَ عَلَى الْقَلْعَةِ ، وَأَمَرَ بِسُكْنَى غَرْنَاطَةَ بِوَلَدِهِ . ثُمَّ وَصَلَ ثَانِيَةً إِلَى مَرَاكُشَ صَحْبَةِ السَّيِّدِ أَبِي سَعِيدٍ . وَلَقِيَ مِنَ الْبَرِّ وَلُطْفَ الْمَكَانَةِ عَادَتِهِ . وَاسْتَكْتَبَ ابْنَهُ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي مَرْوَانَ الْخَلِيفَةَ فِي هَذِهِ الْوَجْهَةِ . وَانْتَضَمَ فِي جَمْلَةِ الْكُتَّابِ وَالْأَصْحَابِ .

مَحْنَتُهُ

وَعَادَ أَبُو مَرْوَانَ وَبَنُوهُ إِلَى غَرْنَاطَةَ صُحْبَةَ وَالِيهَا السَّيِّدِ أَبِي سَعِيدٍ ،

(١) هُوَ يَحْيَى بْنُ غَانِيَةَ كَبِيرُ قَوَادِ الْمُرَابِطِينَ فِي الْأَنْدَلُسِ . وَقَدْ سَبَقَ التَّعْرِيفُ بِهِ (رَاجِعِ

الْمَجْلَدَ الْأَوَّلَ مِنَ الْإِحَاطَةِ ص ٩٧ حَاشِيَةً) .

(٢) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَمَعْنَاهُ هُنَا النَّصْرَانِ . وَأَنْ تَقْعَمَ الْقَلْعَةُ بِالسَّلَامِ

أَسْوَدَ بِأَمْلَاكِهِ مَلِكِ النَّصَارَى

فبقى في جملة العسكر عند دخول ابن مَرْدَنِيْش وصِهْرَه غرناطة . وقد اضطربت الفتنة . وفَسَدَ ما بين السيد وبين أُنَى جعفر بن أبي مروان منهم ، بما تقدَّم في اسمه من حديث حفصة^(١) . ولما ظهرت دلائل التغيير ، وخافوا على أنفسهم ، أداروا الرأى في الانحياز إلى خدمة ابن مردنیش ، ونهأهم والدهم أبو مروان . وأشار عليهم بمصابرة الأمر ، فلحق عبد الرحمن بالقلعة . وفرَّ أحمد لما انكشف الأمر ، وعُثِرَ عليه بجهة مالقة ، فقتل . وانجرت بسبب ذلك النكبة على عبد الملك وابنه محمد ، فبقيا بغرناطة . ومن يُشار إليه من أهل بيتهما ، واستُصْفِيَتْ أموالهما ، واستخلصت^(٢) ضياعهما ، إلى أن ورد كتاب الخليفة أبي يوسف يعقوب بن عبد المؤمن بن علي بإطلاقهم ورد أموالهم، بما اقتضته السياسة من استمالة من نزع منهم عن الطاعة ، وأمر عبد الملك باستيلاف نافرهم . ولما هلك ابن مرد نيش ، وردَّ من اتصل به صحبة المُستأمنين من أولاد الأمير الهالك ، فقدموا على رجب وسعة . وثاب جاه أبي مروان . واتصل عزه . واتسعت حُظوته ، إلى أن هلك بعد أن ولى بمراكش النَّظر في العُدَّة والأسلحة ، والقيام على دار الصَّنعة .

« وفاته » : بغرناطة سنة ستين وخمسمائة^(٣) .

عبد العزيز بن علي بن أحمد بن عبد الرحمن بن

محمد بن عبد العزيز بن يست^(٤)

من أهل غرناطة ، يكنى أبا سلطان .

(١) راجع المجلد الأول من الإحاطة (ص ٢١٧ - ٢١٩) .

(٢) إستخلصت ضياعهما ، أى وضعت في المستخلص أو الأملاك السلطانية .

(٣) وردت هذه الترجمة في الإسكوريال ولم ترد في الزيتونة .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي نسخة (كتب)

حاله

فاضل . حَيَّ ، حسن الصورة ، بادی الحشمة ، فاضل البيت ،
سريه . كتب في ديوان الأعمال ، وترقى إلى الكتب مع الجملة بالدار
السلطانية ، وسفر في بعض الأغراض الغربية ، ولازم الشيخ أبا بكر بن
عتيق بن مُقدم ، من شيوخ الصوفية بالحضرة ، فظهرت عليه آثار ذلك
في نظمه ومقاصده الأدبية .

شعره

وشعره لا بأس به ، ومن أمثله قوله ما أنشد له في ليلة الميلاد الأعظم :
القلب يعشق والمدامع تنطق بـرح الخفاء فكل عضو منطق
[قلت ، قد ذكرها ابن الخطيب في جملة ما أنشد في الميلاد الأعظم
في السفر الخامس ، فلا فائدة في تكرارها هنا]^(١) .
ومما خاطبني به :

أطلت عَتَبَ زَمان فلّ من أَمَلْ	وسمته السَّدَم في حِلْ ومُرتحل
عاتبته ليلسين للعتب جانبسه	فما تراجع عن مَطْل ولا بُخل
فعدت أَمْنحه العُتبي ليشفق بي	فقال لي إنّ سمى عنك في شغل
فالعتب عندى والعُتبي فلست أرى	أصغى لمدحك إذ لم أضغ للعدّل
فقلت للنفس كُفّ عن مُعاتبه لا	تنقضى وجواب صيغ من وجَل
من يَعتلق بالدُّنا بابن الخطيب فقد	سما عن الدُّل واستوى على الجَدَل
فقلت من لي بتَقريبى لخدمته	فقد أجاب قريبا من جوابك لي
قد اشتغلت عن الدنيا بآخرى	وكان ما كان في أيّامى الأول

(١) واضح أن ما بين الحاصرتين ، هو من إنشاء ناسخ المخطوط ، وقد وردت هذه

وقد رَعَيْتُ وما أَهْمَلْتُ من مَنَح
ولست أَرْجِعُ لِلدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا
أَلَسْتُ تبصر أَطْمَارِي وَبُعْدِي عن
فَقْدَالِ ذَلِكَ قَبُولُ صَحِّ مُجْمَلِهِ
ما أَنْتَ طالبُ أَمْرٍ تَسْتَعِينُ بِهِ
ولا تُحِلُّ حَرَاماً أو تُحَرِّمُ ما
ولا تَبْغِ أَجَلَ الدُّنْيَا بِعَاجِلِهَا
وَأَيْنَ عَنْكَ الرَّشَا إِنْ كُنْتَ تَطْلُبُهَا
هل أَنْتَ تَطْلُبُ إِلَّا أَنْ تَعُودَ إِلَى
فَمَا لِأَوَّحِدِ أَهْلِ الْكَوْنِ قَاطِبَةٍ
لَمْ يَلْتَفِتْ نَحْوَ مَا تَبْغِيهِ مِنْ وَطَرٍ
إِنْ لَمْ تَقَعْ نَظَرُهُ مِنْهُ عَلَيْكَ فَمَا
فَدُونُكَ السَّيِّدِ الْأَعْلَى فَمَطْلِبِكُمْ
فَقَدْ خَبِرْتُ بَنِي الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهِمْ
فَمَا رَأَيْتُ لَهُ فِي النَّاسِ مِنْ شَبِّهِ
قَصْدَتِكَ يَا أَسْمَى الْوَرَى نَسْباً
مَوَاكِ لِمَا أَمَلْتُ مِنْ أَمَلٍ
لِحَالِي فَقَدْ رَقَّ الْحَسُودُ لَهَا
لِنَسَا وَلِدَيْنِ اللَّهِ تَرْفَعُهُ
نَ مُعْتَلِيَا عَنْ كُلِّ حَادِثَةٍ

فَكَيْفَ يَخْتَلِطُ الْمَرْعَى بِالْهَمَلِ
بَعْدَ شَيْبِ غَدَا فِي الرَّأْسِ مُشْتَعِلِ
نَيْلِ الْحِظْوَظِ وَإِعْدَادٍ إِلَى أَجَلِ
لَسَكُنَّ مِنْ شَأْنِهِ التَّفْصِيلِ لِلْجَمَلِ
عَلَى الْمَظَالِمِ فِي حَالٍ وَمُقْتَسَبِلِ
أَحِلَّ رَبُّكَ فِي قَوْلٍ وَلَا عَمَلِ
كَمَا الْوَلَاةُ تَبِيعَ السَّيِّمَ بِالْوَشَلِ
هَذَا لِعَمْرَى أَمْرٌ غَيْرُ مُنْفَعِلِ
كَتَبَ الْمَقَامَ الرَّفِيعَ الْقَادِرُ فِي الدُّوَلِ
وَأَسْمَحَ الْخَلْقَ مِنْ حَافٍ وَمُنْتَعِلِ
وَلَمْ يَشِدَّ الَّذِي قَدْ بَانَ مِنْ خَلَلِ
يَضْبُو لَدَيْكَ لِلَّذِي أَمَلْتُ مِنْ أَمَلِ
قَدْ نَيْطَ مِنْهُ بِفَضْلِ غَيْرِ مُنْفَضِلِ
مِنْ عَالَمٍ وَحَكِيمٍ عَسَارِفِ دُولِ
قَلَّ النَّظِيرُ لَهُ عِنْدِي فَلَا تَسْلِ
وَلَيْسَ لِي عَنْ عَلِيَّكَ مِنْ حِسُولِ
وَلَيْسَ لِي عَنْكَ مِنْ زَيْغٍ وَلَا مَيْلِ
وَاحْسِمِ زَمَانَةً مَا قَدْ سَاءَ مِنْ عِلَلِ
مَا أَغْقَبَتْ بُكْرَ الْإِصْبَاحِ بِالْأُضَلِ
كَمَا عَلَتْ مَلَّةُ الْإِسْلَامِ فِي الْمَلَلِ

عبد البر بن فرسان بن إبراهيم بن عبد الله بن عبد الرحمن الغساني
وادي آشي الأصل . يكنى أبا محمد .

حاله

كان من جلة الأدباء . وفحول الشعراء . وبرعة الكتّاب . كتب
عن الأمير أبي زكريا يحيى بن إسحق بن محمد بن علي الميوقى^(١) .
الثائر على منصور بن عبد المؤمن^(٢) ، ثم على من بعده من ذريته إلى
أيام الرشيد منهم ، وانقطع إليه وصحبه في حركاته . وكان آية في بُعد
الهمة ، والذهاب بنفسه ، والعناء ، ومواقف الحرب . فإنه دهم في المثل .
أشبه امرأً يعض بزّه ، فقد كان ألقى الناس بصحبة الميوقى ، وأنسبهم
إلى خدمته .

« مشيخته » : روى عن أبي زيد بن السهيلي .

بعض أخباره

في البأ والصرامة . حدثنا شيخنا أبو الحسن بن الجيّاب عمّن حدثه
من أشياخه ، قال ، وجّه الميوقى في عشية يوم من أيام حروبه إلى المأزق .
وقد طال العراك ، وكاد يكلّ الناس عن الحرب . إلى أن يباكروها من
الغد ، فنفذ لما أمر به . ولما بلغ الصدر . اشتد على الناس . وذعر أرباب
الحفيظة . وأنهى إليهم العزم من أميرهم في الحمله . فانهزم عدوهم
شرّ هزيمة . ولم يعد أبو محمد إلا في آخر الليل بالأسباب والغنيمة .

(١) سبق التعريف بأبي زكريا يحيى بن إسحق الميوقى في المعروف بـ

(راجع المجلد الأول من الإحاطة ص ٣١١ - حاشية) .

(٢) الإشارة هنا إلى الخليفة الموحد أبي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن المتوفى

بمعقوب المنصور الذي حكم من سنة ٥٨٠ هـ إلى سنة ٥٩٥ هـ (١١٨٤ - ١١٩٩ م) .

وقال له ما حملك على ما صنعت ، فقال له . الذي عَمِلْتُ هو شَأْنِي ، وإذا أردتَ من يَصْرِفُ الناسَ عن الحرب ويُذهِبُ رِيحَهُمْ ، فانظر غَيْرِي .

وحدثني كذلك أَنَّ وَلَدًا له صغيرًا ، تشاجر مع تَرْبٍ له من أولاد أميره أبي زكريا ، فقال منه ولد الأمير ، وقال وما قَدَّرَ أبيك . ولما بلغ ذلك أباه ، خرج مُغَضَّبًا لِحِينِهِ ، ولقي ولد الأمير المخاطب لولده ، فقال حَفِظَكَ اللهُ ، لست أشك في أني خديم أبيك . ولكني أحبُّ أن أعرفك بمقداري ومقداره ، إعلم أن أباك وجَّهني رسولاً إلى الخليفة ببغداد بكتاب عن نفسه ، فلما بَلَغْتُ بغداد نزلت في دار اكْتُرِيتُ لي بسبعة دراهم في الشهر ، وأُجْرِي على سبعة دراهم في اليوم ، وطُولِعَ بكتابي ، وقيل مَنْ الميورقي الذي وجَّهه ، فقال بعض الحاضرين ، هو رجل مغربي ثائر على أستاذه . وأقامت شهراً ، ثم استدعيت إلى الانصراف ، ولما دخلت دار الخلافة ، وتكلمت مع من بها من الفضلاء ، أرباب المعارف والآداب ، اعتذروا لي ، وقالوا للخليفة ، هذا رجلٌ جُهْلٌ مقداره ، فأُعِدَّتْ لي محل ، اكْتُرِيتُ بِسَبْعِينَ درهماً ، وأُجْرِي على مثلها في اليوم ، ثم استدعيت ، فودعت الخليفة^(١) ، واقتضيت ما تيسر من جوابه ، وصدر لي شيء له خَطَرٌ من صلاته . وانصرفيت إلى أبيك . والمعاملة الأولى كانت على قدر أبيك عند مَنْ يعرف الأقدار ، والثانية كانت على قدرى والمنَّةُ لله . وأنخبار ابن قُرسان كثيرة .

شعره

وقد نَعِمَ الأمير بعمامة بيضاء ، ولبس غِفارة حمراء على جَبَّةٍ خضراء ، فقال :

(١) وردت في الإسكوريه (الخلافة) . والتصويب أنسب للسياق .

فديتك بالنفس التي قد ملكتها
تسوددت للحسن الحقيقتي بهجة
ولما تلالاً نور غرتك السرى
تلقيتها خضراء أحسن ناظر
وأسلت حُمُر الملابس فوقها
وأصبحت بدرا طالعا في غمامة
وما أنت موليا من الكرم الغض
فصار بها الكلى في ذاك البعض
تقسم في طول البلاد وفي العرض
نبت عنك إجلالا وذاك من الفرض
بمفرق تاج المجد والشرف المخض
على شفق دان إلى خضرة الأرض
ومن شعره ، ولا خفاء ببراعته :

ندى مُخضلا ذاك الجناح المُنمنا
أعذهن ألحانا على سَمْع مُعرب
وطر غير مقصوص الجناح مرقها
وقال أيضا رحمه الله :

كنى حزننا أن الرماح صقيلة
وأن بياذيق الجوانب قرزنت
وأن الشبا رهن الصدا بديمايه
ولم يعد رخ الدست بيت بنييه^(١)

عبد العظيم بن عمر بن عبد الله بن حستان الغساني

جلياني^(٢) من أهل وادي آش . وتردد إلى غرناطة ، يكنى أبا
محمد ، وأبا الفضل .

حاله

(١) وردت هذه الترجمة في الإسكرو بال ولم ترد في الزيتونة .

(٢) نسبة إلى جليانة وهي محلة قدمه من أعمال وادي آش كانت تسمى جليانة تنفاج لاشتار
هذه المنطقة بإنتاج التنفاج الجيد الفخر (ياموت) . ولسكنها دثرت اليوم ، ولا حدها أثر في
خرائط شمال غرناطة أو وادي آش الحديثة .

تجول ببلاد المشرق سائحا . وجعّ ونزل القاهرة . وكان أديبا ،
بارعا حكما . ناظما ناثرا .

تواليفه

وله مصنفات منها « جامع أنماط السایل في العروض والخطب
والرسایل » ، أكثر كلامه فيه نظما ونثرا .

« مشيخته ومن روى عنه » . روى عنه أبو الحسن علي بن عبد الله
ابن عبد الرحيم الخطيب بضريح الخليل ، وأبو عبد الله بن يحيى المُرسي .

شعره

قال من شعره :

ألا إنما الدنيا بحارٌ تسلّطت فما أكثر الغرقى على الجنّات
وأكثر من لاقيت يُغرق إلفه وقلّ فتى ينجو من الغمرات
« وفاته » : سنة ثلاث وستماية^(١) .

تم المجلد الثالث

من كتاب الإحاطة

(١) وردت هذه الترجمة في الإسكوريال ولم ترد في الزيتونة .

فهارس المجلد الثالث

من كتاب « الإحاطة »

صفحة

- ١ - فهرست التراجم ٥٨٠
- ٢ - فهرست الرسائل والقطع النثرية ٥٨٩
- ٣ - فهرست الشعر والشعراء ٥٩١
- ٤ - فهرست الكتب والرسائل التي ورد ذكرها خلال الكتاب ... ٥٩٧
- ٥ - فهرست القبائل والطوائف والدول ٦٠١
- ٦ - فهرست البلدان والأماكن ٦٠٢
- ٧ - فهرست الأعلام ٦٠٧

استدراك

ذكرنا في مقدمة هذا المجلد من « الإحاطة » أننا سوف نمضي في تراجمه حتى ترجمة عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن سبعين العكبي ، وأنه سوف يشمل من مخطوط الإسكوريال مائة وثمان وتسعين لوحة ، من اللوحة ٨٥ إلى اللوحة ٢٨٣ . بيد أننا رأينا بعد ذلك ، لأسباب فنية ، أن ينتهي هذا المجلد بترجمة عبد العظيم بن عمر بن عبد الله بن حسان الغساني ، مشتملا على مائة واحد وتسعين لوحة ، من اللوحة ٨٥ إلى اللوحة ٢٧٦ إسكوريال .

فهرست التراجم

صفحة

٣	مقدمة
١١	محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن أحمد العزفى .
١٧	محمد المكودى .
٢٣	محمد بن أحمد بن فتوح بن شقرال اللخمي ..
٢٧	محمد بن محمد بن محمد بن يبيش العبدري
٣١	محمد بن محمد القزى الضرير ..
٣٣	محمد بن عبد الولي الرعيى ..
٣٥	محمد بن على بن أحمد الخولانى
٣٨	محمد بن على بن محمد البلنسى .
٣٩	محمد بن سعد بن محمد بن لب بن حسن بن حسن بن عبد الرحمن بن بقی
٤١	محمد بن سعيد بن على بن يوسف الأنصارى
٤٣	محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان النفزى
٦٠	محمد بن أحمد بن داود بن موسى بن مالك اللخمي اليكى
٦٤	محمد بن أحمد بن محمد بن على الغسانى
٦٥	محمد بن أحمد بن على بن قاسم المذحجى
٦٦	محمد بن أحمد بن محمد بن على الغسانى
٦٧	محمد بن أحمد الرقوطى المرسى
٦٨	محمد بن إبراهيم بن المفرج الأوسى ..
٦٩	محمد بن إبراهيم بن محمد الأوسى ..
٧٠	محمد بن جعفر بن أحمد بن خلف بن حميد بن مأمون الأنصارى
٧٢	محمد بن حكم بن محمد بن أحمد بن باق الحذامى
٧٤	محمد بن حسن بن محمد بن عبد الله بن خلف بن يوسف بن خلف الأنصارى

- ٧٥ محمد بن محمد بن أحمد بن علي الأنصاري
- محمد بن محمد بن إدريس بن مالك ... بن عبد الواحد بن أحمد
- ٧٥ ابن عبد الله التضايعي
- ٧٨ محمد بن محمد بن محارب الصريحي
- ٧٩ محمد بن محمد بن لب الكناني
- ٨١ محمد بن محمد البدوي
- ٨٥ محمد بن عبد الله بن ميمون بن إدريس بن محمد بن عبد الله العبدري
- ٨٨ محمد بن عبد الله بن عبد العظيم بن أرقم النيري
- ٨٩ محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الله بن فرج بن الجند الفهري
- ٩١ محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن الفخار الجذامي
- ٩٦ محمد بن علي بن عمر بن يحيى بن العربي الغساني
- ٩٧ محمد بن علي بن محمد العبدري
- ١٠٣ محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي
- ١٣٠ محمد بن عبد الرحمن بن سعد التيمي التلسي الكرسوطي
- ١٣٤ محمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري
- محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن إدريس بن سعيد ... بن عمر
- ١٣٥ ابن رشيد افهري
- ١٤٣ محمد بن علي بن هاني اللخمي السبتي
- ١٥٤ محمد بن يحيى العبدري
- ١٥٦ محمد بن أحمد بن إبراهيم بن الزبير
- ١٥٨ محمد بن أحمد بن خلف بن عبد الملك بن غالب الغساني
- ١٥٩ محمد بن أحمد بن محمد الدوسي
- محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن يوسف بن رويل
- ١٦٠ الأنصاري
- ١٦٢ محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن أبي زمين المري

- ١٦٣ محمد بن جابر بن محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم بن حسان القيسي .
- ١٦٥ محمد بن خلف بن موسى الأنصاري الأوسي
- ١٦٧ محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله الحولاني
- ١٦٨ محمد بن محمد بن علي بن سودة المري
- ١٧١ محمد بن عبد العزيز بن سالم بن خلف القيسي
- ١٧٢ محمد بن عبد الله بن أبي زمين.
- محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد . . . بن أبي زمين
- ١٧٢ عدنان بن بشير بن كثير المري
- ١٧٤ محمد بن عبد الرحمن بن الحسن بن قاسم ... بن هاني اللخمي القايسى ...
- ١٧٥ محمد بن عبد الرحمن بن عبد السلام بن أحمد بن يوسف بن أحمد الغساني .
- محمد بن عبد الواحد بن إبراهيم بن مفرج . . . بن سعيد بن محمد بن
- ١٧٦ حقل الغافقي
- ١٧٧ محمد بن علي بن عبد الله اللخمي
- ١٧٩ محمد بن علي بن فرج القربلياني
- ١٨٠ محمد بن علي بن يوسف بن محمد السكوني
- ١٨٢ محمد بن سودة بن إبراهيم بن سودة المري
- ١٨٣ محمد بن يزيد بن رفاعة الأموي البيري
- ١٨٤ محمد بن أحمد بن محمد . . . بن أبي بكر بن خميس الأنصاري ...
- ١٨٦ محمد بن أحمد بن عبد الله العطار
- ١٨٧ محمد بن أحمد بن المراكشي
- ١٨٩ محمد بن بكرون بن حزب الله
- ١٩٠ محمد بن الحسن بن أحمد بن يحيى الأنصاري الخزرجي
- ١٩١ محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصاري الساحلي
- ١٩٣ محمد بن محمد بن يوسف بن عمر الهاشمي
- ١٩٤ محمد بن محمد بن ميمون الخزرجي

صفحة

١٩٦	محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم الأنصاري
٢٠٠	محمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد التلمساني الأنصاري
٢٠٢	محمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن يوسف بن قطرال الأنصاري
٢٠٤	محمد بن أحمد بن محمد بن الأكلحل
٢٠٧	محمد بن الحسن بن زيد بن أيوب بن حامد الغافقي
٢٠٧	محمد بن محمد بن حسان الغافقي
	محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم . . . بن قاسم النخيري
٢٠٩	المدعو بابن الحاج .
٢١١	محمد بن عبد الرحمن الكاتب ..
	محمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد . . . بن عبد الله بن
٢١٣	سعيد بن عمار بن ياسر
	محمد بن سعيد بن خلف بن سعيد . . . بن محمد بن عبد الله بن عمار بن
٢١٥	ياسر العنسي
٢١٧	محمد بن أحمد بن المتأهل العبدري
٢١٨	محمد بن محمد بن محمد بن عبد الواحد البلوي
٢٢٣	محمد بن محمد بن شعبة الغساني . . .
٢٢٥	محمد بن محمد بن العراقي
٢٢٦	محمد بن عبد الله بن محمد بن علي . . . بن عبد الله بن فرتون الأنصاري
٢٢٧	محمد بن عبد الله بن محمد بن مقاتل .
٢٢٨	محمد بن علي بن عبد ربه التجيبي ..
٢٢٩	محمد بن إبراهيم بن محمد بن محمد الأنصاري
٢٣٠	محمد بن أحمد الأنصاري
٢٣١	محمد بن حسنون الحميري
٢٣٢	محمد بن محمد البكري ..
٢٣٣	محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري

صفحة

محمد بن أحمد بن جعفر بن عبد الحق بن محمد . . . بن ريد بن عامر بن	
نصر بن حفاف السلمى	٢٣٤
محمد بن أحمد بن حسين بن يحيى بن الحسين بن محمد بن أحمد بن	
صفوان القيسى	٢٣٦
محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصارى	٢٣٩
محمد بن أحمد بن قاسم الأمى	٢٤١
محمد بن أحمد بن يوسف بن أحمد بن عمر . . . بن عبد الرحمن بن حميد	
الهاشمى الطنجالى	٢٤٥
محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم البليقى ، ابن الحاج	٢٤٨
محمد بن يحيى بن إبراهيم بن أحمد . . . بن يحيى بن عباد الفزى	٢٥٢
محمد بن يوسف بن خلصون	٢٥٦
محمد بن أحمد بن أمين بن معاذ . . . بن يوسف العراقى	٢٦٨
محمد بن أحمد بن شاطر الحمحى المراكشى	٢٦٩
محمد بن محمد بن عبد الرحمن التيمى ، ابن الخلفاوى	٢٧١
محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن يوسف اللوائى	
(ابن بطوطة)	٢٧٣
مزدلى بن تيولتكان بن حمى بن محمد بن ترقوت . . . بن واهاتن	
الصنهاجى الامتوى	٢٧٤
موسى بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن بن على الهنتاقى	٢٧٥
منديل بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو . الأمير أبو زيان	٢٧٦
المطرف بن عبد الله بن محمد . . . بن عبد الرحمن بن معاوية	٢٧٨
منذر بن يحيى التجيبى	٢٨١
موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يعمراسن بن ريان ، أبو حو	
مبارك ومظفر الأميران موليا المنصور بن أئى عامر	٢٩٢
منصور بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو	٢٩٨

٣٠٠	مقاتل بن عطية البرزالي .
٣٠٢	مؤمل بن رجاء بن عكرمة بن رجاء العقيلي .
٣٠٣	المهلب بن أحمد بن أبي صفرة الأسدي
								مالك بن عبد الرحمن بن علي . . . بن أزرق بن سعد بن سالم بن الفرج ،
٣٠٣	ابن المرحل .
٣٢٤	منصور بن علي بن عبد الله الزواوي ..
٣٣٠	مسلم بن سعيد التنملي .
٣٣١	مؤمل ، مولى باديس بن حبوس
								نصر بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر . . . بن عقيل الخزرجي
٣٣٤	الأنصاري ، السلطان
٣٤٢	نصر بن إبراهيم بن أبي الفتح الفهري
٣٤٤	نزهون بنت القليعي
٣٤٥	الصميل بن حاتم بن عمر بن جذع بن شمر بن ذى الحوشن الكلبي
٣٤٩	صفوان بن إدريس بن إبراهيم بن عيسى بن إدريس التجيبي
								صالح بن يزيد بن صالح بن موسى . . . بن شريف النفزي (أبو الطيب
٣٦٠	الرندي)
								عبد الله بن إبراهيم بن علي بن محمد التجيبي (الرئيس أبو محمد بن
٣٧٦	إشقيولة)
								عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد
٣٧٩	الصنهاجي
٣٨٢	عبد الله بن علي بن محمد التجيبي ، الرئيس أبو محمد بن إشقيولة
٣٨٤	عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد الغزفي
٣٨٥	عبد الله بن الحبير بن عثمان بن عيسى بن الحبير اليحصبي
٣٨٦	عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد بن علي السلماني .
٣٩٢	عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن جزي

صفحة

٣٩٩	عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن مجاهد العبدري الكواب .
٤٠٠	عبد الله بن علي بن عبد الله بن علي بن سلمون الكنانى
٤٠٤	عبد الله بن سهل الغرناطى
٤٠٥	عبد الله بن أيوب الأنصارى
٤٠٥	عبد الله بن الحسن بن أحمد بن يحيى بن عبد الله الأنصارى
٤١٠	عبد الله بن أحمد بن إسماعيل بن عيسى . . . بن سمالك العاملى
٤١١	عبد الله بن أحمد بن محمد بن سعيد . . . بن منخل بن زيد الغافقى
٤١٢	عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن . . . بن أبي زمين المرى
٤١٣	عبد الله بن يحيى بن محمد بن أحمد . . . بن يحيى بن زكريا الأنصارى
٤١٥	عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد . . . بن أبي حمزة الأزدي
٤١٦	عبد الله بن سليمان بن داود . . . بن حوط الله الأنصارى
٤١٧	عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن . . . بن ربيع الأشعرى
٤١٩	عبد الله بن إبراهيم بن الزبير بن الحسن بن الحسين الثقفى العاصمى
٤٢٠	عبد الله بن موسى بن عبد الرحمن بن حماد الصنهاجى
٤٢١	عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الأزدي (ابن الرابع)
٤٣٢	عبد الله بن إبراهيم بن وزمر الحجارى الصنهاجى
٤٣٦	عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سعيد . . . بن الخطيب السلماني
٤٣٩	عبد الله بن محمد بن ساره البكرى
٤٤١	عبد الله بن محمد الشراط
٤٤٣	عبد الله بن يوسف بن رضوان بن يوسف بن رضوان النجارى
	عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن سعيد . . . بن عبد الله بن
٤٥٦	سعيد بن عمار بن ياسر .
٤٥٩	عبد الله بن عبد البر بن سليمان . . . بن أشعث الرعنى
٤٦١	عبد الله بن فارس بن زيان
٤٦٣	عبد الله بن فرج بن غزلون اليحصي

- عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن معاوية ، الناصر لدين الله ٤٦٤
- عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله، المرتضى ٤٦٦
- عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ٤٦٧
- عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن سعيد بن محمد اللخمي ٤٧٢
- عبد الرحيم بن إبراهيم بن عبد الرحيم الخزرجي (ابن الفرس) ٤٧٣
- عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن . . . بن فتوح الخثعمي . ٤٧٧
- عبد الرحمن بن هاني اللخمي ٤٨١
- عبد الرحمن بن أحمد بن أحمد بن محمد الأزدي ٤٨٢
- عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد الأنصاري ٤٨٣
- عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن جابر . . . بن عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي ٤٩٧
- عبد الرحمن بن الحاج بن القمبي الإلبيري... .. ٥١٧
- عبد الرحمن بن يخلفتن بن أحمد بن تغليت الفازازي ٥١٧
- عبد الرحمن بن أسباط ٥٢٣
- عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن مالك المعافري ٥٢٤
- عبد الرحمن بن عبد الملك الينشتي ٥٢٧
- عبد الأعلى بن موسى بن نصير ٥٢٩
- عبد الحليم بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن يحيى... .. ٥٢٩
- عبد المؤمن بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن يحيى ٥٣٣
- عبد الحق بن علي بن عثمان بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق ... ٥٣٤
- عبد الواحد بن زكريا بن أحمد اللحياني ٥٣٥
- عبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق بن يحيى . . . ٥٣٦
- عبد الملك بن علي بن هذيل الفزاري وعبد الله أخوه ٥٣٨
- عبد القهار بن مفرج بن عبد القهار بن هذيل الفزاري ٥٣٨

صفحة

عبد الحق بن غالب بن عطية بن عبد الرحمن . . . بن أسلم بن مكتوم	
المحاربي	٥٣٩
عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم بن فرج الخزر جي (ابن الفرس) . . .	٥٤١
عبد الحكيم بن الحسين بن عبد الله . . . التماي اليدر ازي تي الواغديني . . .	٥٤٦
عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هرون . . . بن مرداس السلمي . . .	٥٤٨
عبد الواحد بن محمد بن أبي السداد ، الشهير بالباهلي	٥٥٣
عبد الحق بن محمد بن عطية . . . بن عبد الرحمن بن غالب بن عطية	
المحاربي	٥٥٥
عبد الرزاق بن يوسف بن عبد الرزاق الأشعري	٥٦٩
عبد الملك بن سعيد بن خلف العنسي	٥٧٠
عبد العزيز بن علي بن أحمد . . . بن عبد العزيز بن يست . . .	٥٧٢
عبد البر بن فرسان بن إبراهيم بن عبد الرحمن الغساني	٥٧٥
عبد العظيم بن عمر بن عبد الله بن حسان الغساني	٥٧٧

فهرست الرسائل والقطع النثرية

صفحة

- رسالة خاطب بها محمد بن محمد البدوي ابن الخطيب ٨٣
رسالة كتب بها محمد بن علي بن محمد العبدري إلى ابن الخطيب ردا على
ما طلبه منه أن يثبت له شيئا من شعره ٩٩
رسالة يرحب فيها ابن مرزوق العجيسى بمقدم ابن الخطيب إلى فاس :. ١٠٩
رسالة كتب بها ابن الخطيب إلى ابن مرزوق يرسم فيها دستورا لخدمة
الملوك ١١٨
رسالة كتب بها محمد بن هاني السبتي إلى القاضي الشريف أبي القاسم
الحسنى ١٤٧
رسالة يخاطب بها ابن الخطيب محمد بن القاسم الأنصاري على أثر توليه
منصب الحسبة ١٩٧
رسالة لأبي القاسم بن خلصون يستعرض فيها نظريات الغزالي ، ثم
نظريات ابن رشد ٢٦٤
رسالة كتب بها مالك بن المرحل إلى أبي بكر بن يوسف الفخار وأبي
القاسم خلف بن عبد العزيز القبتوري ٣٢٠
ما كتبه منصور بن علي الزواوي إلى ابن الخطيب عن مشيخته ٣٢٦
ما كتب نثرا على قبر السلطان نصر بن محمد بن محمد بن يوسف ... ٣٤١
ما كتبه صفوان بن إدريس التجيبي في تهنئة القاضي أبي القاسم بن بقي . ٣٥٨
نبذة مما كتبه أبو الطيب الرندي (صالح بن يزيد بن شريف النفزي)
في كتابه « روضة الأنس » ٣٧٣
ما كتب نثرا على قبر الرئيس أبي محمد بن إشقياولة ٣٧٨
ما كتبه عبد الله بن إبراهيم الأزدي (ابن المراجع) في وصف جولته
للبحث عن أضحية لعبد الأضحى ٤٢٥
رسالة بعث بها عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الخطيب إلى والده لسان الدين
بالمناكب ٤٣٧

صفحة

- رسالة ابن رضوان النجارى إلى ابن الخطيب ردا على رسالته التى بعث بها
إليه من 'سلا ٤٥٢
- رسالة أخرى من ابن رضوان النجارى إلى ابن الخطيب ينوه فيها بمناقبه
و بمؤلفه « كتاب المحبة » ٤٥٣
- رسالة لعبد الرحمن بن إبراهيم الأنصارى (ابن الفصال) يخاطب بها الكتاب
رسالة إلى أحد أصحابه ، وقد استخفى لتهمة نسبت إليه ... ٤٨٩
- رسالة رد بها المترجم ، وقد اتهم بأن ذلك من إملاء ابن الخطيب ... ٤٩١
- رسالة ابن الخطيب فى التحكيم بين الرسالتين ... ٤٩٤
- رسالة ابن الخطيب فى الترحيب بابن خلدون حينما وصل إلى حضرة
غرناطة ٤٩٩
- رسالة منه إليه يخاطبه فى شأن جاريته هند صبيحة الابتناء بها... ٥٠١
- رسالة يخاطب بها عبد الحق بن محمد بن عطية المحاربى ، ابن الخطيب... ٥٥٦

فهرست الشعر والشعراء^(١)

صفحة	صفحة
٤٦ ... بدا كهلال العيد وقت طلوعه ...	ابن بقی ، محمد بن سعد بن محمد بن لب
٤٧ ... لا تعذلاه فما ذو الحب معقول ..	كم أرى مدمن هو ودعة ... ٤١
٥٠ ... هو العلم لا كالعلم شيء تراوده ...	ابن بيش العبدی ، محمد بن محمد
٥٦ ... تفردت لما أن جمعت بذات ...	يا ساكننا قلبي المعنى ... ٢٨
٥٧ ... كتم اللسان ومدمعي قد باحا ...	أنا ملك الغر التي سيب جودها ... ٢٩
٥٧ ... نور نجدك أم توقد نار ...	أساجمة بالواديين تبوئ ... ٢٩
٥٨ و ٥٩ ... مقطوعاته المختلفة .	ديار خطها نجد قديم ... ٢٩
ابن الخطيب السلماني ، لسان الدين	ابن جزى الكلبي ، محمد بن أحمد بن محمد
راحت تذكري كؤوس الراح . ١٠٨	لكل بني الدنيا مراد ومقصد ... ٢٢
شفاء عياض للصدور شفاء ... ١٢٧	أروم امتداح المصطفى ويردفي ... ٢٢
أزاهير رياض ١٢٧	يارب إن ذنوبي اليوم قد كثرت ... ٢٣
حييت يا مختط سبت بن نوح ... ١٢٨	وكم من صفحة كالشمس تبدو . ٢٣
بادرها المغنى الهمام موسى ... ٢٩٢	ابن جزى الكلبي عبد الله بن محمد
ثم تقضى معظم الزمان ... ٣٣٨	سنى الليلة الغراء وافتك بالبشرى . ٣٩٥
حتى إذا استوفى زمان سعدة . ٣٨	لقد قطعت قلبي يا خليلي . ٣٩٧
ابن خلدون الحضرمي ، عبد الرحمن بن محمد	لقد كنت موصولا فأبدل وصلكم ٣٩٧
أسرفني في هجرى وفي تمذيبي . ٥٠٨	يا ناصبا علم الحساب حباله ... ٣٩٧
قدحت يد الأشواق من زندي . ٥١١	لقد كل الود بيننا ... ٣٩٨
يا سيد الفضلاء دعوة مشفق ... ٥١٣	ألا اكتم حب من أحببت ... ٣٩٨
حي المهاد كانت قبل تحييتي ... ٥١٤	وأشقب الثغر له وجنة ... ٣٩٨
ابن خلصون ، محمد بن يوسف	إلى الله من خل حبابي برقعة ... ٣٩٨
هل تعلمون مصارع العشاق ... ٢٥٨	إلى الله أشكو عذرا ترددا ... ٣٩٨
أعد الحديث إذا وصفت جماله .. ٢٥٨	أيا حسن إن شئت الدهر شملنا ... ٣٩٨
إن كنت تزعم حبنا وهو أنا .. ٢٥٩	إن كان باب القرب قد سد بيننا ٣٩٨
لو خيال من حبيبي طرقا . ٢٦٠	لقد صرت في غصب القصايد
دعوت من شفتي رفقا على كبدي ٢٦٠	ماهرًا ٣٩٩
ركبنا مطايا شوقنا نبتني السرى ... ٢٦٠	ابن الحاج النميري ، محمد بن عبد الله بن ابراهيم
يا نايما يطلب الاسرار اسرارا ... ٢٦١	مولاي يا خير أعلام السلاطين . ٢١٠
أطالب ما في الروح من غامض السر . ٢٦٢	ابن حوط الله الانصاري ، عبد الله بن سليمان
مشاهدتي مغناك يا غايبي وقت ... ٢٦٢	أندري أنك الخطاء حقا ... ٤١٧
	ابن حيان النفزي ، محمد بن يوسف

(١) نورد هنا أسماء الشعراء مرتبة على حروف المعجم ، ونشير إلى شعرهم بإيراد الشطرة

الأولى من البيت الأول من كل قصيدة أو مقطوعة من المنظوم .

صفحة

ابن دراج القسطل ، أبو عمر

- بشارك من طول الترحل والسرى . ٢٨١
أنورك أم أوقدت بالليل نارك .. ٢٩٣
ابن رشيد الفهري ، محمد بن عمر بن محمد
هنيئا لعيني أن رأيت نمل أحد ... ١٣٨
أقول إذا هب النسيم المعطر ... ١٣٨
شباب ثوى شابت عليه المفارق . ١٤١
سرى نسيم من حى سارة ... ٤٠٢
ابن رضوان النجاري ، عبد الله بن يوسف
لملكا ترعيا لى وسايل ... ٤٤٥
نشرت لواء النصر واليمن والسعد ... ٤٤٧
جلالك أولى بالملا الخلد ... ٤٤٨
تبرأت من حولي إليك وأيقنت .. ٤٤٩
سل بالعلم وسنى المعارف يهر .. ٤٤٩
أنا الخبر فى حل العلوم وإن تقل .. ٤٥٠
ونجى لما دعوه لسكنى ... ٤٥١
يارب منشاء عجبت لشأنها ... ٤٥١
وذى خمدع دعوه لاشتغال ... ٤٥١

ابن روبيل الانصارى ، محمد بن ابراهيم

وما زائر مهما آتى ابتهجت به .. ١٦١

ابن الزبير ، محمد بن احمد بن ابراهيم

نوالى الشكر للرحمن فرضا ... ١٥٧

ابن سمالك العامل ، عبدالله بن احمد

الروض محضر الرب متحمل ... ٤١٠

تفتحت الكتابة عن نسيم ٤١٠

ابن سودة المرى ، محمد بن محمد

جاد الحمى صوب الغمام هتونه . ١٦٩

ابن شبرين ، أبو بكر

قد كان ما قال الزيد ١٥٢

ناعين سحى بدمع واكف سرب .. ٢٢٠

ابن شعبة الفسائى ، محمد بن محمد

واقى البشير فواقى الأنس والجذل ٢٢٤

ابن صفوان القيسى ، محمد بن احمد

هوت بدنى إله فلم يكن فى ٢٣٨

ابن عباد الثفري ، محمد بن يحيى

سرى يسر إن أنك تار ذى .. ٢٥٣

هذا المقيق فسل معاطف مائه ٢٥٣

صفحة

يا للرجال ألا حب يساعدنى ... ٢٥٥

ابن المغازى الملقب ، محمد بن عبد الرحمن
أنظر إلى ورد الرياض كأنه ... ٩٥

ابن الفرس ، عبد المنعم بن محمد الخزرجى

أبى ما بقلبى اليوم أن يتكلم . ٥٤٣

سلام على من شفى بعمد داره .. ٥٤٥

أقرأ على شجل سلاما ... ٥٤٥

عليك سلام الله يا بن مسلم ... ٥٤٦

ابن المراجع ، عبد الله بن ابراهيم الأزدى

ما للحب دواء يذهب الألم ... ٤٢٢

بدار بدار قد آن البدار ٤٢٣

رعى الله عهدا حوى ما حوى .. ٤٢٤

أودى به الحنف لما جاءه الأجل . ٤٢٤

ابن مرزوق العجيسى ، محمد بن احمد

أنظر إل النوار فى أغصانه ١٠٧

يا قادما واقى بكل نجاح ١٠٧

ايا نسيم السحر ... ١١١

ابن ميمون العبدي

لا تكثر بفراق أوطان الصبا ٨٧

توسلت ياربى باني مؤمن ... ٨٨

ابن وذر الحجارى ، عبد الله بن ابراهيم

عليك أحوالى الذكر الجميل ... ٤٣٣

يقولون ماذا الملل تقيم فى ... ٤٣٣

أصبحت فى بسقاية مسلما ... ٤٣٤

أرييس الزمان أغفلت أمرى .. ٤٣٤

وجدنا سعيدا منجبا خير عصبة . ٤٣٥

ابن يست ، عبد العزيز بن على بن احمد

أطلت عتب زمان فل من أمل ... ٥٧٣

أبو الأجرب ، شاعر الصميل

يقى لك حاتم بيت رفيعا .. ٣٤٧

دون الصميل شربة مورودة .. ٣٤٧

أبو الحسن الكرمانى

أكرم داركش دارا .. ٩١

أبو اسحق بن قسوم الزاهد

يروكك يوم العيد حسن ... ٥

أبو بكر بن سعيد

من له ألف خل ٣٤٥

صفحة

- إن كنت تشفق من نزوح نوا... ٥٢٦
أبو عبد الله المقرئ
 لما رأيتك بعد الشيب يا رجل ... ٣٢٩
أبو عبد الله بن شرف
 يا رحمة الله للراجع ونقمته ... ٢١٤
أبو عمرو الزاهد
 تختبر الدنير في مبلق ... ٦٥
أبو محمد بن أبي المعجد
 أيها العارف المعبر ذوقاً ... ٤٦١
أبو الطوفان بن عمره
 خذ في الأشعار على الخيب ... ٢٧٦
سادة بنت أحمد بن عثمان الخلبية
 واني قريض منكم ماذ غدا ... ٤٠٣
صفوان بن ادريس بن ابراهيم التميمي
 جاد الزمان بأفة الجرعاء ... ٣٥٠
 ألا سمح الزمان به كتاباً ... ٣٥٢
 هل رسول البرق يفتنم الأجرا ... ٣٥٤
 يا قمرا مطلقه أضلعي ... ٣٥٧
عبد البر بن فرسان الفسائي
 فدينك بالنفس التي قد ملكتها ... ٥٧٧
عبد الحق بن غالب بن عطية المعادبي
 سقيا لهد شباب ظلت أمزج ... ٥٩٠
عبد الحق بن محمد عطية المعادبي
 يا سيذا قد فاق في مجد وفي شرف ... ٥٥٦
 ألا أيها الليل البطي الكواكب ... ٤٦١
 يا قاطع البيد يطوى السهل والجبل ... ٥٦٤
 يا عاذلي في الهوى أقصر من العذل ... ٥٦٦
 أنا مصنع قد فاق كل المصانع ... ٥٦٧
 الآن قد قامت الدنيا على قدم ... ٥٦٨
عبد الرزاق بن يوسف الأشعري
 يا منما مازال من أمد ... ٥٦٩
عبد الرحمن بن عبد الملك الينشتي
 قل لابن سيد والديه لقد علا ... ٥٢٨
 إن الولاية رفعة لكها ... ٥٢٨
عبد الرحمن بن محمد بن مالك المعافري

صفحة

- أبو الحسن بن حريق**
 أبعد الشيب هوى وصبا ... ٢٦٦
أبو الحسن الورداد
 أبعد ولي الله دمعى يسجم ... ٢٤٣
أبو الطيب الرندي ، صالح بن يزيد النفزي
 سرى والحب أمر لا يرام ... ٣٦١
 أواصلتي يوما وهاجرتي ألفا ... ٣٦٤
 يا طلعة الشمس إلا أنه قمر ... ٣٦٤
 أطال ليلى الكد ... ٣٦٥
 وليلة نهت أجفانها ... ٣٦٦
 البحر أعظم مما أنت تحسبه ... ٣٦٧
 وأزرق محفوف بزهر كأنه ... ٣٦٧
 ما أحسن العقل وآثاره ... ٣٦٧
 وكتيبة بالدارعين كثيفة ... ٣٦٧
 وأبيض صيغ من ماء ومن لب ... ٣٦٨
 وأصفر كالصبي في رونق ... ٣٦٨
 تفاجر السيف فيما قبل والقلم ... ٣٦٩
 أنا صمصامة الكتابة مالى ... ٣٦٩
 ومعتقين ما اشتهرا بعشق ... ٣٦٩
 الورد سلطان كل زهر ... ٣٦٩
 وأزرق كثل السماء ... ٣٦٩
 وأخضر فستق اللون غض ... ٣٦٩
 وغانية يغنى عن العود صوتها ... ٣٧٠
 لله رمانة قد راق منظرها ... ٣٧٠
 غريب كلما يلقي غريب ... ٣٧٠
 برزت من الحمام تمشح وجهها ... ٣٧١
 ومتيم لو كان صور نفسه ... ٣٧٢
 واني وقد زانه جال ... ٣٧٢
 الدهر لا يبق على حالة ... ٣٧٢
 الموت سر الله في خلقه ... ٣٧٣
 خليلي بالود الذي بيننا اجعلا ... ٣٧٥
أبو عبد الله بن أبي الخصال

صفحة

لا تلمني إذا طربت لشجوة... ٥٢٣

عبد الرحمن بن يخلفتن الأزازي

نعم الإله بشكره لتقيده... ٥١٩

عجبا لمن ترك الحقيقة جانبا... ٥٢٠

إليك مددت الكف في كل شدة... ٥٢١

وأدور مياض العواطف أصبحت... ٥٢٢

عبد المظلم بن عمر بن عبد الله الفسائي

إلا إنما الدنيا بحمار تلاطمت... ٥٧٨

عبد القهار بن مفرج القزاري

يا صاحب لا تعرض لزوجية... ٥٣٨

عبد الله بن الجبير البحصبي

يا هاجر بن أضل الله سعيكم... ٣٨٦

عبد الله بن الحسن الانصاري

وهل نافع أن أخطأ الشيب مفرق... ٤١٨

لعمرك ما الدنيا بسرعة سيرها... ٤٠٨

سهرت أعين ونامت عيون... ٤٠٨

عبد الله بن حسون البرجي

خليل هيا سعادتي بعبرة... ٤٠٩

عبد الله بن سعيد بن علي السلمي

الطب والشعر والكتابة... ٣٩٠

وقالوا قد نأوا فاصبر ستشقى... ٣٩٠

عليك بالصبر فكم فاطق... ٣٩٠

أنا بالدهر يا بني خبير... ٣٩١

عبد الله بن محمد بن الخطيب السلمي

من طلل بالرقبتين محيل... ٤٣٦

عبد الله بن محمد بن سارة البكري

أما الوراقة فهي أليكة حرفة... ٤٤٠

وكوكب أنصرا المفرت... ٤٤٠

يا من يصيح إلى داعي اسماء وقد... ٤٤٠

ألا يا موت كن يد رؤوف... ٤٤٠

عبد الله بن محمد الشراط

وكنيت ألفت قبل النوم ألفا... ٤٤٢

صفحة

حالي وحالك أضحت آية عجبا... ٤٤٢

رحلت وخلفتكم مشوقكم نسيا... ٤٤٢

عبد الملك بن حبيب بن سليمان

أحب بلاد الغرب والغرب موطني... ٥٥١

لا تنس لا ينسك الرحمن عاشوراء... ٥٥٢

الفتح بن خاقان

وبدر بدا والطرب مطلع حسنه... ٥٢٥

مالك بن المرحل، مالك بن عبد الرحمن بن الفرج

دنفت تستر بالفرام طويلا... ٣٠٧

أعدى على هواه خصم جفونه... ٣٠٨

هو الحبيب قضى بالبحر أم عدلا... ٣٠٩

انصب إلى الجمال مايل... ٣١٠

يا راحلين وبني قرهم أمل... ٣١١

عبرت ربع الهوى بقلب... ٣١٢

يا خاطب الدنيا طلبت غرورا... ٣١٣

أشف الوجد ما أبكى العيونا... ٣١٣

شوق كما رفعت نار على علم... ٣١٤

جماله كرياض جاورت نهرا... ٣١٦

عداوة لا لكفك من قدنم... ٣١٦

سرت مشيبي بالخضاب تعللا... ٣١٦

لا بد من ميل إلى جهة فلا... ٣١٦

لا معجبوا للمريء يجهل قدره... ٣١٦

أرى المتعلمين عليك أعداء... ٣١٦

يصنع الناس صاحب الجاه فيهم... ٣١٦

يا من الشيخ قد أسن وقد عفا... ٣١٧

الله أكابر في مشار الجامع... ٣١٧

زر غريبا بمقره... ٣٢٤

محمد بن أحمد بن داود اليكي

لقد حاز أصحاب الحديث وأهله... ٦٢

عليك بالصبر وكن راضيا... ٦٢

محمد بن أحمد بن عبد الله العطار

دعاني على طول البعاد هواها... ١٨٦

- محمد بن أحمد بن محمد بن الأكل
راجوتك بعد الله يا خير منجد... ٢٠٥
- محمد بن أحمد بن المناهل العبدى
عمادى ملاذى مويل وموئل... ٢١٨
- محمد بن أحمد بن يوسف المراقى
عبيد بيباب العلا واقف... ٢٦٩
- محمد بن سعيد بن خلف بن عمار بن ياسر
العنسى
- ما بين زينب عمرى... ٢١٦ ...
يا هذه لا تروى... ٢١٦ ...
فخرنا بالحديث بعد القديم... ٢١٧ ...
- محمد عبد الرحمن بن عبد السلام القسائى
الشعب م قبيلة وعمارة... ١٧٥ ...
- محمد بن عبد الرحمن الكاتب
شكوت فاضى المجد برج شكاته... ٢١٢
- محمد بن عبد الله اللوشى
ويوم نعى الناس شهاب المحامد... ٠٣٧
- محمد بن عبد الملك بن سعيد بن عمار بن ياسر
فلا تظهرن ما كان فى الصدر كامنا... ٢١٤
- محمد بن على بن محمد العبدى
أما الغرام فلم أخلل بمذهبه... ٩٩ ...
آيات حسنك حجة للقال... ١٠١ ...
فديتك صاحب السمة المليحة... ١٠٢ ...
- محمد بن على بن هانىء السبتي
لولا مشيب بفودى للفواد عصا... ١٤٥ ...
غنيت بى دون غيرى الدهر عن مثل... ١٤٦ ...
يا أوحده الأدبا يا أوحده الفضلا... ١٤٧ ...
- محمد بن على بن يوسف السكونى
يا من عليه اعتمادى... ١٨١ ...
أمن بعد ما لاج الشيب بمشرق... ١٨١ ...
- محمد بن قاسم بن أحمد الانتصارى
يد من به أبدا عرفت ومن أنا... ١٩٩
- محمد بن محمد بن إبراهيم الشربشى
بى شادن أهيف مهى انتى... ١٦٧ ...
يا أبجل الناس ومن غدت... ١٦٨...
- محمد بن محمد بن أحمد الانتصارى
أرى الكلاب بشم الناس قد ظلمت... ٢٧٤
- محمد بن محمد بن أدريس... القضاى
علاء رياض أورت بمجامد... ٧٧...
أطلع بأفق الراح كاس الراح... ٧٧...
- محمد بن محمد البدوى
خال على خدك أم عزيز... ٨٢...
عينى تفهم من عينيك أسرار... ٨٢ ...
أيها الظبي ترفق... ٨٣ ...
أمولاي بالباب ذو فاقة... ٨٣ ...
المجد تخبر عن صدق مآثره... ٨٤ ...
- محمد بن محمد البكرى
يا غاديا فى غفلة ورايحا... ٢٣٢ ...
- محمد بن محمد بن حسان الفافى
لكم أياد لكم أياد... ٢٠٨ ...
أضحى الزمان بأضحى وهو مبتهم... ٢٠٨
- محمد بن محمد بن عبد الواحد البلى
إلى أجرتنى إلى لك تائب... ٢٢٠ ...
بى الخلافة فتحت لك بابها... ٢٢١ ...
- محمد بن محمد المراقى
أصمت ألفا ثم أنطق بالخلف... ٢٢٥
- محمد بن محمد النمرى الصربى
سلام كرشح الطل فى مبسم الورود... ٣٢
- محمد المكودى
غرامى فيك جل عن قياس... ١٨ ...
بعثت بخمر فيه ماء وإثنا... ١٨ ...
رحماك بى فلقد خلدت فى حلقى... ١٩
- محمد بن يحيى بن عبد الله المزلى
أوديك يا ديج الصبا... ١٢ ...

صفحة	صفحة
موسى بن يوسف .. بن يغمراس بن زيان	وليت يقياس أمور القضا ... ١٢
تذكرت أطلال الربوع الطواسم . ٢٨٨	دع عنك قول عواذل ووشاة .. ١٣
نزهون بنت القليم	إذا لم أطق نحو نجد وصولا ... ١٤
حللت أبا بكر محلا منته ... ٣٤٥	منصور بن على بن عبد الله الزواوى
ما كتب نظما على قبر السلطان نصر	يحييك عن بعض المنازل صاحب ٣٢٩
يا قبر جاد ثراك صوب غمام . ٣٤٢	يا من وجدناه لفظا ... ٣٢٩
ما كتب نظما على قبر الرئيس أبى محمد بن	منصور بن عمر .. بن عبد الحق بن يحيو
شقبلة	سوق نبال المني ونرقى ٢٩٩
قبر عزيز علينا ٣٧٨	

فهرست الكتب والرسائل

التي ورد ذكرها خلال الكتاب

إبلاہ فوائد الدول فی ابتداء مقاصد الجمل ؛ ٩٤

أنس الفريد ؛ ١٧٣

إنشاد الضوال وإرشاد السوال فی لحن العامة ؛

١٤٥

أنماط السایل فی العروض ؛ ٥٨٧

ب - ث

البحر المحيط ؛ ٤٥

البردة ؛ ٥٠٧

بنية السالك فی أشرف المسالك ؛ ١٩٣

بهجة الألفس وروضة الأنس ؛ ٣٤٦

بهجة الأنوار ؛ ١٣٣

البيان فی حقيقة الإيمان ؛ ٢٦٦

التاج المحلى ؛ ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٣ ، ٤٤٢١

٤٤٥ ، ٥٢٧ .

تاریخ علماء البصرة ؛ ١٧٧ .

تاریخ مالقة ، لابن عسكر ؛ ٦٤

تاریخ مالقة ، لإبي الحسن بن الحسن ؛ ١٩٣

التجر الربيع فی شرح الجامع الصحيح ؛ ١٩٣

تخيير نظم الجمان فی تفسير أم القرآن ؛ ٩٣

تحفة المتوسل فی صنعة الطب ؛ ١٧٩

تسهيل الفوائد ؛ ٤٥ - ٧٩ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤٠

تسليفي فی الفرائض ؛ ٣٦٠

تفسير القرآن ؛ ١٧٣

تقريب الوصول إل علم الأصول ؛ ٢١ - ٣٩٣٠

تقييد فی المتنق لابن خلدون ؛ ٥٠٧

التمکلة والتبرية ، فی إعراب البسملة والتعليلة ؛

٩٤

التنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية ؛

٢١

التهذيب لابن بشر ؛ ٣١ - ١٣٢

الأحاديث الأربعون بما يتتفع به القارئون

والسامعون ؛ ٩٤

الإحاطة فی أخبار غرناطة ؛ ٦ - ٣

الأحكام السلطانية ؛ ٥٤٣

الإختیار على مذاهب الأئمة الأخيار ؛ ١٦٦

الأربعون حديثاً ، ١٦٥ ، ١٧٧

الأصول إلى معرفة الله وبنوة الرسول ؛ ١٦٦

الإكامل الزاهر فيمن فصل عند نظم الجواهر ؛

١١ ، ١٤٣ ، ١٧٢ ، ١٨٦ ، ٣٨٨

الأنوار السنية فی الكلمات السنية ؛ ٢١ ، ٣٩٣

الإيضاح والبيان فی الكلام على القرآن ؛ ١٦٦

أجوبة الإقناع والإحساب فی مشكلات الكتاب ؛

٩٤

أرجوزة فی العروض ؛ ٣٠٧

أرجوزة فی شرح كتاب الفصيح ؛ ٧٦

إرشاد السالك فی بيان إسناده زياد عن

مالك ؛ ٩٤

إرشاد المسایل لمنهج الوسائل ؛ ١٩٣

أزهار الرياض فی أخبار عياض ؛ ٢٣

استهواء النهج فی تحريم اللعب بالشطرنج ؛ ٩٤

أشدة الأنوار فی الكشف عن ثمرات الإنكار ؛

١٩٣

أصول القراءة الستة غير نافع ؛ ٢٢

إعلان الحجة فی بيان رسوم المحجة ؛ ٢٤١

إعمال الأعلام ؛ ٤

اقتباس الأنوار ، للرشاطي ؛ ١٧٥

إنقاذ الطلبة النباه فی اجتماع السبعة القراء ؛

٩٤

ثورة المرحطين ٦٠٠

ج - ز

الجامع للترمذى ٣٩٢

جلوة الاقتباس ٣

جزء على حديث جبريل ٣٦٠

الجهاد الأكبر ١٧٩

جواب البيان على مصارعة أهل الزمان ٩٤

الجوابات المجتمعة عن السؤالات المتنوعة ٩٤

الجواب المختصر المروم في تحريم سكنى المسلمين

بلاد الروم ٩٤

حلبة الأسانيد وبغية التلاميذ ٣٩٣

حلية النبيل في معارضة ما في السبيل ٤٧٩

حياة القلوب ١٧٣

الدعوات والأذكار المخرجة من صحيح الأخبار ٢١

الدور في اختصار الطرر ١٣٢

الدرة المكنونة في محاسن إسطنبول ٧٦

ذيل تاريخ مائقة ١٩٣

الذيل والتكلة لكتابي الموصول والصلة ١٧٦ ، ٣

رجز في أصول الفقه ٥٠٧

رجز الدول ٢٩٢

رجز في الزجر والغال ٥٢٨

رسالة ابن أبي زيد القيرواني ١٣٢ ،

١٣٣ ، ١٩٨ ، ٣٩٤

رسالة الشموية لابن غرسية ٢٢٩

رسالة طراد الجهاد في الميدان ، في تفضيل

مرسية على غيرها من البلدان ٣٥٤

الرمي بالحصا ٣٠٧

الروض الآنف والمشرع الروا ، فيما اشتمل

عليه كتاب السيرة واحتوى ٤٧٩

روضة الأنس ونزهة النفس ٣٦١ ، ٣٧٣

زاد المسافر ٣٥٠

الزيج القويم ٧٠

س - ط

سح مزنة الانتخاب في شرح خطبة الكتاب ٩٤

السر المذاع في تفضيل غرناطة على كثير من

البقاع ١٦١

سلك المنخل لمالك بن المرحل ٣٠٧

سنن أبي داود ٣٩٣

الشافى في تجربة ما وقع من الخلاف بين

التيسير والتبصرة والكافى ٤٠٣

الشجرة في الأنساب ١٧٧

شرح البخارى ٣٠٣

شرح التسهيل لابن مالك ١٤٤

شرح العمدة ، لابن دقيق العيد ٣٩٤

شرح مشكل ما وقع في الموطأ وصحيح

البخارى ١٦٦

التعريف والإعلام بما أهتم في القرآن من أسماء

الأعلام ، ٤٧٩

شعر من لا شعر له ٦٢ ، ٨٩

الشهاب للقضاعى ١٧٥ ، ١٩٨

صحيح البخارى ، ٩٠ ، ٣٩٢

صحيح مسلم ٣٩٢

الصدور والمطالع ٣٠٦

صلة الصلة ٣ ، ٤٢ ، ١٥٥ ، ١٧٦

صناعة الشعر : ٣٦٠

الطالع السعيد في تاريخ بنى سعيد ، ٢١٤ ،

٢١٥ ، ٤٥٦

طرفة مصر في تاريخ دولة بنى نصر ، ٣٣٤ ،

٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٣ ، ٤٧٣

ع - ك

عايد الصلة ٣٣ ، ٣٥ ، ٦٠ ، ٦٦ ،

٧٨ ، ٨١ ، ٩١ ، ٩٦ ، ١٣٥ ،

كتاب التفريع والفروع ؛ ٢٨٤
 كتاب التلقين ؛ ٣٩٤
 كتاب التيسير لأبي عمرو اندلسي ؛ ٣٩٣
 كتاب الجامع ؛ ٥٥١
 كتاب الجمل ؛ ٣٦ ، ٧٢ ، ٨٦ ، ٣٩٤ ، ٤٨٣
 كتاب الجواهر والأربعين ؛ ٢٦٥
 كتاب الجواهر الثينة ؛ ٦٤ ، ٢٩٤
 كتاب الحكيم والعدل بالجوارح ؛ ٥٥١
 كتاب الحيوان والخواص ؛ ٧٠
 الكتاب الخرائطي ؛ ٢٤٦
 كتاب الدلالة في إثبات النبوة والرسالة ؛ ٢٩٣
 كتاب الرحلة لصفوان ؛ ٣٥٠
 كتاب الرهون والحدثان ؛ ٥٥٠
 كتاب السنن للنسائي ؛ ٣٩٣
 كتاب سيبويه ؛ ٧٦ ، ٩٠ ، ١٣٣ ، ٣٩٣
 ٣٩٤ ، ٤٠٠ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤٤٢
 كتاب الشفالعياض ؛ ١٢٦ ، ١٢٧ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤
 كتاب الشمايل للترمذي ؛ ٣٩٣
 كتاب الصلة ؛ ٢٩٩ ، ٤١٦
 كتاب القرايفس ؛ ٥٥١
 كتاب الكافي لابن شريح ؛ ٢٩٣
 كتاب الحجة ؛ ٢٥٨ ، ٤٥٥
 كتاب المعراج للحاتمي ؛ ٢٥٨
 كتاب المقدمات ؛ ٩٠
 كتاب ميزان العمل ؛ ٢٦٥
 الكتاب الموقن على أدباء أبناء الزمن ؛ ١٩٥
 كتاب الزهد ؛ ٤٤٣ ، ٥٥١
 الكراس المرسوم والمباحث الهندسية في مقتضى
 الأمر من الشريعة ؛ ٤٤٨
 ل — ي
 المراتب والدرجات ؛ ١ ، ٣٠

١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٣ ، ١٧١ ، ٤
 ١٩٤ ، ٢٠٣ ، ٢١٩ ، ٢٢٦ ، ٢٢٩ ، ٤
 ٢٣٩ ، ٢٤٢ ، ٢٧١ ، ٤١١ ، ٤
 ٥٤٧
 عجلة المستوفز المستجاز في ذكر من سمع من
 المشايخ دون من أجاز ؛ ١٠٥
 العدة في الحديث ؛ ٣٩٤
 غرائب النجب في رغبات الشعب ؛ ١٩٣
 الغرر في تكميل الطرر ؛ ١٣٢
 النرة الطالعة في شعراء المائة السابعة ؛ ١٤٥
 غنية الخطيب بالاختصار والتقريب ؛ ١٩٣
 الفتق والرتق في أسرار حكمة الشرق ؛ ٢٥٨
 فصيح ثعلب ؛ ١٩٨
 فضائل القرآن ؛ ١٧٧
 الفوائد العامة في لحن العامة ؛ ٢٢
 الفيصل المتضمن للمهزوز في الرد على من أنكر
 صيام النوروز ؛ ٩٤
 القصيدة الخزرجية ؛ ٣٩٣
 قطع السلوك ؛ ٣٣٧ ، ٤٧١
 قمع اليهودي عن تعدى الجيود ؛ ١٧٩
 القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية ؛
 ٢١
 قوت المقيم ؛ ١٤٥
 كتاب ابن الحاجب ؛ ٣٢٧ ، ٣٩٤
 كتاب الأحكام لابن العربي ؛ ٣٩٤ ، ٤٤٣
 كتاب الأبرار ؛ ١٩٣
 كتاب إعراب القرآن ؛ ٥٥١
 كتاب الإفصاح ؛ ٣٦ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٨٦ ،
 ٣٩٣ ، ٣٩٤
 كتاب البيان والتحصيل ؛ ٩٠
 كتاب التاج للجوهري ؛ ١٣٣
 كتاب التحرير في أسماء الله الحسنى ؛ ٢٣١
 كتاب التمهيد والتنقيح ؛ ٣٩٤

- المبدى لمطهر الرندى : ٤٠٨
 المختص لابن جني : ٥٤٣
 محصل الإمام فخر الدين الرازى : ٥٠٧
 المختصر البارع فى قراءة نافع : ٢٢
 مختصر الطليطل : ١٣٢
 المدونة للإمام مالك : ٣٩٤ ، ٤٣٨
 مستصن أبى حامد : ٤١٦
 المسهب فى غرايب المغرب : ٢١٤ ، ٤٣٣
 مشارق الأنوار : ٤٢
 مشاهد الأفكار فى مأخذ النظر : ٨٦
 المشتل فى أسول الوثائق : ١٧٣
 المشرع السلس فى الحديث المسلسل : ٣٩٣
 المعانى المبتكرة الفكرية فى ترتيب المعالم
 الفقهية : ٥٤٨
 المعشرات الحية للفازاى : ٥١٩
 المعشرات الزهدية للفازاى : ٥١٨
 المغرب فى اختصار المدونة : ١٧٣
 مفيئناس الأفكار فيما تحوى عليه مدينة الفرج
 من النظم والنثر والاختبار : ٤٣٢
 المقتبس لابن حيان : ٣٤٨
 المقصورة لحازم : ٣٩٤
 مقامات الحررى : ٨٦ ، ٥٦١
 ملاحن ابن دريد : ٧٦
 مل العيبة فيما جمع بطول الغيبة فى الوجهتين
 الكريمتين إلى مكة وطيبة : ١٣٧
 المجتمع فى تهذيب المقنع : ٦١
 منازل السارى إلى الله : ٢٣٧
 مناسك الحج : ١٩٣
 منتخب الأحكام : ١٧٣
 منظوم الدرر فى شرح كتاب المختصر : ٩٤
 المهذب فى تفسير الموطأ : ١٧٣
 منهج الضوابط المقسمة فى شرح قواذير
 المقدمة : ٩٤
 المنوطة فى الفقه : ٤٠٥
 الموطأ لمالك : ٩٠ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤
 الموطأ : ٣٠٧
 ناسخ القرآن ومنسوخه : ٥٤٣
 نحو اللغة الفارسية : ٢٦٨
 النصائح المنظومة : ١٧٣
 نصيح المقالة فى شرح الرسالة : ٩٤
 نظم سلك الجواهر فى جيد معارف الصدور
 والأكابر : ١٩٣
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب : ٣
 النفحة القدسية : ١٩٣
 النفحة الأرجية فى الغزوة المرضية : ١٨٥
 النكت والأمالى فى الرد على الغزالى : ١٦٦
 النور المبين فى قواعد عقائد الدين : ٢٢
 واسعة السواك فى سياسة الملوك : ٢٨٧
 الواضحة : ٣٢٧
 الوافى فى علم القوافى : ٣٦٠
 الوجيز فى التفسير : ٥٤٠
 وسيلة المسلم فى تهذيب صحيح مسلم : ٢١ ، ٣٩٣
 وصف السلوك إلى ملك الملوك : ٢٥٨

فهرست القبائل والطوائف والدول

صنهاجة ، الصنهاجة ؛ ٢٩٧ ، ٤٦٧	الأشعرية ؛ ٨٠ ، ١٦٥ ، ٢٦٦
الصوفية ؛ ١٧٨ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧	آل البيت ؛ ٣٥٩
الظاهرية ؛ ٤١٦	أبرير ؛ ٤٧٤
عرب النقبلة ؛ ٢٨٧	البشكنس ؛ ٤٣٤
الفرنجية ؛ ٢٨٥ ، ٢٨٦	بنو إشقيلولة ؛ ٣٥٩
قريش ؛ ٢٨٠	بنو أمية ؛ ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٧١
قنبرين ؛ ٤٧٠	بنو برزال ؛ ٢٩٩
اللمتونيون ؛ ٣٠٠	بنو الحطيب ؛ ٣٨٧
المتكلمون ؛ ٢٦٦	بنو زيان ؛ ٣٣٨ ، ٤٦١ ، ٥٣٤
المسلمون ؛ ٦٨ ، ٤٠٤	بنو العباس ؛ ٤٦٨
مغبر ؛ ٢٢٩	بنو عبد الواد ؛ ٣٣٦ ، ٤٦١
المتزلة ؛ ٢٦٦	بنو موين ؛ ٥٣٤
مارك الطوائف ؛ ٤٦٧	بنو نصر ؛ ٤٧٦
النصارى ؛ ٦٨ ، ٢٨٥ ، ٤٠٤	بنو وزير ؛ ٣٨٦
نفزة ، قبيلة ؛ ٤٦٩	الحشوية ؛ ٢٦٦
الحساكرة - هسكرة ؛ ٥٣٣	ويعة ؛ ٢٢٩
الموحدون ؛ ٥٣٥ ، ٥٧١	الدولة النصرية ؛ ٣٤٣
اليهود ؛ ٦٨ ، ٤٠٥ ، ٥٢٩	الروم ؛ ٣٠٠ ، ٣٣٥ ، ٤٨٣ ، ٥٣١
	زناتة ؛ ٤٦٩

مهرست البلدان والأماكن

٤٨٢ ، ٤٩٩ ، ٥٢٤ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ،

٥٣٣ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٨ ، ٥٤٧ ،

أليسانة : ٢٩٩

ب - ث

باب البيرة : ٣١ ، ٢٧٣ ،

باب الشريعة : ١٣ ،

باب الصفا : ١٣٦ ،

باب الفتوح : ١٣ ، ١٤٣ ،

باب قشتالة : ٢٤٢ ،

باديس : ١٣٣ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ،

باغة : ٥٢٧ ،

بيشتر : ٢٧٩ ،

بجاجة : ١٨٢ ، ١٨٣ ، ٢١٩ ،

بجاية : ٧٠ ، ١٠٦ ، ١٥٧ ، ٢٤٠ ،

٢٧٥ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣٧ ، ٤٦٦ ،

٥١٦ ، ٥٤٨ ،

بحر الزقاق : ١٣٣ ،

بسطة : ٦١ ، ٢١٩ ، ٤١٤ ، ٤٦٦ ،

بسقاية : ٤٣٤ ،

بسكرة : ٥١٦ ،

البشارة ، البشرات : ١٦٨ ، ٣٠٦ ،

٤٦٦ ، ٥٣٨ ،

بغليوس : ٢٢٦ ،

بلاد المغرب : ٤٨٤ ،

بلاد السودان : ٢٧٤ ،

بلد الدجن : ١٨ ،

بلج : ٤١٩ ،

البلد الجديد : ٥٣١ ،

بلش مالقة : ٦١ ، ٦٦ ، ٨١ ، ٨٥ ،

٩٧ ، ١٣٢ ، ١٦٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٩ ،

٤٢١

أخشاوش : ٤٠٩ ،

أرشونة : ٤٥٩ ،

أركش : ٩١ ،

إسطبونة : ٧٥ ،

الإسكندرية : ٢٢٨ ،

إشبيلية : ٤٣ ، ٨٩ ، ٩١ ، ١٥٦ ،

١٨٢ ، ٢٠٧ ، ٢١٤ ، ٢٧٥ ، ٣٨٧ ،

٤٠٧ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤٣٠ ، ٤٩٧ ،

٥٢٤ ، ٥٢٥ ،

إطرابلس : ٣٣٧ ،

إفريقية : ٢٥ ، ١٣٦ ، ٤٨٢ ، ٤٩١ ،

٥٣٥ ، ٥٤٧ ،

إلبيرة : ١٦٥ ، ١٧٢ ، ١٨٣ ، ٢٧٩ ،

٣٠٢ ، ٣٤٩ ، ٤٦٦ ، ٤٦٩ ،

٥٣٩ ، ٥٤٠ ،

ألرية : ٢٤ ، ٦١ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٨٦ ،

١٨٧ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ،

٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٣٣٩ ،

٣٩٣ ، ٤١٦ ، ٤٣٩ ، ٤٧٧ ، ٥٧٣ ،

٥٣٦ ، ٥٧١ ،

أندرش : ٢٠٩ ،

الأندلس : ٢٥ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٦٠ ، ١٤٤ ،

٩٢ ، ٩٦ ، ١٠٣ ، ١٠٧ ، ١١١ ،

١١٨ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ،

١٥٥ - ١٥٧ ، ١٦٨ ، ١٨١ ، ١٩٠ ،

١٩١ ، ٢٠٠ ، ٢٠٩ ، ٢٢٧ ، ٢٤٦ ،

٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٦٨ ، ٢٧١ ،

٢٧٣ ، ٢٩٨ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٣٠ ،

٣٣٤ ، ٣٣٩ ، ٣٤٦ ، ٣٤٨ ، ٣٦٠ ،

٣٨٠ ، ٣٨٥ ، ٤١٢ ، ٤١٠ ، ٤٤٣ ،

٤٦٦ - ٤٦٩ ، ٤٧٦ ،

جبل فاره : ٢٤٢
 الجزائر : ١٠٦ ، ١٩١ ، ٥٣٤
 الجزيرة الخضراء : ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٧ ،
 ١٣١ ، ١٨٤ ، ٢٧٧ ، ٣٣٩
 جيان : ٢٠٥ ، ٣٣٩ ، ٣٥٩ ، ٥٤١ ، ٥٧٠
 الحجاز : ١٠٠ ، ٥٢٦
 الحرم : ١٠٦
 حصن أركش : ٩٥
 حصن أريول : ٣٤٢
 حصن أشكر : ٣٠٦
 حصن روضة : ٢٥٧ ، ٤٣٣
 حصن شقشقر : ٤٦٧
 حصن القباذ : ٣٣٩
 حصن قسطنطينية : ٢٧٥
 حصن المتلون : ٤٦٥
 حصن يبر : ٧٨
 حصون البراجلة : ٢٠
 الحمراء : ٢٥ ، ١٠٧ ، ٢١٨ ، ٣٠٦
 ٣٤٠
 الحمة : ٩٦ ، ٩٧
 حوز مؤبل : ٣٣٣
 د-ز
 دار الحديث الأشرفية : ١٣٨
 دار الرخام : ٢١٥
 دار الصناعة السلطانية : ٢٨
 دار الكتب التونسية : ٣
 دمشق : ١٣٨ ، ٥٢٤
 رباط العقاب : ٣٢٩
 الريض : ٣٨٦
 ريف اليازير : ٣٤٠
 ريف الفخارين : ٢٣١
 رندة : ٥٩ ، ٢٥٢ ، ٣٦٥ ، ٤٠٢
 ٤١٨ ، ٤١١

بلنسية : ٧٢ ، ٢٩٢ ، ٤١٦
 بونة : ٢٥
 بياسة : ٢٣١ ، ٤٠٠ ، ٤٠٤
 بين القصرين : ٤٥
 بيرة : ٢١٨ ، ٤١١ ، ٥٤٩
 تاجرة الجمل : ٥٢٤
 تدمير : ٥٢٩
 تلمسان : ١٨ ، ٧٣ ، ١٠٦ ، ١٣٠ ،
 ١٩٨ ، ٢٦٩ ، ٣٢٨ ، ٣٣٦ ،
 ٣٣٨ ، ٤٤٤ ، ٤٦٣ ، ٥٣٠ ،
 ٥٣١ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧
 تونس : ٤٤ ، ٨٢ ، ١٠٦ ، ١٦٣ ،
 ٢٠٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٣٢٦ ،
 ٣٣٧ ، ٤٤٤ ، ٥١٦ ، ٥٣٥
 تيزي - تازي : ١٣٥ ، ٣٣٦ ، ٥٣٢ ،
 ٥٣٦
 الثغر : ٢٨١ ، ٤٣٢

ج-ح

جامع بجاية : ٤٠٢
 جامع البصرة : ٢٨٢
 جامع الجزيرة : ٢٧٠
 جامع الربض : ٧٨ ، ٤٠
 جامع الزيتونة : ٣
 جامع غرناطة : ١٣١ ، ١٣٧ ، ٢٠٠ ،
 ٢١٥ ، ٤٠٠ ، ٤٦٣ ، ٥٢٤
 جامع قصبه وادي آش : ٣٤١ ، ٥٦٠
 جامع مالقة : ٦٧ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٩٨ ،
 ١٩١ ، ١٩٢ ، ٢٥٢
 جبانة جبل فاره : ٢٤٣
 جبانة الشيوخ : ٤٨١ ، ٥٢٢
 جبل شلير : ٤٣٥
 جبل طارق - جبل الفتح : ١٤٤ ، ١٥٢ ،
 ٣٣٩ ، ١٥٦

الزباب : ١٠٦

الزقاق الغربي : ٤٤٥

س - غ

سبتة : ١١٩ - ٢٧ ، ٢٩ ، ٤٣ ، ٧٩ ، ٨٩

٩٢ ، ٩٣ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٣٢ - ١٣٧

١٤٣ ، ١٥٧ ، ١٨٥ ، ١٩٩

٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٧٧ ، ٣٠٤

٣١٥ ، ٣٣٦ ، ٣٨٤ - ٤٠١

٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٩ ، ٥٢٣

٥٣٧

سجلماسة : ٥٣٠ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣

سرقسطة : ٧٢ ، ٢٨١ ، ٢٨٦

سلا : ١٢٧ ، ٢١٤ ، ٤١٦ ، ٤٥٢

٥٣١

السند : ٢٧٣

سبيل : ٢٧٦

شاطبة : ٤١٦

شالاش : ٥٤٨

الشام : ٢٣٥ ، ٢٧٣ ، ٣٤٦

شبنونة : ٢٧٩

شرق الأندلس : ٢١٢ ، ٤٣٩

شريس : ٩٢ ، ٩٥ ، ٤١٨

شقورة : ١٧٧

شكنب (غرناطة) : ٥٢٤

شلب : ٤٣٢

شلوبانية : ٥٣٤

شفتلية : ٤٥٨

صحراء القبلة : ٥٣٢

الصين : ٢٧٣

طخشارش : ١٦٢

طرش : ١٨٣

طرطوشة : ٥٢٤

مُرْدَف : ١٣٣

طريف . كايبة : ٢٣ ، ٦٥ ، ٣٨٩

٣٩١ ، ٤٤٠

طليطلة : ٢٠٧ ، ٣٨٦ ، ٤٠٤

طنجة : ٢٧٣ ، ٣٣٦

العدوة : ١١ ، ٣٦ ، ٦٠ ، ٨٩ ، ١٣٦

١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٦٢ ، ١٦٩

١٨٠ ، ١٨٨ ، ١٩٦ ، ٢٢٥

٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٤٦ ، ٢٥٦

٢٧٣ ، ٢٦٩ ، ٤٧٤ ، ٥٢٣

٥٣٥

المراق : ١٨٤ ، ٢٧٣

المطشاة قرية : ٥٣٦

غرب الأندلس : ٤٢٧ ، ٤٣٩ ، ٤٤٢

غرناطة : ٢٣ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٣٣

٣٧ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٥٩

٦١ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧٠

٧٢ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٨١ ، ٨٥

٨٦ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٧ ، ١٠٣

١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٢

١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٥٢ ، ١٥٦ - ١٦٠

١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٨ ، ١٧٢ ، ١٧٥

١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٩٠ ، ١٩٣

٢٠٠ ، ٢٠٤ ، ٢٠٧ - ٢١٥ ، ٢٢٨ -

٢٣٥ ، ٢٤٩ ، ٢٥٧ ، ٢٦٨ - ٢٧٧

٢٧٩ ، ٢٨٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٠٤ ، ٣٣٣

٣٠٦ ، ٣٢٩ ، ٣٣٣ ، ٣٤٠ ، ٣٤٤ ، ٣٤٣

٣٤٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦١ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠

٣٨٥ ، ٣٨٧ ، ٣٩١ - ٣٩٣ ، ٣٩٩

٤٠١ - ٤٠٥ ، ٤٠٧ ، ٤١١ ، ٤١٥

٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤٢٠ ، ٤٣٣ ، ٤٣٩

٤٤٤ ، ٤٥٦ ، ٤٧٩ ، ٤٨١ ، ٤٨٢

٤٩٩ ، ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥

٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣٣ ، ٥٣٦ ، ٥٤١

٥٤٨

ف - ك

فاس، ١٧ ، ٤٣ ، ٧٣ ، ٩٧ ، ١٠٧ ،
 ١١١ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ،
 ١٣٨ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٥٤ ، ١٩٩ ،
 ٢١٨ ، ٢٩٨ ، ٣٠٤ ، ٣٨٥ ، ٣٩٥ ،
 ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٨٢ ، ٥٠٧ ، ٥٣١ ،

٥٣٣

فحص غرناطة ؛ ٤١٩

فرقد ؛ ٤٨١

القاهرة ؛ ٤٤ ، ٤٦ ، ٥٧٨

قربليان ؛ ١٨٠

قرطبة ؛ ٤٣ ، ١٧٣ ، ١٨٣ ، ٢٧٥ ،
 ٣٣٥ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨٦ ،
 ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤٥٨ ، ٤٦٦ - ٤٧٠ ،

٥٥٠ ، ٥٢٤

قرونة ؛ ٥٣٧

قرية الجيط ؛ ٢٣٦

قرية قنب قيس ؛ ١٧٦

قرية قنجة ؛ ٢٣٦

قرية نبله ؛ ٢٧٣

القسطنطينية ؛ ٢٧٣

قسطنطينية الهواء ؛ ٢٢٥ ، ٥٢٦

قشالة ؛ ٣٣٨

قصبه أركش ؛ ٩٥

قصبه سبتة ؛ ٣٨٤

القصبة القديمة ؛ ٢٣١

قصر بالنبة ؛ ٢٩٣

قصر عبد الكريم ؛ ٣٧٩

قصر كتامة ؛ ٣٧٧ ، ٣٧٨

قلعة أيوب ؛ ٤٠٥

قلعة غرناطة ؛ ٣٤٠

قلعة بحصب ؛ ٢١٥ ، ٤٣٣ ، ٥٧٠

قمارش ؛ ١٨٠ ، ١٨١ ، ٢٥٧

قورت ؛ ٥٤٨

القيروان ؛ ٤٤٣ ، ٤٦٨

الكبة ؛ ١٣٦

كنيسة قسطنطينية المظلي ؛ ٢٧٣

كورة جيان ؛ ٤٦٥ ، ٤٦٦

كورة ريه ؛ ٤٥٩ ، ٥٢٩

الكوفة ؛ ٣٤٥ ، ٣٤٦

ل - م

ليلة ؛ ٩١

لورقة ؛ ٥٤١

لوشة ؛ ٢٠١ ، ٢٤٥ ، ٢٥٧ ، ٢٧٧ ،

٢٧٩ ، ٣٨٥ ، ٣٨٧ ، ٥٢٤ ، ٥٢٧

اللويات ؛ ٢٧٩

مالقة ؛ ٤٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٧٤ ،

٧٥ ، ٧٨ ، ٨١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٥ ،

٩٧ ، ١٣٠ - ١٣٢ ، ١٥٦ ، ١٨٢ ،

١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٢ ،

٢٢٦ - ٢٢٨ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٩ ،

٢٤٠ ، ٢٤٥ - ٢٤٧ ، ٢٧٦ ، ٣٠٤ ،

٣٠٥ ، ٣٤٠ ، ٣٦٠ ، ٣٧٧ ، ٣٨٢ ،

٣٨٣ ، ٣٨٥ ، ٤٠١ ، ٤٠٧ ، ٤١١ ،

٤١٦ - ٤١٩ ، ٤٤١ - ٤٤٣ ، ٤٥٦ ،

٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٢ ، ٤٧٨ ، ٥٢٩ ،

٥٥٤ ، ٥٦١

المدرسة الصالحية ؛ ٤٥

المدرسة النصرية ؛ ٣٦ ، ٧٩ ، ٣٢٥

المدينة ؛ ١٠٥

مدينة شقر ؛ ٥٤١

مدينة القرح ؛ أنظر رادى الحجارة .

مراكش ، ٨٥ ، ٨٨ ، ١٨٠ ، ٢٠٢ ،

٢١١ ، ٢١٤ ، ٣٥٩ ، ٣٨١ ، ٤٥٧ ،

مقبرة باب الحيرة : ٤٦٤ ، ٥٢٥ ، ٥٤٨ ،
 مقبرة تاغزوت : ٨٨ ،
 مقبرة السيكة : ٣٤١ ،
 مقبرة فاس : ٣٢٤ ،
 مكتبة الإسكوريال : ٣ ، ٥ ،
 المكتبة الزيدانية : ٣ ، ٥ ،
 مكناسة : ٩٧ ، ٥٣٢ ،
 مكة : ١٠٥ ، ١٩٠ ، ٢٧٣ ، ٢٧٦ ،
 الملاحة : ١٧٦ ،
 ملهاس : ٦٥ ،
 المنكب : ٣٧٧ ، ٤٠٧ ، ٤١٤ ، ٤٣٧ ،
 ٤٦٩ ،
 موقعة شقندة : ٣٤٨ ،
 ميورقة : ٤١٦ ،
 ناجرة : ٤٦٦ ،

هـ - ي

الهند : ٢٧٣ ،
 وادي آش : ١٨٠ ، ١٩٤ ، ٢١١ ، ٢١٦ ،
 ٢١٧ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ،
 ٣٧٩ ، ٣٨٢ ، ٤٨٢ ، ٥٤١ ،
 ٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٧٧ ،
 وادي الحجارة : ٣٠٤ ، ٤٣٢ ،
 وادي شنجيل : ٢١١ ،
 واقعة الخندق : ٤٦٦ ،
 وقيعة الربض : ٣٨٦ ،
 وقيعة الطاعون : ٧٩ ، ١٨١ ، ١٨٥ ،
 ١٨٧ ، ٢٤٢ ،
 وقيعة العقاب : ٧٤ ،
 اليمن : ٢٧٣ ،

٤٧٤ ، ٤٧٨ ، ٤٨١ ، ٥٢٢ ،
 مربلة : ٢٧٧ ،
 مرسية : ٦١ ، ٦٩ ، ٧٢ ، ١٧٥ ، ٧٨ ،
 ٢٣١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٩ ، ٤٠٠ ،
 ٤١٥ - ٤١٧ ، ٤٨٢ ، ٥٧١ ،
 المستخلص : ٢١١ ، ٢٣٣ ،
 مسجد البيازين : ٢٥ ،
 مسجد الجزيرة الخضراء : ١٨٤ ، ٢٧٠ ،
 المسجد الحرام : ١٥٧ ،
 مسجد الرايات : ١٣١ ،
 مسجد الصواع : ١٩١ ،
 مسجد قرطبة : ٥٤٩ ،
 مسجد قصبة الحمراء : ١٦٨ ،
 المسجد النبوي : ١٠٥ ،
 المشايخ : ٣٨٠ ،
 المشرق : ٤٧ ، ٦١ ، ٧٥ ، ١٣٦ ،
 ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٩٠ - ١٩٢ ، ١٩٤ ،
 ٢٠٢ ، ٢٢٦ ، ٢٣٤ ، ٢٥٢ ، ٢٦٨ ،
 ٢٧٣ ، ٣٣٧ ، ٤٠٢ ، ٤٠٧ ، ٤١١ ،
 ٤١٤ ، ٤٥٩ ، ٤٧٠ ، ٥٤٩ ،
 مصر : ٤٣ ، ١٠٦ ، ٢٠٩ ، ٢٢٩ ،
 ٢٧٣ ، ٤٠٢ ،
 المغرب : ٣٦ ، ٤٢ ، ٦١ ، ٧٨ ، ١١٨ ،
 ١٣١ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦٣ ، ١٧٣ ،
 ١٩١ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٠٩ ، ٢٢٦ ،
 ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٢٦٨ ، ٢٧٣ ،
 ٢٧٤ ، ٢٧٧ ، ٢٩٨ ، ٣٢١ ، ٣٧٧ ،
 ٣٧٩ ، ٤٠٢ ، ٤١٢ ، ٤١٤ ، ٤٤٣ ،
 ٤٩٨ ، ٥٣٠ ، ٥٣٥ ،
 مقبرة أم سامة : ٥٢٥ ،

فهرست الأعلام

٥٤٢ - ٤٨٢
 ابن برائ : ٤٩٨
 ابن بشكوال : أبو القاسم : ١٧٦ ، ٤٠٧ ، ٤١٦
 ابن بطوطة : محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي : ٢٧٣
 ابن يونس : محمد بن سعد بن عبد الرحمن : ٣٩٩
 ١٣٦ - ٣٠٦ ، ٣٥٨ ، ٤١٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٣
 ابن يونس العبدري : محمد بن محمد : ٢٧ ، ٣٩٩
 ابن جابر أنوادي آشي : ٤٩٨
 ابن أحمد القهري : محمد بن عبد الله بن يحيى : ٨٩ ، ٣٦٠ ، ٤٠٧ ، ٤٤٢
 ابن حزي الكلبى : محمد بن أحمد بن محمد : ٢٠ ، ٦١ ، ١٩٨ ، ٥٦١
 ابن حزي الكلبى : عبد الله بن محمد بن أحمد : ٣٩٢
 ابن جرة الكنانى : محمد بن إبراهيم بن سعد : ١٠٦ ، ٤٠٢
 ابن جهور : ٤٧٩
 ابن أخاخ البلقى : أبو البركات : ٢٣ ، ٦٢ ، ١٨٦ ، ١٩٨ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٧٣
 ٣٢٨ : ٣٩٣ ، ٥٤٧ ، ٥٦١
 ابن الحارث : محمد بن عبد الله بن إبراهيم النيرى : ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢٤٨
 ابن حريش : أبو عبد الله : ٣٦ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ١٤٤ ، ١٨٥ ، ٢٠١ ، ٢٥١
 ابن الحسين بن مجير : ٧٢
 ابن حسون : ٢٠٧
 ابن الحضر سبين : ٧٧
 ابن حفصون : ٤٦٦
 ابن حنبل : ٢٣٤
 ابن الحكم : أبو عبد الله : ٧٦ ، ٧٧ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤٢ ، ٢٠٨ ، ٢٢٨

أ

أبان بن عيسى بن دينار : ١٧٣
 إبراهيم بن أبي يحيى : ٤٤٤
 إبراهيم بن خالد : ٥٥٠
 إبراهيم بن زرزار اليهودى : ١٦٩
 إبراهيم بن شعيب : ٥٥٠
 إبراهيم بن محمد السبكي : ٤٤٠
 إبراهيم بن محمد الطبرى : ٢٤٧
 إبراهيم بن مسعود الآبلى المصرى : ١٠٦
 إبراهيم بن مسعود الألبيرى : ١٧٣ ، ٤٦٣
 ابن أبى السداد الباهلى : أبو محمد عبد الواحد : ٦٤ ، ٦٧ ، ١٥٧ ، ١٨٥ ، ١٨٩
 ١٩٢ ، ١٩٤ ، ٢٢٧ ، ٤٤١ ، ٥٥٣
 ابن أبى الأحوص : أبو محمد على : ٢١ ، ١٨٥ ، ٣٩٣ ، ٤٠٠ ، ٤١٢
 ابن أبى الأحوص : أبو على : ٤٤٤ ، ٦١
 ٦٤ ، ٢٠٣ ، ٢١٩ ، ٢٤٧ ، ٥٥٣
 ابن أبى جرة الأزدي : عبد الله بن محمد : ٤١٥
 ابن أبى خيشمة : ٣٣٢
 ابن أبى ريحانة المربلى : أبو الحجاج : ٢٤٥ ، ٤١٩ ، ٥٥٣
 ابن أبى زمنين المرى : عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن : ١٧٢ ، ٤١٢
 ابن أبى زمنين المرى : محمد بن إبراهيم بن عبد الله : ١٦٢ ، ١٧٧
 ابن أبى العافية : ٤٧٨
 ابن أبى العيش : أبو الحسن : ٢٤ ، ٩٧
 ابن أخت غانم : ٨٦ ، ٤٧٨
 ابن أرقم النيرى : ٨٩
 ابن أزرقي : ٢٨٦
 ابن الباذش : أبو جعفر : ٨٥ ، ٤٤٠ ، ٤٤١

٤٠٢ ، ٤٤١

ابن الخلفاوى ، محمد بن محمد بن عبد الرحمن ؛
٢٧١

ابن حمزة ، محمد بن أيوب ؛ ١٠٤ ؛

ابن حيان ، أبو مروان ؛ ٢٧٩ ، ٢٨١ ،

٢٩٢ ، ٣٤٦

ابن الخطيب السلماني ، لسان الدين ؛ ٤ ،

١١٠ ، ١١٠ ، ٢٢١ ، ٣٢٩ ، ٣٨٠ ،

٥٧٧

ابن خلاد ؛ ٣٠٤

ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن

الحسن بن جابر ؛ ٥٤ ، ٤٩٧

ابن خلصون ، محمد بن يوسف ؛ ٤٤ ، ٦٨ ،

٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٦٤

ابن خيرة ؛ ٤٠٧

ابن الدباغ الإشبيلي ؛ ٦٨ ، ٣٠٥

ابن دراج القسطل ؛ ٢٨١ ، ٢٩٣

ابن دقيق العيد ، تقي الدين ؛ ١٥٦ ، ٢٠٢ ،

٤٠٢ ، ٤١٢

ابن ربيع الأشعري ؛ ٩٧

ابن رشد الحفيد ، أبو الوليد ، ٨٥ ، ٩٠ ،

١٧٤ ، ٢٦٦ ، ٣٤٩ ، ٤٨٢ ، ٥٠٧ ،

ابن رشيد الفهرى ، محمد بن عمر ؛ ٢٤ ،

٢٨ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٩٠ ، ١١٢ ،

١٣٥ ، ١٦٠ ، ١٨٥ ، ١٩٢ ، ٢٠١ ،

٢٠١ ، ٢٢٠ ، ٤٠٢ ، ٤٥٩ ، ٤٧٩ ،

ابن رضوان التجارى ؛ ٥ ، ٤٤٣ ، ٤٥٢ ،

٤٥٦

ابن الرقام ؛ ٦٩ ، ٣٣٤

ابن الرماحس ؛ ١٨٣ ، ١٨٤

ابن الرماك ، أبو العباس يوسف ؛ ٤٧٨

ابن الرمالية ، محمد بن جابر ؛ ٢٦٤

ابن روييل الأنصارى ؛ ١٦٠

ابن سابق ؛ ٧٣

ابن سارة البكرى ، عبد الله بن محمد ؛ ٤٣٩

٤٤١

ابن سبعين المكي ؛ ٣ ، ٥

ابن سيدبونة ، غالب بن حسين ؛ ٢٤

ابن شامس ، جلال الدين السعدي المصري ؛ ٤

ابن الشاط ، قاسم بن عبد الله ؛ ٢١٤ ، ٣٦ ،

٨٩ ، ١٣٥ ، ١٥٧

ابن شاطر الجمحي ، أبو عبد الله ؛ ٢٦٩

ابن شعبة ، محمد بن محمد ؛ ٢١٩ ، ٢٢٣ ،

ابن شقرال اللخمي ؛ ٢٣

ابن صاحب الصلاة ؛ ٢١٣

ابن صاف ؛ ٤٠٧

ابن صفوان القيسي ، محمد بن أحمد ؛ ٣٦

ابن صلتان ؛ ٧٢

ابن صناديد ، أبو عبد الله ؛ ٣٥٩

ابن الصيرفي ؛ ١٥٩ ، ٢٧٥ ، ٣٣١

٣٣٣ ، ٣٨٠ ، ٤٦٣ ، ٥٢٤

ابن عباد النفري ، محمد بن يحيى بن إبراهيم

٤ ، ٢٥٢

ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف ؛ ٤٦٣

ابن عبد الحق التلمساني ؛ ٧٢

ابن عبد الملك المراكشي ؛ ٣ ، ٣٠٤ ، ٣٢٤

ابن عبد النور ، أبو جعفر أحمد ؛ ٤٣ ، ٨٩ ،

٢١٩ ، ٢٢٤

ابن عروس ، أبو عبد الله ؛ ٧٤ ، ١٧٧

٤٠٠ ، ٤٧٥

ابن عساكر جاد الله أبو اليمن ؛ ١٣٦

ابن عساكر ، أبو محمد بن دبة الله ؛ ١٦٤

٢٤٧

ابن عسكر المالح ، أبو عبد الله ، ٣٠٥ ، ٤٥٦
 ابن عطاء الله السكندري ، تاج الدين ، ٢٣٤ ، ٢٣٥
 ابن عمران الأنصاري ، ٤٤
 ابن عمري ، ١٨٣
 ابن عميرة الشهيد ، ٧١
 ابن عياش الأندلسي ، ٤٧٨
 ابن عيشون اللخمي ، ٦١ ، ٥٤٣
 ابن غرسية ، أبو عامر ، ٢٢٩
 ابن الفخار الأركشي ، أبو عبد الله ، ٣٢ ، ١٩٢ ، ٤١٧ ، ٥١٨
 ابن الفخار ، محمد بن علي الخولاني ، ٣٥ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٧٤ ، ٣٢٨
 ابن الفخار الجندابي الشريشي ، ٩١ ، ٩٧ ، ٣٦٠
 ابن الفرات الحسني ، ٤٤
 ابن فرتون ، أبو القاسم خلف ، ٧١ ، ٩١ ، ١٦٥ ، ٢٥١
 ابن فرتون الأنصاري ، محمد بن عبد الله ، ٢٢٦
 ابن فرح القيسي ، ٧١
 ابن الفرس ، عبد الرحيم ، ٤٣٣ ، ٤٧٩
 ابن الفرس ، عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الخزرجي ، ٧٤ ، ١٨٢ ، ٤٠٧ ، ٥٤٢
 ابن فرحون ، ٥٦١
 ابن الفرضي ، ٥٥٠
 ابن فركون القرشي ، أبو جعفر ، ٣٣٥ ، ٥٦١
 ابن الفضال ، عبد الرحمن بن إبراهيم ، ٤٨٣ ، ٤٨٨
 ابن فطيس ، محمد ، ١٨٣ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٥٥٠
 ابن الفياض ، ٢٨٠
 ابن القاضي ، ٣٤
 ابن قترال ، ٧١
 ابن قترال ، أبو الحسن ، ٤٧٢
 ابن قندلة ، ٧١ ، ٤٧٨
 ابن القرطية ، ٣٤٦
 ابن انكاد ، أبو عبد الله ، ٢١ ، ٢٨ ، ٦٦ ، ٨٢ ، ٩٧ ، ١٥٧ ، ٣٩٣
 ابن مأمون الأنصاري ، ٧٠
 ابن المحروق محمد بن أحمد ، ٢٥
 ابن مدور ، ٢٨٦
 ابن المراجع ، عبد الله إبراهيم الأزدي ، ٤٢١
 ابن مردنيش ، محمد بن سعد ، ٥٧٢
 ابن مرزوق العجيسي ، محمد بن أحمد ، ٤ ، ٤٥ ، ١٠٣ ، ١٢٥
 ابن مسرة الجبلي ، ٤٦٦
 ابن مسعدة ، أبو جعفر ، ٨٩ ، ١٩٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٥ ، ٥٣٨
 ابن مفرج ، ٤٦٨
 ابن الملجوم ، ٩١ ، ٤٧٩ ، ٤٨٣
 ابن المؤبد الهندي ، ٤٤
 ابن المناصف ، ٨٦
 ابن منخل بن زيد النافق ، ٤١١
 ابن موهب ، ٧١
 ابن هشلك ، إبراهيم ، ٤٠٤
 ابن هود ، المستنصر ، ٣٣٥ ، ٤٣٣
 ابن واجب ، ٢٨٦
 ابن ورد ، ٥٤٢
 ابن وزمر الحجازي ، عبد الله بن إبراهيم ، ٤٣٥ ، ٤٣٣ ، ٤٣٢ ، ٤
 ابن حي بن شامة ، ٧٣

ابن عسكر المالح ، أبو عبد الله ، ٣٠٥ ، ٤٥٦
 ابن عطاء الله السكندري ، تاج الدين ، ٢٣٤ ، ٢٣٥
 ابن عمران الأنصاري ، ٤٤
 ابن عمري ، ١٨٣
 ابن عميرة الشهيد ، ٧١
 ابن عياش الأندلسي ، ٤٧٨
 ابن عيشون اللخمي ، ٦١ ، ٥٤٣
 ابن غرسية ، أبو عامر ، ٢٢٩
 ابن الفخار الأركشي ، أبو عبد الله ، ٣٢ ، ١٩٢ ، ٤١٧ ، ٥١٨
 ابن الفخار ، محمد بن علي الخولاني ، ٣٥ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٧٤ ، ٣٢٨
 ابن الفخار الجندابي الشريشي ، ٩١ ، ٩٧ ، ٣٦٠
 ابن الفرات الحسني ، ٤٤
 ابن فرتون ، أبو القاسم خلف ، ٧١ ، ٩١ ، ١٦٥ ، ٢٥١
 ابن فرتون الأنصاري ، محمد بن عبد الله ، ٢٢٦
 ابن فرح القيسي ، ٧١
 ابن الفرس ، عبد الرحيم ، ٤٣٣ ، ٤٧٩
 ابن الفرس ، عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الخزرجي ، ٧٤ ، ١٨٢ ، ٤٠٧ ، ٥٤٢
 ابن فرحون ، ٥٦١
 ابن الفرضي ، ٥٥٠
 ابن فركون القرشي ، أبو جعفر ، ٣٣٥ ، ٥٦١
 ابن الفضال ، عبد الرحمن بن إبراهيم ، ٤٨٣ ، ٤٨٨
 ابن فطيس ، محمد ، ١٨٣ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٥٥٠

ابن يست ، عبد العزيز بن علي ٥٧٢
 أبو إبراهيم الطوسي ٢٥١
 أبو إبراهيم الماجري ، ٢٦٨
 أبو إبراهيم بن يربوع ١٨٥
 أبو الأجرى الشاعر ٣٤٧
 أبو أحمد بن جعفر بن زعرور العاملي ٤٠٦
 أبو إسحق بن أبي يحيى ٣٢٨
 أبو إسحق بن أبي العاصي ١٣٢ ، ٦٦
 أبو إسحق بن يعقوب ، السيد ٤٢٠
 أبو إسحق بن إشقيلولة ٣٧٦ ، ٣٨٢
 أبو إسحق الإلبيري الزاهد ٥١٧
 أبو إسحق البرغواطي ٢٠١
 أبو إسحق التلمساني ٢٠٣
 أبو إسحق الجاني ٤٧٨
 أبو إسحق الجزيري ١٢١
 أبو إسحق بن الخلا ١٧٧
 أبو إسحق بن رشيح الطليطلي ٤٨٢
 أبو إسحق بن زرقال ٣٨٨
 أبو إسحق الزرقاني ١٣٢
 أبو إسحق الزوالي ٤٧٨
 أبو إسحق بن صالح ٧١
 أبو إسحق بن عامر الهمداني الطوسي ٤٥
 أبو إسحق بن عبد الرفيح ١٦٣ ، ٥٤٧
 أبو إسحق بن عياش ٢٥١
 أبو إسحق النافق ٢٨ ، ٣٦ ، ٧٩ ، ٩٧
 ١٣٥ ، ١٤٤ ، ١٥٧ ، ٢٠١
 أبو إسحق بن قرقول ٧٣ ، ١٦٥ ، ٤٠٧
 أبو إسحق بن قسوم ٦٤
 أبو إسحق اليابري ٣٤٩
 أبو إسحق بن المنصور ، السيد ٤٢٠ ، ٥١٨
 أبو الأسود بن يوسف الفهري ٤٦٩
 أبو الأصمغ بن سادة ١٧٢
 أبو الأصمغ بن سهل ٧٣

أبو إمامة الباهلي ٤٥
 أبو أمية بن سعد السعدي ٤٧٢
 أبو بجر الأسدي ٨٦ ، ٩٠
 أبو البركات بن داود الفارسي ٤٧٢
 أبو بكر بن أبي جعفر الزيات ٢٤ ، ٢٦٦
 ١٩٢ ، ١٧٨ ، ١٦٣ ، ١٥٧ ، ١٣٢ ، ٩٧
 ٢٠١ ، ٢٤٦ ، ٣٩٤ ، ٥٤٧ ، ١
 أبو بكر بن أبي جبرة ٤٠٠ ، ٥٤١
 أبو بكر بن أبي ركب ٧١٤ ، ٨٦
 أبو بكر البرذعي ٣٧٣
 أبو بكر بن حيش ٢٠٣
 أبو بكر بن حسون ٤٠٠
 أبو بكر بن الحسن المرادي ١٦٥ ، ٠٣
 أبو بكر بن الحكيم ٢٦٨
 أبو بكر بن دحمان ، عبد الرحمن بن ع
 ٣٠٥ ، ٤٧٨
 أبو بكر بن رزق ١٩١
 أبو بكر بن زكريا ٤١٤
 أبو بكر بن سعيد ٣٤٤ ، ٣٤٥
 أبو بكر بن سيد الناس ٥١٨
 أبو بكر بن شبرين ١٣٧ ، ٢٠٤ ، ٢٢
 ٢٥١ ، ٣٤٣ ، ٣٩٤ ، ٤٦٠
 أبو بكر الضرير ، أبو يحيى ٨٦
 أبو بكر بن طاهر ٤٧٨ ، ٥٤٣
 أبو بكر الطرطوشي ٢٦٧
 أبو بكر بن الطفيل ١٦٥
 أبو بكر بن عبد الباقي الحجاري
 أبو بكر بن عبد الرحمن ٣٣٧
 أبو بكر بن عسدة ٨٩ ، ١٤٤
 أبو بكر بن هتيق الأزدي ٧١ ، ٢٣١
 أبو بكر بن العربي ٢٦ ، ٨٥ ، ٧٨
 ٤٨٥ ، ٤٩٨ ، ٥٤٣
 أبو بكر بن عطية ١٧٤

٤١٤ ، ٤١٧ ، ٤١٩ ، ٤٥٩ ، ٤٧٢ ،

٤٧٤ ، ٥٥٣

أبو جعفر بن شاذله ؛ ٨٦

أبو جعفر بن شراحيل ؛ ٤٢

أبو جعفر الشقوري ؛ ٤٥ ، ٦٠

أبو جعفر بن صابر ؛ ٣٩٤

أبو جعفر الطباع ، علي بن محمد الرعيي ؛ ٤٢ ،

٤٤ ، ٤٦ ، ٦١ ، ٩٣ ، ١٦١ ، ٢٤٧ ،

٤١٢

أبو جعفر الطنجالي ؛ ٤٤٤ ، ٥٥٤

أبو جعفر بن عبد الرحيم ؛ ٤٠٠

أبو جعفر بن عبد الحق ؛ ٤٤٤

أبو جعفر بن عبد المجيد ؛ ٤٧٨

أبو جعفر العطار ؛ ٤٧٥

أبو جعفر بن علي بن غالب ؛ ٥١٨

أبو جعفر بن الغاسل ؛ ١٩١

أبو جعفر بن قبال ؛ ٥٤٢

أبو جعفر الكحيل ؛ ٤٠١

أبو جعفر الكزني ؛ ١٦١ ، ١٧١

أبو جعفر بن مضاء ؛ ٤٠٧ ، ٥٤١

أبو جعفر بن هلال ؛ ٤١٣

أبو جعفر بن يحيى الحميري ؛ ٤١٨

أبو حاتم بن أبي القاسم الغزفي ؛ ٢٠١ ،

٢٠٢ ، ٣٦٠ ، ٣٨٤

أبو حامد الغزالي ؛ ٢٦٥ ، ٢٦٦

أبو الحجاج بن الشيخ ؛ ٢١ ، ٧٤ ، ٤٠٧

أبو الحجاج الطرسوفي ؛ ٣١٧

أبو الحجاج بن قسوم ؛ ٥٤٧

أبو الحجاج القندال ؛ ٧١

أبو الحجاج المستشافري ؛ ٥٥٤

أبو الحجاج بن موسى الكلي ؛ ١٦٥

أبو الحسن بن أبي الحسن ؛ ٣٨٥ ، ٤٤١ ،

٤٧٩ ، ٤٨٠

أبو بكر بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية ؛

٤١٣

أبو بكر القرطبي ، حميد ؛ ٣٥١

أبو بكر بن قزمان ؛ ٢١٦ ، ٣٤٤ ، ٤٠٧

أبو بكر بن القصيرة ؛ ٥٢٤

أبو بكر الكندي ؛ ١٧٧ ، ٣٤٤

أبو بكر بن محمد الرندي ؛ ٢٣٥

أبو بكر بن مسعود الحشني ؛ ٤٤٠ ، ٤٨٣

أبو بكر بن مشليون ؛ ٢٤٧ ، ٢٥٠ ، ٤١٩

أبو بكر بن مغاور ؛ ٣٤٩

أبو بكر بن منظور ؛ ٤٤٤

أبو بكر المهندس ؛ ٤٥

أبو بكر بن النفيس ؛ ٦٢ ، ٥٤٢

أبو بكر بن ميمون ؛ ٨٧

أبو بكر بن يوسف الفخار ، ٤٦٩ ، ٣٢٠ ، ٩٥

أبو تاشفين ، عبد الرحمن بن موسى ؛ ٣٣٦

أبو ثابت ، عامر ؛ ٣٣٦

أبو جعفر بن أيوب ؛ ٧١

أبو جعفر بن ثعبان ؛ ٧١

أبو جعفر بن جراح ؛ ٧٣

أبو جعفر الجزيري ؛ ٣٤

أبو جعفر الجليار ؛ ٧١

أبو جعفر الحرار ؛ ٢٤٠

أبو جعفر بن حكم الحصار ؛ ٧٤ ، ١٧٧ ،

٤٠٧ ، ٥٤١

أبو جعفر بن خلف بن الهيثم ؛ ١٦٥

أبو جعفر الدراج ؛ ١٩٨

أبو جعفر بن الزبير ؛ ٣ ، ٤ ، ٢١ ، ٢٣ ،

٢٨ ، ٣٤ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٦٠ ،

٧٧ ، ٨٠ ، ٨٩ ، ٩١ ، ٩٧ ، ١٥٩ ،

١٦١ ، ١٨٥ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ، ٢٠٢ ،

٢٣٠ ، ٢٣٥ ، ٢٤٧ ، ٣٠٤ ،

٣٠٦ ، ٣٨٥ ، ٣٨٨ ، ٤٠١ ، ٤١٢ ،

أبو الحسن الصدوق القاسي ؛ ٤٠٠
أبو الحسن الصايغ الإشبيلي ؛ ٤٤ ، ٩٣ ،

١٦١ ، ٤١٢ ، ٥١٨

أبو الحسن بن الطراوة ؛ ٤٧٨

أبو الحسن بن عباس ؛ ٤٧٨

أبو الحسن عبد الجليل ؛ ٨٦

أبو الحسن بن عزمون ؛ ٧٢ ، ١٨٥

أبو الحسن الغزال ؛ ٢٤٧ ، ٢٥١

أبو الحسن بن فضيلة المعافري ؛ ٤٤ ، ٨٩ ،
١٥٩ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٣٥ ، ٤٠١ ،

٤١٢ ، ٤١٤ ، ٤٥٩

أبو الحسن بن القاسم ؛ ٣٤٩

أبو الحسن القرافي ؛ ٢٠٢

أبو الحسن القرطاجي ، حازم بن محمد ؛ ١٣٦

أبو الحسن القيجاطي ؛ ١٣١ ، ١٣٢ ، ٥٦١

أبو الحسن الكرمانى ؛ ٩١

أبو الحسن بن كاشة ؛ ٢٢٤

أبو الحسن الكواب ؛ ٢٣٨ ، ٣٩٩

أبو الحسن بن كوثر ؛ ١٧٧ ، ٤٠٠

أبو الحسن بن لب ؛ ٦١

أبو الحسن المري ، السلطان ؛ ١٠٤ ، ١٠٦ ،
٥٣٠

أبو الحسن المزدني ؛ ١٣٢

أبو الحسن المتيوي ؛ ٩٣

أبو الحسن بن مؤمن ؛ ٨٦

أبو الحسن النباغي ؛ ٦٤ ، ٧٧

أبو الحسن بن هذيل ؛ ٧١ ، ٥٤٢

أبو الحسن الورداد ؛ ٢٤٢

أبو الحسن بن وهيب ؛ ٤٨٢

أبو الحسن بن وشاش ؛ ١٣٢

أبو الحسين بن أبي الربيع ؛ ٢٠٣ ، ٣٨٤

أبو الحسين التلمساني ؛ ٣٠٦

أبو الحسين المتفريدي ؛ ٣٨٧

أبو الحسن بن أبي ربيع ؛ ٧٧ ، ٨١ ، ٩٣ ،
١٣٦ ، ٣٤٧ ، ٢٥٠

أبو الحسن بن أبي العيش ؛ ٢٤ ، ٩٧ ، ٤٦١

أبو الحسن بن أحمد ؛ ٤٨٢

أبو الحسن بن الأخضر ؛ ٩٠ ، ٤٣٩

أبو الحسن بن إشتياولة ؛ ٣٧٧

أبو الحسن بن أصحى ؛ ١٦٢ ، ٤٧٩

أبو الحسن البصري ؛ ٩٣

أبو الحسن البلوطي ؛ ٢٣٥ ، ٣٨٨ ، ٤٠١

أبو الحسن بن البيان ؛ ٥٣٩

أبو الحسن بن ثابت ؛ ٧١

أبو الحسن بن الجياب ، ١٨٨ ، ٢٣٢ ،

٢٤٠ ، ٣٣٠ ، ٣٣٦ ، ٣٩٤ ، ٤٤٢ ،

٤٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٧٥

أبو الحسن بن حريق ؛ ٢٧٦

أبو الحسن بن الحصار التلمساني ؛ ٩٣

أبو الحسن بن خروف ؛ ١٥٥ ، ٤١٨

أبو الحسن بن خلف الرشاطي ؛ ٥٤٣

أبو الحسن بن الخطار ؛ ١٣٦

أبو الحسن بن خلف العنسي ؛ ١٦٥

أبو الحسن بن الدياج ؛ ٦٩ ، ٣٦٠ ، ٤٧٢

أبو الحسن بن دري ؛ ٤٨٢

أبو الحسن الرعيبي ؛ ٥١٨

أبو الحسن بن زرقون ؛ ٤٣ ، ٩٠ ، ١٨٢ ،

٣٦٠

أبو الحسن بن السراج ؛ ٩١ ، ٢٥٠ ، ٤٧٨

أبو الحسن السفاح الرندي ؛ ٢٤٧

أبو الحسن بن سليمان ؛ ٩٧ ، ١٣١

أبو الحسن الشاذلي ؛ ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٤١٩

أبو الحسن بن شريح ؛ ٧ ، ٨٥ ، ٩٠ ،

٤٧٨ ، ٥٤٢

أبو الحسن الشقودي ؛ علي بن أحمد ، ٤١

٥٣٦ ، ٤٢٥

- أبو سعيد الموحدي ، السيد ؛ ٨٩
 أبو سعيد الميمون بن بدر المتوفى ؛ ٢١٥
 أبو سليمان بن حوط الله ؛ ٧٢ ، ٤٧٨
 أبو الشمل جماعة الحلبي ؛ ٥٤٧
 أبو طالب السرقسطي ؛ ٧٣
 أبو الطاهر التميمي ؛ ٤٤٠
 أبو الطاهر الخشوعي ؛ ٧٥
 أبو الطاهر بن سرور ؛ ٥٤٧
 أبو الطاهر السلقى ؛ ٢١
 أبو الطاهر بن صفوان ؛ ٥٦١
 أبو الطيب الرندي ، صالح بن يزيد بن شريف
 النفزي ؛ ٣٦٠ ، ٣٧٥
 أبو عامر بن ربيع ؛ ٣٩٣
 أبو عامر بن عبد العظيم ؛ ٥٦١
 أبو العباس أحمد الحسني ، ٣٦ ، ١٥٧ ،
 ١٩٩
 أبو العباس أمير قسنطينة ؛ ٥١٦
 أبو العباس بن الينا ؛ ٢٧٠
 أبو العباس بن خنيس ؛ ٩٧
 أبو العباس بن خلف بن عيشون ؛
 أبو العباس بن خليل ؛ ٩١
 أبو العباس بن راشد العمراني ؛ ١٣٢
 أبو العباس الزواوي ؛ ١٩٩
 أبو العباس بن عبد الملك ؛ ٢٥٠
 أبو العباس بن المريف ؛ ١٩١
 أبو العباس العزفي ؛ ٢٩ ، ٧٢
 أبو العباس بن علي بن مروان ، ٥١٨
 أبو العباس بن علي اللص ؛ ٤٤٠
 أبو العباس الغبريني ؛ ١٦٣
 أبو العباس بن الغماز الخزرجي ؛ ١٦٣ ،
 ٢٠٢

أبو الحكيم بن يوجان ، ١٩١

- أبو حيان النحوي ، محمد بن يوسف ؛ ١٦٤ ؛
 ٣٩٥
 أبو خالد بن رفاعة ؛ ٤٠٠
 أبو خالد المرواني ؛ ١٦٥
 أبو الخطار بن خليل ؛ ٤١٩ ، ٤٧٢
 أبو داود بن يحيى ؛ ٤٧٨
 أبو رجال بن غلبون ؛ ٣٤٩
 أبو ذر الخثني ؛ ١٥٥
 أبو ذر الهروي ؛ ٣٠٣
 أبو الربيع بن سالم ؛ ٣٤٩ ، ٤٠١ ، ٤١٥ ،
 ٥٣٣ ، ٥٤٢
 أبو الربيع سليمان ، السلطان ؛ ٥٣٦ ، ٥٣٤
 أبو زكريا البرشاني ؛ ٢١
 أبو زكريا الجعفري ؛ ٧٢
 أبو زكريا المرجعي ؛ ٨٦
 أبو زكريا بن هذيل ؛ ١٧٨ ، ٢٧٧ ، ٣٩١
 أبو زيد البرناسي ؛ ٣٠٥
 أبو زيد الجزولي ؛ ١٣١ ، ١٩٩
 أبو زيد الحشا ؛ ٤٦٤
 أبو زيد السبيل ؛ ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٤٠٧ ،
 ٤١٧ ، ٥١٨ ، ٥٧٥
 أبو زيد بن عبد الرحيم الشريف ؛ ٤٧٦
 أبو زيد الفزازي ؛ ٤٥٨
 أبو زيد بن زرار ؛ ١٦٦
 أبو زيد الموحدي ، السيد ؛ ٢١١
 أبو زيد الهزميري ؛ ٢٦٩ ، ٢٧٠
 أبو زياد ، الأمير ؛ ٢٧٨
 أبو سالم ، السلطان ؛ ١١٧ ، ٤٩٩ ،
 ٥٣١ ، ٥٣٠
 أبو سعيد بن لب ؛ ٤٠ ، ٣٩٤ ، ٤٣٦ ،
 ٤٨ ؛
 أبو سعيد بن نصر ، الرئيس ؛ ٣٣٥ ، ٣٤٠ ،

أبو العباس بن محمد الجذامي ؛ ١٦٥
 أبو العباس المرسى ؛ ٢٣٤ ، ٢٧٥
 أبو العباس بن مزني ؛ ٥١٦
 أبو العباس المكناسي ؛ ١٩٩
 أبو العباس بن مكنون ؛ ٢٣٢ ، ٤٧٢
 أبو العباس بن اليتيم ؛ ١٧٦ ، ٤٠٧
 أبو العباس بن يربوع السبق ؛ ٣٢٨ ، ٤٤٤
 أبو عبد الله بن الأبار ؛ ٢٥٠ ، ٣٤٤
 أبو عبد الله بن إبراهيم المقرئ ؛ ٤٠٠
 أبو عبد الله بن أبي البقاء ؛ ٣٤٩
 أبو عبد الله بن أبي الجليش ؛ ٤٤٤
 أبو عبد الله بن أبي انفصال ؛ ٤٨٢ ، ٥٢٦ ، ٥٤٣
 أبو عبد الله بن أبي زكريا بن أبي حفص ؛ ٥١٦
 أبو عبد الله بن أبي عامر بن ربيع ؛ ٢١ ، ١٨٥
 أبو عبد الله الأبل ؛ ٤٩٨
 أبو عبد الله بن أجروم الصنهاجي ؛ ٩٧ ، ١٣١
 أبو عبد الله الأزدي ؛ ٢٥٠
 أبو عبد الله الإستحي ؛ ٧٤ ، ٣٠٥
 أبو عبد الله بن أصبغ ؛ ٤١٨
 أبو عبد الله بن الأعور ؛ ٢٤٠
 أبو عبد الله الأندلسي ؛ ٧٢
 أبو عبد الله بن بكر ؛ ٦٦ ، ٧٨ ، ٥٦١
 أبو عبد الله البكري ؛ ٧٣
 أبو عبد الله البياني ؛ ٣٩٤
 أبو عبد الله بن تجلات ؛ ٢٧٠
 أبو عبد الله التجيبي ؛ ٥١٨
 أبو عبد الله التونسي ؛ ١٦٠

أبو عبد الله الجثناني ؛ ٧١
 أبو عبد الله الجنيدي (الفراق) ؛ ٩٣
 أبو عبد الله بن الحسن ؛ ٢٠٩
 أبو عبد الله بن حسن البجلي ؛ ١٦٠ ، ٣٢٨
 أبو عبد الله بن حسن السبقي ؛ ٧٣
 أبو عبد الله بن الحسن بن عبد الغني المقدسي ؛ ١٦٣
 أبو عبد الله بن الخطار الكامي ؛ ٤٠١
 أبو عبد الله الحضرمي ؛ ١٨٥
 أبو عبد الله بن الحلو ؛ ٢٤٠
 أبو عبد الله بن حميد ؛ ٤٠٧ ، ٤١٦
 أبو عبد الله بن الحضارم ؛ ٢٠١
 أبو عبد الله بن خلف الأيسري ؛ ٨٦
 أبو عبد الله بن نحيس ؛ ٩٣ ، ١٩٢ ، ٢٠٣ ، ٢٦٨
 أبو عبد الله الدراج ؛ ٤٠١
 أبو عبد الله بن راجع ؛ ٤٥
 أبو عبد الله بن ربيع الأشعري ؛ ٦٦ ، ٨٩ ، ١٥٧
 أبو عبد الله الرصافي ، محمد بن غالب ؛ ٢١٤ ، ٢٧٣ ، ٣٥٤
 أبو عبد الله بن رزيق الشافعي ؛ ٢٤٧
 أبو عبد الله الرندي ؛ ٣٢٨
 أبو عبد الله الرشاش ؛ ٥٥٢
 أبو عبد الله الرقام ؛ ٤١٤
 أبو عبد الله بن زرقون ؛ ٤٠٧ ، ٥٤٢
 أبو عبد الله بن سعادة ؛ ٥٤٢
 أبو عبد الله بن سليمان الثونسي ؛ ٥٤٢
 أبو عبد الله بن سمعون الطائي ؛ ٥٥٣
 أبو عبد الله الشاطبي ؛ ٨٧
 أبو عبد الله بن شهيد المري ؛ ١٦٢
 أبو عبد الله بن صاف ؛ ٥٤٢
 أبو عبد الله بن صالح الكناني ؛ ٤٠٢
 أبو عبد الله بن الصقيل المرسى ؛ ١٦٦

أبو عبد الله الطر-وفى : ٥٦٠
 أبو عبد الله بن طرنه : ٤٠٤
 أبو عبد الله الطنجاني : ٢١ ، ٢٣ ، ٦٦ ،
 ٦٧ ، ١٣٢ ، ١٧٦ ، ١٨٥ ، ١٩٢ ،
 ١٩٨ ، ٢٠١ ، ٢٢٧ ، ٢٤٢ ، ٢٤٥ ،
 ٥٦١
 أبو عبد الله بن عامر بن ربيع : ٨٩
 أبو عبد الله بن عامور : ٤٠
 أبو عبد الله بن عبد الرحمن الجزولي : ١٣٢
 أبو عبد الله بن عبد السلام : ٨٢ ، ٤١٢ ،
 ٤٤٤ ، ٤٩٨
 أبو عبد الله بن عبد الملك : ٩٥ ، ٣٠٦ ،
 ٤٧٩ ، ٣٠٧
 أبو عبد الله بن عبد المنعم : ١٨٥ ، ١٩٩
 أبو عبد الله بن عبد الولي : ٢٣٠
 أبو عبد الله العلوي : ١٦٩
 أبو عبد الله بن العنسي : ٤٥
 أبو عبد الله بن عياش : ١٩٢ ، ١٩٤ ،
 ٢٠٣ ، ٢٤٧ ، ٤٧٩ ، ٥٦١
 أبو عبد الله بن عياض : ٦٩ ، ٢٥١
 أبو عبد الله بن عيسى : ٤٤٢
 أبو عبد الله بن غالب : ٥٦١
 أبو عبد الله بن غريون : ١٥٧
 أبو عبد الله الغماري : ٩٧ ، ١٣٢ ، ٢٠١
 أبو عبد الله القرطبي : ٩٧ ، ٣٦
 أبو عبد الله القطان : ٧٥ ، ٢٣٨ ، ٢٤١ ،
 ٤٧٩
 أبو عبد الله بن لب : ٢٤٠
 أبو عبد الله المردودي : ٣٣٧
 أبو عبد الله بن مستقور : ٢٤٧ ، ٤١٩
 أبو عبد الله بن المقرئ : ٢٦٩ ، ٢٧٠
 أبو عبد الله بن مكى : ٨٦

أبو عبد الله بن ملك المقرئ : ١٦٢ ، ٣٢٩
 أبو عبد الله المهندس : ٤٤٤
 أبو عبد الله بن النجار : ٤٤٤
 أبو عبد الله بن نصر ، السلطان : ٤٢٥ ،
 ٤٣٦ ، ٤٣٧
 أبو عبد الله التولي ، محمد بن عبد الرحمن : ٤٠١
 أبو عبد الله بن هرون ، ٢٠٢
 أبو عبد الله بن هشام الألكشي : ٣٩ ، ٤٠ ،
 ٤١٤
 أبو عبد الله بن هاني : ١٣٢
 أبو عبد الله بن يحيى بن بكر الأشعري : ٣٩٤
 أبو عبد الله بن يحيى المرسى : ٥٧٨
 أبو عبد الله بن يربوع : ٧١ ، ٧٢ ، ١٨٥ ،
 ٤٧٩
 أبو عبد الله بن يعلى : ٩٧
 أبو عثمان بن سعيد : ١٨٥ ، ٤٦٠
 أبو عثمان بن ليون : ٥٦١
 أبو عثمان بن هرون : ٤٤٠
 أبو العلاء بن الجنان : ٤٤٠
 أبو العلاء المعري : ٢١ ، ١٠٠ ، ٢٠٦
 أبو علي البغدادى : ١٨٣ ، ١٨٤
 أبو علي بن حسن البجل : ١٦٠ ، ٣٢٨
 أبو علي الرندي : ٤٧٩ ، ٥٤٣
 أبو علي الشلوين : ٣٠٥ ، ٤٧٩
 أبو علي الصدفى الغساني : ١٩٠
 أبو علي القرشي : ٣٩٤
 أبو عمر بن حكم : ٥٨٤
 أبو عمران بن إسحق : ٧٢
 أبو عمرو بن حوط الله : ٩٣ ، ٢٤٧ ،
 ٣٤٩ ، ٤١٩ ، ٥٥٣
 أبو عمرو الدارى : ٢٠٣
 أبو عمرو الدافى : ٤٦٣
 أبو عمرو بن الرندون : ٧٦
 أبو عمرو الزاهد : ٦٥

أبو عبد الله بن طرنه : ٤٠٤
 أبو عبد الله الطنجاني : ٢١ ، ٢٣ ، ٦٦ ،
 ٦٧ ، ١٣٢ ، ١٧٦ ، ١٨٥ ، ١٩٢ ،
 ١٩٨ ، ٢٠١ ، ٢٢٧ ، ٢٤٢ ، ٢٤٥ ،
 ٥٦١
 أبو عبد الله بن عامر بن ربيع : ٨٩
 أبو عبد الله بن عامور : ٤٠
 أبو عبد الله بن عبد الرحمن الجزولي : ١٣٢
 أبو عبد الله بن عبد السلام : ٨٢ ، ٤١٢ ،
 ٤٤٤ ، ٤٩٨
 أبو عبد الله بن عبد الملك : ٩٥ ، ٣٠٦ ،
 ٤٧٩ ، ٣٠٧
 أبو عبد الله بن عبد المنعم : ١٨٥ ، ١٩٩
 أبو عبد الله بن عبد الولي : ٢٣٠
 أبو عبد الله العلوي : ١٦٩
 أبو عبد الله بن العنسي : ٤٥
 أبو عبد الله بن عياش : ١٩٢ ، ١٩٤ ،
 ٢٠٣ ، ٢٤٧ ، ٤٧٩ ، ٥٦١
 أبو عبد الله بن عياض : ٦٩ ، ٢٥١
 أبو عبد الله بن عيسى : ٤٤٢
 أبو عبد الله بن غالب : ٥٦١
 أبو عبد الله بن غريون : ١٥٧
 أبو عبد الله الغماري : ٩٧ ، ١٣٢ ، ٢٠١
 أبو عبد الله القرطبي : ٩٧ ، ٣٦
 أبو عبد الله القطان : ٧٥ ، ٢٣٨ ، ٢٤١ ،
 ٤٧٩
 أبو عبد الله بن لب : ٢٤٠
 أبو عبد الله المردودي : ٣٣٧
 أبو عبد الله بن مستقور : ٢٤٧ ، ٤١٩
 أبو عبد الله بن المقرئ : ٢٦٩ ، ٢٧٠
 أبو عبد الله بن مكى : ٨٦

أبو القاسم السبيل ، عبد الرحمن بن عبد الله ؛

١٨٢ ، ٤٧٧ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠

أبو القاسم الصقر ؛ ٦١

أبو القاسم بن الطيب ؛ ٢٠١ ، ٤٠١

أبو القاسم بن الطيلسان ؛ ٤٧٩

أبو القاسم بن عبد الرازق ؛ ٤٠٧

أبو القاسم الغافق ؛ ٥٤٩

أبو القاسم القشيري ؛ ٢٣١

أبو القاسم بن قطبة ؛ ٢٩٩

أبو القاسم اللاسكلان ؛ ٢٣٨

أبو القاسم بن محمد بن الخطيب ؛ ١٦٤

أبو القاسم المريد ؛ ٢٣٩

أبو القاسم بن المغربي ؛ ٣٠٧

أبو القاسم الملاحي ، محمد بن عبد الواحد . بن

حقل الغافق ؛ ٢٦ ، ٤٢ ، ١٧٦ ، ١٨٢

٢١٥ ، ٢٩٩ ، ٣٧٩ ، ٣٨٥ ، ٤٦٣

٥٤٠

أبو القاسم بن منظور ؛ ٩٠

أبو القاسم بن ورد ؛ ٤٨٣

أبو محمد بن أبي الحجد ؛ ٤٦٠

أبو محمد الأصفهاني ؛ ٣٠٣

أبو محمد بن إشتيقلولة ، عبد الله بن إبراهيم

٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣

أبو محمد بن أيوب ؛ ٤٤٤

أبو محمد البياسي ؛ ٢٧٥ ، ٤٥٨

أبو محمد بن جابر ؛ ٤١٤

أبو محمد بن جمهور ؛ ٩٠ ، ٤٠٧

أبو محمد الحجري الأندلسي ؛ ٣٤٩ ، ٠٧

أبو محمد الحضرمي ؛ ٣٩٥

أبو محمد بن حمد الله ؛ ٧٤٦ ، ٤١٦ ، ١٨٠

٤٧٩

أبو عمرو بن سالم ؛ ٣٠٥ ، ٢٤٩ ، ٥١٨

أبو عمرو بن منظور ؛ ٨٢ ، ١٣٢ ،

١٩٢ ، ٥٦١

أبو عنان فارس ، السلطان ؛ ١٣ ، ١٠٥ ،

١١٧ ، ٤٩٨ ، ٥٣٠ ، ٥٣٣

أبو فارس الجروي ؛ ٢٠٣

أبو الفضل بن هرون الأزدي ؛ ٧٣

أبو القاسم بن أبي الحجاج بن أبي الحقالة ؛

٣٧٥

أبو القاسم بن أبي عامر بن أبي ربيع ؛ ٩٣

أبو القاسم بن أبي القاسم بن أبي العافية ؛ ٤٦٠

أبو القاسم بن إدريس ؛ ٣٤٩

أبو القاسم بن الأصهر الحارثي ؛ ٦١

أبو القاسم التجيبي ؛ ١٨٥ ، ١٩٩

أبو القاسم بن جزى ؛ ٣٩٢

أبو القاسم الجيفاني ؛ ٩١

أبو القاسم بن حبش ؛ ٣٤٩ ، ٤٠٧ ،

٤١٧ ، ٥٤١

أبو القاسم بن أحمد الحسني ؛ ١٤٥ ، ١٤٧ ،

١٥٢ ، ٤٣٦ ، ٤٤٤

أبو القاسم الحصار ؛ ٥٣٩

أبو القاسم بن حماد الحضرمي الليدي ؛ ١٦٤ ،

٢٠٢

أبو القاسم بن حدين ؛ ٢٧٥

أبو القاسم بن خير ؛ ٢٠٣

أبو القاسم بن داود ؛ ٤٧٨

أبو القاسم بن درهم ؛ ٥٦١

أبو القاسم بن رجا الحضرمي ؛ ٩٧

أبو القاسم بن ربيع ؛ ٨١ ، ١٩٢ ، ٤١٩

أبو القاسم بن السكوت ؛ ٦٤ ، ١٥٩ ،

١٩٤ ، ٢٠٣

أبو القاسم بن سمحون ؛ ٤٢ ، ١٧٧

أبو محمد بن دلف بن اليسر ؛ ٧٢
 أبو محمد بن رشد ؛ ٤٧٨
 أبو محمد بن زيدان ؛ ١٥٥
 أبو محمد بن سلمون الكثافي ؛ ٣٩٤ ، ٤٠٠
 أبو محمد بن سمحون ؛ ١٥٨ ، ١٧٤
 أبو محمد بن الصايغ ؛ ٣٩٥ ، ٥٦١
 أبو الملا بن المنصور ، السيد ؛ ٥١٨
 أبو محمد بن عبد الحق ؛ ٩١
 أبو محمد بن عبد الصمد النسافي ؛ ٤٢ ، ٤٥٧
 أبو محمد بن عبد العزيز بن حمدين ؛ ١٦٥
 أبو محمد عبد المنعم ؛ ٥٤١
 أبو محمد بن عتاب ؛ ٨٥ ، ٩٠ ، ١٧٤
 أبو محمد بن قاسم الحرار ؛ ٥١٨
 أبو محمد القرطبي الحافظ ؛ ٧٠ ، ٩٠ ، ٥٤٣
 أبو محمد بن قورش ؛ ٧٣
 أبو محمد النفزي ؛ ٤٠١
 أبو محمد بن يوسف القضاعي ؛ ٤٤٠
 أبو مروان الباجي ؛ ٥٤٣
 أبو مروان بن بونه ؛ ٤٧٨
 أبو مروان بن سراج ؛ ٧٣
 أبو مروان بن الصقيل الوقشي ؛ ٧٣
 أبو المطرف بن عميرة ؛ ١٤٥ ، ٢٧٦
 أبو المعالي الجويني ؛ ١٦٦
 أبو الوليد بن أبي الحجاج بن نصر ، السلطان ؛
 ٣٥٤٣ ، ٣٤٠ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٥٣٦
 أبو الوليد الباجي ؛ ٧٣
 أبو الوليد بن الحجاج ؛ ٧٢
 أبو الوليد الخضرمي ؛ ٢١
 أبو الوليد بن خيرة ؛ ١٦٦
 أبو الرايد بن طريف ؛ ٨٦ ، ٩٠
 أبو الرايد الطار ؛ ٢٤٧ ، ٢٥٠ ، ٤١٩ ،
 ٥٥٣
 أبو الوليد بن يزيد بن بى ؛ ٥١٨
 أبو مهذب عيسى الزيات ؛ ١٧٨
 أبو يحيى أبو بكر الضرير ؛ ٨٦
 أبو يحيى بن أبي عمران ؛ ٢١٢
 أبو يحيى بن عبد الرحيم ؛ ٤١٩ ، ٤٥٧
 أبو يحيى بن الفرس ؛ ٢٥١
 أبو يحيى بن مسعدة ؛ ١٥٩
 أبو يعقوب المحاسبي ؛ ٢٥١
 أبو يعقوب بن عقاب ؛ ٢٠٣
 أبو يوسف يعقوب بن عبد المؤمن ؛ ٥٧٤
 أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ، الخليفة ؛
 ٢١١
 أبو يوسف بن عبد الحق ، السلطان ؛ ٢٤٩ ،
 ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٣٧٧
 أحمد بن حمدان الحراني ، نجم الدين ؛ ٤٠٢
 أحمد الرازي ؛ ٤٧ ، ٥٢٩
 أحمد بن سليمان بن أحمد المقدسي ؛ ٤٠٢
 أحمد بن عبد المنعم الصوفي ؛ ٤٠٢
 أحمد بن عتيق الشاطبي ؛ ٣٩٤
 أحمد بن عمر ، أبو القاسم ؛ ١٦٥
 أحمد بن عمران الساوي اليانيولي ؛ ٣٢٨
 أحمد بن محمد الجعدالة السلمي ؛ ٣٨٧
 أحمد بن محمد الحسني ، عز الدين ؛ ٤٠٣
 أحمد بن محمد بن عبد الله الظاهري ؛ ٤٠٢
 أحمد بن مروان القيرواني ؛ ٧٣
 أحمد بن مفضل المالح ؛ ٩٥
 أحمد بن موسى بن عيسى البطرقي ؛ ١٦٤
 أحمد بن يوسف بن يعقوب البلي ؛ ١٦٤
 أدفونش (ألفونسو السادس) ؛ ٢١٣ ، ٣٨٠
 أسلم بن عبد العزيز ؛ ٤٦٥
 إسماعيل الروبي ؛ ٢٣٧ ، ٢٣٨

أبو محمد بن دلف بن اليسر ؛ ٧٢
 أبو محمد بن رشد ؛ ٤٧٨
 أبو محمد بن زيدان ؛ ١٥٥
 أبو محمد بن سلمون الكثافي ؛ ٣٩٤ ، ٤٠٠
 أبو محمد بن سمحون ؛ ١٥٨ ، ١٧٤
 أبو محمد بن الصايغ ؛ ٣٩٥ ، ٥٦١
 أبو الملا بن المنصور ، السيد ؛ ٥١٨
 أبو محمد بن عبد الحق ؛ ٩١
 أبو محمد بن عبد الصمد النسافي ؛ ٤٢ ، ٤٥٧
 أبو محمد بن عبد العزيز بن حمدين ؛ ١٦٥
 أبو محمد عبد المنعم ؛ ٥٤١
 أبو محمد بن عتاب ؛ ٨٥ ، ٩٠ ، ١٧٤
 أبو محمد بن قاسم الحرار ؛ ٥١٨
 أبو محمد القرطبي الحافظ ؛ ٧٠ ، ٩٠ ، ٥٤٣
 أبو محمد بن قورش ؛ ٧٣
 أبو محمد النفزي ؛ ٤٠١
 أبو محمد بن يوسف القضاعي ؛ ٤٤٠
 أبو مروان الباجي ؛ ٥٤٣
 أبو مروان بن بونه ؛ ٤٧٨
 أبو مروان بن سراج ؛ ٧٣
 أبو مروان بن الصقيل الوقشي ؛ ٧٣
 أبو المطرف بن عميرة ؛ ١٤٥ ، ٢٧٦
 أبو المعالي الجويني ؛ ١٦٦
 أبو الوليد بن أبي الحجاج بن نصر ، السلطان ؛
 ٣٥٤٣ ، ٣٤٠ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٥٣٦
 أبو الوليد الباجي ؛ ٧٣
 أبو الوليد بن الحجاج ؛ ٧٢
 أبو الوليد الخضرمي ؛ ٢١
 أبو الوليد بن خيرة ؛ ١٦٦
 أبو الرايد بن طريف ؛ ٨٦ ، ٩٠
 أبو الرايد الطار ؛ ٢٤٧ ، ٢٥٠ ، ٤١٩ ،
 ٥٥٣

الحكم المستنصر بالله؛ الخليفة؛ ١٨٣ ، ١٨٤ ،

٤٦٥

حكيم بن محمد؛ ٤٥

الحكم بن هشام ، الأمير؛ ٣٨٦

حدة بنت زياد المكتب؛ ٢١٦

حو بن عبد الحق؛ ٥٣٦

حيان بن أبي يربوع؛ ١٨٢

خالد بن أبي زكريا ، السلطان؛ ٣٣٧

خالد بن خالد؛ ١٧٨

خالد بن عيسى؛ ٤٥

الخضر بن رضوان العبدي؛ ٤١٣

خضر بن عبد الرحمن المعجمي؛ ١٠٥

خلف بن عبد العزيز القيتوري؛ ١٦٤ ، ٢٠١

خلف الله الحياصي؛ ١٣٢ ، ١٩٩

خيران العامري؛ ٤٦٧

داود بن يزيد السعدي؛ ١٧٦

رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ٢١٣ ،

٢٤١ ، ٣٥٩ ، ٤٩٧ ، ٥١٩

رضوان بن خالد ، أبو النعم؛ ٣٠٥

رضي الدين بن إبراهيم الطبري؛ ١٦٤

زياد بن الصفار؛ ١٦٥

زياد بن عبد الرحمن؛ ٥٤٩

زيد بن محارب بن عطية؛ ٥٣٩

زيدان الحسني ، السلطان؛ ٥

زينب بنت اسحق النفزاوية؛ ٥٢٣

زينب بنت زياد؛ ٢١٦

س — ط

سارة بنت أحمد بن عثمان الحلبي؛ ٤٠٢

سالم بن صالح بن سالم؛ ٢٢٨

سحتون بن سعيد؛ ٥٤٩

سعد الحفار ، أبو عثمان؛ ٧٢

السعيد ، السلطان؛ ١١٧ ، ٤٩٩

سعيد بن عمر البطرفي؛ ٦١

أضحى الحمداني ، أبو المعالي؛ ٣٨٧

أمين الدين بن عساكر؛ ٢٠٣

أمية بن حمزة القهري؛ ٤٦٩

ب — ث

باديس بن حبوس؛ ٣٣٢

البخاري ، الإمام؛ ١٣٢

بدر (بن أحمد) حاجب الناصر لدين الله؛

٤٦٥

بدر مولى عبد الرحمن الداخل؛ ٤٦٨ ، ٤٦٩

بدر الدين بن جماعة؛ ١٦٣

بقي بن مخلد؛ ٤٠ ، ٥٥٠

بلج بن بشر القشيري؛ ٣٤٦

بلقين بن باديس بن حبوس؛ ٣٠٠

تق الدين بن أبي الحسن؛ ٢٤٧

تق الدين بن عبد الخالق المصري؛ ١٦٤

تميم بن بلقين؛ ٣٨١

ثعلبة بن عبيد الجذامي؛ ٤٦٩

ج — ز

جابر بن أحمد ، أبو الحسن؛ ٥١٨

جعفر بن حكم؛ ٤٠٠

جعفر بن مكى؛ ٥٤٣

حبيب بن عبد الملك المرواني؛ ٤٦٩

حسام بن ضرار الكلبي ، أبو الخطار؛ ٢٠

الحسن بن أبي الشرف ربيع؛ ٤٠١

حسن بن الجزائر؛ ٧٣

الحسن بن محمد الجيافي؛ ٤٥

الحسين بن عتيق بن الحسين بن رشيق؛ ٤٠١

الحسين بن العقيل؛ ٤٦٩

الحسين بن علي؛ ٣٤٦ ، ٣٥٠

حفص بن المرة؛ ٢٧٩

حفص بن نجيح؛ ١٨٣

حفصة بنت الحاج؛ ٥٧١

عائشة بنت محمد بن أحمد السكوتى ، أم المجد ؛

٤٠٢

العباس أحمد بن عبد الله الطبرى ؛ ٢٤٧

عباس بن الطفيل ؛ ١٨٥

عباس بن مرداس ؛ ٢٤٨

عبد الأعلى بن موسى بن نصير ؛ ٥٢٩

عبد البر بن فرسان بن إبراهيم التستاق ؛ ٥٧٥

عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر ؛ ٤٦٥

عبد الجبار بن موسى الجذامى ؛

عبد الحق بن بونه ؛ ٧٣١ ، ٧٤٤ ، ٤٠٧

عبد الحق بن عثمان بن محمد ... بن محيو ؛ ٥٣٦

عبد الحق بن عطية ؛ ٧١ ، ٥٤٣

عبد الحق بن علي بن عثمان بن أبي يعقوب ؛

٥٣٤

عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربى ؛ ٥٣٩

عبد الحق بن محمد بن عطية المحاربى ؛ ٥٥٥ ، ٥٥٠

عبد الحق بن يزيد العبدوى ؛ ١٧٦

عبد الحكيم بن الحسين ؛ ٥٤٧

عبد الحكيم ... بن يعقوب بن عبد الحق ؛

٢٩٨

عبد الحليم بن عمر بن عبد الحق بن محيو ؛

٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣٢

عبد الرزاق بن يوسف بن عبد الرزاق الأشعرى ؛

٥٦٩

عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى اللخمي ؛ ٤٧٢

عبد الرحمن بن أحمد بن محمد الأزدي ؛ ٤٨٢

عبد الرحمن بن أسباط ؛ ٥٢٣

عبد الرحمن بن بلى ؛ ٨٥

عبد الرحمن بن الحاح بن القمي الإلبيرى ؛ ٥١٧

عبد الرحمن بن الحسن بن القصير ؛ ١٧٧

عبد الرحمن بن الحكم ؛ ٥٥٠ ، ٥٥١

عبد الرحمن بن حوط الله الأنصارى ؛ ٥٥٣

عبد الرحمن بن عبد الملك الينشقى ؛ ٥٢٧

سميد بن قوسرة ؛ ٨٧

سليمان بن حوط الله ؛ ٥١٨

سليمان بن عبد الله بن أبي يعقوب بن عبد الحق ؛

١٣٣٦

سليمان بن مفتاح اللجائى ؛ ٩٧

سليمان بن هود ؛ ٢٨٦

سماجة الصنهاجى ؛ ٣٧٩

سهل بن مالك ، أبو الحسن ؛ ١٨٢ ، ٥٧٤

سيبويه ؛ ٧٦

الشافعى ، الإمام ؛ ٢٦٧

الشريف أبو القاسم ؛ ٣٩٣ ، ٤٧٧

شمر بن ذى الجوشن ؛ ٣٤٦

شمس الدين بن المناصف ؛ ٤١٢

صالح بن خلف ؛ ٧٣

صمصمة بن سلام ؛ ٥٤٩

صفوان بن إدريس بن إبراهيم التجيبى ؛

١٨١ ، ٣٤٩

الصميل بن حاتم ؛ ٣٤٥ ، ٣٤٨

خبياء الدين بن عيسى بن أحمد ؛ ٢٠٢

طارق بن موسى ؛ ٧١

طالوت الفقيه ؛ ٣٨٦

طالوت بن عياد بن نصال ؛ ٤٥

طاهر بن أبي الشرف ؛ ٢٠١

الطيب بن هرقال ، أبو القاسم ؛ ٧٢

ظهير الدين بن عبد الخالق الدلاصى ؛ ١٦٤

ع - غ

العاذل ، الخليفة الموحدى ؛ ٢٧٥

عاصم بن مسلم ؛ ٤١٩

عامر بن محمد المقتاتى ؛ ٥٣٣

عبد الرحمن بن عبد الله بن سمان ؛ ١٦٦
 عبد الرحمن بن عفان ؛ ١٣١
 عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) ؛ ٤ ، ٥ ، ٥
 ٤٦٧ ، ٣٤٩ ، ٣٤٨
 عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ، الخليفة
 الناصر لدين الله ؛ ٤ ، ٥ ، ٤٦٤
 عبد الرحمن بن محمد بن مالك المعافى ؛ ٥٢٤
 عبد الرحمن بن مسلمة ، أبوى الحسن ؛ ٤٠٧
 عبد الرحمن بن منعم الكلبي ؛ ٤٦٩
 عبد الرحمن بن موسى بن تاشفين ؛ ٥٣٧
 عبد الرحمن بن هاني النخعي ؛ ٤٨٠
 عبد الرحمن بن مخلفتن الفزازي ؛ ٥ ، ٥١٧
 عبد الرحيم بن إبراهيم بن قريش ؛ ٧٢
 عبد الصمد بن عبد الوهاب ؛ ٢٤٧
 عبد الصمد بن محمد بن يعيش النسافي ؛ ٧٤ ،
 ١٧٧
 عبد العزيز بن سدير ؛ ٧١
 عبد العظيم بن الشيخ ؛ ٩٣ ، ٢٤٠
 عبد العظيم بن عمر بن حسان النسافي ؛ ٥٧٧
 عبد العظيم بن محمد بن الحاج ؛ ٥٥٤
 عبد الغفار بن محمد السعدى المصرى ؛ ١٦٣
 عبد القهار بن مفرج بن عبد القهار الفزازى ؛ ٥٣٨
 عبد الكريم بن صدقة المزني ؛ ١٦٤
 عبد الكريم بن عمران ؛ ٥١٨
 عبد الله بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الماصى ؛ ٤١٩
 عبد الله الآبلى ؛ ٤٤٤
 عبد الله بن أبي بكر بن داود النقيسى ؛ ٩٢
 عبد الله بن أبي ربيع القرشي ؛ ١٥٧
 عبد الله بن أحمد بن اسمعيل بن سالك النعماني ؛
 ٤١٠ ، ٤١٣
 عبد الله بن أسعد الشافعي ؛ ١٠٦
 عبد الله بن أيوب الأنصارى ؛ ٤٠٥
 عبد الله بن بلقين بن باديس ؛ ٥ ، ٢٩٩

٣٠٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠
 عبد الله بن الجبير اليحصبي ؛ ٣٨٥
 عبد الله بن الحسن بن يحيى الأنصارى ؛
 ٤٠٥ ، ٤١٣
 عبد الله بن حسون البرجي ؛ ٤٠٩
 عبد الله بن حكم ؛ ٢٨٦
 عبد الله بن الخطيب السلماني ؛ ٣٢٩ ، ٤٣٥
 عبد الله بن سراج ؛ ١٨٠ ، ٣٨٥
 عبد الله السطلي ؛ ٤٩٨
 عبد الله بن سعيد بن عبد الله السلماني ؛ ٣٨٦
 عبد الله بن سهل الفرناطى ؛ ٤٠٤
 عبد الله بن الصايغ ؛ ٢١٩
 عبد الله بن عبد الرحمن الناصر ؛ ٤٦٥
 عبد الله بن فرج اليحصبي (ابن المسال) ؛ ٤٦٢
 عبد الله بن فارس بن زيان ؛ ٤٦١
 عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن سعيد
 (اليربطول) ؛ ٤٥٦
 عبد الله بن محمد ، أمير الأندلس ؛ ٢٧٩ ،
 ٢٨٠
 عبد الله بن محمد بن إبراهيم العبدي ؛ ٣٩٩
 عبد الله بن محمد بن أبي بكر المكي ؛ ٢٤٧
 عبد الله بن محمد بن أحمد المزني ؛ ٣٨٣
 عبد الله بن محمد بن أحمد بن أبي جرة الأزدي ؛
 ٤١٥
 عبد الله بن محمد البيضاوى ؛ ١٩٠
 عبد الله بن محمد الشراط ؛ ٤٤١
 عبد الله بن موسى ... بن حماد الصنهاجي ؛ ٤٣٠
 عبد الله بن هرون الطائي ؛ ٤٤ ، ١٣٦
 عبد الله بن يحيى ... بن ربيع الأشعري ؛ ٤١٧
 عبد الله بن يحيى ... بن زكريا الأنصارى ؛ ٤١٣
 عبد الله بن يوسف الخلاسى ؛ ١٦٤

عبد الرحمن بن عبد الله بن سمان ؛ ١٦٦
 عبد الرحمن بن عفان ؛ ١٣١
 عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) ؛ ٤ ، ٥ ، ٥
 ٤٦٧ ، ٣٤٩ ، ٣٤٨
 عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ، الخليفة
 الناصر لدين الله ؛ ٤ ، ٥ ، ٤٦٤
 عبد الرحمن بن محمد بن مالك المعافى ؛ ٥٢٤
 عبد الرحمن بن مسلمة ، أبوى الحسن ؛ ٤٠٧
 عبد الرحمن بن منعم الكلبي ؛ ٤٦٩
 عبد الرحمن بن موسى بن تاشفين ؛ ٥٣٧
 عبد الرحمن بن هاني النخعي ؛ ٤٨٠
 عبد الرحمن بن مخلفتن الفزازي ؛ ٥ ، ٥١٧
 عبد الرحيم بن إبراهيم بن قريش ؛ ٧٢
 عبد الصمد بن عبد الوهاب ؛ ٢٤٧
 عبد الصمد بن محمد بن يعيش النسافي ؛ ٧٤ ،
 ١٧٧
 عبد العزيز بن سدير ؛ ٧١
 عبد العظيم بن الشيخ ؛ ٩٣ ، ٢٤٠
 عبد العظيم بن عمر بن حسان النسافي ؛ ٥٧٧
 عبد العظيم بن محمد بن الحاج ؛ ٥٥٤
 عبد الغفار بن محمد السعدى المصرى ؛ ١٦٣
 عبد القهار بن مفرج بن عبد القهار الفزازى ؛ ٥٣٨
 عبد الكريم بن صدقة المزني ؛ ١٦٤
 عبد الكريم بن عمران ؛ ٥١٨
 عبد الله بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الماصى ؛ ٤١٩
 عبد الله الآبلى ؛ ٤٤٤
 عبد الله بن أبي بكر بن داود النقيسى ؛ ٩٢
 عبد الله بن أبي ربيع القرشي ؛ ١٥٧
 عبد الله بن أحمد بن اسمعيل بن سالك النعماني ؛
 ٤١٠ ، ٤١٣
 عبد الله بن أسعد الشافعي ؛ ١٠٦
 عبد الله بن أيوب الأنصارى ؛ ٤٠٥
 عبد الله بن بلقين بن باديس ؛ ٥ ، ٢٩٩

علاء الدين القونوى ١٠٦٠
 على بن إبراهيم السكوتى ٩٣
 على بن عبد الرحمن بن سحون ١٠٠
 على بن عبد الله بن عبد الرحيم ٥٧٥
 على بن محمد التجيبي
 على بن محمد الخطيب ٣٢٩
 على بن محمد الكناني ٤١٩
 على بن موسى بن سعيد ٤٣٣ ، ٤٥٨
 على بن يوسف بن قاشفين ١٩١ ، ٣١٦
 عمر بن جميع ٧٢
 عمر بن الخطاب ٤٥٤
 عمر بن عبد الله ٤٩٩
 عياض بن موسى السبتي ، أبو الفضل ٤٢ ،
 ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣٢ ، ٤٠٨ ، ٤١٣ ،
 ٤٤٩ ، ٤٨٣ ، ٥٤٣ ، ٥٥٠
 الغازي بن قيس ٥٤٩
 غالب الشقري ، أبو تمام ١٧٢

ف - ك

الفتح بن خافان ، أبو نصر ٥٢٥
 فخر الدين بن البخاري ٢٠٣
 فرح بن غزلون اليحصبي ٤٦٤
 قاسم بن أحمد بن حسن الحجري ٥٥٤
 قاسم بن دحان ٧٣ ، ٤٠٧ ، ٤٧٨
 قاسم الحصار ، أبو محمد ٢٥٠
 قطب الدين بن التستاراني ٢٠٣
 كريب بن خلدون ٤٩٧
 كلثوم بن عياض القشيري ٢٤٦

م - ي

مالك ، الإمام ٦٩ ، ٥٥٠
 مالك بن عبد الرحمن بن علي بن ابراهيم (ابن
 المرحل) ٢٠١ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ،
 ٤٠٢
 مالك بن وهيب ٩٠

عبد الملك بن أبي مسلم العمراوى ١٩٠٠
 عبد الملك بن أمية ٢٧٩
 عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هرون
 ٥٥٠ ، ٥٤٨ ، ٥٥٠
 عبد الملك بن سعيد ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٥٧٠ ، ٥٧٢
 عبد الملك بن علي بن هذيل الفزاري ٥٣٨
 عبد الملك بن الماجشون ٥٥٠
 عبد الملك بن مروان ١٨٣
 عبد المنعم بن سناك العامل ٢٨ ، ١٥٧ ،
 ١٥٩ ، ٢٠٢ ، ٥٩٤
 عبد المنعم بن عبد الرحيم ٤٧٥
 عبد المهيمن الحضرمي ، أبو محمد ٤٤٤ ، ٣٢٨ ،
 ٤٩٨
 عبد المؤمن الخولاني ، أبو محمد ١٥٩
 عبد المؤمن الدمياطي ، أبو محمد شرف الدين
 ١٩٩ ، ٢٠٢ ، ٤١٢
 عبد المؤمن بن علي ، الخليفة الموحدى ٨٧ ،
 ٤٧٥ ، ٥٤٧
 عبد الواحد بن زكريا اللحياني ٣٣٧ ، ٥٣٥
 عبد الواحد بن منصور بن المنير ١٦٤
 عبد الوهاب الصدقي ٤٠٧
 عبيدة بن الطيب ١٨٣
 عبيدة بن يحيى بن يحيى ١٨٣
 عتاب بن علقمة اللخمي ٤٦٩
 عتيق بن محمد بن المول ٣٣٥
 عثمان بن أبي العلاء ٥٣٧
 عثمان بن أبي يوسف بن يعقوب بن عبد الحق
 ٣٣٦
 عثمان بن جهير ١٨٣
 عثمان بن عبد الله البدرى ٩٣
 عثمان بن عيسى ٢٢٧
 عثمان بن يحيى بن يعمراسن ١٠٦
 عقبة بن نعيم ٥٥٤

المأمون ، الخليفة الموحدي ؛ ٣٨٥ ، ٥٢٢
 مبارك العامري ، الأمير ؛ ٢٩٢ ، ٢٩٣
 محمد بن إبراهيم العبدري الآبلي ؛ ٢٦٩
 محمد بن إبراهيم بن محمد الأنصاري ؛ ٢٢٩
 محمد بن أبي اسحق السلمي البلفيقي ؛ ٢٥١
 محمد بن أبي بكر البخاري القرظي ؛ ٤٦
 محمد بن أبي يوسف ؛ ٣٢٨
 محمد بن أحمد الأنصاري (الواق) ؛ ٢٣٠
 محمد بن أحمد بن إبراهيم التلمساني الأنصاري ؛
 ٢٠٠
 محمد بن أحمد بن إبراهيم الزبير ؛ ١٥٦
 محمد بن أحمد ... بن يوسف العراقي ؛ ٢٦٨
 محمد بن أحمد الحسني ؛ ٣٢٨
 محمد بن أحمد بن خلف النساني (القليبي) ؛
 ١٥٨ ، ٣٤٤
 محمد بن أحمد الدوسي ؛ ١٥٩
 محمد بن أحمد الرقوطي المرسى ؛ ٦٧ ، ١٦١
 ٢٥٧
 محمد بن أحمد الشلبي ؛ ٥٤٢
 محمد بن أحمد بن عبد الله بن خفيس الأنصاري ؛
 ١٨٤
 محمد بن أحمد بن عبد الله الدمار ؛ ١٨٦
 محمد بن أحمد بن محمد النساني ؛ ٦٤ ، ٦٥
 محمد بن أحمد بن المتأهل العبدري ؛ ٢١٧
 محمد بن أحمد المراكشي ؛ ١٨٧
 محمد بن أحمد بن يوسف بن حميد الماشقي ؛
 ٢٤٥
 محمد بن بكرون بن حزب الله ؛ ١٨٩
 محمد بن جابر بن حسان أنة سي ؛ ١٦٣
 محمد بن الحاج النجدي ؛ ٦٩
 محمد بن الحسن بن أحمد الأنصاري ؛ ١٩٠
 محمد بن الحسن بن زيد الغافقي ؛ ٢٠٧
 محمد بن حسن بن محمد بن خلف الأنصاري ؛
 ٧٤

محمد بن حسن بن الحميري ؛ ٢٣١
 محمد بن حكيم بن باق الجذامي ؛ ٧٢ ، ١٦٥
 محمد بن الحطييب السلماني ؛ ٣٢٩
 محمد بن خلف بن موسى الأنصاري ؛ ١٦٥
 محمد بن سعد الحرسني ؛ ٤٧٦
 محمد بن سعيد بن خلف ... بن عمار بن بأسر
 الغدي ؛ ٢١٥
 محمد بن سودة المري ؛ ١٦٨ ، ١٨٢
 محمد بن صابر بن حسان النسي ؛
 محمد بن الصفار جمال الدين أبو عبد الله ؛ ١٦٤
 محمد بن عبد الرحمن الكاتب ؛ ٢١١
 محمد بن عبد الرحمن الكرسوطي ؛ ١٣٠
 محمد بن عبد الرحمن بن هاني انقايسي ؛ ١٧٤
 محمد بن عبد العزيز بن سالم بن خلف العنسي ؛ ١٧١
 محمد بن عبد الله بن داود الغافقي ؛ ٦١
 محمد بن عبد الله اللوشي ؛ ٣٧ ، ٣٦١
 محمد بن عبد الله بن محمد بن مقاتل ؛ ٢٢٧
 محمد بن عبد الملك بن حبيب ؛ ٥٥٠ ، ٥٥٢
 محمد بن عبد الملك السبي ؛ ٢٦
 محمد بن عبد الملك بن سعيد ... بن عمار
 ابن ياسر ؛ ٢١٣ ، ٢١٥
 محمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري ؛ ؛
 ١٣٤
 محمد بن عبد الولي الرعيني ؛ ٣٣
 محمد بن علي بن أبي الطائفة القشيري ؛ ٤٠٢
 محمد بن علي بن عبد ربه النجدي ؛ ٢٢٨
 محمد بن علي بن فرح القربلياني ؛ ١٧٩
 محمد بن علي الكاكي (وارياش) ؛ ٩٧
 محمد بن علي بن محمد البانسي ؛ ٣٨
 محمد بن علي بن هاني النسي ؛ ١٤٣ ، ١٤٥ ،
 ١٥٢ ، ١٩٩
 محمد بن علي بن وهب القشيري ؛ ٢٤٧
 محمد بن علي بن يوسف السكوكي ؛ ١٨٢

محمد بن قاسم بن أحمد الأنصاري (الشديد)
١٩٦
محمد المكودي ؛ ١٧
محمد بن محمد بن إبراهيم الحلواني الشريشي ؛
١٦٧
محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري (السواس) ؛ ٢٣٣
محمد بن محمد بن أحمد الطبري ؛ ٢٤٧
محمد بن محمد بن أحمد المقرئ ؛ ٣٩٥
محمد بن محمد بن إدريس بن مالك القضاة ؛
٤١٥ ، ٧٦ ، ٧٥
محمد بن محمد بن الأكحل ؛ ٢٠٤
محمد بن محمد البدوي ؛ ٨١
محمد بن محمد البكري ؛ ٢٣٢
محمد بن محمد بن جسان الغافقي ؛ ٢٠٨ ، ٢٠٧
محمد بن محمد الرياح ؛ ٩٢
محمد بن محمد بن سهل بن مالك ؛ ٢٠١
محمد بن محمد بن سورة البري ؛ ١٦٨
محمد بن محمد بن عبد الرحمن الأنصاري الساحلي ؛
١٩١ ، ١٩٣ ، ٢٣٠ ، ٢٣٩
محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغيلي ؛ ٤٠١
محمد بن محمد بن عبد الواحد البلوي ؛ ٢٠٨
محمد بن محمد عيشون ؛ ٣٤٩
محمد بن محمد بن قسي المومياي ؛ ٢٦٨
محمد بن محمد بن محارب الصريحى ؛ ٧٨
محمد بن محمد بن لب الكنائى ؛ ٧٩
محمد بن محمد بن ميمون الخزرجي ؛ ١٩٤
محمد بن محمد بن نصر ؛ ٣٨٢ ، ٣٨٣
محمد بن محمد بن يوسف الهاشمي الطنجالي ؛
١٩١
محمد الناصر ، الخليفة الموحدى ؛ ٤١٦ ،
٤٧٤
محمد بن هاني ؛ الإلبيري ٣٦١

؛ بن الوائق ؛ ٣٣٦
محمد بن وضاح ؛ ٥٤٣ ، ٥٥٠ ، ٥٥٢
محمد بن يحيى الباهلي ؛ ٣٢٧ ، ٣٢٨
محمد بن يحيى العبدري ؛ ١٥٤
محمد بن يحيى بن عبد الله العزفي ؛ ٤ ، ٣ ، ٢
١١
محمد بن يزيد بن رفاعة الأموي الإلبيري ؛
١٨٣ ، ١٨٤
محمد بن يوسف ... بن حيان النفزي ؛ ٤٣
محمد بن يوسف بن الأحمر (الفني بالله) ؛
٣٧٦ ، ٥٣٠
محمود الخراساني ، أبو المعالي ؛ ٥١٨
المختار بن أبي عبيد الثقفي ؛ ٣٤٦
المخزومي الأعشى الشاعر ؛ ٢١٦ ، ٣٤٤
المرتضى بالله ، الخليفة الأموي ؛ ٢٨٦ ،
٢٩٧ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧
مزدل بن تيولتكان الصنهاجي ؛ ٢٧٤
مزقة أم عبد الرحمن الناصر ؛ ٤٦٥
مساعدة بن أحمد بن مساعده ؛ ٥٤٣
مسلم ، الإمام ؛ ١٣٢
مسلم بن سعيد التتملي ؛ ٣٣٠
المطرف بن عبد الله بن محمد ؛ ٤ ، ٢٧٨ ،
٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٥٥٠
مطرف بن عيسى ؛ ٥٥٠
مظفر العامري ، الأمير ؛ ٢٩٢ ، ٢٩٣
معاوية بن هشام ؛ ٢٨٠
المعتمد بن عباد ؛ ٢٩٩
مقاتل بن عطية البرزالي ؛ ٢٩٩ ، ٣٠٠ ،
٣٠١
المقرئ ، شهاب الدين أبو العباس ؛ ٣
مكي بن أبي طالب ؛ ٤٦٣
منديل بن يعقوب بن عبد الحق بن يحيى ؛ ٢٧٦
منذر بن سعيد البلوطي ؛ ٤٦٥
المنذر بن عبد الرحمن الناصر ؛ ٤٦٠

محمد بن قاسم بن أحمد الأنصاري (الشديد)
١٩٦
محمد المكودي ؛ ١٧
محمد بن محمد بن إبراهيم الحلواني الشريشي ؛
١٦٧
محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري (السواس) ؛ ٢٣٣
محمد بن محمد بن أحمد الطبري ؛ ٢٤٧
محمد بن محمد بن أحمد المقرئ ؛ ٣٩٥
محمد بن محمد بن إدريس بن مالك القضاة ؛
٤١٥ ، ٧٦ ، ٧٥
محمد بن محمد بن الأكحل ؛ ٢٠٤
محمد بن محمد البدوي ؛ ٨١
محمد بن محمد البكري ؛ ٢٣٢
محمد بن محمد بن جسان الغافقي ؛ ٢٠٨ ، ٢٠٧
محمد بن محمد الرياح ؛ ٩٢
محمد بن محمد بن سهل بن مالك ؛ ٢٠١
محمد بن محمد بن سورة البري ؛ ١٦٨
محمد بن محمد بن عبد الرحمن الأنصاري الساحلي ؛
١٩١ ، ١٩٣ ، ٢٣٠ ، ٢٣٩
محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغيلي ؛ ٤٠١
محمد بن محمد بن عبد الواحد البلوي ؛ ٢٠٨
محمد بن محمد عيشون ؛ ٣٤٩
محمد بن محمد بن قسي المومياي ؛ ٢٦٨
محمد بن محمد بن محارب الصريحى ؛ ٧٨
محمد بن محمد بن لب الكنائى ؛ ٧٩
محمد بن محمد بن ميمون الخزرجي ؛ ١٩٤
محمد بن محمد بن نصر ؛ ٣٨٢ ، ٣٨٣
محمد بن محمد بن يوسف الهاشمي الطنجالي ؛
١٩١
محمد الناصر ، الخليفة الموحدى ؛ ٤١٦ ،
٤٧٤
محمد بن هاني ؛ الإلبيري ٣٦١

منذر بن يحيى التحيبي ؛ ٢٨١
 المنصور بن أبي عامر ؛ ٢٩٢ ، ٢٨١
 منصور بن أحمد المشدالي ؛ ١٥٧ ، ٣٢٧
 منصور بن علاء ؛ ٤٧٨
 منصور بن علي بن عبد الله الزواوي ؛ ٣٢٤ ، ٣٢٧
 منصور بن عمر ... بن يعقوب بن عبد الحق ؛ ٢٩٨
 موسى بن أبي تليد ؛ ٤٦
 موسى بن أبي الحسن الأزدي ؛ ٤٠٢
 موسى بن حدير ؛ ٤٦٥
 موسى بن رحو ؛ ٢٧٦
 موسى بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن ؛ ٢٧٥
 موسى بن نصير ؛ ٥٢٥
 موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يغمراسن
 (أبو رحو) ؛ ٣٣٦ ، ٢٨١ ، ٥
 المهلب بن أحمد بن أبي صفرة ؛ ٣٠٣
 مؤمل مولى باديس ؛ ٣٣١ - ٣٣٣
 مؤمل بن رجا بن عكرمة العقيل ؛ ٣٠٢
 ناصر الدين المشدالي ؛ ١٧٥ ، ٢٤٠ ، ٥٤٧
 نزهون بنت القليعي ؛ ٢١٦ ، ٣٤٤
 نصر بن إبراهيم بن أبي الفتح الفهري ؛ ٣٤٢ ، ٣٤٣
 نصر بن محمد بن محمد الخزرجي الأنصاري ؛

السلطان ؛ ٥ ، ١٨٠ ، ٣٣٤ ، ٣٣٧
 ٣٤٧ ، ٥٣٧
 هاشم بن خالد ؛ ١٨٣
 هراقل بن شاذي بن الهنشة ؛ ٣٣٨
 هلال بن سنان الأزدي ؛ ٩٣
 وهب بن مسرة الحجاري ؛ ١٧٣
 يحيى بن أبي طالب المزني ؛ ٨٩ ، ٥٣٧
 يحيى بن رحو بن مسطلي ؛ ٥٣٢
 يحيى بن غافية اللمتوفي ؛ ٥ ، ٥٧ ، ٥٧١ ، ٥٧٩
 يحيى الجبريطي ؛ ٤٠٧
 يحيى بن يحيى ؛ ٣٨٦
 يزيد بن معاوية ؛ ٣٤٦
 اليسر بن عبد الله القشيري ؛ ٤٤
 يعقوب المنصور ، الخليفة الموحد ؛ ٢١٥ ، ٤١٦ ، ٥٤١
 يعيث بن القديم ، أبو البقاء ؛ ٨٦
 يوسف بن إبراهيم الجذامي الشاطبي ؛ ١٦٤
 يوسف أبو الحجاج ، السلطان ؛ ٢٢١
 يوسف بن تاشفين ؛ ٢٧٥ ، ٣٣١ - ٣٣٣ ، ٣٨٠ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤
 يوسف بن عبد الرحمن الفهري ؛ ٤٦٩
 يوسف بن موسى المنتشافي ؛ ٣٧٥
 يونس بن مغيث ؛ ٧١ ، ٨٥ ، ٤٧٨ ، ٤٨٣

منذر بن يحيى التحيبي ؛ ٢٨١
 المنصور بن أبي عامر ؛ ٢٩٢ ، ٢٨١
 منصور بن أحمد المشدالي ؛ ١٥٧ ، ٣٢٧
 منصور بن علاء ؛ ٤٧٨
 منصور بن علي بن عبد الله الزواوي ؛ ٣٢٤ ، ٣٢٧
 منصور بن عمر ... بن يعقوب بن عبد الحق ؛ ٢٩٨
 موسى بن أبي تليد ؛ ٤٦
 موسى بن أبي الحسن الأزدي ؛ ٤٠٢
 موسى بن حدير ؛ ٤٦٥
 موسى بن رحو ؛ ٢٧٦
 موسى بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن ؛ ٢٧٥
 موسى بن نصير ؛ ٥٢٥
 موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يغمراسن
 (أبو رحو) ؛ ٣٣٦ ، ٢٨١ ، ٥
 المهلب بن أحمد بن أبي صفرة ؛ ٣٠٣
 مؤمل مولى باديس ؛ ٣٣١ - ٣٣٣
 مؤمل بن رجا بن عكرمة العقيل ؛ ٣٠٢
 ناصر الدين المشدالي ؛ ١٧٥ ، ٢٤٠ ، ٥٤٧
 نزهون بنت القليعي ؛ ٢١٦ ، ٣٤٤
 نصر بن إبراهيم بن أبي الفتح الفهري ؛ ٣٤٢ ، ٣٤٣
 نصر بن محمد بن محمد الخزرجي الأنصاري ؛

كامل طبع المجلد الثالث من كتاب « الإحاطة في أخبار غرناطة »
بمطابع « الشركة المصرية للطباعة والنشر » بمدينة القاهرة المعزية
في اليوم الخامس عشر من رمضان المعظم سنة ١٣٩٦ هـ الموافق
لليوم التاسع من شهر سبتمبر سنة ١٩٧٦ م

HISTORY AND BIOGRAPHICAL DICTIONARY OF GRNDADA

entitled

AL - IHATA FI AKHBAR GHARNATA

BY

VIZIER LISAN - ud - DIN IBN ul - KHATIB

Edited with an Introduction and Notes

BY

MOHAMED ABDULLA ENAN

Author of : Moorish Empire in Spain. Age of the Almoravides and Almohades
End of the Moorish Empire in Spain. Monumentos Moros en Espana y Portugal
Life and Work of Ibn Khaldun. Life and Work of Ibn - ul - Khatib ;etc

Vol. III

Publisher : Al-Khanghi Bookshop, Cairo

Al-Tibaa Almisriyah Co. Press

Cairo -/1976